

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتفخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
رهم إلى صراط العزيز الحميد » .  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن عزيمة

تأليف:

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المتوفى ٣١٠ سنة

الجزء السابع

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

BP

130.4

.T28

v. 7-8



فهارس الجزء السابع من جامع البيان عن تأويل آي القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٢	لتجدن أشد الناس عداوة . . .	١	١٠٥	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم . . .	٩٤
٨٣	وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول . . .	٤	١٠٦	يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم . . .	١٠٠
٨٤	ومالنا لانؤمن بالله . . .	٦	١٠٧	فإن عُثر على أيهما استحقا إنما . . .	١١٢
٨٥	فأتأبههم الله بما قالوا جنات . . .	٧	١٠٨	ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة . . .	١٢٢
٨٦	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا . . .	٧	١٠٩	يوم يجمع الله الرسل فيقول . . .	١٢٤
٨٧	يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات . . .	٨	١١٠	إذ قال الله يا عيسى ابن مريم . . .	١٢٦
٨٨	وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا . . .	١٢	١١١	وإذ أوحيت إلى الحواريين . . .	١٢٨
٨٩	لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . . .	١٣	١١٢	إذ قال الحواريون يا عيسى . . .	١٢٩
٩٠	يا أيها الذين آمنوا إنما الحمر . . .	٣١	١١٣	قالوا نريد أن نأكل منها . . .	١٣١
٩١	إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم . . .	٣٢	١١٤	قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا . . .	١٣٢
٩٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول . . .	٣٥	١١٥	قال الله إني منزلها عليكم . . .	١٣٦
٩٣	ليس على الذين آمنوا . . .	٣٦	١١٦	وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم . . .	١٣٦
٩٤	يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله . . .	٣٩	١١٧	ما قلت لهم إلا ما أمرتني به . . .	١٣٩
٩٥	يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد . . .	٤٠	١١٨	إن تعدّ بهم فإنهم عبادك . . .	١٤٠
٩٦	أحلّ لكم صيد البحر وطعامه . . .	٦٣	١١٩	قال الله هذا يوم ينفع الصادقين . . .	١٤٠
٩٧	جعل الله الكعبة البيت الحرام . . .	٧٦	١٢٠	لله ملك السموات والأرض . . .	١٤٢
٩٨	اعلموا أن الله شديد العقاب . . .	٧٨	<b>سورة الأنعام</b>		
٩٩	ما على الرسول إلا البلاغ . . .	٧٨	١	الحمد لله الذي خلق السموات . . .	١٤٣
١٠٠	قل لا يستوى الخبيث والطيب . . .	٧٩	٢	هو الذي خلقكم من طين . . .	١٤٥
١٠١	يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا . . .	٧٩	٣	وهو الله في السموات وفي الأرض . . .	١٤٨
١٠٢	قد سأها قوم من قبلكم . . .	٨٥	٤	وما تأتيهم من آية من آيات ربهم . . .	١٤٨
١٠٣	ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة . . .	٨٦	٥	فقد كذبوا بالحق لما جاءهم . . .	١٤٩
١٠٤	وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله . . .	٩٣			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦	ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم . . .	١٤٩	٣٤	ولقد كذبت رسل من قبلك . . .	١٨٢
٧	ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس . . .	١٥٠	٣٥	وإن كان كُبر عليك إعراضهم . . .	١٨٣
٨	وقالوا لولا أنزل عليه ملك . . .	١٥١	٣٦	إنما يستجيب الذين يسمعون . . .	١٨٥
٩	ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا . . .	١٥٢	٣٧	وقالوا لولا نزل عليه آية . . .	١٨٦
١٠	ولقد استهزئ برسل من قبلك . . .	١٥٣	٣٨	وما من دابة في الأرض . . .	١٨٧
١١	قل سيروا في الأرض ثم انظروا . . .	١٥٤	٣٩	والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم . . .	١٨٩
١٢	قل لمن ما في السموات والأرض . . .	١٥٤	٤٠	قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله . . .	١٩٠
١٣	وله ما سكن في الليل والنهار . . .	١٥٨	٤١	بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون . . .	١٩١
١٤	قل أغير الله اتخذ وليا . . .	١٥٨	٤٢	ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك . . .	١٩٢
١٥	قل إني أخاف إن عصيت ربي . . .	١٦٠	٤٣	فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا . . .	١٩٢
١٦	من يُصرف عنه يومئذ فقد رحمه . . .	١٦٠	٤٤	فلما نسوا ما ذكروا به . . .	١٩٣
١٧	وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له . . .	١٦٠	٤٥	فقطّعت دابر القوم الذين ظلموا . . .	١٩٥
١٨	وهو القاهر فوق عباده . . .	١٦١	٤٦	قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم . . .	١٩٦
١٩	قل أي شيء أكبر شهادة . . .	١٦١	٤٧	قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله . . .	١٩٧
٢٠	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه . . .	١٦٤	٤٨	وما نرسل المرسلين إلا مبشرين . . .	١٩٨
٢١	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	١٦٥	٤٩	والذين كذبوا بآياتنا يمسمهم . . .	١٩٨
٢٢	ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول . . .	١٦٥	٥٠	قل لأقول لكم عندي خزائن الله . . .	١٩٩
٢٣	ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا . . .	١٦٦	٥١	وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا . . .	٢٠٠
٢٤	انظر كيف كذبوا على أنفسهم . . .	١٦٧	٥٢	ولا تطرد الذين يدعون ربهم . . .	٢٠٠
٢٥	ومنهم من يستمع إليك . . .	١٦٩	٥٣	وكذلك فتنا بعضهم ببعض . . .	٢٠٦
٢٦	وهم يهون عنه ويتأون عنه . . .	١٧١	٥٤	وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا . . .	٢٠٧
٢٧	ولو ترى إذ وقفوا على النار . . .	١٧٤	٥٥	وكذلك نفضل الآيات . . .	٢٠٩
٢٨	بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل . . .	١٧٦	٥٦	قل إني نهيئت أن أعبد . . .	٢١٠
٢٩	وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا . . .	١٧٧	٥٧	قل إني على بينة من ربي . . .	٢١٠
٣٠	ولو ترى إذ وقفوا على ربهم . . .	١٧٧	٥٨	قل لو أن عندي ما تستعجلون . . .	٢١٠
٣١	قد خسر الذين كذبوا بقاء الله . . .	١٧٨	٥٩	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . . .	٢١٠
٣٢	وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو . . .	١٨٠	٦٠	وهو الذي يتوفاكم بالليل . . .	٢١٣
٣٣	قد نعلم إنه ليحزنك . . .	١٨٠	٦١	وهو القاهر فوق عباده . . .	٢١٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٢	ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق . . .	٢١٨	٨٧	ومن آياتهم وفريأتهم . . .	٢٦٢
٦٣	قل من ينجيكم من ظلمات البر . . .	٢١٨	٨٨	ذلك هدى الله يهدي به من يشاء . . .	٢٦٣
٦٤	قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب . . .	٢١٩	٨٩	أولئك الذين آتيناهم الكتاب . . .	٢٦٣
٦٥	قل هو القادر على أن يبعث عليكم . . .	٢١٩	٩٠	أولئك الذين هدى الله . . .	٢٦٥
٦٦	وكذب به قومك وهو الحق . . .	٢٢٧	٩١	وما قلروا الله حق قلره . . .	٢٦٦
٦٧	لكل نبا مستقرّ وسوف تعلمون . . .	٢٢٧	٩٢	وهذا كتاب أنزلناه مبارك . . .	٢٧١
٦٨	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا . . .	٢٢٨	٩٣	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	٢٧٢
٦٩	وما على الذين يتقون . . .	٢٢٩	٩٤	ولقد جتتمونا فرادى . . .	٢٧٧
٧٠	وذر الذين اتخولوا دينهم لعبا . . .	٢٣١	٩٥	إن الله فالق الحب والنوى . . .	٢٨٠
٧١	قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا . . .	٢٣٥	٩٦	فالق الإصباح وجعل الليل سكنا . . .	٢٨٢
٧٢	وأن أقيموا الصلاة واتقوه . . .	٢٣٨	٩٧	وهو الذي جعل لكم النجوم . . .	٢٨٦
٧٣	وهو الذي خلق السموات . . .	٢٣٨	٩٨	وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة . . .	٢٨٦
٧٤	وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر . . .	٢٤٢	٩٩	وهو الذي أنزل من السماء ماء . . .	٢٩٢
٧٥	وكذلك نرى إبراهيم ملكوت . . .	٢٤٤	١٠٠	وجعلوا لله شركاء الجن . . .	٢٩٦
٧٦	فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا . . .	٢٤٧	١٠١	بديع السموات والأرض . . .	٢٩٨
٧٧	فلما رأى القمر بازغا . . .	٢٥١	١٠٢	ذلكم الله ربكم لإله إلا هو . . .	٢٩٩
٧٨	فلما رأى الشمس بازغة . . .	٢٥١	١٠٣	لاتدركه الأبصار . . .	٢٩٩
٧٩	إني وجهت وجهي . . .	٢٥١	١٠٤	قد جاءكم بصائر من ربكم . . .	٣٠٤
٨٠	وحاجته قومه قال أتخاجوني . . .	٢٥٢	١٠٥	وكذلك نصرّف الآيات . . .	٣٠٥
٨١	وكيف أخاف ما أشركتم . . .	٢٥٣	١٠٦	اتبع ما أوحى إليك من ربك . . .	٣٠٨
٨٢	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم . . .	٢٥٤	١٠٧	ولو شاء الله ما أشركوا . . .	٣٠٨
٨٣	وتلك حاجتنا آتيناهم إبراهيم . . .	٢٥٩	١٠٨	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله . . .	٣٠٩
٨٤	وهبنا له إسحاق ويعقوب . . .	٢٦٠	١٠٩	وأقسموا بالله جهد أيمانهم . . .	٣١١
٨٥	وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس . . .	٢٦١	١١٠	ونقلب أفئدتهم وأبصارهم . . .	٣١٤
٨٦	وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا . . .	٢٦١			

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٣١ ما نزل من الآيات في الحمر ، وذكر سبب تحريمها .	١ قوله « لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً » . . . الآية ، وما حصل من إسلام وفد نصارى نجران ووفد الحبشة ، وأن ذلك مما قيل إنه من أسباب النزول .
٤٠ جزاء الصيد واجب على العامد والمخطئ .	٣ الشاهد على أن الرهبان جمع راهب ، ويكون للواحد .
٤٦ الدرهم لا تجزئ في جزاء الصيد .	٥ قوله « وإذا سمعوا » . . . الآية .
٥٢ المرء مخير في جزاء الصيد بين الحصول التي في الآية .	٦ معنى مسألهم أن يكتبوا مع الشاهدين .
٥٨ العود الذي يستوجب الانتقام من الله .	٧ معنى طمع القوم أن يدخلهم ربهم مع القوم الصالحين .
٦٤ الطاق على وجه البحر من حيوانه حلال .	٨ ما نهى الله عنه من تعدى حدوده الذي منه أن يمنع الإنسان نفسه من الملاذ ، كما فعل الرهبان بأنفسهم .
٧٠ المحرم يجوز له الأكل من لحم صيد صاده الحلال لا لأجله .	١٣ الأيمان يكون فيها لغو ، ويكون فيها معقد ، والمؤاخذ به المعقد .
٧٧ ما كانت العرب تفعله إذا أرادت الحج .	١٤ كفارة اليمين تكون على ما عقد من الأيمان .
٨٦ أوّل من غير عهد إبراهيم من العرب . ومعنى البحيرة والسائبة .	١٦ كفارة اليمين تكون من أعدل ما يطعم .
٩٤ الإنسان يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يضره بعد ذلك تمادى المأمور في الضلال .	١٧ ما يخرج في كفارة اليمين والخلاف فيه .
١٠٠ الموصى في الغربة إذا لم يحضره مسلمان ، يجوز له أن يشهد يهوديين أو نصرانيين .	٢٦ التحرير في الأصل والشاهد عليه .
١١٢ لاخلاف بين أهل العلم أن القول لمنكر الوصية إذا لم تكن بينة .	٢٧ الرقبة المحررة في كفارة اليمين تجزئ من أى صنف كان : صغيرا أو كبيرا .
١٢٤ قوله « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » منسوخ الحكم ، وسوق الدليل لذلك .	٢٩ العلماء مجمعون على أنه يجوز للموسر التكفير بغير الإعتاق .
١٣٣ الخلاف في أن المائدة نزلت أم لا ، وما هي ؟	٢٩ العجز الذي يجوز التكفير بالصوم .

الصفحة

الصفحة

## سورة الأنعام

- ١٤٤ فاتحتها فاتحة التوراة .
- ١٤٦ الأجل المسمى فى قول الله « وأجل مسمى عنده » هو أجل البعث ، والدليل على ذلك .
- ١٥٥ ما ورد فى سعة رحمة الله .
- ١٦٢ من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى .
- ١٧١ ما كانت تفعله المشركون من نهى الناس عن اتباع رسول الله ، وبعدهم أنفسهم عنه .
- ١٧٩ الإنسان يستقبله عمله بعد موته فى صورة حسنة أو قبيحة .
- ١٨٥ الرد على من ذهب إلى وجوب الصلح والأصلح .
- ١٨٧ كل دابة ، وكل طائر محشور إلى الله بالفناء ، ومحشور إليه بالجمع يوم القيامة .
- ١٩٣ العبد إذا أعطى ما سأل وهو عاص يكون مستدرجا به .
- ٢٠٠ ما كانت تقواه المشركون لرسول الله فى حق ضعفاء المؤمنين .
- ٢٠٧ ما أمر الله رسوله أن يقوله لمن كان تائبا .
- ٢١٦ ملك الموت أعوان يعالجون إخراج النفس وهو يقبضها وماله من القوة التى وهبها .
- ٢٢٢ ما سأله النبى لأمة فأعطى بعضه ، ومنع بعضه .
- ٢٢٦ يكون فى هذه الأمة قذف ومسخ وخسف .
- ٢٤٢ لأبى إبراهيم اسمان .
- ٢٥٤ الشرك ظلم .
- ٢٦١ نسب إدريس .
- ٢٦٢ يونس ولوط ليسا من ذرية إبراهيم .
- ٢٦٦ ما قالته اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٢٧٧ ما يكون يوم القيامة من شدة الأحوال .
- ٢٨٦ المستقر والمستودع .
- ٣٠٢ ما استدل به منكرو الرؤية ، وبيان فسادهم .
- ٣١١ ما طلبته قريش من رسول الله من المعجزات .

## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ق	٣	الفادِرِ		ا
٢٣٣	مُرَاقٍ	١٥٧	الخاسِرِ	٣٠٤	وَأَيِّ
	ك	١٤٣	قادرٍ	٣١٣	شِوَائِهِ
٢٥١	الدولكِ	١٤٣	الفاجِرِ		ب
	ل	٢٣٣	بالجرائِرِ	٢٤٨	مَرَّهوبٍ
٣	وَنَزَلْ	٢٥٠	مِنَقَمِرِ	٢٣٢	وعناني
١٦٩	مُرَحَلٌ	٢٩٣	التشفر	٢٧٦	مَذْهَبًا
٢٧٨	يَغْلُوا	٢٨٠	جَرُور		ت
٢٦٢	كاهلُهُ	٢٨٣	يَكْرَأُ	٢٧٦	ماتا
٢٧٧	صَوَاهِلُهُ	٥	أَحْدَارًا		ث
٢٧٨	المُخَوَّلِ	١٥٩	فَطَارًا	١٢٠	نَقِيثٌ
٢٦	جعال	٢١١	يَشْرَأُ		ح
١٨٤	الأهْوَالِ	٢٩٣	أَحْمَرًا	٢٩٤	ورُمحا
١٣٧	العُلا	١٢٠	مَنحورًا		د
١٧٤	العُلا	١٩٥	فَحْزِرَةً	٢١٤	العَدَدُ
١٧٤	خَيْبَالًا		ط	١٣١	المُمتادُ
٢٧٧	أَعْلَى لَنَا	١٢٠	القِطَاطِ	٣١٣	الغَدِ
	م	٢٤١	ع	٢٧٧	الفرْدِ
٢٣٤	وحميمٌ	٢٣٤	الخِشَعِ	٣١٣	مُحَلِّدًا
٢٥٠	هم هم	١٤١	يَتَبَصَّعِ		ر
٢٤٨	الأدْهَمِ	٢٨٤	وازِعِ	٨٧	البَحِيرِ
١٨٤	السَّلَالِمِ	١١٢	راعِي	٢٤٩	الصُورِ
١٦٦	إقْدَامِهَا	١١٢	لَعَا	١٩٧	الأُزْرِ
	ن	١٨٦	المُقْسَعَا	٢٧٥	الفرارِ
٧٦	دين	٢٩٥	يَسَعَا	١٩٦	انتصروا
٢٧٧	الهُرُونِ	١٧٠	تَمَعَهَا	٣١٣	أزورها
١٢٥	عَيْبَانَهَا	١٩٧	ف	١٤١	بِشْرِ
			صُدْفُ		

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ  
مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّا نَصْرِيُّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانَنَا ، وَأَنَّهُمْ  
لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ( لَتَجِدَنَّ ) يا محمد ( أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً )  
للذين صدقوك واتبعوك ، وصدقوا بما جئتكم به من أهل الإسلام : ( الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ) يعنى  
عبدة الأوثان ، الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله ( وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ  
ءَامَنُوا ) يقول : ولتجدن أقرب الناس مودة ومحبة ، والمودة : المتفعللة ، من قول الرجل : وَدِدْتُ كَذَا  
أَوْدَهُ وَدَاً وَوُدًّا وَوَدًّا وَمَوَدَّةً : إذا أحببته . ( لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ) ، يقول : للذين صدقوا الله ورسوله محمدا  
صلى الله عليه وسلم ( الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّا نَصْرِيُّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانَنَا ، وَأَنَّهُمْ  
لَا يَسْتَكْبِرُونَ ) عن قبول الحق واتباعه ، والإذعان به ، وقيل : إن هذه الآية والتي بعدها نزلت في نفر  
قدموا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من نصارى الحبشة ، فلما سمعوا القرآن أسلموا ، واتبعوا رسول  
الله ، صلى الله عليه وسلم . وقيل : إنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا خَصِيفٌ ،  
عن سعيد بن جبير ، قال : بعث النجاشي وفدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليهم النبي صلى الله عليه  
وسلم فأسلموا ، قال : فأنزل الله تعالى فيهم ( لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ  
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ) . . . إلى آخر الآية ، قال : فرجعوا إلى النجاشي فأخبروه ، فأسلم النجاشي ، فلم  
يزل مسلما حتى مات ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أخاكم النجاشي قد مات ،  
فصَلُّوا عَلَيْهِ ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والنجاشي بالحبشة .

ثم حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،

في قول الله ( وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ) قال : هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة ، خاف على أصحابه من المشركين ، فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود ، وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه ، إلى النجاشي ملك الحبشة ، فلما بلغ ذلك المشركين ، بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم ، ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، فقالوا إنه خرج فينا رجل سقته عقول قريش وأحلامها ، زعم أنه نبي ، وإنه بعث إليك رهطاً ليفسدوا عليك قومك ، فأحيينا أن تأتيك ، ونخبرك خبرهم ، قال : إن جاءوني نظرت فيما يقولون . فقدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقاموا بباب النجاشي ، فقالوا : أتأذن لأولياء الله ، فقال : ائذن لهم ، فرحبا بأولياء الله . فلما دخلوا عليه سلموا ، فقال له الرهط من المشركين : ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك ، لم يحيوك بتحتيتك التي تحيا بها ؟ فقال لهم : مامنكم أن تحيوني بتحتيتي ، فقالوا : إنا حينئذ بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة . قال لهم : ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه ؟ قال : يقول : هو عبد الله ، وكلمة من الله ألقاها إلى مريم وروح منه ، ويقول في مريم : إنها العذراء البتول ، قال : فأخذ عودا من الأرض ، فقال : ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود ، فكره المشركون قوله ، وتغيرت وجوههم . قال لهم : هل تعرفون شيئا مما أنزل عليكم ؟ قالوا : نعم ، قال : اقرءوا ، فقرءوا ، وهناك منهم قسيسون ورهبان وسائر النصارى ، فعرفت كل ما قرءوا ، وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق ، قال الله تعالى ذكره : ( ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ) ، وَإِذْ أَسْمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ ) . . . الآية .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثني أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي ( وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ) . . . الآية ، قال : بعث النجاشي إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلا من الحبشة ، سبعة قسيسين ، وخمسة رهبانا ، ينظرون إليه ويسألونه ، فلما لقوه ، فقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا ، فأنزل الله عليهم ( وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ) . وَإِذْ أَسْمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) فآمنوا ، ثم رجعوا إلى النجاشي ، فهاجر النجاشي معهم ، فمات في الطريق ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، واستغفروا له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء في قوله ( وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ) . . . الآية ، هم ناس من الحبشة آمنوا ، إذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين .



وقال آخرون : بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان ؛ فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ) ، فقرأ حتى بلغ ( فَاصْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) : أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى ، يؤمنون به ، وينهون إليه ؛ فلما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم صدقوا به وآمنوا ، وعرفوا الذي جاء به أنه الحق ، فأثنى عليهم ما تسمعون .

والصواب في ذلك من القول عندي ، أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا : إنا نصارى ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يجدهم أقرب الناس ودادا لأهل الإيمان بالله ورسوله ، ولم يسم لنا أسماءهم ، وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي ، ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى ، فأدرکہم الإسلام فأسلموا ، لما سمعوا القرآن ، وعرفوا أنه الحق ، ولم يستكبروا عنه .

وأما قوله تعالى ( ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا ) فإنه يقول : قربت مودة هؤلاء الذين وصف الله صفتهم للمؤمنين ، من أجل أن منهم قسيسين ورهبانا ، والقسيسون : جمع قسيس ، وقد يجمع القسيس : قسوس ، لأن القس والقسيس بمعنى واحد .

وكان ابن زيد يقول في القسيس بما حدثنا يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : القسيسين : عبّادهم :

وأما الرهبان ، فإنه يكون واحدا وجمعا ؛ فأما إذا كان جمعا ، فإن واحدهم يكون راهبا ، ويكون الراهب حينئذ فاعلا ، من قول القائل : رهب الله فلان ، بمعنى : خافه ، يرهبه رهبا ورهبيا ، ثم يجمع الراهب رهبان ، مثل ركب وركبان ، وفارس وفُرسان ، ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعا قول الشاعر :

رُهْبَانٌ مَدِينٌ لَوْ رَأَوْكَ تَنَزَّلُوا وَالْعُصْمُ مِنْ شَعَفِ الْعُقُولِ الْفَادِرِ ١

وقد يكون الرهبان واحدا ، وإذا كان واحدا كان جمعا : رهابين ، مثل قُرْبَانٍ وقرايين ، وجِرْدَانٍ وجرادين ، ويجوز جمعه أيضا : رهابنة إذا كان كذلك ؛ ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب واحدا قول الشاعر :

لَوْ عَايَنْتَ رُهْبَانَ دَيْرٍ فِي الْقَلْلِ لَانْحَسَدَرَ الرُّهْبَانَ يَمْشِي وَتَنَزَّلُ ٢

(١) البيت لجرير (اللسان : رهب) وهو شاعر على أن الرهبان جمع لراهب . قال : ووعل عاقل : سعد الجبل . والقادر : المسن من الوعول . وشعف الجبال : جمع شعفة ، وهي رأس الجبل ، ويجمع أيضا على شعاف وشعوف . وانظره أيضا في ديوان جرير ص ٣٠٥ ، وقبله :

يَا أُمَّ طَلْحَةَ مَا لَقِينَا مِثْلَكُمْ فِي الْمُنْجِدِينَ وَلَا بَعُورِ الْغَائِرِ

(٢) البيت في (اللسان : رهب) أنشده ابن الأعرابي شاهدا على أن الرهبان قد يكون واحدا ، قال : ووجه الكلام أن يكون جمعا بالنون . قال : وإن جمعت الرهبان الواحد : رهابين ورهابنة ، جاز . والقلل : جمع قلة ، وهي رأس الجبل . ورواية البيت في تفسير القرطبي (٦ : ٢٥٨) لو كلمت . . . . . الرهبان يسمى ويصل .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ) فقال بعضهم: عنى بذلك قوم كانوا استجابوا لعيسى بن مريم حين دعاهم ، واتبعوه على شريعته .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين عن حدثه ، عن ابن عباس ، في قوله ( ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ) قال : كانوا نَوَآئِي فِي الْبَحْرِ ، يَعْنِي مَلَاحِينَ ، قَالَ : فَمَرَّ بِهِمْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَجَابُوهُ ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ ( قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ) .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : القوم الذين كان النجاشي بعثهم إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، قال : ثنا عبسة عن حدثه ، عن أبي صالح في قوله ( ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ) قال : ستة وستون ، أو سبعة وستون ، أو اثنان وستون من الحبشة ، كلهم صاحب صومعة ، عليهم ثياب الصوف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِي ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ( ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ) قال : بعث النجاشي إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم خمسين أو سبعين من خيارهم ، فجعلوا يبكون ، فقال : هم هؤلاء .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبير : ( ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ) قال : هم رسل النجاشي الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه ، كانوا سبعين رجلا ، اختارهم ، الخبير فالخير ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليهم ( يس - والقُرْآنَ الْحَكِيمَ ) فبَكَوْا وَعَرَفُوا الْحَقَّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ ( ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ) ، وَأَنْزَلَ فِيهِمْ ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ) . . . إلى قوله ( يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ) .

والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر عن النفر الذين أثنى عليهم من النصراني ، بقرب مودتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله ، أن ذلك إنما كان منهم ، لأن منهم أهل اجتهاد في العبادة ، وترهيب في الديارات والصوامع ، وأن منهم علماء بكتبهم ، وأهل تلاوة لها ، فهم لا يبعدون من المؤمنين ، لتواضعهم للحق إذا عرفوه ، ولا يستكبرون عن قبوله إذا تبينوه ، لأنهم أهل دين واجتهاد فيه ، ونصيحة لأنفسهم في ذات الله ، وليسوا كاليهود الذين قد دربوا بقتل الأنبياء والرسل ، ومعاودة الله في أمره ونهيه ، وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه .

القول في تأويل قوله

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ،  
يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَاْمَنَّا فَا كَتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : وإذا سمع هؤلاء الذين قالوا إنا نصارى ، الذين وصفت لك يا محمد صفتهم ، أنك تجدهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا ، ما أنزل إليك من الكتاب يتلى ، ( تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ ) وفيض العين من الدمع : امتلاؤها منه ، ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء ، وفيض الإناء ، وذلك سيلانه عن شدة امتلائه ؛ ومنه قول الأعشى :

فَقَاضَتْ دُمُوعِي فَطَلَّ الشُّشُو نِ إِمَّا وَكَيْفًا وَإِمَّا اتَّخِذَارًا

وقوله ( إِمَّا عَرَفُوا مِنْ الحَقِّ ) يقول : فيض دموعهم لمعرفةهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله إلى رسول الله حق .

كما حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا أسباط بن نصر الهمداني ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، قال : بعث النجاشي إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلا يسألونه ويأتونه بخبره ، فقرأ عليهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا ، وكان منهم سبعة رهبان ، وخمسة قسيسون ، أو خمسة رهبان ، وسبعة قسيسون ، فأنزل الله فيهم ( وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن علي بن مقدم ، قال : سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : نزلت في النجاشي وأصحابه ( وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبدة بن سليم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله ( تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ) قال : ذلك في النجاشي .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كانوا يرون أن هذه الآية أنزلت في النجاشي ( وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : قال ابن إسحاق : سألت الزهري عن الآيات ( ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون . وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ) . . . الآية .

وقوله ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال : ما زلت أسمع علماءنا يقولون : نزلت في النجاشي وأصحابه . وأما قوله ( يَقُولُونَ ) فإنه لو كان بلفظ اسم ، كان نصبا على الحال ، لأن معنى

(١) البيت للأعشى من قصيدة له في مدح قيس بن معديكرب (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٤٥) وقد جاء محرفا في نسخ التفسير . وفي الديوان : الغروب ، في موضع الشئون . والظل في رواية المؤلف : قطرات المطر ، والشئون : جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين . والغروب كما في رواية الديوان : جمع غرب ، وهو بمعنى الشأن . والوكيف : مصدر ، وكف الدمع يكف وكفا ووكيفا ووكوفا ووكفانا : سال ، والدلو : قطرت . واتحدار الدمع وتحدره : نزوله قطرات . يريد أن دموعه كانت تنهمر وتسيل حيناً ، وتقطر قطرات حيناً آخر .

الكلام : وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، قائلين ربنا آمننا . ويعنى بقوله تعالى ذكره ( يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا ) أنهم يقولون : يا ربنا صدقنا لما سمعنا ما أنزلته إلى نبيك محمد، صلى الله عليه وسلم من كتابك ، وأقررنا به أنه من عندك ، وأنه الحق لا شك فيه .

وأما قوله ( فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) فإنه روى عن ابن عباس وغيره في تأويله ، ما حدثنا به هناد قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنى وابن نمير جميعا ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ( اِكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) يعنون بالشاهدين : محمدا صلى الله عليه وسلم وأمه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس ، في قوله ( فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) قال محمد صلى الله عليه وسلم وأمه ، أنهم شهدوا أنه قد بلغ ، وشهدوا أن الرسل قد بلغت .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، قال : ثنى إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثل حديث الحارث بن عبد العزيز ، غير أنه قال : وشهدوا للرسل أنهم قد بلغوا ، فكان متأول هذا التأويل قصد بتأويله هذا إلى معنى قول الله تعالى ذكره ، ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ) فذهب ابن عباس إلى أن الشاهدين هم الشهداء في قوله ( لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وإذا كان التأويل ذلك ، كان معنى الكلام : يقولون ربنا آمننا فاكتبنا مع الشاهدين ، الذين يشهدون لأنبيائك يوم القيامة ، أنهم قد بلغوا أممهم رسالاتك .

ولو قال قائل : معنى ذلك : فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشهدون أن ما أنزلته إلى رسولك من الكتاب حق ، كان صوابا ، لأن ذلك خاتمة قوله ( وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) وذلك صفة من الله تعالى ذكره لهم بإيمانهم ، لما سمعوا من كتاب الله ، فتكون مسئلتهم أيضا الله أن يجعلهم ممن صحت عنده شهادتهم بذلك ، ويلحقهم في الثواب والجزاء منازلهم ، ومعنى الكتاب في هذا الموضع : الجعل ، يقول : فاجعلنا مع الشاهدين ، وأثبتنا معهم في عدادهم .

القول في تأويل قوله

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ، وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ

الصَّالِحِينَ (٨٤)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، أنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم من كتابه ، آمنوا به ، وصدقوا كتاب الله ، وقالوا : ما لنا لا نؤمن بالله ، يقول : لانقرّ بوحداية الله ، وما جاءنا من الحقّ ، يقول : وما جاءنا من عند الله من كتابه وآى تنزيله ، ونحن نطمع بإيماننا بذلك ، أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين . يعنى بالقوم الصالحين : المؤمنين بالله المطيعين له ، الذين استحقوا من الله الجنة بطاعتهم إياه . وإنما معنى ذلك : ونحن نطمع أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته ، مداخلهم من جنته يوم القيامة ، ويلحق منازلنا بمنزلهم ، ودرجاتنا بدرجاتهم في جناته .

وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( وما لنا لا نؤمنُ بالله وما جاءنا من الحقّ ونطمعُ أنْ يُدْخِلنا ربُّنا معَ القومِ الصّالحين ) قال : القوم الصالحون : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

القول فى تأويل قوله

فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : فجزاهم الله بقولهم : ربنا آمنة فآكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحقّ ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يعنى : بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار ، خالدين فيها ، يقول : دائماً فيها مكثهم ، لا يخرجون منها ، ولا يحولون عنها . وذلك جزاء المحسنين : يقول : وهذا الذى جزيت هؤلاء القتالين بما وصفت عنهم من قبلهم على ما قالوا من الجنات التى هم فيها خالدون ، جزاء كلّ محسن فى قبيله وفعله ، وإحسان المحسن فى ذلك أن يوحد الله توحيداً خالصاً محضاً ، لا شرك فيه ، ويقرّ بأنبياء الله ، وما جاءت به من عند الله من الكتب ، ويؤدّى فرائضه ، ويجتنب معاصيه ، فذلك كمال إحسان المحسنين الذين قال الله تعالى : (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) .

القول فى تأويل قوله

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا توحيد الله ، وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذبوا

بآيات كتابه ، فإن أولئك أصحاب الجحيم . يقول : هم سكانها ، واللابثون فيها . والجحيم : ما اشتد من النار ، وهو الجاحم والجحيم .

الفصل في تأويل قوله

يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأُحْرَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه حق من عند الله ( لا تُحْرَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) ، يعني بالطيبات : اللذيذات التي تشبهها النفوس وتميل إليها القلوب ، فتمنعوها إياها ، كالذي فعله القسيسون والرهبان ، فحرموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة ، والمشارب اللذيذة ، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم ، وساح في الأرض بعضهم . يقول تعالى ذكره : فلا تفعلوا أيها المؤمنون ، كما فعل أولئك ، ولا تعتدوا حد الله الذي حد لكم فيما أحل لكم ، وفيما حرم عليكم ، فتجاوزوا حده الذي حدّه ، فتخالفوا بذلك طاعته ، فإن الله لا يحب من اعتدى حده الذي حدّه لخلقه ، فيما أحل لهم ، وحرم عليهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر أبو زيد ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية : ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ) . . . الآية ، قال عثمان بن مظعون وأناس من المسلمين : حرموا عليهم النساء ، وامتنعوا من الطعام الطيب ، وأراد بعضهم أن يقطع ذكره ، فنزلت هذه الآية .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا خالد الخذاء ، عن عكرمة ، قال : كان أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هموا بالحِصاء ، وترك اللحم والنساء ، فنزلت هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ) ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ) . حدثني يعقوب قال : ثنا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة ، أن رجلا أرادوا كذا وكذا ، وأرادوا كذا وكذا ، وأن يختصوا ، فنزلت ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ) إلى قوله ( الذي أنتم به مؤمنون ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ) قال : كانوا حرموا الطيب واللحم ، فأنزل الله تعالى هذا فيهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفي ، قال : ثنا خالد ، عن عكرمة أن أناسا قالوا : لا نزوج ، ولا نأكل ، ولا نفعل كذا وكذا ، فأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ) ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة قال : أراد أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا ، ويتركوا النساء ويترهبوا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلظ فيهم المقالة ، ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم بالثشديد ، شدوا على أنفسهم ، فشد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع ، اعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وحججوا واعتمروا ، واستقيموا يستقم لكم ، قال : ونزلت فيهم ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) قال : نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أرادوا أن يتخلوا من اللباس ، ويتركوا النساء ، ويترهبوا ، منهم علي بن أبي طالب ، وعثمان بن مظعون . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا أَمْرُكُمْ أَنْ تَكُونُوا قَيْسِيَّيْنَ وَرَهْبَانًا » .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : في قوله ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) . . . الآية ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَضُوا النِّسَاءَ وَاللَّحْمَ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَتَّخِذُوا الصَّوَامِعَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَيْسَ فِي دِينِي تَرْكُ النِّسَاءِ وَاللَّحْمِ ، وَلَا اتِّخَاذُ الصَّوَامِعِ » . وَخَبَّرَنَا أَنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّفَقُوا ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَا أَنَا فَأَقُومُ اللَّيْلَ لِأَنَامٍ ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَا أَنَا فَأَصُومُ النَّهَارَ فَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَمَا أَنَا فَلَا آتِي النِّسَاءَ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « أَلَمْ أَنْبَأْكُمْ أَنْتَقَسَمْتُ عَلَى كَذَا ؟ » قَالُوا : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ ، قَالَ : لَكَيْتِي أَقُومُ وَأَنَامُ ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَآتِي النِّسَاءَ ، قَمَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنِّيَّتِي فَلَيْتَسَّ مَيْتِي . وَكَانَ فِي بَعْضِ الْقِرَاءَةِ : « مَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنَّتِي ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي ، وَقَدْ ضَلَّ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ » . وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : « إِنْ مِنْ قَبْلِكُمْ شَدَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَشَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » ، فَهَؤُلَاءِ إِخْوَانُهُمْ فِي الدُّورِ وَالصَّوَامِعِ ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان ، وحججوا ، واعتمروا ، واستقيموا يستقم لكم . حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ يَوْمًا ، فَذَكَرَ النَّاسَ ، ثُمَّ قَامَ وَلَمْ يَزِدْهُمْ عَلَى التَّخْوِيفِ ، فَقَالَ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانُوا عَشْرَةَ ، مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ : مَا حَقَّقْنَا إِنْ لَمْ نَحْدِثْ عَمَلًا ، فَإِنَّ النَّصَارَى قَدْ حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَنَحْنُ نَحْرَمُ ، فَحَرَّمَ بَعْضُهُمْ أَكْلَ اللَّحْمِ وَالوَدَّكَ ، وَأَنْ يَأْكَلَ بِالنَّهَارِ ، وَحَرَّمَ بَعْضُهُمُ النَّوْمَ ، وَحَرَّمَ بَعْضُهُمُ النِّسَاءَ ، فَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ مِمَّنْ

حرّم النساء ، وكان لا يدنو من أهله ، ولا يدنون منه ، فأنت امرأته عائشة وكان يقال لها : الحولاء ، فقالت لها عائشة ومن عندها من نساء النبي صلى الله عليه وسلم : ما بالك يا حولاء متغيرة اللون لا تمتشطين ولا تطيبين ؟ فقالت : وكيف أنطيب وأمتشط ، وما وقع على زوجي ، ولا رفع عني ثوبا منذ كذا وكذا ، فجعلن يضحكن من كلامها ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهن يضحكن ، فقال : ما يضحكنكن ؟ قالت : يا رسول الله الحولاء ، سألتها عن أمرها ، فقالت : ما رفع عني زوجي ثوبا منذ كذا وكذا ، فأرسل إليه فدعاه ، فقال : ما بالك يا عثمان ؟ قال : إني تركته لله ، لكي أتخلى للعبادة ، وقصّ عليه أمره ، وكان عثمان قد أراد أن يحب نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفسمت عليك إلا رجعت فواقعت أهلك ، فقال : يا رسول الله إني صائم ، قال : أفطير ، فأفطر وأتى أهله ، فرجعت الحولاء إلى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيبت ، فضحكت عائشة ، فقالت : ما بالك يا حولاء ؟ فقالت : إنه أتانا أمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والنوم ، ألا إني أنام وأقوم ، وأفطير وأصوم ، وأنكح النساء ، فمن رغب عن سنّتي فليس مني ، فنزلت ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا ) . يقول لعثمان : لا تحب نفسك ، فإن هذا هو الاعتداء ، وأمرهم أن يكفروا أيمانهم ، فقال ( لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ) ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ) .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ) قال : هم رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : نقطع مذاكيرنا ، ونترك شهوات الدنيا ، ونسيح في الأرض ، كما تفعل الرهبان ، فبلغ ذلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليهم ، فذكر ذلك لهم ، فقالوا : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكنني أصوم وأفطير ، وأصلي وأنام ، وأنكح النساء ، فمن أخذ بسنّتي فهو مني ، ومن لم يأخذ بسنّتي فليس مني » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ) وذلك أن رجلا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، منهم عثمان بن مظعون حرّموا النساء واللحم على أنفسهم ، وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم ، لكي تنقطع الشهوة ، ويتفرغوا لعبادة ربهم ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أردتم ؟ فقالوا : أردنا أن نقطع الشهوة عنا ، ونفترغ لعبادة ربنا ، ونلهو عن النساء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم أوامر بذلك ، ولكني أميرت في ديني أن أتزوج النساء . فقالوا : نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ) . . . إلى قوله ( الذي أنتم به مؤمنون ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أراد



رجال ، منهم عثمان بن مظعون ، وعبد الله بن عمرو أن يبتلوا ، وَيَخْضُوا أَنْفُسَهُمْ ، ويلبسوا المسوح ، فنزلت هذه الآية إلى قوله ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ) .

قال ابن جريج عن عكرمة : إن عثمان بن مظعون ، وعلى بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والمقداد بن الأسود ، وسالم مولى أبي حذيفة في أصحاب تبتلوا ، فجلسوا في البيوت ، واعتزلوا النساء ، ولبسوا المسوح وحرّموا طيبات الطعام واللباس ، إلا ما أكل ولبس أهل السياحة من بني إسرائيل ، وهموا بالاختصاص ، وأجمعوا لقيام الليل ، وصيام النهار ، فنزلت ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ) يقول : لانستنوا بغير سنة المسلمين ، يريد ما حرّموا من النساء والطعام واللباس ، وما أجمعوا له من صيام النهار ، وقيام الليل ، وما هموا له من الإحصاء ؛ فلما نزلت فيهم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : «إِنَّ لِأَنْفُسِكُمْ حَقًّا ، وَإِنَّ لِأَعْيُنِكُمْ حَقًّا صَوْمُوا وَأَفْطَرُوا ، وَصَلُّوا وَتَامُوا ، فَكَلَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ سُنَّتَنَا » . فقالوا : اللهم أسلمتنا ، واتبعنا ما أنزلت .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد في قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) قال : قال أبي : ضاف عبد الله بن رواحة ضيف ، فانقلب ابن رواحة ولم يتعش ، فقال لأهله : ما عشيته ؟ فقالت : كان الطعام قليلا ، فانتظرت أن تأتي ، قال : فحبست ضيفي من أجل ؟ فطعامك على حرام إن ذقته ، فقالت هي : وهو على حرام إن ذقته إن لم تذقه ، وقال الضيف : هو على حرام إن ذقته إن لم تذوقوه ، فلما رأى ذلك ، قال ابن رواحة : قرّبي طعامك ، كلوا باسم الله ، وغدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أحسنت ، فنزلت هذه الآية ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) . . . . . وقرأ حتى بلغ ( لَا يُؤْخِذُكُمْ اللَّهُ بِالْآثِمِينَ فِي إِيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْإِيْمَانَ ) . إذا قلت : والله لأذوقه ، فذلك العقد .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا عكرمة ، عن ابن عباس « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني إذا أصبت من اللحم انتشرت ، وأخذتني شهوتي ، فحرمت اللحم ، فأنزل الله تعالى ذكره ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا خالد الخذاء ، عن عكرمة ، قال : هم أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك النساء والخصاء ، فأنزل الله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) . . . الآية .

واختلفوا في معنى الاعتداء الذي قال تعالى ذكره ( وَلَا تَعْتَدُوا ) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ) فقال

بعضهم : الاعتداء الذي نهى الله عنه في هذا الموضع ، هو ما كان عثمان بن مظعون همّ به من جبّ نفسه ، فنهى عن ذلك ، وقيل له : هذا هو الاعتداء ، ومن قال ذلك السدي .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عنه ، به .  
وقال آخرون : بل ذلك هو ما كان الجماعة من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم هموا به من تحريم النساء والطعام واللباس والنوم ، فنهوا أن يفعلوا ذلك ، وأن يستنثوا بغير سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن قال ذلك عكرمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عنه ، به .  
وقال بعضهم : بل ذلك نهى من الله تعالى ذكره أن يتجاوز الحلال إلى الحرام .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن عاصم ، عن الحسن ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ، ولا تعتدوا ) . قال : لا تعتدوا إلى ما حرم عليكم .  
وقد بينا أن معنى الاعتداء : تجاوز المرء ماله إلى ما ليس له في كل شيء ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد عمّ بقوله ( لا تعتدوا ) النهي عن العدوان كله ، كان الواجب أن يكون محكوما لما عمه بالعموم ، حتى يخصه ما يجب التسليم له ، وليس لأحد أن يتعدى حدّ الله تعالى في شيء من الأشياء ، مما أحلّ أو حرم ، فمن تعدّاه فهو داخل في جملة من قال تعالى ذكره ( إن الله لا يحبّ المعتدين ) . وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في أمر عثمان بن مظعون ، والرهط الذين هموا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هموا به ، من تحريم بعض ما أحلّ الله لهم على أنفسهم ، ويكون مرادا بحكها كل من كان في مثل معناهم ، ممن حرم على نفسه ما أحلّ الله له ، أو أحلّ ما حرم الله عليه ، أو تجاوز حدّا حدّه الله له ، وذلك أن الذين هموا بما هموا به من تحريم بعض ما أحلّ لهم على أنفسهم ، إنما عوتبوا على ما هموا به من تجاوزهم ما سنّ لهم وحدّ ، إلى غيره .

القول في تأويل قوله

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره هؤلاء المؤمنون الذين نهاهم أن يحرموا طيبات ما أحلّ الله لهم : كلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذي رزقكم ، وأحلّه لكم حلالا طيبا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ( وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ) يعني : ما أحلّ الله لهم من الطعام .

وأما قوله ( واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ) فإنه يقول : وخافوا أيها المؤمنون أن تعتدوا في حدوده ، ففتحوا ما حرم عليكم ، وتحرموا ما أحلّ لكم ، واحذروه في ذلك أن تخالفوه ، فينزل بكم

خطه ، أو تستوجبوا به عقوبته ، الذي أنتم به مؤمنون ، يقول : الذي أنتم بوحدانيته مقرّون ، وبربوبيته مصدّقون .

## القول في تأويل قوله

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ، فَكَفَرْتُمْ  
إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ، فَمَنْ لَمْ  
يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ، وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ، كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)

يقول تعالى ذكره للذين كانوا حرّموا على أنفسهم الطيبات ، من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وكانوا حرّموا ذلك بأيمان حلفوا بها ، فنهاهم عن تحريمها ، وقال لهم : لا يؤاخذكم ربكم باللغو في أيمانكم . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ) في القوم الذين كانوا حرّموا النساء ، واللحم على أنفسهم ، قالوا : يارسول الله ، كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها ؟ فأنزل الله تعالى ذكره ( لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ) . . . الآية ، فهذا يدلّ على ما قلنا من أن القوم كانوا حرّموا ما حرّموا على أنفسهم بأيمان حلفوا بها ، فنزلت هذه الآية بسببهم .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز وبعض البصريين ( وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ) بتشديد القاف ، بمعنى : وكذّتم الأيمان وردّتموها ؛ وقراء الكوفيين ( بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ) بتخفيف القاف ، بمعنى : أوجبتموها على أنفسكم ، وعزمت عليها قلوبكم .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك ، قراءة من قرأ بتخفيف القاف ، وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل فعلت في الكلام ، إلا فيما يكون فيه تردّد مرّة بعد مرّة ، مثل قولهم : شدّدت على فلان في كذا إذا كرّر عليه الشدّ مرّة بعد أخرى ، فإذا أرادوا الخبر عن فعل مرّة واحدة ، قيل : شدّدت عليه بالتخفيف . وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم ، أن اليمين التي تجب بالحنث فيها الكفارة ، تلزم بالحنث في حلف مرّة واحدة ، وإن لم يكررها الحالف مرّات ، وكان معلوماً بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه ، وإن لم يكرره ولم يردّه . وإذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من «عقدتم» وجه مفهوم . فتأويل الكلام إذن : لا يؤاخذكم الله أيها المؤمنون من أيمانكم بما لغوتم فيه ، ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها ، وعقدت عليه قلوبكم . وقد بينا اليمين التي هي لغو ، والتي الله مؤاخذ العبد بها ، والتي فيها الحنث ، والتي لا حنث فيها ، فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع .

وأما قوله ( بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ) فإن هنادا حدثنا ، قال : ثنا وكيع ، عن سُفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ) قال : بما تعمدتم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ) يقول : ما تعمدت فيه المأثم ، فعليك فيه الكفارة . القول في تأويل قوله ( فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ) : اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله ( فَكَفَّارَتُهُ ) : على ما هي عائدة ، ومن ذكر ما ؟ فقال بعضهم : هي عائدة على «ما» التي في قوله ( بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ) . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عدى عن الحسن في هذه الآية ( لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) قال : هو أن تحلف على الشيء ، وأنت تخيل إليك أنه كما حلفت ، وليس كذلك ، فلا يؤاخذكم الله ، فلا كفارة ، ولكن المؤاخذة والكفارة فيما حلفت عليه على علم . حدثنا ابن حميد ، وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال : اللغو ليس فيه كفارة ( وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ) قال : ما عقد فيه يمينه ، فعليه الكفارة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك ، قال : الأيمان ثلاث : يمين تكفر ، ويمين لا تكفر ، ويمين لا يؤاخذ بها صاحبها . فأما اليمين التي تكفر ، فالرجل يحلف على الأمر لا يفعله ، ثم يفعله ، فعليه الكفارة . وأما اليمين التي لا تكفر : فالرجل يحلف على الأمر يتعمد فيه الكذب ، فليس فيه كفارة ، وأما اليمين التي لا يؤاخذ بها صاحبها : فالرجل يحلف على الأمر ، يرى أنه كما حلف عليه ، فلا يكون كذلك ، فليس عليه فيه كفارة ، وهو اللغو .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا ابن أبي ليلى ، عن عطاء ، قال : قالت عائشة : لغو اليمين ما لم يعقد عليه الخالف قلبه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علبية ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا حماد ، عن إبراهيم ، قال : ليس في لغو اليمين كفارة .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أن عروة حدثه ، أن عائشة قالت : أيمان الكفارة كل يمين حلف فيها الرجل على جد من الأمور في غضب أو غيره ، ليفعلن ليركن ، فذلك عقد الأيمان التي فرض الله فيها الكفارة ، وقال تعالى ذكره ( لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني معاوية بن صالح ، عن يحيى بن سعد ، وعن علي بن أبي طلحة ، قال : ليس في لغو اليمين كفارة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ) يقول : ما تعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة ، قال وقال قتادة : أما اللغو فلا كفارة فيه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبدة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : لا كفارة في لغو اليمين ؛ حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو العبقرى ، عن أسباط ، عن السدى : ليس في لغو اليمين كفارة . فعنى الكلام على هذا التأويل : لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارة ما عقدتم منها : إطعام عشرة مساكين .

وقال آخرون : الهاء في قوله ( فَكَفَّارَتُهُ ) عائدة على اللغو ، وهي كناية عنه .

قالوا : وإنما معنى الكلام : لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم إذا كفرتموه ، ولكن يؤاخذكم إذا عقدتم الأيمان ، فأقسم على المضي عليه بترك الحنث ، والكفارة فيه ، والإقامة على المضي عليه غير جائزة لكم ، فكفارة اللغو منها إذا حنثتم فيه : إطعام عشرة مساكين .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله ( لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) قال : هو الرجل يحلف على أمر ضرار أن يفعله ، فلا يفعله ، فيرى الذي هو خير منه ، فأمره الله أن يكفر عن يمينه ، ويأتى الذي هو خير ، وقال مرة أخرى قوله ( لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) . . . إلى قوله ( بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ) قال : واللغو من اليمين هي التي تكفرت ، لا يؤاخذ الله بها ، ولكن من أقام على تحريم ما أحل الله له ، ولم يتحول عنه ، ولم يكفر عن يمينه ، فتلك التي يؤاخذ بها .

حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، قوله ( لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) قال : هو الذي يحلف على المعصية فلا يفي ، فيكفر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن جبير ( لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) قال : هو الرجل يحلف على المعصية ، فلا يؤاخذ الله تعالى ، يكفر عن يمينه ، ويأتى الذي هو خير ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان : الرجل يحلف على المعصية ، ثم يقم عليها ، فكفارته إطعام عشرة مساكين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا داود ، عن سعيد بن جبير ، قال : في لغو اليمين : هي اليمين في المعصية ، فقال : أو لا تقرأ فتفهم ؟ قال ( لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) ،

وَلَكِنَّ يَأْخُذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْإِيمَانَ ) قال : فلا يؤاخذه بالإلغاء ، ولكن يؤاخذه بالمقام عليها ، قال : وقال ( وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) قال : هو الرجل يخلف على المعصية ، فلا يؤاخذه الله بتركها إن تركها ، قلت : وكيف يصنع ؟ قال : يكفر يمينه ، ويترك المعصية .

حدثني يحيى بن جعفر ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) قال : اليمين المكفرة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : اللغو : يمين لا يؤاخذه بها صاحبها ، وفيها كفارة .

والذي هو أولى عندي بالصواب في ذلك ، أن تكون الهاء في قوله ( فَكَفَّارَتُهُ ) عائدة على « ما » التي في قوله ( بِمَا عَقَدْتُمْ الْإِيمَانَ ) لما قدمنا فيها مضي قبل ، أن من لزمته في يمينه كفارة ، وأخذ بها ، غير جائز أن يقال لمن قد أخذ : لا يؤاخذه الله باللغو ؛ وفي قوله تعالى ( لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) دليل واضح ، أنه لا يكون مؤاخذا بوجه من الوجوه ، من أخبرنا تعالى ذكره أنه غير مؤاخذا ؛ فإن ظن ظان أنه إنما عنى تعالى ذكره بقوله ( لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) بالعقوبة عليها في الآخرة إذا حنثتم وكفرتتم ، لأنه لا يؤاخذهم بها في الدنيا بتكفير ، فإن إخبار الله تعالى ذكره وأمره ونهيه في كتابه على الظاهر العام عندنا ، بما قد دللنا على صحة القول به في غير هذا الموضع ، فأعنى عن إعادته ، دون الباطن العام الذي لا دلالة على خصوصه في عقل ولا خبر ولا دلالة من عقل ولا خبر ، أنه عنى تعالى ذكره بقوله ( لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) بعض معاني المؤاخذة ، دون جميعها ؛ وإذا كان ذلك كذلك ، وكان من لزمته كفارة في يمين حنث فيها مؤاخذا بها بعقوبة في ماله عاجلة ، كان معلوما أنه غير الذي أخبرنا تعالى ذكره أنه لا يؤاخذه بها . وإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا بالذي عليه دللنا ، فعنى الكلام إذن : لا يؤاخذهكم الله أيها الناس بلغو من القول والإيمان إذا لم تتعمدوا بها معصية الله تعالى ، ولا خلاف أمره ، ولم تقصدوا بها إثما ، ولكن يؤاخذهكم بما تعمدتم به الإثم ، وأوجبتموه على أنفسكم ، وعزمت عليه قلوبكم ، ويكفر ذلك عنكم ، فيغطي على سيئ ما كان منكم ، من كذب وزور قول ، ويمحوه عنكم ، فلا يتبعكم به ربكم إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم .

القول في تأويل قوله ( مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) :

يعنى تعالى ذكره بقوله ( مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) : « من أعدله .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : سمعت عطاء يقول

في هذه الآية ( مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ) قال عطاء : أوسطه : أعدله .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) فقال بعضهم : معناه : من أوسط ما يُطْعَم من أجناس الطعام ، الذي يقتاته أهل بلد المكفر أهاليهم . ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن حنّس ، عن الأسود ، قال : سألته عن أوسط ما تطعمون أهليكم قال : الخبز ، والتمر ، والزيت ، والسمن ، وأفضله اللحم . حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الله بن حنّس ، قال : سألت الأسود بن يزيد ، عن ذلك ، فقال : الخبز والتمر ، زاد هناد في حديثه : والزيت ، قال : وأحسبه : والخل .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو الأحوص ، عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن ابن عمر في قوله (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : من أوسط ما يُطْعَم أهله الخبز والتمر ، والخبز والسمن ، والخبز والزيت ، ومن أفضل ما يطعمهم : الخبز واللحم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن ليث ، عن ابن سيرين ، عن ابن عمر (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) الخبز واللحم ، والخبز والسمن ، والخبز والخبز ، والخبز والخل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن حنّس ، قال : سألت الأسود بن يزيد ، عن أوسط ما تطعمون أهليكم ؟ قال : الخبز والتمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا عبد الله بن حنّس ، قال : سألت الأسود بن يزيد ، فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سعيد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : الخبز والسمن :

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة عن ذلك ، فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أزهر ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة : (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) : الخبز والسمن .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن سيرين ، قال : كانوا يقولون : أفضله الخبز واللحم ، وأوسطه : الخبز والسمن ، وأخسه : الخبز والتمر .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال : خبز ولحم ، أو خبز وسمن ، أو خبز ولبن .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا عمر بن هارون ، عن أبي مصلح ، عن الضحاك في قوله (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) : قال : الخبز واللحم والمرقة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة ، عن يحيى بن حبان الطائفي ، قال : كنت عند شريح ، فأتاه رجل ، فقال : إني حلفت على يمين فأثمت ، قال شريح : ما حملك على ذلك ؟ قال : قدر عليّ ، فما أوسط ما أطعم أهلي ؟ قال له شريح : الخبز والزيت والخلّ طيب ، قال : فأعاد عليه ، فقال له شريح : ذلك ثلاث مِرار ، لا يزيدك شريح على ذلك ، فقال له : أرأيت إن أطعمت الخبز واللحم ؟ قال : ذاك أرفع طعام أهلك وطعام الناس .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ ، قال : في كفارة اليمين : يغدّبهم ويعشّهم خبزاً وزيتاً ، أو خبزاً وسمناً ، أو خللاً وزيتاً .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو أسامة ، عن زبرقان ، عن أبي رزین (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) خبز وزيت وخلّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن هشام بن محمد ، قال : أكلة واحدة خبز ولحم ، قال : وهو من أوسط ما تطعمون أهليكم ، وإنكم لتأكلون الخبيص والفاكهة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، وحدثنا هناد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : في كفارة اليمين يجزيك أن تطعم عشرة مساكين ، أكلة واحدة خبزاً ولحماً ، فإن لم تجد فخبزاً وسمناً ولبناً ، فإن لم تجد ، فخبزاً وخللاً وزيتاً ، حتى يشبعوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن زبرقان ، قال : سألت أبا رزین ، عن كفارة اليمين ما يطعم ؟ قال : خبزاً وخللاً وزيتاً من أوسط ما تطعمون أهليكم ، وذلك قدر قوتهم يوماً واحداً .

ثم اختلف قائلو ذلك في مَبْلَغِهِ ، فقال بعضهم : مبلغ ذلك نصف صاع من حنطة ، أو صاع من سائر الحبوب غيرها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه ، عن إبراهيم ، عن عمر ، قال : إني أحلف على اليمين ، ثم يبدو لي ، فإذا رأيتني فد فعلت ذلك ، فأطعم عشرة مساكين ، لكل مسكين مدّان من حنطة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو معاوية ، ويعلى عن الأعمش ، عن شقيق ، عن يسار بن نمير ، قال : قال عمر : إني أحلف أن لا أعطي أقواماً ، ثم يبدو لي أن أعطيهم ، فإذا رأيتني فعلت ذلك ، فأطعم عني عشرة مساكين ، بين كلّ مسكينين صاعاً من برّ ، أو صاعاً من تمر .

حدثنا هناد ومحمد بن العلاء قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن عليّ ، قال : كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين ، لكلّ مسكين نصف صاع من حنطة .



حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ( مِينٌ أَوْسَطٌ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ) نصف صاع برّ كل مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص عن عبد الكريم الجزري ، قال : قلت لسعيد بن جبير : أجمعهم ، قال : لا ، أعظمهم مدّين من حنطة ، مدّاً لطعامه ، ومدّاً لإدامه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الكريم الجزري ، قال : قلت لسعيد ، فذكر نحوه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو زيد ، عن حصين ، قال : سألت الشعبي عن كفارة اليمين ، فقال : مكّوكين : مكّوكا لطعامه ، ومكّوكا لإدامه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا هشام ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لكل مسكين مدّين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لكل مسكين مدّين من برّ ، في كفارة اليمين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : مدّان من طعام ، لكل مسكين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا سعد بن يزيد أبو سلمة ، قال : سألت جابر بن زيد عن إطعام المسكين في كفارة اليمين ، فقال : أكلة ، قلت : فإن الحسن يقول : مكوك برّ ، ومكوك تمر ، فما ترى في مكوك برّ ؟ فقال : إن مكوك برّ : لا ، أو مكوك تمر : لا ، قال يعقوب : قال ابن عُلَيَّة : وقال أبو سلمة بيده ، كأنه يراه حسّنا ، وقلب أبو سلمة يده .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن الحسن أنه كان يقول في كفارة اليمين ، فيما وجب فيه الطعام : مكّوك تمر ، ومكوك برّ ، لكل مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال : قال : إن جمعهم أشبعهم إشباعاً واحدة ، وإن أعطاهم ، أعطاهم مكوكا مكوكا .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن يونس ، قال : كان الحسن يقول : فإن أعطاهم في أيديهم فكوك برّ ، ومكوك تمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك في كفارة اليمين : نصف صاع لكل مسكين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبيه ، عن الحكم ، في قوله (إطعام عَشْرَةَ مَسَاكِينَ مِينٌ أَوْسَطٌ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : إطعام نصف صاع لكل مسكين .

(١) قال بيده : أشار بها أو حركها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : ( أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) : نصف صاع .

حدثنا عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله ( فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ) قال : الطعام لكل مسكين : نصف صاع من تمر أو برّ .

وقال آخرون : بل مَبْلَغُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْحَبُوبِ مَدٌّ وَاحِدٌ .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن هشام الدستوائي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن زيد بن ثابت ، أنه قال في كفارة اليمين : مدّ من حنطة لكل مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : في كفارة اليمين : مدّ من حنطة ، لكل مسكين ربهه إدامه .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ابن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : إطعام عشرة مساكين ، لكل مسكين مدّ .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، قال : ثنا العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : مدّ من حنطة لكل مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه كان يكفّر اليمين بعشرة أمداد ، بالمدّ الأصغر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن عبيد الله ، عن القاسم وسالم في كفارة اليمين ، ما يطعم ؟ قالا : مدّ لكل مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن يحيى بن سعيد ، عن سليمان بن يسار ، قال : كان الناس إذا كفّر أحدهم ، كفّر بعشرة أمداد ، بالمدّ الأصغر .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عمر بن هارون ، عن ابن جريج ، عن عطاء في قوله ( إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ) قال : عشرة أمداد لعشرة مساكين :

حدثنا بشر ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : ( إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) : قال : كان يقال : البرّ والتمر ، لكل مسكين مدّ من تمر ، ومدّ من برّ .

حدثنا أبو كريب وهناد ، قالوا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مالك بن مغول ، عن عطاء ، قال : مدّ لكلّ مسكين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) قال : من أوسط ما تعولونهم ، قال : وكان المسلمون رأوا أوسط ذلك : مدّاً بمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنطة . قال أبو زيد : هو الوسط مما يقوت به أهله ، ليس بأذناه ، ولا بأرفعه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن عبد الله بن سالم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ( مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) : قال : مدّ . وقال آخرون : بل ذلك غداء وعشاء . ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ قال : في كفارة اليمين ، يغدّهم ويعشيهم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عمر بن هارون ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، في كفارة اليمين ، قال : غداء وعشاء .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : يغدّهم ويعشيهم .

وقال آخرون : إنما عني بقوله ( مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) : من أوسط ما يطعم المكفّر أهله ، قال : إن كان ممن يشبع أهله ، أشبع المساكين العشرة ، وإن كان ممن لا يشبعهم لعجزه عن ذلك ، أطعم المساكين على قدر ما يفعل من ذلك بأهله ، في عُسره ويُسره . ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ، مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) : قال : إن كنت تُشبع أهلك ، فأشبع المساكين ، وإلا فعلى ما تطعم أهلك بقدره .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ، مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) وهو أن تطعم كلّ مسكين من نحو ما تطعم أهلك من الشبع ، أو نصف صاع من برّ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : من عسرهم ويسرهم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : من عسرهم ويسرهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) قال : قوتهم .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالوا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سليمان العيسى ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) قال : قوتهم .

حدثنا أبو حميد ، قال : ثنا حكيم بن سلم ، قال : ثنا عنبسة ، عن سليمان بن عبيد العيسى ، عن سعيد بن جبير في قوله ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) قال : كانوا يفضلون الحرَّ على العبد ، والكبير على الصغير ، فنزلت ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : كانوا يطعمون الكبير ما لا يطعمون الصغير ، ويطعمون الحرَّ ما لا يطعمون العبد ، فقال ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) قال : إن كنت تشبع أهلك فأشبعهم ، وإن كنت لا تشبعهم ، فكل قدر ذلك .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شيبان النحوي ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) قال : من عسرهم ويسرهم .

حدثنا يونس ، قال : ثنا سفيان عن سليمان ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : كان الرجل يقوت بعض أهله قوتا دوناً ، وبعضهم قوتا فيه سعة ، فقال الله : ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) : الخبز والزيت .

وأولى الأقوال في تأويل قوله ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) عندنا : قول من قال : من أوسط ما تطعمون أهليكم : في القلة والكثرة ، وذلك أن أحكام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في الكفارات ، كلها بذلك وردت ، وذلك كحكمه صلى الله عليه وسلم في كفارة الخلق من الأذى بفرق ٢ من طعام ، بين ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع ، وكحكمه في كفارة الوطء في شهر رمضان ، بخمسة عشر صاعاً ، بين ستين مسكينا ، لكل مسكين ربع صاع ، ولا يعرف له صلى الله عليه وسلم شيء من الكفارات أمر باطعام خبز وإدام ، ولا بغداء وعشاء . فإذا كان ذلك كذلك ، وكانت كفارة اليمين إحدى الكفارات التي تلزم من لزمته ، كان سبيلها سبيل ما تولى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم ، من أن الواجب على مكفرها من الطعام ، مقدار للمساكين العشرة ، محدود بكيل دون جمعهم على غداء أو عشاء مجبوز مأدوم ، إذ كانت سنته صلى الله عليه وسلم في سائر الكفارات كذلك . فإذا كان صحيحاً ما قلنا ، مما به استشهدنا ، فبين أن تأويل الكلام : ولكن يؤخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين ، من أعدل إطعامكم أهليكم ، وأن « ما » التي في قوله ( مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ) بمعنى المصدر ، لا بمعنى الأسماء . وإذا كان ذلك كذلك ، فأعدل أقوات الموسع على أهله مدآن ، وذلك نصف صاع في ربه إدامه ، وذلك أعلى ما حكم

(١) هوشيبان بن عبد الرحمن التميمي أبو معاوية النحوي ، البصري ثم الكوفي ، ثم البغدادي . مات سنة ١٦٤ هـ . عن الخلاصة .

(٢) الفرق بالتحريك : مكيال يسع ستة عشر رطلا ، وهي اثنا عشر مدا ، وثلاثة أمصع عند أهل الحجاز .

به النبي صلى الله عليه وسلم، في كفارة في إطعام مساكين، وأعدل أقوات المقتر على أهله مدًا، وذلك ربع صاع، وهو أدنى ما حكم به في كفارة في إطعام مساكين. وأما الذين رأوا إطعام المساكين في كفارة اليمين الحزب واللحم، وما ذكرنا عنهم قبل، والذين رأوا أن يُغَدَّوا أو يعشوا، والذين رأوا أن يغدوا ويعشوا، فإنهم ذهبوا إلى تأويل قوله (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) : من أوسط الطعام الذي تطعمونه أهليكم، فجعلوا « ما » التي في قوله (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) اسما لامصدرا، فأوجبوا على المكفر إطعام المساكين من أعدل ما يطعم أهله من الأغذية، وذلك مذهب لولا ما ذكرنا من ستن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفارات غيرها، التي يجب إلحاق أشكالها بها، وإن كفارة اليمين لها نظيرة وشبيهة، يجب إلحاقها بها.

القول في تأويل قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) :

يعنى تعالى ذكره بذلك : فكفارة ما عقدتم من الأيمان : إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، يقول إما أن تطعموهم أو تكسوهم، والخيار في ذلك إلى المكفر.

واختلف أهل التأويل في الكسوة التي أعنى الله بقوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) فقال بعضهم : عنى بذلك كسوة ثوب واحد.

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع، قال : ثنا ابن علية، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في كسوة المساكين، في كفارة اليمين : أدناه ثوب.

حدثنا هناد، قال : ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال : ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال : أدناه : ثوب، وأعله : ما شئت.

حدثنا هناد وأبو كريب، قالوا : ثنا وكيع، عن الربيع، عن الحسن، قال في كفارة اليمين، في قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) : ثوب لكل مسكين.

حدثنا ابن وكيع، قال : ثنا ابن مهدي، عن وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب.

حدثنا هناد، قال : ثنا عبيدة، وحدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالوا : ثنا جرير جميعا، عن منصور، عن مجاهد، في قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب.

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب ثوب، قال منصور : القميص، أو الرداء، أو الإزار.

حدثنا أبو كريب وهناد قالوا : : ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال : ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، في قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : كسوة الشتاء والصيف : ثوب ثوب.

حدثنا هناد ، قال : ثنا عمر بن هارون ، عن ابن جريج ، عن عطاء في قوله ( أَوْ كَسَوْتُهُمْ ) قال : ثوب ثوب لكل مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبدة بن سلمان ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، في قوله ( أَوْ كَسَوْتُهُمْ ) قال : إذا كساهم ثوبا ثوبا ، أجزأ عنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، عن ابن سنان ، عن حماد ، قال : ثوب أو ثوبان ، وثوب لا بد منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قال : ثوب ثوب لكل إنسان ، وقد كانت العباءة تقضى يومئذ من الكسوة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( أَوْ كَسَوْتُهُمْ ) قال : الكسوة : عباءة لكل مسكين أو كشملة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : ثوب ، أو قميص ، أو رداء ، أو إزار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن اختار صاحب اليمين الكسوة ، كسا عشرة أناسي ، كل إنسان عباءة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : سمعت عطاء يقول في قوله ( أَوْ كَسَوْتُهُمْ ) : الكسوة : ثوب ثوب :

وقال بعضهم : عنى بذلك : الكسوة ثوبين ثوبين :

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبيدة ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية جميعا ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله ( أَوْ كَسَوْتُهُمْ ) قال : عباءة وعمامة .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن داود ابن أبي هند ، عن سعيد بن المسيب ، قال : عمامة يُلْفَ بها رأسه ، وعباءة يلتحف بها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أشعث ، عن الحسن وابن سيرين ، قال : ثوبين ثوبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن ، قالا : ثوبين :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا أبو كريب وهناد ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : ثوبان ثوبان ، لكل مسكين :

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن أبي موسى أنه حلف على يمين ، فكسا ثوبين من مُعَقَّدَةِ البحرين .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن سيرين ، أن أبا موسى كسا ثوبين من مُعَقَّدَةِ البحرين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن محمد بن عبد الأعلى ، أن أبا موسى الأشعري ، حلف على يمين ، فرأى أن يكفّر ففعل ، وكسا عشرة ، ثوبين ثوبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن هشام ، عن محمد : أن أبا موسى ، حلف على يمين فكفّر ، فكسا عشرة مساكين ثوبين ثوبين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن المسيب ، قال : عباءة وعمامة لكل مسكين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علقمة ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، قال : قال رجل عند سعيد بن المسيب : أو كاسوتهم\* ، فقال سعيد : لا ، إنما هي أو كسوتهم ، قال : فقلت : يا أبا محمد ما كسوتهم ؟ قال : لكل مسكين عباءة وعمامة ، عباءة يلتحف بها ، وعمامة يشدّ بها رأسه .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أو كِسَوْتُهُمْ\*) قال : الكسوة لكل مسكين : رداء وإزار ، كنعو ما يجرد من الميسرة والفاقة .

وقال آخرون : بل عني بذلك : كسوتهم : ثوب جامع كالمِلْحَفَةِ والكِسَاءِ ، والشئ الذي يصلح للبس والنوم :

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : الكسوة : ثوب جامع .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (أو كِسَوْتُهُمْ\*) قال : ثوب جامع ، قال : وقال مغيرة : والثوب الجامع : المِلْحَفَةُ أو الكِسَاءُ ، أو نحوه ، ولا نرى الدرّع والقميص والخيمار ونحوه جامعا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن مغيرة عن إبراهيم ، قال : ثوب جامع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : ثوب جامع .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (أو كِسَوْتُهُمْ\*) قال : ثوب جامع لكل مسكين .

(١) في النهاية لابن الأثير : المعقد : ضرب من برود هجر (في البحرين) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان وشعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم في قوله ( أَوْ كَسَوْتُهُمْ \* ) قال : ثوب جامع .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن المغيرة ، مثله .  
وقال آخرون : عن ذلك كسوة : لزار ورداء ، أو قميص .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن بردة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال في الكسوة في الكفارة : لزار ، ورداء ، وقميص .

وقال آخرون : كل ما كسا فيجزى ، والآية على عمومها .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : يجزى في كفارة اليمين كل شيء إلا الثبآن<sup>١</sup> .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالوا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن الحسن ، قال : يجزى عمامة في كفارة اليمين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أويس الصيرفي ، عن أبي الهيثم ، قال : قال سلمان : نعم الثوب الثبآن .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الشيباني ، عن الحكم ، قال : عمامة يلف بها رأسه .

❦ وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة ، وأشبهها بتأويل القرآن ، قول من قال : عن بقوله ( أَوْ كَسَوْتُهُمْ \* ) : ما وقع عليه اسم كسوة ، مما يكون ثوبا فصاعدا ، لأن مادون الثوب لاخلاف بين جميع الحجج أنه ليس مما دخل في حكم الآية ، فكان ما دون قدر ذلك خارجا من أن يكون الله تعالى عناه بالنقل المستفيض ، والثوب وما فوقه داخل في حكم الآية ، إذ لم يأت من الله تعالى وحى ، ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ، ولم يكن من الأمة إجماع بأنه غير داخل في حكمها ، وغير جائز لإخراج ما كان ظاهر الآية محتمله من حكم الآية ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، ولا حجة بذلك .

القول في تأويل قوله ( أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ) :

يعنى تعالى ذكره بذلك : أو فكّ عبد من أسر العبودة وذلك . وأصل التحرير : الفكّ من الأسر ، ومنه قول الفرزدق بن غالب :

أَبَيْتِي غُسْدَانَةٌ لِنَبِيِّ حَرَّرْتُكُمْ \* فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جِعَالٍ<sup>٢</sup>

(١) الثبآن : سراويل قصيرة بلا رجلين يلبسه الملاحون .

(٢) البيت في ديوان الفرزدق ( طبعة الصاوي ص ٧٢٦ ) من قصيدة عنوانها : وقال بلخير . وحررتكم : أى أعتقتكم ، يريد : من هجائي ، وعطية بن جعال كان صديقا له ، ولعله من بني غدانة ، وهم حى من بني يربوع . وقد شرح المؤلف البيت .



يعنى بقوله : حررتكم : فككت رقابكم من ذلّ الهجاء ولزوم العار . وقيل : تحرير رقبة ، والمحرّر صاحب الرقبة ، لأن العرب كان من شأنها إذا أسرت أسيرا أن تجمع يديه إلى عنقه بقيد أو حبل ، أو غير ذلك ، وإذا أطلقت من الأسر ، أطلقت يديه ، وحانتها مما كانتا به مشدودتين إلى الرقبة ، فجرى الكلام عند إطلاقهم الأسير ، بالخبر عن فكّ يديه عن رقبتة ، وهم يريدون الخبر عن إطلاقه من أسره ، كما يقال : قبض فلان يده عن فلان : إذا أمسك يده عن نواله ، وبسط فيه لسانه : إذا قال فيه سوءا ، فيضاف الفعل إلى الجارحة التي يكون بها ذلك الفعل دون فاعله ، لاستعمال الناس ذلك بينهم ، وعلمهم بمعنى ذلك ، فكذلك ذلك في قول الله تعالى ذكره ( أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ) أضيف التحرير إلى الرقبة ، وإن لم يكن هناك غلّ في رقبتة ، ولا شدّ يد إليها ، وكان المراد بالتحرير نفس العبد ، بما وصفنا من جرّى استعمال الناس ذلك بينهم ، لمعرفة معناه .

فإن قال قائل : أفكل الرقاب معنى بذلك ، أو بعضها ؟ قيل : بل معنى ذلك كل رقبة كانت سليمة من الإقعاد والعمى والحرس ، وقطع اليدين أو شللها ، والجنون المطبق ، ونظائر ذلك ، فإن من كان به ذلك أو شيء منه من الرقاب ، فلا خلاف بين الجميع من الحجّة ، أنه لا يجزى في كفّارة البين ، فكان معلوما بذلك ، أن الله تعالى ذكره لم يعنه بالتحرير في هذه الآية . فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر ، فإنهم معنيون به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل العلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه كان يقول : من كانت عليه رقبة واجبة ، فاشترى نسمة ، قال : إذا أنقذها من عمل أجزأتها ، ولا يجوز عتق من لا يعمل ، فأما الذي يعمل كالأعور ونحوه ، وأما الذي لا يعمل فلا يجزى ، كالأعمى والمقعّد .

حدثنا هناد ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : كان يكره عتق المُخْتَبَلِ في شيء من الكفّارات .

حدثنا هناد ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه كان لا يرى عتق المغلوب على عقله ، يجزى في شيء من الكفّارات .

وقال بعضهم : لا يجزى في الكفّارة من الرقاب إلا صحيح ، ويجزى الصغير فيها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : لا يجزى في الرقبة إلا صحيح .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : يجزى المولود في الإسلام من رقبة .

(١) الخبل : الذي به خبل ، بسكون الباء ، وهو قطع الرجل أو اليد . ورجل مخبل : كأنه قطعت أطرافه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : ما كان في القرآن من رقبة مؤمنة ، فلا يجزئ إلا ما صام وصلى ، وما كان ليس بمؤمنة فالصبي يجزئ .  
وقال بعضهم : لا يقال للمولود رقبة ، إلا بعد مدة تأتي عليه .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن يزيد الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن محمد بن شعيب بن شابور ، عن النعمان بن المنذر ، عن سليمان ، قال : إذا ولد الصبي فهو نسمة ، وإذا انقلب ظهرها لبطن ، فهو رقبة ، وإذا صلى فهو مؤمنة .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن يقال : إن الله تعالى عمّ بذكر الرقبة ، كل رقبة ، فأى رقبة حرّرها المكفر يمينه في كفّارته ، فقد أدّى ما كلف ، إلا ما ذكرنا أن الحجّة مجمعة على أن الله تعالى لم يعنّه بالتحريم ، فذلك خارج من حكم الآية ، وما عدا ذلك فجائز تحريمه في الكفارة ، بظاهر التنزيل ، والمكفر مخير في تكفير يمينه التي حنث فيها ، بإحدى هذه الحالات الثلاث التي سماها الله في كتابه ، وذلك : إطعام عشرة مساكين ، من أوسط ما يطعم أهله ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، بإجماع من الجميع ، لا خلاف بينهم في ذلك .

فإن ظنّ ظانّ أن ما قلنا : من أن ذلك إجماع من الجميع ليس كما قلنا ، لما حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيباني ، قال : ثنا أبو الضحى ، عن مسروق ، قال : جاء نعيم بن مقرن إلى عبد الله ، فقال : إني آليت من النساء والفراس ، فقرأ عبد الله هذه الآية : ( لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ) قال : فقال نعيم : إنما سألتك لكوني أتيت على هذه الآية ، فقال عبد الله : آتت النساء وتمّ ، وأعتق رقبة ، فإنك موسر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم ، أن سليمان الأعمش حدثه عن إبراهيم بن يزيد النخعي ، عن همام بن الحارث ، أن نعيم بن مقرن ، سأله عبد الله بن مسعود ، فقال : إني حلفت ألا أنام على فراشي سنة ، فقال ابن مسعود ( يا أيها التدين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ) ، كفر عن يمينك ، وتم على فراشك ، قال : بم أكفر عن يميني ؟ قال : أعتق رقبة ، فإنك موسر . ونحو هذا من الأخبار التي رويت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما ، فإن ذلك منهم كان على وجه الاستحباب لمن أمره بالتكفير ، بما أمره بالتكفير به من الرقاب ، لا على أنه كان لا يجزئ عندهم التكفير للموسر إلا بالرقبة ، لأنه لم ينقل أحد عن أحد منهم أنه قال : لا يجزئ الموسر التكفير إلا بالرقبة ، والجميع من علماء الأمصار قديمهم وحديثهم ، مجمعون على أن التكفير بغير الرقاب جائز للموسر ، ففي ذلك مكنتني عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بغيره .

القول في تأويل قوله ( فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ) :

يقول تعالى ذكره : فمن لم يجد لكفارة يمينه التي لزمه تكفيرها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفرها به ، على ما فرضنا عليه ، وأوجبناه في كتابنا ، وعلى لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فصيام ثلاثة أيام يقول : فعليه صيام ثلاثة أيام .

ثم اختلف أهل العلم في معنى قوله ( كَفَرَنَ لَمْ يَجِدْ ) ومتى يستحق الحانث في يمينه الذي لزمته الكفارة ، اسم غير واجد ، حتى يكون ممن له الصيام في ذلك ؟ فقال بعضهم : إذا لم يكن للحانث في وقت تكفيره عن يمينه إلا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته ، فإن له أن يكفر بالصيام ، فإن كان عنده في ذلك الوقت قوته وقوت عياله يومه وليلته ، ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين أو ما يكسوهم ، لزمه التكفير بالإطعام أو الكسوة ، ولم يجزه الصيام حينئذ ، وممن قال ذلك الشافعي ، حدثنا بذلك عنه الربيع . وهذا القول قصد إن شاء الله ، ممن أوجب الطعام ، على من كان عنده درهمان ، وممن أوجب على من عنده ثلاثة دراهم .

وبنحو ذلك ، حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الكريم ، عن سعيد ابن جبير ، قال : إذا لم يكن له إلا ثلاثة دراهم أطعم ، قال : يعني في الكفارة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى معتمر بن سليمان ، قال : قلت لعمر بن راشد : الرجل يحلف ، ولا يكون عنده من الطعام إلا بقدر ما يكفر ، قال : كان قتادة يقول : يصوم ثلاثة أيام : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن قال : إذا كان عنده درهمان :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر ، عن حماد ، عن عبد الكريم بن أبي أمية ، عن سعيد بن جبير ، قال : ثلاثة دراهم .

وقال آخرون : جائز لمن لم يكن عنده مئتا درهم أن يصوم ، وهو ممن لا يجد . وقال آخرون : جائز لمن لم يكن عنده فضل ، عن رأس ماله يتصرف به لمعاشه ، ما يكفر به بالإطعام أن يصوم ، إلا أن يكون له كفاية من المال ما يتصرف به لمعاشه ، ومن الفضل عن ذلك ما يكفر به عن يمينه ، وهذا قول كان يقوله بعض متأخري المتفقهة .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن من لم يكن عنده في حال حنثه في يمينه ، إلا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته ، لافضل له عن ذلك ، يصوم ثلاثة أيام ، وهو ممن دخل في جملة من لا يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق ، وإن كان عنده في ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته ، ما يطعم ، أو يكسو عشرة مساكين ، أو يعتق رقبة ، فلا يجزه حينئذ الصوم ، لأن إحدى الحالات الثلاث حينئذ : من إطعام أو كسوة أو عتق حق ، قد أوجب الله تعالى في ماله وجوب الدين ، وقد قامت الحجة بأن المفلس إذا فرق ماله بين غرمائه ، أنه لا يترك ذلك اليوم إلا ما لا بد له من قوته وقوت عياله يومه وليلته ، فكذلك حكم المعدم بالدين ، الذي أوجب الله تعالى في ماله ، بسبب الكفارة التي لزمته ماله .

واختلف أهل العلم في صفة الصوم الذي أوجبه الله في كفارة اليمين ، فقال بعضهم : صفته أن يكون مواصلاً بين الأيام الثلاثة غير مفرقها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن العلاء ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : كل صوم في القرآن فهو متتابع ، إلا قضاء رمضان ، فإنه عدة من أيام آخر .

حدثنا أبو كريب وهناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : كان أبي بن كعب يقرأ : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ابن أنس ، عن أبي العافية ، عن أبي بن كعب ، أنه كان يقرأ : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن قرعة بن سويد ، عن سيف بن سليمان ، عن مجاهد ، قال في قراءة عبد الله : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن عون ، عن إبراهيم ، قال في قراءةنا ( فَصِيَامٌ ثَلَاثَةً أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ابن عون ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قراءة أصحاب عبد الله : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، قال : في قراءة عبد الله : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد ، عن معمر ، عن ابن إسحاق في قراءة عبد الله : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد ، عن معمر ، عن الأعمش ، قال : كان أصحاب عبد الله يقرءون : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : سمعت سفيان ، يقول : إذا فرق صيام ثلاثة أيام لم يجره ، قال : وسمعته يقول في رجل صام في كفارة يمين ، ثم أفطر ، قال : يستقبل الصوم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حاد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَصِيَامٌ ثَلَاثَةً أَيَّامٍ ) قال : إذا لم يجد طعاما ، وكان في بعض القراءة : فصيام ثلاثة أيام متتابعات ، وبه كان يأخذ قتادة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ،

عن ابن عباس ، قال : هو بالخيار في هؤلاء الثلاثة الأول فالأول ، فإن لم يجد من ذلك شيئا ، فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

وقال آخرون : جائز لمن صامهن أن يصومهن كيف شاء ، مجتمعات ومفترقات .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا أشهب ، قال : قال مالك : كل ما ذكر الله في القرآن من الصيام ،

فإن يصام تباعا أعجب ، فإن فرقتها رجوت أن تجزى عنه .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى أوجب على من لزمته كفارة يمين إذا لم يجد إلى تكفيرها بالإطعام أو الكسوة أو العتق سبيلا ، أن يكفرها بصيام ثلاثة أيام ، ولم يشرط في ذلك متتابعة ، فكيفما صامهن المكفر ، مفرقة ومتتابعة ، أجزاء ، لأن الله تعالى إنما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام ، فكيفما أتى بصومهن أجزاء . فأما ما روى عن أبي وابن مسعود من قراءتهما : فصيام ثلاثة أيام متتابعات ، فذلك خلاف ما في مصاحفنا ، وغير جائز لنا أن نشهد بشيء ليس في مصاحفنا من الكلام ، أنه من كتاب الله ، غير أني أختار للصائم في كفارة اليمين ، أن يتابع بين الأيام الثلاثة ، ولا يفرق ، لأنه لاخلاف بين الجميع أنه إذا فعل ذلك ، فقد أجزأ ذلك عنه من كفارته ، وهم في غير ذلك مختلفون ، ففعل ما لا يختلف في جوازه أحب إلى ، وإن كان الآخر جائزا .

القول في تأويل قوله ( ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ، وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) :

يعنى تعالى ذكره بقوله ( ذَلِكَ ) هذا الذى ذكرت لكم أنه ( كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ ) من إطعام العشرة المساكين أو كسوتهم ، أو تحرير الرقبة ، وصيام الثلاثة الأيام إذا لم تجدوا من ذلك شيئا هو كفارة أيمانكم التى عقدتموها ( إِذَا حَلَفْتُمْ ، وَاحْفَظُوا ) أيها الذين آمنوا ( أَيْمَانَكُمْ ) أن تحثوا فيها ، ثم تصنعوا الكفارة فيها ، بما وصفته لكم ( كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ) كما بين لكم كفارة أيمانكم ، كذلك بين الله لكم جميع آياته ، يعنى : أعلام دينه ، فيوضحها لكم ، لئلا يقول المضيع المفرط فيما ألزمه الله : لم أعلم حكم الله في ذلك ( لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) يقول : لتشكروا الله على هدايته إياكم ، وتوفيقه لكم .

القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)

وهذا بيان من الله تعالى ذكره للذين حرّموا على أنفسهم النساء والنوم واللحم ، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، تشبها منهم بالقسيسين والرهبان ، فأنزل الله فيهم على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابه ، ينهاهم عن ذلك ، فقال : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ) فإنهاهم بذلك عن تحريم

ما أحلّ الله لحم من الطيبات ، ثم قال : ولا تعتدوا أيضا في حدودي ، فَتَحِيلُوا ما حرّمت عليكم ، فإن ذلك لكم غير جائز ، كما غير جائز لكم تحريم ما حلت ، وإني لأحبّ المعتدين . ثم أخبرهم عن الذي حرّم عليهم ، مما إذا استحلوه وتقدّموا عليه ، كانوا من المعتدين في حدوده ، فقال لهم : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، إن الخمر التي تشربونها ، والميسر الذي تتيأسرونه ، والأنصاب التي تذبجون عندها ، والأزلام التي تستقسمون بها رجس ، يقول : إثم وآنثن ، فخطه الله وكرهه لكم ، من عمل الشيطان ، يقول : شربكم الخمر ، وقماركم على الجزر ، وذبحكم للأنصاب ، واستقسامكم بالأزلام ، من تزين الشيطان لكم ، ودعائه إياكم إليه ، وتحسينه لكم ، لا من الأعمال التي ندبكم إليها ربكم ، ولا مما يرضاه لكم ، بل هو مما يسخطه لكم ، فاجتنبوه ، يقول : فاتركوه وارفضوه ، ولا تعملوه ، لعلمكم تفلحون ، يقول : لكي تنجحوا . فندركو الفلاح عند ربكم ، بترككم ذلك . وقد بينا معنى الخمر والميسر والأزلام فيما مضى ، فكرهنا إعادته . وأما الأنصاب : فإنها جمع نُصْب ، وقد بينا معنى النُصْب بشواهد فيما مضى .

وروي عن ابن عباس في معنى الرجس في هذا الموضع ، ما حدثني به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( رَجِسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ) يقول : سخط .

وقال ابن زيد في ذلك : ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( رَجِسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ) قال : الرجس : الشر .

#### القول في تأويل قوله

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)

يقول تعالى ذكره : إنما يريد لكم الشيطان شرب الخمر ، والميأسرة بالقداح ، ويحسن ذلك لكم ، لإرادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في شربكم الخمر ، وميأسرتكم بالقداح ، ليعادى بعضكم بعضا ، ويبغض بعضكم إلى بعض ، فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان ، وجمعه بينكم بأخوة الإسلام ، ويصدكم عن ذكر الله ، يقول : ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها إياكم عليكم ، وباشتغالكم بهذا الميسر عن ذكر الله ، الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم ، وعن الصلاة التي فرضها عليكم ربكم ، فهل أنتم منتهون ؟ يقول : فهل أنتم منتهون عن شرب هذه ، والميأسرة بهذا ، وعاملون بما أمركم به ربكم ، من أداء ما فرض عليكم من الصلاة لأوقاتها ، ولزوم ذكره ، الذي به يُنجح طلباتكم في عاجل دنياكم وآخرتكم .

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت بسبب كان من عمر بن الخطاب ، وهو أنه ذكر مكروه عاقبة شربها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل الله تحريمها ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد بن السريّ ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : قال عمر : اللهمّ بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، قال : فنزلت الآية التي في البقرة (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ) قال : فدُعِيَ عمر ، فقرئت عليه ، فقال : اللهمّ بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في النساء (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ) قال : وكان منادى النبيّ صلى الله عليه وسلم ينادى إذا حضرت الصلاة : لا يقربن الصلاة السكران ، قال : فدُعِيَ عمر ، فقرئت عليه ، فقال : اللهمّ بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، قال : فنزلت الآية التي في المائدة (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ ) ... إلى قوله ( فَهَلْ أُنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) فلما انتهى إلى قوله ( فَهَلْ أُنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) قال عمر : انتهينا ، انتهينا : حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : ثنا أبي ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : قال عمر : اللهمّ بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فإنها تذهب بالعقل والمال ، ثم ذكر نحو حديث وكيع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : قال عمر بن الخطاب : اللهمّ بين لنا ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عمر بن الخطاب ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عمر بن الخطاب ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا أبو معشر المدنيّ ، عن محمد بن قيس ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه الناس ، وقد كانوا يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر ، فسألوه عن ذلك ، فأنزل الله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) ، فقالوا : هذا شيء قد جاء فيه رخصة ، نأكل الميسر ، ونشرب الخمر ، ونستغفر من ذلك ، حتى أتى رجل صلاة المغرب ، فجعل يقرأ : قل يا أيها الكافرون ، أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، فجعل لا يجود ذلك ، ولا يدرى ما يقرأ ، فأنزل الله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى) ، فكان الناس يشربون الخمر حتى يجيء وقت الصلاة ، فيدعون شربها ، فيأتون الصلاة وهم يعلمون ما يقولون ، فلم يزالوا كذلك ، حتى أنزل الله تعالى ( إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ ) . . . إلى قوله ( فَهَلْ أُنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) فقالوا : انتهينا يا رب .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية بسبب سعد بن أبي وقاص ، وذلك أنه كان لا يحى رجلا على شراب لهما ، فضربه صاحبه بلحى جمل ، ففرز أنفه ، فنزلت فيها .

ذكر الرواية بذلك :

حدثنا محمد بن المثنيّ ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة عن سماك بن حرب ، عن مصعب

ابن سعد ، عن أبيه سعد أنه قال : صنع رجل من الأنصار طعاما ، فدعانا ، قال : فشربنا الخمر حتى انتشينا ، فتفاخرت الأنصار وقريش ، فقالت الأنصار : نحن أفضل منكم . قال : فأخذ رجل من الأنصار لحي حتى جعل ، فضرب به أنف سعد ، ففزره ، فكان سعد أفزر الأنف ، قال : فنزلت هذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد ، قال : قال سعد : شربت مع قوم من الأنصار ، فضربت رجلا منهم ، أظن بك جعل ، فكسرته ، فأثيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فلم ألبث أن نزل تحريم الخمر ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : شربت الخمر مع قوم من الأنصار ، فذكر نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، أن ابن شهاب أخبره ، أن سالم بن عبد الله ، حدثه ، أن أول ما حرمت الخمر ، أن سعد بن أبي وقاص وأصحابا له شربوا ، فاقتتلوا ، فكسروا أنف سعد ، فأنزل الله ( إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ) . . . الآية .

وقال آخرون : نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا حجاج بن المهال ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، عن جبير ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار ، شربوا حتى إذا تميلوا ، عبيث بعضهم ببعض ، فلما أن صحوا ، جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه وحيته ، فيقول : فعل بي هذا أخي فلان ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن ، والله لو كان بي رهوقا رجيا ما فعل بي هذا ، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن ، فأنزل الله ( إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ) . . . إلى قوله ( فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) ، فقال ناس من المتكلفين : هي رجس ، وهي في بطن فلان قتل يوم بدر ، وقتل فلان يوم أحد ، فأنزل الله ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن خلف ، قال : ثنا سعيد بن محمد الحرثي ، عن أبي تميلة ، عن سلام مولى حفص بن أبي قيس ، عن أبي بريدة ، عن أبيه ، قال : بينما نحن قعود على شراب لنا ، ونحن نشرب الخمر حيا ، إذ قمت ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّمَّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ) . . . إلى آخر الآيتين ( فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) ، فجئت إلى أصحابي ، فقرأتها عليهم ، إلى قوله ( فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) . قال : وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضا ، وبقي بعض في الإناء ، فقال بالإناء تحت شفته العليا ، كما يفعل الحجام ، ثم صبوا ما في باطنهم ، فقالوا : انتهينا ربنا ، انتهينا ربنا .



وقال آخرون: إنما كانت العداوة والبغضاء، كانت تكون بين الذين نزلت فيهم هذه الآية، بسبب الميسر، لا بسبب السكر، الذي يحدث لهم من شرب الخمر، فلذلك نهاهم الله عن الميسر. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا جامع بن حماد، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال بشر: وقد سمعته من يزيد وحدثني، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله، فيقعد حزينا سليبا، ينظر إلى ماله في يدي غيره، فكانت تُورث بينهم عداوة وبغضاء، فنهى الله عن ذلك، وقدّم فيه، والله أعلم بالذي يُصلح خلقه.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنْ يَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِيَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي سَمَاهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ رَجْسًا، وَأَمْرًا بِاجْتِنَابِهَا.

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية، وجائز أن يكون نزولها كان بسبب دعاء عمر رضي الله عنه في أمر الخمر، وجائز أن يكون ذلك كان بسبب ما نال سعدا من الأنصاري، عند انتشأهما من الشراب، وجائز أن يكون كان من أجل ما كان يلحق أحدهم عند ذهاب ماله بالقمار، من عداوة من يَسْرَهُ وبغضه، وليس عندنا بأى ذلك كان خبر قاطع للعدر، غير أنه: أى ذلك كان، فقد لزم حكم الآية جميع أهل التكليف، وغير ضائرهم الجهل بالسبب الذي له نزلت هذه الآية، فالخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان، فَرَضَ عَلَى جَمِيعٍ مِنْ بَلِغَةِ الْآيَةِ مِنَ التَّكْلِيفِ، اجْتِنَابَ جَمِيعِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

القول في تأويل قوله

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِّغِ

الْمُبِينِ (٩٢)

يقول تعالى ذكره: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول في اجتنابكم ذلك، واتباعكم أمره فيما أمركم به، من الانزجار عما زجركم عنه من هذه المعاني، التي بينها لكم في هذه الآية وغيرها، وخالفوا الشيطان في أمره إياكم بمعصية الله: في ذلك وفي غيره، فإنه إنما يبغى لكم العداوة والبغضاء بينكم بالخمر والميسر. واحذروا: يقول: واتقوا الله وراقبوه أن يراكم عند ما نهاكم عنه من هذه الأمور، التي حرّمها عليكم في هذه الآية وغيرها، أو يفقدكم عند ما أمركم به، فتوبقوا أنفسكم وتهلكوها. فإن توليتم: يقول: فإن أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به، وتنتهوا عما نهيناكم عنه، ورجعتم مدبرين عما أنتم عليه من الإيمان، والتصديق بالله وبرسوله، واتباع ما جاءكم به نبيكم، (فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِّغِ الْمُبِينِ)، يقول: فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم

بالنذارة، غير إبلاغكم الرسالة، التي أرسل بها إليكم، مبينة لكم بيانا يوضح لكم سبيل الحق، والطريق الذي أمرتم أن تسلكوه. وأما العقاب على التولية، والانتقام بالمعصية، فعلى المرسل إليه دون الرسل. وهذا من الله تعالى وعيد لمن تولى عن أمره ونهيه، يقول لهم تعالى ذكره: فإن توليتم عن أمري ونهيي، فتوقعوا عقابي، واحذروا سخطي.

### القول في تأويل قوله

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا، ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا، إذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) : كيف بمن هلك من إخواننا، وهم يشربونها، وبنا وقد كنا نشربها: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) منكم حرج فيما شربوا من ذلك، في الحال التي لم يكن الله تعالى حرّمه عليهم (إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) : يقول: إذا ما اتقى الله الأحياء منهم، فخافوه وراقبوه، في اجتنابهم ما حرّم عليهم منه، وصدقوا الله ورسوله فيما أمروهم ونهواهم، فأطاعوهما في ذلك كله، وعملوا الصالحات، يقول: واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك، مما كلفهم بذلك ربهم. (ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا) : يقول: ثم خافوا الله وراقبوه، باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضا، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك، والإيمان به، ولم يغيروا ولم يبدلوا. (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا) يقول: ثم خافوا الله، فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان، وذلك الإحسان هو العمل بما لم يقرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافل تقرّبوا بها إلى ربهم، طلباً رضاه، وهرباً من عقابه. (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) : يقول: والله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاه، فالاتقاء الأوّل: هو الاتقاء بتلقى أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل؛ والاتقاء الثاني: الاتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير؛ والاتقاء الثالث: هو الاتقاء بالإحسان، والتقرب بنوافل الأعمال.

فإن قال قائل: ما الدليل على أن الاتقاء الثالث هو الاتقاء بالنوافل، دون أن يكون ذلك بالفرائض، قيل: إنه تعالى ذكره، قد أخبر عن وضعه الجناح عن شارب الخمر التي شربوها قبل تحريمه إياها، إذا هم اتقوا الله في شربها بعد تحريمها، وصدقوا الله ورسوله في تحريمها، وعملوا الصالحات من الفرائض، ولا وجه لتكرير ذلك، وقد مضى ذكره في آية واحدة.

وبنحو الذي قلنا من أن هذه الآية نزلت فيما ذكرنا أنها نزلت فيه، جاءت الأخبار عن الصحابة والتابعين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السري وأبو كريب ، قالوا : ثنا وكيع ، وحدثننا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما نزل تحريم الخمر ، قالوا : يا رسول الله ، فكيف بأصحابنا الذين ماتوا ، وهم يشربون الخمر ، فنزلت ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل بإسناده : نحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد ، قال : أخبرنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : بينا أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، وسهيل بن بيضاء ، وأبي دُجانة ، حتى مالت رؤوسهم من خليط بُسْر وتمر ، فسمعنا منادياً ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت . قال : فما دخل علينا داخل ، ولا خرج منا خارج ، حتى أهرقنا الشراب ، وكسرنا القيلال ، وتوضأ بعضنا ، واغتسل بعضنا ، فأصبنا من طيب أمّ سليم ، ثم خرجنا إلى المسجد ، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ( يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ) . . . إلى قوله ( فهمل أنتم منتهون ) فقال رجل : يا رسول الله ، فما منزلة من مات منا وهو يشربها ؟ فأنزل الله تعالى ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ) . . . الآية ، فقال رجل لقتادة : سمعته من أنس بن مالك ؟ قال : نعم ، وقال رجل لأنس بن مالك : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وحدثني من لم يكذب : والله ما كنا نكذب ، ولا ندرى ما الكذب .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : لما حرمت الخمر ، قالوا : كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ؟ فنزلت ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : قال البراء : مات ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر ، فلما نزل تحريمها ، قال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ فنزلت هذه الآية ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . . . الآية .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : نزلت ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ) فيمن قُتِلَ بيدر وأحد مع محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا علي بن مسهر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قِيلَ لِي أَنْتَ مِنْهُمْ » .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ) . . . إلى قوله ( وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) لما أنزل الله تعالى ذكره تحريم الخمر في سورة المائدة بعد سورة الأحزاب ، قال في ذلك رجال من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أصيب فلان يوم بدر ، وفلان يوم أحد وهم يشربونها ، فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة ، فأنزل الله تعالى ذكره : ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) يقول : شربها القوم على تقوى من الله وإحسان ، وهي لهم يومئذ حلال ، ثم حرمت بعدهم ، فلا جناح عليهم في ذلك .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ) قالوا : يا رسول الله ، ما نقول لإخواننا الذين مضوا ، كانوا يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر ، فأنزل الله ( ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ) : يعني قبل التحريم ، إذا كانوا محسنين متقين . وقال مرة أخرى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الحرام قبل أن يحرم عليهم ، إذا ما اتقوا وأحسنوا ، بعدما حرّم ، وهو قوله ( فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَكَفَ ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ) : يعني بذلك رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ماتوا وهم يشربون الخمر ، قبل أن تحرم الخمر ، فلم يكن عليهم فيها جناح قبل أن تحرم ، فلما حرمت ، قالوا : كيف تكون علينا حراماً ، وقد مات إخواننا وهم يشربونها ، فأنزل الله تعالى : ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) : يقول : ليس عليهم حرج فيما كانوا يشربون ، قبل أن أحرمها ، إذا كانوا محسنين متقين ، والله يحب المحسنين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ) لمن كان يشرب الخمر ، ممن قتل مع محمد صلى الله عليه وسلم ببدر وأحد .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ ) . . . الآية : هذا في شأن الخمر حين حرمت ، سألوها نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إخواننا الذين ماتوا ، وهم يشربونها ، فأنزل الله هذه الآية .

## القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ، لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ، فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ( لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ ) يقول : ليختبرنكم الله بشيء من الصيد ، يعني : ببعض الصيد ، وإنما أخبرهم تعالى ذكره ، أنه يبلوهم بشيء ، لأنه لم يبلوهم بصيد البحر ، وإنما ابتلاهم بصيد البر ، فالابتلاء ببعض لم يمنع ، وقوله ( تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ ) فإنه يعني : إما باليد ، كالبيض والفراخ ، وإما باصابة النبل والرماح ، وذلك كالخمر والبقر والظباء ، فيمتحنكم به في حال إحرامكم بعمركم ، أو بحجكم .  
وبنحو ذلك قالت جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ) قال : أيديكم : صغار الصيد ، أخذ الفراخ والبيض ، والرماح : كبار الصيد .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ) قال : النبل ، ورماحكم تنال كبير الصيد ، وأيديكم تنال صغير الصيد ، أخذ الفراخ والبيض .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد في قوله ( لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ) قال : ما لا يستطيع أن يفرّ من الصيد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ) قال : هو الضعيف من الصيد وصغيره ، ينتل الله تعالى به عباده في إحرامهم ، حتى لو شاءوا نالوه بأيديهم ، فنهاهم الله أن يقربوه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن حميد الأعرج ، وليث ، عن مجاهد ، في قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ) قال : الفراخ والبيض ، وما لا يستطيع أن يفرّ .

القول في تأويل قوله ( لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ، فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) :

يعنى تعالى ذكره : ليختبرنكم الله أيها المؤمنون ببعض الصيد في حال إحرامكم ، كمن يعلم أهل طاعة الله والإيمان به ، والمنتهون إلى حدوده ، وأمره ونهيه ، من الذى يخاف الله ، فيتقى ما نهاه عنه ، ويحذره خوفاً عقابه ، بالغيب ، بمعنى : في الدنيا بحيث لا يراه ، وقد بينا أن الغيب إنما هو مصدر قول القائل : غاب عنى هذا الأمر ، فهو يغيب غيباً وغيبية ، وأن ما لم يعاين ، فإن العرب تسميه غيباً .  
فتأويل الكلام إذن : ليعلم أولياء الله من يخاف الله فيتقى محارمه ، التي حرّمها عليه من الصيد وغيره ، بحيث لا يراه ولا يعاينه .

وأما قوله ( فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ ) فإنه يعنى : فمن تجاوز حدّ الله ، الذى حدّه له ، بعد ابتلائه بتحريم الصيد عليه وهو حرام ، فاستحلّ ما حرم الله عليه منه ، بأخذه وقتله ( فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) من الله ( أَلِيمٌ ) : يعنى : مؤلم موجه .

#### القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفْرَةً طَعَامِ مَسْكِينٍ ، أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ( لا تقتلوا الصيد ) الذى بينت لكم ، وهو صيد البر ، دون صيد البحر . ( وأنتم حُرُمٌ ) : يقول : وأنتم محرمون بحج أو عمرة ، والحُرُمٌ : جمع حرام ، والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد ، تقول : هذا رجل حَرَامٌ ، وهذه امرأة حَرَامٌ ، فإذا قيل مُحْرَمٌ ، قيل للمرأة محرمة . والإحرام : هو الدخول فيه ، يقال : أحرم القوم : إذا دخلوا في الشهر الحرام ، أو في الحرم . فتأويل الكلام : لا تقتلوا الصيد ، وأنتم محرمون بحج أو عمرة . وقوله ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) : فإن هذا إعلام من الله تعالى ذكره عباده حكم القائل من المحرمين ، الصيغ الذى نهاه عن قتله متعمداً .

ثم اختلف أهل التأويل في صفة العمد ، الذى أوجب الله على صاحبه به الكفارة والجزاء في قتله الصيد . فقال بعضهم : هو العمد لقتل الصيد ، مع نسيان قاتله إحرامه في حال قتله ، وقال : إن قتله ، وهو ذاكر إحرامه ، متعمداً قتله ، فلا حكم عليه ، وأمره إلى الله ، قالوا : وهذا أجلّ أمراً من أن يحكم عليه ، أو يكون له كفارة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ) : من قتله منكم ناسيا لإحرامه ، متعمدا لقتله ، فذلك الذي يُحَكَّمُ عليه ، فإن قتله ذاكرا لحرمه ، متعمدا لقتله ، لم يحكم عليه .

حدثنا ابن وكيع وابن حيد ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، في الذي يقتل الصيد متعمدا ، وهو يعلم أنه محرم ومتعمد قتلته ، قال : لا يحكم عليه ، ولا حج له ؛ وقوله ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) قال : هو العمد المكفر ، وفيه الكفارة ، والخطأ أن يصيبه ، وهوناس حرامه ، متعمدا لقتله ، أو يصيبه ، وهو يريد غيره ، فذلك يحكم عليه مرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) غير ناس لحرمه ، ولا يريد غيره ، فقد حل ، وليست له رخصة ؛ ومن قتله ناسيا ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمد المكفر .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) قال : متعمدا لقتله ، ناسيا لإحرامه .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا الفضيل بن عياض ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : العمد هو الخطأ المكفر .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا يونس بن محمد ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا ليث قال : قال مجاهد : قول الله ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ) قال : فالعمد الذي ذكر الله تعالى : أن يصيب الصيد وهو يريد غيره ، فيصيبه ، فهذا العمد المكفر ؛ فأما الذي يصيبه غير ناس ، ولا يريد لغيره ، فهذا لا يحكم عليه ، هذا من أجل أن يحكم عليه .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن المثني ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الهيثم ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال في هذه الآية ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) قال : يقتله متعمدا لقتله ، ناسيا لإحرامه .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : ثنا شعبة ، عن الهيثم ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : قال ابن جريج ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) غير ناس لحرمه ، ولا يريد غيره ، فقد حل ، وليست له رخصة ، ومن قتله ناسيا لحرمه ، أو أراد غيره ، فأخطأ به ، فذلك العمد المكفر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) للصيد ، ناسيا لإحرامه ، فن اعتدى بعد ذلك متعمدا للصيد يذكر إحرامه .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا محمد بن أبي عديّ ، قال : ثنا إسماعيل بن مسلم ، قال : كان الحسن يفتي فيمن قتل الصيد متعمدا ذاكرا لإحرامه : لم يحكم عليه .

قال إسماعيل ، وقال حماد عن إبراهيم ، مثل ذلك .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : أمرني جعفر بن أبي وحشية ، أن أسأل عمرو بن دينار ، عن هذه الآية ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ) . . . الآية ، فسألته ، فقال : كان عطاء يقول : هو بالخيار : أي ذلك شاء فعل ، إن شاء أهدي ، وإن شاء أطمع ، وإن شاء صام ، فأخبرت به جعفر ، وقلت : ما سمعت فيه ، فتلكأ ساعة ، ثم جعل يضحك ولا يخبرني ، ثم قال : كان سعيد بن جبير يقول : يحكم عليه من النعم هديا بالغ الكعبة ، فإن لم يجد يحكم عليه ثمنه ، فقوم طعاما فتصدق به ، فإن لم يجد عليه حكم الصيام فيه من ثلاثة أيام إلى عشرة .

حدثنا ابن البرقيّ ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : أخبرني ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) غير ناسٍ لحرمه ، ولا مرید غيره ، فقد حلّ ، وليست له رخصة ، ومن قتله ناسيا ، أو أراد غيره ، فأخطأ به ، فذلك العمد المكفر .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أما الذي يتعمد فيه الصيد ، وهو ناسٍ لحرمه أو جاهل أن قتله غير محرّم ، فهؤلاء الذين يحكم عليهم ؛ فأما من قتله متعمدا بعد نهي الله ، وهو يعرف أنه محرّم ، وأنه حرام ، فذلك يوكل إلى نعمة الله ، وذلك الذي جعل الله عليه النعمة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) قال : متعمدا لقتله ، ناسيا لإحرامه .

وقال آخرون : بل ذلك هو العمد من الحرم لقتل الصيد ذاكرا لحرمه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : يحكم عليه في العمد والخطأ والنسيان .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن جريج ، وحدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، قال : قال طاوس : والله ما قال الله إلا ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرني بعض أصحابنا عن الزهريّ أنه قال : نزل القرآن بالعمد ، وجرت السنة في الخطأ ، يعني في الحرم يصيب الصيد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ) قال : إن قتله متعمدا أو ناسيا حكم عليه ، وإن عاد متعمدا ، عجلت له العقوبة ، إلا أن يعفو الله .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : إنما جعلت الكفارة في العمد ، ولكن غلظ عليهم في الخطأ كي يتقوا .  
حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو معاوية ووكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، نحوه .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مرجم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : كان طاوس يقول : والله ما قال الله : إلا ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) .  
وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا ، أَنْ يُقَالَ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى حَرَّمَ قَتْلَ صَيْدِ الْبَرِّ عَلَى كُلِّ مُحْرَمٍ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ مَا دَامَ حَرَامًا ، بقوله : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ ) ثُمَّ بَيَّنَّ حُكْمَ مَنْ قَتَلَ مَا قَتَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ مُتَعَمِّدًا ، وَلَمْ يُخَصَّصْ بِهِ الْمُتَعَمِّدُ قَتْلَهُ فِي حَالِ نِسْيَانِهِ إِحْرَامَهُ ، وَلَا الْخَطِيئَةَ فِي قَتْلِهِ فِي حَالِ ذِكْرِهِ إِحْرَامَهُ ، بَلْ عَمَّ فِي التَّنْزِيلِ بِإِجَابِ الْجُزْءِ ، كُلِّ قَاتِلِ صَيْدٍ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ مُتَعَمِّدًا ، وَغَيْرِ جَائِزِ إِحَالَةِ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ إِلَى بَاطِنٍ مِنَ التَّأْوِيلِ ، لِادِّلَالَةِ عَلَيْهِ مِنْ نَصِّ كِتَابِ ، وَلَا خَيْرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا إِجْمَاعِ مِنَ الْأُمَّةِ ، وَلَا دَلَالَةِ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْوُجُوهِ . فإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَسَوَاءٌ كَانَ قَاتِلُ الصَّيْدِ مِنَ الْمُحْرَمِينَ عَامِدًا قَتَلَهُ ، ذَاكِرًا لِإِحْرَامِهِ ، أَوْ عَامِدًا قَتَلَهُ ، نَاسِيًا لِإِحْرَامِهِ ، أَوْ قَاصِدًا غَيْرَهُ ، فَقَتَلَهُ ذَاكِرًا لِإِحْرَامِهِ ، فِي أَنْ عَلَى جَمِيعِهِمْ مِنَ الْجُزْءِ مَا قَالَ رَبُّنَا تَعَالَى ، وَهُوَ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، بِحُكْمِ بِهِ ذَوَا عَدَلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ كَفَّارَةَ طَعَامِ مَسَاكِينَ ، أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا ، وَهَذَا قَوْلُ عَطَاءٍ وَالزَّهْرِيِّ ، الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْهُمَا ، دُونَ الْقَوْلِ الَّذِي قَالَه مَجَاهِدٌ .

وَأَمَّا مَا يَلْزَمُ بِالْخَطَأِ قَاتِلَهُ ، فَقَدْ بَيَّنَّا الْقَوْلَ فِيهِ فِي كِتَابِنَا « كِتَابُ لَطِيفِ الْقَوْلِ فِي أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ » بِمَا أَغْنَى عَنْ ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَلَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مَوْضِعُ ذِكْرِهِ ، لِأَنَّ قَصْدَنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ، الْإِبَانَةَ عَنْ تَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ ، وَلَيْسَ فِي التَّنْزِيلِ لِلْخَطَأِ ذِكْرٌ ، فَذَكَرَ أَحْكَامَهُ .  
وَأَمَّا قَوْلُهُ ( فَجِزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلْتَ مِنَ النَّعَمِ ) فَإِنَّهُ يَقُولُ : وَعَلَيْهِ كَفَّارَةٌ وَبَدَلٌ ، يَعْنِي بِذَلِكَ : جِزَاءَ الصَّيْدِ الْمَقْتُولِ ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : فَعَلَى قَاتِلِ الصَّيْدِ جِزَاءَ الصَّيْدِ الْمَقْتُولِ ، مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ؛ وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ ( فَجِزَاءُؤُهُ مِثْلُ مَا قَتَلْتَ مِنَ النَّعَمِ ) .

وَقَدْ اِخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءَةِ الْمَدِينَةِ وَبَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ ( فَجِزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلْتَ مِنَ النَّعَمِ ) بِإِضَافَةِ الْجُزْءِ إِلَى الْمِثْلِ ، وَخَفَضَ الْمِثْلَ ؛ وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ ( فَجِزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلْتَ ) بِتَنْوِينِ الْجُزْءِ ، وَرَفَعَ الْمِثْلَ بِتَأْوِيلِ : فَعَلَيْهِ جِزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ .  
وَأَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ ( فَجِزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلْتَ ) بِتَنْوِينِ الْجُزْءِ وَرَفَعَ الْمِثْلَ ، لِأَنَّ الْجُزْءَ هُوَ الْمِثْلُ ، فَلَا وَجْهَ لِإِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَحْسَبُ أَنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا ذَلِكَ بِالْإِضَافَةِ ، رَأَوْا أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى قَاتِلِ الصَّيْدِ أَنْ يَجْزِيَ مِثْلَهُ مِنَ الصَّيْدِ بِمِثْلِ مِنَ النَّعَمِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، كَالَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَى قَاتِلِهِ أَنْ يَجْزِيَ الْمَقْتُولَ نَظِيرَهُ مِنَ النَّعَمِ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَالْمِثْلُ هُوَ الْجُزْءُ الَّذِي أَوْجِبُهُ

الله تعالى على قاتل الصيد ، ولن يضاف الشيء إلى نفسه ، ولذلك لم يقرأ ذلك قارئ علمناه بالتنوين ونصب المثل ، ولو كان المثل غير الجزء بلخاز في المثل نصب إذا نون الجزء ، كما نصب اليقيم ، إذ كان غير الإطعام في قوله ( أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيًّا ذَا مَقْرَبَةٍ ) وكما نصب الأموات والأحياء ونون الكفآت في قوله ( أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ) إذ كان الكفآت غير الأحياء والأموات ، وكذلك الجزء ، لو كان غير المثل لاتسعت القراءة في المثل بالنصب إذا نون الجزء ، ولكن ذلك ضاق ، فلم يقرأه أحد بتنوين الجزء ، ونصب المثل ، إذ كان المثل هو الجزء ، وكان معنى الكلام : ومن قتله منكم متعمدا ، فعليه جزاء ، هو مثل ما قتل من النعم .

ثم اختلف أهل العلم في صفة الجزء ، وكيف يجزى قاتل الصيد من الحرمين ، ما قتل بمثله من النعم ؟ فقال بعضهم : ينظر إلى أشبه الأشياء به شيئا من النعم ، فيجزيه به ، ويهديه إلى الكعبة .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) قال : أما جزء مثل ما قتل من النعم ، فإن قتل نعامة أو حمارا فعليه بدنة ، وإن قتل بقرة أو أبقلا أو أروى ، فعليه بقرة ، أو قتل غزالا أو أرنبًا ، فعليه شاة ، وإن قتل ضبًا أو حرباء أو يربوعا ، فعليه سمخلة قد أكلت العشب وشربت اللبن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن أبي مجاهد ، قال : سئل عطاء : أيغرم في صغير الصيد ، كما يغرم في كبيره ؟ قال : أليس يقول الله تعالى ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) .  
حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ، فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) قال : عليه من النعم مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) قال : إذا أصاب الحرم الصيد ، وجب عليه جزاؤه من النعم ، فإن وجد جزء ذبجه ، فتصدق به ، فإن لم يجد جزاءه قوم الجزء دراهم ، ثم قوم الدراهم حنطة ، ثم صام مكان كل نصف صاع يوما . قال : وإنما أريد بالطعام الصوم ، فإذا وجد طعاما وجد جزء .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، هَدِيًّا بِالْبَيْتِ الْكَعْبَةِ ، أَوْ كَفَّارَةً طَعَامُ مَسَاكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ) قال : إذا أصاب الحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم ، فإن لم يجد نظركم ثمنه ؟ قال ابن حميد : نظركم قيمته ؟ فقوم عليه ثمنه طعاما ، فصام مكان كل نصف صاع يوما ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ، قال : وإنما أريد بالطعام : الصيام ، فإذا وجد الطعام ، وجد جزاءه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن

ابن عباس ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ) فإن لم يجد هدياً ،  
فقوم الهدى عليه طعاما ، وصام عن كل صاع يومين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبد بن حميد ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في هذه  
الآية ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا  
عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ) قال : إذا أصاب الرجل الصيد حكم عليه ، فإن لم يكن عنده  
قوم عليه ثمنه طعام ، ثم صام لكل نصف صاع يوما .

حدثنا أبو كريب ويعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن  
جابر ، قال : ابتدرت وصاحب لي ظيبيا في العقبية ، فأصبته ، فأثبت عمر بن الخطاب ، فذكرت ذلك له ،  
فأقبل على رجل إلى جنبه ، فنظرا في ذلك ، فقال : اذبح كبشا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، قال : أخبرني قبيصة بن  
جابر نحو ما حدث به عبد الملك .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن المسعودي ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر ، قال :  
قتل صاحب لي ظيبيا ، وهو محرم ، فأمره عمر أن يذبح شاة ، فيتصدق بلحمها ، ويسقي إهابها .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن داود بن أبي هند ، عن بكر بن عبد الله المزني ، قال :  
قتل رجل من الأعراب ، وهو محرم ظيبيا ، فسأل عمر ، فقال له عمر : أهد شاة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، وحدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن فضيل ،  
قال : ثنا حصين ، عن الشعبي ، قال : قال قبيصة بن جابر : أصبت ظيبيا ، وأنا محرم ، فأثبت عمر فسألته  
عن ذلك ، فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن أمره أهون من ذلك ، قال :  
فضرني بالدرّة ، حتى سابقته عدوا ، قال : ثم قال : قتلت الصيد وأنت محرم ، ثم تغميص الفتيا؟ قال :  
فجاء عبد الرحمن ، فحكما شاة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ،  
عن ابن عباس ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ) قال : إذا قتل  
المحرم شيئا من الصيد حكم عليه ، فإن قتل ظيبيا أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة ، فإن لم يجد ، فإطعام ستة  
مساكين ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، فإن قتل أبلأ أو نحوه ، فعليه بقرة ، وإن قتل نعامة أو حمار وحش  
أو نحوه ، فعليه بدنة من الإبل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : أرأيت  
إن قتلتي صيدا ، فإذا هو أعور أو أعرج أو منقوص ، أغرم مثله؟ قال نعم : إن شئت قلت : أو تبي أحب  
إليك ، قال نعم ، وقال عطاء : وإن قتلتي ولد الظبي ، ففيه ولد شاة ، وإن قتلتي ولد بقرة وحشية ، ففيه  
ولد بقرة إنسية مثله ، فكل ذلك على ذلك .

(١) يسق إهابها : أي يعطيه لمن يجعله سقاء ، والسقاء : هو ظرف الماء من الجلد .

(٢) يريد : إن قولك أو تبي أحب إليك من قولك : أغرم .

حدّثت عن الحسين بن الفرخ ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ) : ما كان من صيد البرّ ، مما ليس له قرن الحمار والنعامة ، فعليه مثله من الإبل ، وما كان ذا قرن من صيد البرّ من وعل أو أيل ، فجزاؤه من البقر ؛ وما كان من ظبي ، فمن الغنم مثله ؛ وما كان من أرنب ، ففيها ثنية ؛ وما كان من يربوع وشبهه ، ففيه حمّل صغير ؛ وما كان من جرادة أو نحوها ، ففيه قبضة من طعام ؛ وما كان من طير البرّ ، ففيه أن يقوّم ويتصدّق بثمنه ؛ وإن شاء صام لكل نصف صاع يوماً ؛ وإن أصاب فرخ طير برية أو بيضها ، فالقيمة فيها طعام أو صوم ، على الذي يكون في الطير ، غير أنه قد ذكر في بيض النعام إذا أصابها المحرم أن يحمل الفحل<sup>١</sup> على عدة ما أصاب من البيض على بكارة الإبل ، فما لقع منها أهدها إلى البيت ، وما فسد منها فلا شيء فيه .

حدّثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا نافع ، قال : أخبرني ابن جريج ، قال : قال مجاهد : من قتله ، يعني الصيد ناسياً ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمد المكفّر ، فعليه مثله هدياً بالغ الكعبة ، فإن لم يجد ابتاع بثمنه طعاماً ، فإن لم يجد صام عن كلّ مدّ يوماً . وقال عطاء : فإن أصاب إنسان نعامة ، كان له إن كان ذا يسار ماشاء ، إن شاء يهدى جزوراً ، أو عدّها لها طعاماً ، أو عدّها صياماً ، أيّن شاء ، من أجل قوله ( فَجَزَاءٌ ) أو كذا ، قال : فكلّ شيء في القرآن أو أو ، فليختر منه صاحبه ماشاء . حدّثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا نافع ، قال : أخبرني ابن جريج ، قال : أخبرني الحسن بن مسلم ، قال : من أصاب من الصيد ما يبلغ أن يكون شاة فصاعداً ، فذلك الذي قال الله تعالى ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ) . وأما كفّارة طعام مساكين ، فذلك الذي لا يبلغ أن يكون فيه هدّي ، العصفور يقتل فلا يكون فيه ، قال : أو عدل ذلك صياماً ، عدل النعامة ، أو عدل العصفور ، أو عدل ذلك كله .

وقال آخرون : بل يقوّم الصيد المقتول قيمته من الدراهم ، ثم يشتري القاتل بقيمته نيداً من النعم ، ثم يهديه إلى الكعبة .

ذكر من قال ذلك :

حدّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبدة ، عن إبراهيم ، قال : ما أصاب المحرم من شيء ، حكم فيه قيمته .

حدّثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن حماد ، قال : سمعت إبراهيم يقول : في كلّ شيء من الصيد ثمنه .

وأولى القولين في تأويل الآية : ما قال عمر وابن عباس ، ومن قال بقولهما : إن المقتول من الصيد

(١) أي يحمل فحل الإبل على بكرات من الإبل ، بقدر عدد البيض المصاب ، فالقع ... الخ .

يجزى بمثله من النعم ، كما قال الله تعالى ( فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) وغير جائز أن يكون مثل الذي قتل من الصيد دراهم ، وقد قال الله تعالى ( مِنَ النَّعْمِ ) لأن الدراهم ليست من النعم في شيء .  
فإن قال قائل : فإن الدراهم وإن لم تكن مثلاً للمقتول من الصيد ، فإنه يشتري بها المثل من النعم ، فيهديه القاتل ، فيكون بفعله ذلك كذلك ، جازيا بما قتل من الصيد مثلاً من النعم ؟ قيل له : أفرأيت إن كان المقتول من الصيد صغيراً أو كبيراً أو سليماً ، أو كان المقتول من الصيد كبيراً أو سليماً بقيمته من النعم إلا صغيراً أو معيباً ، أيجوز له أن يشتري بقيمته خلافه وخلاف صفته فيهديه ، أم لا يجوز ذلك له وهو لا يجد إلا خلافه ؟ فإن زعم أنه لا يجوز له أن يشتري بقيمته إلا مثله ، ترك قوله في ذلك ، لأن أهل هذه المقالة يزعمون أنه لا يجوز له أن يشتري بقيمته ذلك فيهديه ، إلا ما يجوز في الضحايا ، وإذا أجازوا شري مثل المقتول من الصيد بقيمته وإهداءها ، وقد يكون المقتول صغيراً معيباً ، أجازوا في الهدى ما لا يجوز في الأضاحي ، وإن زعم أنه لا يجوز أن يشتري بقيمته فيهديه إلا ما يجوز في الضحايا أوضح بذلك من قوله الخلاف لظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى أوجب على قاتل الصيد من المحرمين عمداً المثل من النعم ، إذا وجدوه ؛ وقد زعم قائل هذه المقالة أنه لا يجب عليه المثل من النعم ، وهو إلى ذلك واجد سبيلاً .

ويقال لقائل ذلك : أفرأيت إن قال قائل آخر : ما على قاتل ما لا يبلغ من الصيد قيمته ما يصاب به من النعم ، ما يجوز في الأضاحي من إطعام ولا صيام ، لأن الله تعالى إنما خير قاتل الصيد من المحرمين في أحد الثلاثة الأشياء ، التي سماها في كتابه ، فإذا لم يكن له إلى واحد من ذلك سبيل ، سقط عنه فرض الآخرين ، لأن الخيار إنما كان له وله إلى الثلاثة سبيل ؛ فإذا لم يكن له إلى بعض ذلك سبيل ، بطل فرض الجزء عنه ، لأنه ليس ممن عني بالآية ، نظير الذي قلت أنت ، إنه إذا لم يكن المقتول من الصيد يبلغ قيمته ما يصاب من النعم مما يجوز في الضحايا ، فقد سقط فرض الجزء بالمثل من النعم عنه ، وإنما عليه الجزء بالإطعام أو الصيام : هل بينك وبينه فرق من أصل أو نظير ، فلن يقول في أحدهما قولاً إلا أُلزم في الآخر مثله .

القول في تأويل قوله ( يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ) :

يقول تعالى ذكره : يحكم بذلك الجزء الذي هو مثل المقتول من الصيد من النعم عدلان منكم ، يعني : فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل . هدياً ، يقول : يقضى بالجزء ذوا عدل أن يهدى فيبلغ الكعبة ، والهاء في قوله : يحكم به ، عائدة على الجزء ، ووجه حكم العدلين إذا أرادوا أن يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل ، أن ينظرا إلى المقتول ويستوصفاه ، فإن ذكر أنه أصاب ظبياً صغيراً ، حكما عليه من الضأن ولد الضأن بنظير ذلك الذي قتله في السن والجسم ، فإن كان الذي أصاب من ذلك كبيراً ، حكما عليه من الضأن بكبير ، وإن كان الذي أصاب حمار وحش حكما عليه ببقرة ، إن كان الذي أصاب كبيراً من البقر ، وإن كان صغيراً فصغيراً ، وإن كان المقتول ذكراً فثله من ذكور البقر ، وإن كان أنثى فثله من البقر أنثى ، ثم كذلك ينظران إلى أشبه الأشياء بالمقتول من الصيد ، شبيهاً من النعم ، فيحكماً عليه به ، كما قال تعالى .

(١) في العبارة تكرار من التاسع ، وأصلها : أفرأيت إن كان المقتول من الصيد كبيراً أو سليماً ولا يصيب بقيمته : الخ .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف فى ذلك بينهم .

ذكر من قال ذلك بنحو الذى قلنا فيه :

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، قال : كان رجلان من الأعراب محرمين ، فأجاش أحدهما ظيبا ، فقتله الآخر ، فأتيا عمر وعنده عبد الرحمن بن عوف ، فقال له عمر : وما ترى ؟ قال : شاة ، قال : وأنا أرى ذلك ، اذهبا فأهديا شاة ؛ فلما مضيا ، قال أحدهما لصاحبه : ما درى أمير المؤمنين ما يقول ، حتى سألت صاحبه ، فسمعها عمر ، فردهما ، فقال : هل تقرأن سورة المائدة ؟ فقالا : لا ، فقرأها عليهما ( يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ) ثم قال : استعنت بصاحبي هذا .

حدثنا أبو كريب ويعقوب ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر ، قال : ابتدرت أنا وصاحب لى ظيبا فى العقبة ، فأصبته ، فأتيت عمر بن الخطاب ، فذكرت ذلك له ، فأقبل على رجل إلى جنبه ، فنظرا فى ذلك ، قال : فقال : اذبح كبشا ، قال يعقوب فى حديثه : فقال لى اذبح شاة ، فانصرفت فأتيت صاحبي ، فقلت : إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول ، فقال صاحبي : انحر ناقتك ، فسمعها عمر بن الخطاب ، فأقبل على ضربا بالدرّة ، وقال : تقتل الصيد وأنت محرم ، وتغمص الفتيا ، إن الله تعالى يقول فى كتابه ( يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ) هذا ابن عوف وأنا عمر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، قال : أخبرني قبيصة بن جابر ، بنحو ما حدث به عبد الملك .

حدثنا هناد وأبو هشام ، قالا : ثنا وكيع ، عن المسعودى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر ، قال : خرجنا فكننا إذا صلينا الغداة ، اقتدرنا رواحلنا نناشى نتحدث ، قال : فبينما نحن ذات غداة ، إذ سنع لنا ظبي أو برّح ، فرماه رجل منا بحجر ، فما أخطأ حشّشاه<sup>١</sup> ، فركب<sup>٢</sup> وودعه ميتا ، قال : فعظمتنا عليه ؛ فلما قدمنا مكة ، خرجت معه ، حتى أتينا عمر ، فقصص<sup>٣</sup> عليه القصة ، قال : وإذا إلى جنبه رجل كأن وجهه قلب<sup>٤</sup> فضة ، يعنى عبد الرحمن بن عوف ، فالتفت إلى صاحبه فكلمه ؛ قال : ثم أقبل على الرجل ، قال : أعمدا قتلته ، أم خطأ ؟ قال الرجل : لقد تعمدت رميه ، وما أردت قتله ، فقال عمر : ما أراك إلا قد أشركت بين العمد والخطأ ، اعمد إلى شاة فاذبجها ، وتصدق بلحمها ، وأسق<sup>٥</sup> إهابها ؛ قال : فقمنا من عنده ، فقلت : أيها الرجل عظم شعائر الله ، فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سألت صاحبه ، اعمد إلى ناقتك فانحرها ، ففعل ذلك ؛ قال قبيصة : ولا أذكر الآية من سورة المائدة ( يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ) قال : فبلغ عمر مقالتي ، فلم يفجانا إلا ومعه الدرّة ، قال : فعلا صاحبي ضربا بالدرّة ، وجعل يقول : أقتلت فى الحرم ، وسفّته الحكم ؟ قال : ثم أقبل على فتى : يا أمير المؤمنين ، لا أحيل لك اليوم شيئا يحرم عليك منى ، قال : يا قبيصة بن جابر : إني أراك شاب السن ، فسيح الصدر ، بين اللسان ، وإن

(١) الحشاه : العظم الناقه خلف الأذن . (٢) القلب بضم القاف : السوار . (٣) أى أعطه لمن يجعله سقاء للماء .

الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة ، وخلق سيئ ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة ، فإياك وعثرات الشباب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن مخارق ، عن طارق ، قال : أوطأ أريدُ ضباً فقتله وهو محرم ، فأتى عمر ليحكم عليه ، فقال له عمر : احكم معي ، فحكما فيه جدًّا يا قد جمع الماء والشجر ، ثم قال عمر ( يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن رجلاً أصاب صيدا ، فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك ، وعنده عبد الله بن صفوان ، فقال ابن عمر لابن صفوان : إما أن أقول فتصدقني ، وإما أن تقول فأصدك ، فقال ابن صفوان : بل أنت فقل ، فقال ابن عمر : ووافقته على ذلك عبد الله بن صفوان .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن شريح ، أنه قال : لو وجدت حكماً عدلاً لحكمت في الثعلب جدًّا ، وجددي أحب إلي من الثعلب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكير ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي مجلز ، أن رجلاً سأل ابن عمر ، عن رجل أصاب صيدا وهو محرم ، وعنده ابن صفوان ، فقال له ابن عمر : إما أن تقول فأصدك ، أو أقول فتصدقني ؟ قال : قل وأصدك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، قال : أخبرني ابن جرير البجلي ، قال : أصبت ظبياً وأنا محرم ، فذكرت ذلك لعمر ، فقال : ائت رجلاً من إخوانك فليحكما عليك ، فأتيت عبد الرحمن وسعيدا ، فحكما عليّ تبيساً أعفر : قال أبو جعفر : الأعفر : الأبيض .

حدثنا محمد بن المنهني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بإسناده ، عن عمر ، مثله :

حدثنا عبد الحميد ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، قال : كان رجل على ناقة ، وهو محرم ، فأبصر ظبياً يأوي إلى أكمة ، فقال : لأنظرُ أنا أسبق إلى هذه الأكمة ، أم هذا الظبي ؟ فوقعت عنز من الظباء تحت قوائم ناقته فقتلها ، فأتى عمر ، فذكر ذلك له ، فحكّم عليه هو وابن عوف عنزاً عفراء ، قال : وهي البيضاء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، أن رجلاً أوطأ ظبياً وهو محرم ، فأتى عمر ، فذكر ذلك له ، وإلى جنبه عبد الرحمن بن عوف ، فأقبل على عبد الرحمن فكلمه ، ثم أقبل على الرجل ، فقال : أهدِ عنزاً عفراء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان يقول : ما أصاب المحرم من شيء لم يمض فيه حكومة ، استقبل به ، فيحكّم فيه ذوا عدل .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثني وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى ، عن عمرو بن حبشي قال : سمعت رجلا سأل عبد الله بن عمر ، عن رجل أصاب ولد أرنب ، فقال : فيه ولد ماعز فيما أرى أنا ، ثم قال لي : أكذاك ؟ فقلت : أنت أعلم مني ، فقال : قال الله تعالى ( يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، وسهل بن يوسف ، عن حميد ، عن بكر ، أن رجلا من أبصرا ظبيا ، وهما محرمان ، فتراهما ، وجعل كل واحد منهما لمن سبق إليه ، فسبق إليه أحدهما ، فرماه بعصاه فقتله ، فلما قدما مكة ، أتيا عمر يختصمان إليه ، وعنده عبد الرحمن بن عوف ، فذكرا ذلك له ، فقال عمر : هذا قمار ، ولا أجيزه ، ثم نظر إلى عبد الرحمن ، فقال : ما ترى ؟ قال : شاة ، فقال عمر : وأنا أرى ذلك ، فلما قُتني الرجلان من عند عمر ، قال أحدهما لصاحبه : مادري عمر ما يقول ، حتى سألت الرجل ، فردّهما عمر فقال : إن الله تعالى لم يرض بعمر وحده ، فقال ( يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) وأنا عمر ، وهذا عبد الرحمن بن عوف .

وقال آخرون : بل ينظر العدلان إلى الصيد المقتول ، فيقومانه قيمته دراهم ، ثم يأمران القاتل أن يشتري بذلك من النعم هديا ، فالحاكمان يحكمان في قول هؤلاء بالقيمة ، وإنما يحتاج إليهما لتقويم الصيد قيمته ، في الموضع الذي أصابه فيه . وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي فيما مضى قبل ، أنه كان يقول : ما أصاب المحرم من شيء حكم فيه قيمته ، وهو قول جماعة من متفقهة الكوفيين .

وأما قوله ( هَدِيًّا ) فإنه مصدر على الحال من الهاء التي في قوله ( يَحْكُمُ بِهِ ) ، وقوله ( بِالْبَيْعِ الْكَعْبَةِ ) من نعت الهدى وصفته ، وإنما جاز أن ينعت وهو مضاف إلى معرفة ، لأنه في معنى النكرة ، وذلك أن معنى قوله ( بِالْبَيْعِ الْكَعْبَةِ ) يبلغ الكعبة ، فهو وإن كان مضافا ، فعناه التنوين ، لأنه بمعنى الاستقبال ، وهو نظير قوله ( هَدَا عَارِضٌ مُّطِيرُنَا ) فوصف بقوله بمطرنا : عارضا ، لأن في مطرنا معنى التنوين ، لأن تأويله الاستقبال ، فعناه : هذا عارض بمطرنا ، فكذلك ذلك في قوله ( هَدِيًّا بِالْبَيْعِ الْكَعْبَةِ ) .

القول في تأويل قوله ( أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ) :

يقول تعالى ذكره : أو عليه كفارة طعام مساكين ، والكفارة معطوفة على الجزاء في قوله ( فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ) :

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة ( أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ) بالإضافة وأما قراء أهل العراق ، فإن عامتهم قرءوا ذلك بتنوين الكفارة ، ورفع الطعام ( أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ) .

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ بتنوين الكفارة ورفع الطعام ، لعللة التي ذكرناها في قوله ( فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ) .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ) فقال بعضهم : معنى ذلك أن



القاتل ، وهو محرم صيدا عمدا ، لا يخلو من وجوب بعض هذه الأشياء الثلاثة ، التي ذكر الله تعالى من مثل المقتول هديا بالغ الكعبة ، أو طعام مساكين كفارة لما فعل ، أو عدل ذلك صياما ، لأنه غير في أي ذلك شاء فعل ، وأنه بأبيها كان كفر فقد أدى الواجب عليه ، وإنما ذلك لإعلام من الله تعالى عباده أن قاتل ذلك كما وصف ، لن يخرج حكمه من إحدى الحلال الثلاثة ، قالوا : فحكمه إن كان على المثل قادرا أن يحكم عليه بمثل المقتول من النعم ، لا يجزئه غير ذلك ما دام للمثل واجدا ، قالوا : فإن لم يكن له واجدا ، أو لم يكن للمقتول مثل من النعم ، فكفارته حينئذ إطعام مساكين .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ، بِحِكْمِ بِهِ ذَوًّا عَدْلٌ مِنْكُمْ ) ، هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ليدوق وبال أمره ) قال : إذا قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه فيه ، فإن قتل ظبيا أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة ، فإن لم يجد ، فإطعام ستة مساكين ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، وإن قتل أيلًا أو نحوه ، فعليه بقرة ، فإن لم يجد ، أطعم عشرين مسكينا ، فإن لم يجد صام عشرين يوما ، وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه ، فعليه بدنة من الإبل ، فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا ، فإن لم يجد صام ثلاثين يوما ، والطعام مائة يشبعهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ) . . . إلى قوله ( بِحِكْمِ بِهِ ذَوًّا عَدْلٌ مِنْكُمْ ) فالكفارة من قتل ما دون الأرنب إطعام .

حدثنا هناد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن ميسم ، عن ابن عباس ، قال : إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم ، فإن وجد جزاء ذبحه ، فتصدق به ، وإن لم يجد جزاءه قوم الجزاء دراهم ، ثم قومت الدراهم حنطة ، ثم صام مكان كل صاع يوما ، قال : إنما أريد بالطعام : الصوم ، فإذا وجد طعاما وجد جزاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن زهير ، عن جابر ، عن عطاء ومجاهد وعامر ( أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَدُوقَ ) قال : إنما الطعام لمن لم يجد الهدى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان يقول : إذا أصاب المحرم شيئا من الصيد ، عليه جزاؤه من النعم ، فإن لم يجد ، قوم الجزاء دراهم ، ثم قومت الدراهم طعاما ، ثم صام لكل نصف صاع يوما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، قال : إذا أصاب المحرم الصيد ، فحكم عليه ، فإن فضل منه ما لا يتم نصف صاع ، صام له يوما ، ولا يكون الصوم إلا على من لم يجد ثمن هدى ،

فيحكم عليه الطعام ، فإن لم يكن عنده طعام يتصدق به ، حكم عليه الصوم ، فصام مكان كل نصف صاع يوماً ( كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ) قال : فيما لا يبلغ ثمن هدى ( أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ) من الجزاء إذا لم يجد ما يشتري به هدياً ، أو ما يتصدق به ، مما لا يبلغ ثمن هدى ، حكم عليه الصيام مكان كل نصف صاع يوماً .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) قال : عليه من النعم مثله هدياً بالغ الكعبة ، ومن لم يجد ، ابتاع بقيمته طعاماً ، فيطعم كل مسكين مدّين ، فإن لم يجد صام عن كل مدّين يوماً .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) . . . إلى قوله ( وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ) قال : إذا قتل صيداً ، فعليه جزاؤه مثل ما قتل من النعم ، فإن لم يجد ما حكم عليه قوّم الفداء كم هو درهما ؟ وقدر ثمن ذلك بالطعام على المسكين ، فصام عن كل مسكين يوماً ، ولا يحلّ طعام المسكين ، لأن من وجد طعام المسكين ، فهو يجزئ الفداء .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، قال : قال لي الحسن بن مسلم : من أصاب الصيد مما جزاؤه شاة ، فذلك الذي قال الله تعالى ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ بِحُكْمِ ) بِهِ ذَوْأً عَدْلٍ مِنْكُمْ ) ، وما كان من كفّارة طعام مساكين ، مثل العصفور يقتل ولا يبلغ أن يكون فيه هديّ ، أو عدل ذلك صياماً ، ليدوق ، قال : عدل النعامة أو العصفور ، أو عدل ذلك كله ، فذكرت ذلك لعطاء ، فقال : كل شيء في القرآن : أو أو ، فلصاحبه أن يختار ما شاء .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، في قوله ( لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ) ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) فإن لم يجد جزاء ، قوّم عليه الجزاء طعاماً ، ثم صام لكل صاع يومين .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن للقاتل صيداً عمداً ، وهو محرم ، الخيار بين إحدى الكفّارات الثلاث وهي الجزاء بمثله من النعم ، والطعام ، والصوم .

قالوا : وإنما تأويل قوله ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ) فعليه أن يجزى بمثله من النعم ، أو يكفّر بإطعام مساكين ، أو يعدل الطعام من الصيام .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد بن السريّ ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، في قول الله تعالى ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) ، بِحُكْمِ بِهِ ذَوْأً عَدْلٍ مِنْكُمْ ، هَدْيًا بِالْبَيْعِ

الكَعْبَةِ ، أَوْ كَفَّارَةَ طَعَامٍ مَسَاكِينَ ، أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا ) قال : إن أصاب إنسان محرماً نعمة ، فإن له إن كان ذا يسار أن يهدي ماشاء جزوراً ، أو عدلها طعاماً ، أو عدلها صياماً ، قال : كل شيء في القرآن : أو أو ، فليختر منه صاحبه ما شاء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، في قوله ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) قال : ما كان في القرآن أو كذا أو كذا ، فصاحبه فيه بالخيار ، أي ذلك شاء فعل . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أسباط وعبد الأعلى ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : ما كان في القرآن : أو أو ، فهو فيه بالخيار ، وما كان : فن لم يجد فالأول ، ثم الذي يليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن عمرو ، عن الحسن ، مثله . حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا ليث ، عن عطاء ومجاهد ، أنهما قالا في قوله ( فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) قالا : ما كان في القرآن : أو كذا أو كذا ، فصاحبه فيه بالخيار ، أي ذلك شاء فعل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، ما كان في القرآن : أو كذا أو كذا ، فصاحبه فيه بالخيار ، أي ذلك شاء فعل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو حمزة ، عن الحسن ، قال : وأخبرنا عبيدة ، عن إبراهيم ، قالا : كل شيء في القرآن : أو أو ، فهو بالخيار ، أي ذلك شاء فعل . حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كل شيء في القرآن : أو أو فصاحبه مخير فيه ، وكل شيء : فن لم يجد ، فالأول ، ثم الذي يليه .

واختلف القائلون بتخيير قاتل الصيد من أخصرين ، بين الأشياء الثلاثة في صفة اللازم له ، من التكفير بالإطعام والصوم ، إذا اختار الكفارة بأحدهما دون الهدى ، فقال بعضهم : إذا اختار التكفير بذلك ، فإن الواجب عليه ، أن يقوم المثل من النعم طعاماً ، ثم يصوم مكان كل مد يوماً . ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : أخبرنا بن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما ( أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا ) قال : إن أصاب ما عدله شاة ، أقيمت الشاة طعاماً ، ثم جعل مكان كل مد يوماً يصومه .

وقال آخرون : بل الواجب عليه إذا أراد التكفير بالإطعام أو الصوم ، أن يقوم الصيد المقتول طعاماً ، ثم يتصدق بالطعام إن اختار الصدقة ، وإن اختار الصوم صام .

ثم اختلفوا أيضاً في الصوم ، فقال بعضهم : يصوم لكل مد يوماً .

وقال آخرون : يصوم مكان كل نصف صاع يوماً .

وقال آخرون : يصوم مكان كل صاع يوماً .

ذكر من قال : المتقوم للإطعام : هو الصيد المقتول .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ( يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد ) . . . الآية ، قال : كان قتادة يقول : يحكمنا في النعم ، فإن كان ليس صيده ما يبلغ ذلك ، نظروا ثمنه فقوموه طعاما ، ثم صام مكان كل صاع يومين .

وقال آخرون : لا معنى للتكفير بالإطعام ، لأن من وجد سبيلا إلى التكفير بالإطعام ، فهو واجد إلى الجزء بالمثل من النعم سبيلا ، ومن وجد إلى الجزء بالمثل من النعم سبيلا لم يجزه التكفير بغيره ؛ قالوا : وإنما ذكر الله تعالى ذكره الكفارة بالإطعام في هذا الموضع ، ليدل على صفة التكفير بالصوم ، لأنه جعل التكفير بالإطعام إحدى الكفارات التي يكفر بها قتل الصيد ، وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما مضى قبل .  
 ويؤيد أولى الأقوال بالصواب عندي ، في قول الله تعالى ( فجزاءٌ مثلُ ما قتلَ من النعم ) : أن يكون مرادا به : فعلى قاتله متعمدا مثل الذي قتل من النعم ، لا القيمة إن اختار أن يجزيه بالمثل من النعم ، وذلك أن القيمة ، إنما هي من الدنانير أو الدراهم ، والدراهم أو الدنانير ليست للصيد بمثل ، والله تعالى إنما أوجب الجزء مثلا من النعم .

ويؤيد أولى الأقوال بالصواب عندي في قوله ( أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ) : أن يكون تخييرا ، وأن يكون للقائل الخيار في تكفيره بقتله الصيد ، وهو محرم ، بأي الكفارات الثلاث شاء ، لأن الله تعالى جعل ما أوجب في قتل الصيد من الجزء والكفارة عقوبة لفعله ، وتكفير لذنبه في إتلافه ما أتلف من الصيد ، الذي كان حراما عليه إتلافه في حال إحرامه ، وقد كان حلاله قبل حال إحرامه ، كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك ، في حلق الشعير ، الذي حلقه المحرم في حال إحرامه ، وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه ، ثم منع من حلقه في حال إحرامه نظير الصيد ، ثم جعل عليه إن حلقه جزءا من حلقه إياه ، فأجمع الجميع على أنه في حلقه إياه إذا حلقه من إيدائه مخير في تكفيره ، فعليه ذلك بأي الكفارات الثلاث شاء ، فثله إن شاء الله قاتل الصيد من المحرمين ، وأنه مخير في تكفيره قتل الصيد بأي الكفارات الثلاث شاء ، لافرق بين ذلك . ومن أي ما قلنا فيه ، قيل له : حكم الله تعالى على قاتل الصيد بالمثل من النعم ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدله صياما ، كما حكم على الخالق بفدية من صيام ، أو صدقة ، أو نسك ، فزعمت أن أحدهما مخير في تكفير ما جعل منه ، عوض بأي الثلاث شاء ، وأنكرت أن يكون ذلك للآخر ، فهل بينك وبين من عكس عليك الأمر في ذلك ، فجعل الخيار فيه حيث أبيت وأبى ، حيث جعلته له فرق من أصل أو نظير ، فلن يقول في أحدهما قولاً ، إلا ألزم في الآخر مثله .

ثم اختلفوا في صفة التقويم إذا أراد التكفير بالإطعام ، فقال بعضهم : يقوم الصيد قيمته بالموضع الذي أصابه فيه ، وهو قول إبراهيم النخعي ، وحماد ، وأبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ؛ وقد ذكرت الرواية عن إبراهيم وحماد فيما مضى ، بما يدل على ذلك ، وهو نص قول أبي حنيفة وأصحابه .  
 وقال آخرون : بل يقوم ذلك بسعر الأرض التي يكفر بها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال في محرم أصاب صيدا بخراسان ، قال : يكفر بمكة ، أو بمنى ، وقال : يقوم الطعام بسعر الأرض التي يكفر بها . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، في رجل أصاب صيدا بخراسان ، قال : يحكم عليه بمكة .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن قاتل الصيد إذا جزاه بمثله من النعم ، فلأنما يجزيه بنظيره في خلق وقدره في جسمه من أقرب الأشياء به شيها من الأنعام ، فإن جزاه بالإطعام قومه قيمته بموضعه الذي أصابه فيه ، لأنه هنالك وجب عليه التكفير بالإطعام ، ثم إن شاء أطمع بالموضع الذي أصابه فيه ، وإن شاء بمكة ، وإن شاء بغير ذلك من المواضع حيث شاء ، لأن الله تعالى إنما شرط بلوغ الكعبة بالهدى في قتل الصيد دون غيره من جزائه ، فللجأ بغير الهدى أن يجزيه بالإطعام والصوم حيث شاء من الأرض . وبمثل الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل العلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن أبي عروبة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، قال : ما كان من دم فيمكة ، وما كان من صدقة أو صوم حيث شاء . وقد خالف ذلك مخالفون ، فقالوا : لا يجزى الهدى والإطعام إلا بمكة ، فأما الصوم فإن كفر به يصوم حيث شاء من الأرض .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، قال : الدم والطعام بمكة ، والصيام حيث شاء . حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مالك بن مِغُول ، عن عطاء ، قال : كفارة الحج بمكة .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : أين يتصدق بالطعام إن بدا له ؟ قال : بمكة من أجل أنه بمنزلة الهدى ، قال ( فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم ، هدياً بالبع الكعبة ) من أجل أنه أصابه في حرم يريد البيت ، فجزاؤه عند البيت .

فأما الهدى ، فإنه من جزاء ما قتل من الصيد ، فلن يجزئه من كفارة ما قتل من ذلك إلا أن يبلغه الكعبة طيبا ، وينحره أو يذبحه ، ويتصدق به على مساكين الحرم ، ويعنى بالكعبة في هذا الموضع : الحرم كله ، ولمن قدم يهديه الواجب من جزاء الصيد أن ينحره في كل وقت شاء قبل يوم النحر وبعده ، ويطعمه ؛ وكذلك إن كفر بالطعام ، فله أن يكفر به متى أحب وحيث أحب ، وإن كفر بالصوم فكذلك .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، خلا ما ذكرنا من اختلافهم في التكفير بالإطعام على ما قد بينا فيما مضى .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء ( أو عدلٌ ذلك صياماً ) هل لصيامه وقت ؟ قال : لا ، إذا شاء ، وحيث شاء ، وتعجيله أحب إلى .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : رجل أصاب صيدا في الحج أو العمرة ، فأرسل بجزائه إلى الحرم في المحرم أو غيره من الشهور ، أيجزى عنه ؟ قال : نعم ، ثم قرأ ( هدياً بالبع الكعبة ) قال هناد : قال يحيى : وبه نأخذ .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج وابن أبي سليم ، عن عطاء ، قال : إذا قدمت مكة بجزء صيد فأنخره ، فإن الله تعالى يقول ( هدياً بالبع الكعبة ) إلا أن يقدم في العشر ، فيؤخر إلى يوم النحر .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عطاء ، قال : يتصدق الذي يصيب الصيد بمكة ، فإن الله تعالى يقول ( هدياً بالبع الكعبة ) .

القول في تأويل قوله ( أو عدلٌ ذلك صياماً ) :

يعنى تعالى ذكره بذلك : أو على قاتل الصيد محرماً ، عدلٌ الصيد المقتول من الصيام ، وذلك أن يقوم الصيد حياً غير مقتول قيمته من الطعام ، بالموضع الذي قتله فيه المحرم ، ثم يصوم مكان كل مد يوماً . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عدل المد من الطعام بصوم يوم في كفارة المواقع في شهر رمضان .

فإن قال قائل : فهلا جعلت مكان كل صاع في جزاء الصيد صوم يوم قياساً على حكم النبي صلى الله عليه وسلم في نظيره ، وذلك حكمه على كعب بن عجرة ، إذ أمره أن يطعم إن كفر بالإطعام قرصاً من طعام وذلك ثلاثة أصع بين ستة مساكين ، فإن كفر بالصيام ، أن يصوم ثلاثة أيام ، فجعل الأيام الثلاثة في الصوم عدلاً من إطعام ثلاثة أصع ، فإن ذلك بالكفارة في جزاء الصيد أشبه من الكفارة في قتل الصيد بكفارة المواقع أمرته في شهر رمضان ؟ قيل : إن القياس إنما هو رد الفروع المختلف فيها إلى نظائرها من الأصول المجمع عليها ، ولا خلاف بين الجميع من الحججة ، أنه لا يجزى مكفراً كفر في قتل الصيد بالصوم ، أن يعدل صوم يوم بصاع طعام . فإن كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز خلافها فيما حدث به من الدين مجمعة عليه ، صح بذلك أن حكم معادلة الصوم الطعام في قتل الصيد ، مخالف حكم معادلته إياه في كفارة الحلق ، إذا كان غير جائز ، وداخل على آخر قياساً ، وإنما يجوز أن يقاس الفرع على الأصل ، وسواء قال قائل : هلا رددت حكم الصوم في كفارة قتل الصيد ، على حكمه في حلق الأذى ، فيما يعدل به من الطعام ، وآخر

(١) في التركيب تشويش ، ومراده أن الحلق كفارة الصيد بكفارة الحلق ، أشبه من إلحاقها بكفارة المواقع .

قال : هلا رددت حكم الصوم فى الخلق على حكمه فى كفتارة قتل الصيد فىما يعدل به من الطعام ، فتوجب عليه مكان كل مدّ ، أو مكان كل نصف صاع صوم يوم .

وقد بينا فىما مضى قبل أن العَدَل فى كلام العرب بالفتح ، وهو قدر الشىء من غير جنسه ، وأن العِدَل هو قدره من جنسه . وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : العَدَل مصدر من قول القائل : عدلت بهذا عدلاً حسناً . قال : والعَدَل أيضاً بالفتح : المِثْل ، ولكنهم فرّقوا بين العَدَل فى هذا ، وبين عِدَل المتاع ، بأن كسروا العين من عِدَل المتاع ، وفتحوها من قولهم ( ولا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ) وقول الله عزّ وجلّ ( أوْ عَدْلٌ ذَٰلِكَ صِيَامًا ) كما قالوا : امرأة رَزَّان ، وحجر رَزَّين .

وقال بعضهم : العَدَل : هو القِسْط فى الحقّ ، والعِدَل بالكسر : المِثْل ، وقد بينا ذلك بشواهد فىما مضى ؛ وأماً نصب الصيام فإنه على التفسير ، كما يقال عندى ميلٌ زقٌ سمنا ، وقدر رطل عسلا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما عدل ذلك صياماً ؟ قال : عدل الطعام من الصيام ، قال : لكلّ مدّ يوماً يؤخذ ، زعم بصيام رمضان وبالظهار ، وزعم أن ذلك رأى يراه ولم يسمعه من أحد ، ولم تمض به سنة ، قال : ثمّ عاودته بعد ذلك بحين قلت : ما عدل ذلك صياماً ؟ قال : إن أصاب ما عدله شاة ، قومّت طعاماً ، ثمّ صام مكان كلّ مدّ يوماً ، قال : ولم أسأله : هذا رأى ، أو سنة مسنونة ؟

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله عزّ وجلّ ( أوْ عَدْلٌ ذَٰلِكَ صِيَامًا ) قال : يصوم ثلاثة أيام ، إلى عشرة أيام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ( أوْ عَدْلٌ ذَٰلِكَ صِيَامًا ) من الجزء إذا لم يجد ما يشتري به هدّياً ، أو ما يتهدق به ، مما لا يبلغ ثمن هدى حكم عليه الصيام مكان كلّ نصف صاع يوماً :

حدثنى المنفى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ( أوْ عَدْلٌ ذَٰلِكَ صِيَامًا ) قال : إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد حكم عليه فيه ، فإن قتل ظبياً أو نحوه ، فعليه شاة تذبج بمكة ، فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين ؛ فإن لم يجد ، فصيام ثلاثة أيام ؛ وإن قتل أيلاً أو نحوه ، فعليه بقرة ، فإن لم يجد أطعم عشرين مسكيناً ، فإن لم يجد صام عشرين يوماً ؛ وإن قتل نعامة أو حمار وحش ، أو نحوه ، فعليه بدنة من الإبل ؛ فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكيناً ؛ فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً ، والطعام مدّ مدّ يشبعهم .

حدثنا ابن البرقيّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد : المحرم يصيب الصيد فيكون عليه الفدية

شاة ، أو البقرة أو البدنة ؛ فإن لم يجد ، فما عدل ذلك من الصيام أو الصدقة ، قال : ثمن ذلك ؛ فإن لم يجد ثمنه ، قوم ثمنه طعاما يتصدق به ، لكل مسكين مد ، ثم يصوم لكل مد يوماً .  
القول في تأويل قوله ( لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ) :

يقول جل ثناؤه : أوجبت على قاتل الصيد محرماً ما أوجبت من الحق أو الكفارة الذي ذكرت في هذه الآية ، كى يذوق وبال أمره وعذابه ، يعنى بأمره : ذنبه وفعله الذى فعله من قتله ما نهاه الله عز وجل ، عن قتله في حال إحرامه ، يقول : فألزمته الكفارة التى ألزمته إياها ، لأذيقه عقوبة ذنبه بإلزامه الغرامة ، والعمل ببدنه ، مما يتعبه ويشق عليه . وأصل الوبال : الشدة في المكروه ، ومنه قول الله ( فَعَصَى فِئْرَعُونَ الرَّسُولَ ، فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا )

وقد بين تعالى ذكره بقوله ( لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ) أن الكفارات اللازمة الأموال والأبدان ، عقوبات منه لخلقه ، وإن كانت تمحيصاً لهم ، وكفارة لذنوبهم التى كفرها بها .  
وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، أما وبال أمره : فعقوبة أمره .

القول في تأويل قوله ( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفٌ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ) :

يقول جل ثناؤه لعباده المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم : عفا الله أيها المؤمنون عما سلف منكم في جاهليتكم ، من إصابتكم الصيد وأنتم حرم ، وقتلكموه ، فلا يؤاخذكم بما كان منكم في ذلك قبل تحريمه إياه عليكم ، ولا يلزمكم له كفارة في مال ولا نفس ، ولكن من عاد منكم لقتله ، وهو محرم بعد تحريمه بالمعنى الذى كان يقتله في حال كفره ، وقبل تحريمه عليه ، من استحلاله قتله ، فينتقم الله منه .

وقد يحتمل أن يكون ذلك معناه : من عاد لقتله بعد تحريمه في الإسلام ، فينتقم الله منه في الآخرة ؛ فأما في الدنيا ، فإن عليه من الجزاء والكفارة فيها ما بينت .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما عفا الله عما سلف ؟ قال : عما كان في الجاهلية ؛ قال : قلت : وما ( وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ) ؟ قال : من عاد في الإسلام ، فينتقم الله منه ، وعليه مع ذلك الكفارة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء ، فذكر نحوه ، وزاد فيه ، وقال : وإن عاد فقتل عليه الكفارة ، قلت : هل في العود من حد يعلم ؟ قال : لا ، قلت : فترى حقاً على الإمام أن يعاقبه ، قال : هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله ، ولكن يفتدى .



حدثنا سفيان ، قال : ثنا محمد بن بكر ، وأبو خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ( وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ ) قال : في الإسلام ، وعليه مع ذلك الكفارة ، قلت : عليه من الإمام عقوبة ؟ قال : لا . حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفَ ) عما كان في الجاهلية ( وَمَنْ عَادَ ) قال : في الإسلام ( فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ ) وعليه الكفارة ، قال : قلت لعطاء : فعليه من الإمام عقوبة ؟ قال : لا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : يحكم عليه في الخطأ والعمد والنسيان ، وكلما أصاب ، قال الله عز وجل ( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفَ ) قال : ما كان في الجاهلية ( وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ ) مع الكفارة ، قال سفيان ، قال ابن جريج : فقلت : أيعاقبه السلطان ؟ قال : لا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر وأبو خالد ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء ( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفَ ) قال : عما كان في الجاهلية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن عطاء بن أبي رباح ، أنه قال : يحكم عليه كلما عاد .

حدثنا هناد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كلما أصاب المحرم الصيد ناسيا حكم عليه .

حدثني يحيى بن طلحة البربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كلما أصاب الصيد المحرم حكم عليه .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، قال : من قتل الصيد ثم عاد حكم عليه .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، قال : يحكم عليه فيخلع ، أو يترك .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير : الذي يصيب الصيد ، وهو محرم ، فيحكم عليه ثم يعود ؟ قال : يحكم عليه .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا القرأت بن سليم ، عن عبد الكريم ، عن عطاء ، قال : يحكم عليه كلما عاد .

وقال آخرون : معنى ذلك : عفا الله عما سلف منكم في ذلك في الجاهلية ، ومن عاد في الإسلام ، فينتقم الله منه ، بإلزامه الكفارة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو ، عن زهير ، عن سعيد بن جبير وعطاء ، في قول الله تعالى ( وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ) قالوا : ينتقم الله ، يعني بالجزاء : عفا الله عما سلف في الجاهلية .  
وقال آخرون : في ذلك : عفا الله عما سلف من قتل من قتل منكم الصيد حراما في أول مرة ، ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراما ، فالله ولي الانتقام منه ، دون كفارة تلزمه لقتله إياه .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : من قتل شيئا من الصيد خطأ ، وهو محرم ، حكم عليه فيه مرة واحدة ، فإن عاد يقال له ينتقم الله منك ، كما قال الله عز وجل .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه ، فإن عاد لم يحكم عليه ، وكان ذلك إلى الله عز وجل ، إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه ، ثم قرأ هذه الآية ( وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ) ، والله عز وجل ذو انتقام ) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : جاء رجل إلى شريح ، فقال : إني أصبت صيدا ، وأنا محرم ، فقال : هل أصبت قبل ذلك شيئا ؟ قال : لا ، قال : لو قلت نعم ، وكنيتك إلى الله ، يكون هو ينتقم منك ، إنه عزيز ذو انتقام ؛ قال داود : فذكرت ذلك لسعيد بن جبير ، فقال : بل يحكم عليه ، أو يخلع .

حدثني أبو السائب وعمرو بن علي ، قالوا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : إذا أصاب الرجل الصيد وهو محرم ، وقيل له أصبت صيدا مثل هذا ؟ قال فإن قال : نعم ، قيل له : اذهب ، فينتقم الله منك ، وإن قال : لا ، حكم عليه .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، في الذي يقتل الصيد ، ثم يعود ، قال : كانوا يقولون : من عاد ، لا يحكم عليه ، أمره إلى الله عز وجل .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، أن رجلا أتى شريحا ، فقال : أصبت صيدا ؟ قال : أصبت قبله صيدا ؟ قال : لا ، قال : أما أنك لو قلت : نعم ، لم أحكم عليك .  
حدثنا عمرو ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، عن شريح ، مثله .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن الأشعث ، عن محمد ، عن شريح في الذي يصيب الصيد ، قال : يحكم عليه ، فإن عاد انتقم الله منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ، فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، بِحُكْمِ بِيهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ )

قال : يحكم عليه في العمد مرّة واحدة ، فإن عاد لم يحكم عليه ، وقيل له : اذهب ينتقم الله منك ، ويحكم عليه في الخطأ أبدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، قال : رخص في قتل الصيد مرّة ، فمن عاد لم يدعه الله تعالى حتى ينتقم منه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدى جميعا ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فيمن أصاب صيدا ، فحكم عليه ، ثم عاد ، قال : لا يحكم ، ينتقم الله منه .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، إنما قال الله عزّ وجلّ ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ) يقول : متعمدا لقتله ، ناسيا لإحرامه ، فذلك الذي يحكم عليه ، فإن عاد لا يحكم عليه ، وقيل له ينتقم الله منك .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا الفرات بن سليم ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد : إن عاد لم يحكم عليه ، وقيل له : ينتقم الله منك .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا الأشعث ، عن الحسن في الذي يصيب الصيد ، فيحكم عليه ثم يعود ، قال : لا يحكم عليه .

وقال آخرون : معنى ذلك : عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذلك عليكم ، ومن عاد لقتله بعد تحريم الله إياه عليه ، عالما بتحريمه ذلك عليه ، عامدا لقتله ، ذاكرا لإحرامه ، فإن الله هو المنتقم منه ، ولا كفارة لذنبه ذلك ، ولا جزاء يلزمه له في الدنيا .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ) قال : من عاد بعد نهى الله بعد أن يعرف أنه محرّم ، وأنه ذاكر لحرمه لم ينبغ لأحد أن يحكم عليه ، ووكلوه إلى نعمة الله عزّ وجلّ . فأما الذي يتعمد قتل الصيد ، وهو ناسٍ لحرمه ، أو جاهل أن قتله محرّم ، فهؤلاء الذين يحكم عليهم ، فأما من قتله متعمدا بعد نهى الله ، وهو يعرف أنه محرّم وأنه حرام ، فذلك يوكل إلى نعمة الله ، فذلك الذي جعل الله عليه النعمة ، وهذا شبيه بقول مجاهد الذي ذكرناه قبل .

وقال آخرون : عني بذلك شخص بعينه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : ثنا زيد أبو المعلى ، أن رجلا أصاب صيدا وهو محرّم ، فتجوّز له عنه ، ثم عاد ، فأرسل عليه نارا فأحرقته ، فذلك قوله ( وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ) قال : في الإسلام .

﴿وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا﴾ : قول من قال : معناه : ومن عاد في الإسلام لقتله بعد نهى الله تعالى عنه ، فينتقم الله منه ، وعليه مع ذلك الكفارة ، لأن الله عز وجل إذ أخبر أنه ينتقم منه لم يخبرنا ، وقد أوجب عليه في قتله الصيد عمدا ما أوجب من الجزاء أو الكفارة بقوله ( وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ، فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ) أنه قد أزال عنه الكفارة في المرة الثانية والثالثة ، بل أعلم عباده ما أوجب من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمدا ، ثم أخبر أنه ينتقم ممن عاد ، ولم يقل : ولا كفارة عليه في الدنيا .

فإن ظنَّ ظانَّ أن الكفارة مزيلة للعقاب ، ولو كانت الكفارة لازمة له في الدنيا ، لبطل العقاب في الآخرة ، فقد ظنَّ خطأ ، وذلك أن الله عز وجل أن يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء وأحب ، فيزيد في عقوبته على بعض معاصيه ، مما ينقص من بعض ، وينقص من بعض مما يزيد في بعض ، كالذي فعل من ذلك في مخالفته بين عقوبته الزاني البكر ، والزاني الثيب المحصن ، وبين سارق ربع دينار ، وبين سارق أقل من ذلك ، فكذلك خالف بين عقوبته ، قاتل الصيد من المحرمين عمدا ابتداء ، وبين عقوبته عودا بعد بدء ، فأوجب على البادئ المثل من النعم ، أو الكفارة بالإطعام ، أو العَدْل من الصيام ، وجعل ذلك عقوبة جرّمه بقوله ( لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ) ، وجعل على العائد بعد البدء ، وزاده من عقوبته ما أخبر عباده أنه فاعل من الانتقام ، تغليظا منه للعود بعد البدء ، ولو كانت عقوباته على الأشياء متفقة ، لوجب ألا يكون حدّ في شيء مخالفا حدّا في غيره ، ولا عقاب في الآخرة ، أغلظ من عقاب ، وذلك خلاف ما جاء به محكم الفرقان . وقد زعم بعض الزاعمين أن معنى ذلك : ومن عاد في الإسلام بعد نهى الله عن قتله لقتله بالمعنى الذي كان القوم يقتلونه في جاهليتهم ، فعفا لهم عنه عند تحريم قتله عليهم ، وذلك قتله على استحلال قتله ، قال : فأما إذا قتله على غير ذلك الوجه ، وذلك أن يقتله على وجه الفسوق ، لأعلى وجه الاستحلال ، فعليه الجزاء والكفارة ، كلما عاد ، وهذا قول لانعلم قائلا قاله : من أهل التأويل ، وكفى خطأ بقوله خروجه عن أقوال أهل العلم ، لو لم يكن على خطئه دلالة سواه ، فكيف وظاهر التنزيل ينهي عن فساده ، وذلك أن الله عمّ بقوله ( وَمَنْ عادَ فَيَسْتَنَقِمُ اللهُ مِنْهُ ) كلّ عائد لقتل الصيد بالمعنى الذي تقدم النهي منه به في أول الآية ، ولم يخصّ به عائدا منهم دون عائد ، فمن ادّعى في التنزيل ما ليس في ظاهره ، كلف البرهان على دعواه ، من الوجه الذي يجب التسليم له .

وأما من زعم ، أن معنى ذلك : ومن عاد في قتله متعمدا بعد بدء لقتل تقدّم منه في حال إحرامه ، فينتقم الله منه ، فإن معنى قوله ( عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ ) إنما هو : عفا الله عما سلف من ذنبه بقتله الصيد بدءا ، فإن في قول الله تعالى ( لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ) دليلا واضحا على أن القول في ذلك غير ما قال ، لأن العفو عن الجرّم ترك المؤاخذه به ، ومن أذيق وبال جرّمه ، فقد عوقب به ، وغير جائز أن يقال : لمن عوقب قد عسي عنه ، وخبر الله أصدق من أن يقع فيه تناقض .

فإن قال قائل : وما ينكر أن يكون قاتل الصيد من المحرمين في أول مرة قد أذيق وبال أمره ، بما ألزم

من الجزاء والكفارة ، وعنى له من العقوبة بأكثر من ذلك ، مما كان لله عز وجل أن يعاقبه به ؟ قيل له : فإن كان ذلك جائزا أن يكون تأويل الآية عندك ، وإن كان مخالفا لقول أهل التأويل ، فما ينكر أن يكون الانتقام الذى أوعده الله على العود بعد البدء ، هو تلك الزيادة التى عفاها عنه فى أول مرة ، مما كان له فعله به مع الذى أذاقه من وبال أمره ، فيذيقه فى عوده بعد البدء ، وبال أمره الذى أذاقه المرة الأولى ، ويترك عفوه عما عفا عنه فى البدء ، فيؤاخذه به ، فلم يقل فى ذلك شيئا إلا ألزم فى الآخر مثله .

القول فى تأويل قوله ( وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ) :

يقول عز وجل : والله منيع فى سلطانه ، لا يقهره قاهر ، ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه ، ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، له العزة والمنعة . وأما قوله ( ذُو انتِقَامٍ ) فإنه يعنى به : معاقبته لمن عصاه على معصيته إياه .

القول فى تأويل قوله

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ، مِمَّا لَكُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ  
رُحُمًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره ( أَحِلَّ لَكُمْ ) أيها المؤمنون ( صَيْدُ الْبَحْرِ ) وهو ما صيد طريقاً .  
كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ،  
قال : قال عمر بن الخطاب فى قوله ( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ) قال : صيده : ما صيد منه .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، قال : حدثت ، عن ابن عباس ، قال :  
خطب أبو بكر الناس ، فقال : أحل لكم صيد البحر ، قال : فصيده : ما أخذ .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ،  
فى قوله ( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ) قال : صيده : ما صيد منه .  
حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقي ، قال : ثنا محمد بن سلمة الحراني ، عن خصيف ، عن عكرمة ،  
عن ابن عباس ، فى قوله ( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ) قال : صيده الطرى .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الهذيل بن هلال ، قال : ثنا عبد الله بن عبيد  
ابن عمير ، عن ابن عباس ، فى قوله ( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ) قال : صيده : ما صيد .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ) قال : الطرى .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحسن بن على الجعفي ، أو الحسين ، شك أبو جعفر ، عن الحكم بن  
أبان ، عن عكرمة ، قال : كان ابن عباس يقول : صيد البحر : ما اصطاده .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ) قال : الطري .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن الحجاج ، عن العلاء بن بدر ، عن أبي سلمة ، قال : صيد البحر : ما صيد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفبان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ) قال : الطري .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن سفبان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ، مثله : حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفبان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ) قال : السمك الطري .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ) أما صيد البحر : فهو السمك الطري ، هي الحيتان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفبان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال : صيده : ما اصطدته طرياً . قال معمر : وقال قتادة : صيده : ما اصطدته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ) قال : حيتانه .

قال : حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا عمر بن أبي سلمة ، قال : سئل سعيد عن صيد البحر ، فقال : قال مكحول : قال زيد بن ثابت : صيده : ما اصطدت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْيَأْسَاءِ) قال : يصطاد المحرم والمحل من البحر ، ويأكل من صيده .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : قال أبو بكر : طعام البحر : كل ما فيه . وقال جابر بن عبد الله : ما حسر عنه فكل ، وقال : كل ما فيه ، يعني : جميع ما صيد .

حدثنا سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفبان ، عن عمرو ، سمع عكرمة يقول : قال أبو بكر (وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْيَأْسَاءِ) قال : هو كل ما فيه ، وعني بالبحر في هذا الموضع : الأنهار كلها ، والعرب تسمى الأنهار بحارا ، كما قال تعالى ذكره (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) .

فتأويل الكلام : أحل لكم أيها المؤمنون طري سمك الأنهار ، الذي صدتموه في حال حلكم وحرملك ، وما لم تصيدوه من طعامه الذي قتله ، ثم رمى به إلى ساحله .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (وَطَعَامُهُ) فقال بعضهم : عنى بذلك : ما قذف به إلى ساحله ميتا ، نحو الذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، قال : حدثت ، عن ابن عباس ، قال : خطب أبو بكر الناس ، فقال : أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم ، وطعامه : ما قذف :

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : كنت بالبحرين ، فسألوني عما قذف البحر ، قال : فأفتيتهم أن يأكلوا ، فلما قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ذكرت ذلك له ، فقال لي : بم أفتيتهم ؟ قال : قلت : أفتيتهم أن يأكلوا ، قال : لو أفتيتهم بغير ذلك ، لعلوتك بالدرّة ، قال : ثم قال : إن الله تعالى قال في كتابه ( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ) فصيده : ما صيد منه ، وطعامه : ما قذف .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : طعامه : ما قذف .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ) قال : طعامه : ما قذف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين بن علي ، عن زائدة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طعامه : كل ما ألقاه البحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحسن بن علي ، أو الحسين بن علي الجعفي ، شك أبو جعفر ، عن الحكم ابن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طعامه : ما لفظ من ميته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الهذيل بن هلال ، قال : ثنا عبد الله بن عبيد ابن عمير ، عن ابن عباس ( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ) قال : طعامه : ما وجد على الساحل ميتا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس ، قال : طعامه : ما قذف به .

حدثنا سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع عكرمة يقول : قال أبو بكر رضي الله عنه ( وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : طعامه : هو كل ما فيه .

حدثني محمد بن المنثي ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو بكر ( وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : طعامه : ميته . قال عمرو : وسمع أبا الشعثاء يقول : ما كنت أحسب طعامه إلا مالحه .

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو بكر بن

حفص بن عمر بن سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : طعامه : ميتته .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ، عن عكرمة ( وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : طعامه : ما قذف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معمر بن سليمان ، قال : سمعت عبيد الله ، عن نافع ، قال : جاء عبد الرحمن إلى عبد الله ، فقال : البحر قد ألقى حيتانا كثيرة ، قال : فيها عن أكلها ، ثم قال : يا نافع هات المصحف ، فأتيته به ، فقرأ هذه الآية ( أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : قلت : طعامه : هو الذي ألقاه ، قال : فالحق ، فراه بأكله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر ، فقال : إن البحر قذف حيتانا كثيرة ميتة أفناكلها ؟ قال : لا تأكلوها ، فلما رجع عبد الله إلى أهله ، أخذ المصحف ، فقرأ سورة المائدة ، فأتى على هذه الآية ( وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسِّيَّارَةِ ) قال : اذهب ، فقل له : فليأكله ، فإنه طعامه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه .  
حدثني المثني ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، قال : قال أبو بكر رضي الله عنه : ( وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : ميتته ، قال عمرو : سمعت أبا الشعثاء يقول : ما كنت أحسب طعامه : إلا مالحه .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنا نافع أن عبد الرحمن ابن أبي هريرة ، سأل ابن عمر عن حيتان كثيرة ألقاها البحر ، أميته هي ؟ قال : نعم ، فيها عنها ، ثم دخل البيت ، فدعا بالمصحف ، فقرأ تلك الآية ( أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : طعامه : كل شيء أخرج منه فكله ، فليس به بأس ، وكل شيء فيه يؤكل ميتا أو بساحله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : فتادة طعامه : ما قذف منه .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن ليث ، عن شهر ، عن أبي أيوب ، قال : ما لفظ البحر ، فهو طعامه ، وإن كان ميتا .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن ليث ، عن شهر ، قال : سئل أبو أيوب ، عن قول الله تعالى ( أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا ) قال : هو ما لفظ البحر .  
وقال آخرون : عن بقوله ( وَطَعَامُهُ ) : الملبح من السمك .

فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم : أحل لكم سمك البحر ومليحه في كل حال ، لإحلالكم ، وإحرامكم .

ذكر من قال ذلك :



- حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقي ، قال : ثنا محمد بن سلمة ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَطَعَامُهُ) قال : طعامه المالح منه .
- حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ) يعني بطعامه : ماله ، وما قذف البحر من ماله .
- حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس (وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ) وهو المالح .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان بن مجمع التيمي ، عن عكرمة ، في قوله (مَتَاعًا لَكُمْ) قال : المالح .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سالم الأفظس وأبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : المالح .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ) قال : المالح وما لَقَطَ .
- حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (أَحِيلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ) قال : يأتي الرجل أهل البحر فيقول : أطعموني ، فإن قال : غريضا ، أفقوا شبكتهم فصادوا له ، وإن قال : أطعموني من طعامكم ، أطعموه من سمكهم المالح .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد (أَحِيلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ) قال : المنبوذ السمك المالح .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وَطَعَامُهُ) قال : المالح .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، وطعامه ، قال : هو ماله ، ثم قال : ما قذف .
- حدثنا ابن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَطَعَامُهُ) قال : مملوح السمك .
- حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرني الثوري ، عن منصور ، قال : كان إبراهيم يقول : طعامه : السمك المالح ، ثم قال بعد : ما قذف به .
- حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : طعامه : المالح .
- حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، قال : طعامه : السمك المالح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة في هذه الآية ( وَطَعَامُهُمْ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : الصير ، قال شعبة : فقلت لأبي بشر : ما الصير؟ قال : المالح . حدثنا ابن المنثري ، قال : ثنا هشام بن الوليد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبيرة ، قوله ( وَطَعَامُهُمْ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : الصير ، قال : قلت : ما الصير؟ قال : المالح .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَطَعَامُهُمْ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : أما طعامه فهو المالح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ( وَطَعَامُهُمْ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : طعامه : ما ترودت مملوحا في سفرك .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازي ، قالا : ثنا سفيان بن عمر ، قال : قال جابر بن زيد : كنا نتحدث أن طعامه مليحه ، ونكره الطافي منه .

وقال آخرون : طعامه : ما فيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : طعام البحر : ما فيه . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن حريث ، عن عكرمة ( وَطَعَامُهُمْ مَتَاعًا لَكُمْ ) قال : ما جاء به البحر بوجه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : طعامه : كل ما صيد منه .

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ، قول من قال : طعامه : ما قذفه البحر ، أو حسر عنه ، فوجد ميتا على ساحله . وذلك أن الله تعالى ذكر قبله صيد الذي يصاد ، فقال ( أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ) فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم ما لم يُصَدَّ منه ، فقال : أحل لكم صيد ما صدتموه من البحر وما لم تصيدوه منه . وأما المליح ، فإنه ما كان منه مسلح بعد الاصطياد ، فقد دخل في جملة قوله ( أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ) فلا وجه لتكريره ، إذ لا فائدة فيه . وقد أعلم عباده تعالى إحلاله ما صيد من البحر بقوله ( أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ) فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك : ومليحه الذي صيد ، حلال لكم ، لأن ما صيد منه فقد بين تحليله ، طرياً كان أو مليحاً بقوله ( أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ) والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة .

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا خبر ، وإن كان بعض نقلته يقف به على ناقله عنه من الصحابة ، وذلك ما حدثنا به هناد بن السري ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أُحِلَّ لَكُمْ )

صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مُتَاعًا لَكُمْ ) قال : طعامه : ما لفظه ميتا فهو طعامه . وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبي هريرة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة في قوله : ( أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ) قال : طعامه : ما لفظه ميتا .  
القول في تأويل قوله ( مُتَاعًا لَكُمْ ) وَلِلسِّيَّارَةِ ) :

يعنى تعالى ذكره بقوله ( مُتَاعًا لَكُمْ ) منفعة لمن كان منكم مقبلا أو حاضرا في بلده يستمتع بأكله وينتفع به . وللسيَّارة ، يقول : ومنفعة أيضا ومنعة للسائرين من أرض إلى أرض ، ومسافرين يتزودونه في سفرهم مليحا والسيَّارة : جمع سيَّار .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرني أبو إسحاق ، عن عكرمة ، أنه قال في قوله ( مُتَاعًا لَكُمْ ) وَلِلسِّيَّارَةِ ) قال : لمن كان بحضرة البحر ، وللسيَّارة السفر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، في قوله ( وَطَعَامُهُ مُتَاعًا لَكُمْ ) وَلِلسِّيَّارَةِ ) ما قذف البحر ، وما يتزودون في أسفارهم من هذا المالح ، يتأولها على هذا .  
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَطَعَامُهُ مُتَاعًا لَكُمْ ) وَلِلسِّيَّارَةِ ) : مملوح السمك ما يتزودون في أسفارهم .

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقي ، قال : ثنا مسكين بن بكير ، قال : ثنا عبد السلام بن حبيب النجاري ، عن الحسن ، في قوله ( وَلِلسِّيَّارَةِ ) قال : هم المحرمون .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَطَعَامُهُ مُتَاعًا لَكُمْ ) وَلِلسِّيَّارَةِ ) أما طعامه : فهو المالح منه بلاغ يأكل منه السيَّارة في الأسفار .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَطَعَامُهُ مُتَاعًا لَكُمْ ) وَلِلسِّيَّارَةِ ) قال : طعامه : مالحه وما قذف البحر منه يتزوده المسافر ، وقال مرة أخرى : مالحه ، وما قذف البحر ، فالحه يتزوده المسافر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَطَعَامُهُ مُتَاعًا لَكُمْ ) وَلِلسِّيَّارَةِ ) يعنى المالح فيتزوده .

وكان مجاهد يقول في ذلك بما حدثني محمد بن عمر ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَطَعَامُهُ مُتَاعًا لَكُمْ ) قال : أهل القرى ، وللسيَّارة أهل الأمصار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( مُتَاعًا لَكُمْ ) قال لأهل القرى ، وللسيَّارة ، قال : أهل الأمصار وأجناس الناس كلهم . وهذا الذى قاله

مجاهد من أن السيارة هم أهل الأمصار لاوجه له مفهوم ، إلا أن يكون أراد بقوله : هم أهل الأمصار : هم المسافرون من أهل الأمصار ، فيجب أن يدخل في ذلك كل سيارة من أهل الأمصار كانوا ، أو من أهل القرى ، فأما السيارة فلا يشمل المقيمين في أمصارهم .

القول في تأويل قوله ( وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ) :

يعنى تعالى ذكره : وحرّم عليكم أيها المؤمنون ، صيد البرّ ما دمتم حرماً ، يقول : ما كنتم محرّمين لم تحلوا من إحرامكم .

ثم اختلف أهل العلم في المعنى الذى عنى الله تعالى ذكره بقوله ( وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ) فقال بعضهم : عنى بذلك : أنه حرّم علينا كلّ معانى صيد البرّ : من اصطياد ، وأكل ، وقتل ، وبيع ، وشراء ، وإمساك ، وتملك .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن نوفل ، عن أبيه ، قال : حجّ عثمان بن عفان ، فحجّ علىّ معه ، قال : فأقى عثمان بلحم صيد صاده حلال ، فأكل منه ولم يأكل علىّ ، فقال عثمان : والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا ، فقال علىّ ( وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن سماك ، عن صبيح بن عبيد الله العبسيّ ، قال : بعث عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحارث علىّ العروص ، فنزل قُدَيْدًا ، فرآه به رجل من أهل الشام معه باز وصقر ، فاستعاره منه ، فاصطاد به من اليعاقيب ، فجعلهنّ في حظيرة : فلما مرّ به عثمان طبخنّ ، ثم قدمهنّ إليه ، فقال عثمان : كلوا ، فقال بعضهم : حتى يجىء علىّ بن أبي طالب ، فلما جاء فرأى ما بين أيديهم ، قال علىّ : إنا لن نأكل منه ، فقال عثمان : مالك لا تأكل ؟ فقال : هو صيد ، ولا يحلّ أكله وأنا محرّم ، فقال عثمان : بين لنا ، فقال علىّ ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ) فقال عثمان : أو نحن قتلناه ؟ فقرأ عليه ( أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَالسِّيَّارَةَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ) .

حدثنا تميم بن المنتصر وعبد الحميد بن بيسان القنّاد ، قالوا : أخبرنا أبو إسحاق الأزرق ، عن شريك ، عن سماك بن حرب ، عن صبيح بن عبيد الله العبسيّ ، قال : استعمل عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحارث علىّ العروص ، ثم ذكر نحوه ؛ وزاد فيه : قال : فكث عثمان ما شاء الله أن يمكث ، ثم أتى فقيل له بمكة : هل لك فى ابن أبي طالب أهدى له صفيف حمار ، فهو يأكل منه ، فأرسل إليه عثمان وسأله عن أكل الصفيف ، فقال : أما أنت فتأكل ، وأما نحن ففتنهانا ، فقال : إنه صيد عام أول ، وأنا حلال ، فليس علىّ بأكله بأس ، وصيد ذلك ، يعنى اليعاقيب وأنا محرّم ، وذبحنا وأنا حرام .

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأسا بلحم الصيد للمحرم ، وكرهه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أن عليا كره لحم الصيد للمحرم على كل حال .

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، أنه شهد عثمان وعليّ أتيا بلحم ، فأكل عثمان ، ولم يأكل عليّ ، فقال عثمان : أنحن صدنا ، أو صيد لنا؟ فقرأ عليّ هذه الآية (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرْمَ عَمَائِكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : حجّ عثمان بن عفان ، فحجّ معه عليّ ، فأتى بلحم صيد صاده حلال ، فأكل منه ، وهو محرم ، ولم يأكل منه عليّ ، فقال عثمان : إنه صيد قبل أن نحرم ، فقال له عليّ : ونحن قد بدلنا وأهالينا لنا حلال ، أفيحللن لنا اليوم . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عمرو بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث ابن نوفل ، أن عليا أتى بشقّ عَجْزٍ حمار ، وهو محرم ، فقال : إني محرم .

حدثنا ابن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل قال : ثنا سعيد ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يكرهه على كل حال ، ما كان محرما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرنا نافع أن ابن عمر ، كان يكره كل شيء من الصيد وهو حرام ، أخذ له ، أو لم يؤخذ له وشيقة وغيرها .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن عبد الله ، قال : أخبرني نافع أن ابن عمر ، كان لا يأكل الصيد ، وهو محرم ، وإن صاده الحلال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني الحسن بن مسلم بن يناق ، أن طاوسا كان ينهى الحرام عن أكل الصيد ، وشيقة وغيرها ، صيد له ، أو لم يصد له .

حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا الأشعث ، قال : قال الحسن : إذا صاد الصيد ، ثم أحرم لم يأكل من لحمه ، حتى يحلّ ، فإن أكل منه وهو محرم ، لم ير الحسن عليه شيئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام وهارون عن عنبسة ، عن سالم ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن الصيد بصيده الحلال ، أياكل منه المحرم؟ فقال : سأذكر لك من ذلك : إن الله تعالى قال (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) فنهى عن قتله ، ثم قال (ومن قتلته منكم متعمدا ، فجزياء مثل ماقتل من النعم) ثم قال تعالى (أحليل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) قال : يأتي الرجل أهل البحر ، فيقول : أطعموني ، فإن قال : غريضا ، ألقوا شبكتهم

فصادوا له ، وإن قال : أطعموني من طعامكم ، أطعموه من سمكهم المالح ، ثم قال ( وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ) وهو عليك حرام ، صدته ، أو صاده حلال .

وقال آخرون : إنما عنى الله تعالى بقوله ( وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ) : ما استحدث المحرم صيده في حال إحرامه أو ذبحه ، أو استحدث له ذلك في تلك الحال . فأما ما ذبحه حلال ، وللحلال ، فلا بأس بأكله للمحرم ، وكذلك ما كان في ملكه قبل حال إحرامه ، فغير محرّم عليه إمساكه . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا قتادة ، أن سعيد بن المسيب حدثه ، عن أبي هريرة ، أنه سئل عن صيد صاده حلال ، يأكله المحرم ؟ قال : أفنائه هو بأكله ، ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره ، فقال : لو أفتيتهم بغير هذا ، لأوجعت لك رأسك .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : نزل عثمان بن عفان العرج ، وهو محرم ، فأهدى صاحب العرج له قطعاً ، قال : فقال لأصحابه : كلوا فإنه إنما اصطيد على اسمي ، قال : فأكلوا ، ولم يأكل .

حدثنا ابن بشار وابن المنني ، قالوا : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة كان بالرّبذة ، فسأله عن لحم صيد صاده حلال ، ثم ذكر نحو حديث ابن بزيع ، عن بشر . حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن عمر ، نحوه .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الشعثاء ، قال : سألت ابن عمر عن لحم صيد يهديه الحلال إلى الحرام ، فقال : أكله عمر ، وكان لا يرى به بأساً ، قال : قلت : تأكله ؟ قال : عمر خير مني .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن أبي الشعثاء ، قال : سألت ابن عمر عن صيد صاده حلال يأكل منه حرام ؟ قال : كان عمر يأكله ، قال : قلت : فأنت ؟ قال : كان عمر خيراً مني .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن هشام ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : استفتاني رجل من أهل الشام في لحم صيد أصابه وهو محرم ، فأمرته أن يأكله ، فأثبت عمر بن الخطاب فقالت له : إن رجلاً من أهل الشام استفتاني في لحم صيد أصابه وهو محرم ، قال : فما أفتيته ؟ قال : قلت : أفتيته أن يأكله ، قال : فوالذي نفسي بيده ، لو أفتيته بغير ذلك لعلونك بالدرة . وقال عمر : إنما نهيت أن تصطاده .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا خارجة عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ،

عن كعب ، قال : أقبلت في أناس محرمين ، فأصبنا لحم حمار وحش ، فسألني الناس عن أكله ، فأفتيتهم بأكله ، وهم محرمون ، فقدمنا على عمر ، فأخبروه أني أفتيتهم بأكل حمار الوحش وهم محرمون ، فقال عمر : قد أمرتُ عليكم ، حتى ترجعوا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : مررت بالربذة ، فسألني أهلها عن المحرم يأكل ماصاده الحلال ، فأفتيتهم أن يأكلوا ، فلقيت عمر بن الخطاب ، فذكرت ذلك له ، قال : فم أفتيتهم ؟ قال : أفتيتهم أن يأكلوا ، قال : لو أفتيتهم بغير ذلك لخالفتك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن يونس ، عن أبي الشعثاء الكندي ، قال : قلت لابن عمر : كيف ترى في قوم حرام ، لقوا قوما حلالا ، ومعهم لحم صيد ، فلما باعوه ، وإما أطعموهم ؟ فقال : حلال .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنا هشام ، يعني ابن عروة ، قال : ثنا عروة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عبد الرحمن حدثه ، أنه اعتمر مع عثمان بن عفان في ركب فيهم عمرو بن العاص ، حتى نزلوا بالروحاء ، فقُرب إليهم طير وهم محرمون ، فقال لهم عثمان : كلوا فإني غير آكله ، فقال عمرو بن العاص : أتأمرنا بما لست آكلا ؟ فقال عثمان : إني لولا أظن أنه صيد من أجلي لأكلت ، فأكل القوم .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن الزبير كان يتزود لحوم الوحش ، وهو محرم .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما صيد أو ذبح وأنت حلال ، فهو لك حلال ، وما صيد أو ذبح ، وأنت حرام ، فهو عليك حرام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عمرو ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما صيد من شيء وأنت حرام ، فهو عليك حرام ، وما صيد من شيء وأنت حلال ، فهو لك حلال .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمُّمُ حَرُمًا ) فجعل الصيد حراما على المحرم صيده وأكله ما دام حراما ، وإن كان الصيد صيد قبل أن يحرم الرجل فهو حلال ، وإن صاده حرام للحلال ، فلا يحل له أكله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : سألت أبا بشر عن المحرم يأكل مما صاده حلال ؟ قال : كان سعيد بن جبيرة ومجاهد يقولان : ما صيد قبل أن يُحرم ، أكل منه ، وما صيد بعد ما أحرم ، لم يأكل منه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : كان عطاء يقول : إذا سئل

في العلانية أياكل الحرام الوشيقية ، والشئ اليابس ؟ يقول : بيني وبينه ، لا أستطيع أن أبين لك في مجلس ، إن ذبح قبل أن يحرم فكل ، وإلا فلا تبع لحمه ، ولا تتبع .

وقال آخرون : إنما عنى الله تعالى بقوله (وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمُّنْتُمْ حُرُمًا) وحرّم عليكم اصطيداه ، قالوا : فأما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله بعد أن يكون ملكه إياه على غير وجه الاصطياد له ، وبيعه وشراؤه جائز ، قالوا : والنهي من الله تعالى عن صيده في حال الإحرام دون سائر المعاني .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، قال : أخبرني يحيى ، أن أبا سلمة اشترى قططاً وهو بالعرج ، وهو محرم ، ومعه محمد بن المنكدر ، فأكله ، فعاب عليه ذلك الناس .

والصواب في ذلك من القول عندنا ، أن يقال : إن الله تعالى عمّ تحريم كل معاني صيد البرّ على المحرم في حال إحرامه ، من غير أن يخصّ من ذلك شيئاً دون شيء ، فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حراماً ، بيعه وشراؤه واصطياده وقتله ، وغير ذلك من معانيه ، إلا أن يجده مذبوحة قد ذبحه حلالاً لحلال ، فيحلّ له حينئذ أكله ، للثابت من الخبر عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الذي حدثناه يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج .

وحدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا مكى بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الملك بن جريج ، قال : أخبرني محمد بن المنكدر ، عن معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان ، عن أبيه عبد الرحمن بن عثمان ، قال : كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حُرّم ، فأهدى لنا طائر ، فبنا من أكل ، ومنا من تورّع فلم يأكل ؛ فلما استيقظ طلحة وافق من أكل ، وقال : أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قال قائل : فما أنت قائل فيما روى عن الصعب بن جثامة ، أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً حمراً وحش يقطر دماً ، فردّه ، فقال : إنا حُرّم . وفيما روى عن عائشة ، أن وشيقية ظبي أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، فردّها ، وما أشبه ذلك من الأخبار ؟ قيل : إنه ليس في واحد من هذه الأخبار ، التي جاءت بهذا المعنى ، بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ من ذلك ما ردّ ، وقد ذبحه الذابح إذ ذبحه ، وهو حلال لحلال ، ثم أهداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حرام ، فردّه ، وقال : إنه لا يحلّ لنا لأننا حُرّم ، وإنما ذكر فيه أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد فردّه ، وقد يجوز أن يكون ردّه ذلك ، من أجل أن ذابحه ذبحه ، أو صائده ، صاده من أجله صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، وقد بين خبر جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : لحم صيد للمحرم حلال ، إلا ما صاده أو صيد له ، معنى ذلك كله ، فإذا كان كلا الخبرين صحيحاً مخرجهما ، فواجب التصديق بهما ، وتوجيه كل واحد منهما إلى الصحيح من وجه ، وأن يقال : ردّه ما ردّ من ذلك



من أجل أنه كان صيد من أجله ، وإذنه في كل ما أذن في أكله منه ، من أجل أنه لم يكن صيد محرّم ، ولا صاده محرّم ، فيصحّ معنى الخبرين كليهما .

واختلفوا في صفة الصيد الذي عتّى الله تعالى بالتحريم ، في قوله ( وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ) فقال بعضهم : صيد البرّ : كلّ ما كان يعيش في البرّ والبحر ؛ وإنما صيد البحر ما كان يعيش في الماء دون البرّ ، ويأوى إليه .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد بن السريّ ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمران بن حُدَيْر ، عن أبي مجلز ( وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ) قال : ما كان يعيش في البرّ والبحر لا يصيده ، وما كان حياته في الماء فذاك .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الحجاج ، عن عطاء ، قال : ما كان يعيش في البرّ فأصابه المحرم ، فعليه جزاؤه ، نحو السلحفاة والسرطان والضفادع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن الحجاج ، عن عطاء ، قال : كلّ شيء عاش في البرّ والبحر ، فأصابه المحرم ، فعليه الكفّارة .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الملك ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : خرجنا حجاجا ، معنا رجل من أهل السواد ، معه شصّو صطيّر ماء ، فقال له أبي حين أحرمتنا : اعزل هذا عنا .

وحدثنا به أبو كريب مرّة أخرى ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت يزيد بن أبي زياد قال : ثنا حجاج ، عن عطاء : أنه كره للمحرم أن يذبح الدجاج الزنجي ، لأن له أصلا في البرّ .  
وقال بعضهم : صيد البرّ ما كان كونه في البرّ أكثر من كونه في البحر .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ابن جريج : أخبرنا ، قال : سألت عطاء ، عن ابن الماء ، أصيد برّ ، أم بحر ، وعن أشباهه ؟ فقال : حيث يكون أكثر فهو صيده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : أكثر ما يكون حيث يُفترخ ، فهو منه .

القول في تأويل قوله ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ) :

وهذا تقدّم من الله تعالى ذكره إلى خلقه ، بالخذر من عقابه على معاصيه ، يقول تعالى : واتقوا الله أيها الناس ، واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ، وفيما نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، من النهي عن الخمر والميسر ، والأنصاب والأزلام ، وعن إصابة صيد البرّ وقتله في حال

إحرامكم ، وفي غيرها ، فإن الله مصيركم ومرجعكم ، فيعاقبكم بمعصيتكم إياه ، ومجازيكم ، فثيبكم على طاعتكم له .

القول في تأويل قوله

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ، ذَلِكَ لَتَعْلَمُوْا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : صَيَّرَ اللهُ الكعبة البيت الحرام قِيَامًا لِلنَّاسِ ، الذين لا قِيَامَ لهم ، من رئيس يحجز قويمهم عن ضعيفهم ، ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم ، والشهر الحرام ، والهدى والقلائد ، فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض ، إذ لم يكن لهم قيام غيره ، وجعلها معالم لدينهم ، ومصالح أمورهم ، والكعبة سميت قِيَامًا قِيلَ كعبة لثربيعها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : إنما سميت الكعبة لأنها مربعة . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد المؤدب ، عن النضر بن عريبي ، عن عكرمة ، قال : إنما سميت الكعبة لثربيعها . وقيل ( قِيَامًا لِلنَّاسِ ) بالياء ، وهو من ذوات الواو ، لكسرة القاف ، وهي فاء الفعل ، فجعلت العين منه بالكسرة ياء ، كما قيل في مصدر : قمت قياما ، وصمت صياما ، فحوّلت العين من الفعل وهي واو ياء ، لكسرة فائه ، وإنما هو في الأصل : قمت قيواما ، وصمت صيواما ، وكذلك قوله ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) فحوّلت واوها ياء ، إذ هي قِيَامٌ ، وقد جاء ذلك من كلامهم مقولا على أصله الذي هو أصله ، قال الراجز :

قِيَامٌ دُنْيَا وَقِيَامٌ دِينٌ ١

فجاء به بالواو على أصله ، وجعل تعالى ذكره ، الكعبة ، والشهر الحرام ، والهدى ، والقلائد قِيَامًا لِمَنْ كان يحترم ذلك من العرب ويعظمه ، بمنزلة الرئيس الذي يقوم به أمر تبعه .

وأما الكعبة ، فالحرم كله ، وسماها الله تعالى حراما لتحريره إياها أن يصاد صيدها ، أو يختلئ خلالها ، أو يعضد شجرها . وقد بينا ذلك بشواهد في ماضى قبل .

وقوله ( وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ) يقول تعالى ذكره : وجعل الشهر الحرام والهدى والقلائد أيضا قِيَامًا لِلنَّاسِ ، كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قِيَامًا . والناس الذين جعل ذلك لهم قِيَامًا ، مختلف فيهم ، فقال بعضهم : جعل الله ذلك في الجاهلية قِيَامًا لِلنَّاسِ كلهم . وقال بعضهم : بل عني به العرب خاصة .

(١) في (اللسان : قوم) : قوام الأمر ، بالكسر : نظامه وعباده . ويقال : هذا قوام الأمر وملاكه : الذي يقوم به . وقال القراء في معنى الآية : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قِيَامًا » : يعني التي تقومون قِيَامًا وقواما .... وقوام كل شيء : ما استقام به . ولم نغف على قائل البيت .

وبمثل الذي قلنا في تأويل القيوم ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال : عن الله تعالى بقوله ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) ( القيوم ، على نحو ما قلنا .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا من سمع خَصِيفًا يحدث عن مجاهد في ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) قال : قيواما للناس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن خَصِيف ، عن سعيد بن جبير ( قِيَامًا لِلنَّاسِ ) قال : صلاحا لدينهم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) قال : حين لا يرجون جنة ، ولا يخافون نارا ، فشدّد الله ذلك بالإسلام .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير ، قوله ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) قال : شدة لدينهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عُمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) قال : قيامها : أن يأمن من توجه إليها :

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) والشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَدْيَنَ وَالْقَلَائِدَ ) يعني قياما لدينهم ، ومعالم حجّهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) والشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَدْيَنَ وَالْقَلَائِدَ ) جعل الله هذه الأربعة قياما للناس ، هو قوام أمرهم .

وهذه الأقوال وإن اختلفت من قائلها ألفاظها ، فإن معانيها آيلة إلى ما قلنا في ذلك ، من أن القيوم للشيء ، هو الذي به صلاحه ، كالمملك الأعظم قيوام رعيته ومن في سلطانه ، لأنه مدبر أمرهم ، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم ، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم ، وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والمدني والقلائد ، قيوام أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية ، وهي في الإسلام لأهلها معالم حجّهم ومناسكهم ، ومتوجههم لصلاتهم ، وقيلتهم التي باستقبالها يتم فرضهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قالت جماعة أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حاد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ) والشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَدْيَنَ وَالْقَلَائِدَ ) حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية ، فكان الرجل لو جرّ كلّ جريرة ، ثم لجأ إلى الحرم ، لم يتناول ،

ولم يُقرب ، وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام ، لم يعرض له ، ولم يقربه ، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر ، فأحتمه ومنعته من الناس ، وكان إذا نفر تقلد قلادة من الإذخر ، أو من لحاء السمُر ، فنعته من الناس ، حتى يأتي أهله ، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدَى وَالْقَلَائِدَ ) قال : كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض ، قال : ولم يكن في العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض ، فجعل الله تعالى لهم البيت الحرم قياما ، يدفع بعضهم عن بعض به ، والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالأشهر الحرم والقلائد ، قال : ويلقى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له ، وهذا كله قد نسخ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَالْقَلَائِدَ ) كان ناس يتقلدون لحاء الشجر في الجاهلية ، إذا أرادوا الحج ، فيعرفون بذلك ؛ وقد أتينا على البيان عن ذكر الشهر الحرام والهدى والقلائد فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله ( ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) :

يقول تعالى ذكره بقوله ( ذَلِكَ ) تصديره الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد . يقول تعالى ذكره : صيّرت لكم أيها الناس ذلك قياما ، كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث مما به قوامكم ، علما منه بمنافعكم ومضاركم أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض ، مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم ، ولتعلموا أنه بكل شيء عليم ، لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم ، وهو محصيا عليكم ، حتى يجازي المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء منكم بإساءته .

القول في تأويل قوله

أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : اعلموا أيها الناس أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلائيها ، وهو يحصيا عليكم ليجازيكم بها ، شديد عقابه من عصاه ، وتمرد عليه على معصيته إياه ، وهو غفور لذنوب من أطاعه ، وأناب إليه ، فسائر عليه ، وتارك فضيحتة بها ، رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه ، بعد إنابته وتوبته منها .

القول في تأويل قوله

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)

يقول تعالى ذكره : وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد ، يقول تعالى ذكره : ليس على رسولنا الذي أرسلناه إليكم أيها الناس بلنذاركم عقابنا ، بين يدي عذاب شديد ، وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم ، إلا أن

يُودَى إِلَيْكُمْ رسالتنا ، ثم إلينا الثواب على الطاعة ، وعلينا العقاب على المعصية ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ) يقول : وغير خفي علينا ، المطيع منكم ، القابل رسالتنا ، العامل بما أمرته بالعمل به ، من العاصي التارك العمل بما أمرته بالعمل به ، لأننا نعلم ما عمله العامل منكم ، فأظهره بجوارحه ، ونطق به بلسانه ، ( وَمَا تَكْتُمُونَ ) يعني : ما تخفونه في أنفسكم ، من إيمان وكفر ، أو يقين وشك ونفاق ، يقول تعالى ذكره : فمن كان كذلك لا يخفى عليه شيء من ضائر الصدور ، وظواهر أعمال النفوس ، مما في السموات وما في الأرض ، وييده الثواب والعقاب ، فحقيق أن يتقى ، وأن يُطاع فلا يعصى .

القول في تأويل قوله

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : لا يعتدل الرديء والجليد ، والصالح والطالح ، والمطيع والعاصي ( وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ) يقول : لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ، ولو كثرت أهل المعاصي ، فعجبت من كثرتهم ، لأن أهل طاعة الله هم المفلحون ، الفائزون بثواب الله يوم القيامة ، وإن قلوبا ، دون أهل معصيته ، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا . يقول تعالى ذكره لنبية ، صلى الله عليه وسلم : فلا تعجب من كثرة من يعصى الله فيمهله ولا يعاجله بالعقوبة ، فإن العقبي الصالحة لأهل طاعة الله عنده ، دونهم .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ) قال : الخبيث : هم المشركون ، والطيب : هم المؤمنون . وهذا الكلام وإن كان مخرجه مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمراد به بعض أتباعه ، يدل على ذلك قوله ( فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) : القول في تأويل قوله ( فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث ، فتصيروا منهم ( يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ) يعني بذلك : أهل العقول والحجا ، الذين عقلوا عن الله آياته ، وعرفوا مواقع حججه ( لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) يقول : اتقوا الله لتفلحوا : أي كى تنجحوا في طلبتكم ما عنده .

القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ، وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ ، عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١)

ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَنْزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبَبِ مَسَائِلَ كَانَ يَسْأَلُهَا إِيَّاهُ أَقْوَامٌ ،  
امْتَحَانًا لَهُ أحيانًا ، واستهزاءً أحيانًا ، فيقول له بعضهم : من أبي ؟ ويقول له بعضهم إذا ضلّت ناقته : أين  
ناقتي ؟ فقال لهم تعالى ذكره : لا تسألوا عن أشياء من ذلك ، كسألة عبد الله بن حذافة إياه : من أبوه ؟  
( إن تُبَدِّلْ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) يقول : إن أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه ، ساءكم إبدؤها وإظهارها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، تظاهرت الأخبار ، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
ذكر الرواية بذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا بعض بني نُسَيْبٍ ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، قال : ثنا أبو الجُؤَيَّرِية ،  
قال : قال ابن عباس لأعرابي من بني سليم : هل تدرى فيما أنزلت هذه الآية ( يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ،  
لا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) حتى فرغ من الآية ، فقال : كان قوم يسألون  
رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاءً ، فيقول الرجل : من أبي ؟ والرجل تفضل ناقته فيقول : أين ناقتي ؟  
فأنزل الله فيهم هذه الآية .

حدثني محمد بن المنثري ، قال : ثنا أبو عامر وأبو داود ، قالوا : ثنا هشام ، عن قتادة ، عن أنس ،  
قال : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أحققوه بالمسألة ، فصعد المنبر ذات يوم ، فقال :  
« لا تَسْأَلُونِي عَن شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنَّتُهُ لَكُمْ » ، قال أنس : فجعلت أنظر يمينا وشمالا ، فأرى كل إنسان  
لافتاً ثوبه يبكي ، فأنشأ رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا رسول الله ، من أبي ؟ فقال :  
أبوكَ حذافةٌ ، قال : فأنشأ عمر ، فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم  
رسولا ، وأعوذ بالله من سوء الفتن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَمْ أَرِ فِي الشَّرِّ وَالْخَيْرِ كَالْيَوْمِ  
قَطُّ ، إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَأَى الْحَائِطُ . وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند  
هذه الآية : ( لا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) .

حدثني محمد بن معمر البحراني ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني موسى  
ابن أنس ، قال : سمعت أنسا يقول : قال رجل : يا رسول الله من أبي ؟ قال : أبوكَ فلانٌ ، قال :  
فنزلت ( يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( يا أيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) قال : فحدثنا أن أنس بن مالك حدثهم ،  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله ، حتى أحققوه بالمسألة ، فخرج عليهم ذات يوم ، فصعد المنبر ،  
فقال : لا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَن شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنَّتُهُ لَكُمْ ، فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أن يكون بين يديه أمر قد حضر ، فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالا إلا وجدت كُلا لَافِتًا رأسه في ثوبه  
يبكي ، فأنشأ رجل كان يلاحى فيدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا نبي الله من أبي ؟ قال : أبوكَ حذافةٌ ،  
قال : ثم قال عمر ، أو قال : فأنشأ عمر ، فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم

رسولا عائدا بالله ، أو قال : أعوذ بالله من سوء الثمن ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم أر في الحسير والشّر كالليوم قط ، صوّرت لي الجنة والنار ، حتى رأيتُهُما دون الحائط » .

حدثنا أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، قال : سألت عكرمة مولى ابن عباس ، عن قوله ( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ) قال : ذلك يوم قام فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ، قال : فقام رجل ، فكره المسلمون مقامه يومئذ ، فقال : يا رسول الله ، من أبي ؟ قال : أبوك حذافة ، قال : فنزلت هذه الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : نزلت ( لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ) في رجل قال : يا رسول الله من أبي ؟ قال : أبوك فلان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : سألو النبي صلى الله عليه وسلم حتى أكثروا عليه ، فقام مغضبا خطيبا ، فقال : سلوني فتوالله لا تسألوني عن شيء ما دُمت في مقامى إلا حدتكم ، فقام رجل فقال : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة ، واشتد غضبه وقال : سلوني ، فلما رأى الناس ذلك كثر بكأؤهم ، فجثا عمر على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله ربنا . قال معمر : قال الزهرى : قال أنس مثل ذلك ، فجثا عمر على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذي نفسي بيده ، لقد صوّرت لي الجنة والنار آنيفا في عرض هذا الحائط ، فأمم أر كالليوم في الحسير والشّر . قال الزهرى : فقالت أم عبد الله بن حذافة : ما رأيت ولدا أعق منك قط ، أتأمن أن تكون أمك قارفت ما قارف أهل الجاهلية ، فتفضحتها على رموس الناس ، فقال : والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ) قال : غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام فقام خطيبا ، فقال : « سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به ، فقام إليه رجل من قريش من بني سهيم ، يقال له عبد الله بن حذافة ، وكان يطعن فيه ، قال : فقال يا رسول الله ، من أبي ؟ قال : أبوك فلان ، فدعاه لأبيه ، فقام إليه عمر ، فقبّل رجله وقال : يا رسول الله ، رضينا بالله ربا ، وبك نبيا ، وبالإسلام ديننا ، وبالقرآن إماما ، فاعف عنا ، عفا الله عنك ، فلم يزل به حتى رضى ، فيومئذ قال : الولد للفيرآش ، وللعاهير الحجر » .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمرا وجهه ، حتى جلس على المنبر ،

فقام إليه رجل ، فقال : أين أبي ؟ قال : في النَّارِ ، فقام آخر فقال : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة ،  
فقام عمر بن الخطاب ، فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، وبالقرآن  
إماما ، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك ، والله يعلم من آباؤنا ، قال : فسكن غضبه ، ونزلت  
( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل مسألة سائل ، سأله عن  
شيء في أمر الحج .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا منصور بن وردان الأسدي ، قال : ثنا علي بن عبد الأعلى ، قال :  
لما نزلت هذه الآية ( والله على النَّاسِ حَاجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ) قالوا : يا رسول الله  
أفي كل عام ؟ فسكت ، ثم قالوا : أفي كل عام ؟ فسكت ، ثم قال : لا ، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ ،  
فأنزل الله هذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سليمان ، عن إبراهيم بن مسلم الهجري ، عن ابن عياض ،  
عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ ، فقال  
رجل : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى عاد مرتين أو ثلاثا ، فقال : مَنِ السَّائِلُ ؟ فقال :  
فلان ، فقال : والذي نفسي بيده ، لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ ، وَلَوْ وَجِبَتْ عَلَيْكُمُ مَا أَطَقْتُمُوهُ ،  
وَلَوْ تَرَ كُتْمُوهُ لَكَفَّرْتُمُ » فأنزل الله هذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن  
تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) ، حتى ختم الآية .

حدثني محمد بن علي بن الحسين بن شقيق ، قال : سمعت أبي ، قال : أخبرنا الحسين بن واقد ، عن  
محمد بن زياد ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها  
النَّاسُ ، كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ ، فقام محصن الأسدي ، فقال : أفي كل عام يا رسول الله ؟  
فقال : أما إني لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ ، وَلَوْ وَجِبَتْ لَمُ تَرَ كُتْمٌ لَضَلَّكُمُ ، اسْكُتُوا عَنِّي  
مَا سَكَّتْ عَنْكُمُ ، فَلَمَّا هَلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَأَخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ »  
فأنزل الله تعالى ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) إلى آخر الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد ، قال :  
سمعت أبا هريرة يقول : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله ، إلا أنه قال : فقام عكاشة  
ابن محصن الأسدي .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي العمر ، قال : ثنا  
أبو مطيع معاوية بن يحيى ، عن صفوان بن عمرو ، قال : ثنا سليم بن عامر ، قال : سمعت أبا أمامة الباهلي  
يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ ؟ فقام رجل من



الأعراب فقال : أفي كل عام ؟ قال : فعلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسكت ، وأغضب واستغضب ، فكث طويلا ، ثم تكلم فقال : مَنْ السَّائِلُ ؟ فقال الأعرابي : أنا ذا ، فقال : وَيْحَكَ مَاذَا يُؤْمِنُكَ أَنْ أَقُولَ نَعَمْ ، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ ، وَلَوْ وَجِبَتْ لَكَفَرْتُمْ ، أَلَا إِنَّهُ لَأَنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أُمَّةٌ الْحَرَجِ ، وَاللَّهُ لَوَ أَتَى أَحَلَلْتُ لَكُمْ بِمَجِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ ، وَحَرَمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا مَوْضِعَ خُفٍّ لَوْ قَعْتُمْ فِيهِ . قال : فأنزل الله تعالى عند ذلك ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس ، فقال : « يا قوم ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ ، فقام رجل من بني أسد فقال : يا رسول الله ، أفي كل عام ؟ فأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فقال : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ ، وَلَوْ وَجِبَتْ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَنْ لَكَفَرْتُمْ ، فأتروكوني ما تَرَكَتْكُمْ ، فإذا أمرتكم بشيء فافعلوا ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه » . فأنزل الله تعالى ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة ، فأصبحوا بها كافرين ؛ فنهى الله تعالى عن ذلك ، وقال : لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتعليق ساء كم ذلك ، ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن ، فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم نبيانه .

حدثني أبو عاصم ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، قال : ثنا علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، قوله ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) ، وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ ) قال : لما أنزلت آية الحج ، نادى النبي صلى الله عليه وسلم في الناس ، فقال « يا أيها النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا ، فقالوا يا رسول الله ، أعاما واحدا ؟ أم كل عام ؟ فقال : لا بل أعاما واحدا ، وَلَوْ قُلْتُ كُلَّ عَامٍ لَوَجِبَتْ ، وَلَوْ وَجِبَتْ لَكَفَرْتُمْ » قال الله تعالى ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) قال : سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء فوعظهم ، فانتهوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، فقيل : أواجب هو يا رسول الله كل عام ؟ قال : لا ، لَوْ قُلْتُهَا لَوَجِبَتْ ، وَلَوْ وَجِبَتْ مَا أَطَقْتُمْ ، وَلَوْ لَمْ تُطَبِّقُوا لَكَفَرْتُمْ ، ثم قال : سألوني فلا يسألني رجل في مجليسي هذا عن شيء إلا أخبرته ، وَإِنْ سَأَلْتَنِي عَنَ أَبِيهِ ، فقام إليه رجل ، فقال : من أبي ؟

قال : أَبُوكَ حُدَاةٌ بَنُ قَيْسٍ ، فقام عمر فقال : يا رسول الله ، رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، ونعوذ بالله من غضبه ، وغضب رسوله .  
وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ) قال : هي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، ألا ترى أنه يقول بعد ذلك : ما جعل الله من كذا ولا كذا . قال : وأما عكرمة ، فإنه قال : إنهم كانوا يسألونه عن الآيات ، فنهوا عن ذلك ، ثم قال : قد سألتها قوم من قبلكم ، ثم أصبحوا بها كافرين ، قال : فقلت : قد حدثني مجاهد بخلاف هذا عن ابن عباس ، فمالك تقول هذا ؟ ، فقال : هيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن ابن عَوْن ، عن عكرمة ، عن الأعمش قال : هو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبي ؟ وقال سعيد بن جبير : هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة .

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية من أجل لإكثار السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل ، كمشكلة ابن حذافة إياه من أبوه ؟ ومشكلة سائله إذ قال : إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْحَيْجَ : أَى كَلَّ عَامٌ ؟ وما أشبه ذلك من المسائل ، لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين ، وعامة أهل التأويل . وأما القول الذي رواه مجاهد عن ابن عباس ، فقوله غير بعيد من الصواب ، ولكن الأخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه ، وكرهنا القول به من أجل ذلك ، على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، كانت فيما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التي كرهه الله لهم السؤال عنها ، كما كرهه الله لهم المسئلة عن الحج ، أكل عام هو ؟ أم عاما واحدا ؟ وكما كرهه لعبد الله بن حذافة مشئلته عن أبيه ، فنزلت الآية بالنهي عن المسائل كلها ، فأخبر كل مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله ، أو أجل غيره . وهذا القول أولى الأقوال في ذلك عندى بالصحة ، لأن مخارج الأخبار بجميع المعاني التي ذكرت صحاح ، فتوجهها إلى الصواب من وجوهها أولى .

القول في تأويل قوله ( وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ، عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا ، وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ) :

يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عما نهاهم عن مسألته إياه عنه ، من فرائض لم يفرضها الله عليهم ، وتحليل أمور لم يحللها لهم ، وتحريم أشياء لم يحرمها عليهم ، قبل نزول القرآن بذلك : أيها المؤمنون السائلون عما سألوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تسألوا عنه ، فإنكم إن أظهر ذلك لكم تبيان بوحي وتنزيل ساءكم ، لأن

التنزيل بذلك إذا جاءكم إنما يخيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم ، إما بإيجاب عمل عليكم ، ولزوم فرض لكم ، وفي ذلك عليكم مشقة ، ولزوم مؤنة وكلفة ؛ وإما بتحريم ما لو لم يأتكم بتحريمه وحى ، كنتم من التقدم عليه في فسحة وسعة ؛ وإما بتحليل ما تعتقدون تحريمه ، وفي ذلك لكم مساءة لنقلكم عما كنتم ترونه حقا ، إلى ما كنتم ترونه باطلا ، ولكنكم إن سألتم عنها بعد نزول القرآن بها ، وبعد ابتدائكم شأن أمرها في كتابي إلى رسولي إليكم ، بين لكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابي ، وتأويل تنزيلي ووحى . وذلك نظير الخبر لذي روى عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي حدثنا به هناد بن السري ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن داود بن أبي هند ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخشني ، قال : « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحدت حدودا فلا تعتدوها ، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، قال : كان عبيد بن عمير يقول : إن الله تعالى أحلّ وحرم ، فما أحلّ فاستحلوه ، وما حرم فاجتنبوه ، وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرمها ، فذلك عفو من الله عفاها ، ثم يتلو ( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ) .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا الضحاك ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء ، عن عبيد ابن عمير ، أنه كان يقول : إن الله حرم وأحلّ ، ثم ذكر نحوه .

وأما قوله ( عفا الله عنها ) فإنه يعني به : عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتكم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي كره الله لكم مسألتكم إياه عنها ، أن يؤاخذكم بها ، أو يعاقبكم عليها ، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم ( والله غفورٌ ) يقول : والله سائر ذنوب من تاب منها ، فتارك أن يفضحه في الآخرة ( حاتم ) أن يعاقبه بها لتغمدته التائب منها برحمته وعفوه ، عن عقوبته عليها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس الذي ذكرناه آنفا .

وذلك ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لا تسألوا عن أشياء ) إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن ، فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه .

القول في تأويل قوله

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : قد سأل الآيات قوم من قبلكم ، فلما آتاهمها الله ، أصبحوا بها جاحدين منكبين أن تكون دلالة على حقيقة ما احتج بها عليهم ، وبرهاننا على صحة ما جعلت برهاننا على تصحيحه ، كقوم صالح الذين سألوا الآية ؛ فلما جاءتهم الناقة آية عقروها . وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم

من السماء : فلما أُعْطُوها كفروا بها وما أشبه ذلك ، فحذّر الله تعالى المؤمنين بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا سبيل من قبلهم من الأمم التي هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند مسألتهموها ، فقال لهم : لا تسألوا الآيات ، ولا تبحثوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، فقد سأل الآيات من قبلكم قوم ؛ فلما أوتوها أصبحوا بها كافرين .

كالذي حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبْدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) : نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة ، فأصبحوا بها كافرين ، فنهى الله عن ذلك .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَدْ سَأَلْنَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ) قد سأل الآيات قوم من قبلكم ، وذلك حين قيل له : غَيَّرْنَا لَنَا الصِّفَا ذَهَبًا .

القول في تأويل قوله

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : ما بخر الله بحيرة ولا سائب سائبة ، ولا وصل وصيلة ، ولا حمى حاميا ، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة ، فحرمتموه افتراء على ربكم .

كالذي حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثني أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن ابن الهاد ، وحدثني يونس ، قال : ثنا عبد الله بن يوسف ، قال : ثني الليث ، قال : ثني ابن الهاد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخَزَاعِيَّ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّائِبَةَ» .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكم بن الجون : « يَا أَكْثَمُ رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ حِنْدَفٍ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ ، فَأَرَأَيْتَ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِّنْكَ بِهِ ، وَلَا بِهِ مِثْلَكَ ، فَقَالَ أَكْثَمُ : أَخْشَى أَنْ يَضْرُقَ شِبْهَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا ، إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ ، إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَسَّيَرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ ، وَبَحَّرَ الْبَحِيرَةَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وَحَمَى الْحَامِيَّ » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس ، قال : ثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَدْ عَرَفْتُ أَوَّلَ مَنْ بَحَّرَ الْبَحَائِرَ رَجُلٌ مِّنْ مُدْلِجٍ ، كَانَتْ لَهُ نَاقَتَانِ فَجَدَعَ آذَانَهُمَا وَحَرَّمَ الْبَاتِنَهُمَا وَظَهَّرَهُمَا وَقَالَ : هَاتَانِ لِلَّهِ ، ثُمَّ احْتَجَّ إِلَيْهِمَا فَشَرَبَ الْبَاتِنَهُمَا ، وَرَكَبَ ظَهْرَهُمَا قَالَ : فَلَقَدْتُ رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ يُؤَذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ قُصْبِهِ » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبيدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُرِضَتْ عَلَى النَّارِ ، فَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ فُلَانٍ بِنِ فُلَانِ بْنِ فُلَانِ بْنِ خِنْدَفٍ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ ، وَهُوَ أَوْلُ مَنْ غَسَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وَأَشْبَهَ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ أَكْثَمُ بَنِ الْجَوْنِ ، فَقَالَ أَكْثَمُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيضَرْتَنِي شَبَهُ ؟ قَالَ : لَا ، لِأَنَّكَ مُسْلِمٌ ، وَإِنَّهُ كَافِرٌ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصْبَهُ فِي النَّارِ ، وَهُوَ أَوْلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأَتِي لَأَعْرِفُ أَوْلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ ، وَأَوْلَ مَنْ غَسَّرَ عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ ، قَالُوا مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ أَخُو بَنِي كَعْبٍ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يُجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ ، يُؤْذِي رِيحَهُ أَهْلَ النَّارِ ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ أَوْلَ مَنْ بَجَّرَ الْبَحَائِرَ ، قَالُوا : مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَتَانِ ، فَجَدَعَ آذَانَهُمَا ، وَحَرَّمَ الْبَاءَئِهِمَا ، ثُمَّ شَرِبَ الْبَاءَئِهِمَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ هُوَ وَهُمَا يَعْضَانِهِ بِأَفْوَاهِهِمَا ، وَيَخْبِطَانِهِ بِأَخْفَافِهِمَا » .

والبحيرة : الفعيلة ، من قول القائل : بَحَّرْتُ أذن هذه الناقة : إذا شقها ، أَبَجَّرَهَا بَجْرًا ، والناقة مبحورة ، ثم تصرف المفعولة إلى فعيلة ، فيقال : هي بحيرة . وأما البَحِيرُ من الإبل : فهو الذي قد أصابه داء من كثرة شرب الماء ، يقال منه : بَحِيرُ البعير يَبْحَرُ بَحْرًا ، ومنه قول الشاعر :

لَأَعْلِطَنَّكَ وَسَمًا لَا تَفَارِقُهُ كَمَا يُحَزُّ بِحُمَى الْمَيْسَمِ الْبَحِيرُ<sup>١</sup>

وينحو الذي قلنا في معنى البحيرة ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص ، عن أبيه ، قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَرَأَيْتَ إِيَّاكَ أَلَسْتَ تَنْتَجِبُهَا مُسَلِّمَةً آذَانَهَا ، فَتَأْخُذُ الْمُوسَى فْتَجِدُهَا عَلَيْهَا ، تَقُولُ : هَذِهِ بَحِيرَةٌ ، وَتَشُقُّ آذَانَهَا ، تَقُولُ هَذِهِ حَرْمٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّ سَاعِدَ اللَّهِ أَشَدُّ ، وَمُوسَى اللَّهُ أَحَدٌ ، كُلُّ مَالِكَ لَكَ حَلَالٌ ، لَا يَحْرُمُ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت

(١) البيت في (اللسان : علط ، وبجر) وروايته فيه : « لأعلطته . . . » « لا يفارقه » . وهو من شواهد الفراء . قال الفراء : البحر : أن يلقى البعير بالماء ، فيكثر منه ، حتى يصبه منه داء . يقال : بحر يبحر ببحرا ، فهو بحر ، وأشد . . . البيت . قال : وإذا أصابه الداء كوى في مواضع فيبرأ . قال الأزهري : الداء الذي يصبب البعير فلا يروى من الماء : هو النجر ، بالتون والجيم ، والبحر ، بالباء والجيم . وأما البحر : فهو داء يورث السل ، وأبعر الرجل : إذا أخذ السل . ورجل بغير وجر مسلول : ذاهب اللحم ، عن ابن الأعرابي . والبحير والبحر : الذي به السل . عن أبي عمرو . والعلط : الوسم بالعلاط ، وهو الميسم الذي يكوى به . وعلطه بالقول أو بالشر : وسمه ، عل الهجاز ، وهو أن يرميه بعلامة يعرف بها .

أبا الأحوص ، عن أبيه ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هل تَنْتَسِحُّ إِبْرِيْلُ قَوْمِيكَ صَحَاحًا إِذَا أَتَاهَا فَتَعْمِدُ إِلَى الْمُوسَى فَتَقْطَعُ إِذَا أَتَاهَا ، فَتَقُولُ هَذِهِ بِحُرٍّ وَتَشْفُهَا أَوْ تَشْقُ جُلُودَهَا ، فَتَقُولُ : هَذِهِ حُرٌّ » ، فَتَحْرَمُهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ ؟ قال : نعم ، قال : فإنَّ مَا آتَاكَ اللَّهُ لَكَ حَيْلٌ ، وَسَاعِدُ اللَّهُ أَشَدُّ ، وَمُوسَى اللَّهُ أَحَدٌ » وربما قال : « ساعد الله أشد من ساعدك ، وموسى الله أحد من موساك » .

وأما السائبة : فإنها المسيبة المخلاة ، وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه ، فيحرم الانتفاع به على نفسه ، كما كان بعض أهل الإسلام ، يعتق عبده سائبة ، فلا ينتفع به ولا بولائه ، وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة ، كما قيل : ( عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ ) ، بمعنى : مرضية .

وأما الوصيلة ، فإن الأثني من نَعَمْتِهِمْ في الجاهلية ، كانت إذا أتممت بطنا بذكر وأنثى ، قيل : قد وَصَّاتِ الْأَثْنَى أَخَاهَا ، بدفعها عنه الذبح ، فسموها وصيلة .

وأما الحامى : فإنه الفحل من النعم يحمى ظهره من الركوب ، والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فحلته .

وقد اختلف أهل التأويل في صفات المسميات بهذه الأسماء ، وما السبب الذي من أجله كانت تفعل ذلك ؟ ذكر الرواية بما قيل في ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، عن أبي إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أباصالح السمان ، حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكم بن الجون الخزاعي : « يَا أَكْثَمُ ، رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ حِنْدَفٍ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ رَجُلٍ أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ ، وَلَا بِهِ مِنْكَ ، فَقَالَ أَكْثَمُ : أَيُضْرَقِي شَبَهَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا ، لِأَنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ ، وَإِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَسَّيرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ ، وَنَصَبَ الْأَوْثَانَ ، وَسَيَّبَ السَّوَابِغَ فِيهِمْ » . وذلك أن الناقة إذا تابعت ثنتي عشرة إناثا ليس فيها ذكر ، سئبت ، فلم يركب ظهرها ، ولم يمزَّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضعيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقَّ أذنها ثم حُخِّلَ سبيلها مع أمها في الإبل ، فلم يركب ظهرها ، ولم يمزَّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضعيف ، كما فُعِلَ بأمها ، فهي البهيرة ابنة السائبة . والوصيلة : أن الشاة إذا نُتِجَتْ عشر إناث متتابعات ، في خمسة أبطن ليس فيهن ذكر ، جمعت وصيلة ، قالوا : وصات ، فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شيء ، فيشتركون في أكله ذكورهم وإناثهم . والحامى : أن الفحل إذا نُتِجَ له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، حمى ظهره ، ولم يركب ، ولم يمزَّ وبره ، ويحُخِّلُ في إبله يضرب فيها ، لا ينتفع به بغير ذلك . يقول الله تعالى ذكره ( مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ) . . . إلى قوله ( وَلَا يَهْتَدُونَ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق في هذه الآية ( ما جعل الله من بحيرة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حام ) .  
قال أبو جعفر : سقط على فيما أظن كلام منه ، قال : فأثبت علقمة فسألته ، فقال : ما تريد إلى شيء كانت تصنعه أهل الجاهلية .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مسلم ، قال : أثبت علقمة ، فسألته عن قول الله تعالى ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ) فقال : وما تصنع بهذا ؟ إنما هذا شيء من فعل الجاهلية ، قال : فأثبت مسروقا ، فسألته ، فقال : البحيرة : كانت الناقة إذا ولدت بطنا خسا أو سبعا ، شقوا أذنبا ، وقالوا : هذه بحيرة . قال ( ولا سائبة ) قال : كان الرجل يأخذ بعض ماله ، فيقول : هذه سائبة . قال ( ولا وصيلة ) قال : كانوا إذا ولدت الناقة الذكر ، أكله الذكور دون الإناث ، وإذا ولدت ذكرا وأنثى في بطن ، قالوا : وصلت أخاها ، فلا يأكلونها ، قال : فإذا مات الذكر ، أكله الذكور دون الإناث . قال : ولا حام ، قال : كان البعير إذا ولد ، وولد ولده ، قالوا : قد قضى هذا الذي عليه ، فلم ينتفعوا بظهره ، قالوا : هذا حام .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، قال : سألت علقمة ، عن قوله ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ) قال : ما تصنع بهذا ؟ هذا شيء كان يفعله أهل الجاهلية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ويحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ( ما جعل الله من بحيرة ) قال : البحيرة : التي قد ولدت خمسة أبطن ، ثم تركت .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( ما جعل الله من بحيرة ) قال : البحيرة : المخضومة ( ولا سائبة ) والسائبة : ماسية للهدى . والوصيلة : إذا ولدت بعد أربعة أبطن فيما يرى جرير ، ثم ولدت الخامس ذكرا وأنثى ، وصلت أخاها . والحام : الذي قد ضرب أولاد أولاده في الإبل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي بنحوه ، إلا أنه قال : والوصيلة : التي ولدت بعد أربعة أبطن ذكرا وأنثى ، قالوا : وصلت أخاها ، وسائر الحديث ، مثل حديث ابن حميد .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، عن زكريا ، عن الشعبي ، أنه سئل عن البحيرة ؟ فقال : هي التي تجتمع آذانها ، وسئل عن السائبة ؟ فقال : كانوا يهتدون لآلتهم الإبل والغنم فيتركونها عند آلتهم لتذبح ، فتخالط بغنم الناس ، فلا يشرب ألبانها إلا الرجال ، فإذا مات منها شيء ، أكله الرجال والنساء جميعا .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( ما جعل الله من بحيرة ) وما معها : البحيرة من الإبل ، يحرم أهل الجاهلية وبترها : وظهرها ولحمها ولبنها ، إلا على الرجال ، فما ولدت من ذكر وأنثى فهو على هيئتها ، وإن ماتت اشترك

الرجال والنساء في أكل لحمها ، فإذا ضَرَبَ الحمل من ولد البحيرة فهو الحامى ؛ والسائبة من الغنم على نحو ذلك ، إلا أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد ، كان على هيئتها ، فإذا ولدت في السابع ذكرا أو أنثى ، أو ذكراين ، ذبحوه ، فأكله رجالهم دون نساءهم ؛ وإن توأمت أنثى وذكرا فهي وصيلة ، ترك ذبح الذكر بالأنثى ، وإن كانتا أنثيين تركتا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ( ما جعلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ) فالبحيرة : الناقة ، كان الرجل إذا ولدت خمسة أبطن ، فيعمد إلى الخامسة ، فما لم يكن سَقْبًا ، فيبتك آذانها ، ولا يجرّ لها وَبْرًا ، ولا يذوق لها لبنًا ، فتلك البحيرة . ( وَلَا سَائِبَةٍ ) : كان الرجل يسيب من ماله ماشاء . ( وَلَا وَصِيلَةٍ ) : فهي الشاة إذا ولدت سبعا ، عمد إلى السابع ، فإن كان ذكرا ذبح ، وإن كان أنثى تركت ، وإن كان في بطنها اثنان ذكر وأنثى فولدتها ، قالوا : وصلت أخاها ، فيتركان جميعا لا يذبحان ، فتلك الوصيلة . وقوله ( وَلَا حَامٍ ) : كان الرجل يكون له الفحل ، فإذا لَمَّحَ عشرا ، قيل حام ، فاتركوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( ما جعلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ) ليسيوها لأصنامهم ( وَلَا وَصِيلَةٍ ) يقول : الشاة . ( وَلَا حَامٍ ) يقول : الفحل من الإبل .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ما جعلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ) : تشديد شدّده الشيطان على أهل الجاهلية في أمواهم ، وتغليظ عليهم ، فكانت البحيرة مثل الإبل : إذا نتج الرجل خمسا من إبله ، نظر البطن الخامس ، فإن كانت سَقْبًا ذبح ، فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان ميتة اشترك فيه ذكروهم وأنثاهم ، وإن كانت حائلا ، وهي الأنثى ، تركت ، فبُتِيكَتْ أذنها ، فلم يجرّ لها وبر ، ولم يشرب لها لبن ، ولم يركب لها ظهر ، ولم يذكر الله عليها اسم . وكانت السائبة : يُسَيَّبُونَ ما بدا لهم من أمواهم ، فلا تمتنع من حوض أن تشرع فيه ، ولا من حمى أن ترتع فيه . وكانت الوصيلة من الشاة : من البطن السابع ، إذا كان جَدًّا ذبح ، فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان ميتة اشترك فيه ذكروهم وأنثاهم ، وإن جاءت بذكر وأنثى ، قيل وصلت أخاها ، فنعته الذبح . والحام : كان الفحل إذا ركب من بني عشرة ، أو ولد ولده ، قيل حام ، حمى ظهره فلم يُزَمَ ، ولم يُحْطَمَ ، ولم يركب .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( ما جعلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ، وَلَا وَصِيلَةٍ ، وَلَا حَامٍ ) فالبحيرة من الإبل : كانت الناقة إذا نُتِيَجَتْ خمسة أبطن ، إن كان الخامس سَقْبًا ذبحوه ، فأهدوه إلى آلهتهم ، وكانت أمه من عرض الإبل ، وإن كانت ربعة استحبوها ، وشقوا أذن أمها ، وجرّوا وَبْرَها ، وخكّوها في البطحاء ، فلم تجز لهم في دية ، ولم يلبوا لها لبنا ، ولم يجرّوا لها وبرا ، ولم يحملوا على ظهرها ، وهي من الأنعام التي حرّمت ظهورها . وأما السائبة :



فهو الرجل يُسَيَّب من ماله ماشاء على وجه الشكر، إن كثر ماله، أو برأ من وجع، أو ركب ناقه فأنجح، فإنه يسمَّى السائبة، يرسلها فلا يعرض لها أحد من العرب إلا أصابته عقوبة في الدنيا. وأما الوصيلة، فمن الغنم: هي الشاة إذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة، فكان آخر ذلك جدياً، ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة، وإن كانت عناقاً استحيوها، وإن كانت جدياً وعناقاً استحيوها الجدي من أجل العناق، فإنها وصيلة وصلت أخاها. وأما الحام: فالفحل يَضْرِب في الإبل عشر سنين، ويقال: إذا ضرب ولد ولده، قيل: قد حمى ظهره، فيتركونه لا يمس، ولا ينحر أبداً، ولا يمنع من كلاً يريده، وهو من الأنعام التي حرمت ظهورها. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيَّب، في قوله (ما جعل الله من بحيرة، ولا سائبة، ولا وصيلة، ولا حام) قال: البحيرة من الإبل التي يمنع درها للطواغيت. والسائبة من الإبل: كانوا يسيبونها لطواغيتهم. والوصيلة من الإبل: كانت الناقة تبكر بأثني، ثم تثني بأثني، فيسمونها الوصيلة، يقولون: وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر، فكانوا يحدعونها لطواغيتهم، أو يذبحونها، الشك من أبي جعفر. والحام: الفحل من الإبل، كان يضرب الضراب المعداد، فإذا بلغ ذلك، قالوا: هذا حام، قد حمى ظهره فترك، فسموه الحام. قال معمر، قال قتادة: إذا ضرب عشرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: البحيرة من الإبل: كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، فإن كان الخامس ذكراً، كان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى بتكوا آذانها، ثم أرسلوها، فلم ينحروا لها ولداً، ولم يشربوا لها لبناً، ولم يركبوا لها ظهرها. وأما السائبة، فإنهم كانوا يسيبون بعض إبلهم، فلا تمنع حوضاً أن تشرع فيه، ولا مرعى أن ترتع فيه، والوصيلة: الشاة: كانت إذا ولدت سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكراً، ذبح وأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركت.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد، قال: ثنا عبيد بن سلمان، عن الضحاك (ما جعل الله من بحيرة، ولا سائبة، ولا وصيلة، ولا حام) أما البحيرة: فكانت الناقة إذا نتجوها خمسة أبطن، نحر والخاص إن كان سقياً، وإن كان ربعة شقوا أذنهما واستحيوها، وهي بحيرة. وأما السقبة فلا يأكل نساؤهم منه، وهو خالص لرجالهم، فإن ماتت الناقة أو نتجوها ميتاً، فرجالهم ونساؤهم فيه سواء: يأكلون منه. وأما السائبة: فكان يسيب الرجل من ماله من الأنعام، فيمك في الحمى، فلا ينتفع بظهره ولا بولده، ولا بلبنه، ولا بشعره، ولا بصوفه. وأما الوصيلة، فكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن ذبحوا السابع إذا كان جدياً، وإن كان عناقاً استحيوه، وإن كان جدياً وعناقاً استحيوها كليهما، وقالوا: إن الجدي وصلته أخته، فحرمته علينا. وأما الحامى: فالفحل إذا ركبوا أولاد ولده، قالوا: قد حمى هذا ظهره، وأحرز أولاد ولده، فلا يركبونه، ولا يمنعونه من حمى شجر، ولا حوض ماً شرع فيه، وإن لم يكن الحوض لصاحبه، وكانت من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها

في شيء من شأنهم ، لا إن ركبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن حلبوا ، ولا إن تتجوا ، ولا إن باعوا ، ففي ذلك أنزل الله تعالى ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ) . . . إلى قوله ( وأكثرتهم لا يعقلون ) .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حام ) قال : هذا شيء كانت تعمل به أهل الجاهلية ، وقد ذهب . قال : البحيرة : كان الرجل يمدع أذني ناقته ثم يعتقها ، كما يعتق جاريتة وغلّامه ، لانتحاب ، ولا تركب . والسائبة : يسيبها بغير تجديع . والحام : إذا نُسج له سبع إناث متواليات ، قد حمى ظهره ، ولا يركب ، ولا يعمل عليه . والوصيلة من الغنم : إذا ولدت سبع إناث متواليات حمت لحمها أن يؤكل .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الله بن يوسف ، قال : ثنا الليث بن سعد ، قال : ثنا ابن الهادي ، عن ابن شهاب ، قال : قال سعيد بن المسيب : السائبة : التي كانت تسيب ، فلا يحمل عليها شيء . والبحيرة : التي يمنع درها للطواغيت ، فلا يحملها أحد . والوصيلة : الناقة البكر ، تبكر أول نتاج الإبل بأنثى ، ثم تثني بعد بأنثى ، وكانوا يسمونها للطواغيت ، يدعونها الوصيلة ، إن وصات إحداهما بالأخرى . والحامى : فحل الإبل يضرب العشر من الإبل ، فإذا نقص ضرابه يدعونه للطواغيت ، وأعفوه من الحمل ، فلم يحملوا عليه شيئا ، وسموه الحامى ، وهذه أمور كانت في الجاهلية فأبطلها الإسلام ، فلا تعرف قوما يعملون بها اليوم . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما كانت الجاهلية تعمل به ، لا توصل إلى عمله ، إذ لم يكن له في الإسلام اليوم أثر ، ولا في الشرك نعرفه إلا بنجر ، وكانت الأخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذي ذكرناه .

فالصواب من القول في ذلك أن يقال : أما معاني هذه الأسماء ، فما بيّنا في ابتداء القول في تأويل هذه الآية . وأما كيفية عمل القوم في ذلك ، فما لا علم لنا به . وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك ، على ما قد حكينا ، وغير ضائر الجهل بذلك إذا كان المراد من علمه المحتاج إليه ، موصلا إلى حقيقته ، وهو أن القوم كانوا محرّمين من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله ، اتبعا منهم خطوات الشيطان ، فوبخهم الله تعالى بذلك ، وأخبرهم أن كل ذلك حلال ، فالحرام من كل شيء عندنا ، ما حرّم الله تعالى ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بنص أو دليل . والحلال منه : ما أحلّه الله ورسوله كذلك .

القول في تأويل قوله ( وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) :  
اختلف أهل التأويل في المعنى بالذين كفروا في هذا الموضع ، والمراد بقوله ( وأكثرتهم لا يعقلون ) فقال بعضهم : المعنى بالذين كفروا : اليهود ، وبالذين لا يعقلون : أهل الأوثان .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ( وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ) قال أهل الكتاب ( وأكثرتهم لا يعقلون ) قال : أهل الأوثان .

وقال آخرون : بل هم أهل ملة واحدة ، ولكنّ المفترين المتبوعون ، والذين لا يعقلون : الأتباع ، ذكر من قال ذلك :

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا خارجة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي في قوله ( وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) هم الأتباع ، وأما الذين افتروا ، يعقلون أنهم افتروا .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : أن يقال : إن المعنيين بقوله ( وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ) الذين بحروا البحائر ، وسيبوا السوائب ، ووصلوا الوصائل ، وحوا الخوامي مثل عمرو بن لُحَيٍّ وأشكاله ، ممن سنوا لأهل الشرك السنن الرديئة ، وغيروا دين الله دين الحق ، وأضافوا إلى الله تعالى ، أنه هو الذي حرّم ما حرّموا ، وأحلّ ما أحلوا ، افتراء على الله الكذب وهم يعلمون ، واختلافا عليه الإفك ، وهم يعمهون ، فكذبهم الله تعالى في قلوبهم ذلك ، وإضافتهم إليه ما أضافوا ، من تحليل ما أحلوا ، وتحريم ما حرّموا ، فقال تعالى ذكره : ما جعلت من بحيرة ، ولا سائبة ، ولكن الكفار هم الذين يفعلون ذلك ، ويفترون على الله الكذب ، وأن يقال : إن المعنيين بقوله ( وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) هم أتباع من سنّ لهم هذه السنن من جهلة المشركين ، فهم لاشكّ أنهم أكثر من الذين سنوا ذلك لهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون ، لأنهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك السنن ، وأخبروهم أنها من عند الله كذبة في إخبارهم أفكّة ، بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقون في إخبارهم صادقون . وإنما معنى الكلام : وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك التحريم الذي حرّمه هؤلاء المشركون ، وأضافوه إلى الله تعالى كذب وباطل . وهذا القول الذي قلنا في ذلك ، نظير قول الشعبي الذي ذكرناه ، ولا معنى لقول من قال : غنى بالذين كفروا : أهل الكتاب ، وذلك أن التكبير في ابتداء الآية من الله تعالى على مشركي العرب ، فالختم بهم أولى من غيرهم ، إذ لم يكن عرّض في الكلام ما يصرف من أجله عنهم إلى غيرهم .

وبنحو ذلك كان يقول قتادة .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) : يقول : لا يعقلون تحريم الشيطان الذي يحرم عليهم ، إنما كان من الشيطان ولا يعقلون .

القول في تأويل قوله

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ،

أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)

: يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يبتحرون البحائر ، ويسيبون السوائب ، الذين لا يعقلون ، أنهم بإضافتهم تحريم ذلك إلى الله تعالى ، يفترون على الله الكذب : تعالوا إلى تنزيل الله ، وآى

كتابه وإلى رسوله ، ليتبين لكم كذب قلوبكم فيما تضيفونه إلى الله تعالى من تحريمكم ما تحرمون من هذه الأشياء ، أجاوبوا من دعاهم إلى ذلك ، بأن يقولوا : حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به ، ويقولون : نحن لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة ، وقد اكتفينا بما أخذنا عنهم ، ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل ، قال الله تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيئاً ، يقول : لم يكونوا يعلمون أن ما يضيفونه إلى الله تعالى من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كذب وافية على الله ، لا حقيقة لذلك ولا صحة ، لأنهم كانوا أتباع المقتربين الذين ابتدءوا تحريم ذلك افتراء على الله ، بقليلهم ما كانوا يقولون ، من إصافهم إلى الله تعالى ما يضيفون ما كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب ، بل كانوا على ضلالة وخطأ .

القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)

يقول تعالى ذكره ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ) فأصلحوها ، واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى ، وانظروا لها فيما يقربها من ربها ، فإنه ( لا يضرُّكم من ضلَّ ) يقول : لا يضرُّكم من كفر ، وسلك غير سبيل الحق إذا أنتم اهتديتم ، وآمنتم بربكم وأطعتموه ، فيما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه ، فحرمتم حرامه ، وحللتهم حلاله ، ونصب قوله ( أنفسكم ) بالإغراء ، والعرب تغري من الصفات بعليكم ، وعندك ، ودونك ، وإليك .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، فلم يقبل منكم ذلك .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أنس ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتدَيْتُمْ ) . فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قبلت منكم ، فإذا ردت عليكم ، فعليكم أنفسكم .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، قال : ذكر ابن مسعود ( يا أيها الذين آمنوا ) ثم ذكر نحوه .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عثية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : قال رجل لابن مسعود : ألم يقل الله ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتدَيْتُمْ ) قال : ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قبلت منكم ، فإذا ردت عليكم ، فعليكم أنفسكم .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا شعبة بن سوّار ، قال : ثنا الربيع بن صبيح ، عن سفيان بن عقال ، قال : قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام ، فلم تأمر ولم تنه ، فإن الله تعالى يقول ( عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَبْصُرُكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) فقال ابن عمر : إنها ليست لي ولا لأصحابي ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا فليبلغ الشاهد الغائب » ، فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ، إن قالوا لم يقبل منهم .

حدثنا أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي ، قال : ثنا قتادة ، عن أبي مازن ، قال : انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة ، فإذا قوم من المسلمين جلوس ، فقرأ أحدهم هذه الآية ( عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ) فقال أكثرهم : لم يجيء تأويل هذه الآية اليوم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أبي مازن ، بنحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم ، قالا : ثنا عوف ، عن سوّار بن شبيب ، قال : كنت عند ابن عمر ، إذ أتاه رجل جليد في العين ، شديد اللسان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نحن ستة ، كلهم قد قرءوا القرآن ، فأسرع فيه ، وكلهم مجتهد لا يألوا ، وكلهم بغيض إليه أن يأتي دناءة ، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك ، فقال رجل من القوم : وأي دناءة تزيد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك ، قال : فقال الرجل : إني لست إياك أسأل ، أنا أسأل الشيخ ، فأعاد على عبد الله الحديث ، فقال عبد الله بن عمر : لعلك ترى لأبائك أني سأمرك أن تذهب فتقتلهم ، عظمهم وأنهم ، فإن عَصَوْكَ فعليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، لَا يَبْصُرُكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، أن ابن مسعود ، سأله رجل عن قوله ( عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، لَا يَبْصُرُكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) قال : إن هذا ليس بزمانها ، إنها اليوم مقبولة ، ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف ، فيصنع بكم كذا وكذا ، أو قال : فلا يقبل منكم ، فحينئذ عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن رجل قال : كنت في خلافة عثمان بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيهم شيخ يسندون إليه ، فقرأ رجل ( عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، لَا يَبْصُرُكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) فقال الشيخ : إنما تأويلها آخر الزمان .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا أبو مازن رجل من صالحى الأزدي من بني الجذعان ، قال : انطلقت في حياة عثمان إلى المدينة ، فقعدت إلى حلقة فيها

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ رجل من القوم هذه الآية ( لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) قال : فقال رجل من أسنّ القوم : دع هذه الآية ، فإنما تأويلها في آخر الزمان .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ابن فضالة ، عن معاوية بن صالح ، عن جبير بن نفير قال : كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني لأصغر القوم ، فتذاكروا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فقلت : أنا أليس الله يقول في كتابه ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) فأقبلوا علىّ بلسان واحد ، وقالوا : تنزع بآية من القرآن لاتعرفها ، ولا تدري ما تأويلها ، حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت ، ثم أقبلوا يتحدثون ؛ فلما حضر قيامهم ، قالوا : إنك غلام حدث السن ، وإنك نزع بآية لاتدري ما هي ، وعسى أن تدرك ذلك الزمان ؛ إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بنفسك ؛ لا يضرك من ضلَّ إذا اهتديت .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ليث بن هارون ، قال : ثنا إسحاق الرازي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن عبد الله بن مسعود ، في قوله ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) ، إلى الله مَرَجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) ، قال : كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوسا ، فكان بين رجلين ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، فقال رجل من جلساء عبد الله : ألا أقوم فأمرهما بالمعروف ، وأنهاهما عن المنكر ؟ فقال آخر إلى جنبه : عليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول ( عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) قال : فسمعها ابن مسعود ، فقال : مه ، لم يجيء تأويل هذه بعد ، إن القرآن أنزل حيث أنزل ، ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه ما وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه آى قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ، ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آى يقع تأويلهن عند الساعة ، على ما ذكر من أمر الساعة ، ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب ، على ما ذكر من أمر الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ، ولم تُلَبَسُوا شيئا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض ، فأمروا وانهوا ، فاذا اختلفت القلوب والأهواء ، وأُلَيِسْتُمْ شيئا ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فأمرؤ ونفسه ، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن ابن مسعود ، أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، ثم ذكر نحوه .

حدثني أحمد بن المقدام ، قال : ثنا حرمي ، قال : سمعت الحسن يقول : تأول بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) ، فقال بعض أصحابه : دعوا هذه الآية فليست لكم .

حدثني إسماعيل بن إسرائيل اللؤلؤ الرملي ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا عتبة بن أبي حكيم ، عن عمرو بن خالد اللخمي ، عن أبي أمية الشعباني ، قال : سألت أبا ثعلبة الخشني ، عن هذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ) فقال : لقد سألت عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أبا ثعلبة ، ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِذَا رَأَيْتَ دُنْيَا مُؤْتَرَةً ، وَشُحًّا مُطَاعَا ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ نَفْسِكَ أَرَى مِنْ بَعْدِ كُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ لِلْمُتَمَسِّكِ بِتَوْمَتِدٍ بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، كَأَجْرِ تَحْسِينِ عَامِلًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَجْرِ خَمْسِينَ عَامِلًا مِنْهُمْ ؟ قَالَ : لَا ، كَأَجْرِ تَحْسِينِ عَامِلًا مِنْكُمْ » .

حدثنا علي بن سهل ، قال : أخبرنا الوليد بن مسلم ، عن ابن المبارك وغيره ، عن عتبة بن أبي حكيم ، عن أبي أمية الشعباني ، قال : سألت أبا ثعلبة الخشني كيف نصنع بهذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) فقال أبو ثعلبة : سألت عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعَا ، وَهَوًى مُتَّبَعَا ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخَوِيصَّةِ نَفْسِكَ ، وَذَرِّ عَوَامَهُمْ ، فَإِنَّ وِرَاءَ كُمْ أَيَّامًا أَجْرُ الْعَامِلِ فِيهَا كَأَجْرِ تَحْسِينِ مِنْكُمْ » . وقال آخرون : معنى ذلك : أن العبد إذا عمل بطاعة الله ، لم يضره من ضلَّ بعده وهلك .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ ) يقول : إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام ، فلا يضره من ضلَّ بعدُ إذا عمل بما أمرته به .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) يقول : أطيعوا أمري ، واحفظوا وصيتي .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ليث بن هارون ، قال : ثنا إسحاق الرازي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن صفوان ابن الجون ، قال : دخل عليه شاب من أصحاب الأهواء ، فذكر شيئا من أمره ، فقال صفوان : ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أوليائه : ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ ) . . . الآية .

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا أبو المطرف الخزومي ، قال : ثنا جويبر ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، قال ( عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) ما لم يكن سيف أو سوط .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا مرة بن ربيعة ، قال : تلا الحسن هذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا

عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) فقال الحسن : الحمد لله بها ، والحمد لله عليها ، ما كان مؤمن فيما مضى ، ولا مؤمن فيما بقى ، إلا وإلى جانبه منافق يكره عمله .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ) ، فاعملوا بطاعة الله ، ( لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) ، فأمرتم بالمعروف ، ونهيت عن المنكر .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن سعد البقال ، عن سعيد بن المسيب ( لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) قال : إذا أمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ، لا يضررك من ضلَّ إذا اهتديت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن أبي العُمَيْس ، عن أبي البَخْتَرِيِّ ، عن حذيفة ( عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) قال : إذا أمرتم ونهيتم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : قال أبو بكر : تقرأون هذه الآية ( لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) ، وإن الناس إذا رأوا الظالم ، قال ابن وكيع : فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن بيان ، عن قيس ، قال : قال أبو بكر : إنكم تقرأون هذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) وإن القوم إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه ، يعمهم الله بعقابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن أبي بكر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) يقول : مرؤوا بالمعروف وآتوا عن المنكر . قال أبو بكر بن أبي قحافة : يا أيها الناس لا تغتروا بقول الله عليكم أنفسكم ، فيقول أحدكم على نفسه ، والله لتأمرنَّ بالمعروف ، وتنهونَّ عن المنكر ، أو لتستعملنَّ عليكم شراركم ، فلكيسو منكم سوء العذاب ، ثم ليدعونَّ الله خياركم فلا يستجيب لهم .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا بيان ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : قال أبو بكر وهو على المنبر : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية على غير موضعها ( لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) وإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، عمهم الله بعقابه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عيسى بن المسيب البجلي ، ثنا قيس بن أبي حازم ، قال : سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا



رَأَى النَّاسُ الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ ، وَالظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَعْصِمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا سعيد بن سالم ، قال : ثنا منصور بن دينار ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : صعد أبو بكر المنبر : منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس ، إنكم لتتلون آية من كتاب الله ، وتعدونها رخصة ، والله ما أنزل الله في كتابه أشدّ منها ( يا أيها الذين آمنوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَبْضُرْكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) والله لتأمرنّ بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، أو ليُعصننّكم الله منه بعقاب .

حدثنا محمد بن سيار ، قال : ثنا إسحاق بن إدريس ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا مجالد بن سعيد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب الناس : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ، ولا تدرون ما هي : ( يا أيها الذين آمنوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَبْضُرْكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ عَصَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ » .

وقال آخرون : بل معنى هذه الآية : لا يضرّكم من حاد عن قصد السبيل ، وكفر بالله من أهل الكتاب . ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( لَا يَبْضُرْكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) قال : يعنى : من ضلّ من أهل الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية ( لَا يَبْضُرْكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) قال : أنزلت في أهل الكتاب . وقال آخرون : عنى بذلك كلّ من ضلّ عن دين الله الحقّ .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يا أيها الذين آمنوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، لَا يَبْضُرْكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) قال : كان الرجل إذا أسلم ، قالوا له : سفّهت آباءك وضللّتهم ، وفعلت وفعلت ، وجعلت آباءك كذا وكذا ، كان ينبغي لك أن تنصّرهم وتفعل ، فقال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، لَا يَبْضُرْكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) .

وأولى هذه الأقوال ، وأصحّ التاويلات عندنا بتأويل هذه الآية ، ما روى عن أبي بكر الصديق فيها ، وهو ( يا أيها الذين آمنوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ) : الزموا العمل بطاعة الله ، وبما أمركم به ، وانتهوا عما نهاكم الله عنه ( لَا يَبْضُرْكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) يقول : فإنه لا يضرّكم ضلال من ضلّ إذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله ، وأديتم فيمن ضلّ من الناس ما ألزمكم الله به فيه ، من فرض الأمر بالمعروف ،

والنهي عن المنكر ، الذي يركبه ، أو يحاول ركوبه ، والأخذ على يديه ، إذا رام ظلماً لمسلم أو معاهد ، ومنعه منه ، فأبى النزوع عن ذلك ، ولا ضئير عليكم في تماديه في غيئه وضلاله إذا أنتم اهتديتم ، وأدبتم حتى الله تعالى فيه .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات في ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ، ويتعاونوا على البر والتقوى ؛ ومن القيام بالقسط : الأخذ على يدى الظالم ؛ ومن التعاون على البر والتقوى ، الأمر بالمعروف ؛ وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ ولو كان للناس ترك ذلك ، لم يكن للأمر به معنى إلا في الحال التي رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك ذلك ، وهي حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة ، فيكون مرخصاً له تركه ، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه . وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى ، فبين أنه قد دخل في معنى قوله ( إذا اهتديتم ) ما قاله حذيفة ، وسعيد بن المسيب ، من أن ذلك إذا أمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشني ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله ( إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ) :

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : اعملوا أيها المؤمنون بما أمرتكم به ، وانتهوا عما نهيتكم عنه ، ومروا أهل التزيغ والضلال ، ومن حاد عن سبيلي بالمعروف ، وانتهوهم عن المنكر ؛ فإن قبلوا فلهم ولكم ، وإن تمادوا في غيهم وضلالهم ، فإن إلى مرجع جميعكم ، ومصيركم في الآخرة ومصيرهم ، وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشر ، فأخبر هناك كل فريق منكم بما كان يعمل في الدنيا ، ثم أجازيه على عمله الذي قدم به على جزاءه ، حسب استحقاقه ، فإنه لا يخفى على عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .

القول في تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَثِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَآنْشُرِي بِهِ نَمْنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، وَلَا نَكُتُمْ شَهَادَةَ اللَّهِ، إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ) يقول : ليشهد بينكم ( إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية ) يقول : وقت الوصية ( اثنان ذوا عدل منكم ) يقول : ذوا رشد وعقل وحيجا من المسلمين .

كما حدثنا محمد بن بشار ، وعبيد الله بن يوسف الجبيري ، قالا : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله ( وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ ) قال : ذوا عقل . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) قال : بعضهم : عني به : من أهل ملتكم . ذكر من قال ذلك :

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : شاهدان ذوا عدل منكم من المسلمين .

حدثنا عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر ، في قوله ( اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) من المسلمين .

حدثنا ابن بشار وابن المنثي ، قالا : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة عن سعيد بن المسيب ، في قوله ( اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) قال : اثنان من أهل دينكم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : سأله ، عن قول الله تعالى ( اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) قال : من الملة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، بمثله ، إلا أنه قال فيه : من أهل الملة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة عن هذه الآية ( اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) قال : من أهل الملة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، مثله :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين ، عن زائدة ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة ، فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن حماد ، عن ابن أبي نجيح ، وقال : ثنا مالك بن إسماعيل ، عن حماد بن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) قال : ذوا عدل من أهل الإسلام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) قال : من المسلمين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان سعيد بن المسيب يقول : ( اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ) : أي من أهل الإسلام .

وقال آخرون : عني بذلك : ذوا عدل من حنئ الموصي ، وذلك قول رؤي عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما .

واختلفوا في صفة الاثنيين اللذين ذكرهما الله في هذه الآية ماهي ؟ وما هما ؟ فقال بعضهم : هما شاهدان يشهدان على وصية الموصي . وقال آخرون : هما وصيان .  
وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان ، قوله ( شَهَادَةٌ بَيْنِكُمْ ) ليشهد شاهدان ذوا عدل منكم على وصيتكم . وتأويل الذين قالوا : هما وصيان لا شاهدان ، قوله ( شَهَادَةٌ بَيْنِكُمْ ) بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريض ، من قولك : شهدت وصية فلان ، بمعنى حضرته .  
وأولى التأويلين بقوله ( ائْتِنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) : تأويل من تأوله بمعنى : أنهما من أهل الملة ، دون من تأوله أنهما من حي الموصي .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى عم المؤمنين بخطابهم بذلك في قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ائْتِنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) ، فغير جائز أن يُصْرَفَ ما عمه الله تعالى إلى الخصوص ، إلا بحجة يجب التسليم لها . وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون العائد من ذكرهم على العموم ، كما كان ذكرهم ابتداء على العموم .  
وأولى المعنيين بقوله ( شَهَادَةٌ بَيْنِكُمْ ) اليمين ، لا الشهادة التي يقوم بها من عنده شهادة لغيره ، لمن هي عنده ، على من هي عليه عند الحكام ، لأننا لا نعلم الله تعالى حكما يجب فيه على الشاهد اليمين ، فيكون جائزا صرف الشهادة في هذا الموضع ، إلى الشهادة التي يقوم بها بعض الناس عند الحكام والأئمة ، وفي حكم الآية في هذه اليمين على ذوى العدل ، وعلى من قام مقامهم في اليمين بقوله ( تَحْبِسُوهُمَا مِّنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ، فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ) أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك ، من أن الشهادة فيه الأيمان ، دون الشهادة التي يقضى بها للمشهود له على المشهود عليه ، وفساد ما خالفه .

فإن قال قائل : فهل وجدت في حكم الله تعالى يمينا يجب على المدعى ، فتوجه قولك في الشهادة في هذا الموضع إلى الصحة ؟ فإن قلت : لا ، تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأولت ، لأنه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان ، في قوله ( فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ ) إنما فآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِّنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْاَوْلِيَانِ ، فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لِشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِّنْ شَهَادَتَيْهِمَا ) هما المدعيين . وإن قلت : بلى ، قيل لك ، وفي أي حكم الله تعالى وجدت ذلك ؟ قيل : وجدنا ذلك في أكثر المعاني ، وذلك في حكم الرجل يدعى قِبَل رجل مالا ، فيقرّبه المدعى عليه قِبَله ذلك ، ويدعى قضاءه ، فيكون القول قول رب الدين ، والرجل يعترف في يد الرجل السلعة ، فيزعم المعترف في يده ، أنه اشتراها من المدعى ، أو أن المدعى وهبها له ، وما أشبه ذلك مما يكثر إحصاؤه ، وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى في هذا الموضع اليمين على المدعيين اللذين عتروا على الجانين فيما جنيا فيه .

واختلف أهل العربية في الرفع ، قوله ( شَهَادَةٌ بَيْنِكُمْ ) ، وقوله ( ائْتِنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) فقال بعض نحوي البصرة : معنى قوله ( شَهَادَةٌ بَيْنِكُمْ ) شهادة اثنين ذوى عدل ، ثم أُلقيت الشهادة وأقيم الاثنان مقامها ، فارتفعوا بما كانت الشهادة به مرتفعة لو جعلت في الكلام ، قال : وذلك في حذف

ما حذف منه ، وإقامة ما أقيم مقام المحذوف ، نظير قوله ( وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ) وإنما يريد : وأسأل أهل القرية ، وانتصبت القرية بانتصاب الأهل ، وقامت مقامه ، ثم عطف قوله : أو آخران على الاثنين . وقال بعض نحووي الكوفة : رفع الاثنين بالشهادة : أي ليشهدكم اثنان من المسلمين ، أو آخران من غيركم . وقال آخر منهم : رفعت الشهادة بإذا حضر ، وقال : إنما رفعت بذلك لأنه قال : إذا حضر ، فجعلها شهادة محذوفة مستأنفة ، ليست بالشهادة التي قد رفعت لكل الخلق ، لأنه قال تعالى ذكره : ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) ، وهذه شهادة لا تقع إلا في هذا الحال ، وليست مما ثبت .

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : الشهادة مرفوعة بقوله ( إِذَا حَضَرَ ) ، لأن قوله : إذا حضر ، بمعنى : عند حضور أحدكم الموت ، والاثنان مرفوع بالمعنى المتوهم ، وهو أن يشهد اثنان ، فاكتفى من قبيل : أن يشهد ، بما قد جرى من ذكر الشهادة في قوله ( شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) . وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الشهادة مصدر في هذا الموضع ، والاثنان اسم ، والاسم لا يكون مصدرا ، غير أن العرب قد تضع الأسماء مواضع الأفعال ، فالأمر وإن كان كذلك ، فصرف كل ذلك إلى أصح وجوه ما وجدنا إليه سبيلا ، أولى بنا من صرفه إلى أضعفها .

القول في تأويل قوله ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) :

يقول تعالى ذكره للمؤمنين : ليشهد بينكم إذا حضر أحدكم الموت عدلان من المسلمين ، أو آخران من غير المسلمين .

وقد اختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) فقال بعضهم : معناه : أو آخران من غير أهل ملتكم ، نحو الذي قلنا فيه . ذكر من قال ذلك :

حدثنا حميد بن مسعدة ، ويونس بن معاذ ، قالا : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) من أهل الكتاب .

حدثنا محمد بن بشار ، ومحمد بن المنثري ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث ، عن سعيد بن المسيب ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) : من أهل الكتاب .

حدثني أبو حفص البخيري عبيد الله بن يوسف ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، وسليمان التيمي ، عن سعيد ابن المسيب ، أنهما قالا في قوله ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قالا : من غير أهل ملتكم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، قال : ثنا من سمع سعيد بن جبير ، يقول : مثل ذلك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا التيمي ، عن أبي مجلز ، قال : من غير أهل ملتكم .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، مثله .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : إن كان قربه أحد من المسلمين  
 أشهدهم ، وإلا أشهد رجلين من المشركين .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا قتيبة ، قال : ثنا هشيم ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، وسعيد بن جبيرة ،  
 في قوله ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قالوا : من غير أهل ملتكم .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ  
 غَيْرِكُمْ ) قال : من أهل الكتاب .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .  
 حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد  
 ابن المسيب ، مثله .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن  
 يعمر ، في قوله ( اِثْنَانِ ذَوَا عَدَلٍ مِّنْكُمْ ) من المسلمين ، فإن لم تجدوا من المسلمين ، فن غير  
 المسلمين .

حدثنا المنني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن شريح ، في هذه الآية :  
 ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اِثْنَانِ ذَوَا  
 عَدَلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : إذا كان الرجل بأرض غربة ، ولم يجد مسلماً يشهده  
 على وصيته ، فأشهد يهودياً ، أو نصرانياً ، أو مجوسياً ، فشهادتهما جائزة ، فإن جاء رجلان مسلمان ،  
 فشهدا بخلاف شهادتهما ، أجزت شهادة المسلمين ، وأبطلت شهادة الآخرين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، أنه كان لا يجيز  
 شهادة اليهود والنصارى على مسلم إلا في الوصية ، ولا يجيز شهادتهما على الوصية ، إلا إذا كانوا في سفر .  
 حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو معاوية ووكيع ، قالوا : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ،  
 قال : لا تجوز شهادة اليهود والنصارى إلا في سفر ، ولا تجوز في سفر إلا في وصية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، نحوه .  
 حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور  
 عن إبراهيم ، قال : كتب هشام بن هيرة لمسلمة ، عن شهادة المشركين على المسلمين ، فكتب : لا تجوز  
 شهادة المشركين على المسلمين إلا في وصية ، ولا تجوز في وصية إلا أن يكون الرجل مسافراً .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أشهب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : سأله  
 عن قول الله تعالى ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : من غير الملة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة بمثله .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة ، عن ذلك  
فقال : من غير أهل الملة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : من غير أهل  
الصلاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : من غير  
أهل دينكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين ، عن زائدة ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال :  
من غير أهل الملة .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا أبو حرة ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة  
( أو آخِرَانِ مِينَ غَسْبِرِكُمْ ) قال : من غير أهل ملتكم .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن عثمان ، قال : ثنا هشام بن محمد ، قال : سألت سعيد  
ابن جبير ، عن قول الله ( أو آخِرَانِ مِينَ غَسْبِرِكُمْ ) قال : من غير أهل ملتكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، عن حماد بن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا عمرو ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال :  
من غير أهل ملتكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
( أو آخِرَانِ مِينَ غَسْبِرِكُمْ ) قال : من غير أهل الإسلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : قال أبو إسحاق ( أو آخِرَانِ مِينَ غَسْبِرِكُمْ )  
قال : من اليهود والنصارى . قال : قال شريح : لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني إلا في وصية ، ولا تجوز  
في وصية إلا في سفر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا زكريا ، عن الشعبي ، أن رجلا من المسلمين حضرته  
الوفاة بد قموقا ، ولم يجد أحدا من المساهمين يشهده على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب ، فقصد ما  
الكوفة ، فأتيا الأشعري فأخبراه ، وقد ما بتركته ووصيته ، فقال الأشعري : هذا أمر لم يكن بعد الذي كان  
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحلفهما ، وأمضى شهادتهما .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة الأزرق ، عن الشعبي ، أن  
أبا موسى قضى بها بد قموقا .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا عثمان بن المهيم ، قال : ثنا عوف ، عن محمد ، أنه كان يقول في قوله ( اثنان  
ذوَا عَدَلٍ مِّنْكُمْ ) ، أو آخِرَانِ مِينَ غَسْبِرِكُمْ ) شاهدان من المسلمين ، وغير المسلمين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) : من غير أهل الإسلام .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : من غير أهل الإسلام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عباس قال : قال زيد ابن أسلم في هذه الآية : ( شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) . . . الآية كلها ، قال : كان ذلك في رجل تَوُوَّ في وليس عنده أحد من أهل الإسلام ، وذلك في أول الإسلام ، والأرض حرب ، والناس كفار ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة ، وكان الناس يتوارثون بالوصية ، ثم نسخت الوصية وفُرضت الفرائض ، وعمل المسلمون بها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو آخران من غير حبيبتكم وعشيرتكم .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عثمان بن الهيثم بن الجهم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( اثنان ذَوَا عَدَلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : شاهدان من قومكم ، ومن غير قومكم . حدثنا عمرو ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري ، قال : مضت السنة ألتجوز شهادة كافر في حضر ، ولا سفر ، إنما هي في المسلمين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : ( اثنان ذَوَا عَدَلٍ مِّنْكُمْ ) أي من عشيرته ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : من غير عشيرته . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ثابت بن زيد ، عن عاصم ، عن عكرمة ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : من غير أهل حبيكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن ثابت بن زيد ، عن عاصم ، عن عكرمة ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : من غير حبيكم .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ثابت بن زيد ، عن عاصم الأحول ، عن عكرمة في قول الله تعالى ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : من غير أهل حبيته ، يعني من المسلمين .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : من غير عشيرتك ، ومن غير قومك كلهم من المسلمين .

حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قوله ( أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : مسلمين من غير حبيكم .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا عقيل ، قال : سألت ابن شهاب عن قول الله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ) . . .



إلى قوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ). قالت: رأيت الاثنين اللذين ذكر الله من غير أهل المرء الموصى، أحدهما من المسلمين، أم هما من أهل الكتاب؟ وأرأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما، أتراهما من أهل المرء الموصى؟ أم هما من غير المسلمين؟ قال ابن شهاب: لم نسمع في هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أئمة العامة سنة أذكروها، وقد كنا نتذاكرها أناسا من علمائنا أحيانا، فلا يذكرون فيها سنة معلومة، ولا قضاء من إمام عادل، ولكنه يختلف فيها رأيهم، وكان أعجمهم فيها رأيا إلينا، الذين كانوا يقولون: هي فيما بين أهل الميراث من المسلمين، يشهد بعضهم الميت الذي يرثونه، ويغيب عنه بعضهم، ويشهد من شاهده على ما أوصى به لذوي القربى، فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضروا من وصية، فإن سلموا جازت وصيته، وإن ارتابوا أن يكونوا بدّلوا قول الميت، وآثروا بالوصية من أرادوا، ممن لم يوص لهم الميت بشيء، حلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة، وهي صلاة المسلمين، فيقسمان بالله إن ارتبتم لأنشئتم به ثمنا، ولو كان ذا قربي، ولا نكتم شهادة الله، إنا إذن لمن الآثمين، فإذا أقسمنا على ذلك جازت شهادتهما وأيمانهما، ما لم يُعسّر على أنفسهما استحقا إثمنا في شيء من ذلك، فإن عسّر قام آخران مقامهما من أهل الميراث، من الخصم الذين ينكرون ما شهد به عليه الأولان المستحلفان أول مرة، فيقسمان بالله لشهادتنا على تكذيبكما، أو إبطال ما شهدتما به، وما اعتدنا، إنا إذن لمن الظالمين، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم... الآية.

بَيِّنَةٌ وَأُولَى التَّأْوِيلِينَ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ: تأويل من تأوله: أو آخران من غير أهل الإسلام، وذلك أن الله تعالى عرف عباده المؤمنين عند الوصية، شهادة اثنين من عدول المؤمنين، أو اثنين من غير المؤمنين، ولا وجه لأن يقال في الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم، أو رجلين من غير عشيرتكم، وإنما يقال: صفة شهادة رجلين من عشيرتكم، أو من غير عشيرتكم، أو رجلين من المؤمنين، أو من غير المؤمنين، فإذا كان لا وجه لذلك في الكلام، فغير جائز صرف مغلّقى كلام الله تعالى إلا إلى أحسن وجوهه. وقد دللنا قبل على أن قوله تعالى (ذَوَا عَدَلٍ مِّنْكُمْ) إنما هو من أهل دينكم، وملتكم بما فيه كفاية لمن وفق لفهمه. وإذا صحّ ذلك بما دللنا عليه، فعلوم أن معنى قوله (أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ) إنما هو: أو آخران من غير أهل دينكم وملتكم. وإذا كان ذلك كذلك، فسواء كان الآخران اللذان من غير أهل ديننا، يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين، أو عابدي وثن، أو على أي دين كانا، لأن الله تعالى لم يخص آخرين من أهل ملة بعينها، دون ملة، بعد ألا يكوننا من أهل الإسلام.

القول في تأويل قوله (إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ، فَأَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ): يقول تعالى ذكره للمؤمنين: صفة شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت وقت الوصية، أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم أيها المؤمنون، أو رجلان آخران من غير أهل ملتكم، إن أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين في الأرض. وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله قيل للمسافر: الضارب في الأرض. (فَأَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ) يقول: فنزل بكم الموت: ووجه أكثر أهل التأويل هذا الموضع إلى معنى التعقيب دون التخيير،

وقالوا : معناه : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ، إن وُجِدَا ، فإن لم يوجدَا فآخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ . وإنما فعل ذلك مَنْ فَعَلَهُ ، لأنه وجه معنى الشهادة في قوله ( شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) إلى معنى الشهادة التي توجب للقوم قيام صاحبها عند الحاكم ، أو يبطلها .  
ذكر بعض من تأول ذلك كذلك .

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر ، في قوله ( ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) من المسلمين ، فإن لم تجدوا من المسلمين ، فن غير المسلمين .

حدثنا محمد بن بشار ، ومحمد بن المنثى ، قالا : ثنا ابن أبي عديّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد ابن المسيب ، في قوله ( اِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) أو آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : اثنان من أهل دينكم أو آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، إذا كان ببلاد لا يجد غيرهم .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن شريح في هذه الآية ( شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) . . . إلى قوله ( أو آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : إذا كان الرجل بأرض غريبة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته ، فأشهد يهودياً ، أو نصرانياً ، أو مجوسياً ، فشهادتهم جائزة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) قال هذا في الحضر ( أو آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) في السفر ، إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتم مصيبة الموت ، هذا في الرجل يدرکه الموت في سفره ، وليس بحضرته أحد من المسلمين ، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصي إليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، وسعيد بن جبیر ، أنهما قالا في هذه الآية ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) . . . الآية ، قال : إذا حضر الرجل الوفاة في سفر ، فيشهد رجلين من المسلمين ، فإن لم يجد رجلين من المسلمين ، فرجلين من أهل الكتاب .  
حدثني المنثى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) . . . إلى قوله ( ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) ، فهذا لمن مات وعنده المسلمون ، فأمره الله أن يشهد على وصيته عدلين من المسلمين ، ثم قال : ( أو آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتم مصيبة الموت ، فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله تعالى بشهادة رجلين من غير المسلمين .

ووجه ذلك آخرون إلى معنى التخيير ، وقالوا : إنما غنى بالشهادة في هذا الموضع الإيمان على الوصية التي أوصى إليهما ، وإيمان الميت لربّاهما على ما ائتمنهما عليه من مال ، ليؤدّياه إلى ورثته بعد وفاته ، إن ارتبب بهما ،

قالوا : وقد يأمن الرجل على ماله من رآه موضعا للأمانة ، من مؤمن وكافر في السفر والحضر . وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى ، وسند ذكر بقيته إن شاء الله تعالى بعد .

القول في تأويل قوله ( فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ أَنْ تَنْشُرْتُمْ بِهِ تَمَنَّا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ) : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت ، إن شهد اثنان ذوا عدل منكم ، أو كان أوصى إليهما ، أو آخرن من غيركم ، إن كنتم في سفر ، فحضرتكم المنية ، فأوصيتم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال وتركه لورثتكم ، فإذا أنتم أوصيتم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال ، فأصابتكم مصيبة الموت ، فأدبيا إلى ورثتكم ما ائتمتموهما وادعوا عليهما خيانة خاناهما مما ائتمنا عليه ، فإن الحكم فيهما حينئذ أن تحبسوهما ، يقول : تستوقفونهما بعد الصلاة ، وفي الكلام محذوف اجترأ بدلالة ما ظهر منه على ما حذف ، وهو فأصابتكم مصيبة الموت ، وقد أسندتم وصيتكم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال ، فإنكم تحبسونهما من بعد الصلاة ، فيقسمان بالله إن ارتبتم ، يقول : فيحلفان بالله إن ائتمتموهما بخيانة فيما ائتمنا عليه ، من تغيير وصية أوصى إليهما بها ، أو تبديلها . والارتباب : هو الاتهام ، لانشرى به ثمنا ، يقول : يحلفان بالله لانشرى بأيماننا بالله ثمنا ، يقول : لانحلف كاذبين على عوض نأخذه عليه ، وعلى مال نذهب به ، أو لحق نجحده هؤلاء القوم الذين أوصى إلينا وإليهم وصيتهم ، والهاء في قوله « به » من ذكر الله ، والمعنى : به الحلف والقسم ، ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به ، فيعرف من معنى الكلام ، واكتفى به من إعادة ذكر القسم والحلف ( وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ) ، يقول : يقسمان بالله ، لانطلب بإقسامنا بالله عوضا ، فنكذب فيها لأحد ، ولو كان الذي نقسم به له ذا قرابة منا .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، روى الخبر عن ابن عباس .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنفي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ آخَرَآنِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ) فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين ، فإن ارتبب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله ، لم نشر بشهادتنا ثمنا قليلا ، وقوله ( تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ) من صلاة الآخريتين . ومعنى الكلام : أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة إن ارتبتم بهما ، فيقسمان بالله ، لانشرى به ثمنا ، ولو كان ذا قرْبَى .

واختلفوا في الصلاة التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية ، فقال ( تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ) فقال

بعضهم : هي صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا زكريا ، عن الشعبي ، أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوفا ، فلم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب ، قال : فقد ما

الكوفة ، فأتيا الأشعري ، فأخبراه ، وقد ما بتركته ووصيته ، فقال الأشعري : هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأحلفهما بعد العصر : بالله ما خانا ، ولا كذبا ، ولا بدلا ، ولا كتبا ، ولا غيبرا ، وإنما لوصية الرجل وتركته ، قال : فأمضى شهادتهما .

حدثنا ابن بشار وعمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ( أو آخران من غيركم ) قال : إذا كان الرجل بأرض الشرك ، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب ، فإنهما يحلفان بعد العصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، بمثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ) . . . إلى ( فأصابتكم مصيبة الموت ) فهذا رجل مات بغربة من الأرض ، وترك تركته ، وأوصى بوصيته ، وشهد على وصيته رجلان ، فإن ارتب في شهادتهما ، استحلفا بعد العصر ، وكان يقال عندها تصير الإيمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم وسعيد بن جبير ، أنهما قالوا في هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ) قال : إذا حضر الرجل الوفاة في سفر ، فليشهد رجلين من المسلمين ، فإن لم يجد فرجلين من أهل الكتاب ، فإذا قد ما بتركته ، فإن صدقهما الورثة قبيل قولهما ، وإن اتهموا ، أحلفا بعد صلاة العصر : بالله ما كذبنا ، ولا كتمنا ، ولا خشنا ، ولا غيبرنا . حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يحيى القطان ، قال : ثنا زكريا ، قال : ثنا عامر بن أن رجلا توفي بدقوقا ، فلم يجد من يشهده على وصيته إلا رجلين نصرانيين من أهلها ، فأحلفهما أبو موسى دبر صلاة العصر في مسجد الكوفة : بالله ما كتبا ولا غيبرا ، وإن هذه الوصية ، فأجازها . وقال آخرون : بل يستحلفان بعد صلاة أهل دينهما وملتهم . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ) . . . إلى قوله ( ذوا عدل منكم ) قال : هذا في الوصية عند الموت : يوصى ، ويشهد رجلين من المسلمين على ماله وعليه ، قال هذا في الحضر ( أو آخران من غيركم ) : في السفر ( إن أنتم ضربتكم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ) هذا الرجل يدركه الموت في سفره ، وليس بحضرته أحد من المسلمين ، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصى إليهما ، ويدفع إليهما ميراثه ، فيقبلان به ، فإن رضى أهل الميت الوصية ، وعرفوا مال صاحبهم ، تركوا الرجلين ، وإن ارتابوا رفعوهما إلى السلطان ، فذلك قوله ( تحييسوئهما من بعد الصلاة إن ارتبتم ) . قال عبد الله بن عباس : كأني أنظر إلى العيلجيين ، حين انتهى بهما إلى أبي موسى الأشعري في داره ، ففتح الصحيفة ، فأنكر أهل الميت وخوتوهما ، فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر ، فقلت له : إنهما لا يباليان صلاة

العصر ، ولكن استحلّفهما بعد صلاتهما في دينهما ، فيؤقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما ، ويخلفان بالله لا نشترى ثمنا قليلا ، ولو كان ذا قرقي ، ولا نكتم شهادة الله ، إنا إذن لمن الآثمين ، إن صاحبهم ليس هذا أوصى ، وإن هذه لتركته ، فيقول لهما الإمام قبل أن يخلفا : إنكما إن كنتما كتمتما أو خننما ، فضحتكما في قومكما ، ولم تجز لكما شهادة ، وعاقبتكما ، فإذا قال لهما ذلك ، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها .

❦ وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا : قول من قال : تحبسونهما من بعد صلاة العصر ، لأن الله تعالى عرف الصلاة في هذا الموضع بإدخال الألف واللام فيها ، ولا تدخلهما العرب إلا في معروف ، إما في جنس ، أو في واحد معهود معروف عند المتخاطبين . فإذا كان كذلك ، وكانت الصلاة في هذا الموضع مجتمعا على أنه لم يعن بها جميع الصلوات ، لم يجوز أن يكون مرادا بها صلاة المستحلّف من اليهود والنصارى ، لأن لهم صلوات ليست واحدة ، فيكون معلوما أنها المعنية بذلك . فإذا كان ذلك كذلك ، صحح أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم صحيحا عنه ، أنه إذ لا عن بين العجّلانيين ، لا عن بينهما بعد العصر ، دون غيرها من الصلوات ، كان معلوما أن التي عنيت بقوله : ( تحبسونهما من بعد الصلاة ) هي الصلاة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيرها لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه ، هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت ، وذلك لقربه من غروب الشمس ، وكان ابن زيد يقول في قوله : لا نشترى به ثمنا :

ما حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : ( لا نشترى به ثمنا ) قال : نأخذ به رشوة .

القول في تأويل قوله ( ولا نكتم شهادة الله ) ، إنا إذا لمين الآثمين :  
اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( ولا نكتم شهادة الله ) . بإضافة الشهادة إلى الله ، وخفض اسم الله تعالى ، يعني : لانكتم شهادة الله عندنا .

وذكر عن الشعبي أنه كان يقرؤه كالذي حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ابن عون ، عن عامر ، أنه كان يقرأ ( ولا نكتم شهادة الله ) ، إنا إذا لمين الآثمين ( بقطع الألف ، وخفض اسم الله ، هكذا حدثنا به ابن وكيع ، وكان الشعبي وجه معنى الكلام إلى أنهما يتقسمان بالله لا نشترى به ثمنا ، ولا نكتم شهادة عندنا ، ثم ابتداء يمينا باستفهام بالله إنهما إن اشتريا بإيمانها ثمنا ، أو كتبا شهادته عندهما لمن الآثمين .

وقد روي عن الشعبي في قراءة ذلك ، رواية تخالف هذه الرواية ، وذلك ما حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن عباد ، عن ابن عون ، عن الشعبي ، أنه قرأ ( ولا نكتم شهادة الله ) ، إنا إذا لمين الآثمين ( قال أحمد ، قال أبو عبيد : تنون شهادة ، ويخفض الله على الاتصال ، قال : وقد رواها بعضهم بقطع الألف على الاستفهام ، وخفض « إنا » لقراءة الشعبي بترك

الاستفهام . وقرأها بعضهم : ( وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ) بتووين الشهادة ، ونصب اسم الله ، بمعنى : ولا نكتم الله شهادة عندنا .

وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ ( وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ) بإضافة الشهادة إلى اسم الله ، وخفض اسم الله ، لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار ، التي لا يقناكر صاحبها الأمة . وكان ابن زيد يقول في معنى ذلك : ولا نكتم شهادة الله ، وإن كان صاحبها بعيدا . حدثني بذلك بونس ، قال : أخبرنا ابن زيد عنه .

#### القول في تأويل قوله

فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَأَنَّ يَاقُوبَ مَن مَّقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْثَانَ ،  
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَنَنهَدُنَا أَهَقُّ مِّنْ شَهَدْتِهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا ، إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( فَإِنْ عَثَرَ ) : فإن اطماع فيهما ، أو ظهر ، وأصل العثر : الوقوع على الشيء والسقوط عليه ، ومن ذلك قولهم : عثرت إصبع فلان بكذا : إذا صدمته وأصابته ، ووقعت عليه . ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس :

بِذَاتِ لَوْثٍ عَثْرْنَا إِذَا عَثَرْتُ فَالتَّعَسُّ أَدْنَىٰ لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا

يعنى بقوله : عثرت : أصاب ميسم خفها حَجَرَ أو غيره ، ثم يستعمل ذلك في كل واقف على شيء كان عنه خفيا ، كقولهم : عثرت على الغزل بأختره ، فلم تدع بنجد قرده ، بمعنى : وقعت .  
وأما قوله ( عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ) : فإنه يقول تعالى ذكره : فإن اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما في هذه الآية بعد حلفهما بالله : لانسرى بأيماننا ثمنا ، ولو كان ذا قرني ، ولا نكتم شهادة الله ، (على أنهما استحقا إثمًا) ، يقول : على أنهما استوجبا بأيمانهما التي حلفا بها إثمًا ، وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين في أيمانهما بالله ما حُتًا ، ولا بدلتنا ، ولا غيرنا ؛ فإن وجدا قد خاننا من مال الميت شيئا ، أو غيراً وصيته ، أو بدلاً ، فأثما بذلك من حلفهما برهبما ( فَأَخْرَأَنَّ يَاقُوبَ مَن مَّقَامَهُمَا ) يقول : يقوم حينئذ مقامهما من ورثة الميت الأوليان الموصى إليهما ؛  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :  
ذكر من قال ذلك :

(١) البيت في اللسان : ( لوث ) شاهدا على أن اللوث : معناه القوة . وروايته ( فالتعس أدنى لها من أن يقال لعَا ) قال ابن بري : صواب إنشاده : « من أن أقول لعَا » . قال : وكذا هو في شعره ، ومعنى ذلك أنها لا تعثر لقوتها ، فلو عثرت لقلت : تعست . وقوله ( بذات لوث ) : متعلق ( بكلفت ) في بيت قبله ، وهو

كلفت مجهولها نفسى وشائعى همى عليها إذا ما آلتها لعَا

والعفرنة : الناقة القوية . والتعس : الأخطاط والثور . ولعَا : كلمة يدعى بها العائر ، معناها : الارتفاع . قال الأعشى . . .  
البيت . أبو زيد : إذا دعى لعائر بأن ينتمش ، قيل : لعالك عاليا . وقال أبو عبيدة : من دعاهم : لا لعَا فلان : أى لا أقامه الله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ( أو آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) قال : إذا كان الرجل بأرض الشرك ، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب ، فإنهما يحلفان بعد العصر ، فإذا اطلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيئا ، حلف أولياء الميت إنه كان كذا وكذا ، ثم استحقوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، بمثله .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله ( أو آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) من غير المسلمين تحبسونهما من بعد الصلاة ، فإن ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله : ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلا ، فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما ، قام رجلان من الأولياء ، فحلفا بالله : إن شهادة الكافرين باطلة ، وإننا لم نعتد ، فذلك قوله ( فإن عيّر على أتتهما استحقاقاً إثمًا ) يقول : إن اطلع على أن الكافرين كذبا ، ( فأختران يقومان مقامهما ) يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله ، إن شهادة الكافرين باطلة ، وإننا لم نعتد ، فترد شهادة الكافرين ، وتجاوز شهادة الأولياء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فإن عيّر على أتتهما استحقاقاً إثمًا ) : أى اطلع منهما على خيانة ، أنهما كذبا أو كتما .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي له حكم الله تعالى ذكره على الشاهدين بالإيمان ، فنقلها إلى الآخرين ، بعد أن عيّر عليهما أنهما استحقا إثمًا . فقال بعضهم : إنما أزمهما التمين إذا ارتيب في شهادتهما على الميت في وصيته ، أنه أوصى لغير الذي يجوز في حكم الإسلام ، وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله ، أو أوصى أن يفضل بعض ولده ببعض ماله .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت ) . . . إلى قوله ( ذوّا عدل منكم ) من أهل الإسلام ( أو آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ) من غير أهل الإسلام ( إن أنتم ضربتم في الأرض ) . . . إلى ( فيقسمان بالله ) يقول : فيحلفان بالله بعد الصلاة ، فإن حلفا على شيء يخالف ما أنزل الله تعالى من الفريضة ، يعنى اللدّين ليسا من أهل الإسلام ، فأختران يقومان مقامهما من أولياء الميت ، فيحلفان بالله : ما كان صاحبنا ليوصي بهذا ، أو لإنهما لكاذبان ، ولشهادتنا أحق من شهادتهما :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : يوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما ، يحلفان بالله : لانشرى به ثمنا ، ولو كان ذا قربي ، ولا نكتم شهادة الله إننا إذن لمن الآثمين ، إن صاحبكم لهذا أوصى ، وإن هذه تركته ، فإذا شهدا ، وأجاز الإمام شهادتهما على ما شهدا ، قال لأولياء الرجل : اذهبوا فاضربوا في الأرض ، واسألوا عنهما ، فإن أنتم وجدتم عليهما خيانة ،

أو أحدا يطعن عليهما ، رددنا شهادتهما ، فينطلق الأولياء فيسألون ، فإن وجدوا أحدا يطعن عليهما ، أو هما غير مرضيين عندهم ، أو اطلع على أنهما خانا شيئا من المال وجدوه عندهما ، فأقبل الأولياء فشهدوا عند الإمام ، وحلفوا بالله لشهادتنا إنهما لخائنان مهيمان في دينهما ، مطعون عليهما ، أحق من شهادتهما بما شهدا ، وما اعتدينا . فذلك قوله ( فإن عثر على أنهما استحققا إثمًا فآخرا إن يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ) .

وقال آخرون : بل إنما ألزم الشاهدان اليمين ، لأنهما ادعيا أنه أوصى لهما ببعض المال ، وإنما ينقل إلى الآخريين من أجل ذلك ، إذا ارتابوا بدعواهما .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا عمران بن موسى الفزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر في قوله ( تحبسونهما من بعد الصلاة ، فيبقيان بالله ) قال : زعمنا أنه أوصى لهما بكذا وكذا ، ( فإن عثر على أنهما استحققا إثمًا ) أى بدعواهما لأنفسهما ( فآخرا إن يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ) : إن صاحبنا لم يوص إليكما بشيء مما تقولان .  
والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الشاهدين ألزما اليمين في ذلك ، بأنهم ورثة الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله ، ودعواهم قبيلهما خيانة مال معلوم المبلغ ، ونقلت بعد إلى الورثة ، عند ظهور الريبة التي كانت من الورثة فيهما ، وصحة التهمة عليهما ، بشهادة شاهد عليهما ، أو على أحدهما ، فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما ، أو على أحدهما ، إنما صحح دعواه إذ حقق حقه ، أو الإقرار يكون من الشهود ببعض ما ادعى عليهما الوارث أو بجميعة ، ثم دعواهما في الذي أقرأ به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما إلا ببينة ، ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بيينة ، فينقل حينئذ اليمين إلى أولياء الميت .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة ، لأننا لانعلم من أحكام الإسلام حكما يجب فيه اليمين على الشهود ، ترتيب بشهادتهما ، أو لم يرتب بها ، فيكون الحكم في هذه الشهادة نظيرا لذلك ، ولم نجد ذلك كذلك صح بخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا بإجماع من الأمة ، لأن استحلاف الشهود في هذا الموضع من حكم الله تعالى ، فيكون أصلا مسلما ، والمقول إذا خرج من أن يكون أصلا أو نظيرا لأصل فيما تنازعت فيه الأمة ، كان واضحا فسادا . وإذا فسد هذا القول بما ذكرنا ، فالقول بأن الشاهدين استحليفا من أجل أنهما ادعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله أفسد ، من أجل أن أهل العلم لاخلاف بينهم في أن من حكم الله تعالى أن مدعيا لو ادعى في مال ميت وصية ، أن القول قول ورثة المدعى في ماله الوصية ، مع أيمانهم ، دون قول مدعى ذلك مع يمينه ، وذلك إذا لم يكن للمدعى بيينة . وقد جعل الله تعالى اليمين في هذه الآية على الشهود ، إذا ارتبب بهما ، وإنما نقل الأيمان عنهم إلى أولياء الميت ، إذا عثر على أن الشهود استحقوا إثمًا في أيمانهم ، فمعلوم بذلك فساد قول من قال : ألزم اليمين الشهود لدعواهم لأنفسهم وصية أوصى بها لهم الميت من ماله . على أن ما قلنا في ذلك عن أهل التأويل ، هو التأويل الذي وردت به الأخبار



عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به حين نزلت هذه الآية ، بين الذين نزلت فيهم ، وبسببهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن يحيى بن أبي زائدة ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : خرج رجل من بني سَهْم ، مع تميم الداري ، وعدى بن بداء ، فمات السهمى بأرض ليس فيها مسلم ، فلما قدما بتركته ، فقدوا جاماً من فضة نحوها بالذهب ، فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وجدا الجاهل بمكة ، فقالوا : اشتريناها من تميم الداري ، وعدى بن بداء ، فقام رجلان من أولياء السهمى ، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما ، وإن الجاهل لصاحبهم ، قال : وفيهم أنزلت ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بيمينكم ) .

حدثنا الحسن بن أبي شعيب الحراني ، قال : ثنا محمد بن سلمة الحراني ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن أبي النضر ، عن زاذان مولى أم هانئ ابنة أبي طالب ، عن ابن عباس ، عن تميم الداري في هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بيمينكم إذا حضر أحدكم الموت ) قال : برئ الناس منها غيري وغير عدى بن بداء ، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام ، فأتيا الشام لتجارتهما ، وقدم عليهما مولى لبني سَهْم ، يقال له بُدَيْل بن أبي مريم بتجارة ، ومعه جام فضة يريد به الملك ، وهو عظيم تجارته ، ففرض ، فأوصى إليهما ، وأمرهما أن يبلغا ماترك أهله ، قال تميم : فلما مات ، أخذنا ذلك الجاهل ، فبعناه بألف درهم ، فقسمناه أنا وعدى بن بداء ، فقلنا : ما ترك غير هذا ، وما دفع إلينا غيره . قال تميم : فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك ، فأتيت أهله ، فأخبرتهم الخبر ، وأديت إليهم خمس مئة درهم ، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها ، فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألهم البيعة فلم يجدوا ، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه ، فحلف ، فأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بيمينكم ) . . . إلى قوله : ( أن تُردَّ أيمانٌ ببعده أيمانهم ) فقام عمرو بن العاص ، ورجل آخر منهم ، فحلفا ، فنزعت الخمس مئة من عدى بن بداء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وابن سيرين وغيره ، قال : وثنا الحجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، دخل حديث بعضهم في بعض ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بيمينكم ) . . . الآية ، قال : كان عدى و تميم الداري ، وهما من نخم ، نصرانيان يتجران إلى مكة في الجاهلية ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حولا متجرهما إلى المدينة ، فقدم ابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص المدينة ، وهو يريد الشام تاجرا ، فخرجا جميعا ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبي مارية ، فكتب وصيته بيده ، ثم دسها في متاعه ، ثم أوصى إليهما ؛ فلما مات ، فتحا متاعه ، فأخذوا ما أرادوا ، ثم قدما على أهله ، فدفعوا ما أرادوا ، ففتح أهله متاعه ، فوجدوا كتابه وعهده ، وما خرج

(١) قوله ابن أبي مارية ، ويقال له : ابن أبي مريم ، كما تقدم . كذا في الشهاب .

به ، وفقدوا شيئاً ، فسألوهما عنه ، فقالوا : هذا الذى قبضنا له ، ودفع إلينا ، قال لهما أهله : فباع شيئاً ، أو ابتاعه ؟ قالوا : لا ، قالوا : فهل استهلك من متاعه شيئاً ؟ قالوا : لا ، قالوا : فهل تجر تجارة ؟ قالوا : لا ، قالوا : فإننا قد فقدنا بعضه ، فاتهما ، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا شهادةً بينكم إذا حضر أحدكم الموت ) . . . إلى قوله ( إننا إذا لمين الآمين ) قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوهما في دبر صلاة العصر ، بالله الذى لا إله إلا هو ، ما قبضنا له غير هذا ، ولا كتمنا ؛ قال : فكنتنا ماشاء الله أن نمكث ، ثم ظهر معهما على إناء من فضة منقوش موه بذهب ، فقال أهله : هذا من متاعه ، قالوا : نعم ، ولكننا اشتريناه منه ، ونسينا أن نذكره حين حلفنا ، فكرهنا أن نكذب أنفسنا ، فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الآية الأخرى ( فإن عثر على أئهما استحقاً لئما ، فأختران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أهل الميت أن يحلفا على ما كتبا وغيبا ويستحقانه ؛ ثم إن تيم الدارى أسلم ، وباع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : صدق الله ورسوله ، أنا أخذت الإناء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( يا أيها الذين آمنوا شهادةً بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ) . . . الآية كلها . قال : هذا شيء حين لم يكن الإسلام إلا بالمدينة ، وكانت الأرض كلها كفراً ، فقال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا شهادةً بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ) من المسلمين ( أو آخران من غيركم ) من غير أهل الإسلام ( إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ) قال : كان الرجل يخرج مسافراً والعرب أهل كفر ، فعسى أن يموت فى سفره ، فيسند وصيته إلى رجلين منهم ، فيقسمان بالله إن ارتبتم فى أمرهما إذا قال الورثة : كان مع صاحبنا كذا وكذا ، فيقسمان بالله ما كان معه إلا هذا الذى قلنا ( فإن عثر على أئهما استحقاً لئما ) إنما حلفا على باطل وكذب ( فأختران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ) بالميت ( فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ، وما اعتدنا ، إننا إذا لمين الظالمين ) ذكرنا أنه كان مع صاحبنا كذا وكذا ، قال هؤلاء : لم يكن معه ، قال : ثم عثر على بعض المتاع عندهما ، فلما عثر على ذلك ردت القسامة على وارثه ، فأقسما ، ثم ضمن هذان ، قال الله تعالى ( ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، أو يخافوا أن ترد أيمانهم ) فتبطل أيمانهم ، ( وآتقوا الله وأسمعوا ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ) الكاذبين الذين يحلفون على الكذب .

وقال ابن زيد : قدم تيم الدارى وصاحب له ، وكانا يومئذ مشركين ، ولم يكونا أسلميا ، فأخبرا أنهما أوصى إليهما رجل ، وجاءا بركته ، فقال أولياء الميت ، كان مع صاحبنا كذا وكذا ، وكان معه إبريق فضة ؛ وقال الآخران : لم يكن معه إلا الذى جئنا به ، فحلفا خلف الصلاة ، ثم عثر عليهما بعد

والإبريق معهما ؛ فلما عثر عليهما ردت القسامة على أولياء الميت بالذي قالوا مع صاحبهم ، ثم ضمنهما الذي حلف عليه الأوليان .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا الشافعي ، قال : أخبرنا سعيد بن معاذ بن موسى الجعفري ، عن بكر بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، قال بكر : قال مقاتل : أخذت هذا التفسير ، عن مجاهد والحسن والضحاك في قول الله ( ائْتِنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) : أن رجلين نصرانيين من أهل دارين ، أحدهما تميمي والآخري ماني ، صاحبهما مولى لقريش في تجارة ، فركبوا البحر ، ومع القرشي مال معلوم ، قد علمه أولياؤه ، من بين آنية ، وبز ، ورقية ، فرض القرشي ، فجعل وصيته إلى الداريين ، فمات ، وقبض الداريان المال والوصية ، فدفعاه إلى أولياء الميت ، وجاءا ببعض ماله ، وأنكر القوم قلة المال ، فقالوا للداريين : إن صاحبنا قد خرج معه بمال أكثر مما أتيتونا به ، فهل باع شيئا ، أو اشترى شيئا فوضع فيه ؟ أو هل طال مرضه ، فأنفق على نفسه ؟ قالوا : لا ، قالوا : فإنكما خنتانا ، فقبضوا المال ، ورفعوا أمرهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) . . . إلى آخر الآية ؛ فلما نزل : أن يجلسا من بعد الصلاة ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقاما بعد الصلاة ، فحلفا بالله رب السموات ، ما ترك مولاكم من المال إلا ما أتيناكم به ، وإنا لانشرى بأيماننا ثمنا قليلا من الدنيا ، ولو كان ذا قربى ، ولا نكتم شهادة الله ، إننا إذن لمن الآثمين . فلما حلفا ختلى سبيلهما ، ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناء من آنية الميت ، فأخذ الداريان ، فقالا : اشتريناه منه في حياته وكذبا ، فكللنا البيعة ، فلم يقدرنا عليها ، فرفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى ( فَإِنْ عَصَيْتُمْ ) يقول : فإن اطلع على أنهما استحقا إثما ، يعنى الداريين إن كتما حقا ، فأخران من أولياء الميت يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ، فيقسمان بالله أن مال صاحبنا كان كذا وكذا ، وإن الذي يطلب قبيل الداريين لحق ، وما اعتدينا ، إننا إذن لمن الظالمين ، هذا قول الشاهدين أولياء الميت ، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، يعنى : الداريين والناس ، أن يعودوا للمثل ذلك .

قال أبو جعفر : ففيما ذكرنا من هذه الأخبار التي رويها دليل واضح على صحة ما قلنا ، من أن حكم الله تعالى باليمين على الشاهدين في هذا الموضع ، إنما هو من أجل دعوى ورثته على المسند إليهما الوصية بخيانة ، فيما دفع الميت من ماله إليهما ، أو غير ذلك مما لا يبرأ فيه المدعى ذلك قبيله إلا بيمين ، وإن نقل اليمين إلى ورثة الميت ، بما أوجبه الله تعالى ، بعد أن عثر على الشاهدين في أيمانهما ، ثم ظهر على كذبهما فيها ، أن القوم ادعوا فيما صح أنه كان للميت دعوى ، من انتقال ملك عنه إليهما ، ببعض ما تزول به الأملاك ، مما يكون اليمين فيها على ورثة الميت دون المدعى ، وتكون البيعة فيها على المدعى ، وفساد ماخالف في هذه الآية مما قلنا من التأويل . وفيها أيضا البيان الواضح على أن معنى الشهادة التي ذكرها الله تعالى في أول هذه القصة ، إنما هي اليمين ، كما قال الله تعالى في مواضع أخر ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ) ، ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ، فشهادة أحدِهِم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين )

فالشهادة في هذا الموضع معناها القسم من قول القائل : أشهد بالله إنه لمن الصادقين ، وكذلك معنى قوله ( شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) إنما هو قسم بينكم ( إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ) أن يقسم ( اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) إن كانا اثمنا على ما قال ، فارتيب بهما ، أو اثمنا آخران من غير المؤمنين فإتينا ، وذلك أن الله تعالى لما ذكر نقل اليمين من اللذين ظهر على خيانتهم إلى الآخرين ، قال ( فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِّنْ شَهَادَتَيْهِمَا ) . ومعلوم أن أولياء الميت المدعى قبيل اللذين ظهر على خيانتهم ، غير جائز أن يكونا شهداء بمعنى الشهادة التي يؤخذ بها في الحكم حتى مدعى عليه المدعى ، لأنه لا يعلم الله تعالى حكم قضى فيه لأحد بدعواه ويمينه على مدعى عليه ، بغير بينة ولا إقرار من المدعى عليه ولا برهان ؛ فإذا كان معلوما أن قوله ( لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِّنْ شَهَادَتَيْهِمَا ) إنما معناه : قسمنا أحق من قسمهما ، وكان قسم اللذين عثر على أنهما أتما ، هو الشهادة التي ذكر الله تعالى في قوله ( أَحَقُّ مِّنْ شَهَادَتَيْهِمَا ) صح أن معنى قوله ( شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) بمعنى الشهادة في قوله ( لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِّنْ شَهَادَتَيْهِمَا ) وأنها بمعنى القسم . واختلفت القراء في قراءة قوله ( مِّنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ) فقرأ ذلك قراء الحجاز والعراق والشام ( مِّنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ) بضم التاء . ورؤي عن عليّ وأبي بن كعب والحسن البصري أنهم قرءوا ذلك ( مِّنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ) بفتح التاء .

واختلفت أيضا في قراءة قوله ( الْأَوْلِيَانِ ) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والشام والبصرة ( الْأَوْلِيَانِ ) وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( الْأَوْلِيَانِ ) . وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك ( مِّنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ) .

وأولى القراءتين بالصواب في قوله ( مِّنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ) قراءة من قرأ بضم التاء ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، مع مساعدة عامة أهل التأويل على صحة تأويله ، وذلك إجماع عامتهم على أن تأويله : فأخران من أهل الميت الذين استحق المؤمنان على مال الميت الإثم فيهم ، يقومان مقام المستحق الإثم فيهما بخيانتهم ما خانا من مال الميت ، وقد ذكرنا قائل ذلك ، أو أكثر قائله فيما مضى قبل ، ونحن ذاكروا باقيهم ، إن شاء الله تعالى ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ( شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ) : أن يموت المؤمن ، فيحضر موته مسلمان أو كافران ، لا يحضره غير اثنين منهم ، فإن رضى ورثته ما عاجل عليه من تركته فذاك ، وحلف الشاهدان إن أتيا إنيما لصادقان ، فإن عثر : ووجد لطمخ ، حلف الاثنان الأوليان من الورثة ، فاستحقا ، وأبطلا إيمان الشاهدين ؛ وأحسب أن الذين قرءوا ذلك بفتح التاء ، أرادوا أن يوجهوا تأويله إلى : فأخران يقومان مقامهما ، مقام المؤمن اللذين عثر على خيانتهم في القسم والاستحقاق به عليهما دعواهما قبيلهما من الذين استحق على المؤمن على المال على خيانتهم القيام مقامهما في القسم ، والاستحقاق في الأوليان بالميت ، وكذلك كانت قراءة من رويت هذه القراءة عنه ، فقرأ

ذلك من الذين استحقّ بفتح التاء على معنى الأوليان بالميت وماله ، وذلك مذهب صحيح ، وقراءة غير مدفوعة صحتها ، غير أنا نختار الأخرى لإجماع الحجة من القراء عليها مع موافقتها التأويل الذي ذكرنا عن الصحابة والتابعين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الرحمن وكريب عن عليّ ، أنه كان يقرأ ( مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، عن حماد بن زيد ، عن وائل مولى أبي عبيد ، عن يحيى ابن عقيل عن يحيى بن يعمر ، عن أبي بن كعب ، أنه كان يقرأ ( مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ) .  
 وأما أولى القراءات بالصواب في قوله ( الْأَوْلِيَانِ ) عندي : فقراءة من قرأ ( الْأَوْلِيَانِ ) بصحة معناها وذلك لأن معنى فأختران يقومان مقامهما من الذين استحقّ فيهم الإثم ، ثم حذف الإثم ، وأقيم مقامه الأوليان ، لأنهما هما اللذان ظلما وأثما فيهما بما كان من خيانة اللذين استحقا الإثم ، وعُسر عليهما بالخيانة منهما ، فيما كان اتصفا عليهما عليه الميت ، كما قد بينا فيما مضى من فعل العرب مثل ذلك من حذفهم الفعل اجترأ بالاسم ، وحذفهم الاسم اجترأ بالفعل ، ومن ذلك ما قد ذكرنا في تأويل هذه القصة ، وهو قوله ( شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ) ومعناه : أن يشهد اثنان ، وكما ( قَالَ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَأَنْتَشِرْتُمْ بِهِ تَمْتَأً ) فقال به ، فعاد بالخاء على اسم الله ؛ وإنما المعنى : لانتشرتي بقسمنا بالله ، فاجترأت بالعود على اسم الله بالذكر والمراد به : لانتشرتي بالقسم بالله استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم ، وكذلك اجترأت بذكر الأوليين من ذكر الإثم الذي استحقه الخائنان لخيانتهما إياها ، إذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع عند سماعه إياه عن إعادته ، وذلك قوله ( فَإِنْ عُسِرَ عَلَىٰ أَتْمَهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا ) . وأما الذين قرءوا ذلك ( الْأَوْلِيَانِ ) فإنهم قصدوا في معناه إلى الترجمة به ، عن الذين ، فأخرجوا ذلك على وجه الجمع ، إذ كان الذين جمعا وخفضا ، إذ كان الذين مخفوضا ، وذلك وجه من التأويل ، غير أنه إنما يقال للشيء أول إذا كان له آخر هو له أول ، وليس للذين استحقّ عليهم الإثم آخرهم له أول ، بل كانت أيمان الذين عُسر على أنهما استحقا إثما قبل إيمانهم ، فهم إلى أن يكونوا إذ كانت أيمانهم آخرا ، أولى أن يكونوا آخرين من أن يكونوا أوليين وأيمانهم آخرة لأولى قبلها . وأما القراءة التي حكيت عن الحسن ، فقراءة عن قراءة الحجة من القراء شاذة ، وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلا على بعدها من الصواب .

واختلف أهل العربية في الرفع لقوله ( الْأَوْلِيَانِ ) إذا قرئ كذلك ، فقال بعض نحويّ البصرة : يزعم أنه رفع ذلك بدلا من أختران في قوله ( فَأَخْتَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ) وقال : إنما جاز أن يبدل الأوليان وهو معرفة من أختران وهو نكرة ، لأنه حين قال : ( يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ) كان كأنه قد حذفها حتى صارا كالمعرفة في المعنى ، فقال : الأوليان ، فأجرى المعرفة عليهما بدلا ، قال : ومثل هذا مما يجري على المعنى كثير ، واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز :

عَلَى يَوْمَ يَمْلِكُ الْأُمُورَ صَوْمُ شَهْرٍ وَجَبَتْ نُذُورًا  
وَبَادِنَا مَقْلَدًا مَنحُورًا ١

قال : فجعله على واجب ، لأنه في المعنى فد واجب .

وكان بعض نحوِي الكوفة ينكر ذلك ويقول : لا يجوز أن يكون الأوليان بدلا من آخران من أجل أنه قد نسق ، فيقسمان على يقومان في قوله ( فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ ) فلم يتم الخبر عند من قال : لا يجوز الإبدال قبل إتمام الخبر ، كما قال : غير جائز مررت برجل ، قام زيد وقعد وزيد بدل من رجل .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : الأوليان : مرفوعان بما لم يسم فاعله ، وهو قوله ( اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ) وإنهما موضع الخبر عنهما ، فعمل فيهما ما كان عاملا في الخبر عنهما ، وذلك أن معنى الكلام : فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مقامهما من الذين استحق عليهم الإثم بالخيانة ، فوضع الأوليان موضع الإثم كما قال تعالى في موضع آخر ( أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) ومعناه : أجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر ؟ وكما قال ( وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ) ، وكما قال بعض المذليين :

يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ تَمْرٍ مِّنَ الْخُرْمِ الصَّرَاصِرَةِ الْقِطَاطِ ٢

وهو يعنى صاحب حانوت خمر ، فأقام الحانوت مقامه ، لأنه معلوم أن الحانوت لا يمشى ، ولكن لما كان معلوما عنده أنه لا يمشى على سامعه ما قصد إليه من معناه حذف الصاحب ، واجتزأ بذكر الحانوت منه ، فكذلك قوله ( مِّنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ) إنما هو من الذين استحق فيهم خيانتهم ، فحذفت الخيانة ، وأقم الختانان مقامها ، فعمل فيهما ما كان يعمل في المحذوف ولو ظهر ؛ وأما قوله عليهم في هذا الموضع ، فإن معناها : فيهم ، كما قال تعالى ( وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ) يعنى : في ملك سليمان ، وكما قال ( وَلَا صَلَّيْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) ففي موضع موضع على ، وعلى في موضع في ، كل واحدة منهما تعاقب صاحبها في الكلام ، ومنه قول الشاعر :

مَتَى مَا تُشْكِرُوهَا تَعْرِفُوهَا عَلَى أَقْطَارِهَا عَلَقٌ نَقِيثٌ ٣

(١) لم أفت على قائل هذا الرجز . والراجح ينذر أنه إذا ملك هذا الرجل أمور الناس ، فإنه سيصوم شهرا ، ويهدى إلى البيت بدنا مقلدا لتحر في الحرم .

(٢) البيت للمتنخل المذل ( المعاني الكبير لابن قتيبة ، طبع الهند ص ٤٧٢ ) قال ، أى صاحب الحانوت : وهو من العجم . والصراصرة : نبط الشام ، والقطاط : الجعد . وفي ( اللسان : قلط ) : ورجل قط الشعر وقطعه ، والجمع أقطاط وقطاط ، وأنشد البيت . وفيه أيضا : وشعر قط وقطط : جعد قصير .

(٣) حقق ابن السيد نسبة هذا البيت ومعناه تحقيقا لامتداد عليه في الاقتضاب شرح أدب الكتاب ص ( ٤٥١ - ٤٥٢ ) ، فأما قائله فهو أبو المثلث المذل ، رد به على صخر التميمي المذل ، وليس هو من كلام صخر كما زعم الأصمعي ، وتبعه ابن قتيبة في المعاني الكبير ( ص ٩٦٩ ) ، ونقله عنهما اللسان ( نفث ) . وأما معناه : فإن ابن قتيبة قال في كتاب المعاني الكبير : يذكر كتيبة ، أراد : من أقطارها ، وهي نواحيها : أى متى تشكروا فيها ترد عليكم في الدماء تنفثها نفثا ، أى ترون كتيبة نكراه . وقال ابن السيد : إن الأصمعي روى في آخر هذا الشعر بيتا وقع في غير موضعه ، وهو :

فلا وأبيك لا تنفك مني إليك مقالة فيها وعود

وقد تأولت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى (فإن عثر على أيهما استحقاقاً إنما ، فآخراً أن يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان) أنهما رجلان آخران من المسلمين ، أو رجلان أعدل من المقسمين الأولين .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن شريح في هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا شهادةً بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدلٍ منكم ، أو آخران من غيركم ) قال : إذا كان الرجل بأرض غريبة ، ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته ، فأشهد يهودياً أو نصرانياً ، أو مجوسياً ، فشهادتهم جائزة ، فإن جاء رجلان مسلمان ، فشهدا بخلاف شهادتهم ، أجزبت شهادة المسلمين ، وأبطلت شهادة الآخرين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإن عثر) أي اطلع منهما على خيانة على أيهما كذبا أو كتماً ، فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلاف ما قالا ، أجزبت شهادة الآخرين ، وأبطلت شهادة الأولين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال : كان ابن عباس يقرأ ( من الذين استحق عليهم الأولين ) وقال : كيف يكون الأوليان ، أرأيت لو كان الأوليان صغيرين ؟ حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا عبدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : كان يقرأ ( من الذين استحق عليهم الأولين ) قال : وقال : أرأيت لو كان الأوليان صغيرين ، كيف يقومان مقامهما ؟

قال الإمام أبو جعفر : فذهب ابن عباس فيما أرى إلى نحو القول الذي حكيت عن شريح وقتادة ، من أن ذلك رجلان آخران من المسلمين يقومان مقام النصرانيين ، أو عدلان من المسلمين ، هما أعدل وأجوز شهادة من الشاهدين الأولين ، أو المقسمين . وفي إجماع جميع أهل العلم ، على ألا يحكم الله تعالى يجب فيه على شاهد يمين فيما قام به من الشهادة ، دليل واضح على أن غير هذا التأويل الذي قاله الحسن ، ومن قال بقوله في قول الله تعالى ( فآخراً أن يقومان مقامهما ) أولى به .

وأما قوله ( الأوليان ) فإن معناه عندنا . الأولى بالميت من المقسمين الأولين فالأولى ، وقد يحتمل أن

— فهذا البيت إذا قدمه قبل قوله « متى ما تنكروها » استقام الشعر . . . لأن الهاء في قوله تنكروها تعود على المقالة . والمعنى : إن أقول فيكم مقالة لا تقدر على إنكارها ورفنها عن أنفسكم ، لأن أسماها بأسمائكم ، وأشهرها بذكركم ، وتأنيك على أقطارها الدم المنفوث . أي أنها مقالة تثير الحرب ، وسفك الدماء ، كما يقال : هذا كلام يقطر منه الدم . قال : وفي الأشعار الجاهلية والإسلامية القديمة كثير من هذا النوع ، قد أسدته الرواة ، فقدموا وأخروا ، يرى ذلك من تأمل الأشعار وعنى بها . اهـ . قلت : وقد ضرب ابن السيد لذلك أمثالا ، فارجع إلى الاقتضاب . (١) أرض غريبة : بعيدة .

يكون معناه : الأولى باليمين منهما فالأولى ، ثم حذف فيهما : والعرب تفعل ذلك فتقول : فلان أفضل ، وهى تريد أفضل منك ، وذلك إذا وضع أفعال موضع الخبر ، وإن وقع موقع الاسم ، وأدخلت فيه الألف واللام ، فعلوا ذلك أيضا إذا كان جوابا لكلام قد مضى ، فقالوا : هذا الأفضل ، وهذا الأشرف يريدون هو الأشرف منك . وقال ابن زيد : معنى ذلك : الأوليان بالميت .

حدثني يونس ، عن ابن وهب ، عنه .

القول فى تأويل قوله ( فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ، وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذْ نَمِينِ الظَّالِمِينَ ) :

يقول تعالى ذكره : فيقسم الآخرون اللذان يقومان مقام اللذين عسّر على أنهما استحقا إنما بخيانتهما مال الميت ، الأوليان باليمين والميت من الخائنين ( لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ) يقول : لأيماننا أحق من أيمان المقسمين المستحقين الإثم ، وأيمانها الكاذبة فى أنهما قد خانا فى كذا وكذا من مال ميتنا ، وكذا فى أيمانها التى حلفا بها ( وَمَا اعْتَدَيْنَا ) يقول : وما تجاوزنا الحق فى أيماننا . وقد بيننا أن معنى الاعتداء : المجاوزة فى الشيء حده ( إِنَّا إِذْ نَمِينِ الظَّالِمِينَ ) يقول : إنا إن كنا اعتدينا فى أيماننا ، فحلفنا مبطلين فيها كاذبين ، لمن الظالمين ، يقول : لمن عدا ، ومن يأخذ ما ليس له أخذه ، ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس .

القول فى تأويل قوله

ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ،  
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( ذلك ) : هذا الذى قلت لكم فى أمر الأوصياء إذا ارتبتم فى أمرهم ، وأهتمموهم بخيانة لمال من أوصى إليهم ، من حبسهم بعد الصلاة ، واستحلافكم إياهم على ما ادعى قبيلهم أولياء الميت ( أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ) يقول : هذا الفعل إذا فعلتم بهم ، أقرب لهم أن يصدقوا فى أيمانهم ، ولا يكتموا ، ويقرؤا بالحق ، ولا يخونوا ( أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ) يقول : أو يخافوا هؤلاء الأوصياء إن عسّر عليهم أنهم استحقوا إنما فى أيمانهم بالله ، أن ترد أيمانهم على أولياء الميت بعد أيمانهم التى عسّر عليها أنها كذب ، فيستحقوا بها ما ادعوا قبيلهم من حقوقهم ، فيصدقوا حينئذ فى أيمانهم وشهادتهم ، مخافة الفضيحة على أنفسهم ، وحذرا أن يستحق عليهم ما خانوا فيه أولياء الميت وورثته .

وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، وقد تقدمت الرواية بذلك عن بعضهم ، ونحن ذاكرو الرواية فى ذلك عن بعض من بقى منهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ،



عن ابن عباس (فإن عُبِّرَ على أُنْهَمَا اسْتَحَقَّاهُ إِثْمًا) يقول: إن اطلع على أن الكافرين كذبًا، فأختران يقومان مقامهما، يقول: من الأولياء، فحلفا بالله إن شهادة الكافرين باطلة، وإن لم نعتد، فترد شهادة الكافرين، وتجاوز شهادة الأولياء، يقول تعالى ذكره: ذلك أدنى أن يأتي الكافرون بالشهادة على وجهها، أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم، وليس على شهود المسلمين إقسام، وإنما الإقسام إذا كانوا كافرين. حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ) . . . الآية، يقول: ذلك أحرى أن يصدقوا في شهادتهم، وأن يخافوا العقاب. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ إِيمَانًا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ) قال: فتبطل أيمانهم، وتؤخذ أيمان هؤلاء.

وقال آخرون: معنى ذلك: تحبسونهما من بعد الصلاة، ذلك أدنى: أن يأتوا بالشهادة على وجهها، وعلى أنهما استحقا إثمًا، فأختران يقومان مقامهما.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: يوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما، فيحلفان بالله لا نشترى به ثمنًا قليلًا، ولو كان ذا قرني، ولا نكتم شهادة الله، إنا إذن لمن الآثمين، إن صاحبكم لهذا أوصى، وإن هذه لتركته، فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا: إنكما إن كنتمما أو خنتما، فضحتكما في قومكما، ولم أجز لكما شهادة، وعاقبتكما، فإن قال لهما ذلك، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها.

القول في تأويل قوله (وَآتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ):

يقول تعالى ذكره: وخافوا الله أيها الناس، وراقبوه في أيمانكم، أن تحلفوا بها كاذبة، وأن تذهبوا بها مال من يحرم عليكم ماله، وأن تخونوا من اتتمنكم (وَاسْمَعُوا) يقول: اسمعوا ما يقال لكم، وما توعظون به، فاعملوا به، وانتهوا إليه (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول: والله لا يوفق من فسق عن أمر ربه، فخالفه وأطاع الشيطان وعصى ربه.

وكان ابن زيد يقول: الفاسق في هذا الموضع: هو الكاذب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ): الكاذبين يحلفون على الكذب. وليس الذي قال ابن زيد من ذلك عندي بمدفوع، إلا أن الله تعالى عمّ الخبر، بأنه لا يهدي جميع الفاسق، ولم يخص منهم بعضًا دون بعض، بخبر ولا عقل، فذلك على معاني الفسق كلها، حتى يخص شيئًا منها، ما يجب التسليم له، فيسلم له.

ثم اختلف أهل العلم في حكم هاتين الآيتين، هل هو منسوخ، أو هو محكم ثابت؟ فقال بعضهم: هو منسوخ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن رجل ، قد سماه ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : هي منسوخة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أني ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أني ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : هي منسوخة ، يعني هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا شهادة ببيئكم ) . . . الآية . وقال جماعة : هي محكمة وليست بمنسوخة ، وقد ذكرنا قول أكثرهم فيما مضى .

والصواب من القول في ذلك : أن حكم الآية منسوخ ، وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره ، الذي عليه أهل الإسلام ، من لدن بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، إلى يومنا هذا ، أن من ادعى عليه دعوى مما يملكه بنو آدم ، أن المدعى عليه لا يرثه مما ادعى عليه إلا العيين ، إذا لم يكن للمدعى بيعة تصح دعواه ، وأنه إن اعترف ، وفي يدي المدعى سلعة له ، فادعى أنها له دون الذي في يده ، فقال الذي هو في يده : بل هي لي اشتريتها من هذا المدعى ، أن القول قول من زعم الذي هو في يده أنه اشتراها منه ، دون من هو في يده ، مع يمينه إذا لم يكن للذي هو في يده بيعة تحقق به دعواه الشراء منه ، فإذا كان ذلك حكم الله الذي لا خلاف فيه بين أهل العلم ، وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمر وصية الموصى إلى عدلين من المسلمين ، أو إلى آخرتين من غيرهم ، إنما ألزم النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه الوصيين العيين حين ادعى عليهما الورثة ما ادعوا ، ثم لم يلتزم المدعى عليهما شيئا إذ حلفا ، حتى اعترفت الورثة في أيديهما ما اعترفوا من الجلام أو الإبريق أو غير ذلك من أمواهم ، فزعمتا أنهما اشترياه من ميتهم ، فحينئذ ألزم النبي صلى الله عليه وسلم ورثة الميت العيين ، لأن الوصيين نحو لا مدعيين ، بدعواهما ما وجدنا في أيديهما من مال الميت ، أنه لهما ، اشتريا ذلك منه ، فصارا مقرين بالمال للميت ، مدعيين منه الشراء ، فاحتاجا حينئذ إلى بيعة تصح دعواهما ، وورثة الميت رب السلعة أولى باليمين منهما ، فذلك قوله تعالى ( فإن عير على أنهما استحقا إنما فآخران بقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ، فيقسيان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ) . . . الآية . فإذا كان تأويل ذلك كذلك ، فلا وجه لدعوى مدع أن هذه الآية منسوخة ، لأنه غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله تعالى ذكره ، أنه منسوخ إلا بخبر يقطع العذر ، إما من عند الله ، أو من عند رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو بورود النقل المستفيض بذلك ، فأما ولا خبر بذلك ، ولا يدفع صحته عقل ، فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ .

#### القول في تأويل فرد

« يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ (١٠٩) »

يقول تعالى ذكره : وانتقوا الله أيها الناس ، واسمعوا وعظه إياكم ، وتذكيره لكم ، واحذروا يوم يجمع الله الرسل ، ثم حذف واحذروا واكتفى بقوله ( وآتقوا الله واسمعوا ) عن إظهاره ، كما قال الراجز :

(١) لعل الصواب : غير منسوخ ، كما يدل عليه آخر كلامه في هذا المقام .

عَلَفْتُمُهَا تَبِنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى غَسَدَتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا

يريد : وسقيتها ماء باردا ، فاستغنى بقوله « علفتها تبنا » من إظهار سقيتها ، إذ كان السامع إذا سمعه عرف معناه ، فكذلك في قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) حذف واحذروا لعلم السامع معناه ، اكتفاء بقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا) إذ كان ذلك تحذيرا من أمر الله تعالى خلقه عقابه على معاصيه .

وأما قوله (مَآذَا أُجِيبْتُمْ) فإنه يعنى به ما الذى أجابتمكم به أممكم ، حين دعوتهم إلى توحيدى ، والإقرار بى ، والعمل بطاعى ، والانهاء عن معصيتى ؟ قالوا : لا علم لنا .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى قولهم (لا علم لنا) لم يكن ذلك من الرسل إنكارا أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم ، ولكنهم ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ، ثم أجابوا بعد أن ثابت إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَآذَا أُجِيبْتُمْ ؟ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا) قال : ذلك أنهم لما نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول ، فلما سئلوا ، قالوا : لا علم لنا ، ثم نزلوا منزلا آخر ، فشهدوا على قومهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، قال : سمعت الحسن يقول ، في قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) . . . الآية ، قال : من هول ذلك اليوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن مجاهد في قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَآذَا أُجِيبْتُمْ ؟) فيقولون : ما ذا أجبتهم ؟ فيقولون : (لا علم لنا) .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا علم لنا ، إلا ما علمتنا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، في قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَآذَا أُجِيبْتُمْ ؟) فَيَقُولُونَ (لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب) .

(١) البيت في اللسان (علف) أنشده الفراء . وروايته « حتى شئت . . . الخ » أى : وسقيتها ماء . وهو من شواهد التحوين في باب المفعول معه ، على أنه إذا امتنع العطف بالواو على مشاركة التاني للأول ، وامتنع أن يكون مفعولا معه ، وجب إضمار فعل ، كما في البيت ، أى : وسقيتها ماء باردا ، على أنه مفعول به ، والفعل المحذوف معطوف على الفعل المذكور . قال في التصريح للشيخ خالد على أوضح المسالك لابن هشام : هذا قول الفراء والفارسي ومن تبعهما . وإليه أشار الناظم (ابن مالك) بقوله : « أو اعتقد إضمار عامل نصب » . وذهب جماعة من أئمة نحاة البصرة : (الجرى ، والمنازى ، والمبرد ، والأصمى ، وأبو محمد اليزيدى) إلى أن لا حذف ، وأن ما بعد الواو معطوف على ما قبله ؛ وذلك على تأويل العامل المذكور قبلهما ، بعامل يصح انصبا به عليهما معا ، فيؤول علفتها : بأنلتها ، لأن الإنالة يصح تسليطها على التبن والماء . فهو من باب التضمنين . والأكثرون على أنه قياسى ، وضابطه أن يكون الأول والثاني مجتمعان في معنى عام .

وقال آخرون : معنى ذلك : قالوا لا علم لنا ، إلا علم أنت أعلم به منا .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني المنذرى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ،  
عن ابن عباس ، قوله ( يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِيبْتُمْ ؟ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ) إلا علم  
أنت أعلم به منا .

وقال آخرون : معنى ذلك ( ماذا أُجِيبْتُمْ ) : ماذا عملوا بعدكم ، وماذا أحدثوا .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ  
الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِيبْتُمْ ) : ماذا عملوا بعدكم ، وماذا أحدثوا بعدكم ؟ ( قَالُوا لَا عِلْمَ  
لَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ) .

وأولى الأقوال بالصواب : قول من قال : معناه : لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ، لأنه تعالى ذكره ،  
أخبر عنهم أنهم قالوا ( لا علم لنا ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ) : أى إنك لا يخفى عليك ما عندنا من علم  
ذلك ، ولا غيره ، من خفى العلوم وجليها ، وإنما نبي القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك ، علم لا يعلمه  
هو تعالى ذكره ، لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شاهدوا ، كيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ؟ وهو تعالى  
ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابهم به الأمم ، وأنهم سيشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء ، فقال  
تعالى ذكره ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ  
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ) .

وأما الذى قاله ابن جريج : من أن معناه : ماذا عملت الأمم بعدكم ؟ وماذا أحدثوا ؟ فتأويل لامعنى  
له ، لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك ، وإذا سئلت عما عملت  
الأمم بعدها ، والأمر كذلك ، وإنما يقال لها : ماذا عرفناك أنه كائن منهم بعدك ، وظاهر خبر الله تعالى  
ذكره عن مسأله إياهم ، يدل على غير ذلك :

القول فى تأويل قوله

إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ،  
تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَإِذْ  
تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ، فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ، وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ  
وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ، وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ  
بِالْبَيْنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠)

يقول تعالى ذكره لعباده : احذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم : ماذا أجبائكم أممكم في الدنيا ( إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ، إذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ) فإذا من صلة أجبتم ، كأن معناها : ماذا أجات عيسى الأمم التي أرسل إليها عيسى .

فإن قال قائل : وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأمم إياها في عهد عيسى ، ولم يكن في عهد عيسى من الرسل إلا أقل من ذلك ؟ قيل : جائر أن يكون الله تعالى عنى بقوله : فيقول ماذا أجبتم الرسل الذين كانوا أرسلوا في عهد عيسى ، فخرج الخبر مخرج الجميع ، والمراد منهم من كان في عهد عيسى ، كما قال تعالى ( الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ) ، والمراد : واحد من الناس ، وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس .

ومعنى الكلام : ( إذْ قَالَ اللَّهُ ) حين قال ( يا عيسى ابن مريم اذكرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ، إذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ) يقول : يا عيسى ، اذكر أيادي عندك وعند والدتك ، إذ قوتك بروح القدس ، وأعتك به .

وقد اختلف أهل العربية في أيديك ما هو من الفعل ؟ فقال بعضهم : هو فعلتلك ، كما في قولك : قوتك ، فعتلت من القوة .

وقال آخرون : بل هو فاعلتك من الأيد . ورؤي عن مجاهد أنه قرأ ( إذْ أُيِّدْتُكَ ) بمعنى : أفلتلك من القوة والأيد ، وقوله ( بِرُوحِ الْقُدُسِ ) يعني بجبريل ، يقول : إذ أعتك بجبريل . وقد بينت معنى ذلك ، وما معنى القدس فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله ( تَكَلَّمُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا ) ، وإذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وإذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ، فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ، وَتُسَبِّرِي الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ، وإذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ، وإذْ كَفَقْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ ، إذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فقال الذين كفروا منهم : إن هذا إلا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) .

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قبيله لعيسى ( اذكرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ) في حال تكليمك الناس في المهد وكهلا ، وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره ، أنه أيده بروح القدس صغيرا في المهد ، وكهلا كبيرا ، فرد القول على قوله في المهد ، لأن معنى ذلك صغيرا ، كما قال الله تعالى ذكره ( دَعَانَا لِجَنبَيْهِ ، أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ) وقوله ( وإذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ) يقول : واذكر أيضا نعمتي عليك إذ علمتك الكتاب : وهو الخط ، والحكمة : وهي الفهم بمعاني الكتاب الذي أنزلته إليك ، وهو الإنجيل ( وإذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ) : يقول : كصورة الطير ( بِإِذْنِي ) يعني بقوله ( تَخَلَّقُ ) : تعمل وتصلح من الطين ( كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ) يقول : بعونى على ذلك ، وعلم منى . ( فَتَنْفُخُ فِيهَا ) : يقول : فتنفخ في الهيئة ، فتكون الهيئة

والصورة ( طَسِيرًا بِإِذْنِي ، وَتُسْبِرِي الْأَكْمَهَ ) يقول : وتشقى الأكمة : وهو الأعمى الذي لا يبصر شيئا ، المظموس البصر ( وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ) ، وقد بينت معاني هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا مفسرا بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ) يقول : واذكر أيضا نعمتي عليك ، بكفى عنك بني إسرائيل ، إذ كففتهم عنك ، وقد هموا بقتلك ، إذ جئتهم بالبينات ، يقول : إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة على نبوتك ، وحقية ما أرسلتك به إليهم ( فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ) يقول تعالى ذكره : فقال الذين جحدوا نبوتك ، وكذبوك من بني إسرائيل : ( إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه أهل المدينة وبعض أهل البصرة : ( إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) يعنى : بين عما أتى به لمن رآه ونظر إليه ، أنه سحر لاحقيقة له ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة : ( إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) بمعنى : ما هذا ، يعنى به عيسى ، إلا ساحر مبين ، يقول : بين بأفعاله ، وما أتى به من هذه الأمور العجيبة عن نفسه ، أنه ساحر ، لاني صادق .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، متفقتان غير مختلفتين ، وذلك أن كل من كان موصوفا بفعل السحر ، فهو موصوف بأنه ساحر ، ومن كان موصوفا بأنه ساحر ، فإنه موصوف بفعل السحر ، فالفعل دال على فاعله ، والصفة تدل على موصوفها ، والموصوف يدل على صفته ، والفاعل يدل على فعله ، فبأى ذلك قرأ القارى ، فصيب الصواب في قراءته .

#### القول في تأويل قوله

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ، قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (١١١)

يقول تعالى ذكره : واذكر أيضا يا عيسى ، إذ ألقىت إلى الخوارج ، وهم وزراء عيسى على دينه . وقد بينا معنى ذلك ، ولم يقل لهم الخوارجون فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله ( وَإِذْ أَوْحَيْتُ ) وإن كانت متفقة المعاني ، فقال بعضهم بما حدثني به محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ ) يقول : قذفت في قلوبهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : ألهمهم .

فتأويل الكلام إذن : وإذ ألقىت إلى الخوارج أن صدقوا بي وبرسولي عيسى ، فقالوا : آمنا : أى صدقنا بما أمرتنا أن نؤمن ياربنا ، واشهد علينا بأننا مسلمون ، يقول : واشهد علينا بأننا خاضعون لك بالدلة سامعون ، مطيعون لأمرك .

القول في تأويل قوله

إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟

قَالَ : اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا عيسى أيضا نعمتي عليك ، إذ أوحيت إلى الخواريث ، أن آمنوا بي وبرسولي ، إذ قالوا لعيسى بن مريم ( هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ) فإذا الثانية من صلة : أوحيت .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ) ، فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ( هَلْ تَسْتَطِيعُ ) بالياء ( رَبُّكَ ) بالنصب ، بمعنى : هل تستطيع أن تسأل ربك ، وهل تستطيع أن تدعو ربك ؟ أو هل تستطيع وترى أن تدعوه ؟ وقالوا : لم يكن الخواريث شاكرين أن الله تعالى ذكره قادر أن ينزل عليهم ذلك ، وإنما قالوا لعيسى : هل تستطيع أنت ذلك ؟

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا محمد بن بشر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قالت عائشة : كان الخواريث لا يشكون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة ، ولكن قالوا : يا عيسى ، ( هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ) .

حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن جابر بن يزيد بن رفاعة ، عن حبان بن مخارق ، عن سعيد بن جبیر أنه قرأها كذلك ( هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ) وقال : تستطيع أن تسأل ربك ؟ وقال : ألا ترى أنهم مؤمنون . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق ( هَلْ يَسْتَطِيعُ ) بالياء ( رَبُّكَ ) بمعنى : أن ينزل علينا ربك ، كما يقول الرجل لصاحبه : أتستطيع أن تنهض معنا في كذا ، وهو يعلم أنه يستطيع ، ولكنه إنما يريد : انهض معنا فيه ، وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك : هل يستجيب لك ربك ، ويطيعك أن تنزل علينا .

وأولى القراءتين عندي بالصواب : قراءة من قرأ ذلك ( هَلْ يَسْتَطِيعُ ) بالياء ( رَبُّكَ ) برفع الرب ، بمعنى : هل يستجيب لك إن سألته ذلك ، ويطيعك فيه ؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب ، لما بينا قبل من أن قوله ( إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ ) من صلة ( إِذْ أَوْحَيْتُ ) ، وأن معنى الكلام : وإذ أوحيت إلى الخواريث أن آمنوا بي وبرسولي ( إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ) فبين إذ كان ذلك كذلك ، أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه ، وأمرهم بالتوبة ، ومراجعة الإيمان من قبلهم ذلك ، والإقرار لله بالقدرة على كل شيء ، وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الأخبار ، وقد قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له ، استعظما منه لما قالوا ( اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) ففي استنابة الله إياهم ، ودعائه لهم إلى

الإيمان به ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند قبيلهم ما قالوا من ذلك ، واستعظام نبي الله صلى الله عليه وسلم كلمتهم ، الدلالة الكافية من غيرها ، على صحة القراءة في ذلك بالياء ، ورفع الرب ، إذ كان لامعنى في قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له : هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ، أن تستكبر هذا الاستكبار .

فإن ظنّ ظانّ أن قولهم ذلك له إنما هو استعظام منهم ، لأن ذلك منهم كان مسألة آية ، فإن الآية إنما يسألها الأنبياء من كان بها مكذبا ، ليتقرر عنده حقيقة ثبوتها ، وصحة أمرها ، كما كانت مسألة قريش نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحول لهم الصفا ذهبا ، ويفجر فيجاج مكة أنهارا ، من سألهم من مشركي قومه ، وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذبي قومه ، ومسألة شعيب أن يسقط كيسفا من السماء من كفار من أرسل إليهم ، وكان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، على هذا الوجه كانت مسألتهم ، فقد أحلهم الذين قرءوا ذلك بالثناء ونصب الرب ، محلا أعظم من المحل الذي ظنوا أنهم نزهوا ربهم عنه ، أو يكونوا سألوا ذلك عيسى ، وهم موقنون بأنه لله نبي مبعوث ، ورسول مرسل ، وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك قادر ، فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك ، وإنما كانت مسألتهم إياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه إذ كان فقيرا ، أن يسأل له ربه أن يغنيه ، وإن عرضت به حاجة أن يسأل له ربه أن يقضيها ، فأنتي ذلك من مسألة الآية في شيء ؟ بل ذلك سؤال ذى حاجة عرضت له إلى ربه ، فسأل نبيه مسألة ربه أن يقضيها له ، وخبر الله تعالى عن القوم بنبي بخلاف ذلك ، وذلك أنهم قالوا لعيسى ، إذ قال لهم ( اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، وتعلم أن قد صدقتنا ) فقد أنبا هذا عن قبيلهم ، أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم ، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوته ، فلا بيان أبين من هذا الكلام ، في أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض ، وشك في دينهم وتصديق رسولهم ، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختبارا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس ، أنه كان يحدث عن عيسى صلى الله عليه وسلم أنه قال لبنى إسرائيل : هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ، ثم تسألوه ، فيعطيك ما سألتم ؟ فإن أجر العامل على من عمل له ، ففعلوا ، ثم قالوا : يا معلم الخير ، قلت لنا : إن أجر العامل على من عمل له ، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما إلا أطعمنا حين نفرغ طعاما ، ( فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ) ؟ قال عيسى ( اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، وتعلم أن قد صدقتنا ، وتكون علينا من الشاهدين ) . . . إلى قوله ( لا أعدب به أحد من



العالمين) قال : فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات ، وسبعة أرغفة ، حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس ، كما أكل منها أولهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) قالوا : هل يطيعك ربك إن سألته ؟ فأنزل الله عليهم مائدة من السماء ، فيها جميع الطعام إلا اللحم ، فأكلوا منها ؛ وأما المائدة فإنها الفاعلة ، من ماد فلان القوم يميدهم ميئدا : إذا أطعمهم ومارهم ؛ ومنه قول رؤبة :

نُهْدِي رءُوسَ الْمُتَرْفِينِ الْأُنْدَادِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَمَتِّدِ<sup>١</sup>

يعنى بقوله : المتناد : المستعطي ، فالمائدة المطعمة : الخوان<sup>٢</sup> سميت بذلك ، لأنها تطعم الآكل مما عليها . والمائد المدار به في البحر ، يقال : ماد يميد ميئا .

وأما قوله (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) فإنه يعنى : قال عيسى للحواريين ، القائلين له : (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) راقبوا الله أيها القوم ، وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا ، فإن الله لا يعجزه شيء أراد ، وفي شككم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء كفر به ، فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته إن كنتم مؤمنين ، يقول : إن كنتم مصدقني على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) .

القول في تأويل قوله

قَالُوا يُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ، وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا ، وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ

الشَّاهِدِينَ (١١٣)

يعنى تعالى ذكره بذلك : قال الحواريون مجيبي عيسى على قوله لهم (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) في قولكم (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) أنا إنما قلنا ذلك ، وسألتنا أن تسأل لنا ربنا لناكل من المائدة ، فنعلم يقينا قدرته على كل شيء . وتطمئن قلوبنا ، يقول : وتستكن قلوبنا وتستقر على وحدانيته وقدرته على كل ما شاء وأراد ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونعلم أنك لم تكذبنا في خبرك أنك لله رسول مرسل ، ونبي مبعوث (ونكون عليها) يقول : ونكون على المائدة . (من الشاهدين) يقول : ممن يشهد أن الله أنزلها حجة لنفسه علينا ، في توحيده وقدرته على ما شاء ، ولك على صدقتك في نبوتك .

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لرؤبة (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣) وترتيبهما في الأرجوزة ١٠٢ ، ١٠٤ . وقافية الأول : الصداد ، في مكان : الأنداد . والأرجوزة في مديح تميم ، وسعد ، وغنم ، ونفس . والأنداد : جمع ند ، وهو الشبه والنظير . أما الصداد : فجمع صاد ، أى معرض عن الشيء . والممتاد : المطلوب منه العطاء . كما في اللسان (ميد) وأورد البيهقي ، بترتيبهما عند المؤلف . ثم قال : أى المتفضل على الناس ، وهو المستعطي المشول . (٢) في الأصل : سميت الخوان بذلك .

## القول في تأويل قول

قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا  
وَأَخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ، وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه أجاب القوم إلى ما سألوه من  
مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَأَخِرِنَا ) فقال بعضهم : معناه :  
نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( تَكُونُ لَنَا  
عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَأَخِرِنَا ) يقول : نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا .  
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( تَكُونُ لَنَا عِيدًا  
لِأَوَّلِنَا وَأَخِرِنَا ) قال : أرادوا أن تكون لعقبهم من بعدهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً  
مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا ) قال : الذين هم أحياء منهم يومئذ ( وَأَخِرِنَا ) من بعدهم منهم .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : قال سفيان ( تَكُونُ لَنَا عِيدًا ) قالوا : نصلى فيه ،  
نزلت مرتين .

وقال آخرون : معناه : نأكل منها جميعاً .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس ، أنه  
قال : أكل منها ، يعنى من المائدة حين وضعت بين أيديهم آخر الناس ، كما أكل منها أولهم .  
وقال آخرون : معنى قوله ( عِيدًا ) عائدة من الله تعالى علينا حجة وبرهانا .

وأولى الأقوال بالصواب : قول من قال : معناه : تكون لنا عيداً ، نعبد ربنا في اليوم الذي نزل فيه ،  
ونصلى له فيه ، كما يعيد الناس في أعيادهم ، لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم في العيد ما ذكرنا ،  
دون القول الذي قاله من قال معناه : عائدة من الله علينا ، وتوجيه معاني كلام الله إلى المعروف من كلام  
من خاطب به ، أولى من توجيهه إلى المجهول منه ما وجد إليه السبيل .

وأما قوله ( لِأَوَّلِنَا وَأَخِرِنَا ) فإن الأولى من تأويله بالصواب : قول من قال : تأويله للأحياء منا اليوم ،  
ومن يجيء بعدنا منا ، للعلة التي ذكرناها في قوله ( تَكُونُ لَنَا عِيدًا ) لأن ذلك هو الأغلب من معناه .  
وأما قوله ( وَآيَةً مِنْكَ ) فإن معناه : وعلامة وحجة منك يا رب على عبادك في وحدانيتك ، وفي

صدق على أني رسول إليهم بما أرسلتني به (وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) : وأعطنا من عطائك ، فإنك يا رب خير من يعطى ، وأجود من تفضل ، لأنه لا يدخل عطاءه من ولا تكّد .

وقد اختلف أهل التأويل في المائدة ، هل أنزلت ، عليهم أم لا ؟ وما كانت ؟ فقال بعضهم : نزلت وكانت حوتاً وطعاماً ، فأكل القوم منها ، ولكنها رُفعت بعد ما نزلت ، بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : نزلت المائدة خبزاً وسمكاً .

حدثني الحسين بن عليّ الصدّائي ، قال : ثنا أبي ، عن الفضيل ، عن عطية ، قال : المائدة سمكة فيها طعم كل طعام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن فضيل ، عن مسروق ، عن عطية ، قال : المائدة : سمك فيه من طعم كل طعام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : نزلت المائدة خبزاً وسمكاً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : نزلت على عيسى بن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا ، إذا شاءوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا المنذر بن النعمان ، أنه سمع وهب ابن منبه يقول في قوله ( أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ) قال : نزل عليهم قيرصّة من شعير وأحوات . قال الحسن : قال أبو بكر ، فحدثت به عبد الصمد بن معقل ، فقال : سمعت وهباً وقيل له : وما كان ذلك يغني عنهم ؟ فقال لاشيء ؟ ، ولكن الله حثنا بين أضعافهنّ البركة ، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، ويحيى آخرون ، فيأكلون ثم يخرجون ، حتى أكلوا جميعهم وأفضلوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، قال : هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ) قال : مائدة عليها طعام أبوها حين عُرِضَ عليهم العذاب إن كفروا ، فأبوا أن تنزل عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن إسحاق بن عبد الله ، أن المائدة نزلت على عيسى بن مريم ، عليها سبعة أرغفة ، وسبعة أحوات ، يأكلون منها ما شاءوا ، قال : فسرق بعضهم منها ، وقال : لعلها لا تنزل غداً ، فرفعت .

حدثنا المنثى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن سماك بن حرب ، عن رجل من بني عجل قال : صليت إلى جنب عمار بن ياسر ، فلما فرغ ، قال : هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ، قال : فقلت لا ، قال : إنهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد ، قال : فقيل لهم : فإنها مقيمة لكم ما لم تحبثوا أو تحونوا ، أو ترفعوا ، فإن فعلتم ، فلن أعتبكم عذابا لا أعتبه أحدا من العالمين ، قال : فما تم يومهم حتى خبثوا ورفعوا وخانوا ، فعذبوا عذابا لم يعذب به أحدا من العالمين ، وإنكم معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاة ، فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرب ، ونهاكم أن تكبوا الذهب والفضة ، وإيم الله لا يذهب الليل والنهار ، حتى تكبوا وهما ، ويعذبكم عذابا ألما .

حدثنا الحسن بن قزعة البصرى ، قال : ثنا سفيان بن حبيب ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن جلاس بن عمرو ، عن عمار بن ياسر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ خُبْرًا وَلَحْمًا ، وَأَمِيرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا ، وَلَا يَدَّخِرُوا ، وَلَا يَرْفَعُوا لِيَغْدِ ، فَخَانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا ، فَسِيخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا » .

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا يوسف بن خالد ، قال : ثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة عن ابن عباس في المائدة ، قال : كانت طعاما ينزل عليهم من السماء حينما نزلوا . وقال آخرون : كانت المائدة تنزل وعليها ثمر من ثمار الجنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن جلاس بن عمرو ، عن عمار ، قال : نزلت المائدة ، وعليها ثمر من ثمر الجنة ، فأمروا أن لا يخبثوا ، ولا يبخنوا ، ولا يدخروا ، قال : فخان القوم ، وخبثوا ، وادخروا ، فحوّهم الله قردة وخنزير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمر من ثمار الجنة ، وأمروا أن لا يخبثوا ، ولا يبخنوا ، ولا يدخروا لغد ، بلاء أبلاهم الله به ، وكانوا إذا فعلوا شيئا من ذلك أنبأهم به عيسى ، فخان القوم فيه فخبثوا ، وادخروا لغد . وقال آخرون : كان عليها من كل طعام إلا اللحم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : كانت إذا وضعت المائدة لبني إسرائيل ، اختلفت عليها الأيدي بكل طعام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن ميسرة وزاذان ، قال : كانت الأيدي تختلف عليها بكل طعام .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن عطاء بن السائب ، عن زاذان

وميسرة في ( هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ) قالوا : رأوا الأيدي تختلف عليها بكل شيء إلا اللحم .

وقال آخرون : لم ينزل الله على بني إسرائيل مائدة . ثم اختلف قائلو هذه المقالة ، فقال بعضهم : إنما هذا مثل ضربه الله تعالى لخلقهم ، نهاهم به عن مسألة نبي الله الآيات .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ) قال : مثل ضرب ، لم ينزل عليهم شيء .  
وقال آخرون : إن القوم لما قيل لهم ( فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فِإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ) ، استعفوا منها فلم تنزل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول لما قيل لهم ( فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ ) . . . إلى آخر الآية ، قالوا : لاحاجة لنا فيها ، فلم تنزل .  
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن أنه قال في المائدة : لم تنزل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مائدة عليها طعام أبوتها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا ، فأبوا أن تنزل عليهم .  
والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال : إن الله تعالى أنزل المائدة على الذين سألو عيسى مسألته ذلك ربه . وإنما قلنا ذلك للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم ، غير من انفرد بما ذكرنا عنه ، وبعد ، فإن الله تعالى لا يخلف وعده ، ولا يقع في خبره الخلف وقد قال تعالى مخبرا في كتابه ، عن إجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك ( إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ) ، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره ، إني منزلها عليكم ، ثم لا ينزلها ، لأن ذلك منه تعالى خبر ، ولا يكون منه خلاف ما ينجر ، ولو جاز أن يقول : إني منزلها عليكم ، ثم لا ينزلها عليهم ، جاز أن يقول فمن يكفر بعد منكم فإني معذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين ، ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه ، فلا يكون لوعده ولا لوعده حقيقة ولا صحة ، وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك .

وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة ، فأن يقال : كان عليها مأكول ، وجائز أن يكون كان سمكا وخبزاً ، وجائز أن يكون كان ثمرا من ثمر الجنة ، وغير نافع العلم به ، ولا ضار الجهل به إذا أقرت نالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل .

## القول في تأويل قوله

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا  
مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)

وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم من إنزاله مائدة عليهم ، فقال تعالى ذكره : إني منزلها عليكم أيها الحواريون فطعمكموها ( فَمَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ ) يقول : فمن يجحد بعد إنزالها عليكم ، وإطعامكموها منكم رسالتي إليه ، وينكر نبوة نبيي عيسى صلى الله عليه وسلم ، ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته ، فإنني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من عالمي زمانه ، ففعل القوم ، فجحدهوا وكفروا بعد ما أنزلت عليهم فيها لذكر لنا ، فعذبوا فيما بلغنا ، بأن مسيخوا قردة وخنازير .

كالذي حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ ) . . . الآية ، ذكر لنا أنهم حوّلوا خنازير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ومحمد بن أبي عدي ، ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن أبي المغيرة القوّاس ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن أشدّ الناس عذابا ثلاثة : المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا المتعمّر بن سليمان ، عن عوف ، قال : سمعت أبا المغيرة القوّاس يقول : قال عبد الله بن عمرو : إن أشدّ الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة ، والمنافقون ، وآل فرعون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( فَمَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ ) بعدما جاءته المائدة ( فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ) يقول : أعذبه بعذاب لا أعذبه أحدا من العالمين غير أهل المائدة .

## القول في تأويل قوله

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحٰنَكَ ، مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ (١١٦)

يقول تعالى ذكره : يوم يجمع الله الرسل ، فيقول ماذا أجبتم ، إذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله ؟ وقيل : إن الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه إليه في الدنيا . ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِهْتِنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) قال : لما رفع الله عيسى ابن مريم إليه ، قالت النصراني ما قالت ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، فسأله عن قوله ، فقال ( سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ) . . . إلى قوله ( وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) .

وقال آخرون : بل هذا خبر من الله تعالى ذكره ، عن أنه يقول لعيسى ذلك في القيامة .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بَنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِهْتِنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) قال : والناس يسمعون ، فراجعه بما قد رأيت ، وأقرله بالعبودية على نفسه ، فلم من كان يقول في عيسى ما يقول ، أنه إنما كان يقول باطلا .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : ( قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِهْتِنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) فأرعدت مفاصله ، وخشيت أن يكون قد قال ، ( وَمَا لَ سُبْحَانَكَ - إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ) . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يَا عِيسَى بَنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِهْتِنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) متى يكون ذلك ؟ قال : يوم القيامة ، ألا ترى أنه يقول ( هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ) فعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جريج يجب أن يكون « وإذ » بمعنى « وإذا » ، كما قال في موضع آخر : ( وَكَهَّ تَرَى إِذْ فَرَعُوا ) ، بمعنى : يفزعون . وكما قال أبو النجم :

ثُمَّ جَزَّاهُ اللَّهُ عَنَّا إِذْ جَزَى جَنَاتٍ عَدْنٍ فِي الْعَلَالِي الْعُلَا

والمعنى : إذا جرى ، وكما قال الأسود :

فَالآنَ إِذْ هَا زَلْتُهُنَّ فَإِنَّمَا يَقْلُنَّ أَلَا لَمْ يَذْهَبِ الشَّيْخُ مَذْهَبًا

بمعنى : إذا هزلتهن . وكان من قال في ذلك بقول ابن جريج هذا ، وجه تأويل الآية إلى : ( فَهَنَ يَكْفُرُ

(١) أبو النجم من كبار الرجاز في عصر بني أمية ، وهو الفضل بن قدامة ، من عجل ، وكان ينزل بسواد الكوفة . والعلالي : جمع علي ( بكسر العين وبضمها قليلا ) على فعيلة : الغرف . يريد غرف الجنات العالية . والعلال : جمع العليا ، وهو كالتوكيد للقي قبله . والظاهر : أن ( إذ ) في الرجز دالة على زمان مستقبل . قال ابن هشام في المعنى : ( ١ : ٧٥ ) والوجه الثاني ( من دالة إذ ) أن تكون اسما للزمان المستقبل ، نحو : « يومئذ تحدث أخبارها » . والجمهور لا يثبتون هذا القسم ، ويجعلون الآية من باب « ونفخ في الصور » أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع . وقد يجتزئ لغيرهم بقوله تعالى : « فسوف يعلمون » إذ الأللال في أعناقهم » ، فإن يعلمون مستقبل لفظا ومعنى ، لدخول حرف التنغيس عليه ، وقد عمل في ( إذ ) ، فيلزم أن يكون بمنزلة ( إذا ) . قلت : وهذا ما أراده المؤلف هنا .

(٢) البيت للأسود بن يعفر . وهو شاهد على أن ( إذ ) فيه بمعنى ( إذا ) دالة على المستقبل لا على الماضي ، لأن قوله ( هازلتهن ) في معنى ( أهزلتهن ) . يقول : إن حلالته قد يشن منه ، لكبره ، فإذا جاء بهازلتهن ، ساء به ظنهن ، وصددن عنه .

بَعْدُ مِنْكُمْ ، فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ) في الدنيا ، وأعدّه أيضا في الآخرة ( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) .  
 وأولى القولين عندنا بالصواب في ذلك ، قول من قال بقول السدي ، وهو أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه ، وأن الخبر خبر عما مضى لعلتين : إحداهما : أن « إذ » إنما تصاحب في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها ، الماضي من الفعل ، وإن كانت قد تدخلها أحيانا في موضع الخبر عما يحدث إذا عرف السامعون معناها ، وذلك غير فاشٍ ، ولا فصيح في كلامهم ، فتوجيه معاني كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه السبيل ، أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر . والأخرى : أن عيسى لم يشكّ هو ولا أحد من الأنبياء ، أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ، فيجوز أن يتوهم على عيسى أن يقول في الآخرة مجيبا لربه تعالى ، إن تعذب من اتخذني وأمى إلهين من دونك ، فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم ، فإنك أنت العزيز الحكيم .

فإن قال قائل : وما كان وجه سؤال الله عيسى : أأنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله ؟ وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك ؟ قيل : يحتمل ذلك وجهين من التأويل : أحدهما : تحذير عيسى عن قيل ذلك ونبيه ، كما يقول القائل لآخر : أفعلت كذا وكذا؟ مما يعلم المقول له ذلك ، أن القائل يستعظم فعل ما قال له ، أفعلته على وجه النهي عن فعله والتهديد له فيه . والآخر : إعلامه أن قومه الذين فارقه قد خالفوا عهده ، وبدلوا دينهم بعده ، فيكون بذلك جامعا لإعلامه حالهم بعده ، وتحذيره له قبيله .

وأما تأويل الكلام : فانه : أأنت قلت للناس : اتخذوني وأمى إلهين : أي معبودين تعبدونهما من دون الله ؟ قال عيسى : تنزيها لك ياربّ وتعظيما ، أن أفعل ذلك ، أو أتكلم به ، ( مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ) ، يقول : ليس لي أن أقول ذلك ، لأنني عبد مخلوق ، وأمى أمة لك ، فهل يكون للعبد والأمة ادعاء ربوبية ( إِنْ كُنْتُمْ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلمْتُمْهُ ) يقول : إنك لا يخفى عليك شيء ، وأنت عالم أني لم أقول ذلك ، ولم أمرهم به .

القول في تأويل قوله ( تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ) :

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم إنه يبرأ إليه مما قالت فيه وفي أمه الكفرة من النصراري ، أن يكون دعاهم إليه ، أو أمرهم به ، فقال ( سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ) ، ثم قال ( تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي ) يقول : إنك ياربّ لا يخفى عليك ما أضمرته نفسي مما لم أنطق به ، ولم أظهره بجوارحي ، فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحي ، يقول : لو كنت قد قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله ، كنت قد علمته ، لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به ، فكيف بما قد نطقت به؟ ( وَلَا أَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِكَ ) يقول : ولا أعلم أنا ما أخفيته



عنى فلم تطلعنى عليه ، لأنى إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه ( إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ) يقول : إنك أنت العالم بخفيات الأمور ، التى لا يطلع عليها سواك ، ولا يعلمها غيرك .

القول فى تأويل قوله

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ : أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا  
مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره ، عن قول عيسى ، يقول : ما قلت لهم إلا الذى أمرتنى به من القول أن أقوله لهم ، وهو أن قلت لهم (اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيداً) يقول : وكنت على ما يفعلونه ، وأنا بين أظهرهم شاهداً عليهم ، وعلى أفعالهم وأقوالهم . فلما توفيتنى ، فلما قبضتنى إليك . ( كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ) يقول : كنت أنت الحفيظ عليهم دونى ، لأنى إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم .

وفى هذا بيان أن الله تعالى إنما عرفه أفعال القوم ومقاتلهم ، بعد ما قبضه إليه وتوفاه ، بقوله ( أَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ لِلْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ - وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) يقول : وأنت تشهد على كل شيء ، لأنه لا يخفى عليك شيء ، وأما أنا فلإنما شهدت بعض الأشياء ، وذلك ما عاينت وأنا مقبم بين أظهر القوم ، فلإنما أنا أشهد على ذلك الذى عاينت ورأيت وشهدت .  
وبنحو الذى قلنا فى قوله ( كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ) أما الرقيب : فهو الحفيظ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ) قال : الحفيظ ، وكانت جماعة من أهل العلم تقول : كان جواب عيسى الذى أجاب به ربه من الله تعالى توفيقاً منه له فيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ( أَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ لِلْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ) قال : الله وفقه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفرى ، قال : قرئ على سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ،

عن أبيه طاوس ، قال : احتج عيسى ، والله وفقه ( أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي لِأَهْلِيْنِ مِْنْ دُونِ اللَّهِ ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : قال الله تعالى ( يا عيسى أُنْتِ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي لِأَهْلِيْنِ مِْنْ دُونِ اللَّهِ ) ؟ قال : فأرعدت مفاصله ، وخشى أن يكون قد قالها ، فقال : ( سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعَلَّمْتُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ) .

القول في تأويل قوله

إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)

يقول تعالى ذكره : إن تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتك إياهم عليها ، فإنهم عبدك ، مستسلمون لك ، لا يمتنعون مما أردت بهم ، ولا يدفعون عن أنفسهم ضرراً ولا أمراً تناههم به ، وإن تغفر لهم بهدايتك إياهم إلى التوبة منها ، فستر عليهم ، فإنك أنت العزيز في انتقامه ممن أراد الانتقام منه ، لا يقدر أحد يدفعه عنه ، الحكيم في هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة ، وتوفيقه من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب .

كالذي حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله ( إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ) فخرجهم من النصرانية ، وتهديهم إلى الإسلام ، ( فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) وهذا قول عيسى في الدنيا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) قال : والله ما كانوا طعانين ولا لعانين .

القول في تأويل قوله

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ) فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة ( هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ) بنصب يوم . وقرأ بعض أهل الحجاز ، وبعض أهل المدينة ، وعامة قراء أهل العراق ( هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ) برفع يوم ، فن رفعه رفعه بهذا ، وجعل يوم اسماً ، وإن كانت إضافته غير محضة ، لأنه صار كالمنعوت . وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون في إعراب الأوقات مثل اليوم والليلة عملهم فيما بعدها ، إن كان مابعدا رفعاً رفعوها ، كقولهم : هذا يوم يركب

الأمير ، وليلة يصدر الحاج ، ويوم أخوك منطلق ، وإن كان مابعدا نصباً نصبوها ، وكذلك كقولهم : هذا يوم خرج الجيش وسار الناس ، وليلة قتل زيد ونحو ذلك ، وإن كان معناها في الحالين : إذ ، وإذا ، وكان من قرأ هذا هكذا رفعا وجه الكلام إلى أنه من قيل الله يوم القيامة ، وكذلك كان السدي يقول في ذلك .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قال الله هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ) هذا فصل من كلام عيسى ، وهذا يوم القيامة ، يعني السدي بقوله : هذا فصل من كلام عيسى : أن قوله ( سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ) . . . إلى قوله ( فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) من خبر الله عز وجل عن عيسى ، أنه قاله في الدنيا بعد أن رفعه إليه ، وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة . وأما النصب في ذلك ، فإنه يتوجه من وجهين : أحدهما : أن إضافة يوم ما لم تكن إلى اسم تجعله نصبا ، لأن الإضافة غير محضة ، وإنما تكون الإضافة محضة ، إذا أضيف إلى اسم صحيح ، ونظير اليوم في ذلك الحين والزمان وما أشبههما من الأزمنة ، كما قال النابغة :

على حين عاتبت المشيب على الصبا      وقلت أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَأَزِعُ<sup>١</sup>

والوجه الآخر : أن يكون مرادا بالكلام هذا الأمر وهذا الشأن ( يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ) فيكون اليوم حينئذ منصوبا على الوقت والصفة ، بمعنى هذا الأمر في ( يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ) . وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب ( هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ) بنصب اليوم على أنه منصوب على الوقت والصفة ، لأن معنى الكلام : أن الله تعالى أجاب عيسى حين قال ( سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ) ، إن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ) . . . إلى قوله ( فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) فقال له عز وجل هذا القول النافع ، أو هذا الصدق النافع ( يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ) فالיום وقت القول والصدق النافع .

فإن قال قائل : فما موضع هذا ؟ قيل رفع ، فإن قال : فأين رفعه ؟ قيل مضمرا ، وكأنه قال : قال الله عز وجل ( هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ) ، كما قال الشاعر :

أما تَرَى السَّحَابَ كَيْفَ يَجْرِي      هَذَا وَلَا خَيْلُكَ يَا بَنَ بَشْرٍ<sup>٢</sup>

يريد : هذا هذا ولا خيلك .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا لما بينا ، قال الله لعيسى : هذا القول النافع في ( يَوْمٌ يَنْفَعُ

(١) البيت للناطقة الذبابة من قصيدته التي مطلعها « عفا ذو حسا من فرثي فالقوارع » (مختار الشعر الجاهل ، طبعة الحلبي ص ١٥٦) يقول في بيت قبله : إنه كفكف دموعه التي سالت على نحره ، لتذكره أيام وصاله . ويقول هنا : حينما ذكرت شيبى عاتبتك على الصبوة والحنين إلى أيام الشباب ، وقلت لنفسى ألومها : كفى ما كان منك من هو في الشباب ، وكفائك الشيب وازعا وزاجرا عن النهو والعبث ، وقد آن لي أن أمصو من غفلتي ، وأنتبه لما يستقبلني من الموت الذي أصبح قريبا مني .

(٢) لم أقف على قائل هذا الرجز . ومعناه أن السحاب يجري أسرع من خيل ابن بشر .

الصادقين) في الدنيا (صِدْقُهُمْ) : ذلك في الآخرة عند الله (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول : للصادقين في الدنيا جنات تجري من تحتها الأنهار في الآخرة، ثوابا لهم من الله عز وجل، على ما كان من صدقهم الذي صدقوا الله فيما وعدوه، فوفوا به لله، فوفى الله عز وجل لهم ما وعدهم من ثوابه (خالدين فيها أبدا) يقول : باقين في الجنات التي أعطاهموها أبدا دائما، لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم، ولا يزول. وقد بينا فيما مضى أن معنى الخلود : الدوام والبقاء.

القول في تأويل قوله (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) :

يقول تعالى ذكره : رضى الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه ، من العمل بطاعته ، واجتناب معاصيه ، ورضوا عنه ، يقول : ورضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه ، فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه ( ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) يقول : هذا الذي أعطاهم الله من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، مرضيا عنهم ، وراضين عن ربهم ، هو الظفر العظيم بالطلبية وإدراك الحاجة التي كانوا يطلبونها في الدنيا ، ولها كانوا يعملون فيها ، فنالوا ما طلبوا ، وأدركوا ما أملوا .

القول في تأويل قوله

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)

يقول تعالى ذكره : أيها النصارى ( لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول : له سلطان السموات والأرض ( وَمَا فِيهِنَّ ) دون عيسى الذي تزعمون أنه إلهكم ودون أمه ، ودون جميع من في السموات ، ومن في الأرض ، فإن السموات والأرض خلق من خلقه وما فيهن ، وعيسى وأمه من بعض ذلك بالحلول والانتقال ، يدلان بكونهما في المكان الذي هما فيه بالحلول فيه والانتقال ، أنهما عبدان مملوكان ، لمن له ملك السموات والأرض وما فيهن ، ينبههم وجميع خلقه على موضع حجته عليهم ليدبروه ويعتبروه ، فيعقلوا عنه ( وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) يقول تعالى ذكره : والله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن ، قادر على إفنائهن ، وعلى إهلاكهن وإهلاك عيسى وأمه ومن في الأرض جميعا ، كما ابتداء خلقهم ، لا يعجزه ذلك ، ولا شيء أراده ، لأن قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة ، وسلطانه السلطان الذي لا يشبهه سلطان ولا مملكة .

## تفسير سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ  
يَعْتَدُونَ (١)

يعني تعالى ذكره بقوله ( الْحَمْدُ لِلَّهِ ) : الحمد الكامل لله وحده لا شريك له ، دون جميع الأنداد والآلهة ، ودون ما سواه ، مما تعبده كفره خلقه من الأوثان والأصنام ، وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر ، ينحى به نحو الأمر ؛ يقول : أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم أيها الناس ، وخلق السموات والأرض ، ولا تشركوا معه في ذلك أحدا شيئا ، فإنه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ، ونعمه عليكم ، لا من تعبدونه من دونه ، وتجعلونه له شريكا من خلقه . وقد بينا الفصل بين معنى الحمد والشكر بشواهد في ماضي قبل .

القول في تأويل قوله ( وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ) :

يقول تعالى ذكره : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وأظلم الليل ، وأنار النهار . كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ) قال : الظلمات : ظلمة الليل ، والنور : نور النهار . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أما قوله ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ) فإنه خلق السموات قبل الأرض ، والظلمة قبل النور ، والجنة قبل النار .

فإن قال قائل : فما معنى قوله إذن ( جَعَلَ ) ؟ قيل : إن العرب تجعلها ظرفا للخبر والفعل ، فتقول : جعلت أفعل كذا ، وجعلت أقوم وأقعد ، تدل بقولها جعلت على اتصال الفعل ، كما تقول : علقمت أفعل كذا ، لأنها في نفسها فعل ، يدل على ذلك قول القائل : جعلت أقوم ، وإنه لاجعل هناك سوى القيام ، وإنما دل بقوله « جعلت » على اتصال الفعل ودوامه ، ومن ذلك قول الشاعر :

وَزَّ عَمَّتْ أَنْتَكَ سَوْفَ تَسْلُكُ قَادِرًا وَالْمَوْتُ مُنْسِعٌ طَرِيقِي قَادِرٍ  
فاجعلْ تحكّلْ مِنْ يَمِينِكَ لِأَنَّمَا حِينْتُ الْيَمِينِ عَلَى الْأَشِيمِ الْفَاجِرِ

(١) لم أتف على قائل البيتين . يخاطب الشاعر رجلا حلف أنه سيسلك طريقا مخوفا ، ينتشر فيه الخوف والموت ، ويطلبه بأن يجعل من يمينه تلك ، لأنه لا بد أن يهلك قبل تحقق ما حلف عليه ، والحث في اليمين من أخلاق الفجار لا الأتقياء .

يقول : فاجعل تحلل بمعنى : تحلل شيئاً بعد شيء ، لأن هناك جعلاً من غير التحليل ، فكذلك كل جعل في الكلام ، إنما هو دليل على فعل له اتصال ، لأن له حظاً في معنى الفعل ، فقوله ( وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ) : إنما هو أظلم ليلهما ، وأنار نهارهما .

القول في تأويل قوله ( ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ) :

يقول تعالى ذكره معجباً خلقه المؤمنين من كفره عباده ، ومحتجا على الكافرين : إن الإله الذي يجب عليكم أيها الناس حمده ، هو الذي خلق السموات والأرض ، الذي جعل منهما معاشكم وأقواتكم وأقوات أنعامكم التي بها حياتكم ، فمن السموات ينزل عليكم الغيث ، وفيها تجري الشمس والقمر باعتقاب واختلاف لمصالحكم ، ومن الأرض ينبت الحب الذي به غذاؤكم ، والثمار التي فيها ملاذكم ، مع غير ذلك من الأمور التي فيها مصالحكم ومنافعكم بها ، والذين يمجّدون نعمة الله عليهم ، بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم أيها الناس ، برّبهم الذي فعل ذلك وأحدثه (يَعْدِلُونَ) : يجعلون له شريكاً في عبادتهم إياه ، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان ، وليس منها شيء شريكه في خلق شيء من ذلك ، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم ، بل هو المنفرد بذلك كله ، وهم يُشْرِكُونَ في عبادتهم إياه غيره ، فسبحان الله ما أبلغها من حجة ، وأجزها من عظمة ، لمن فكّر فيها بعقل ، وتدبرها بفهم ، ولقد قيل إنها فاتحة التوراة . حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي ، عن أبي عمران الجوفى ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، قال : فاتحة التوراة فاتحة الأنعام ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوفى ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، مثله ، وزاد فيه : وخاتمة التوراة خاتمة هود ، يقال : من مساواة الشيء بالشيء عدلت هذا بهذا ، إذا ساويته به عدلا . وأما في الحكم إذا أنصفت فيه ، فإنك تقول : عدلت فيه أعدل عدلا . وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (يَعْدِلُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَعْدِلُونَ) قال : يشركون .

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عني بذلك ، فقال بعضهم : عني به : أهل الكتاب . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القسبي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبي زبى ، قال : جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ) قال له : أليس الذين كفروا برّبهم يعدلون ؟ قال : بلى ، قال : وانصرف عنه الرجل ، فقال له رجل من القوم : يا ابن أبي زبى ، إن هذا قد

أراد تفسير هذه غير هذا ، إنه رجل من الخوارج ، فقال : ردّوه علىّ ، فلما جاءه قال : هل تدري فيمن نزلت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : إنها نزلت في أهل الكتاب ، اذهب لانضعها على غير حدّها . وقال آخرون : بل عُنِيَ بها المشركون من عبّدة الأوثان .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **هُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يُعَدِّلُونَ** ) قال : هؤلاء أهل صراحة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ( **هُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يُعَدِّلُونَ** ) قال : هم المشركون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **هُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يُعَدِّلُونَ** ) قال : الآلهة التي عبدوها عدّلوها بالله ، قال : وليس لله عدل ، ولا ند ، وليس معه آلهة ، ولا اتخذ صاحبة ولا ولدا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي : أن يقال : إن الله تعالى أخبر أن الذين كفروا بربهم يعدلون ، فعمّ بذلك جميع الكفار ، ولم يخص منهم بعضا دون بعض ، فجميعهم داخلون في ذلك : يهودهم ، ونصاراهم ، ومجوسهم ، وعبّدة الأوثان منهم ، ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر .

#### القول في تأويل قوله

**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)**

يعنى تعالى ذكره بقوله ( **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ** ) : أن الله الذى خلق السموات والأرض ، وأظلم لييلهما ، وأنار نهارهما ، فكفر به مع إنعامه عليهم الكافرون ، وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرهم ، هو الذى خلقكم أيها الناس من طين . وإنما يعنى بذلك تعالى ذكره ، أن الناس ولّدوا من خلقه من طين ، فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم ، إذ كانوا ولّده .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ** ) بدء الخلق خلق الله آدم من طين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ** ) قال : هو آدم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ : أما خلقكم

من طين : فآدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : خلق آدم من طين ، وخلق الناس من سلاله من ماء مهين .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ )  
 قال : خلق آدم من طين ، ثم خلقنا من آدم ، حين أخذنا من ظهره .  
 القول في تأويل قوله ( ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ) :  
 اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى قوله ( ثُمَّ قَضَى أَجَلًا ) : ثم قضى لكم أيها الناس أجلا ، وذلك ما بين أن يُخْلَقَ إلى أن يموت (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) : وذلك ما بين أن يموت إلى أن يُبْعَثَ .  
 ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، وهناد بن السري ، قالا : ثنا وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن ، في قوله ( قَضَى أَجَلًا ) قال : ما بين أن يخلق إلى أن يموت ( وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ) قال : ما بين أن يموت إلى أن يبعث .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ) كان يقول : أجل حياتك إلى أن تموت ، وأجل موتك إلى أن تبعث ، فأنت بين أجلين من الله تعالى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم : ( قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ) قال : قضى أجل الموت ، وكل نفس أجلها الموت ، قال : ( وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ) ، ( وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ) يعني : أجل الساعة ذهاب الدنيا ، والإفضاء إلى الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم قضى الدنيا وعنده الآخرة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله ( أَجَلًا ) قال : الدنيا ( وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ) الآخرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن زكريا بن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قَضَى أَجَلًا ) قال : الآخرة عنده ( وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) الدنيا .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَجَلًا ) قال : الآخرة عنده ( وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) قال : الدنيا .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَجَلًا ) قال : الآخرة عنده ( وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) قال : الدنيا .



حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن ، ( **«م قَضَى أَجَلًا وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ»** ) قالوا : قَضَى أَجَلَ الدُّنْيَا مِنْ حِينَ خَلَقَكَ إِلَى أَنْ تَمُوتَ ( **وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ** ) يوم القيامة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ( **«م قَضَى أَجَلًا وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ»** ) قال : قَضَى أَجَلَ الدُّنْيَا ( **وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ** ) قال : هو أَجَلَ البعث .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ( **«م قَضَى أَجَلًا»** ) قال : الموت ( **وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ** ) الآخرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن ، في قوله ( **وَقَضَى أَجَلًا وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ** ) قالوا : قَضَى أَجَلَ الدُّنْيَا مِنْذُ يَوْمِ خَلَقْتَ إِلَى أَنْ تَمُوتَ ، وَأَجَلَ مَسْمَى عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالوا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( **قَضَى أَجَلًا** ) قال : أَجَلَ الدُّنْيَا ( **وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ** ) قال : البعث .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( **«م قَضَى أَجَلًا وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ»** ) يعني : أَجَلَ الموت ، والأجل المسمى : أَجَلَ الساعة ، والوقوف عند الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( **قَضَى أَجَلًا** ) : قال : أما قَضَى أَجَلًا : فَأَجَلَ الموت ( **وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ** ) : يوم القيامة .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( **«م قَضَى أَجَلًا وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ»** ) قال : أما قوله ( **قَضَى أَجَلًا** ) فهو النوم تُغْبِضُ فِيهِ الرُّوحَ ، ثم ترجع إلى صاحبها حين اليقظة ( **وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ** ) : هو أَجَلَ موت الإنسان .

وقال آخرون بما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، في قوله ( **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ، «م قَضَى أَجَلًا وَأَجَلَ مُسَمَّى عِنْدَهُ» ، «م أَنْتُمْ تَمْسُرُونَ»** ) قال : خلق آدم من طين ، ثم خلقنا من آدم ، أخذنا من ظهره ، ثم أخذ الأجل والميثاق في أجل واحد مسمى في هذه الحياة الدنيا .  
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب ، قول من قال : معناه : ثم قَضَى أَجَلَ الحياة الدنيا ، وَأَجَلَ مَسْمَى عِنْدَهُ ، وهو أَجَلَ البعث عنده .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأنه تعالى نبه خلقه على موضع حجته عليهم من أنفسهم ، فقال لهم : أيها الناس ، إن الذي يعدل به كفاركم الآلهة ، والأنداد هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين ، فجعلكم صوراً أجساماً أحياء ، بعد إذ كنتم طيناً جماداً ، ثم قَضَى أَجَالَ حياتكم لفنائكم ومماتكم ، ليعيدكم تراباً وطيناً

كالذي كنتم قبل أن ينشأكم ويخلقكم ( وأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ) لإعادتكم أحياء وأجساما ، كالذي كنتم قبل مماتكم . وذلك نظير قوله ( كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) .  
القول في تأويل قوله ( ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : ثم أنتم تشكون في قدرة من قدر على خلق السموات والأرض ، وإظلام الليل ، وإنارة النهار ، وخلقكم من أطين ، حتى صيركم بالهيئة التي أنتم بها ، وعلى إنشائه إياكم من بعد مماتكم وفنائكم ، وإيجاده إياكم بعد عدمكم ، والمرية في كلام العرب هي الشك ، وقد بينت ذلك بشواهد في غير هذا الموضع فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ) قال : الشك ، قال : وقرأ قول الله ( فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : في شك منه .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ) بمثله .

#### القول في تأويل قوله

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ( ٣ )

يقول تعالى ذكره : إن الذي له الألوهة ، التي لا تنبغي لغيره المستحق عليكم إخلاص الحمد له بآلانه عندكم أيها الناس ، الذي يعدل به كفاركم من سواه ، هو الله الذي هو في السموات وفي الأرض ، يعلم سرركم وجهركم ، فلا يخفي عليه شيء ، يقول : فربكم الذي يستحق عليكم الحمد ، ويجب عليكم إخلاص العبادة له ، هو هذا الذي صفته ، لا من لا يقدر لكم على ضرر ولا نفع ، ولا يعمل شيئا ، ولا يدفع عن نفسه سوا ما أريد بها .

وأما قوله ( وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ) يقول : ويعلم ما تعملون ونجحون ، فيحصى ذلك عليكم ، ليجازيكم به عند معادكم إليه .

#### القول في تأويل قوله

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ( ٤ )

يقول تعالى ذكره : وما تأتي هؤلاء الكفار الذين يربهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم . ( آيَةٌ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ) يقول : حجة وعلامة ، ودلالة من حجاج ربهم ، ودلالته وأعلامه على وحدانيته ، وحقيقة نبوتك يا محمد ، وصدق ما أتيتهم به من عندي ( إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ) يقول : إلا أعرضوا عنها ،

يعنى عن الآية ، فصدوا عن قبولها ، والإقرار بما شهدت على حقيقته ، ودلت على صحته جهلا منهم بالله ، واغترارا بحلمه عنهم .

## القول في تأويل قوله

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ، فَسَوْفَ يَا نَبِيُّؤُمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : فقد كذب هؤلاء العادلون بالله الحق لما جاءهم ، وذلك الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم ، كذبوا به ، وجحدوا نبوته لما جاءهم ، قال الله لهم متوعدا على تكذيبهم إياه ، وجحدهم نبوته : سوف يأتي المكذبين بك يا محمد من قومك وغيرهم ( أنباء ما كانوا به يستهزءون ) يقول : سوف يأتيهم أخبار استهزأهم ، بما كانوا به يستهزءون من آياتي وأدلتى التي آتيتهم ، ثم وفي لهم بوعيده لما تمادوا في غيهم ، وعتوا على ربهم ، فقتلهم يوم بدر بالسيف .

## القول في تأويل قوله

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ ، وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ، وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتي ، الجاحدون نبوتك ، كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون ، وهم الأمم الذين وطأت لهم البلاد والأرض وطأة لم أوطئها لهم ، وأعطيتهم فيها ما لم أعطيهم .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ ) : يقول : أعطيتناهم ما لم نعطيكم .

قال أبو جعفر : أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها ، وأعطيتهم الأرض ربيع نباتها ، وجابوا صحور جبالها ، ودرت عليهم السماء بمطارها ، وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذنى ، فغمطوا نعمة ربهم ، وعصوا رسول خالقهم ، وخالفوا أمر بارئهم ، وبغوا حتى حقت عليهم قولى ، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم ، وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم ، وأهلكت بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالصيحة ، وغير ذلك من أنواع العذاب .

ومعنى قوله ( وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ) المطر ، ويعنى بقوله : مِدْرَارًا : غزيرة دائمة ، ( وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ) يقول : وأحدثنا من بعدهم الذين أهلكناهم قرنا آخرين ، فابتدأنا سواهم . فإن قال قائل : فما وجه قوله ( مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ ) ومن مخاطب بذلك ،

فقد ابتداء الخبر في أول الآية عن قوم غيب بقوله ( أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ) ؟ قيل : إن المخاطب بقوله ( ما لمْ يُتَمَكَّنْ لَكُمْ ) هو الخبر عنهم بقوله ( أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ) ولكن في الخبر معنى القول ، ومعناه : قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين كذبوا بالحق لما جاءهم ( أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُتَمَكَّنْ لَكُمْ ) ، والعرب إذا أخبرت خبراً عن غائب ، وأدخلت فيه قولاً فعلت ذلك ، فوجهت الخبر أحياناً إلى الخبر عن الغائب ، وأحياناً إلى الخطاب ، فتقول : قلت لعبد الله : ما أكرمه ، وقلت لعبد الله ما أكرمك ، وتخبر عنه أحياناً على وجه الخبر عن الغائب ، ثم تعود إلى الخطاب ، وتخبر على وجه الخطاب له ، ثم تعود إلى الخبر عن الغائب ، وذلك في كلامها وأشعارها كثير فاش : وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وقد كان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك كأنه أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خاطبه معهم وقال ( حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ ) فجاء بلفظ الغائب وهو يخاطب ، لأنه المخاطب .

#### القول في تأويل قوله

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

مُبِينٌ (٧)

وهذا إخبار من الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء القوم الذين يعدلون برهبهم الأوثان والآلهة والأصنام ، يقول تعالى ذكره : وكيف يتفقّهون الآيات ، أم كيف يستدلّون على بطلان ما هم عليه متّقيمون من الكفر بالله ، وجحود نبوتك ، بحجج الله وآياته وأدلته ، وهم لعنادهم الحق ، وبعدهم من الرشد ، لو أنزلت عليك يا محمد الوحي الذي أنزلته عليك مع رسولي في قرطاس ، يعاينونه ويمسونه بأيديهم ، وينظرون إليه ويقرعونه منه مُعلّقاً بين السماء والأرض بحقيقة ماندهم إليه ، وصحة ما أتيتهم به من توحيدى وتنزيلي ، لقال الذين يعدلون بغيري ، فيشركون في توحيدى سواي ( إن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ) : أى ما هذا الذى جئنا به إلا سحرٌ مُبِينٌ به أعيننا ، ليست له حقيقة ولا صحة ، مبين ، يقول : مبين لمن تدبره وتأمّله ، أنه سحرٌ لا حقيقة له .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ( كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ) قال : فسوه ونظروا إليه ، لم يصدّ قوا به . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَوْنُوا نَزَّلْنَا عَلَيْكَ

كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ) يقول : فعابنوه معاينة ( لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ) يقول : لو نزلنا من السماء صحفاً فيها كتاب ، فلمسوه بأيديهم ، لزادهم ذلك تكذيباً .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ) : الصحف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فِي قِرْطَاسٍ ) يقول : في صحيفة ( فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ) لقال الذين كفروا ( إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) .

القول في تأويل قوله

وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ( ٨ )

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المكذَّبون بآياتي ، العادلون بي ، الأنداد والآلهة : يا محمد لك لو دعوتهم إلى توحيدى ، والإقرار بربوبيتى ، وإذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به ، واحتججت عليهم بما احتججت عليهم ، مما قطعت به عذرهم ، هلا نزل عليك ملك من السماء في صورته ، يصدقك على ما جئتنا به ، ويشهد لك بحقيقة ما تدعى ، من أن الله أرسلك إلينا ، كما قال تعالى مخبراً عن المشركين في قبلهم لنبى الله صلى الله عليه وسلم ، ( وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَا كَلُّ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ، لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا - وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ) يقول : ولو أنزلنا ملكاً على ما سألوها ، ثم كفروا ، ولم يؤمنوا بي وبرسولى ، لجاهم العذاب عاجلاً غير آجل ، ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة ، كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التى سألت الآيات ، ثم كفرت بعد مجيئها من تعجيل النعمة ، وترك الإنظار .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ) يقول : لجاهم العذاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ) يقول : ولو أنهم أنزلنا إليهم ملكاً ثم لم يؤمنوا لم ينظروا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ مَلَكٌ ) في صورته ( وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ) لقامت الساعة حدثنا ابن وكيع ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان الثوري ، عن عكرمة ( لَقُضِيَ الْأَمْرُ ) قال : لقامت الساعة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَكَلِمَةً أَنْزَلْنَا مَلَائِكَةً لِنَقُضِي الْأَمْرَ ) قال : يقول : لو أنزل الله ملكاً ثم لم يؤمنوا ، لعجل لهم العذاب .  
وقال آخرون في ذلك بما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : أخبرنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَلِمَةً أَنْزَلْنَا مَلَائِكَةً لِنَقُضِي الْأَمْرَ ، ثُمَّ لَا يَنْتَظِرُونَ ) : قال : لو أتاهم ملك في صورته لماتوا ، ثم لم يؤخروا طرفة عين .

#### القول في تأويل قوله

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَائِكَةً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره : ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلين في ، القائلين : لولا أنزل على محمد ملك بتصديقه ملكاً ينزل عليه من السماء ، ويشهد محمد صلى الله عليه وسلم ، ويأمرهم باتباعه ( لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ) يقول : لجعلناه في صورة رجل من البشر ، لأنهم لا يقدر أن يروا الملك في صورته ، يقول : وإذا كان ذلك كذلك ، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكاً أو بشراً ، إذ كنت إذا أنزلت عليهم ملكاً ، إنما أنزله بصورة إنسي ، وحججني في كلتا الحالتين عليهم ثابتة ، بأنك صادق ، وأن ما جئتهم به حق .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال بعض أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ( وَكَلِمَةً جَعَلْنَاهُ مَلَائِكَةً لِنَقُضِي الْأَمْرَ ) يقول : ما أتاهم إلا في صورة رجل ، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَلِمَةً جَعَلْنَاهُ مَلَائِكَةً لِنَقُضِي الْأَمْرَ ) في صورة رجل في خلق رجل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَلِمَةً جَعَلْنَاهُ مَلَائِكَةً لِنَقُضِي الْأَمْرَ ) يقول : لو بعثنا إليهم ملكاً لجعلناه في صورة آدمي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَكَلِمَةً جَعَلْنَاهُ مَلَائِكَةً لِنَقُضِي الْأَمْرَ ) يقول : في صورة آدمي .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَلِمَةً جَعَلْنَاهُ مَلَائِكَةً لِنَقُضِي الْأَمْرَ ) قال : جعلنا ذلك الملك في صورة رجل ، لم نرسله في صورة الملائكة .

القول في تأويل قوله ( وَكَلِمَةً جَعَلْنَاهُ مَلَائِكَةً لِنَقُضِي الْأَمْرَ ) :  
يعني تعالى ذكره بقوله ( وَكَلِمَةً جَعَلْنَاهُ مَلَائِكَةً ) : ولو أنزلنا ملكاً من السماء مصداقاً لك يا محمد ،

شاهدنا لك عند هؤلاء العادلين بي ، الجاحدين آياتك على حقيقة نبوتك ، فجعلناه في صورة رجل من بني آدم ، إذ كانوا لا يطيقون رؤية الملك بصورته التي خلقته بها ، التبس عليهم أمره ، فلم يدروا أملك هو أم إنسي ، فلم يوقنوا به أنه ملك ، ولم يصدقوا به ، وقالوا : ليس هذا ملكا ، ولبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك ، وصحة برهانك ، وشاهدك على نبوتك ، يقال منه : لبست عليهم الأمر ألبسه لبسا : إذا خلطته عليهم ، ولبست الثوب ألبسه لبسا ، واللبس : اسم الثياب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنفي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله ( وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِيسُونَ ) يقول : لبسنا عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِيسُونَ ) يقول ما لبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم ، واللبس : إنما هو من الناس .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِيسُونَ ) يقول : شببنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم .

وقدر روى عن ابن عباس في ذلك قول آخر ، وهو ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِيسُونَ ) فهم أهل الكتاب فارقوا دينهم ، وكذبوا رسلهم ، وهو تحريف الكلام عن مواضعه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، قوله ( وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِيسُونَ ) يعنى التحريف : هم أهل الكتاب ، فرقوا كتبهم ودينهم ، وكذبوا رسلهم ، فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم ، وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات من أول السورة ، بأن تكون في أمر المشركين من عبدة الأوثان ، أشبه منها بأمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بما أغنى عن إعادته .

#### القول في تأويل قول

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره لئنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسلما عنه بوعيده المستهزئين به ، عقوبة ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به ، والاستخفاف في ذات الله : هو أن عليك يا محمد ما أنت لاق من هؤلاء المستهزئين بك ، المستخفين بحقك في وفي طاعتي ، وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدى ، والإقرار بي ، والإذعان لطاعتي ، فإنهم إن تمادوا في غيهم ، وأصرروا على المقام على كفرهم ، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم ، من تعجيل النعمة لهم ، وحلول المثالثات بهم ، فقد استهزأت أمم من قبلك برسل أرسلتهم إليهم ،

بمثل الذي أرسلتكم به إلى قومك ، وفعلوا مثل فعل قومك بك . فحاق بالذين سخرُوا منهم ما كانوا به يستهزءون: يعنى بقوله ( فَحَاقَ ) : فنزل وأحاط بالذين هزءوا برسلمهم . ( مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) : يقول : العذاب الذي كانوا يهزءون به ، وينكرون أن يكون واقعا بهم . على ما أنذرتمهم رسلمهم ، يقال منه : حاق بهم هذا الأمر يحيق بهم حيقًا وحيقًا وحيقًا .  
وينحو الذي قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ) من الرسل ( ما كانوا به يستهزءون ) يقول : وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به .

القول فى تأويل قوله

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١١)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء العادلين فى الأوثان والأنداد ، المكذبين بك ، الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندى ( سيرُوا فى الأرض ) يقول : جُولُوا فى بلاد المكذبين رسلمهم ، الجاحدين آياتى من قبلهم ، من ضربائهم وأشكالهم من الناس . ( ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ) : يقول : ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك الهلاك والعطب ، وخزي الدنيا وعازها ، وما حل بهم من سخط الله عليهم من البوار ، وخراب الديار ، وعفوَ الآثار ، فاعتبروا به ، إن لم تنهكم حلومكم ، ولم تزرجم حجج الله عليكم ، عما أنتم مقيمون من التكذيب ، فاحذروا مثل مصارعهم ، وانقوا أن يحل بكم مثل الذى حل بهم . وكان قتادة يقول فى ذلك بما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ) : دمر الله عليهم وأهلكهم ، ثم صيرهم إلى النار .

القول فى تأويل قوله

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْ لِلَّهِ ، كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء العادلين برهم : لمن ما فى السموات والأرض ؟ يقول : لمن ملك ما فى السموات والأرض ، ثم أخبرهم أن ذلك لله الذى استعبد كل شىء ، وقهر كل شىء بملكه وسلطانه ، لا للأوثان والأنداد ، ولا لما يعبدونه ، ويتخذونه إلهًا من الأصنام ، التى لا تملك لأنفسها نفعا ، ولا تدفع عنها ضرًا .



وقوله ( كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) يقول : قضى أنه بعباده رحيم ، لا يعجزك عليهم بالعقوبة ، ويقبل منهم الإنابة والتوبة . وهذا من الله تعالى ذكره ، استعطف للمعرضين عنه ، إلى الإقبال إليه بالتوبة . يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء العادلين ، الجاحدين نيوتك يا محمد ، إن تابوا وأنبأوا قبيلت توبيهم ، وإذ قد قضيت في خلقي ، أن رحمتي وسعت كل شيء .

كالذي حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ذكوان ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَمَّا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ كَتَبَ كِتَابًا : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : إن الله تعالى لما خلق السماء والأرض ، خلق مِثَّةَ رَحْمَةٍ ، كل رحمة ميلٌ ما بين السماء إلى الأرض ، فعنده تسع وتسعون رحمة ، وقسم رحمة بين الخلائق ، فبها يتعاطفون ، وبها تشرب الوحش والطير الماء ، فإذا كان يوم القيامة ، قصرها الله على المتقين ، وزادهم تسعا وتسعين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن أبي عثمان ، عن سلمان نحوه ، إلا أن ابن أبي عدي لم يذكر في حديثه : وبها تشرب الوحش والطير الماء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : نجد في التوراة عطفتين : إن الله خلق السموات والأرض ، ثم خلق مِثَّةَ رَحْمَةٍ ، أو جعل مئة رحمة ، قبل أن يخلق الخلق ، ثم خلق الخلق ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة ، قال فيها يترحمون ، وبها يتبادلون ، وبها يتعاطفون ، وبها يتزاورون ، وبها تحين الناقة ، وبها تنشج البقرة ، وبها تبيعر الشاة ، وبها تتابع الطير ، وبها تتابع الحيتان في البحر ، فإذا كان يوم القيامة ، جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده ، ورحمته أفضل وأوسع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان ، في قوله ( كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) . . . الآية ، قال : إنا نجد في التوراة عطفتين ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه ما قال : وبها تتابع الطير ، وبها تتابع الحيتان في البحر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال ابن طاوس ، عن أبيه : إن الله تعالى لما خلق الخلق ، لم يعطف شيء على شيء ، حتى خلق مِثَّةَ رَحْمَةٍ ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، فعطف بعض الخلق على بعض .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، بمثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : وأخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، حسبته أسنده ، قال : إذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه ، أخرج كتابا من تحت العرش ،

فيه : إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم الراحمين ؛ قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة ، أو قال :  
مثلا أهل الجنة ، ولا أعلمه إلا قال : مثلا ، وأما مثل ، فلا أشك مكتوبا هاهنا ، وأشار الحكم إلى نحره ،  
عقاه الله ، فقال رجل لعكرمة : يا أبا عبد الله ، فإن الله يقول ( يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكُم مِّنَ النَّارِ ،  
وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا ، وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ) قال : ويلئك ، أولئك أهلها الذين هم أهلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن  
عكرمة ، حسبت أنه أسنده ، قال : إذا كان يوم القيامة ، أخرج الله كتابا من تحت العرش ، ثم ذكر  
نحوه ، غير أنه قال : فقال رجل : يا أبا عبد الله ، رأيت قوله ( يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكُم مِّنَ النَّارِ ) .  
وسائر الحديث مثل حديث ابن عبد الأعلى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال :  
سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ ،  
فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن  
عبد الله بن عمرو ، أنه كان يقول : إن لله مئة رحمة ، فأهبط رحمة إلى أهل الدنيا ، يترحم بها الجن والإنس  
وطائر السماء ، وحيثان الماء ، ودواب الأرض وهوامها ، وما بين الهواء ، واختزن عنده تسعا وتسعين  
رحمة ، حتى إذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا ، فحواها إلى ما عنده ، فجعلها  
في قلوب أهل الجنة ، وعلى أهل الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال  
عبد الله بن عمرو : إن لله مئة رحمة ، أهبط منها إلى الأرض رحمة واحدة ، يترحم بها الجن والإنس والطير  
والبهائم وهوام الأرض .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : أخبرنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج ، قال : ثنا صفوان بن عمرو  
قال : ثنى أبو الخارق زهير بن سالم ، قال : قال عمر لكعب : ما أول شيء ابتدأه الله من خلقه ؟ فقال  
كعب : كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد ، ولكن كتبه بأصبعه بتلوها الزبرجد والؤلؤ والياقوت :  
أنا الله لا إله إلا أنا ، سبقت رحمتي غضبي .

القول في تأويل قوله ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَآرِيبَ فِيهِ ) :

وهذه اللام التي في قوله ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) لام قسم . ثم اختلف أهل العربية في جالبها ، فكان بعض  
نحوي الكوفة يقول : إن شئت جعلت الرحمة غاية كلام ، ثم استأنفت بعدها ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) ، قال :  
وإن شئت جعلته في موضع نصب ، يعني كتب ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) كما قال ( كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ  
الرَّحْمَةَ ، أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ) يريد : كتب أنه من عمل منكم . قال : والعرب  
تقول في الحروف التي يصلح معها جواب كلام الأيمان ، بأن المفتوحة وباللام ، فيقولون : أرسلت إليه أن

يقوم ، وأرسلت إليه ليقومن . قال : وكذلك قوله ( ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّةً حَتَّى حِينٍ ) ، قال : وهو في القرآن كثير ، ألا ترى أنك لو قلت : بدأ لهم أن يسجنوه ، لكان صوابا ؟ وكان بعض نحوِّي البصرة يقول : نصبت لام ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) لأن معنى كتب <sup>١</sup> كأنه قال : والله ليجمعنكم .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون قوله ( كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) غاية ، وأن يكون قوله ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) خبر مبتدأ ، ويكون معنى الكلام حينئذ : ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب فيه ، لينتقم منكم بكفركم به .

وإنما قلت : هذا القول أولى بالصواب من إعمال كتب في ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) لأن قوله ( كَتَبَ ) قد عمل في الرحمة ، فغير جائز ، وقد عمل في الرحمة أن يعمل في ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) لأنه لا يتعدى إلى اثنين . فإن قال قائل : فما أنت قائل في قراءة من قرأ ( كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) أنه بفتح أن ؟ قيل : إن ذلك إذا قرئ كذلك ، فإن أن بيان عن الرحمة ، وترجمة عنها ، لأن معنى الكلام : كتب على نفسه الرحمة أن يرحم من عباده بعد إقتراف السوء بجهالة ، ويعفو ، والرحمة يترجم عنها ، ويبين معناها بصفتها ، وليس من صفة الرحمة ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) إلى يوم القيامة ) فيكون مبينا به عنها ، فإن كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا أن ينصب بنية تكريه كتب مرة أخرى معه ، ولا ضرورة بالكلام إلى ذلك ، فتوجه إلى ما ليس بموجود في ظاهر .

وأما تأويل قوله ( لَارَيْبَ فِيهِ ) فإنه : لا شك فيه ، يقول : في أن الله يجمعكم إلى يوم القيامة ، فيحشركم إليه جميعا ، ثم يؤتي كل عامل منكم أجر ما عمل من حسن أو سيئ .

القول في تأويل قوله ( الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) :

يعنى تعالى ذكره بقوله ( الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ) العادلين به الأوثان والأصنام ، يقول تعالى ذكره : ليجمعن الله الذين خسروا أنفسهم ، يقول : الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الندى والعديل ، فأويقوها بإيجابهم سخط الله ، وألم عقابه في المعاد ، وأصل الخسار : الغسبن ، يقال منه : خسر الرجل في البيع : إذا غسبن ، كما قال الأعشى :

لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ وَلَا يُبَالِي خَسَرَ الخَاسِرِ

وقد بينا ذلك في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته ، وموضع الذين في قوله ( الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ )

(١) لعل الأصل : لأن معنى كتب القسم ، كأنه . . . الخ .

(٢) البيت للأعشى ميمون (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٤١) من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل ، في المناقرة التي جرت بينهما . وقد زعم الأعشى أن المناقرين حكاه في أمرها ، يبين ذلك من قوله قبل بيت الشاهد :  
حكمتوني ففقتى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر

ويروى حكمتوه . والمعروف أن الذي قضى بينهما بالتسوية : هو هرم بن قطبة الفزاري من حكاه العرب . وفي رواية الديوان : غبن الخاسر ، في مكان : خسر الخاسر . والرشوة مثلثة الزاء .

نصب على الردّ على الكاف والميم ، في قوله ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) على وجه البيان عنها ، وذلك أن الذين خسروا أنفسهم هم الذين خوطبوا بقوله ( لَيَجْمَعَنَّكُمْ ) ، وقوله ( فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) يقول : فهم لإهلاكهم أنفسهم ، وغبنهم إياها حفظها لا يؤمنوا : أى لا يوحدون الله ، ولا يصدقون بوعدده ووعيده ، ولا يقرّون بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله

﴿ وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣)

يقول تعالى ذكره : لا يؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثان ، فيخلصوا له التوحيد ، ويفردوا له الطاعة ، ويقرّوا بالألوهية جهلاً ( وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ) يقول : وله ملك كل شيء ، لأنه لا شيء من خلق الله ، إلا وهو ساكن في الليل والنهار ، فعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا ( وَهُوَ السَّمِيعُ ) ما يقول هؤلاء المشركون فيه من ادّعائهم له شريكاً ، وما يقول غيرهم من خلاف ذلك ( الْعَلِيمُ ) بما يضمرونه في أنفسهم . وما يظهرونه بجوارحهم ، لا يخفى عليه شيء من ذلك . فهو يحصيه عليهم ، ليوفّي كل إنسان ثواب ما اكتسب ، وجزاء ما عمل .

وينحو الذي قلنا في تأويل قوله ( سَكَنَ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ) يقول : ما استقرّ في الليل والنهار .

القول في تأويل قوله

﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ ، قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٤)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان ، والأصنام ، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك ، الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان ، أشيئا غير الله تعالى اتّخذ ولياً ، أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث ؟

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا ) قال : أما الولي : فالذي يتولونه ، ويقرّون له بالربوبية ( فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول : أشيئا غير الله فاطر السموات والأرض اتّخذ ولياً ؟ ففاطر السموات من نعت الله وصفته ولذلك خفض ؛ ويعنى بقوله ( فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما .

كالذي حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ،

عن مجاهد ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما لصاحبه : أنا فطرتها ، يقول : أنا ابتدأتها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فاطرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ) قال : خالق السموات والأرض .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فاطرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ) قال : خالق السموات والأرض ، يقال من ذلك : فَطَّرَهَا اللهُ يَفْطِّرُهَا ، ويفطيرها فَطْرًا وفُطُورًا ، ومنه قوله : « هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ » يعني : شقوفا وصدوعا ، يقال : سيف فُطَارَ : إذا كثر فيه التشقق ، وهو عيب فيه ؛ ومنه قول عنتره :

وَسَبِّحِي كَالعَقِيقَةِ فَهوَ كِمَعْبِي سِلَاحِي لَا أَقْلٌ وَلَا فُطَارًا ٢

ومنه يقال : فَطَّرَ نَابُ الجمل : إذا تشقق اللحم فخرج ؛ ومنه قوله ( تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ) : أي ينشققن وينصدعن .

وأما قوله ( وَهُوَ يُطْعِمُ ، وَلَا يُطْعَمُ ) فإنه يعني : وهو يرزق خلقه ، ولا يرزق .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَهُوَ يُطْعِمُ ، وَلَا يُطْعَمُ ) قال : يرزق ، ولا يرزق . وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول ذلك ( وَهُوَ يُطْعِمُ ، وَلَا يُطْعَمُ ) أي أنه يطعم خلقه ، ولا يأكل هو ، ولا معنى لذلك لقلة القراءة به .

القول في تأويل قوله ( قُلْ إني أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ، ويحثونك على عبادتها ، أغير الله فاطر السموات والأرض ، وهو يرزقني وغيري ، ولا يرزقه أحد ، أتخذ وليا هو له عبد مملوك ، وخلق مخلوق ؟ وقل لهم أيضا : إني أمرني ربي أن أكون أول من أسلم ، يقول : أول من خضع له بالعبودية ، وتذلل لأمره ونهيه ، وانقاد له من أهل دهرى وزمانى ( وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) يقول : وقل لي لا تكونن من المشركين بالله ، الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء ، وجعل قوله ( أُمِرْتُ ) بدلا من قيل لي ، لأن قوله ( أُمِرْتُ ) معناه : قيل لي ، فكأنه قيل : قل إني قيل لي : كن أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين ، فاجتزى بذكر الأمر من ذكر القول ، إذ كان الأمر معلوما أنه قول .

(١) قوله « ومنه قوله : ترى الخ » هذا لا يلائم ما قبله ، فلعل فيه سقطا ، والأصل والفطر أيضا الشق ، ومنه . . . الخ .

(٢) البيت لعنتره ( مختار الشعر الجاهل ٣٨٤ طبعة الحلبي ) من قصيدة يهجو بها عمارة بن زياد . والعقيقة : البرق أو شعاعه . وكفى : مضاجعي . ولا أقل : لم يتلهم . والفطار : السيف فيه تشقق ، فلا يقطع . وقد رواه صاحب اللسان في فطر ، وكعب وعق ، وقل .

القول في تأويل قوله

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل هؤلاء المشركين ، العادلين بالله ، الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم ، إن ربي نهاني عن عبادة شيء سواه ، وإني أخاف إن عصيت ربي ، فعبدتها ، عذاب يوم عظيم ، بمعنى : عذاب يوم القيامة ، ووصفه تعالى بالعظيم لعظم هول ، وفضاعة شأنه .

القول في تأويل قوله

مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦)

اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الحجاز والمدينة والبصرة (مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ) بضم الياء وفتح الراء ، بمعنى : من يصرف عنه العذاب يومئذ . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة (مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ) بفتح الياء وكسر الراء ، بمعنى : من يصرف الله عنه العذاب يومئذ .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي : قراءة من قرأه (بِصْرِفْ عَنْهُ) بفتح الياء وكسر الراء ، لدلالة قوله (فَقَدْ رَحِمَهُ) على صحة ذلك ، وأن القراءة فيه بتسمية فاعله ؛ ولو كانت القراءة في قوله (مَنْ يُصْرِفْ) على وجه ما لم يسم فاعله ، كان الوجه في قوله (فَقَدْ رَحِمَهُ) أن يقال : فقد رحم غير مسمى فاعله ؛ وفي تسمية الفاعل في قوله (فَقَدْ رَحِمَهُ) دليل بين على أن ذلك كذلك في قوله (مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ) . وإذ كان ذلك هو الوجه الأولى بالقراءة ، فتأويل الكلام (مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ) من خلقه (يَوْمَئِذٍ) عذابه (فَقَدْ رَحِمَهُ) ، وذلك (هُوَ) (الْفَوْزُ الْمُبِينُ) . ويعنى بقوله (وذلك) : وصرف الله عنه العذاب يوم القيامة ، ورحمته إياه الفوز : أي النجاة من الهلكة ، والظفر بالطلبة ؛ المبين ، يعنى الذى بين لمن رآه أنه الظفر بالحاجة ، وإدراك الطلبة .

وبنحو الذى قلنا في قوله (مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) قال : من يصرف عنه العذاب .

القول في تأويل قوله

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ (١٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن يصبك الله بضر ، يقول : بشدة في دنياك ،

وشظف في عيشك، وضيق فيه، فلن يكشف ذلك عنك إلا الله، الذي أمرك أن تكون أول من أسلم لأمره ونهيه، وأذن له من أهل زمانك، دون ما يدعوك العادلون به إلى عبادته من الأوثان والأصنام ودون كل شيء سواها من خلقه. (وإنَّ يَمْسَسَكَ بِخَيْرٍ) يقول: وإن يصبك بخير: أي برخاء في عيش، وسعة في الرزق، وكثرة في المال، فتقر أنه أصابك بذلك (فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره: والله الذي أصابك بذلك، فهو على كل شيء قدير، هو القادر على نفعك وضررك، وهو على كل شيء يريده قادر، لا يعجزه شيء يريده، ولا يمنع منه شيء طلبه، ليس كالألهة الذليلة المهينة، التي لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها ولا دفع ضرر عنها ولا غيرها، يقول تعالى ذكره: فكيف تعبد من كان هكذا؟ أم كيف لا تخلص العبادة، وتقر لمن كان بيده الضر والنفع، والثواب والعقاب، وله القدرة الكاملة، والعزة الظاهرة.

القول في تأويل قوله

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله، وهو نفسه يقول: والله القاهر فوق عباده، ويعنى بقوله (القاهر) المدلل المستعبد خلقه، العالى عليهم، وإنما قال: فوق عباده، لأنه وصف نفسه تعالى بقهره إياهم ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه.

فمعنى الكلام إذن: والله الغالب عباده، المدللهم، العالى عليهم بتذليله لهم، وخلقهم إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه، (وَهُوَ الْخَبِيرُ)، يقول: والله الحكيم في علوه على عباده، وقهره إياهم بقدرته، وفي سائر تدبيره (الخبير) بمصالح الأشياء ومضارها، الذي لا يخفى عليه عواقب الأمور وبوادياها، ولا يقع في تدبيره خلل، ولا يدخل حكمه دخل.

القول في تأويل قوله

قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً؟ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ، أَأَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى، قُلْ لَا أَشْهَدُ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين يكذبون ويحسدون نبوتك من قومك، أى شيء أعظم شهادة وأكبر، ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة الله، الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في غيره من خلقه، من السهو والخطأ والغلط والكذب، ثم قل لهم: إن

الذي هو أكبر الأشياء شهادة شهيد بيني وبينكم ، بالحق منا من المبطل ، والرشيد منا في فعله ، وقوله :  
من السفية ، وقد رضىنا به حكما بيننا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد  
في قول الله تعالى ( أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ) قال : أمر محمد أن يسأل قريشا ، ثم أمر أن يخبرهم فيقول  
( اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ) .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

القول في تأويل قوله ( وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنَّذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لؤلؤ المشركين الذين يكذبونك ( اللهُ شَهِيدٌ  
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ) ، وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنَّذِرْكُمْ بِهِ ( عقابه ، وأنذره من بلغه من سائر  
الناس غيركم ، إن لم ينته إلى العمل بما فيه ، وتحليل حلاله ، وتحريم حرامه ، والإيمان بجميعه نزول نعمة  
الله به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ؟ قُلِ  
اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ) . وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنَّذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ( ذكر لنا أن  
نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ بَلِّغُوا وَلَوْ آيَةً مِّنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ مَن  
بَلَغَهُ آيَةً مِّنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ اللَّهِ ، أَخَذَهُ ، أَوْ تَرَكَهُ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله :

( لِأَنَّذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بَلِّغُوا عَنِ اللَّهِ ، فَمَنْ بَلَغَهُ  
آيَةً مِّنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَقَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ اللَّهِ » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد

ابن كعب القرظي ( لِأَنَّذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) قال : من بلغه القرآن ، فكأنما رأى النبي صلى الله عليه  
وسلم ، ثم قرأ ( وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُنَّ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، قال : سألت ليثا : هل بقى

أحد لم يبلغه الدعوة ؟ قال : كان مجاهد يقول : حيثما يأتي القرآن فهو داع ، وهو نذير ، ثم قرأ ( لِأَنَّذِرْكُمْ  
بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُنَّ ) .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَنْ بَلَغَ ) : من أسلم من العجم وغيرهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا خالد بن يزيد ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب

في قوله ( لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) قال : من بلغه القرآن ، فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ،

عن ابن عباس ، قوله ( وَأَوْحِيَ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ ) يعني أهل مكة ( وَمَنْ بَلَغَ )

يعني : ومن بلغه هذا القرآن ، فهو له نذير .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت سفيان الثوري يحدث ، لأعلمه إلا عن

مجاهد أنه قال في قوله ( وَأَوْحِيَ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ ) العرب ( وَمَنْ بَلَغَ ) العجم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لِأُنذِرَكُمْ

بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) أما من بلغ : فمن بلغه القرآن ، فهو له نذير .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَأَوْحِيَ إِلَىٰ

هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) قال : يقول : من بلغه هذا القرآن ، فأنا نذيره ، وقراً

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّتِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمُ جَمِيعاً ) قال : فمن بلغه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه

وسلم نذيره .

فمعنى هذا الكلام : لأنذركم بالقرآن أيها المشركون ، وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم ، فمن

في موضع نصب بوقوع أنذر عليه ، وبلغ في صلته ، وأسقطت الهاء العائدة على من في قوله ( بَلَغَ ) لاستعمال

العرب ذلك في صلوات « من ، وما ، والذي » .

القول في تأويل قوله ( أَلَيْسَ لِكُلِّ شَيْءٍ آتٍ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ) :

هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ) :

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل هؤلاء المشركين الجاحدين بنبوتك ، العادلين بالله

ربا غيره ، أأنتم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، يقول : تشهدون أن معه معبودات غيره ،

من الأوثان والأصنام ، وقال ( أُخْرَى ) ولم يقل : أُخْرَى ، والآلهة جمع ، لأن الجموع يلحقها التأنيث ،

كما قال تعالى ( فَمَّا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ) ولم يقل الأول ، ولا الأولين ، ثم قال لنبية محمد صلى الله عليه

وسلم : قل يا محمد ، لا أشهد بما تشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، بل أجد ذلك وأنكره ( إِنَّمَا هُوَ

إِلَهٌ وَاحِدٌ ) يقول : إنما هو معبود واحد ، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة . ( وَإِنِّي بَرِيءٌ

مِّمَّا تُشْرِكُونَ ) يقول : قل وإنني برىء من كل شريك تدعونه لله ، وتضيفونه إلى شركته ، وتعبدونه

معه لأعبد سوى الله شيئا ، ولا أدعو غيره إلها ، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم من وجه لم تثبت صحته .

وذلك ما حدثنا به هناد بن السرى وأبو كريب ، قالا : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحرى بن عمير فقالوا : يا محمد ما تعلم مع الله إلها غيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا إله إلا الله يُدَلِّكُ بَعِثْتُ ، وإلى ذلك أدعوا » فأنزل الله تعالى فيهم وفي قلوبهم ( قُلْ أَىُّ شَىءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ؟ قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ) إلى قوله ( لا يُؤْمِنُونَ )

القول في تأويل قوله

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : الذين آتيناهم الكتاب : التوراة والإنجيل ، يعرفون أنما هو إله واحد ، لاجتماع الآلهة ، وأن محمدا نبي مبعوث ، كما يعرفون أبناءهم ، وقوله ( الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ) من نعت الذين الأولى ، ويعنى بقوله ( خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ) أهلكوها وألقوها في نار جهنم بإنكارهم محمدا ، أنه الله رسول مرسل ، وهم بحقيقة ذلك عارفون ، فهم لا يؤمنون ، يقول : فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون ، وقد قيل : إن معنى خسارتهم أنفسهم : أن كل عبد له منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فإذا كان يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة ، وجعل لأهل النار منازل أهل الجنة في النار ، فذلك خسار الخاسرين منهم ، لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار ، بما فرط منهم في الدنيا من معصيتهم الله ، وظلمهم أنفسهم ، وذلك معنى قول الله تعالى ( الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) .  
وبنحو ما قلنا في معنى قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ) يعرفون أن الإسلام دين الله ، وأن محمدا رسول الله ، يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ) النصارى واليهود ، يعرفون رسول الله في كتابهم ، كما يعرفون أبناءهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ )<sup>١</sup> .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ) يعني : النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم ، أنهم قالوا : والله لنحن أعرف به من أبنائنا ، من أجل الصفة والنعت الذي نجده في الكتاب ، وأما أبناؤنا فلا ندرى ما أحدث النساء .

#### القول في تأويل قوله

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : ومن أشدّ اعتداء ، وأخطأ فعلًا ، وأخطل قولًا ( مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) يعني : ممن اختلق على الله قيل باطل ، واخترق من نفسه عليه كذبا ، فزعم أن له شريكا من خلقه ، وإها يعبد من دونه ، كما قاله المشركون من عبدة الأوثان ، أو ادعى له ولدا أو صاحبة ، كما قالته النصراني ، ( أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ) يقول : أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التي أعطها رسله ، على حقيقة نبوتهم كذبت بها اليهود ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ) يقول : إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل ، ولا يدركون البقاء في الجنان ، والمفترون عليه الكذب ، والجاحدون بنبوة أنبيائه .

#### القول في تأويل قوله

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المفتريين على الله كذبا ، والمكذبين بآياته ، لا يفلحون اليوم في الدنيا ، ولا يوم نحشرهم جميعا ، يعني : ولا في الآخرة ، ففي الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف . وتأويل الكلام : إنه لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا ( وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ) فقله : ويوم نحشرهم ، مردود على المراد في الكلام ، لأنه وإن كان محذوفًا منه ، فكأنه فيه لمعرفة السامعين بمعناه . ( ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ ) يقول : ثم نقول إذا حشرنا هؤلاء المفتريين على الله الكذب ، بادعائهم له في سلطانه شريكا ، والمكذبين بآياته ورسله ، فجمعنا جميعهم يوم القيامة ( آيِنَ شُرَكَائِكُمْ ) الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ) أنهم لكم آلهة من دون الله ، افتراء وكذبا ، وتدعونهم من دونه أربابا ، فأتوا بهم إن كنتم صادقين .

(١) لم يذكر تفسيرا ، وعبارة الدر المنثور عن السدي : يعني يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم ، لأن نعتهم في التوراة . اهـ .

## القول في تأويل قوله

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : وَآلَهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : ثم لم يكن قولهم إذ قلنا لهم : أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون إجابة منهم لنا عن سؤالنا إياهم ذلك إذ فتناهم ، فاختبرناهم (إلا أن قالوا وآله ربنا ما كنا مشركين) كدبا منهم في إيمانهم على قلوبهم ذلك .

ثم اختلف القراء في قراءة ذلك ؛ فقرأته جماعة من قرآء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (ثم لم تكن فيتننتهم) بالنصب ، بمعنى : لم يكن اختبارنا لهم إلا قلوبهم (وآله ربنا ما كنا مشركين) ، غير أنهم يقرءون (تكن) بالتاء على التأنيث ، وإن كانت للقول لا للفتنة لجاورته الفتنة وهي خبر ، وذلك عند أهل العربية شاذ غير فصيح في الكلام ؛ وقد روى بيت للبيد بنحو ذلك ، وهو قوله :

فَقَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَدَتْ إِقْدَامُهَا

فقال : وكانت بتأنيث الإقدام لجاورته قوله : عادة .

وقرأ ذلك جماعة من قرآء الكوفيين ، (ثم لم يكن) بالياء (فيتنتتهم) بالنصب ، إلا أن قالوا بنحو المعنى الذي قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم ، غير أنهم ذكروا يكون لتذكير أن<sup>٢</sup> ، وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب ، لأن أن أثبت في المعرفة من الفتنة .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (ثم لم تكن فيتننتهم) فقال بعضهم : معناه : ثم لم يكن قولهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال قتادة في قوله (ثم لم تكن فيتننتهم) قال : مقالهم ، قال معمر : وسمعت غير قتادة يقول : معذرتهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (ثم لم تكن فيتننتهم) قال : قولهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثم لم تكن فيتننتهم إلا أن قالوا) . . . الآية ، فهو كلامهم ، قالوا : (وآله ربنا ما كنا مشركين) .

(١) البيت في معلقة ليبد بشرح الزوزني والتبريزي . والتعريف : التأخر أو العنول عن الطريق إلى الماء . وأنت كانت لأنه توهم أن اسمها وهو الإقدام بمعنى التقدمة . كقول الآخر : « غفرنا وكانت من صحبتنا الغفر » ، لأنه بمعنى المغفرة . قال الزوزني في شرحه : يقول : مضى العير نحو الماء ، وقدم الأتان ، وكانت مقدمة الأتان عادة من العير إذا تأخرت هي ، أي خاف العير تأخرها .

(٢) سقط من قلم الناسخ قراءة الرفع ، كما يؤخذ من بقية كلامه ، ومراده بقوله : وهذه القراءة : أي قراءة النصب ، وقوله : لأن أن أثبت . . . الخ : أي لأنه يشبه المضمر . اهـ .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال سمعت الضحاك ( *«مَّمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ»* ) يعني كلامهم .  
وقال آخرون : معنى ذلك : معذرتهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار وابن المنني ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ( *«مَّمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ»* ) قال : معذرتهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( *«مَّمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»* ) يقول : اعتذارهم بالباطل والكذب .

والصواب من القول في ذلك أن يقال معناه *«مَّمَّ لَمْ يَكُنْ قِيلَهُمْ عِنْدَ فِتْنَتِنَا إِيَّاهُمْ اعْتِذَارًا مِمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ (إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فَوَضَعَتِ الْفِتْنَةَ مَوْضِعَ الْقَوْلِ لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَى الْكَلَامِ ؛ وَإِنَّمَا الْفِتْنَةُ : الْاِخْتِبَارُ وَالِابْتِلَاءُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْجَوَابُ مِنَ الْقَوْمِ غَيْرَ وَاقِعٍ هُنَالِكَ إِلَّا عِنْدَ الْاِخْتِبَارِ ، وَضَعَتِ الْفِتْنَةَ الَّتِي هِيَ الْاِخْتِبَارُ مَوْضِعَ الْخَبَرِ عَنْ جَوَابِهِمْ وَمَعذَرَتِهِمْ .*

واختلفت القراء أيضا في قراءة قوله ( *«وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»* ) : فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين ( *«وَاللَّهِ رَبَّنَا»* ) خفضا على أن الرب نعت لله . وقرأ ذلك جماعة من التابعين ( *«وَاللَّهِ رَبَّنَا»* ) بالنصب بمعنى : والله ياربنا ، وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة .

وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ ( *«وَاللَّهِ رَبَّنَا»* ) بنصب الرب ، بمعنى : ياربنا ، وذلك أن هذا جواب من المسئولين المقول لهم ( *«أَيُّنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ»* ) وكان من جواب القوم لربهم : والله ياربنا ما كنا مشركين ، فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك في الدنيا ، يقول الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم : انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ، ويعنى بقوله ( *«مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»* ) : ما كنا ندعو لك شريكا ولا ندعو سواك .

القول في تأويل قوله

أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد ، فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثان والأصنام في الآخرة ، عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم : والله ياربنا ما كنا مشركين ، واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها متخلفين في الدنيا ، من الكذب والفرية .

ومعنى النظر في هذا الموضع : النظر بالقلب ، لا النظر بالبصر ، وإنما معناه : تَبَيَّنَ ، فاعلم كيف كذبوا في الآخرة ، وقال : كذبوا ومعناه : يكذبون ، لأنه لما كان الخبر قد مضى في الآية قبلها صار كالشيء الذي قد كان ووجد ( *«وَضَلَّ عَنْهُمْ»* ما كانوا يفترون ) يقول : وفارقهم الأنداد والأصنام

وتبرءوا منها ، فسلكوا غير سبيلها لأنها هلكت ، وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجترأ ، ثم أُخِذُوا بما كانوا يَفْرَوْنَه من قِلبهم فيها على الله وعبادتهم إياها وإشراكهم إياها في سلطان الله ، فضلت عنهم ، وعوقب عابدها بفريتهم . وقد بينا فيما مضى أن معنى الضلال : الأخذ على غير الهدى ، وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سعة رحمة الله يومئذ .

ذكر الرواية بذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن مطرف ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد ابن جبير ، قال : أتى رجل ابن عباس ، فقال : قال الله ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) . وقال في آية أخرى ( وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ) قال ابن عباس : أما قوله ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) فإنه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة ، إلا أهل الإسلام ، فقالوا : تعالوا لنجحد ( قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) ، فحتم الله على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم ( وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) قال : قول أهل الشرك ، حين رأوا الذنوب تغفر ، ولا يغفر الله لمشرك ، انظر كيف كذبوا على أنفسهم بتكذيب الله إياهم .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) ثم قال : ( وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ) بجوارحهم .  
حدثنا ابن وكيع ، قال ثنا أبي ، عن حمزة الزيات ، عن رجل يقال له هشام ، عن سعيد بن جبير ( ثُمَّ كَلِمَةٌ تَكُنُّ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) قال : حلفوا واعتذروا : قالوا : والله ربنا .

حدثني المنثي ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير ، قال : أقسموا واعتذروا : والله ربنا .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن حمزة الزيات ، عن رجل يقال له هشام ، عن سعيد بن جبير بنحوه .  
حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن سفيان بن زياد العصفري ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) قال : لما أمر بإخراج رجال من النار من أهل التوحيد ، قال من فيها من المشركين : تعالوا نقول : لا إله إلا الله ، لعلنا نخرج مع هؤلاء ، قال : فلم يصدقوا ، قال : فحلفوا ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) قال : فقال الله ( انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) : أي يشركون به .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) قال : لما رأى المشركون أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم ، قالوا : تعالوا إذا سئلنا قلنا ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) فسلوا ، فقالوا ذلك ، فحتم الله على أفواههم وشهدت عليهم جوارحهم بأعمالهم ، فودّ الذين كفروا حين رأوا ذلك ، ( لَو تَسَوَّى بِهِمُ الْآرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مسلم بن خلف ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد قال : يأتي على الناس يوم القيامة ساعة لما رأى أهل الشرك أهل التوحيد يُغْفَرُ لَهُمْ ، فيقولون ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) قال ( انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفیان ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، أنه كان يقول ( وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ) يخفضها ، قال : أقسموا واعتذروا . قال الحارث : قال عبد العزيز ، قال سفیان مرة أخرى ، ثنا هشام ، عن سعيد بن جبير .

#### القول في تأويل قوله

• وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُخْبِدُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك يا محمد من يستمع إليك ، يقول : من يستمع القرآن منك ، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك وأمره ونهيه ، ولا يفقه ما تقول ، ولا يوعيه قلبه ، ولا يتدبره ، ولا يصغى له سمعه ليتفقهه ، فيفهم حجج الله عليه في تنزيهه الذي أنزله عليك ، إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك ، ولا يعقل عنك ما تقول ، لأن الله قد جعل على قلبه أكنته ، وهي جمع كنان ، وهو الغطاء ، مثل سنان وأسنة ، يقال منه : أكنتت الشيء في نفسى بالألف ، وكنتت الشيء : إذا غطيته ، ومن ذلك بيض مكنون : وهو الغطاء ، ومنه قول الشاعر :

تَحْتَ عَيْنِ كِنَانُنَا ظِلُّ بُرْدٍ مَرَحَلٍ

يعنى غطاءهم الذي يبيكنهم .

(١) البيتان في (السان : كتن) ونسبه إلى عمر بن أبي ربيعة ، وقبله بيتان ، وها :

هَاجَ ذَا الْقَلْبِ مَنْزِلُ دَارِسُ الْعَهْدِ مَحْوِلُ  
أَيْنَا بَاتَ لَيْلَةَ بَيْنَ غُضْنَيْنِ يُوبَلُ

( وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ) يقول تعالى ذكره : وجعل في آذانهم ثقلا وصمما عن فهم ما تنلو عليهم ، والإصغاء لما تدعوهم إليه ، والعرب تفتح الواو من الوقر في الأذن : وهو الثقل فيها ، وتكسرهما في الحمل فتقول : هو وقر الدابة ، ويقال من الحمل : أوقرت الدابة فهي موقرة ، ومن السمع : وقّرت سمعه فهو موقور ، ومنه قول الشاعر :

ولى هامة قد وقّرت الضرب سمعها

وقد ذكر سماعا منهم : وقّرت أذنه : إذا ثقّلت ، فهي موقورة ، وأوقّرت النخلة فهي موقيرة ، كما قيل امرأة طامث وحائض ، لأنه لاحظ فيه للمذكر ، فإذا أريد أن الله أوقرها ، قيل موقرة . وقال تعالى ذكره ( وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ) بمعنى : أن لا يفقهوه ، كما قال ( يَبْسُتِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ) بمعنى : أن لا تضلوا ، لأن الكين إنما جعل على القلب لئلا يفقهه ، لا ليفقهه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ) ، وفي آذَانِهِمْ وَقْرًا ) قال : يسمعونه بأذانهم ولا يعون منه شيئا ، كمثل البهيمة التي تسمع النداء ، ولا تدري ما يقال لها .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ) ، وفي آذَانِهِمْ وَقْرًا ) . أما أكنة : فالغطاء أكن قلبهم لا يفقهون الحق . ( وفي آذانهم وقرا ) : قال : صمم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ) قال : قريش .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
القول في تأويل قوله ( وَإِنْ يَرَوْا كُفْرًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ) :

يقول تعالى ذكره : وإن يرهؤلاء العادلون برهيم الأوثان والأصنام ، الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن

تحت عين . . الخ ، وهو شاهد على أن الأكنة : الأغطية ، واحدها كنان . وقال ابن بري : وصواب إنشاد الشطر الأخير « برد عصب مرحل » . قال : وأنشده ابن دريد :

تَحْتِ ظِلِّ كِنَانُنَا فَضِلُّ بَرْدِ يَهْلَلُ

وفي هامش اللسان لمصححه ، تعليق على قوله يهلل . قال : كذا بالأصل مضبوطا ، ولم نعتز عليه في غير هذا المثل ، ولعله مهلهل . وحرر . كتبه مصححه .

(١) هذا شطر من بيت الطويل ، ولم نعتز على قائله ، ولا على شطره الثاني . وقد استشهد به المؤلف على أن الفعل ( وقر ) فعل متعد . وفي المصباح الفيومي : وقرت الأذن من بابي تعب ووعد . ثقل سمعها . وقرها الله وقرأ من باب وعد . يستعمل لازما ومتعديا .



يفقهوا عنك ما يسمعون منك . (كُلُّ آيَةٍ ) : يقول : كل حجة وعلامة تدل أهل الحجا والفهم على توحيد الله ، وصدق قولك ، وحقيقة نبوتك . (لَا يُؤْمِنُوا بِهَا) : يقول : لا يصدقون بها ، ولا يقرّون بأنها دالة على ما هي عليه دالة . (حتى إذا جاءوك يُجادلونك) يقول : حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتم به يجادلونك ، يقول : يخاصمونك . (يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعني بذلك الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها ، يقولون لنبي الله ، صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا حجج الله التي احتج بها عليهم ، وبيانه الذي بينه لهم . (إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أي ما هذا إلا أساطير الأولين . والأساطير : جمع أسطورة ، وأسطورة مثل أفكوهة وأضحوكة ، وجائر أن يكون الواحد إسطارا مثل أبيات وأبيات ، وأقوال وأقوال ، من قول الله تعالى (وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ) من سطر يسطر سطرًا ، فإن كان من هذا ، فإن تأويله ما هذا إلا ما كتبه الأولون ، وقد ذكر عن ابن عباس وغيره أنهم كانوا يتأولونه بهذا التأويل ، ويقولون معناه : إن هذا إلا أحاديث الأولين .

حدثني بذلك المنفي بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما (أساطير الأولين) فأساجيع الأولين . وكان بعض أهل العلم - وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى - بكلام العرب يقول : الإسطورة لغة : الخرافات والترهات . وكان الأخفش يقول : قال بعضهم : واحده : أسطورة . وقال بعضهم : إسطورة ، قال : ولا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد ، نحو العبايد والمذاكير والأبائيل . قال : وقال بعضهم : واحد الأبائيل : إيبيل ، وقال بعضهم : إبول ، مثل عجّول ، ولم أجد العرب تعرف له واحدا ، وإنما هو مثل عبايد لا واحد لها . وأما الشيايط ، فإنهم يزعمون أن واحده شمطاط ، قال : وكل هذه لها واحد ، إلا أنه لم يستعمل ، ولم يتكلم به ، لأن هذا المثال لا يكون إلا جمعا ، قال : وسمعت العرب الفصحاء تقول : أرسل خيله أبائيل ، تريد جماعات ، فلا تتكلم بها موحدة .

وكانت مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي ذكرها الله في هذه الآية فيما ذكر ، ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذا جاءوك يُجادلونك) . . . الآية ، قال : هم المشركون يجادلون المسلمين في الذبيحة ، يقولون : أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون ، وأنتم تتبعون أمر الله تعالى .

#### القول في تأويل قوله

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ، وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ) فقال بعضهم : معناه : هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله ، ينهون الناس عن اتباع محمد ، صلى الله عليه وسلم . والقبول منه ، ويتأولون عنه : يتباعدون عنه .

(١) في اللسان : الأساطير : واحدها : إسطار وإسطورة بالكسر . . . وقيل : جمع أسطار ، وأسطار : جمع سطر .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث وهاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) قال : يتخلفون عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يجيبونه ، وينهون الناس عنه .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) يعني : ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به ( وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) : يعني : يتباعدون عنه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) أن يتبع محمد ، ويتباعدون هم منه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) يقول : لا يلقونه ، ولا يدعون أحدا يأتيه .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول في قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ) يقول : عن محمد ، صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) : جمعوا النهي والنأي ، والنأي : التباعد .

وقال بعضهم : بل معناه : ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ) عن القرآن أن يُسمع له ، ويُعمل بما فيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ) قال : ينهون عن القرآن ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم ( وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) ويتباعدون عنه حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ) قال قريش عن الذكر ( وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) يقول : يتباعدون .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) قريش عن الذكر ، ينأون عنه : يتباعدون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) قال : ينهون عن القرآن ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتباعدون عنه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ) قال : ينأون عنه : يبعدون .

وقال آخرون : معنى ذلك : وهم ينهون عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم ، وينأون عنه : يتباعدون عن دينه واتباعه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع وقبيصة ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن حبيب ابن أبي ثابت عن سمع ابن عباس يقول : نزلت في أبي طالب ، كان ينهى عن محمد أن يؤذى ، وينأى عما جاء به أن يؤمن به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : ثنا من سمع ابن عباس يقول ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) قال : نزلت في أبي طالب ينهى عنه أن يؤذى ، وينأى عما جاء به .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت عن سمع ابن عباس ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) قال : نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا محمدا ، وينأى عما جاء به .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبدة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة ، قال : كان أبو طالب ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصدقه .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا أبي ومحمد بن بشر ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة ، في قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) قال : نزلت في أبي طالب ، قال ابن وكيع : قال ابن بشر : كان أبو طالب ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذى ، ولا يصدقه به .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن أبي محمد الأسدي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : ثنا من سمع ابن عباس يقول في قول الله تعالى ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) نزلت في أبي طالب ، كان ينهى عن أذى محمد ، وينأى عما جاء به أن يتبعه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة ، في قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) قال : نزلت في أبي طالب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن عبد العزيز بن سيار ، عن حبيب ، قال : ذلك أبو طالب ، في قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سعيد بن أبي أيوب ، قال : قال عطاء بن دينار في قول الله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) إنها نزلت في أبي طالب ، إنه كان ينهى الناس عن إبداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينأى عما جاء به من الهدى .

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية : قول من قال : تأويله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ) عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم من سواهم من الناس ، ويتأون عن اتباعه ، وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به ، والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه ، فالواجب أن يكون قوله ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ) خبرا عنهم ، إذ لم يأتنا ما يدل

على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم ، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون أن يكون خبرا عن خاص منهم .  
 وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : وإن ير هؤلاء المشركون يا محمد كل آية لا يؤمنوا بها ، حتى إذا جاءوك يجادلونك ، يقولون : إن هذا الذي جئتنا به إلا أحاديث الأولين وأخبارهم ، وهم ينهون عن استماع التنزيل ، ويتأون عنك ، فيبعدون منك ، ومن اتباعك ، وإن يهلكون إلا أنفسهم ، يقول : وما يهلكون بصدتهم عن سبيل الله ، وإعراضهم عن تنزيله وكفرهم بربهم ، إلا أنفسهم لا غيرها ، وذلك أنهم يكسبونها بفعلهم ذلك سخط الله وأليم عقابه ، وما لا قبيل لها به ، وما يشعرون ، يقول : وما يدرون ما هم مكسبونها من الهلاك والعطب بفعلهم . والعرب تقول لكل من بعد عن شيء : قد نأى عنه ، فهو ينأى نأيا ، ومسموع منهم : نأيتك بمعنى نأيت عنك ، وأما إذا أرادوا : أبعدتك عنى ، قالوا : أنأيتك ، ومن نأيتك بمعنى : نأيت عنك قول الخطيئة :

نَأَيْتُكَ أَمَامَةً إِلَّا سُؤَالَ وَأَبْصَرْتَ مِنْهَا بَطِيْفٌ خِيَالًا<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ، فَقَالُوا : يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ ، وَلَا نَكْذِبُ بِثَأْتِ رَبَّنَا ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم : ولو ترى يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأصنام والأوثان الجاحدين نبوتك ، الذين وصفت لك صفتهم ( إِذْ وَقَفُوا ) يقول : إذ حبسوا ( على النار ) يعني في النار ، فوضعت « على » موضع « في » كما قال ( وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ) بمعنى في ملك سليمان ، وقيل ( وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا ) ومعناه : إذا وقفوا ، لما وصفنا قبل فيما مضى أن العرب قد تضع إذ مكان إذا ، وإذا مكان إذ ، وإن كان حظ إذ أن تصاحب من الأخبار ما قد وجد ففضى ، وحظ إذ أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد ، ولكن ذلك كما قال الراجز ، وهو أبو النجم مد لنا في عمره رب طه :  
 ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَا إِذْ جَزَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي الْعَلَاءِ الْعُلَىٰ<sup>٢</sup>

فقال : ثم جزاه الله عنا إذ جزى ، فوضع إذ مكان إذا ، وقيل : وَقَفُوا ، ولم يقل أوقفوا ، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب ، يقال : وقفت الدابة وغيرها بغير ألف إذا حبستها ، وكذلك وقفت الأرض إذا جعلتها صدقة حبيسا بغير ألف .

(١) البيت للخطبة ( ديوانه طبع القاهرة ص ٣١ بشرح السكري ) . وهو مطلع قصيدة له يمدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويعتذر من عيب الزرقان . وذكرها ابن أبي الخطاب القرشي صاحب الجمهرة في القصائد المشوبات . ونأيتك : نأيت عنك ، وانقطع ما بينك ، إلا سواها عنك ، وهو لا يتقع غلة ، ولا يشق صدى . وإلا ما يعاودك من طيف عيالها في منامك . والشعر الثاني في أساس البلاغة « وإلا عيال يوافي عيالاً »

(٢) البيت لأبي النجم ( انظر التعليق عليه في ص ١٣٧ ) من هذا الجزء .

وقد حدثني الحارث بن أبي عبيد ، قال : أخبرني البيهقي والأصمعي كلاهما ، عن أبي عمرو ، قال : ما سمعت أحدا من العرب يقول : أوقفت الشيء بالألف ، قال : إلا أني لورأيت رجلا بمكان ، فقلت : ما أوقفك هاهنا بالألف لرأيتك حسنا ( فَنَقَالُوا : يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ) يقول : فقال هؤلاء المشركون بربهم إذ حبسوا في النار : يا ليتنا نردّ إلى الدنيا حتى نتوب ونراجع طاعة الله ( وَلَا نُكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ) يقول : ولا نكذب بحجج ربنا ولا نجحدها . ( وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : ونكون من المصدقين بالله وحججه ورسله ، متبعي أمره ونهيه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والعراقين ( يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ، وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) بمعنى : يا ليتنا نردّ ، ولسنا نكذب بآيات ربنا ولكن نكون من المؤمنين ، وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة ( يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) بمعنى يا ليتنا نردّ ، وأن لا نكذب بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين .

وتأولوا في ذلك شيئا حدثنيه أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : في حرف ابن مسعود ( يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَلَا نُكْذِبُ ) بالفاء .

وذكر عن بعض قراء أهل الشام أنه قرأ ذلك ( يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكْذِبُ ) بالرفع ( وَتَكُونُ ) بالنصب ، كأنه وجه تأويله إلى أنهم تمنوا الردّ ، وأن يكونوا من المؤمنين ، وأخبروا أنهم لا يكذبون بآيات ربهم ، إن ردّوا إلى الدنيا .

واختلف أهل العربية في معنى ذلك منصوبا ومرفوعا ، فقال بعض نحوّي البصرة : ( لَانْكَذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) نصب لأنه جواب للتمنى ، وما بعد الواو كما بعد الفاء ؛ قال : وإن شئت رفعت وجعلته على غير التمني ، كأنهم قالوا : ولا نكذبُ والله بآيات ربنا ، ونكونُ والله من المؤمنين ؛ هذا إذا كان على ذا الوجه كان منقطعا من الأول ، قال : والرفع وجه الكلام ، لأنه إذا نصب جعلها واو عطف ، فإذا جعلها واو عطف ، فكأنهم قد تمنّوا أن لا يكذبوا ، وأن يكونوا من المؤمنين ، قال : وهذا والله أعلم لا يكون ، لأنهم لم يتمنوا هذا ، إنما تمنوا الردّ ، وأخبروا أنهم لا يكذبون ويكونون من المؤمنين . وكان بعض نحوّي الكوفة يقول : لو نصب نكذب ونكون على الجواب بالواو لكان صوابا ؛ قال : والعرب تجيب بالواو ، وثم ، كما تجيب بالفاء ، يقولون : ليت لي مالا فأعطيتك ، وليت لي مالا فأعطيتك وثم أعطيتك . قال : وقد تكون نصبا على الصّرف<sup>(١)</sup> ، كقولك : لا يسعني شيء ويعجز عنك .

وقال آخر منهم : لا أحبّ النصب في هذا ، لأنه ليس بتمنّ منهم ، إنما هو خبر أخبروا به عن أنفسهم ، ألا ترى أن الله تعالى قد كذبهم فقال : ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه ، وإنما يكون التكذيب للخبر لا للتمنى . وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب بالواو ، وبحرف غير الفاء ، وكان يقول : إنما الواو موضع حال ، لا يسعني شيء ويضيقُ عنك : أي وهو يضيقُ عنك ، قال : وكذلك الصرف في جميع العربية قال : وأما الفاء فجواب جزاء ، ما قمت فأتيك : أي لو قمت لأتيناك ؛ قال : فهذا حكم الصرف والفاء ؛

(١) الصرف : اصطلاح وضعه الفراء من أئمة نحاة الكوفة لعل نصب الفعل المضارع بعد واو المعية ونصب المفعول معه بعد الواو ، والظرف إذا وقع خبرا عن المبتدأ ، مخالفة كل منها ما قبله في المعنى ، فجعل النصب علامة لتلك المخالفة .

قال : وأما قوله ( وَلَا نُكْذِبُ ، وَنَكُونُ ) فإنما جاز ، لأنهم قالوا : يا ليتنا نردّ في غير الحال التي وقفنا فيها على النار ، فكان وقفهم في تلك ، فتمنوا أن لا يكونوا وقفوا في تلك الحال ، وكأن معنى صاحب هذه المقالة في قوله هذا : ولو ترى إذ وقفوا على النار ، فقالوا : قد وقفنا عليها مكذّبين بآيات ربنا كفارا ، فيا ليتنا نردّ إليها ، فنوقف عليها غير مكذّبين بآيات ربنا ، ولا كفارا . وهذا تأويل يدفعه ظاهر التنزيل ، وذلك قول الله تعالى ( وَكَوَرُدُّوا لِعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) فأخبر الله تعالى أنهم في قبيلهم ذلك كذّبة ، والتكذيب لا يقع في التقي ، ولكن صاحب هذه المقالة أظنّ به أنه لم يتدبر التأويل ، ولزم ستن العربية . والقراءة التي لأختار غيرها في ذلك ( يا ليتنا نردّ ) ولا نُكْذِبُ بآيات ربنا ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) بالرفع في كليهما ، بمعنى : يا ليتنا نردّ ، ولسنا نكذب بآيات ربنا إن رددنا ، ولكننا نكون من المؤمنين على وجه الخبر منهم عما يفعلون ، إن هم رُدّوا إلى الدنيا ، لاعلى التمني منهم ألا يكذبوا بآيات ربهم ، ويكونوا من المؤمنين ، لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه ، وأنهم كذّبة في قبيلهم ذلك ، ولو كان قبيلهم ذلك على وجه التقي لاستحال تكذيبهم فيه ، لأن التقي لا يكذب ، وإنما يكون التصديق والتكذيب في الأخبار . وأما النصب في ذلك ، فإني أظنّ بقارئه أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله التي ذكرناها عنه ، وذلك قراءة ذلك ( يا ليتنا نردّ ) فلا نُكْذِبُ بآيات ربنا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) على وجه جواب التقي بالفاء ، وهو إذا قرئ بالفاء كذلك لاشكّ في صحة إعرابه ، ومعناه في ذلك ، أن تأويله : إذا قرئ كذلك : لو أنا رددنا إلى الدنيا ما كذبنا بآيات ربنا ، ولكننا من المؤمنين ، فإن يكن الذي حكى من حكي عن العرب من السماع منهم الجواب بالواو ، وثم ، كهيئة الجواب بالفاء صحيفا ، فلا شكّ في صحة قراءة من قرأ ذلك ( يا ليتنا نردّ ) ولا نُكْذِبُ بآيات ربنا وَنَكُونُ ) نصبا ، على جواب التقي بالواو ، على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء ، وإلا فإن القراءة بذلك بعيدة المعنى من تأويل التنزيل ، ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيفا ، بل المعروف من كلامها الجواب بالفاء ، والصرف بالواو .

#### القول في تأويل قوله

بَلْ بَدَأَهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ، وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : ما قصد هؤلاء العادلين بربهم ، الجاحدين نبوتك يا محمد في قبيلهم إذا وقفوا على النار : يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، الأسى والندم على ترك الإيمان بالله ، والتصديق بك ، لكن بهم الإشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله ، وأليم عذابه على معاصيهم التي كانوا يخفونها عن أعين الناس ، ويسترونها منهم ، فأبداها الله منهم يوم القيامة ، وأظهرها على رؤوس الأشهاد ، ففضحهم بها ، ثم جازاهم بها جزاءهم ، يقول ( بَلْ بَدَأَهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ ) من أعالمهم السيئة التي كانوا يخفونها ( مِنْ قَبْلُ ) ذلك في الدنيا ، فظهرت ( وَكَوَرُدُّوا ) يقول : ولو رُدّوا إلى الدنيا فأمهّلوا

(لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) يقول : لرجعوا إلى مثل العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قبل ذلك من جحود آيات الله ، والكفر به ، والعمل بما يسخط عليهم ربهم (وَلَا أَنَّهُمْ لِنَكَازِيْبُونَ) في قيلهم : لو رددنا لم نكذب بآيات ربنا ، وكنا من المؤمنين ، لأنهم قالوه حين قالوه خشية العذاب ، لا إيماناً بالله وبالذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (بَلَّ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) يقول : بدت لهم أعمالهم في الآخرة التي أخفوها في الدنيا . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (بَلَّ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) قال : من أعمالهم . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) يقول : ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم ، لعادوا إلى أعمالهم أعمال السوء .

القول في تأويل قوله

وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين العادلين به الأوثان والأصنام ، الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم . يقول تعالى ذكره (وَقَالُوا: إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحيي خلقه بعد أن يميتهم ، ويقولون : لآحياة بعد الممات ، ولا بعث ، ولا نشور بعد الفناء ، فهم يجحدون ذلك ، وإنكارهم ثواب الله وعقابه في الدار الآخرة ، لا يبالون ما أتوا ، وما ركبوا من إثم ومعصية ، لأنهم لا يرجون ثواباً على إيمان بالله ، وتصديق برسوله ، وعمل صالح بعد موت ، ولا يخافون عقاباً على كفرهم بالله ورسوله ، وشيء من عمل يعملونه . وكان ابن زيد يقول : هذا خبر من الله تعالى عن هؤلاء الكفرة الذين وقفوا على النار ، أنهم لو رددوا إلى الدنيا لقالوا : (ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) وقالوا حين يردون : (إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) .

القول في تأويل قوله

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ: أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ، قَالُوا: بَلَىٰ وَرَبَّنَا ، قَالَ: فَذُقُوا

الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : (لَوْ تَرَى) يا محمد هؤلاء الفائلين : ما هي إلا حياتنا الدنيا ، وما نحن بمبعوثين

(إِذْ وَقِفُوا) يوم القيامة : أى حبسوا (على رَبِّهِمْ) : على حكم الله وقضائه فيهم (قالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؟) يقول : فقيل لهم : أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا حقا ؟ فأجابوا (قَالُوا بَلَى) والله إنه لحق . (قالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ) يقول : فقال الله تعالى ذكره لهم : فذوقوا العذاب الذى كنتم به فى الدنيا تكذبون (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) يقول : بتكذيبكم به وجحودكموه الذى كان منكم فى الدنيا .

## القول فى تأويل فرد

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ، قَالُوا : يَحْسُرْتَنَا عَلَى مَا قَرَّطْنَا فِيهَا ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١)

يعنى تعالى ذكره بقوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) : قد هلك ووكد فى بيعهم الإيمان بالكفر . الذين كذبوا بقاء الله ، يعنى : الذين أنكروا البعث بعد الممات ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، من مشركى قريش ، ومن سلك سبيلهم فى ذلك . (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة) يقول : حتى إذا جاءتهم الساعة التى يبعث الله فيها الموتى من قبورهم ، وإنما أدخلت الألف واللام فى الساعة ، لأنها معروفة المعنى عند المخاطبين بها ، وأنها مقصود بها قصد الساعة التى وصفت ، ويعنى بقوله (بَغْتَةً) : فجأة من غير علم من تتفجؤه بوقت مفاجئها إياه ، يقال منه : بغتته أبغته بغتة : إذا أخذته كذلك (قَالُوا يَحْسُرْتَنَا عَلَى مَا قَرَّطْنَا فِيهَا) يقول تعالى ذكره : وكس الذين كذبوا بقاء الله ، ببيعهم منازلهم من الجنة ، بمنازل من اشتروا منازلهم من أهل الجنة من النار ، فإذا جاءتهم الساعة بغتة ، قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا ، وتبينوا خسارة صفقة بيعهم التى سلفت منهم فى الدنيا تندما وتلهفا على عظيم العيب الذى غبته عنهم أنفسهم ، وجيليل الخسران الذى لا خسران أجل منه (يا حَسْرَتْنَا عَلَى مَا قَرَّطْنَا فِيهَا) يقول : يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها ، يعنى فى صفقتهم تلك ، والهاء والألف فى قوله (فِيهَا) من ذكر الصفقة ، ولكن اكتفى بدلالة قوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) عليها من ذكرها ، إذ كان معلوما أن الخسران لا يكون إلا فى صفقة بيع قد خسرت .

وإنما معنى الكلام : قد وكس الذين كذبوا بقاء الله ، ببيعهم الإيمان الذى يستوجبون به من الله رضوانه وجنته ، بالكفر الذى يستوجبون به منه سخطه وعقوبته ، ولا يشعرون ما عليهم من الخسران فى ذلك حتى تقوم الساعة ، فإذا جاءتهم الساعة بغتة ، فرأوا ما لحقهم من الخسران فى بيعهم ، قالوا حينئذ تندما (يا حَسْرَتْنَا عَلَى مَا قَرَّطْنَا فِيهَا) !

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله :



( يا حَسْرَتْنَا على ما فَرَطْنَا فِيهَا ) أما يا حَسْرَتْنَا : فندامتنا على ما فَرَطْنَا فِيهَا ، فضيعنا من عمل الجنة .  
حدثنا محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا يزيد بن مهرا ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن  
الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله ( يا حَسْرَتْنَا ) قال :  
« يَرَى أَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ يَا حَسْرَتْنَا » .

القول في تأويل قوله ( وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ) :  
يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين كذبوا بقاء الله ( يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ) ،  
وقوله ( وَهُمْ ) من ذكرهم يحملون أوزارهم ، يقول : آثامهم وذنوبهم ، واحداها وزر ، يقال منه :  
وَزَرَ الرَّجُلُ يَزِرُ : إذا أَمَّ ، فإن أريد أنهم أتموا ، قيل : قد وزر القوم فهم يوزرون ، وهم موزورون .  
وقد زعم بعضهم : أن الوزر : الثقل والحمل ، ولست أعرف ذلك كذلك في شاهد ، ولا من رواية ثقة  
عن العرب ، وقال تعالى ذكره ( على ظُهُورِهِمْ ) لأن الحمل قد يكون على الرأس والمنكب وغير ذلك ،  
فبَيِّنَ موضع حملهم ما يحملون من ذلك ، وذكر أن حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم .

نحو الذي حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي ،  
قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة ، وأطيبه ريحا ، فيقول له : هل تعرفني ؟  
فيقول : لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك ، وحسن صورتك ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عملك  
الصالح ، طالما ركبتك في الدنيا ، فاركبني أنت اليوم . وتلا ( يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ  
وَقَدًّا ) . وإن الكافر يستقبله أقبح شيء صورة ، وأنته ريحا ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا إلا أن  
الله قد قَبَّحَ صورتك ، وأنتن ريحك ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عملك السيئ طالما ركبتني  
في الدنيا ، فأنا اليوم أركبك ، وتلا ( وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ )  
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَهُمْ  
يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ) قال : ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره ، إلا جاء رجل  
قبيح الوجه ، أسود اللون ، منتن الريح ، عليه ثياب دنسة ، حتى يدخل معه قبره ، فإذا رآه قال له :  
ما أقبح وجهك ! قال : كذلك كان عملك قبيحا ، قال : ما أنتن ريحك ! قال : كذلك كان عملك مبتئا ،  
قال : ما أدنس ثيابك ! قال : فيقول : إن عملك كان دنسا ، قال : من أنت ؟ قال : أنا عملك ، قال :  
فيكون معه في قبره ، فإذا بعث يوم القيامة قال له : إني كنت أحملك ، في الدنيا باللذات والشهوات ، فأنت  
اليوم تحملي ، قال : فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله ( يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ  
عَلَى ظُهُورِهِمْ ) .

وأما قوله تعالى ( أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ) فإنه يعني : أَلَا سَاءَ الوزر الذي يزررون : أي الإثم الذي يأثمونه

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَلَا سَاءَ مَا يَزْرُونَ ) قال : ساء ما يعملون .

القول في تأويل قول

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ ، وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)

وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفار المنكرين البعث بعد الممات في قولهم ( إن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ) يقول تعالى ذكره مكذبا لهم في قلوبهم ذلك ( مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ) أيها الناس ( إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ ) يقول : ما باغى لذات الحياة التي أدنيت لكم ، وقربت منكم في داركم هذه ، ونعيمها وسرورها فيها ، والمتلذذ بها ، والمنافس عليها ، إلا في لعب وهو ، لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها ، والمتلذذ فيها بملاذها ، وأوتائه الأيام بفجائعها وصروفها ، فتمر عليه ، وتكر كاللاعب اللاهي الذي يسرع اضمحلال هوه ولعبه عنه ، ثم يعقبه منه ندما ، ويورثه منه ترحا ؛ يقول : لا تغتروا أيها الناس بها ، فإن المغتر بها عما قليل يندم ( وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ) يقول : وللعمل بطاعته ، والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التي تبي منافعها لأهلها ، ويدوم سرور أهلها ، فيها خير من الدار التي تفتى ، فلا يبقى لعمالها فيها سرور ، ولا يدوم لهم فيها نعيم ( لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ) يقول : للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته ، واجتناب معاصيه ، والمسارعة إلى رضاه ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) يقول : أفلا يعقل هؤلاء المكذبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به من أن الحياة الدنيا لعب وهو ، وهم يرون من يخترم منهم ، ومن يهلك فيموت ، ومن تنوبه فيها النوائب ، وتصيبه المصائب ، وتفجعه الفجائع ، ففي ذلك لمن عقل مدكر ومزدجر عن الركون إليها ، واستعباد النفس لها ، ودليل واضح على أن لها مدبرا ومصرفا يلزم الخلق لإخلاص العبادة له بغير إشراك شيء سواه معه .

القول في تأويل قول

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِثَأْتِ

اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ؛ صلى الله عليه وسلم : قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذي يقول المشركون ، وذلك قولهم له : إنه كذاب ، فإنهم لا يكذبونك .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ؛ بمعنى : أنهم لا يكذبونك فيما أتيتهم به من وحى الله ، ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحا ، بل يعلمون صحته ، ولكنهم يجحدون حقيقته قولا فلا يؤمنون به . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكى عن العرب أنهم يقولون : أكذبت الرجل : إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه .

(١) فيه سقط من النسخ ، ولعل أصله فقراته جماعة « لا يكذبونك » بالتخفيف بمعنى الخ تأمل .

قال : ويقولون : كذبت : إذا أخبرت أنه كاذب . وقرأته جماعة من قرآء المدينة والعراقيين والكوفة والبصرة ( فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ) بمعنى : أنهم لا يكذبونك علما ، بل يعلمون أنك صادق ، ولكنهم يكذبونك قولا ، عنادا وحسدا .

والصواب من القول في ذلك عندي ، أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرآء ، ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم ، وذلك أن المشركين لاشك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدفعونه عما كان الله تعالى خصه به من النبوة ، فكان بعضهم يقول : هو شاعر ، وبعضهم يقول : هو كاهن ، وبعضهم يقول : هو مجنون ، وبنى جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحى السماء ، ومن تنزيل رب العالمين قولا . وكان بعضهم قد تبين أمره ، وعلم صحة نبوته ، وهو في ذلك يعاند ويحسد نبوته حسدا له وبغيا ، فالقارئ « فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ » يعني به : أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوتك ، وصدق قولك فيما تقول ، يتحدثون أن يكون ما تلاوه عليهم من تنزيل الله ، ومن عند الله قولا ، وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علما صحيحا ، مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته . وفي قول الله تعالى في هذه السورة ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ ) أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم العناد في جحود نبوته صلى الله عليه وسلم ، مع علم منهم به وصحة نبوته ، وكذلك القارئ فإنهم « لَا يُكَذِّبُونَكَ » يعني : أنهم لا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عنادا لاجهلا بنبوته ، وصدق لهجته ، مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته ، وقد ذهب إلى كل واحد من هذين التأويلين ، جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال : معنى ذلك : فإنهم لا يكذبونك ، ولكنهم يتحدثون الحق على علم منهم بأنك نبي الله صادق :

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله ( قَدْ تَعَلَّمْ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ) قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين ، فقال له : ما يحزنك ؟ فقال : كذبتني هؤلاء ، قال : فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك ، هم يعلمون أنك صادق ( وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَحْسَدُونَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين ، فقال له : ما يحزنك ؟ فقال : كذبتني هؤلاء ، فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك ، إنهم يعلمون أنك صادق ( وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَحْسَدُونَ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَحْسَدُونَ ) قال : يعلمون أنك رسول الله ويحسدون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله ( قَدْ تَعَلَّمْ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ

يَجْحَدُونَ) لما كان يوم بدر ، قال الأحنس بن شريق لبني زهرة : يا بني زهرة ، إن محمدا ابن أختكم ، فأنتم أحق من كَفَّ عنه ، فإنه إن كان نبيا لم تقاقلوه اليوم ؟ وإن كان كاذبا كنتم أحق من كَفَّ عن ابن أخته ، قفوا ههنا ، حتى ألقى أبا الحكم ، فإن غلب محمد صلى الله عليه وسلم رجعت سالمين ، وإن غلب محمد فإن قومكم لا يصنعون بكم شيئا ، فيومئذ سمي الأحنس ، وكان اسمه أبي ، فالتقى الأحنس وأبو جهل ، فخلا الأحنس بأبي جهل ، فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك بسمع كلامنا ، فقال أبو جهل : ويحك ، والله إن محمدا لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنوقصي باللواء والحجابه والسقاية والنبوة ، فإذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله ( فَلْيَنْهَمُوا لَيْكِدَّ بُؤْنُكَ ) ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ) فآيات الله محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن سالم الأفتوس ، عن سعيد بن جبير ( فَلْيَنْهَمُوا لَيْكِدَّ بُؤْنُكَ ) قال : ليس يكذبون محمدا ، وَلَكِنَّهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ . ذكر من قال ذلك بمعنى : فإنهم لا يكذبونك ، ولكنهم يكذبون ما جئت به .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية قال : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما تهكم ، ولكن نهم الذي جئت به ، فأنزل الله تعالى ( فَلْيَنْهَمُوا لَيْكِدَّ بُؤْنُكَ ) وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب الذي جئت به ، فأنزل الله تعالى ( فَلْيَنْهَمُوا لَيْكِدَّ بُؤْنُكَ ) وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ . وقال آخرون : معنى ذلك : فإنهم لا يبطلون ما جئتم به . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ( فَلْيَنْهَمُوا لَيْكِدَّ بُؤْنُكَ ) قال : لا يبطلون ما في يديك . وأما قوله ( وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ) فإنه يقول : ولكن المشركين بالله بحجج الله وآي كتابه ورسوله يجحدون ، فينكرون صحة ذلك كله . وكان السدي يقول : الآيات في هذا الموضع معنى بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل .

القول في تأويل قوله

وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ، وَلَا

مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)

﴿ وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَعْزِيَةٌ لَهُ عَمَّا نَالَهُ مِنَ الْمَسَاءَةِ بِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ عَلَى مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : إِنْ يَكْذِبْكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ ، فَيَجْحَدُوا نَبُوَّتَكَ ، وَيَنْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَا يَحْزَنُكَ ذَلِكَ ، وَاصْبِرْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ ، وَمَا تَلَقَى مِنْهُمْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، حَتَّى يَأْتِيَ نَصْرُ اللَّهِ ، فَقَدْ كَذَّبْتَ رِسْلَ مَنْ قَبْلِكَ ، أَرْسَلْتَهُمْ إِلَى أُمَّهَاتِهِمْ ، فَتَالُوهُمْ بِمَكْرُوهِهِمْ ، فَصَبِرُوا عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِهِمْ إِيَّاهُمْ ، وَلَمْ يَنْهَمِ ذَلِكَ مِنَ الْمَضِيِّ لِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ دَعْوَى قَوْمِهِمْ إِلَيْهِ ، حَتَّى حَكَمَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَلَا مَغْيِرَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَكَلِمَاتِهِ تَعَالَى : مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَضَادَّهُ ، وَالظَّفَرَ عَلَى مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ وَأَدْبَرَ ( وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ ) يَقُولُ : وَلَقَدْ جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ خَيْرٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الرِّسْلِ ، وَخَيْرِ أُمَّهَاتِهِمْ ، وَمَا صَنَعْتَ بِهِمْ حِينَ جَحَدُوا آيَاتِي - وَتَمَادَوْا فِي غَيْبِهِمْ وَضَلَّاهُمْ أَنْبَاءٌ ، وَتَرَكْتَ ذِكْرَ أَنْبَاءٍ ، لِدَلَالَةٍ مِنْ عَلَيَّاهُ . يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : فَانْتَظِرْ أَنْتِ أَيْضًا مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفْرِ ، مِثْلَ الَّذِي كَانَ مِنْهُ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الرِّسْلِ ، إِذْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُكَ ، وَاقْتَدَ بِهِمْ فِي صَبْرِهِمْ عَلَى مَا لَقُوا مِنْ قَوْمِهِمْ .

وَبِنَحْوِ ذَلِكَ ، تَأَوَّلَ مِنْ تَأَوَّلِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ ( وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا ) يَعِزِّي نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا تَسْمَعُونَ ، وَيُخْبِرُهُ أَنْ الرِّسْلَ قَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُ ، فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا حَتَّى حَكَمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو زَهْرَةَ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ( وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ) قَالَ : يَعِزِّي نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حِجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ( وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ) . . . الْآيَةِ ، قَالَ : يَعِزِّي نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

القول في تأويل قوله

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِثَاقٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُ مِنَ الْآخِلِينَ (٣٥)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : إِنْ كَانَ عَظِيمٌ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ إِعْرَاضُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَنْكَ ، وَانْصَرَفَهُمْ عَنْ تَصْدِيقِكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثْتَهُ بِهِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ ، وَلَمْ تَصْبِرْ لِمَكْرُوهِ مَا يَنَالُكَ مِنْهُمْ ( فَلِإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ) يَقُولُ : فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَتَّخِذَ سَرَبًا فِي الْأَرْضِ ، مِثْلَ

نافقاء اليربوع ، وهى أحد جحرتها ، فتذهب فيه ( أو سُلِّمًا فِي السَّمَاءِ ) يقول : أو مصعدا تصعد فيه كالدرج وما أشبهها ، كما قال الشاعر :

لَا يُحْرِزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءَ الْبِلَادِ وَلَا يُبْسِي لَهٗ فِي السَّمَوَاتِ السَّلَالِمِ  
( فَتَأْتِيهِمْ بَأْيَةٌ مِنْهَا ) يعنى بعلامة وبرهان على صحة قولك ، غير الذى أتيتك فافعل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنْ كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ\* ) فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلِّمًا فِي السَّمَاءِ ) والنفق : السرب ، فتذهب فيه فتأتيهم بآية ، أو تجعل لك سلما فى السماء . فتصعد عليه ، فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناكم به فافعل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله ( فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ) قال : سربا ( أو سُلِّمًا فِي السَّمَاءِ ) قال : يعنى الدرج .  
حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَإِنْ كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ\* ) ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلِّمًا فِي السَّمَاءِ ) أما النفق : فالسرب ، وأما السلم : فالمصعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله ( نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ) قال : سربا ، وترك جواب الجزاء ، فلم يذكر لدلالة الكلام عليه . ومعرفة السامعين بمعناه ، وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به ، فيقول الرجل منهم للرجل : إن استطعت أن تنهض معنا فى حاجتنا إن قدرت على معونتنا ، ويحذف الجواب ، وهو يريد : إن قدرت على معونتنا فافعل . فأما إذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام إلا بإظهار الجواب لم يحذفوه ، لا يقال : إن تقم فتسكت وتحذف الجواب ، لأن المقول ذلك له لا يعرف جوابه إلا بإظهاره ، حتى يقال : إن تقم تصب خيرا ، أو إن تقم فحسن . وما أشبه ذلك ، ونظير ما فى الآية مما حذف جوابه ، وهو مراد لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر :

فَبِحِظِّ مِمَّا نَعِيشُ وَلَا تَدُّ هَبِّ بَكِ الشَّرَّهَاتِ فِي الْأَهْوَالِ ٢

القول فى تأويل قوله ( وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ) :

يقول تعالى ذكره : إن الذين يكذبونك من هؤلاء الكفار يا محمد ، فيحزنك تكذيبهم إياك ، لو أشاء

(١) البيت لتميم بن أبي بن مقبل ، استشهد به صاحب اللسان فى حجا ، على أن الحجا : الناحية ، وأحجاء البلاد : نواحيها .  
والسلالم : جمع سلم . قال : ويروى : أعناه : وهى النواحي . واحدها عنا ، وذكر البيت أيضا فى ( عنا ) وفى ( سلم ) ، وقال :  
السلم : الدرجة والمرقاة ، يذكر ويؤنث . والياء فى السلالم زائدة للوزن .

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص . وقد سبق استشهاد المؤلف به ، وشرحناه فى الجزء الثانى ص ٦٨ ، فراجعه ثمة .

أن أجمعهم على استقامة من الدين ، وصواب من حجة الإسلام ، حتى تكون كلمة جميعكم واحدة ، وملتكم وملتهم واحدة ، لجمعهم على ذلك ، ولم يكن بعيدا على ، لأنى القادر على ذلك بلطى ، ولكنى لم أفعل ذلك لسابق علمى فى خلقى ، ونافذ قضائى فيهم . من قبل أن أخلقهم ، وأصور أجسامهم ( فلا تكونن ) يا محمد ( من الجاهلين ) : يقول : فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه باطفه ، وأن من يكفر به من خلقه ، إنما يكفر به لسابق علم الله فيه ، ونافذ قضائه ، بأنه كائن من الكافرين به اختيارا لا اضطرارا ، فإنك إذا علمت صحة ذلك ، لم يكبر عليك إعراض من أعرض من المشركين عما تدعوه إليه من الحق ، وتكذيب من كذبك منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، يقول الله سبحانه : لو شئت لجمعهم على الهدى أجمعين .

وفى هذا الخبر من الله تعالى ، الدلالة الواضحة على خطأ ما قال أهل التفويض من القدرية ، المنكرون أن يكون عند الله لطائف ، لمن شاء توفيقه من خلقه ، بلطيف بها له ، حتى يهتدى للحق ، فينقاد له ، وينيب إلى الرشاد ، فيدعن به ، ويؤثره على الضلال والكفر بالله . وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاء الهداية لجميع من كفر به ، حتى يجتمعوا على الهدى فعل ، ولاشك أنه لو فعل ذلك بهم كانوا مهتدين لأضلالا ، وهم لو كانوا مهتدين ، كان لا شك أن كونهم مهتدين كان خيرا لهم . وفى تركه تعالى ذكره أن يجمعهم على الهدى ، ترك منه أن يفعل بهم فى دينهم بعض ما هو خير لهم فيه ، مما هو قادر على فعله بهم ، وقد ترك فعله بهم ، وفى تركه فعل ذلك بهم ، أوضح الدليل أنه لم يعطهم كل الأسباب التى بها يصلون إلى الهداية ، ويتسببون بها إلى الإيمان .

القول فى تأويل قول

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ، وَالْمَوْتَى يَبْعَهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : لا يكبرن عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك ، وعن الاستجابة لدعائك ، إذا دعوتهم إلى توحيد ربهم ، والإقرار بنبوتك ، فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك ، إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق ، وسهل لهم اتباع الرشاد ، دون من ختم الله على سمعه ، فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله ، وإلى اتباع الحق ، إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رعاتها ، فهم كما وصفهم به الله تعالى ( صم بكم عمى فهم لا يعقلون ) . ( والموتى يبعثهم الله ) يقول : والكفار يبعثهم الله مع الموتى ، فجعلهم تعالى ذكره فى عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتا ، ولا يعقلون دعاء ، ولا يفقهون قولا ، إذ كانوا لا يتدبرون حجاج الله ، ولا يعتبرون آياته ، ولا يتذكرون فينجزوا عما هم عليه ، من تكذيب رسل الله وخلافهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ) المؤمنون للذكر ( وَالْمَوْتَى ) الكفار حين ( يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ) مع الموتى .  
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ) قال : هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله ، فانتفع به ، وأخذ به وعقله ، والذين كذبوا بآياتنا صمّ وبكم ، وهذا مثل الكافر أصمّ أبكم ، لا يبصر هدى ، ولا ينتفع به .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان الثوري ، عن محمد بن جحادة ، عن الحسن ( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ) المؤمنون ( وَالْمَوْتَى ) قال : الكفار .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن جحادة ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله ( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ) وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ) قال : الكفار .  
وأما قوله ( ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجَعُونَ ) فإنه يقول تعالى : ثم إلى الله يرجعون المؤمنون ، الذين استجابوا لله والرسول ، والكفار الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيئا ، فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله في الدنيا ، بما وعد أهل الإيمان به من الثواب ، ويعاقب هذا الكافر بما أوعده أهل الكفر به من العقاب ، لا يظلم أحدا منهم مثقال ذرة .

القول في تأويل قوله

وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً ، وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء العادلون برهيم ، المعرضون عن آياته ( لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ) يقول : قالوا : هلا نزل على محمد آية من ربه . كما قال الشاعر :

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بِنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيَّ الْمُقْسِنَا

بمعنى هلا الكمي . والآية العلامة ، وذلك أنهم ( قَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَا كَلُّ الطَّعَامِ ، وَيَمِشِي فِي الْأَسْوَاقِ ، لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُنْفِثَ إِلَيْهِ كَسْبَرٌ ، أَوْ تَكُونُ

(١) البيت لجرير بن الحظي (ديوانه بشرح الصاوي ص ٣٣٨) وفيه : (سعيك) في مكان (مجدكم) و (هلا) في مكان (لولا) وأورده صاحب اللسان في (نظر) ، وصاحب الخزانة (١ : ٤٦١ - ٤٦٢) كما رواه المؤلف . والعقر : ضرب قوائم الناقة بالسيف . والنيب : جمع ناب : الناقة المسنة . والمجد : الشرف والعز . والضوطني من الرجال : الضخم الثميم الذي لا غناء عنده . ولولا : بمعنى هلا . والكمي : الشجاع المتكى في سلاحه (المتستر) . والمقنع : الذي على رأسه البيضة والمففر . والبيت شاهد عند النعامة على شيئين : الأول : أن تعدون بمعنى : تتعدون ، تعد لفعلولين . والثاني : أن لولا التحفيزية داخلة على فعل محذوف ، أي هلا تعدون الكمي أفضل مجدكم .



لَهُ جِنَّةٌ يَا كُلُّ مِثْنَهَا ) قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقائل هذه المقالة لك : إن الله قادر على أن ينزل آية ، يعنى : حجة على ما يريدون ويسألون ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول : ولكن أكثر الذين يقولون ذلك ، فيسألونك آية ، لا يعلمون ما عليهم في الآية إن نزلها من البلاء ، ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك ، ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزلها عليك ، لم يقولوا ذلك ولم يسألوكه ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك .

القول في تأويل قوله

وَمَا مِنْ ذَّابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَا فَرَّ طَائِرًا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل هؤلاء المعرضين عنك ، المكذبين بآيات الله : أيها القوم ، لا تحسبن الله غافلا عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ، وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها ، وهو غير غافل عن عمل شيء دب على الأرض صغير أو كبير ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء ، بل جعل ذلك كله أجناسا مجتمعة ، وأصنافا مصنفة ، تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيها تحشرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ، ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب ، ثم إنه تعالى ذكره مبيها ، ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها . يقول : فالرب الذي لم يضع حفظ أعمال البهائم والدواب في الأرض والطير في الهواء حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها ، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب ، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء ، أخرى ألا يضع أعمالكم ، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجر حونها أيها الناس ، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها : إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشرًا ، إذ كان قد خصكم من نعمه ، وبسط عليكم من فضله ، ما لم يعم به غيركم في الدنيا ، وكنتم بشكره أحق ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى ، لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميزون ، والفهم الذي لم يعطه البهائم ، والطير الذي به بين مصالحكم ومضاركم تفرقون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ ) أصناف مصنفة تعرف بأسمائها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ) يقول : الطير أمة ، والإنس أمة ، والجن أمة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) يقول : إِلا خَلَقْتُ أَمْثَالَكُمْ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) قال : الذرة فما فوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب .

وأما قوله ( مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) فإن معناه : ما ضيعنا إثبات شيء منه .

كالذي حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) : ما تركنا شيئاً إلا قد كتبناه في أم الكتاب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) قال : لم نُغْفِل ، ما من شيء إلا وهو في الكتاب .

وحدثني به يونس مرة أخرى ، قال في قوله ( مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) قال : كلهم مكتوب في أم الكتاب .

وأما قوله ( ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في معنى حشرهم ، الذي عناه الله تعالى في هذا الموضع . فقال بعضهم : حشرها : موتها .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن سعيد ، عن مسروق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) قال ابن عباس : موت البهائم : حشرها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي . قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ) قال : يعني بالحشر : الموت .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليم . قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ) : يعني بالحشر : الموت .

وقال آخرون : الحشر في هذا الموضع يعني به : الجمع لبعث الساعة ، وقيام القيامة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة ، في قوله (إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ) قال :

(١) جعفر بن برقان (بضم الباء وكسر ها) الكلابي مولاها : ثقة .

يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائم ، والدواب ، والطير ، وكل شيء ، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجَمَاء من القَرَنَاء ، ثم يقول : كوني ترابا ، فلذلك يقول الكافر : يا ليتني كنت ترابا .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الأعمش ، ذكره عن أبي ذر ، قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ انتطحت عنزان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون فيما انتطحتنا ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : لكن الله يدري ، وسيقضي بيننهما .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق بن سليم ، قال : ثنا مطر بن خليفة ، عن منذر الثوري ، عن أبي ذر قال : « انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : يا أبا ذر ، أتدري فيم انتطحتنا ؟ قلت : لا ، قال : لكن الله يدري ، وسيقضي بيننهما . قال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما . »

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائر محشور إليه ، وجائر أن يكون معنيا بذلك حشر القيامة ، وجائر أن يكون معنيا به حشر الموت ، وجائر أن يكون معنيا به الحشران جميعا ، ولا دلالة في ظاهر التنزيل ، ولا في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : أي ذلك المراد بقوله ( ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ) إذ كان الحشر في كلام العرب : الجمع ، من ذلك قول الله تعالى ( وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ) يعني مجموعة ، فإذا كان الجمع هو الحشر ، وكان الله تعالى جامعا خلقه إليه يوم القيامة ، وجامعهم بالموت ، كان أصوب القول في ذلك أن يُعمَّم بمعنى الآية ما عمه الله بظاهاها ، وأن يقال : كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء ، وبعد بعث القيامة ، إذ كان الله تعالى قد عم بقوله ( ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ) ، ولم يخص به حشرا دون حشر .

فإن قال قائل : فما وجه قوله ( وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ) وهل يطير الطائر إلا بجناحيه ؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجنحين من الفائدة ؟ قيل : قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى أنزل هذا الكتاب بلسان قوم وبلغاتهم ، وما يتعارفونه بينهم ، ويستعملونه في منطقتهم خاطبهم ، فإذا كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة في الكلام ، أن يقولوا : كلمت فلانا بقمي ، ومشيت إليه برجلي ، وضربت بيدي ، خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم ، ويستعملونه في خطابهم ، ومن ذلك قوله تعالى ( إِنَّ هَذَا أَنخى لَهُ نِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ، وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ) .

القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ، مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ ، وَمَنْ يَشَأِ يَجْمَعُهُ

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : والذين كذبوا بحديج الله وأعلامه وأدلته ، صمّ عن سماع الحقّ ، بكم عن القيل به ، في الظلمات ، يعنى : في ظلمة الكفر حائر فيها ، يقول : هو مرتطم في ظلمات الكفر ، لا يبصر آيات الله ، فيعتبر بها ، ويعلم أن الذى خلقه وأنشأه ، فدبره وأحكم تدبيره ، وقدره أحسن تقدير ، وأعطاه القوة ، وصحح له آلة جسمه ، لم يخلقه عبثا ، ولم يتركه سدّى ، ولم يعطه ما أعطاه من الآلات ، إلا لاستعمالها في طاعته وما يرضيه ، دون معصيته وما يسخطه ، فهو خيرته في ظلمات الكفر ، وتردّده في عمراتها ، غافل عما الله قد أثبت له في أمّ الكتاب ، وما هو به فاعل يوم يحشر إليه مع سائر الأمم . ثم أخبر تعالى أنه المضلّ من يشاء إضلاله من خلقه عن الإيمان إلى الكفر ، والهادى إلى الصراط المستقيم منهم من أحبّ هدايته ، فوفقه بفضله وطوّله للإيمان به ، وترك الكفر به ، وبرسله ، وما جاءت به أنبيأؤه ، وأنه لا يهتدى من خلقه أحد إلا من سبق له في أمّ الكتاب السعادة ، ولا يضلّ منهم أحد ، إلا من سبق له فيها الشقاء ، وأن بيده الخير كله ، وإليه الفضل كله ، له الخلق والأمر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال قتادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( صمّ وبكم ) : هذا مثل الكافر أصمّ أبكم ، لا يبصر هدى ، ولا ينتفع به ، صمّ عن الحقّ في الظلمات ، لا يستطيع منها خروجا له ، متسكع فيها .

القول فى تأويل قوله

قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ ، أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ (٤٠)

اختلف أهل العربية فى معنى قوله ( أَرَأَيْتَكُمْ ) فقال بعض نحوّي البصرة : الكاف التى بعد التاء من قوله ( أَرَأَيْتَكُمْ ) إنما جاءت للمخاطبة ، وتركت التاء مفتوحة ، كما كانت للواحد ، قال : وهى مثل كاف رُوَيْدَكَ زيدا ، إذا قلت : أروود زيدا ، هذه الكاف ليس لها موضع مسمى بحرف ، لارفع ولا نصب ، وإنما هى فى المخاطبة مثل كاف ذلك ، ومثل ذلك قول العرب : انصرك زيدا ، يدخلون الكاف للمخاطبة . وقال آخرون منهم : معنى ( أَرَأَيْتَكُمْ ) إن أنا كُمْ ) أرايتم ، قال : وهذه الكاف تدخل للمخاطبة مع التوكيد ، والتاء وحدها هى الاسم ، كما أدخلت الكاف التى تفرق بين الواحد والاثنين ، والجميع فى المخاطبة كقولهم : هذا ، وذلك ، وتلك ، وأولئك ، فتدخل الكاف للمخاطبة ، وليست باسم ، والتاء هو الاسم للواحد والجميع ، تُرِكَتْ على حال واحدة ، ومثل ذلك قولهم : ليسك ثم إلا زيد ، يراد : ليس ولا سيّتك زيد ، فيراد : ولا سيّا زيد ، وبلاك ، فيراد : بلى فى معنى : ولبيسك رجلا ، ولنعمك رجلا ، وقالوا : انظرك زيدا ما أصنع به ، وأبصرك ما أصنع به ، بمعنى أبصره . وحكى بعضهم : أبصركم ما أصنع به ، يراد : أبصروا ، وانظركم زيدا : أى انظروا . وحكى عن بعض بنى كلاب : أتعلّمك كان أحد أشعر من ذى الرمة ؟ فأدخل الكاف . وقال بعض نحوّي الكوفة : أرايتك عمرا : أكثر الكلام فيه ترك

الهمز ، قال : والكاف من أرايتك في موضع نصب ، كأن الأصل : أرايت نفسك على غير هذه الحال . قال : فهذا يشي ويجمع ويؤنث ، فيقال : أرايتكما وأرايتموكم وأرايتن كُنْ ، أو وقع فعله على نفسه ، وسأله عنها . ثم كثر به الكلام ، حتى تركوا التاء موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، فقالوا : أرايتكم زيدا ما صنع . وأرايتكن زيدا ما صنع . فوحدوا التاء وثنوا الكاف وجمعوها ، فجعلوها بدلا من التاء ، كما قال : (هاؤمُ اقْرءُوا كِتَابِيَهْ) ، وهاءَ يارجل ، وهاؤما ، ثم قالوا : هاكم اكنى بالكاف والميم مما كان يشي ويجمع ؛ فكان الكاف في موضع رفع ، إذ كانت بدلا من التاء ، وربما وحدت للتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث ، وهي كقول القائل : عليك زيدا ، الكاف في موضع خفض ، والتأويل رفع . فأما ما يجلب فأكثر ما يقع على الأسماء ، ثم تأتي بالاستفهام . فيقال : أرايتك زيدا هل قام ، لأنها صارت بمعنى : أخبرني عن زيد ، ثم بين عما يستخبر ، فهذا أكثر الكلام . ولم يأت الاستفهام ثنيا ، لم يقل : أرايتك هل قمت ، لأنهم أرادوا أن يبينوا عن يسأل ، ثم تبين الحالة التي يسأل عنها ، وربما جاء بالخبر ولم يأت بالاسم ، فقالوا : أرايت زيدا هل يأتينا ، وأرايتك أيضا ، وأرايت زيدا إن أتيته هل يأتينا إذا كانت بمعنى أخبرني ، فيقال باللغات الثلاث .

وتأويل الكلام : قل يا محمد هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام ، أخبروني إن جاءكم أيها القوم عذاب الله ، كالذي جاء من قبلكم من الأمم ، الذين هلك بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالصاعقة ، أو جاءكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم ، وتبعثون لموقف القيامة ، أغير الله هناك تدعون ، لكشف ما نزل بكم من البلاء ، أو إلى غيره من آلهتكم تفرعون ، لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء ؟ ( إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) : يقول : إن كنتم محققين في دعواكم وزعمكم أن آلهتكم التي تدعونها من دون الله ، تنفع أو تضر .

#### القول في تأويل قوله

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ ، وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره ، مكذبا هؤلاء العادلين به الأوثان : ما أنتم أيها المشركون بالله الآلهة والأنداد ، إن أتاكم عذاب الله ، أو أتتكم الساعة ، بمستجيرين بشيء غير الله في حال شدة الهول النازل بكم ، من آلهة ووثن وصنم ، بل تدعون هناك ربكم الذي خلقكم ، وبه تستغيثون ، وإليه تفرعون دون كل شيء غيره . ( فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ) : يقول : فيفرج عنكم عند استغاثتكم به ، وتضرعكم إليه ، عظيم البلاء النازل بكم ، إن شاء أن يفرج ذلك عنكم ، لأنه القادر على كل شيء ، ومالك كل شيء ، دون ما تدعونه إله من الأوثان والأصنام . ( وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ) : يقول : وتنسون حين يأتيكم عذاب الله ، أو تأتيكم الساعة بأهوالها ، ما تشركونه مع الله في عبادتكم إياه ، فتجعلونه له ندا ، من وثن وصنم ، وغير ذلك مما تعبدونه من دونه ، وتدعونه إلهها .

## القول في تأويل قوله

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء العادلين به الأصنام . ومخذّرهم أن يسلك بهم إن هم تمادوا في ضلالهم . سبيل من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم . في تعجيل الله عقوبته لهم في الدنيا ، وعجرا نبيه عن سنته في الذين خلتوا قبلهم من الأمم على مناجهم من تكذيب الرسل . ( لَقَدْ أَرْسَلْنَا ) يا محمد ( إلى أُمَّمٍ ) يعني : إلى جماعات وقرون ( مِّنْ قَبْلِكَ ، فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ ) يقول : فأمرناهم ونهيناهم ، فكذبوا رسلنا ، وخالفوا أمرنا ونهينا ، فامتحناهم بالابتلاء بالباء . وهي شدة الفقر والضيقة في المعيشة . والضراء : وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام . وقد بينا ذلك بشواهد ، ووجوه إعرابه في سورة البقرة ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ) يقول : فعلنا ذلك بهم ليتضرّعوا إلى ، ويخلصوا إلى العباد ، ويفردوا رغبتهم إلى ، دون غيري ، بالتذلل منهم لي بالطاعة ، والاستكانة منهم إلى بالإتابة ، وفي الكلام محذوف قد استغنى بما دل عليه الظاهر عن إظهاره ، من قوله ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ ) ، وإنما كان سبب أخذه إياهم تكذيبهم الرسل ، وخلافهم أمره ، لإرسال الرسل إليهم . وإذ كان ذلك كذلك ، فعلوم أن معنى الكلام : ولقد أرسلنا إلى أم من قبلك رسلا ، فكذبوهم ، فأخذناهم بالباء . والتضرّع : هو التفضل من الضراعة ، وهي الذلة والاستكانة .

## القول في تأويل قوله

فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ، وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ (٤٣)

وهذا أيضا من الكلام الذي فيه متروك ، استغنى بدلالة الظاهر عن ذكر ما ترك ، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر عن الأمم التي كذبت رسلها ، أنه أخذهم بالباء والضراء ليتضرّعوا ، ثم قال ( فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ) ، ولم يخبر عما كان منهم من الفعل ، عند أخذه إياهم بالباء والضراء . ومعنى الكلام : ولقد أرسلنا إلى أم من قبلك ، فأخذناهم بالباء والضراء لعلهم يتضرّعون ، فلم يتضرّعوا ، فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرّعوا ، ومعنى ( فَلَوْلَا ) في هذا الموضع : فهلا ، والعرب إذا أولت لولا اسما مرفوعا ، جعلت ما بعدها خيرا ، وتلتها بالأمر ، فقالت ، فلولا أخوك لزرتك ، ولولا أبوك لضربتك . وإذا أولتها فعلا ، أو لم تولها اسما ، جعلوها استفهاما ، فقالوا : لولا جئتنا فنكرمك ، ولولا زرت أخاك فنزورك ، بمعنى : هلا ، كما قال تعالى ( لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ ) ، وكذلك تفعل بلوما مثل فعلها بلولا .

فتأويل الكلام إذن : فهلا إذا جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها . الذين لم يتضرّعوا عند أخذناهم

بالأساء والضراء ، تضرعوا فاستكانوا لربهم ، وخضعوا لطاعته ، فيصرف ربهم عنهم بأسه ، وهو عذابه ؛ وقد بينا معنى البأس في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . ( وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ) يقول : ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلكم ، وأصروا على ذلك واستكبروا عن أمر ربهم ، استهانة بعقاب الله ، واستخفافا بعذابه ، وقساوة قلب منهم ( وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يقول : وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ، ويسخطها منهم .

## القول في تأويل قوله

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَمَثَلِهِمْ فَبَدَّلْنَاهُمْ مَا ظَلَمُوا فَأُولَٰئِكَ نَبْذُلُهُمْ جَنَّاتٍ أَعْوَجًا مِنْهَا الْجَنَّةُ الْمَعْلُومَاتُ (٤٤)

يعني تعالى ذكره بقوله ( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ) فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على السن رسلنا . كالذي حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ) يعني : تركوا ما ذُكِّرُوا بِهِ . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ) قال : ما دعاهم الله إليه ورسله ، أبوه وردوه عليهم ( فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) يقول : بدلنا مكان البأساء : الرخاء والسعة في العيش ؛ ومكان الضراء : الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام ، استدراجا مناهم .

كالذي حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، في قول الله ( فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) قال : رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) قال : يعني الرخاء ، وسعة الرزق .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) يقول : من الرزق .

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل ( فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم ، وأبوابُ آخر غيره كثيرة ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه ، وإنما معنى ذلك : فتحنا عليهم استدراجا منا لهم أبواب كل ما كنا سدنا عليهم بابه ، عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ، ليتضرعوا ، إذ لم يتضرعوا ، وتركوا أمر الله ، لأن آخر هذا الكلام مردود على أوله ، وذلك كما قال تعالى في موضع آخر من كتابه ( وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ، لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا

قَدْ مَسَّ آبَاءَ نَا الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ ، فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية ذكرهم بقوله ( فَلَمَّا تَسَوَّا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) : هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه إياهم ، من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة ، ومن الضَّرَّاءِ في الأجسام إلى الصحة والعافية ، وهو فتح أبواب كل شيء كان أغلق بابها عليهم ، مما جرى ذكره قبل قوله ( فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) فرد قوله ( فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) عليه . ويعنى تعالى بقوله ( حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ) يقول : حتى إذا فرح هؤلاء المكذَّبون رسالهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة ، والصحة في الأجسام .

كالذي حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( حتى إذا فرحوا بما أوتوا ) من الرزق .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي ، يحدث عن حماد بن زيد ، قال : كان رجل يقول : رحم الله رجلا تلا هذه الآية ، ثم فكر فيها ماذا أريد بها ( حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن أبي رجاء من أهل الثغر ، عن عبد الله بن المبارك ، عن محمد بن النضر الحارثي ، في قوله ( أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ) قال : أمهلوا عشرين سنة ، ويعنى تعالى ذكره بقوله ( أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ) أتيناهم بالعذاب فجأة وهم غارون ، لا يشعرون أن ذلك كائن ، ولا هو بهم حال .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ) قال : أعجب ما كانت إليهم ، وأعزها لهم .  
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ) يقول : أخذهم العذاب بغتة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ) قال : فجأة آمنين .  
وأما قوله ( فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ) فإنه هالكون ، منقطعة حججهم ، نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسالهم .

كالذي حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ) ، قال : فإذا هم مهلكون ، متغير حالهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شيخ ، عن مجاهد ( فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ) قال : فإذا هم مهلكون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ )



قال : المِبْلِسُ : الذي قد نزل به الشر الذي لا يدفعه ، والمبلس أشد من المُسْتَكِينِ ، وقرأ ( قَمًا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ) وكان أول مرة فيه معاتبه وتقيية ، وقرأ قول الله ( أَخَذْنَاَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ، فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا ) حتى بلغ ( وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) ، ثم جاء أمر ليس فيه تقيية ، وقرأ ( حتى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاَهُمْ بَغْتَةً إِذْ آهَمُ مِبْلِسُونَ ) فجاء أمر ليس فيه تقيية ، وكان الأول لو أنهم تضرعوا كُشِفَ عنهم .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقرية بن الوليد ، عن أبي شريح ضبارة بن مالك ، عن أبي الصلت ، عن حرملة <sup>١</sup> أبي عبد الرحمن ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي عَبْدَهُ فِي دُنْيَاهُ ، لِأَنَّمَا هُوَ اسْتَدْرَاجٌ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ آيَةٌ ( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ) إِلَى قَوْلِهِ ( وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) » وحدث بهذا الحديث عن محمد بن حرب ، عن ابن هبيرة ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الْعِبَادَ مَا يَسْأَلُونَ عَلَى مَعَاصِيهِمْ إِيَّاهُ ، فَلِأَنَّمَا ذَلِكَ اسْتَدْرَاجٌ مِنْهُ لَهُمْ » ، ثم تلا ( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) ... الآية . وأصل الإبلاس في كلام العرب عند بعضهم : الحزن على الشيء والندم عليه . وعند بعضهم انقطاع الحجمة ، والسكوت عند انقطاع الحجمة . وعند بعضهم : الخشوع ، وقالوا : هو الخذول المتروك ، ومنه قول العجاج :

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا      قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسًا <sup>٢</sup>

فتأويل قوله : وأبلسا عند الذين زعموا أن الإبلاس : انقطاع الحجمة والسكوت عنده ، بمعنى : أنه لم يجر جوابا ، وتأوله الآخرون بمعنى الخشوع ، وترك أهله إياه مقبلا بمكانه . والآخرون : بمعنى الحزن والندم ، يقال منه : أبلس الرجل إبلاسا ، ومنه قيل لإبليس : إبليس .

القول في تأويل قوله

فَقُطِّعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)

يعني تعالى ذكره بقوله ( فَقُطِّعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) : فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم ، وكذبوا رسله ، وخالفوا أمره عن آخرهم ، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتة ، إذ جاءهم عذاب الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

(١) هو حرملة بن عمران ، وكنيته أبو حفص ، انظر الخلاصة .

(٢) الرجز للعجاج في ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ، وهو مطلع أرجوزة له مطولة من مشطور الرجز ، عدة أبياتها ( ٩٩ بيتا ) وقد أورد البيهقي صاحب اللسان في كرس . قال : ورسم مكرس بتخفيف الراء ( مفتوحة ومكسورة ) وهو الذي بعث فيه الإبل وبوات ، فركب بعضه بعضا . وأوردها أيضا في ( بلس ) شاهدا على الإبل وهو الانكسار والحزن ، يقال : أبلس فلان : إذا سكت عما ، قال العجاج . . . البيهقي . ثم قال : والمكرس الذي صار فيه الكرس ، وهو الأبوال والأبعار .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَنَقُطِعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) يقول : فقطع أصل الذين ظلموا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَنَقُطِعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) . قال : استؤصلوا ، ودابر القوم : الذي يدبرهم ، وهو الذي يكون في أدبارهم وآخرهم ، يقال في الكلام : قد دبر القوم فلان يدبرهم دبرا ودبورا إذا كان آخرهم ، ومنه قول أمية :  
فَأُهْلِكُوا بِعَذَابِ حَصِّ دَابِرِهِمْ<sup>١</sup> فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ صَرْفًا وَلَا انْتَصَرُوا<sup>١</sup>

( وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) يقول : والثناء الكامل ، والشكر التام لله رب العالمين على إنعامه على رسله وأهل طاعته ، باظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر ، وتحقيق عديتهم ما وعدهم على كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسله ، من نعم الله وعاجل عذابه .

القول في تأويل قوله

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ ، وَأَبْصَارَكُمْ ، وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ؟ أُنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَنْ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء العادلين في الأوثان والأصنام ، المكذبين بك أرايتم أيها المشركون بالله غيره : إن أصمكم الله فذهب بأسماعكم ، وأعماكم فذهب بأبصاركم ، ( وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ ) فطبع عليها حتى لا تفقهوا قولنا ، ولا تبصروا حجة ، ولا تفهموا مفهوما ، أي إله غير الله الذي له عبادة كل عابد يأتاكم به ؟ يقول : يردّ عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار والأفهام ، فتعبده أو تشركوه في عبادة ربكم الذي يقدر على ذهابه بذلك منكم ، وعلى رده عليكم إذا شاء . وهذا من الله تعالى تعليم نبيه الحجة على المشركين به ، يقول له : قل لهم : إن الذين تعبدهونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا ، وإنما يستحقّ العبادة عليكم من كان بيده الضر والنفع ، والقبض والبسط ، القادر على كل ما أراد ، لا العاجز الذي لا يقدر على شيء ، ثم قال تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ( انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ) يقول : انظر كيف نتابع عليهم الحجج ، ونضرب لهم الأمثال والعبر ، ليبتروا ويذكروا فينبوا ( ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ) يقول : ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج ، وتنبينا إياهم بالعبر ، عن الأدكار والاعتبار يُعْرِضُونَ ؟ يقال منه : صدف فلان عنى بوجهه ، فهو يصدف صدوفا وصدفا : أي عدل وأعرض ، ومنه قول ابن الرقاع :

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفى ( ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩١١ ) ، وقد نقله جامع الديوان عن تفسير الطبرى . ووضع على الحاء في حصن نقطة ، وهو غلط . والشاهد في دابر ، وهو من يدبر القوم : أي يكون في آخرهم .

إذا ذكركم حديثاً قلن أحسنه<sup>١</sup> وهن عن كل سوء يتقى صدق<sup>٢</sup>  
وقال تبيد :

بُروى قواميح قبل الليل صادقة<sup>٣</sup> أشباه جين عليهما الربط والأزر<sup>٤</sup>

فإن قال قائل: وكيف قيل: (من إله غير الله يأتئكم به) فوجد الهاء، وقد مضى الذكر قبل بالجمع، فقال: (أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم، وختم على قلوبكم)؟ قيل: جازئ أن تكون الهاء عائدة على السمع، فتكون موحدة لتوحيد السمع، وجازئ أن تكون معناها: من إله غير الله يأتئكم بما أخذ منكم، من السمع والأبصار والأفئدة؟ فتكون موحدة لتوحيد ما، والعرب تفعل ذلك، إذا كنت عن الأفعال وحدثت الكناية، وإن كثرت ما يكتنى بها عنه من الأفعال، كقولهم: إقبالك وإدبارك يعجبني؛ وقد قيل: إن الهاء التي في به كناية عن الهدى.

وينحو ما قلنا في تأويل قوله (يصدفون) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (يصدفون) قال: يعرضون.

حدثني المنثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المنثني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله (يصدفون) قال: يعديلون.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (نصرفت الآيات ثم هم يصدفون) قال: يعرضون عنها.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (ثم هم يصدفون) قال: يصدون.

#### القول في تأويل قوله

قل أراءيتكم، إن أتاكم عذاب الله بئنة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون؟ (٤٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قل) يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأوثان، المكذبين

(١) البيت لعدي بن الرقاع العامل يصف نساء بالأدب والتزء عن قول الحنا والفحش. وصدف: جمع صدوف بمعنى صادقة، يستوى فيه الذكر والمؤنث.

(٢) البيت لليد (ولم أجده في ديوانه طبعاً ليدن سنة ١٨٩١) والقواميح: جمع قامح وقامحة. وهو الكاره للماء لأية علة كانت، يرفع رأسه عند الخوض، ويمتنع من الشرب، أو يشرب وهو متكاره. والصادقة: التي صدقت عن الشيء وأعرضت عنه، وهو من صفة القواميح، وهي الإبل الصادقة عن شرب الماء. وقوله عليها الربط والأزر، أي عليها نساء لابسات الربط والأزر. والأزر: جمع إزار، وهو ثوب يلفه الإنسان حول نصفه الأسفل، والربط جمع ربطة، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لفقين. أو هي كل ثوب لين رقيق. قال الأزهري: ولا تكون الربطة إلا بيضاء. وقال ابن قتيبة في كتاب المعاني الكبير ص ٤٧٢ ماته: هذا الزق يروى قواميح. وأصل القواميح: الإبل التي ترفع رموسها. فلا تشرب، صادقة عن الماء، وشبه الرجال هذه الإبل يريد: أنهم لا يريدون شرب الماء، وإنما يريدون الشراب.

بأنك لى رسولى إليهم : أخبرونى ( إن أتاكم عذابُ الله ) وعقابه على ما تشركون به من الأوثان والأنداد، وتكذيبكم إياى، بعد الذى قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولى . ( بَعَثْتَهُ ) يقول : فجأة على غيرة لاتشعرون ( أو جهرة ) يقول : أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعابنونه وتنظرون إليه ( هل يُهلكُ إلا القومُ الظالمون ) يقول : هل يهلك الله منا ومنكم إلا من كان يعبد غير من يستحق علينا العبادة ، وترك عبادة من يستحق علينا العبادة ؟ وقد بينا معنى الجهرة ، فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته، وأنها من الإجهار : وهو إظهار الشيء للعين .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ( جهرة ) قال : وهم ينظرون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ( قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً ) فجأة آمين ، أو جهرة وهم ينظرون .

القول فى تأويل قوله

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : وما نرسل رسلنا إلا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة، والفوز المبين يوم القيامة، جزاء منا لهم على طاعتنا ، وبإنذار من عصانا ، وخالف أمرنا ، عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة ، جزاء منا على معصيتنا ، لتعذر إليه ، فيهلك إن هلك عن بينة ( فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ ) يقول : فمن صدق من أرسلنا إليه من رسلنا ، إنذارهم إياه ، وقيل منهم ما جاءوه به من عند الله ، وعمل صالحا فى الدنيا ( فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ) عند قدومهم على ربهم ، من عقابه وعذابه ، الذى أعدّه الله لأعدائه وأهل معاصيه ، ( وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) عند ذلك ، على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمْشُونَ الْمَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : وأما (الَّذِينَ كَذَّبُوا) بمن أرسلنا إليه من رسلنا ، وخالفوا أمرنا ونهينا ، ودافعوا حجتنا ، فلأنهم يباشرون عذابنا وعقابنا على تكذيبهم ما كذبوا به من حججنا . ( بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ) : يقول : بما كانوا يكذبون . وكان ابن زيد يقول : كل فسق فى القرآن ، فعناه : الكذب .

حدثنى بذلك يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب عنه .

## القول في تأويل قوله

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ. وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ، إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره: (قُلْ) هؤلاء المنكروين نبوتك: لست (أَقُولُ لَكُمْ) إني الرب الذي له خزائن السموات والأرض، وأعلم غير الأشياء الخفية التي لا يعلمها إلا الرب، الذي لا يخفى عليه شيء، فتكذبوني فيما أقول من ذلك، لأنه لا ينبغي أن يكون ربا إلا من له ملك كل شيء، وبيده كل شيء، ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الله الذي لا إله غيره. (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ): لأنه لا ينبغي لملك أن يكرن ظاهرا بصورته لأبصار البشر في الدنيا، فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك. (إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) يقول: قل لهم: ما أتبع فيما أقول لكم، وأدعوكم إليه إلا وحى الله الذي يوحى إليّ، وتنزيله الذي ينزله عليّ، فأمضي لوحيه، وأمر لأمره، وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذرکم، على صحة قولي في ذلك، وليس الذي أقول من ذلك بمنكر في عقولكم، ولا مستحيل كونه، بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته، هو الحكمة البالغة، فما وجه إنكاركم لذلك، وذلك تنبيه من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على موضع حجته على منكري نبوته من مشركي قومه (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: هل يستوي الأعمى عن الحق والبصير به، والأعمى هو الكافر الذي قد عمى عن حجج الله، فلا يتبينها فيتبعها. والبصير: المؤمن الذي قد أبصر آيات الله وحججه، فاقتدى بها، واستضاء بضياؤها. (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) يقول هؤلاء الذين كذبوا بآيات الله: أفلا تفكرون فيما أحتج عليكم به أيها القوم من هذه الحجج، فتعلموا صحة ما أقول، وأدعوكم إليه، من فساد ما أنتم عليه مقيمون، من إشراك الأوثان والأنداد بالله ربكم، وتكذيبكم إياي، مع ظهور حجج صدق لأعينكم، فتدعوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون، إلى ما أدعوكم إليه من الإيمان الذي به تفوزون.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) قال: الضال والمهتدي.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) . . . الآية قال: الأعمى: الكافر الذي قد عمى عن حق الله وأمره ونعمه عليه، والبصير: العبد المؤمن الذي أبصر بصرا نافعا، فوحد الله وحده، وعمل بطاعة ربه، وانفع بما آتاه الله.

القول في تأويل قوله

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ  
يَتَّقُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: (وَأَنْذِرْ) يا محمد بالقرآن الذي أنزلناه إليك، القوم (الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) علما منهم بأن ذلك كائن، فهم مصدقون بوعد الله ووعيده، عاملون بما يرضى الله، دائمون في السعي فيما ينقذهم في معادهم من عذاب الله (لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ) أى ليس لهم من عذاب الله إن عذبهم ولي ينصرهم، فيستنقذهم منه (وَلَا شَفِيعٌ) يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول: أنذرهم كفى يتقوا الله في أنفسهم، فيطيعوا ربهم، ويعملوا لمعادهم، ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه، وقيل (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا) ومعناه: يعلمون أنهم يُحشَرُونَ، فوضعت المخافة موضع العلم، لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك، ووجوده من غير شك منهم في ذلك. وهذا أمر من الله تعالى نبية محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه، ما أنزل الله إليه من وحيه وتذكيرهم، والإقبال عليهم بالإنذار، وصداه عن المشركين به بعد الإعذار إليهم، وبعد إقامة الحجة عليهم، حتى يكون الله هو الحاكم في أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم.

القول في تأويل قوله

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَمَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ  
مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ، فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك.

ذكر الرواية بذلك:

حدثنا هناد بن السرى، قال: ثنا أبو زيد، عن أشعث، عن كُردوس الثعالبى، عن ابن مسعود، قال: مرّ الملاء من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك، أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا، أنحن نكون تبعاً لهؤلاء، اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) - وكذلك فتنتنا بعضهم ببعض (..). إلى آخر الآية.

حدثنا جرير، عن أشعث، عن كُردوس الثعالبى، عن عبد الله، قال: مرّ الملاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر نحوه.

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن أشعث ، عن كُرْدُوس ، عن ابن عباس ، قال : مرّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مَلاً من قريش ، ثم ذكر نحوه .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، وكان قارئ الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خبّاب ، في قول الله تعالى ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) ... إلى قوله ( فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) : قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعيينة بن حصن الفزاري ، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار ، وخباب ، في أناس من ضعفاء المؤمنين ؛ فلما رأوهم حوله حقرّوهم ، فأتوه فقالوا : إنا نحبّ أن يجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعداء ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ، قال : نعم ، قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتابا ، قال : فدعا بالصحيفة ، ودعا عليا ليكتب ، قال : ونحن قعود في ناحية ، إذ نزل جبريل بهذه الآية : ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) ثم قال ( وكذلك فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا : أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ؟ ) ثم قال ( وَإِذْ آتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحِيفَةَ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ دَعَانَا ، فَأْتَيْنَاهُ وَهُوَ يَقُولُ ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحِيفَةَ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ دَعَانَا ، فَأْتَيْنَاهُ وَهُوَ يَقُولُ ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَهُ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ وَتَرَكْنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها ، قمنا وتركناه حتى يقوم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب بن الأرت ، بنحو حديث الحسين بن عمرو ، إلا أنه قال في حديثه : فلما رأوهم حوله نفرّوهم ، فأتوه فخلّوا به ، وقال أيضا ( فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) ، ثم ذكر الأقرع وصاحبه ، فقال : ( وكذلك فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) ... الآية ، وقال أيضا : فدعانا فأتينا ، وهو يقول ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) فدنوننا منه يومئذ ، حتى وضعنا ركبنا على ركبته ، وسائر الحديث نحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، وحدثنا محمد ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والكلبي : أن ناسا من كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن سرك أن تتبعك ، فاطرد عنا فلانا وذلانا ، ناسا من ضعفاء المسلمين ، فقال الله تعالى ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) . . . إلى قوله ( وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) . . . الآية ، قال : وقد قال قائلون من الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن سرّك أن تتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا ، لأناس كانوا دونهم في الدنيا ، ازدراهم المشركون ، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) بلال وابن أمّ عبد ، كانا يجالسان محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش محمّرتهما : لولاهما وأمثالهما لخالسناه ، فنهى عن طردهم ، حتى قوله ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ؟ ) قال : قل سلام عليكم فيما بين ذلك في هذا .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا سفيان ، عن المقدم بن شريح ، عن أبيه ، قال : قال سعيد : نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن مسعود ، قال : كنا نسبق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وندنو منه ، ونسمع منه ، فقالت قريش : يدّ في هؤلاء دوننا ؟ فنزلت ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، في قوله ( وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخَشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ) . . . الآية ، قال : جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، ومطيم بن عدى ، والحارث بن نوفل ، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل ، في أشراف من بني عبد مناف من الكفار ، إلى أبي طالب ، فقالوا : يا أبا طالب لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا . فإنما هم عبيدنا وعسقاؤنا ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتباعنا إياه ، وتصديقنا له . قال : فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثه بالذي كلموه به ، فقال عمر بن الخطاب : لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون ، وإلام يصيرون من قولهم ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ( وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخَشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَايٌ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) . . . إلى قوله ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ) قال : وكانوا بلالا ، وعمار بن ياسر ، وسالما مولى أبي حذيفة ، وصبيحا مولى أسيد ، ومن الحلفاء : ابن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومسعود بن القارى ، وواقد بن عبد الله الحنظلي ، وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين ، ومرثد بن أبي مرثد ، وأبو مرثد من غنى ، حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء ، ونزلت في أئمة الكفر من قريش والوالى والحلفاء ( وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا : أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ) . . . الآية ؛ فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب ، فاعتذر من مقاله ، فأنزل الله تعالى ( وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ، فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) . . . الآية .



حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أستحي من الله أن يراني مع سلمان وبلال وذويهم ، فاطردهم عنك ، وجالس فلانا وفلانا ، قال : فنزل القرآن ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) فقرأ حتى بلغ ( فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) ما بينك وبين أن تكون من الظالمين إلا أن تطردهم ، ثم قال ( وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا: أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ) ثم قال : وهؤلاء الذين أمروك أن تطردهم ، فأبلغهم مني السلام وبشرهم ، وأخبرهم أني قد غفرت لهم ، وقرأ ( وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) ، فقرأ حتى بلغ ( وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِيَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ) قال : لتعرفها .

واختاف أهل التأويل في الدعاء الذي كان هؤلاء الرهط الذين تنهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم يدعون ربهم به ، فقال بعضهم : هي الصلوات الخمس .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) يعني : يعبدون ربهم بالغداة والعشي ، يعني الصلوات المكتوبة .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، في قوله ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) قال : هي الصلوات الخمس الفرائض ، ولو كان يقول القصاص هلك من لم يجلس إليهم .

حدثنا هناد بن السري وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) قال : هي الصلاة .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) الصلاة المفروضة : الصبح والعصر .

حدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي ، قال : ثنا حسن الجعفي ، قال : أخبرني حمزة بن المغيرة ، عن حمزة بن عيسى ، قال : دخلت على الحسن فسألته ، فقلت : يا أبا سعيد ، رأيت قول الله ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) أهم هؤلاء القصاص ؟ قال : لا ، ولكنهم المحافظون على الصلوات في الجماعة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قال : الصلاة المكتوبة .

حدّثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قال : يعبدون ربهم بالغداة والعشيّ : يعنى الصلاة المفروضة .

حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) هما الصلاتان : صلاة الصبح ، وصلاة العصر .

حدّثني ابن البرقيّ ، قال : ثنا ابن أبي مرزّيم ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، قال : ثنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر في هذه الآية ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) . . . الآية ، إنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة .

حدّثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قالوا : الصلوات الخمس .

حدّثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلَا تَنْظُرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قال : المصلين : المؤمنين ، بلال وابن أمّ عبد .

قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : صليت الصبح مع سعيد بن المسيّب ، فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاصّ ، فقال سعيد : ما أسرعهم إلى هذا المجلس ، قال مجاهد : فقلت : يتأولون ما قال الله تعالى ، قال : وما قال ؟ قلت ( وَلَا تَنْظُرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قال : وفي هذا ذا ، إنما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن ، إنما ذلك في الصلاة .

حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن منصور ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، قال : الصلاة المكتوبة .

حدّثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : هي الصلاة .

حدّثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن إسرائيل ، عن عامر ، قال : هي الصلاة .

حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَنْظُرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) يقول : صلاة الصبح ، وصلاة العصر .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : صلى عبد الرحمن في مسجد الرسول ، فلما صلى قام فاستند إلى حجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأنشأ الناس عليه ، فقال : يا أيها الناس إليكم ، فقيل : يرحمك الله ، إنما جاءوا يريدون هذه الآية ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) فقال : وهذا عنى بهذا؟ إنما هو في الصلاة .

وقال آخرون : هي الصلاة ، ولكن القوم لم يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد هؤلاء الضعفاء عن مجلسه ، ولاتأخيرهم عن مجلسه ، وإنما سألوه تأخيرهم عن الصف الأول ، حتى يكونوا وراءهم في الصف . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله ( وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) . . . الآية ، فهم أناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم من الفقراء ، فقال أناس من أشرف الناس : تؤمن لك ، وإذا صلينا فأختر هؤلاء الذين معك ، فليصلوا خلفنا . وقال آخرون : بل معنى دعائهم : كان ذكرهم الله تعالى . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، وحدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قوله ( وَلَا تَنْظُرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قال : أهل الذكر . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ( وَلَا تَنْظُرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قال : هم أهل الذكر .

حدثنا ابن حميد قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَلَا تَنْظُرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قال : لانظردهم عن الذكر . وقال آخرون : بل كان ذلك تعلمهم القرآن وقراءته . ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قوله ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قال : كان يقرئهم القرآن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال آخرون : بل عنى بدعائهم ربهم : عبادتهم إياه . ذكر من قال ذلك :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) قال : يعبدون ، ألا ترى أنه قال ( لاجترم أئمة تدعونني إليه ) يعنى : تعبدونه .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى نهى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يطرد قوما كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي ، والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده ، والثناء عليه قولاً وكلاماً ، وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمال التي كان عليهم فرضها ، وغيرها من النوافل التي ترضى والعمل له عابده بما هو عامل له ؛ وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها ، فوصفهم الله بذلك ، بأنهم يدعون بالغداة والعشي ، لأن الله قد سمى العبادة دعاء ، فقال تعالى ذكره ( وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي )

أَسْتَجِيبُ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ) وقد يجوز أن يكون ذلك على خاص من الدعاء ، ولا قول أولى بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به ، من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي ، فيعمثون بالصفة التي وصفهم بها ربهم ، ولا يخلصون منها بشيء دون شيء . فتأويل الكلام إذن : يا محمد أنذر بالقرآن الذي أنزلته إليك ، الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون ، فهم من خوف ورودهم على الله الذي لا شفيح لهم من دونه ، ولا نصير في العمل له ، دائمون ، إذ أعرض عن إنذارك ، واستماع ما أنزل الله عليك المكذَّبون بالله واليوم الآخر من قومك استكبارا على الله ، ولا تطردهم ولا تقصمهم ، فتكون ممن وضع الإقصاء في غير موضعه ، فأقصى وطرده من لم يكن له طرده وإقصاؤه ، وقرب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدناؤه ، فإن الذين نهيتك عن طردهم ، هم الذين يدعون ربهم ، فيسألون عفوه ومغفرته لصالح أعمالهم ، وأداء ما ألزمهم من فرائضه ونوافل تطوعهم ، وذكرهم بإياه بألسنتهم بالغداة والعشي ياتمسون بذلك القربة إلى الله ، والدنو من رضاه ( ما عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ) ، يقول : ما عليك من حساب ما رزقهم من الرزق من شيء ، وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء ، فتطردهم حذار محاسبتي إياك بما خولتهم في الدنيا من الرزق . وقوله ( فَتَطْرُدَهُمْ ) : جواب لقوله ( ما عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ) ، وما مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ) وقوله ( فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) جواب لقوله ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ) .

القول في تأويل قوله

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ  
بِالشَّاكِرِينَ ؟ (٥٣)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) وكذلك اختبرنا وابتلينا .

كالذى حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) يقول : ابتلينا بعضهم ببعض .

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى الفتنة ، وأنها الاختبار والابتلاء ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وإنما فتنة الله تعالى بعض خلقه ببعض ، مخالفته بينهم فيما قسم لهم من الأرزاق والأخلاق ، فجعل بعضا غنيا ، وبعضا فقيرا ، وبعضا قويا ، وبعضا ضعيفا ، فأحوج بعضهم إلى بعض ، اختبارا منه لهم بذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن عليّ أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) يعنى أنه جعل بعضهم أغنياء ، وبعضهم فقراء ، فقال الأغنياء للفقراء : أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ يعنى : هداهم الله ، وإنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية .  
 ﴿٥٤﴾ وأما قوله ( لِيَتَّقُوا أَهْلَؤَلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ) مِنْ بَيْنِنَا ) يقول تعالى : اختبرنا الناس بالغنى والفقير ، والعزّ والذلّ ، والقوّة والضعف ، والهدى والضلال ، كى يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحقّ للذين هداهم الله ووفقهم ، أهؤلاء من الله عليهم بالهدى والرشد ، وهم فقراء ضعفاء أذلاء من بيننا ، ونحن أغنياء أقوياء ، استهزاء بهم ، ومعاداة للإسلام وأهله ، يقول تعالى ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ؟ ) وهذا منه تعالى إجابة هؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحقّ ، وخذلهم عنه ، وهم أغنياء ، وتقرير لهم : أنا أعلم بمن كان من خلقى شاكرا نعمتى ، ممن هو لها كافر ، فنى على من مننت عليه منهم بالهداية ، جزاء شكره إياى على نعمتى ، وتخذيلى من خذلت منهم عن سبيل الرشاد ، عقوبة كفرانه إياى نعمتى ، لا لغنى الغنى منهم ، ولا لفقير الفقير ، لأن الثواب والعقاب لا يستحقه أحد إلا جزاء على عمله الذى اكتسبه ، لا على غناه وفقره ، لأن الغنى والفقير ، والعجز والقوّة ، ليس من أفعال خلقى .

## القول فى تأويل قوله

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ، فَقُلْ : سَلِمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ  
 أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ، ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ، فَإِنَّهُ شَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤)

اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله تعالى بهذه الآية ، فقال بعضهم : عنى بها الذين نهى الله نبيه عن طردهم ، وقد مضت الرواية بذلك عن قائله .  
 وقال آخرون : عنى بها قوما استفتوا النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ذنوب أصابوها عظام ، فلم يؤيسهم الله من التوبة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن مجمع ، قال : سمعت ماهان ، قال : جاء قوم إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قد أصابوا ذنوبا عظاما ، قال ماهان : فما إخاله ردّ عليهم شيئا ، قال : فأنزل الله هذه الآية ( وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) . . . الآية .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن مجمع ، عن ماهان ، أن قوما جاءوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد إنا أصبنا ذنوبا عظاما ، فما إخاله ردّ عليهم شيئا ، فانصرفوا ، فأنزل الله تعالى ( وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) قال : فدعاهم ، فقرأها عليهم .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجمع التميمي ، قال : سمعت ماهان يقول ،  
فذكر نحوه .

وقال آخرون : بل عني بها قوم من المؤمنين كانوا أشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم بطرد القوم  
الذين نهاه الله عن طردهم ، فكان ذلك منهم خطيئة ، فغفرها الله لهم ، وعفا عنهم ، وأمر نبيه صلى الله عليه  
وسلم إذا أتوه أن يبشرهم بأن قد غفر لهم خطيئتهم ، التي سلفت منهم بمشورتهم على النبي صلى الله عليه وسلم  
بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم ، وذلك قول عكرمة وعبد الرحمن بن زيد ، وقد ذكرنا الرواية عنهما  
بذلك قبل .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بتأويل الآية ، قول من قال المعينون بقوله ( وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ  
يُؤْمِنُونَ بآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) غير الذين نهى الله النبي صلى الله عليه وسلم عن طردهم ، لأن  
قوله ( وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآيَاتِنَا ) خبر مستأنف بعد تقضى الخبر عن الذين نهى الله نبيه  
صلى الله عليه وسلم عن طردهم ، ولو كانوا هم لقليل : وإذا جاءوك فقل سلام عليكم ، وفي ابتداء الله الخبر  
عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الأولين ما ينبي عن أنهم غيرهم .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا : وإذا جاءك يا محمد القوم الذين يصدقون بتزلينا وأدلتنا  
وحججنا ، فيقرؤن بذلك قولاً وعملاً ، مسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم ، هل لهم منها  
توبة ؟ فلا تؤيسهم منها ، وقل لهم : سلام عليكم : آمنة الله لكم من ذنوبكم ، أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها .  
( كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) يقول : قضى ربكم الرحمة بخلقه ( أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا  
يَجْهَالَةَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ، فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدنيين ( أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا ) ،  
فيجعلون أن منصوبة على الترجمة بها عن الرحمة ( ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ، فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .  
على اثنانف إنه بعد الفاء فيكسرونها ويجعلونها أداة لا موضع لها ، بمعنى : فهو له غفور رحيم ، أو فله  
المغفرة والرحمة . وقراها بعض الكوفيين بفتح الألف منهما جميعاً ، بمعنى : كتب ربكم على نفسه الرحمة ،  
ثم ترجم بقوله ( أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَالَةَ ) عن الرحمة ( فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) ، فيعطف  
فأنه الثانية ، على أنه الأولى ، ويجعلها اسمين منصوبين على ما بينت . وقرأ ذلك بعض المكيين ، وعامة قراء  
أهل العراق من الكوفة والبصرة بكسر الألف من إنه وإنه على الابتداء ، وعلى أنهما أداتان لا موضع لهما .

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأها بالكسر ( كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ  
الرَّحْمَةَ إِنَّهُ ) على ابتداء الكلام ، وأن الخبر قد انتهى عند قوله ( كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ )  
ثم استؤنف الخبر عما هو فاعل تعالى ذكره بمن عمل سوءاً يجهالته ثم تاب وأصلح منه ، ومعنى قوله ( أَنَّهُ  
مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَالَةَ ) : أنه من اقترف منكم ذنباً ، فجهل باقترافه إياه ، ( ثُمَّ تَابَ

وأصلح ، فإنه غفورٌ ) لذنبه إذا تاب وأتاب ، وراجع العمل بطاعة الله ، وترك العود إلى مثله مع الندم على ما فرط منه ( رَحِيمٌ ) بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان ، عن مجاهد ( مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ) قال : من جهل أنه لا يعلم حلالا من حرام ، ومن جهالته ركب الأمر .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ( يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ) قال : من عمل بمعصية الله ، فذاك منه جهل ، حتى يرجع .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا بكر بن خنيس ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ) قال : كل من عمل بخطيئة فهو بها جاهل .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا خالد بن دينار أبو خلدة ، قال : كنا إذا دخلنا على أبي العالية قال ( وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) .

القول في تأويل قول

وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ ، وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (٥٥)

يعني تعالى ذكره بقوله ( وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ ) وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفتحها يا محمد إلى هذا الموضع حججتنا على المشركين من عبدة الأوثان وأدلتنا ، وميزناها لك وبينناها ، كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم ، فبينها لك حتى تبين حقه من باطله ، وصحيحه من سقيم .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ( وَلِتَسْتَبِينَ ) بالثاء ( سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ) بنصب السبيل ، على أن تستبين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، كأن معناه عندهم : ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين ، وكان ابن زيد يتأول ذلك : ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين ، الذين سألوك طرد النفر الذين سألوهم طردهم عنه من أصحابه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ) قال : الذين يأمرونك بطرد هؤلاء . وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين ( وَلِتَسْتَبِينَ ) بالثاء ( سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ) برفع السبيل على أن القصد للسبيل ، ولكنه يؤنثها ، وكأن معنى الكلام عندهم : وكذلك نفصل الآيات ، ولتتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة :

( وَلِيَسْتَبِينَ ) بالياء ( سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ) يرفع السبيل على أن الفعل للسبيل ولكنهم يذكرونه ، ومعنى هؤلاء في هذا الكلام ، ومعنى من قرأ ذلك بالتاء في ( وَلِيَسْتَبِينَ ) ورفع السبيل واحد ، وإنما الاختلاف بينهم في تذكير السبيل وتأنيتها .

وَأولى القراءتين بالصواب عندى في السبيل : الرفع ، لأن الله تعالى ذكره فصل آياته في كتابه وتنزيله ، لِيَتَّبِعِينَ الْحَقَّ بِهَا مِنَ الْبَاطِلِ جَمِيعٍ مِنْ خَوَاطِبِهَا ، لا بعض دون بعض . ومن قرأ السبيل بالنصب ، وإنما جعل تبين ذلك محصوراً على النبي صلى الله عليه وسلم . وأما القراءة في قوله ( وَلِيَسْتَبِينَ ) فسواء قرئت بالتاء أو بالياء ، لأن من العرب من يذكر السبيل ، وهى تميم وأهل نجد ، ومنهم من يؤنث السبيل ، وهم أهل الحجاز ، وهما قراءتان مستفيضتان في قرآء الأمصار ، ولغتان مشهورتان من لغات العرب ، وليس في قراءة ذلك بإحداهما خلاف لقراءته بالأخرى ، ولا وجه لاختيار إحداهما على الأخرى بعد أن يرفع السبيل ، للعلّة التي ذكرنا .

وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله ( نُنْفِصِلُ الْآيَاتِ ) قال أهل التأويل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَكَذَلِكَ نُنْفِصِلُ الْآيَاتِ ) نبين الآيات .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في ( نُنْفِصِلُ الْآيَاتِ ) : نبين .

القول في تأويل قوله

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين بربهم من قومك ، العادلين به الأوثان والأنداد ، الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم ، وعبادة الأوثان : إن الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دونه ، فلن أتبعكم على ما تدعونني إليه من ذلك ، ولا أوافقكم عليه ، ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه ، وإن فعلت ذلك ، فقد تركت حجة الحق ، وسلكت على غير الهدى ، فصرت ضالاً مثلكم على غير استقامة . وللعرب في ضللت لغتان : فتح اللام وكسرها ، واللغة الفصيحة المشهورة هى فتحها ، وبها قرأ عامة قراء الأمصار ، وبها نقرأ لشهرتها في العرب ، وأما الكسر فليس بالغالب في كلامها والقراء بها قليلون ، فمن قال ضلكت قال : أضيل ، ومن قال ضللت قال : في المستقبل أضل ، وكذلك القراءة عندنا في سائر القرآن ( وَقَالُوا أَيْدَا ضَلَلْنَا ) بفتح اللام .

القول في تأويل قوله

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ، مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَعْصُ الْحَقُّ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ (٥٧)



ﷺ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ( قُلْ ) يا محمد هؤلاء العادلين بربهم ، الداعين لك إلى الإشراك بربك ( لَأَنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ) أى إني على بيان قد تبينته ، وبرهان قد وضع لي من ربي ، يقول : من توحيده ، وما أنا عليه من إخلاص عبوديته من غير إشراك شيء به ، وكذلك تقول العرب : فلان على بينة من هذا الأمر : إذا كان على بيان منه ، ومن ذلك قول الشاعر :

أَبَيِّنَةٍ تَبْعُونَ بَعْدَ اعْتِرَافِهِ وَقَوْلٍ سُوَيْدٍ قَدْ كَفَيْتُكُمْ بَشْرًا؟

( وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ) يقول : وكذبتم أنتم بربكم ، وإلهاء في قوله من ذكر الرب جلّ وعزّ ( ما عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ) يقول : ما الذى تستعجلون من نعم الله وعذابه بيدي ، ولا أنا على ذلك بقادر ، وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتوحيده ، فدعاهم إلى الله ، وأخبرهم أنه رسوله إليهم ( هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ ) ، أفتأتون السحرة وأنتم تبصرون ) وقالوا للقرآن : هو أضغاث أحلام . وقال بعضهم : بل هو اختلاق اختلقه . وقال آخرون : بل محمد شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك ، وإنما أنت رسول ، وليس عليك إلا البلاغ لما أرسلت به ، وإن الله يقضى الحقّ فيهم وفيك ، ويفصل به بينك وبينهم ، فيبين الحقّ منكم والمبطل ، ( وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ) : أى وهو خير من بين وميز بين الحقّ والمبطل وأعدلهم ، لأنه لا يقع في حكمه وقضائه حيف إلى أحد ، لو سيلة له إليه ، ولا لقراءة ولا مناسبة ، ولا في قضائه جور ، لأنه لا يأخذ الرشوة في الأحكام فيجور ، فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين . وقد ذكر لنا في قراءة عبد الله : وهو أسرع الفاصلين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال في قراءة عبد الله : يقضى الحقّ وهو أسرع الفاصلين .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( يَقْضِي الْحَقُّ ) فقرأه عامة قرآء الحجاز والمدينة وبعض قرآء أهل الكوفة والبصرة ( إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقُّ ) بالصاد بمعنى القصص ، وتأولوا في ذلك قول الله تعالى ( نَحْنُ نَقْضُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ) وذكر ذلك عن ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : ( يَقْضِي الْحَقُّ ) وقال ( نَحْنُ نَقْضُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ) .

وقرأ ذلك جماعة من قرآء الكوفة والبصرة ( إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقُّ ) بالضاد ، من القضاء بمعنى الحكم ، والفصل بالقضاء ، واعتبروا صحة ذلك بقوله ( وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ) وأن الفصل بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقصص .

ﷺ وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب ، لما ذكرنا لأهلها من العلة . فعنى الكلام إذن : ما الحكم

(١) لم أعر على قائل هذا البيت . ومعناه واضح .

فما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله ، وفيما بيني وبينكم ، إلا الله الذي لا يجوز في حكمه ، وييده الخلق والأمر ، يقضى الحق بيني وبينكم ، وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه .

## القول في تأويل قوله

قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأوثان المكذّبيك فيما جنتهم به ، السائلينك أن تأتيهم بآية استعجالا منهم بالعذاب : لو أن بيدي ما تستعجلون به من العذاب لقضى الأمر بيني وبينكم ، ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلي لكم ما تسألوني من ذلك وتستعجلونه ولكن ذلك بيد الله ، الذي هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين ، الذين يضعون عبادتهم التي لا ينبغي أن تكون إلا لله في غير موضعها ، فيعبدون من دونه الآلهة والأصنام ، وهو أعلم بوقت الانتقام منهم ، وحال القضاء بيني وبينهم ، وقد قيل : معنى قوله ( لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ) الذبح للموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني في قوله ( لَقُضِيَ الْأَمْرُ ) قال : ذبح الموت .

وأحسب أن قائل هذا النوع نزع لقوله ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ) فإنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قصة تدلّ على معنى ما قاله هذا القائل في قضاء الأمر ، وليس قوله ( لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ) من ذلك في شيء ، وإنما هذا أمر من الله تعالى نبية محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله : بآية يأتيهم بها : لو أن العذاب والآيات بيدي وعندى ، لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك ، ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه مني ومن جميع خلقه .

## القول في تأويل قوله

وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ

إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ ، وَلَا رَطْبٌ ، وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)

يقول ( وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ) والمفاتيح : جمع مِفْتَاح ، يقال فيه : مِفْتَاحٌ وَمِفْتَاحٌ ، فمن قال مِفْتَاحٌ جمعه مِفْتَاحٌ ، ومن قال مِفْتَاحٌ ، جمعه مِفْتَاحِيحٌ .

ويعنى بقوله ( وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ) خزائن الغيب .

كالذي حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَ عِنْدَهُ

مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ) قال : يقول : خزائن الغيب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن

مسعود ، قال : أُعْطِيَ نَبِيَّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا مَفَاتِحَ الْغَيْبِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن

ابن عباس ( وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ) قال : هن خمس ( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ) . . . إلى ( إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ) .

﴿ فتأويل الكلام إذن : والله أعلم بالظالمين من خلقه ، وما هم مستحقوه ، وما هو بهم صانع ، فإن عنده علم ما غاب علمه عن خلقه ، فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ، ولم يعلموه ولن يدركوه ، ويعلم ما في البر والبحر ، يقول : وعنده علم ما لم يغب أيضا عنكم ، لأن ما في البر والبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد . فكان معنى الكلام : وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ، ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم ، لا يخفى عليه شيء ، لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس ، أو ما لا يخفى عليهم ، فأخبر الله تعالى ، أن عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد ، وذلك هو الغيب .

القول في تأويل قوله ( وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ ، وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) :

﴿ يقول تعالى ذكره : ولا تسقط ورقة في الصحارى والبرارى ، ولا في الأمصار والقرى إلا الله يعلمها ( وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ ، وَلَا رَطْبٌ ، وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) يقول : ولا شيء أيضا مما هو موجود ، أو مما سيوجد ولم يوجد بعد ، إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ ، مكتوب ذلك فيه ، ومرسوم عدده ومبطله ، والوقت الذي يوجد فيه ، والحال التي يفنى فيها . ويعنى بقوله ( مُبِينٍ ) : أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم .

فإن قال قائل : وما وجه إثباته في اللوح المحفوظ والكتاب المبين ما لا يخفى عليه ، وهو بجميعه علم لا يخاف نسيانه ؟ قيل له : لله تعالى فعل ما شاء ، وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحانا منه لحفظته ، واختبارا للمتوكلين بكتابة أعمالهم ، فإنهم فيما ذكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ، ثم بعرضها على ما أثبتته الله من ذلك في اللوح المحفوظ ، حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم ، وقيل : إن ذلك معنى قوله ( إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك ، مما هو أعلم به ، إما بحجة يحتج بها على بعض ملائكته ، وإما على نبي آدم ، وغير ذلك .

وقد حدثني زياد بن يحيى الحسافي أبو الخطاب ، قال : ثنا مالك بن سَعْبَرٍ ، قال : ثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : ما في الأرض من شجرة ولا كغرز إبرة ، إلا عليها ملك موكل بها ، يأتي الله يعلمه يبسها إذا يبست ، ورطوبتها إذا رطبت .

القول في تأويل قوله

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ، وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ، ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ، ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ، ثُمَّ يُبْعَثُكُمْ فِيهَا لِيُبْأَئِنَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : **وَقُلْ لِمَ يَا مُحَمَّدُ : وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّى أَرْوَاحَكُمْ بِاللَّيْلِ ، فَيَقْبِضُهَا مِنْ أَجْسَادِكُمْ ( وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ )** يقول : ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار ، ومعنى التوفى في كلام العرب : استيفاء العدد ، كما قال الشاعر :

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَدِ لَيَسُؤُوا مِنْ أَحَدٍ  
وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدِ

بمعنى : لم تدخلهم قريش في العدد .

وأما الاجتراح عند العرب : فهو عمل الرجل بيده ، أو رجله ، أو فمه ، وهي الجوارح عندهم جوارح البدن فيما ذكر عنهم ، ثم يقال لكل مكتسب عملاً جارحاً ، لاستعمال العرب ذلك في هذه الجوارح ، ثم كثر ذلك في الكلام ، حتى قيل لكل مكتسب كسباً ، بأي أعضاء جسمه اكتسب : مجترح . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاهُمْ بِاللَّيْلِ ، وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ) أما يتوفاكم بالليل : ففي النوم ، وأما يعلم ما جرحتم بالنهار فيقول : ما اكتسبتم من الإثم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاهُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ) يعني : ما اكتسبتم من الإثم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ) قال : ما عملتم بالنهار .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاهُمْ بِاللَّيْلِ ) يعني بذلك : نومهم ( وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ) : أي ما عملتم من ذنب فهو يعلمه ، لا يخفى عليه شيء من ذلك .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاهُمْ بِاللَّيْلِ ، وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ) قال : أما وفاته إياهم بالليل فنامهم ، وأما ما جرحتم بالنهار ، فيقول : ما اكتسبتم بالنهار .

وهذا الكلام وإن كان خبراً من الله تعالى عن قدرته وعلمه ، فإن فيه احتجاجاً على المشركين به ، الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم ، وبعثهم بعد فناءهم ، فقال تعالى محتجاً عليهم ( وَهُوَ الَّذِي

(١) البيت أنشده أبو عبيدة لمنظور الوري ، كما قال صاحب اللسان ( وقى ) قال : وتوفيت عدد القوم : إذا عدتهم كلهم ، وأورد البيت . ثم قال : أي لا تجعلهم قريش تمام عددهم ، ولا تستوفى بهم عددهم . ومن ذلك قوله عز وجل : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » : أي يستوفى مدد آجالهم في الدنيا . وقيل : يستوفى تمام عددهم إلى يوم القيامة .

يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ، وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ، ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ( يقول : فالذي يقبض أرواحكم بالليل ، ويبعثكم في النهار ، لتبلغوا أجلا مسمى ، وأنتم ترون ذلك ، وتعلمون صحته ، غير منكر له القدرة على قبض أرواحكم ، وإفنائكم ، ثم ردها إلى أجسادكم ، وإنشائكم بعد مماتكم ، فإن ذلك نظير ما تعينون وتشاهدون ، وغير منكر لمن قدر على ما تعينون من ذلك ، القدرة على ما لم تعينوه ، وإن الذي لم ترووه ولم تعينوه من ذلك ، شبيه ما رأيتم وعايتم .  
القول في تأويل قوله ( لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ، ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ، ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) :

يعنى تعالى ذكره : ثم يبعثكم ، يثركم ويوقظكم من منامكم فيه ، يعنى في النهار ، والهاء التي فيه راجعة على النهار ( لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ) يقول : ليقضى الله الأجل الذي سماه لحياتكم ، وذلك الموت ، فيبلغ مدته ونهايته ( ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ) يقول : ثم إلى الله معادكم ومصيركم ( ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) يقول : ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا ، ثم يجازيكم بذلك ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ) قال : في النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ) في النهار ، والبعث : اليقظة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ) قال : في النهار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير ( ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ) قال : يبعثكم في المنام ( لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ) وذلك الموت .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ) وهو الموت .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ) قال : هو أجل الحياة إلى الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير ( لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ) قال : مدتهم .

القول في تأويل قوله

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ  
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره (وَهُوَ الْقَاهِرُ) : والله الغالب خلقه ، العالى عليهم بقدرته ، لا المقهور من أوثانهم  
وأصنامهم ، المذلل المغلوب عليه لذاته ( وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ) وهى ملائكته الذين يتعاقبونكم  
ليلا ونهارا ، يحفظون أعمالكم ويحسونها ، ولا يفرطون فى حفظ ذلك وإحصائه ، ولا يضيعون .  
وينحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله ( وَيُرْسِلُ  
عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ) قال : هى المعقبات من الملائكة ، يحفظونه ويحفظون عمله .  
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَهُوَ الْقَاهِرُ  
فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ) ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا  
وهم لا يفرطون ) يقول : حَفَظَةٌ يا بن آدم ، يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك ، إذا توفيت ذلك  
قبضت إلى ربك . ( حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ) .  
يقول تعالى ذكره إن ربكم يحفظكم ، يرسل يعقب بينها ، يرسلهم إليكم يحفظكم ، ويحفظ أعمالكم ، إلى  
أن يحضركم الموت ، وينزل بكم أمر الله ، فإذا جاء ذلك أحدكم ، توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الأرواح ،  
ورسلنا المرسلون به ، وهم لا يفرطون فى ذلك فيضيعونه .

فإن قال قائل : أو ليس الذى يقبض الأرواح ملك الموت ، فكيف قيل ( تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ) والرسل  
جملة ، وهو واحد ، أو ليس قد قال ( قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ) ؟ قيل : جائز  
أن يكون الله تعالى أعان ملك الموت بأعوان من عنده ، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت ، فيكون التوفى  
مضافا ، وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت إلى ملك الموت ، إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره ،  
كما يضاف قتل من قتل أعوان السلطان ، وجلد من جلدوه بأمر السلطان إلى السلطان ، وإن لم يكن السلطان  
باشر ذلك بنفسه ، ولا وليه بيده ، وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، فى قوله ( حتى  
إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ) قال : كان ابن عباس يقول : للملك  
الموت أعوان من الملائكة .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، في قوله ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ) قال : سئل ابن عباس عنها ، فقال : إن ملك الموت أعوانا من الملائكة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم في قوله ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ) قال : أعوان ملك الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ) قال : الرسل توفى الأنفس ، ويذهب بها ملك الموت .

حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ) قال : الرسل توفى الأنفس ، ويذهب بها ملك الموت .

حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن ابن عباس ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ) قال : أعوان ملك الموت من الملائكة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا ) قال : هم الملائكة أعوان ملك الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا ) قال : إن ملك الموت له رسل ، فيرسل ويرفع ذلك إليه ، وقال الكلبي : إن ملك الموت هو يلي ذلك ، فيدفعه إن كان مؤمنا إلى ملائكة الرحمة ، وإن كان كافرا إلى ملائكة العذاب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا ) قال : يلي قبضها الرسل ، ثم يدفعونها إلى ملك الموت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا ) قال : يتوفاه الرسل ، ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس . قال الثوري : وأخبرني الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : هم أعوان لملك الموت . قال الثوري : وأخبرني رجل عن مجاهد ، قال : جعلت الأرض لملك الموت مثل الطسنت يتناول من حيث شاء ، وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ، ثم يقبضها منهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس ، في قوله ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا ) قال : أعوان ملك الموت من الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : الملائكة أعوان ملك الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا ) قال : يتوفونه ، ثم يدفعونه إلى ملك الموت .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال : سألت الربيع بن

أنس ، عن ملك الموت ، أهو وحده الذى يقبض الأرواح ؟ قال : هو الذى يلى أمر الأرواح ، وله أعوان على ذلك ، ألا تسمع إلى قول الله تعالى ( حتى إذا جاءتهم رُسُلنا يتنَوَّعونهم ) وقال ( تنَوَّعَتْهُ رُسُلنا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ ) غير أن ملك الموت هو الذى يسير كلَّ خَطْوٍ منه ، من المشرق إلى المغرب ، قلت : أين تكون أرواح المؤمنين ؟ قال : عند السُّدْرَةِ فى الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن مجاهد ، قال : ما من أهل بيت شعر ولا مدَّر إلا وملك الموت يطيف بهم كلَّ يوم مرتين ، وقد بيَّنا أن معنى التفريط : التضييع فيما مضى قبل ، وكذلك تأوله المتأولون فى هذا الموضع .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ ) يقول : لا يضيعون .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ ) قال : لا يضيعون .

#### القول فى تأويل قوله

ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ، أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ، وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ثم ردت الملائكة الذين توفَّوهم ، فقبضوا نفوسهم وأرواحهم إلى الله سيدهم الحق ( أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ) يقول : ألا له الحكم والقضاء ، دون من سواه من جميع خلقه ( وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ) يقول : وهو أسرع من حسب عدِّكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس ، وأحصاها وعرَّف مقاديرها ومبالغها ، لأنه لا يحسب بعقد يد ، ولكنه يعلم ذلك ، ولا يخفى عليه منه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، إلا فى كتاب مبين .

#### القول فى تأويل قوله

قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره لنبىه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بر ربهم ، الداعين لك إلى عبادة أوثانهم : مَنْ الذى ينجيك من ظلمات البرِّ إذا ضلَّمت فيه ، فتجرتم ، فأظلم عليكم الهدى والحق ، ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه ، فأخطأتم فيه الحق ، فأظلم عليكم فيه السبيل فلا تهتدون له ، غير الله الذى مفرعكم حينئذ بالدعاء تضرعاً منكم إليه واستكانة ؟ جهراً وخفية ، يقول : وإخفاء للدعاء أحياناً ، وإعلاناً وإظهاراً ، تقولون : لئن أنجيتنا من هذه يا رب ، أى من هذه الظلمات التى نحن فيها ( لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ )



الشَّاكِرِينَ ) يقول : لنكوننَّ ممن يوحِّدك بالشكر ، ويخلص لك العبادة ، دون من كنا نشركه معك في عبادتك ، وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ) يقول : إذا أضلَّ الرجل الطريق دعا الله : لئن أنجيتنا من هذه لنكوننَّ من الشَّاكِرِينَ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) يقول : من كرب البرِّ والبحر .

القول في تأويل قوله

قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين برهيم سواء من الآلهة : إذا أنت استفهمتهم عن به يستعينون عند نزول الكرب بهم في البرِّ والبحر : الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم ، ينجيكم من عظيم النازل بكم في البرِّ والبحر ، من همَّ الضلال ، وخوف الهلاك ، ومن كرب كلِّ سوى ذلك وهمَّ ، لا آلهتكم التي تشركون بها في عبادته ، ولا أوثانكم التي تعبدونها من دونه ، التي لا تقدر لكم على نفع ولا ضرر ، ثم أنتم بعد تفضله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب ودفع الحال بكم من جسمهم المهمَّ تعدلون به آلهتكم وأصنامكم فتشركونها في عبادتكم إياه ، وذلك منكم جهل بواجب حقه عليكم ، وكفر لأياديه عندكم ، وتعرض منكم لإنزال عقوبته عاجلا بكم .

القول في تأويل قوله

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين برهيم غيره من الأصنام والأوثان يا محمد : إن الذي ينجيكم من ظلمات البرِّ والبحر ، ومن كلِّ كرب ، ثم تعودون للإشراك به ، هو القادر على أن يرسل عليكم عذابا من فوقكم ، أو من تحت أرجلكم لشرككم به ، وادعائكم معه إلها آخر غيره ، وكفرانكم نعمه ، مع إسباغه عليكم آلاءه ومينته .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى العذاب الذي توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، فقال بعضهم : أما العذاب الذي توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم : فالرجم . وأما الذي توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم : فالخسف .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ( عَدَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ) قال : الخسف .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن الأشجعي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمُ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ، أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ) قال : الخسف .  
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمُ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ) فعذاب السماء ( أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ) فيخسف بكم الأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمُ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ، أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ) قال : كان ابن مسعود يصيح وهو في المنبر ، أو على المنبر : ألا أيها الناس ، إنه نزل بكم ، إن الله يقول ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمُ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ) لوجاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا ( أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ) لوخسف بكم الأرض أهلككم ، ولم يبق منكم أحدا ( أَوْ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا وَيُدِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ) ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث .

وقال آخرون : عني بالعذاب من فوقكم : أئمة السوء ، أو من تحت أرجلكم : الخدم وسفلة الناس .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت خلادا يقول : سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول : إن ابن عباس كان يقول في هذه ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمُ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ) فأما العذاب من فوقكم : فأئمة السوء . وأما العذاب من تحت أرجلكم : فخدم السوء .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمُ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ) يعني : من أمرائكم ، ( أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ) يعني : سفلكم .

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندى قول من قال : عني بالعذاب من فوقهم : الرجم أو الطوفان ، وما أشبهه ، ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم . ومن تحت أرجلهم : الخسف وما أشبهه . وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل ، هو ذلك دون غيره ، وإن كان لما روى عن ابن

عباس في ذلك وجه صحيح ، غير أن الكلام إذا تنوزع في تأويله ، فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره ، ما لم يأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها .

القول في تأويل قوله ( أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ، وَيُدْرِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ) :

يقول تعالى ذكره : أو يخلطكم شيعة : فإنا ألبسه . وإنما قلت : إن ذلك كذلك ، لأنه لاخلاف بين القراء في ذلك بكسر الباء ، ففي ذلك دليل بَيِّن على أنه من لَبَسَ يَلْبِسُ ، وذلك هو معنى الخلط . وإنما عني بذلك : أو يخلطكم أهواء مختلفة ، وأحزابا مفرقة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ) الأهواء المفرقة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ) قال : يفرق بينكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ) قال : ما كان منكم من التفرق والاختلاف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ) قال الذي فيه الناس اليوم ، من الاختلاف والأهواء ، وسفك دماء بعضهم بعضا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ) قال : الأهواء والاختلاف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ) يعني بالشبيح : الأهواء المختلفة .

وأما قوله ( وَيُدْرِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ) فإنه يعني : يقتل بعضكم بيد بعض ، والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاح ، فيقتله به : قد أذاق فلان فلانا الموت ، وأذاقه بأسه ، وأصل ذلك من ذوق الطعام ، وهو يطعمه ، ثم استعمل ذلك في كل ما وصل إلى الرجل من لذة وحلاوة ، أو مرارة ومكروه وألم . وقد بينت معنى البأس في كلام العرب فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَيُدْرِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ) بالسيف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد ، عن أبي هارون العبدى ، عن نوف البكالى ، أنه قال في قوله : ( وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ) قال : هي والله الرجال في أيديهم الخراب ، يطعنون في خواصركم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ) قال : يسلط بعضهم على بعض بالقتل والعذاب . حدثنا سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : عذاب هذه الأمة أهل الإقرار بالسيف ( أَوْ يَكْبِتُكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ) وعذاب أهل التكذيب : الصيحة والزلزلة .

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية ، فقال بعضهم : عني بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيهم نزلت . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عيسى الدامغانى ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ) . . . الآية ، قال : فهن أربع ، وكلهن عذاب ، فجاء منهن اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ، فألبسوا شيعا ، وأذيق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان ، فهما لا بد واقعتان ، يعنى : الحسف والمسح . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ) لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعفاكم منه ( أَوْ يَكْبِتُكُمْ شَيْعًا ) قال : ما كان فيكم من الفتن والاختلاف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ) . . . الآية ، ذكر لنا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى ذات يوم الصبح فأظلم ، فقال له بعض أهله : يا نبي الله لقد صليت صلاة ما كنت تصلها ، قال : لأنها صلاة رغبة ورهبة ، ولأتى سألت ربي فيها ثلاثا ، سألته أن لا يسقط على أمي عدوا من غيرهم فيهلكهم ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يسقط على أمي السنة ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يكليسيهم شيئا ، ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فمَنَعَنِيهَا . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « لَأَنْزَلُ طَائِفَةً مِّنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ ، لَا يَبْضُرُهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » .

حدثنا أحمد بن الوليد القرشى وسعيد بن الربيع الرازى ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ، سمع جابرا يقول : « لما أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ

عَدَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) ؟ قال : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، أَوْ يَلْبِيسِكُمْ شَيْعًا ، وَيُدِّيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ قال : هاتان أيسر أو أهون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر ، قال : لما نزلت ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ) قال : نَعُوذُ بِكَ ، نَعُوذُ بِكَ ( أَوْ يَلْبِيسِكُمْ شَيْعًا ) قال : هُوَ أَهْوَنُ .

حدثني زياد بن عبيد الله المزني ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، قال : ثنا أبو مالك ، قال : ثنا نافع بن خالد الخزامي ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال : قَدْ كَانَتْ صَلَاةَ رَغَبَةٍ وَرَهْبَةٍ ، فَسَأَلْتُ اللَّهَ فِيهَا ثَلَاثًا ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ ، وَبَقِيَ وَاحِدَةٌ ، سَأَلْتُ اللَّهَ أَلَّا يُصِيبَكُمْ بِعَذَابٍ أَصَابَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْكُمْ عَدُوًّا يَسْتَبِيحُ بَيْتَكُمْ ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَلْبِيسَكُمْ شَيْعًا ، وَيُدِّيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ ، فَتَنَعْنِيهَا ، قال أبو مالك : فقلت له : أبوك سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم . سمعته يحدث بها القوم ، أنه سمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن شداد بن أوس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ مَلِكًا أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زَوَى لِي مِنْهَا ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَزْبَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ قَوْمِي بِسَنَةِ عَامَّةٍ ، وَأَلَّا يَلْبِيسَهُمْ شَيْعًا ، وَلَا يُدِّيقَ بَعْضَهُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ ، فقال : يا محمد : إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ ، وَإِنِّي أُعْطِيتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ ، وَلَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِّنْ سِوَاهُمْ فَيَهْلِكَهُمْ بِعَامَّةٍ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا ، وَبَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ، وَبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأُمَّةَ الْمُضِلِّينَ ، فَإِذَا وَضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن شداد بن أوس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا الْأُمَّةَ الْمُضِلِّينَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن الزهري ، قال : « رَأَى خِجَابَ بَنِ الْأَرْتِ ، وَكَانَ بَدْرِيًّا ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَصَلِي ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ وَكَانَ فِي الصُّبْحِ قَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ رَأَيْتُكَ تَصَلِي صَلَاةَ مَا رَأَيْتُكَ صَلَيْتَ مِثْلَهَا ، قَالَ : أَجَلٌ ، إِنَّهَا صَلَاةُ

رَعَبٍ وَرَهَبٍ ، سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثَ خِصَالٍ ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ ، وَمَتَّعَنِي وَاحِدَةً ، سَأَلْتُهُ  
أَلَا يُهْلِكُنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَّمَ ، فَأَعْطَانِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْنَا عَدُوًّا ، فَأَعْطَانِي ؛  
وَسَأَلْتُهُ أَلَا يَلْبِسُنَا شَيْعًا ، فَتَنَعَنِي .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله ( أو  
يَلْبِسُكُمْ شَيْعًا ) قال : راقب خباب بن الأرت ، وكان بدريا ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فذكر نحوه ، إلا أنه قال : ثلاث خصالات .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عمرو بن دينار ، قال :  
سمعت جابر بن عبد الله يقول : « لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ  
عَلَيْكُمْ عَدَايَاً مِنْ فَوْقِكُمْ ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ( أو مِنْ تَحْتِ  
أَرْجُلِكَ ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ( أو يَلْبِسُكُمْ شَيْعًا ) قال :  
هَذِهِ أَهْوَنُ » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، أن النبي صلى الله عليه  
وسلم قال : « سَأَلْتُ رَبِّي ، فَأَعْطَيْتُ ثَلَاثًا ، وَمُنِعْتُ وَاحِدَةً » : سَأَلْتُهُ أَلَا يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي  
عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ يُسْتَبِيحُ بَيْنَتَهُمْ ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ جُوعًا ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ  
فَأَعْطَيْتُهُمْ ؛ وَسَأَلْتُهُ أَلَا يَلْبِسُهُمْ شَيْعًا ، وَيُذَيِّقُ بَعْضَهُمْ بِأَسْبَابِ بَعْضٍ ، فَتَنِعْتُ » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي خِصَالًا ، فَأَعْطَانِي ثَلَاثًا ، وَمَتَّعَنِي وَاحِدَةً ،  
سَأَلْتُهُ أَلَا تَكْفُرَ أُمَّتِي صَفْقَةً وَاحِدَةً ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَلَا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا  
مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَعْطَانِيهَا ؛ وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الْأُمَّمَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،  
فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَلَا يَجْعَلَ بِأَسْمِهِمْ بَيْنَهُمْ ، فَتَنَعَنِيهَا » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، قال : لما نزلت  
هذه الآية ، قوله ( وَيُذَيِّقُ بَعْضَكُمْ بِأَسْبَابِ بَعْضٍ ) قال الحسن : ثم قال محمد صلى الله عليه وسلم ،  
وهو يشهده عليهم ( انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ) فقام رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، فتوضأ ، فسأل ربه ألا يرسل عليهم عذابا من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، ولا يلبس أمته شيئا ،  
ويذيق بعضهم بأس بعض ، كما أذاق بني إسرائيل ، فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إنك سألت  
ربك أربعا ، فأعطاك اثنتين ، ومنعك اثنتين : لن يأتيهم عذاب من فوقهم ، ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم ،  
فإنهما عذابان لكل أمة اجتمعت على تكذيب نبيها ، ورد كتاب ربه ، ولكنهم يلبسهم شيئا ، ويذيق بعضهم  
بأس بعض ، وهذان عذابان لأهل الإقرار بالكتاب ، والتصديق بالأنبياء ، ولكن يعذبون بذنوبهم ، وأوحى إليه  
( فَإِنَّمَا تَذُوهَبُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ) يقول : من أمتك ( أو تُرِيَنَّكَ النَّدَى وَعَدَنَاهُمْ ) من

العذاب وأنت حيّ (فإنّا علىٰهم مُّقْتَدِرُونَ) فقام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، فراجع ربه، فقال: «أىّ مُصِيبَةٍ أَشَدَّ مِنْ أَنْ أَرَىٰ أُمَّتِي يُعَذَّبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَأُوحَىٰ إِلَيْهِ (أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُسْرِكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ). فأعلمه أن أمته لم تُخصَّ دون الأمم بالفتن، وأنها ستبلى كما ابتليت الأمم، ثم أنزل عليه (قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ، رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، فتعوذ نبيّ الله، فأعاده الله، لم ير من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة، ثم أنزل عليه آية حذرت فيها أصحابه الفتنة، فأخبره أنه إنما يُخصَّ بها ناس منهم دون ناس، فقال (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) فخصَّ بها أقواما من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعده، وعصمَ بها أقواما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: لما جاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما يكون في أمته من الفرقة والاختلاف، فشقّ ذلك عليه، ثم دعا فقال: اللهم أظهر عليهم أفضلهم تقيّة.

حدثني المثني، قال: ثنا أبو الأسود، قال: أخبرنا ابن طبيعة، عن خالد بن يزيد، عن أبي الزبير، قال: لما نزلت هذه الآية (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»، قال: (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) قال: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»، قال (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا) قال: هذه أيسر، ولو استعاذه لأعاده.

حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا المؤمل البصري، قال: أخبرنا يعقوب بن إسماعيل بن يسار المدني، قال: ثنا زيد بن أسلم، قال: لما نزلت (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ، أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا، وَيُدْخِقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ترجعوا بعدى كفارًا يتضرب بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ بالسيوف، فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله؟ قال: نعم، فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبدا، فأنزل الله (انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ. وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ، قُلْ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ). وقال آخرون: عني ببعضها أهل الشرك، وبعضها أهل الإسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثني، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن هارون بن موسى، عن حفص بن سليمان، عن الحسن، في قوله (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) قال: هذا للمشركين (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا، وَيُدْخِقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) قال: هذا للمسلمين.

والصواب من القول عندي أن يقال: إن الله تعالى توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان،

ولإياهم خاطب بها ، لأنها بين إخبار عنهم ، وخطاب لهم ، وذلك أنها تنلو قوله ( قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً : لَيْسَ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنْكُوتِنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ . قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ، ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ) . ويتلوها قوله ( وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ) وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين ، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك ، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين ، كان بيننا أن ذلك وعيد لمن تقدم وصف الله إياه بالشرك ، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب ، لالمن لم يجر له ذكر ، غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فإنه قد عمَّ وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله ، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها . وأما الأخبار التي رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سألتُ رَبِّي ثَلَاثًا ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ ، وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً » ، فجائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيدا لن ذكرت من المشركين ، ومن كان على مينا جههم من المخالفين ربههم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيد أمته ، مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى بمعصيتهم إياه هذه العقوبات ، فأعادهم بدعائه إياه ، ورغبته إليه ، من المعاصي التي يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها ، ولم يعدهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها . وأما الذين تأولوا أنه عني بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة ، فإني أراهم تأولوا أن في هذه الأمة من سيأتى من معاصي الله ، وركوب ما يسخط الله ، نحو الذي ركب من قبلهم من الأمم السالفة ، من خلافه والكفر به ، فيحل بهم مثل الذي حلَّ بمن قبلهم من المثلات والنقيمات ، وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله : جاء منهن اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ، وبقيت اثنتان : الحسف والمسح ؛ وذلك أنه رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ ، وَإِنْ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِي سَيَبْيِطُونَ عَلَى ظُهُورِ وَلَعِيبٍ ، ثُمَّ يُصْبِحُونَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ » ، وذلك إذا كان ، فلا شك أنه نظير الذي في الأمم الذين عتوا على ربههم في التكذيب ، وجحدوا آياته . وقد رُوِيَ نحو الذي رُوِيَ عن أبي العالية ، عن أبي .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا سفيان ، قال : أخبرنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ قَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ، أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ) قال : أربع خلال ، وكلهن عذاب ، وكلهن واقع قبل يوم القيامة ، فمضت اثنتان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة : ألبسوا شيعة ، وأذيق بعضهم بأس بعض ، وثنتان واقعتان لا محالة : الحسف ، والرجم .

القول في تأويل قوله ( انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ) :

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذبين برههم ، الجاحدين نعمه ، وتصريفناها فيهم ( لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ) يقول : ليفقهوا ذلك



ويعتبروه، فيذكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون، مما يسخطه الله منهم من عبادة الأوثان والأصنام، والتكذيب بكتاب الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ، قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ؛ (٦٦) لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ،  
وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره (وَكَذَّبَ) يا محمد (قَوْمُكَ) بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد، (وَهُوَ الْحَقُّ): يقول: والوعيد الذي أوعدناهم على مقامهم على شركهم، من بعث العذاب من فوقهم، أو من تحت أرجلهم، أو لبئسهم شيعا، وإذاقة بعضهم بأس بعض، الحق الذي لاشك فيه أنه واقع، إن هم لم يتوبوا وبنبوا مما هم عليه مقيمون، من معصية الله والشرك به، إلى طاعة الله والإيمان به. (قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ): يقول: قل لهم يا محمد: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما أنا رسول أبلغكم مما أرسلت به إليكم (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ) يقول: لكل خير مُسْتَقَرٌّ، يعنى قَرَارٌ يَسْتَقَرُّ عنده، ونهاية ينتهى إليها، فيتبين حقه وصدقه، من كذبه وباطله. (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) يقول: وسوف تعلمون أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به، من وعيد الله إياكم أيها المشركون، وحقبته عند حلول عذابه بكم، فأروا ذلك وعابنوه، فقتلهم يومئذ بأيدي أوليائه من المؤمنين.

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ): يقول: كذبت قريش بالقرآن، وهو الحق. وأما الوكيل: فالحفيظ. وأما (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ) فكان نبي القرآن استقر يوم بدر، بما كان يعدهم من العذاب.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ): لكل نبي حقيقة، إما في الدنيا، وإما في الآخرة (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ): ما كان في الدنيا فسوف ترونه، وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ) يقول: حقيقة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عبيد الله بن رافع، قال: ثنا أبي، عن ابن عباس، قوله (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ): يقول: فعل وحقيقة، ما كان منه في الدنيا، وما كان منه في الآخرة. وكان الحسن يتأول في ذلك، أنه الفتنة التي كانت بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جعفر بن حيان ، عن الحسن أنه قرأ ( لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ ) قال : حُبِسَتْ عقوبتها ، حتى عمل ذنبا ، أرسلت عقوبتها .

القول في تأويل قوله

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ،  
وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم ( وَإِذَا رَأَيْتَ ) يا محمد المشركين ( الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ) التى أنزلناها إليك ، ووحينا الذى أوحينا إليك . وخوضهم فيها : كان استهزاءهم بها ، وسبهم من أنزلها ، وتكلم بها ، وتكذيبهم بها . ( فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ) يقول : فصد عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم . ( حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ) يقول : حتى يأخذوا فى حديث غير الاستهزاء بآيات الله ، من حديثهم بينهم . ( وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ) يقول : وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم ، والإعراض عنهم ، فى حال خوضهم فى آياتنا ، ثم ذكرت ذلك ، فقم عنهم ، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين ، الذين خاضوا فى غير الذى لهم الخوض فيه ، بما خاضوا به فيه ، وذلك هو معنى ظلمهم فى هذا الموضع .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ) قال : نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون فى آيات الله يكذبون بها ، فإن نسى فلا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك وسعيد بن جبير ، فى قوله ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ) قال : الذين يكذبون بآياتنا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ) ، وإمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) قال : كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقَعُوا فى النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن ، فسبوه واستهزءوا به ، فأمرهم الله ألا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره .

وأما قوله ( وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ) يقول : نَسِيَتْ ، فتقعد معهم ، فإذا ذكرت فقم .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَخْضُونَ فِي آيَاتِنَا ) قال : يكذبون بآياتنا .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن أبي جعفر ، قال : لا تجالسوا أهل الخصومات ، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْضُونَ فِي آيَاتِنَا ) ، وقوله ( الَّذِينَ فَتَرُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ) ، وقوله ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ ) وقوله ( أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ) ، ونحو هذا في القرآن ، قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْضُونَ فِي آيَاتِنَا ) قال : يستهزون بها ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعد معهم إلا أن ينسى ، فإذا ذكر فليقم ، فذلك قوله ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ) حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإما ينسيتك الشيطان فلا تعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ) قال ابن جريج : كان المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسموا منه ، فإذا سمعوا استهزوا ، فنزلت ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ) . . . الآية . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْضُونَ فِي آيَاتِنَا ) قال : يكذبون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قوله ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ) حتى يخوضوا في حديث غيره ( يعني : المشركين ) ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ) . . . الآية . إن نسبت فذكرت ، فلا تجلس معهم .

#### القول في تأويل قوله

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره : ومن اتقى الله فخافه ، فأطاعه فيما أمره به ، واجتنب ما نهاه عنه ، فليس عليه بترك الإعراض عن هؤلاء الخائضين في آيات الله ، في حال خوضهم في آيات الله ، شيء من تبعه فيما بينه وبين الله ، إذا لم يكن تركه الإعراض عنهم رضا بما هم فيه ، وكان الله بحقوقه متقيا ، ولا عليه من إثمهم بذلك حرج ، ولكن ليُعْرِضُوا عنهم حينئذ ( ذِكْرِي ) لأمر الله ( لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) يقول : ليتقوا . ومعنى الذكري :

الذكر ، والذكر والذكرى <sup>١</sup> بمعنى ، وقد يجوز أن يكون ذكرى في موضع نصب ورفع ، فأما النصب فعلى ما وصفت من تأويل : ولكن ليعرضوا عنهم ذكرى . وأما الرفع فعلى تأويل : وما على الذين يتقون من حسابهم شيء بترك الإعراض ، ولكن إعراضهم ذكرى لأمر الله ، لعلهم يتقون . وقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمر بالقيام عن المشركين إذا خاضوا في آيات الله ، لأن قيامه عنهم كان مما يكرهونه ، فقال الله له : إذا خاضوا في آيات الله فقم عنهم ليتقوا الخوض فيها ، ويتركوا ذلك .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كان المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزءوا ، فنزلت ( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ) . . . الآية ، قال : فجعل إذا استهزءوا قام فحذروا وقالوا : لانستهزءوا فيقوم ، فذلك قوله ( لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) أن يخوضوا فيقوم ، ونزل ( وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ) إن قعدوا معهم ، ولكن لانقعدوا ، ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة ( وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ، فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ) ، فنسخ قوله ( وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ) . . . الآية .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ) يقول : من حساب الكفار من شيء ( وَلَكِنْ ذِكْرِي ) يقول : إذا ذكرت فقم ( لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) مساء تكم ، إذا رأوكم لانجالسونهم ، استحبوا منكم فكفوا عنكم ، ثم نسخها الله بعد ، فنهاهم أن يجلسوا معهم أبدا ، قال ( وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا ) . . . الآية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ) إن قعدوا ، ولكن لانقعد .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ( وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي ) قال : وما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك .

#### القول في تأويل قوله

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ، وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَذَكَرَ بِهِ أَنْ يُبْسَلَ نَفْسٌ

(١) في العبارة تكرار ، ولله من الناسخ .

بِمَا كَسَبَتْ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ، وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدْلًا لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا،  
أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا، لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)  
يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم: ذَرَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُمْ إِيَّاهُ لَعِبًا وَلَهْوًا،  
فَجَعَلُوا حَظْوَهُمْ مِنْ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ اللَّعِبَ بِآيَاتِهِ، وَاللَّهُوَ وَالاسْتِهْزَاءُ بِهَا، إِذَا سَمِعُوهَا وَتَلَّيْتُمْ عَلَيْهَا، فَأَعْرَضَ  
عَنْهَا، فَإِنِّي لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، وَإِنِّي لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَالْعُقُوبَةُ لَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ، وَعَلَى اغْتِرَارِهِمْ  
بِزِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنِسْيَانِهِمُ الْمَعَادَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمَصِيرَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

كالذي حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد،  
في قول الله (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا) قال كقولهم (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا).  
حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.  
وقد نسخ الله تعالى هذه الآية بقوله (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وكذلك قال عدد  
من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا همام بن يحيى، عن قتادة (وَذَرِ الَّذِينَ  
اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا)، ثم أنزل في سورة براءة، فأمر بقتلهم.  
حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبدة بن سليمان، قال: قرأت على ابن أبي عروبة، فقال: هكذا سمعته  
من قتادة (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا)، ثم أنزل الله تعالى ذكره براءة، وأمر بقتلهم،  
فقال (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ).

وأما قوله (وَذَكَرُ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ) فإنه يعني به: وذَكَرُ بِمُحَمَّدٍ بِهَذَا  
الْقُرْآنِ، هَؤُلَاءِ الْمَوْلِينَ عَنْكَ وَعَنْهُ، أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ: بمعنى: أَنْ لَا تَبْسَلَ، كَمَا قَالَ (يُبْسِيْنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ  
تَضِلُّوْا) بمعنى: أَنْ لَا تَضِلُّوْا. وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ: وَذَكَرُ بِهِ لِيُؤْمِنُوا وَيَتَّبِعُوا مَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ  
الْحَقِّ، فَلَا تُبْسَلَ أَنْفُسُهُمْ بِمَا كَسَبَتْ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَلَكِنْ حَذَفَتْ «لَا» لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا.  
وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ) فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: أَنْ تُسَلَّمَ.  
ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن  
عكرمة، قوله (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ) قال: تُسَلَّمَ.  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ)  
قال: أَنْ تُسَلَّمَ.

(١) في اللسان: أبسلت فلانا: إذا أسلمته للهلكة. فهو يبسل. وقال الأزهري في معنى الآية: أي لئلا تسلم نفس إلى العذاب بعملها.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، مثله .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد  
 في قول الله تعالى ذكره ( أَنْ تُبْسَلَ ) قال : تُسَلَّم .  
 حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَنْ تُبْسَلَ  
 نَفْسٌ ) قال : تُسَلَّم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا ) :  
 أُسْلِمُوا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تُحْبَس .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ )  
 قال : تُؤْخَذُ فَتُحْبَس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ ) بِمَا  
 كَسَبَتْ ) : أَنْ تُؤْخَذَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ .  
 وقال آخرون : معناه : تُفْضَح .  
 ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَذَكَرَ بِهِ  
 أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ ) بِمَا كَسَبَتْ ) يقول : تُفْضَح .  
 وقال آخرون : معناه : أَنْ تُجْزَى .  
 ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : قال الكلبي ( أَنْ  
 تُبْسَلَ ) : أَنْ تُجْزَى . وأصل الإيسال : التحريم ، يقال منه : أَبْسَلْتَ المكان : إذا حرّمته فلم تقربه ،  
 ومنه قول الشاعر :

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسَلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعَيْبَانِي<sup>١</sup>

أى حرام ، ومنه قولهم : وعياني أسد أسد<sup>٢</sup> ، يراد به : لا يقربه شيء ، فكأنه قد حرّم نفسه ، ثم يجعل ذلك

(١) البيت لضمرة بن ضمرة النهشل ، أنشده أبو زيد الأنصاري في كتابه النوادر ( طبعة بيروت ١٨٩٤ عن المفضل الضبي ) .  
 وقال أبو حاتم : بكرت : أى عجلت ، ولم يرد بكور الفدو ، ومنه باكورة الفاكية : للشيء المستعجل وتقول : أنا أبكر العشية  
 فآتيك : أى أعجل ذلك وأسرع ، ولم يرد الفدو ، ألا تراه يقول : بعد وهن : أى بعد نومة . والندى : السخاء والغطاء ، فلامته  
 في ذلك ، وأمرته بالإمساك . وبسل عليك : حرام عليك . وأنشده صاحب اللسان في بسل ، كما رواه المؤلف .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله : وجتاني أسد بسل : يراد به الخ .

صفة لكل شديد يتحامي لشدة، ويقال: أعطى الراقى بسيلته، يراد بذلك: أجرته، وشراب بسيل: بمعنى متروك، وكذلك المُبْسَل بالخربرة، وهو المرتين بها، قيل له مُبْسَل: لأنه محرم من كل شيء إلا ممارهن فيه، وأسلم به؛ ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابي:

وإبْسَالِي بَيْئٌ بِغَيْبِ جُرْمٍ بَعُونَاهُ وَلَا بِيَدِمٍ مُرَاقٍ

وقال الشنفرى:

هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسْرُنِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجُرَائِرِ

فتأويل الكلام إذن: وذكر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون في آياتنا، وغيرهم ممن سلك سبيلهم من المشركين، كيلا تُبْسَل نفس بذنوبها، وكفرها بربها، وتُرْتَبِن فتغلق بما كسبت من إجرامها في عذاب الله (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول: ليس لها حين تسلم بذنوبها، فترتبين بما كسبت من آثامها أحد ينصرها، فينقذها من الله الذي جازاها بذنوبها جزاءها، ولا شفيع يشفع لها، لو سيلة له عنده.

القول في تأويل قوله (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا):

يقول تعالى ذكره (وَإِنْ تَعْدِلْ) النفس التي أُبْسِلت بما كسبت، يعنى وإن تعدل (كُلُّ عَدْلٍ) يعنى: كل فداء، يقال منه: عدل يعدل: إذا فدى عدلاً. ومنه قول الله تعالى ذكره (أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا) وهو ما عادله من غير نوعه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا) قال: لو جاءت بملء الأرض ذهباً لم يقبل منها.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدى في قوله (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا) فما يتعد لها، لو جاءت بملء الأرض ذهباً لفتدى به، ما قبيل منها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا) قال: وإن تعدل: وإن تفتد، يكون له الدنيا وما فيها يفتدى بها، لا يؤخذ منه عدلاً عن نفسه، لا يقبل منه. وقد تأول ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى: وإن تنقسط كل قسط لا يقبل منها؛

(١) البيت لعوف بن الأحوص بن جعفر الكلابي (اللسان: بسل) قال عن أبي الهيثم: أسلته بجريرته: أى أسلمته بها، قال: ويقال: جزيته بها. وروايته: «بدم قراض» قال: وفي الصحاح: بدم مراق. قال الجوهري: وكان حمل عن غنى لبنى قشير دم ابنى السجيفة، فقالوا: لا أرضى بك، فرهنهم بنيه، طلباً للصلح. وأورده أيضاً في (بما) منسوباً لعوف بن الأحوص. وقال ابن برى: البيت لعبد الرحمن بن الأحوص. قال ابن الأعرابي: يعوت عليهم شراً: سفته واجترته. قال: ولم أسمعه في الخبر.

(٢) البيت للشنفرى، أورده صاحب اللسان في (بسل) وقال: أسلنت فلانا: إذا أسلمته للهلكة، فهو مبسل. وسمير الليالي: آخرها، واستشهد عليه (اللسان) بيت الشنفرى أيضاً.

وقال : إنها التوبة في الحياة ، وليس لما قال من ذلك معنى ، وذلك أن كل تائب في الدنيا ، فإن الله تعالى يقبل توبته .

القول في تأويل قوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ، كَلِمٌ شَرَابٌ حَمِيمٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين إن قدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كل فداء ، لم يؤخذ منهم هم ( الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ) يقول : أسلموا لعذاب الله ، فرهنوا به ، جزاء بما كسبوا في الدنيا من الآثام والأوزار ( كَلِمٌ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ) والحميم : هو الحار في كلام العرب ، وإنما هو محموم صرف إلى فعل ، ومنه قيل للحمام : حَمَامٌ ، لإخفائه الجسم ؛ ومنه قول مُرْقَشٍ :

فِي كُلِّ مُنْسَى لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُّعَدٌّ وَحَمِيمٌ<sup>١</sup>

يعنى بذلك ماء حاراً ؛ ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في صفة فرس :

تَأْتِي بِدِرْتِهَا إِذَا مَا اسْتَعْضِيتْ إِلَّا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَّبَعُ<sup>٢</sup>

يعنى بالحميم : عرق الفرس ، وإنما جعل تعالى ذكره هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية شراباً من حميم ، لأن الحار من الماء لا يروى من عطش ، فأخبر أنهم إذا عطشوا في جهنم لم يغاثوا بماء يرويه ، ولكن بما يزيدون به عطشا على ما بهم من العطش . ( وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ) يقول : ولهم أيضا مع الشراب الحميم من الله العذاب الأليم ، والهوان المقيم ( بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ) يقول : بما كان من كفرهم في الدنيا بالله ، وإنكارهم توحيدَهُ ، وعبادتهم معه آلهة دونه .

(١) البيت لمُرْقَشٍ الأصغر (اللسان : قطر) بلفظه في كل يوم لها مقطرة ، واستشهد به على أن المقطرة بوزن اسم الآلة : المبر . والحميم : الماء الحار تمم به . والكباء بالذ : هو البخور . أو هو ضرب من العود والذخنة . وأورده أيضا في (حم) بلفظه « كل عشاء » في موضع « كل منسى » . شاعدا على أن الحميم : الماء الحار . ثم قال : وحكى شر عن ابن الأعرابي : الحميم إن شئت كان ماء حارا ، وإن شئت كان جرا تتبخر به . قال الأزهري : الحميم عند ابن الأعرابي من الأضداد ، يكون الماء البارد ، ويكون الماء الحار .

(٢) البيت لأبي ذؤيب في عينيته المشهورة ، أنشده صاحب اللسان في (بضع) شاعدا على أن معنى تبضع الشيء : سأل . يقال : جبهته تبضع وتبضع : أي تسيل عرقا ، وأنشد لأبي ذؤيب . . . البيت . وقال : يتبضع : يفتح بالعرق ، ويسيل متقطعا . قال : وكان أبو ذؤيب لا يجيد في وصف الخيل ، وظن أن هذا مما توصف به . قال ابن بري : يقول : تأتي هذه الفرس أن تدر لك بما عندها من جرى إذا استغضبت ؛ لأن الفرس الجواد إذا أعطك من البرى عفوا ، فأكرهته على الزيادة ، حملته عزة النفس على ترك العدو . يقول : هذه تأتي بدرتها عند إكراهها ، ولا تأتي العرق . قال : ووقع في نسخة ابن القطاع : إذا ما استغضبت ، وفسره بفرعيت ، لأن الضاغب : هو الذي يختبئ في الخمر ، ليفزع بمثل صوت الأسد . والضغاب : صوت الأرنب .

قلت : ورواية ابن القطاع مثل رواية المؤلف ، فهي إذن صحيحة . وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثانية في (بضع) بلفظه يتبضع ، بالصاد المهملة ، وقال : تبضع : تبع من أصول الشعر قليلا قليلا . والبصيع : العرق إذا رشح . وهذه هي رواية ابن دريد . قال الأزهري : وروى الثقات هذا الحرف بالصاد المعجمة ، من تبضع الشيء : أي سأل . قال : وهكذا رواه الرواة في شعر أبي ذؤيب ، وابن دريد أخذ هذا من كتاب ابن المظفر ، فر على التصحيف الذي صفه . قال صاحب اللسان : والظاهر أن الشيخ ابن بري لثما في التصحيف ، فإنه ذكره في كتابه الذي صنعه على الصحاح في ترجمة بصع : يتبضع ، بالصاد المهملة ، ولم يذكره الجوهري في صحاحه في هذه الترجمة ، وذكره ابن بري أيضا موافقا للجوهري في ذكره في ترجمة بصع ، بالصاد المعجمة .

والبيت في شعر أبي ذؤيب في ديوان الهذليين (طبعة دار الكتب المصرية ص ١٧) وفيه : « استكرهت » في موضع : استغضبت .



حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا ) قال : يقول : أُسْلِمُوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا ) قال : فُضِّحُوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا ) قال : أخذوا بما كسبوا .

#### القول في تأويل قوله

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ، وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ، كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتِنَا ، قُلْ : إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ ، وَأَمِرٌ نَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم على حُجَّتِهِ على مشركي قومه من عبدة الأوثان ؛ يقول له تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد ، والآمرين لك باتباع دينهم ، وعبادة الأصنام معهم ، أندعو من دون الله حَجْرًا أو خشبًا لا يقدر على نفعنا ، أو ضررنا ، فنخصه بالعبادة دون الله ، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت ، إن كنتم تعقلون ، فتميزون بين الخير والشر ، فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يُرْتَجَى نفعه ، ويُرْتَهَبُ ضرره ، أحق وأولى من خدمة من لا يرجي نفعه ، ولا يخشى ضرره . ونرد على أعقابنا ، يقول : ونرد إلى أديبارنا ، فترجع القهقهة خالفنا ، لم نظفر بحاجتنا . وقد بينا معنى الرد على العقب ، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها : رد على عقبيه ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وإنما يراد به في هذا الموضع : ونرد من الإسلام إلى الكفر ، بعد إذ هدانا الله ، فوفقنا له ، فيكون مثلنا في ذلك ، مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان يهوى في الأرض حيران . وقوله ( اسْتَهْوَتْهُ ) : استغلتته ، من قول القائل : هوى فلان إلى كذا يهوى إليه ، ومن قول الله تعالى ذكره ( فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ يَهْوَى إِلَيْهِمْ ) بمعنى : تنزع إليهم وتُرِيدُهُمْ . وأما حيران : فإنه فعلان ، من قول القائل : قد حار فلان في الطريق ، فهو يحار فيه حيرة وحيرانا وحيرورة ، وذلك إذا ضل فلم يهتد للمحاجة ، له أصحاب يدعونه إلى الهدى ، يقول لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الأرض أصحاب على المحجة واستقامة السبيل ، يدعونه إلى التحججة لطريق الهدى الذي هم عليه ، يقولون له : اتنا ، وترك إجراء حيران ، لأنه فعلان ، وكل اسم كان على فعلان مما أثناه فعلى ، فإنه لا يجرى في كلام العرب ، في معرفة ولا نكرة ، وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد إيمانه ، فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه ، المقيمون على الدين الحق ، يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه

مقيمون ، والصواب الذي هم به متمسكون ، وهو له مفارق ، وعنه زائل ، يقولون له : ائتنا ، فكن معنا على استقامة وهدى ، وهو يأبى ذلك ، ويتبع دواعى الشيطان ، ويعبد الآلهة والأوثان .  
وبمثل الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل ، وخالف في ذلك جماعة .  
ذكر من قال ذلك مثل ما قلنا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قُلْ أَتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ، وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ، كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ) قال : قال المشركون للمؤمنين اتبعوا سبيلنا ، واتركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تعالى ذكره : قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا : هذه الآلهة ، ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، فيكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين في الأرض ، يقول : مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان ، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق ، فضل الطريق ، فحيرته الشياطين ، واستهوته في الأرض ، وأصحابه على الطريق ، فجعلوا يدعونه إليهم ، ويقولون ائتنا فإننا على الطريق ، فأبى أن يأتيهم ، فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد ومحمد الذي يدعو إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( أَتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا ، وَلَا يَضُرُّنَا ، وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا ) قال : هذا مثل ضربه الله للآلهة ، ومن يدعو إليها ، وللدعاة الذين يدعون إلى الله ، كمثل رجل ضل عن الطريق ، إذ ناداه مناد يا فلان بن فلان ، هلم إلى الطريق ، وله أصحاب يدعونه : يا فلان ، هلم إلى الطريق ، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به ، حتى يلقى في الهلكة ، وإن أجاب من يدعو إلى الهدى اهتدى إلى الطريق ، وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان ، يقول : مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله ، فإنه يرى أنه في شيء ، حتى يأتيه الموت ، فيستقبل الهلكة والندامة ، وقوله ( كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ) : وهم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جدّه ، فيتبعها ، فيرى أنه في شيء ، فيصبح وقد ألقته في الهلكة ، وربما أكلته أو تلقيه في مضلة من الأرض ، يهلك فيها عطشا ، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ) قال : أضلته في الأرض حيران .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ) قال : الأوثان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ( اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ) قال : رجل حيران يدعو أصحابه إلى الطريق ، كذلك مثل من يضل بعد إذ هدى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : ثنا رجل ، عن مجاهد ، قال : حَيْرَان : هذا مثل ضربه الله للكافر ، يقول : الكافر حيران ، يدعو المسلم إلى الهدى ، فلا يجيب .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ أَتَدْعُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ) حتى بلغ ( لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) علمها الله محمدا وأصحابه ، يخاصمون بها أهل الضلالة .

وقال آخرون في تأويل ذلك ، بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أني ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ، لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ) : فهو الرجل الذي لا يستجيب هدى الله ، وهو رجل أطاع الشيطان ، وعمل في الأرض بالمعصية ، وحار عن الحق ، وضل عنه ، وله أصحاب يدعوونه إلى الهدى ، ويزعمون أن الذي يأمرونه هُدًى ، يقول الله ذلك لأولياهم من الإنس : إن الهدى هدى الله ، والضلالة ما تدعو إليه الجن ، فكان ابن عباس على هذه الرواية يرى أن أصحاب هذا الحيران الذين يدعوونه ، إنما يدعوونه إلى الضلال ، ويزعمون أن ذلك هدى ، وأن الله أكذبهم بقوله ( قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ) لاما يدعو إليه أصحابه . وهذا تأويل له وجه ، لو لم يكن الله سمى الذي دعا الحيران إليه أصحابه هُدًى ، وكان الخبر بذلك عن أصحابه الدعاء له إلى مادعوه إليه ، أنهم هم الذين سمّوه ، ولكن الله سماه هُدًى ، وأخبر عن أصحاب الحيران أنهم يدعوونه إليه ، وغير جائز أن يسمى الله الضلال هدى ، لأن ذلك كذب ، وغير جائز وصف الله بالكذب ، لأن ذلك وصفه بما ليس من صفته . وإنما كان يجوز توجيه ذلك إلى الصواب ، لو كان ذلك خبرا من الله عن الداعي الحيران ، أنهم قالوا له : تعال إلى الهدى ، فأما ، وهو قائل : يدعوونه إلى الهدى ، فغير جائز أن يكون ذلك ، وهم كانوا يدعوونه إلى الضلال .

وأما قوله ( اثنتينا ) فإن معناه : يقولون : اثنتا ، هلم إلينا ، فحذف القول ، لدلالة الكلام عليه ، وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : يدعوونه إلى الهدى بيئنا .

حدثنا بذلك ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال في قراءة عبد الله : يدعوونه إلى الهدى بيئنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول في قراءة ابن مسعود ( له أصحاب يدعوونه إلى الهدى بيئنا ) ، قال : الهدى : الطريق ، أنه بيئ . وإذا قرئ ذلك كذلك ، كان البيئ من صفة الهدى ، ويكون نصب البيئ على التقطع من الهدى ، كأنه قيل : يدعوونه إلى الهدى البيئ ، ثم نصب البيئ لما حذف الألف واللام ، وصار نكرة من صفة المعرفة ، وهذه القراءة التي ذكرناها عن ابن مسعود ، تؤيد قول من قال : الهدى في هذا الموضع : هو الهدى على الحقيقة .

القول في تأويل قوله ( قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ، وَأْمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، القائلين لأصحابك : اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ، فإننا على هدى ، ليس الأمر كما زعمتم ( إنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ) يقول : إن طريق الله الذى بينه لنا وأوضحه ، وسبيله الذى أمرنا بلزومه ، ودينه الذى شرعه لنا فبينه ، هو الهدى والاستقامة التى لاشك فيها ، لاعادة الأوثان والأصنام التى لانضر ولا تنفع ، فلا نترك الحق ، ونتبع الباطل . ( وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) يقول : وأمرنا ربنا ورب كل شئ ، تعالى وجهه ، لنسليم له : لنخضع له ، بالذلة والطاعة والعبودية ، فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة . وقد بينا معنى الإسلام بشواهد فى مضى من كتابنا ، بما أغنى عن إعادته . وقيل ( وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ ) بمعنى : وأمرنا كى نسلم ، وأن نسلم لرب العالمين ، لأن العرب تضع كى واللام التى بمعنى كى مكان أن ، وأن مكانها .

القول فى تأويل قوله

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَاتَّقَوْهُ ، وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : وأمرنا : أن أقيموا الصلاة ، وإنما قيل ( وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ) فعطف بأن على اللام من ( لِنُسَلِّمَ ) لأن قوله : لنسلم ، معناه : أن نسلم ، فردّ قوله ( وَأَنْ أَقِيمُوا ) على معنى : لنسلم إذ كانت اللام التى فى قوله : لنسلم ، لأمّا لاتصحب إلا المستقبل من الأفعال ، وكانت أن من الحروف التى تدلّ على الاستقبال دلالة اللام التى فى لنسلم ، فعطف بها عليها ، لاتفاق معنيهما فيما ذكرت ، فإن فى موضع نصب بالردّ على اللام ، وكان بعض نحوى البصرة يقول : إما أن يكون ذلك : أمرنا لنسلم لرب العالمين ، وأن أقيموا الصلاة ، يقول : أمرنا كى نسلم ، كما قال ( وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) : أى إنما أمرت لذلك ، ثم قال ( وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ) واتقوه : أى أمرنا : أن أقيموا الصلاة ، أو يكون أوصل الفعل باللام ، والمعنى : أمرت أن أكون ، كما أوصل الفعل باللام فى قوله ( هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ) .

فتأويل الكلام : وأمرنا بإقامة الصلاة ، وذلك أداؤها بمحدودها التى فرضت علينا . ( وَاتَّقَوْهُ ) يقول : واتقوا رب العالمين الذى أمرنا أن نسلم له ، فخافوه ، واحذروا سمّطه ، بأداء الصلاة المفروضة عليكم ، والإذعان له بالطاعة ، وإخلاص العبادة له ( وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ) يقول : وربكم رب العالمين ، هو الذى إليه تحشرون ، فتجمعون يوم القيامة ، فيجازى كلّ عامل منكم بعمله ، وتؤتى كل نفس ما كسبت .

القول فى تأويل قوله

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَلَهُ الْمُلْكُ ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء العادلين برهبهم الأنداد ، الداعيك إلى عبادة الأوثان : أميرنا لنسلم لرب العالمين ، الذي خلق السموات والأرض بالحق ، لا من لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( بالحق ) فقال بعضهم : معنى ذلك : وهو الذي خلق السموات والأرض حقا وصوابا ، لا باطلا وخطأ ، كما قال تعالى ذكره ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ) قالوا : وأدخلت فيه الباء والألف واللام ، كما تفعل العرب في نظائر ذلك ، فتقول : فلان يقول بالحق ، بمعنى أنه يقول الحق ، قالوا : ولا شيء في قوله بالحق غير إصابته الصواب فيه ، لأن الحق معنى غير القول ، وإنما هو صفة للقول إذا كان بها القول ، كان القائل موصوفا بالقول بالحق ، وبقول الحق ، قالوا : فكذلك خلق السموات والأرض حكمته من حكم الله ، فالله موصوف بالحكمة في خلقهما ، وخلق ما سواهما من سائر خلقه ، لأن ذلك حق سوى خلقهما به .

وقال آخرون : معنى ذلك : خلق السموات والأرض بكلامه ، وقوله لهما ( ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ) . قالوا : فالحق في هذا الموضع معنى به كلامه ، واستشهدوا لقيام ذلك بقوله ( وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ ) الحق : هو قوله وكلامه . قالوا : والله خلق الأشياء بكلامه وقيله ، كما خلق به الأشياء غير المخلوقة ، قالوا : فإذا كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غير مخلوق . وأما قوله ( وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ) فإن أهل العربية اختلفوا في العامل ( في يومَ يَقُولُ ) وفي معنى ذلك : فقال بعض نحوي البصرة : اليوم مضاف إلى يقول : كن فيكون ، قال : وهو نصب وليس له خبر ظاهر ، والله أعلم ، وهو على ما فسرت لك ، كأنه يعنى بذلك أن نصبه على : واذكر يوم يقول : كن فيكون ، قال : وكذلك ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) قال : وقال بعضهم : يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة . وقال بعضهم : يقول : كن فيكون ، للصورة خاصة .

فمعنى الكلام على تأويلهم : يوم يقول للصورة كن فيكون ، قوله الحق ، يوم ينفخ فيه ، عالم الغيب والشهادة ، فيكون القول حينئذ مرفوعا بالحق ، والحق بالقول . وقوله ( يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ - وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) صلة الحق .

وقال آخرون : بل قوله ( كُنْ فَيَكُونُ ) معنى به كل ما كان الله معيده في الآخرة بعد إفناؤه ومنشئه بعد إعدامه ، فالكلام على مذهب هؤلاء متناه عند قوله ( كُنْ فَيَكُونُ ) وقوله ( قَوْلُهُ الْحَقُّ ) خبر مبتدأ .

وتأويله : وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ، ويوم يقول للأشياء : كن فيكون ، خلقهما بالحق بعد فناهما ، ثم ابتداء الخبر عن قوله ، ووعدده خلقه أنه معيدهما بعد فناهما ، عن أنه حق ، فقال قوله

(١) فيه تعريف من النسخ ، ولعل الأصل : والله خلق السماء والأرض بكلامه ، كما خلق به الأشياء المخلوقة غيرهما .

هذا ، الحقّ الذي لاشكّ فيه ، وأخبر أن له الملك يوم ينفخ في الصور ، فيوم يُنفخ في الصور يكون على هذا التأويل من صلة الملك . وقد يجوز على هذا التأويل أن يكون قوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) من صلة الحقّ .

وقال آخرون : بل معنى الكلام : ويوم يقول لما فسّى : كن فيكون قوله الحقّ ، فجعل القول مرفوعاً بقوله ( وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ) وجعل قوله : كن فيكون للقول محلاً ، وقوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) من صلة الحقّ ، كأنه وجه تأويل ذلك إلى : ويومئذ قوله الحقّ يوم يُنفخ في الصور ، وإن جعل على هذا التأويل : يوم ينفخ في الصور ، بيانا عن اليوم الأوّل ، كان وجهاً صحيحاً ، ولو جعل قوله ( قَوْلُهُ الْحَقُّ ) مرفوعاً بقوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) وقوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) محلاً ، وقوله ( وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ) من صلته ، كان جائزاً .

والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أنه المنفرد بخلق السموات والأرض ، دون كل ما سواه ، معرّفاً من أشرك به من خلقه ، جهلته في عبادة الأوثان والأصنام ، وخطأ ما هم عليه مقيمون ، من عبادة ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يقدر على اجتلاب نفع إلى نفسه ، ولا دفع ضرر عنها ، ومحتجاً عليهم في إنكارهم البعث بعد الممات ، والثواب والعقاب ، بقدرته على ابتداع ذلك ابتداءً ، وأن الذي ابتدع ذلك ، غير متعذّر عليه إفتاؤه ، ثم إعادته بعد إفتائه ، فقال : وهو الذي خلق أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ، ولا يقدر على شيء ، السموات والأرض بالحقّ ، حجة على خلقه ، ليعرفوا بها صانعها ، وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه ، فيخلصوا له العبادة ، ( وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ) يقول : ويوم يقول حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات كذلك : كن فيكون ، كما شاء تعالى ذكره ، فتكون الأرض غير الأرض عند قوله كن ، فيكون متناهيًا ، وإذا كان كذلك معناه وجب أن يكون في الكلام محذوف يدلّ عليه الظاهر ، ويكون معنى الكلام : ويوم يقول لذلك كن فيكون ، تبدل غير السموات والأرض ، ويدلّ على ذلك قوله ( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ) ثم ابتداء الخبر عن القول فقال ( قَوْلُهُ الْحَقُّ ) بمعنى : وعده هذا الذي وعده تعالى ذكره من تبديله السموات والأرض ، غير الأرض والسموات ، الحقّ الذي لاشكّ فيه ، ( وَكَانَ الْمَلِكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) فيكون قوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) من صلة الملك ، ويكون معنى الكلام : والله الملك يومئذ ، لأن النسخة الثانية في الصُّور حال تبديل الله السموات والأرض غيرهما ، وجائز أن يكون القول ، أعني ( قَوْلُهُ الْحَقُّ ) مرفوعاً بقوله ( وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ) ويكون قوله ( كُنْ فَيَكُونُ ) محلاً للقول مرفوعاً .

فيكون تأويل الكلام : وهو الذي خلق السموات والأرض بالحقّ ، ويوم يبدّلها غير السموات والأرض فيقول لذلك : كن فيكون ، قوله الحقّ .

(١) لعله : يوم يقول كن ، كما هو ظاهر .

وأما قوله ( وَكُلُّهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) فإنه حَصَّ بالخبر عن ملكه يومئذ ، وإن كان الملك له خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة ، لأنه عنى تعالى ذكره ، أنه لا منازع له فيه يومئذ ، ولا مدعى له ، وأنه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه في الدنيا من الجبابرة ، فأذعن جميعهم يومئذ له به ، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم في الدنيا في باطل .

واختلف في معنى الصُّور في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ نَفْخَتَانِ : إحداهما لفناء من كان حيا على الأرض . والثانية لنشر كل ميت . واعتلوا لقولهم ذلك بقوله ( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ) . وبالخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذ سئل عن الصُّور « هُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » . وقال آخرون : الصُّور في هذا الموضع : جمع صُورَةٍ ينفخ فيها روحها ، فتحيا ، لقولهم : سُوْرٌ لسور المدينة ، وهو جمع سُورَةٍ ، كما قال جرير :

### سُوْرُ الْمَدِيْنَةِ وَالْجِبَالِ الْخُشَعِ ١

والعرب تقول : نفخ في الصُّور ، ونُفِخَ الصُّور ، ومن قولهم : نُفِخَ الصُّور ، قول الشاعر :

لَوْلَا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ تَفْتَحْ قَهْنَدُزْ كُمْ      وَلَا خِرَّاسَانُ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ ٢

والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إِنَّ إِسْرَافِيلَ قَدْ التَّقَمَ الصُّورَ وَحَسَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيُنْفَخُ » وأنه قال : « الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » ، وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ) يعني : أن عالم الغيب والشهادة ، هو الذي ينفخ في الصور .

حدثني به المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله ( عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ) يعني : أن عالم الغيب والشهادة ، هو الذي ينفخ في الصور فكان ابن عباس تأول في ذلك أن قوله ( عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ) اسم الفاعل الذي لم يسم في قوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) وأن معنى الكلام : يوم ينفخ الله في الصور عالم الغيب والشهادة ، كما تقول العرب : أُكِيلَ طَعَامُكَ عَبْدُ اللَّهِ ، فتظهر اسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يسم آكله ، وذلك وإن (١) هذا عجز بيت لجرير الشاعر من قصيدة يهجو بها الفرزدق ، ويذكر قتل الزبير بن العوام ، أورده صاحب اللسان في (سور)

وقال : السور : حائط المدينة ، مذكر ، وقول جرير :

### لَمَّا أَنَّى خَبِرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُوْرُ الْمَدِيْنَةِ وَالْجِبَالِ الْخُشَعِ

فإنه أنث السور ، لأنه بعض المدينة ، فكأنه قال : تواضعت المدينة . والألف واللام في الخشع : زائدة إذا كان خبرا . وانظر البيت في ديوان جرير طبعة الصاوي ص ٣٤٥ . ثم قال في اللسان : وقال أبو عبيدة : السورة عرق من أمراق الحائط ، ويجمع سورا . ووده الأزهرى وقال : إنما تجمع (فعلته) على (فعل) بسكون العين إذا سبق الجمع الواحد مثل صوقة وصوف . وسورة البناء وسورة ، فالسور جمع سبق وحدان في هذا الموضع .

(٢) البيت في اللسان (نفخ) ولم يفصح عن قائله ، وهو من شواهد الفراء ، على أنه يقال : نفخ الصور ، ونفخ في الصور . وفي التاج : قهندز بضم القاف والذال : أربعة مواضع في بلاد العجم . وفي المشترك لياقوت : هو اسم جنس لكل حصن في وسط المدينة العظمى . وقلما يخلو بلد من خراسان وما وراء النهر من قهندز . معرب « كوه أنداغ » .

كان وجهها غير مدفوع ، فان أحسن من ذلك ، أن يكون قوله (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) مرفوعا على أنه نعت للذي ، في قوله (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) ورؤى عنه أيضا أنه كان يقول: الصور في هذا الموضع : النفخة الأولى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) يعني بالصور : النفخة الأولى ، ألم تسمع أنه يقول (وَتُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى) يعني الثانية (فإذًا هم قيام ينظرون) ، ويعني بقوله (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) عالم ما تعينون أيها الناس ، فتشاهدونه ، وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ، ولا تبصرونه ، وهو الحكيم في تدييره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم ، ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود ، ثم في مجازاتهم بما يجازيهم به ، من ثواب أو عقاب ، خبير بكل ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيئ ، حافظ ذلك عليهم ، ليجازيهم على كل ذلك . يقول تعالى ذكره : فاحذروا أيها العادلون بربكم عقابه ، فإنه عليم بكل ما تاتون وتذرون ، وهو لكم من وراء الحجاز على ما تعملون .

#### القول في تأويل قوله

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ، أَرَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ، إِلَهَةً ، إِنِّي أَرَأَيْتَ إِذَا قَوْمُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤)

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد لحجاجك الذي تحتاج به قومك ، وخصوصيتك إياهم في آلهتهم ، وما تراجعهم فيها ، مما تلقية إليك ، ونعلمك من البرهان ، والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون ، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين ، وحقية ما أنت عليهم محتج ، حجاج إبراهيم خليلي قومه ، ومراجعتة إياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان ، وانقطاعه إلى الله والرضا به واليا وناصرًا دون الأصنام ، فاتخذة إماما ، واقتد به ، واجعل سيرته في قومه لنفسك مثالا ، إذ قال لأبيه مفارقا لدينه ، وعائبا عبادته الأصنام ، دون بارئه وخالقه : يا آزر .

ثم اختلف أهل العلم في المعنى بآزر ، وما هو ؟ اسم أم صفة ؟ وإن كان اسما ، فمن المسمى به ؟

فقال بعضهم : هو اسم أبيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَإِذْ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ) قال : اسم أبيه آزر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، قال : آزر : أبو إبراهيم ،

وكان فيما ذكر لنا - والله أعلم رجلا من أهل كوثي ، من قرية بالسواد ، سواد الكوفة .



حدثني ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعت سعيد بن عبد العزيز يذكر ، قال : هو آزر ، وهو تارح ، مثل إسرائيل ويعقوب .

وقال آخرون : إنه ليس أبا إبراهيم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن حميد وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : ليس آزر أبا إبراهيم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، قال : أخبرني رجل ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ) قال : آزر لم يكن بأبيه إنما هو صنم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : آزر : اسم صنم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ) قال : اسم أبيه ، ويقال : لا ، بل اسمه تارح ، واسم الصنم آزر ، يقول : أتخذ آزر أصناما آلهة .

وقال آخرون : هو سبّ وعيب بكلامهم ، ومعناه : مُعْوَج ، كأنه تأوّل أنه عابه بزيغه واعوجاجه عن الحقّ .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ) بفتح آزر على إتباعه الأب في الخفض ، ولكنه لما كان اسما أعجميا فتحوه ، إذ لم يجروه وإن كان في موضع خفض ، وذكر عن أبي يزيد المديني والحسن البصريّ أنهما كانا يقرآن ذلك : آزر ، بالرفع على النداء ، بمعنى : يا آزر ، فأما الذي ذكر عن السديّ من حكايته أن آزر اسم صنم ، وإنما نصبه بمعنى : أتخذ آزر أصناما آلهة ، فقول من الصواب من جهة العربية بعيد ، وذلك أن العرب لا تنصب اسما بفعل بعد حرف الاستفهام ، لانقول : أخاك أكلمت ، وهي تريد : أكلمت أخاك .

والصواب من القراءة في ذلك عندي ، قراءة من قرأ بفتح الراء من آزر ، على إتباعه إعراب الأب ، وأنه في موضع خفض ، ففتح إذ لم يكن جاريا ، لأنه اسم عجمي ، وإنما أجزت قراءة ذلك كذلك ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وإذ كان ذلك هو الصواب من القراءة ، وكان غير جائز أن يكون منصوبا بالفعل الذي بعد حرف الاستفهام صحّ لك فتحه من أحد وجهين ، إما أن يكون اسما لأبي إبراهيم صلوات الله عليه ، وعلى جميع أنبيائه ورسله ، فيكون في موضع خفض رداً على الأب ، ولكنه فُتِحَ لما ذكرت ، من أنه لما كان اسما أعجميا تُرِكَ إجراؤه ، ففتح كما فتح العرب في أسماء العجم ، أو يكون نعتا له ، فيكون أيضا خفضا ، بمعنى تكرير اللام عليه ، ولكنه لما خرج مخرج أحمر وأسود ، ترك إجراؤه ، وفعل به كما يفعل بأشكاله .

فيكون تأويل الكلام حينئذ : وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أنتخذ أصناما آلهة ؟ وإن لم يكن له وجهة في الصواب إلا أحد هذين الوجهين .

فأولى القولين بالصواب منهما عندي ، قول من قال : هو اسم أبيه ، لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه ، وهو القول المحفوظ ، من قول أهل العلم ، دون القول الآخر ، الذي زعم قائله أنه نعت .

فإن قال قائل : فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى تارح ، فكيف يكون آزر اسما له والمعروف به من الاسم تارح ؟ قيل له : غير محال أن يكون له اسمان ، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا ، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم ، وجائز أن يكون لقباً ، والله تعالى أعلم .

القول في تأويل قوله ( أَنْتَخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) :

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر ، أنه قال : أنتخذ أصناما آلهة ، تعبدها وتتخذها ربا ، دون الله الذي خلقك فسواك ورزقك . والأصنام : جمع صنم ، والصنم : التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك ، في صورة إنسان ، وهو الوثن ، وقد يقال للصورة المصوّرة على صورة الإنسان في الحائط وغيره : صنم ووثن ( إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) يقول : إني أراك يا آزر وقومك الذين يعبدون معك الأصنام ، ويتخذونها آلهة : في ضلال ، يقول : في زوال عن محجة الحق ، وعدول عن سبيل الصواب . ( مُّبِينٍ ) يقول : يتبين لمن أبصره أنه جور عن قصد السبيل ، وزوال عن صحجة الطريق القويم ، يعني بذلك : أنه قد ضلّ هو وهم عن توحيد الله وعبادته ، الذي استوجب عليهم إخلاص العبادة له بآلائه عندهم ، دون غيره من الآلهة والأوثان .

القول في تأويل قوله

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَيْسَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٧٥)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( وَكَذَلِكَ ) : وكما أريناه البصيرة في دينه والحق ، في خلاف ما كانوا عليه من الضلال ، نريه ملكوت السموات والأرض ، يعني ملكه ، وزيدت فيه التاء كما زيدت في الجبروت من الجبر ، وكما قيل : رَهَبُوتٌ خير من رَاحُوت ، بمعنى رَهْبَةٌ ، خير من رَاحِمَةٌ . وحكى عن العرب سباعا : له مَلَكَوتُ اليمن والعراق بمعنى : له ملك ذلك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) فقال بعضهم : معنى ذلك : نُرِيه خلق السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنفي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) : أي خلق السموات والأرض .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) : أى خَلَقَ السموات والأرض ، وليكون من الموقنين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يعنى بملكوت السموات والأرض : خَلَقَ السموات والأرض .

وقال آخرون : معنى الملكوت : الملك ، بنحو التأويل الذى أولناه .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عمر بن أبي زائدة ، قال : سمعت عكرمة ، وسأله رجل عن قوله ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : هو الملك ، غير أنه بكلام التنبط : مَلَكُوتًا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي زائدة ، عن عكرمة ، قال : هى بالنبطية : مَلَكُوتًا .  
وقال آخرون : معنى ذلك : آيات السموات والأرض .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : آيات السموات والأرض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى ذكره ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : آيات .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : تفرجت لإبراهيم السموات السبع ، حتى العرش ، فنظر فيهن ، وتفرجت له الأَرْضُونَ السبع ، فنظر فيهن .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدى ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ) قال : أقيم على صخرة ، وفتحت له السموات ، فنظر إلى ملك الله فيها ، حتى نظر إلى مكانه فى الجنة ؛ وفتحت له الأَرْضُونَ حتى نظر إلى أسفل الأرض ، فذلك قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) يقول : آتيناه مكانه فى الجنة ، ويقال : أجره : الثناء الحسن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : فُرجت له السموات فنظر إلى ما فيهن ، حتى انتهى بصره إلى العرش ؛ وفُرجت له الأَرْضُونَ السبع ، فنظر ما فيهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبیر ( وَكَذَلِكَ نُرَى

إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : كشف له عن أديم السموات والأرض ، حتى نظر  
إليهن على حضرة ، والصخرة على حوت ، والحوت على خاتم رب العزة : لا إله إلا الله .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : لما  
رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، رأى عبدا على فاحشة ، فدعا عليه فهلك ؛ ثم رأى آخر على  
فاحشة ، فدعا عليه فهلك ؛ ثم رأى آخر على فاحشة ، فدعا عليه فهلك ، فقال : أنزلوا عبدي لأيهليك عبادي .  
حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : لما رفع الله  
إبراهيم في الملكوت في السموات ، أشرف فرأى عبدا يزني ، فدعا عليه فهلك ؛ ثم رفع فأشرف فرأى عبدا  
يزني ، فدعا عليه فهلك ؛ ثم رفع فأشرف ، فرأى عبدا يزني ، فدعا عليه : فنودي : على رسلك يا إبراهيم ،  
فإنك عبد مستجاب لك ، وإني من عبدي على ثلاث : إما أن يتوب إلى فأتوب عليه ، وإما أن أخرج منه  
ذرية طيبة ، وإما أن يتأدى فيما هو فيه ، فأنا من ورائه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر ، وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن أسامة :  
أن إبراهيم خليل الرحمن حدث نفسه ، أنه أرحم الخلق ، وأن الله رفعه حتى أشرف على أهل الأرض ،  
فأبصر أعمالهم ؛ فلما رآهم يعملون بالمعاصي ، قال : اللهم دمر عليهم ، فقال له ربه : أنا أرحم بعبادي  
منك ، اهبط فلعلهم أن يتوبوا إلى ويرجعوا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما أخبر تعالى أنه أراه من النجوم والقمر والشمس .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك ( وكذالك نرى إبراهيم  
ملكوت السموات والأرض ) قال : الشمس والقمر والنجوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( وكذالك  
نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ) قال : الشمس والقمر .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن  
عباس ، قوله ( وكذالك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ) يعني به : نريه الشمس  
والقمر والنجوم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : خيبي إبراهيم  
عليه السلام من جبار من الجبابرة ، فجعل له رزقه في أصابعه ، فإذا مص أصبعا من أصابعه وجد فيها رزقا ،  
فلما خرج أراه الله ملكوت السموات والأرض ، فكان ملكوت السموات : الشمس والقمر والنجوم ،  
وملكوت الأرض : الجبال والشجر والبحار .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن نبي الله إبراهيم عليه السلام فر به من  
جبار مترف ، فجعل في سرب ، وجعل رزقه في أطرافه ، فجعل لا يمص أصبعا من أصابعه إلا وجد فيها

رزقا ؛ فلما خرج من ذلك السرب ، أراه الله ملكوت السموات ، فأراه شمسا وقمرا ونجوما وسحابا ، وخلقاً عظيماً ؛ وأراه ملكوت الأرض ، فأراه جبالا وبحورا وأنهارا وشجرا ، ومن كلّ الدواب ، وخلقاً عظيماً .

﴿ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ : قَوْلٌ مِنْ قَالَ : عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) : أَنَّهُ أَرَاهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَذَلِكَ مَا خَلَقَ فِيهِمَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالشَّجَرِ وَالِدُّوَابِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ فِيهِمَا ، وَجَلَّى لَهُ بِوَاطِنِ الْأُمُورِ وَظَوَاهِرِهَا ، لَمَّا ذَكَرْنَا قَبْلَ مِنْ مَعْنَى الْمَلَكُوتِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، فِيمَا مَضَى قَبْلَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ( وَلِيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ ) فَإِنَّهُ يَعْنِي : أَنَّهُ أَرَاهُ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَكُونَ مِنْ يَتَّوَحَّدُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَيَعْلَمُ حَقِيْقَةَ مَا هَدَاهُ لَهُ ، وَبَصَّرَهُ إِيَّاهُ ، مِنْ مَعْرِفَةِ وَحِدَانِيَّتِهِ ، وَمَا عَلَيْهِ قَوْمُهُ مِنَ الضَّلَالَةِ مِنْ عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ ، وَاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تَعَالَى .

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، مَا حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنِي عَمِّي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ ( وَلِيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ ) أَنَّهُ جَلَّى لَهُ الْأَمْرَ : سِرَّهُ وَعِلَانِيَّتَهُ ، فَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْخَلَائِقِ ؛ فَلَمَّا جَعَلَ يَلْعَنُ أَصْحَابَ الذُّنُوبِ ، قَالَ اللَّهُ : إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا ، فَرَدَّهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَتَأْوِيلُ ذَلِكَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ : أُرِيْنَاهُ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لِيَكُونَ مِنْ يُوقِنِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ حَسَابًا لَخَبْرًا .

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنَا أَبُو جَابِرٍ ، قَالَ : وَحَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ أَيْضًا قَالَ : ثَنِي خَالِدَ الْحَلَّاجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عِيَّاشٍ ، يَقُولُ : صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا رَأَيْتَ أَسْعَدَ مِنْكَ الْغَدَاةَ ، قَالَ : وَمَالِي وَقَدْرُ أَنَا فِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : فَتَمِيمٌ بِمَخْتَصِمِ الْمَلَأُ الْأَعْلَى يَا مُحَمَّدُ ؟ قُلْتُ أَنْتَ أَعْلَمُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ( وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلِيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ ) .

#### القول في تأويل قوله

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ ، قَالَ : هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ ، قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : فَلَمَّا وَاوَاهُ اللَّيْلُ وَجَنَّتْهُ ، يُقَالُ مِنْهُ : جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَجَنَّتْهُ اللَّيْلُ ، وَأَجَنَّتْهُ ، وَأَجَنَّ عَلَيْهِ ، وَإِذَا أَلْقَيْتَ عَلَى ، كَانَ الْكَلَامُ بِالْأَلْفِ أَفْصَحَ مِنْهُ بَغَيْرِ الْأَلْفِ : أَجَنَّهُ اللَّيْلُ : أَفْصَحَ مِنْ أَجَنَّ عَلَيْهِ ؛ وَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ : أَفْصَحَ مِنْ جَنَّتْهُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَقْبُولٌ مَسْمُوعٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَجَنَّتْهُ اللَّيْلُ فِي أَسَدٍ ، وَأَجَنَّتْهُ وَجَنَّتْهُ فِي تَمِيمٍ ، وَالْمَصْدَرُ مِنْ جَنَّ عَلَيْهِ جَنَّاً وَجُنُوناً وَجَنَاناً ، وَمِنْ أَجَنَّ إِيَّانَا ، وَيُقَالُ : أَتَى فُلَانٌ فِي جَنِّ فُلَانٍ .

الليل، والحين من ذلك، لأنهم استجنتوا عن أعين بني آدم، فلا يروون، وكل ما توارى عن أبصار الناس، فإن العرب تقول فيه: قد جتن؛ ومنه قول المهذلي:

وَمَاءٍ وَرَدَّتْ قُبَيْلَ الْكَرَى وَقَدْ جَنَّهُ السَّدْفُ الْأُدْهَمُ<sup>١</sup>

وقال عبيد:

وَخَرَّقِي تَصْبِيحُ الْبُومِ فِيهِ مَعَ الصَّدَى مَخُوفٍ إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ مَرَّ هُوبٍ<sup>٢</sup>

ومنه: أجننت الميت: إذا واريته في اللحد، وجنته، وهو نظير جنون الليل في معنى: غطيته، ومنه قيل للنرس: يجتن، لأنه يجتن من استجن به، فيغطيه ويواريه.

وقوله (رأى كوكبا) يقول: أبصر كوكبا حين طلع (قال هذآ ربي).

فروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني به المنفي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض، وليكون من الموقنين) يعني به: الشمس والقمر والنجوم (فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكبا، قال هذآ ربي) فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: لأحبّ الآفلين؛ فلما رأى القمر بازغا قال: هذا ربي، فعبده حتى غاب؛ فلما غاب قال: لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالّين؛ فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي، هذا أكبر، فعبدها حتى غابت؛ فلما غابت قال: يا قوم إني بريء مما تشركون. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذآ ربي، فلمّا أفلّ قال لأحبّ الآفلين) علم أن ربه دائم لا يزول، فقرأ حتى بلغ (هذآ ربي، هذآ أكبر) وأى خلق هو أكبر من الخلقين الأولين وأنور.

وكان سبب قيل إبراهيم ذلك، ما حدثني به محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنى محمد بن إسحاق، فيما ذكر لنا، والله أعلم، أن أزر كان رجلا من أهل كوثي، من قرية بالسواد، سواد الكوفة، وكان إذ ذاك ملك المشرق نمرود بن كنعان؛ فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حجّة على قومه، ورسولا إلى عباده، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبي إلا هود وصالح؛ فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله ما أراد، أتى أصحاب النجوم نمرود، فقالوا له: تعلمنا أن نجد في علمنا أن غلاما يولد في قريتك هذه، يقال له إبراهيم، يفارق دينكم، ويكسر أوثانكم، في شهر كذا وكذا، من سنة كذا وكذا؛ فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم نمرود، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته، فحبسها عنده، إلا ما كان

(١) البيت في (اللسان: سدف) أنشده ابن بري شاهدا على أن السدف: الليل. وفي روايته «عل غيفة» في موضع «قيل الكرى». واستشهد به أيضا في (جنن) على أن جنه بمعنى ستره. قال: جن الشيء يجهت جنا: ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك. وجنه الليل يجهت جنا وجنونا. وجن عليه يجن بالضم جنونا وأجته: ستره. قال ابن بري: شاهد جته قول المهذلي: وماء... الخ.

(٢) البيت في ديوانه (طبعة لندن سنة ١٩١٣ ص ٢٣) وفيه تصحيح الهام، في موضع: يصيح اليوم. والهام: اسم جنس جمعي، واحده هامة، وهي ذكر البوم، وجنه الليل: غطاء وستره.

من أم إبراهيم امرأة آزر، فإنه لم يعلم بحبلها، وذلك أنها كانت امرأة حديبة فيما يُذكر، لم يُعرف الحبل في بطنها، ولما أراد الله أن يبلغ بولدها، أراد أن يقتل كل غلام ولد في ذلك الشهر من تلك السنة، حذراً على ملكه، فجعل لائلدة امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة، إلا أمر به فذبح؛ فلما وجدت أم إبراهيم الطلقت، خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها، فولدت فيها إبراهيم، وأصلحت من شأنه ما يُصنع مع المولود، ثم سددت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تظالعه في المغارة، فتنظر ما فعل، فتجده حياً يمتص إبهامه، يزعمون والله أعلم، أن الله جعل رزق إبراهيم فيها، وما يجيئه من مصه، وكان آزر فيما يزعمون، سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل؟ فقالت: ولدت غلاماً فمات، فصدقتها، فسكت عنها، وكان اليوم فيما يذكرون على إبراهيم في الشباب كالشهر، والشهر كالسنة، فلم يلبث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً، حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر، فأخرجته عشاء، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض، وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني، لربي، مالى إله غيره، ثم نظر في السماء، فرأى كوكباً، قال: هذا ربي، ثم اتبعه ينظر إليه بصره، حتى غاب، فلما أفل، قال: لأحب الآفلين. ثم طلع القمر فرآه بازغاً، قال: هذا ربي، ثم اتبعه بصره حتى غاب، فلما أفل قال: لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالين. فلما دخل عليه النهار، وطلعت الشمس، أعظم الشمس، ورأى شيئاً هو أعظم نوراً من كل شيء رآه قبل ذلك، فقال: هذا ربي، هذا أكبر، فلما أفلت قال: يا قوم إني برىء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين. ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر، وقد استقامت وجهته، وعرف ربه، وبرىء من دين قومه، إلا أنه لم يبادئهم بذلك، وأخبر أنه ابنه، وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه، فسر بذلك آزر، وفرح فرحاً شديداً، وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدونها، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها، فيذهب بها إبراهيم فيما يذكرون، فيقول: من يشتري ما يضره ولا ينفعه؟ فلا يشتريها منه أحد، وإذا بارت عليه، ذهب بها إلى نهر، فضرب فيه رعويسها، وقال: اشربي، استهزاء بقومه، وما هم عليه من الضلالة، حتى فشا عيبه إياها، واستهزأه بها، في قومه وأهل قريته، من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك. ويذكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي روى عن ابن عباس، وعن روى عنه، من أن إبراهيم قال للكوكب أو للقمر: هذا ربي، وقالوا: غير جائز أن يكون لله نبي ابتعثه بالرسالة، أتى عليه وقت من الأوقات وهو بالغ، إلا وهو الله موحد، وبه عارف، ومن كل ما يُعبد من دونه برىء. قالوا: ولو جاز أن يكون قد أتى عليه بعض الأوقات وهو به كافر، لم يجوز أن يختصه بالرسالة، لأنه لا معنى فيه إلا وفي غيره من أهل الكفر به مثله، وليس بين الله وبين أحد من خلقه مناسبة، فيحاييه باختصاصه بالكرامة. قالوا: وإنما أكرم من أكرم منهم لفضله في نفسه، فأثابه لاستحقاقه الثواب، بما أثابه من الكرامة، وزعموا أن خبر الله عن قيل إبراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس: هذا ربي، لم يكن لجهله بأن ذلك غير جائز أن يكون ربه؛ وإنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه، وعلى العيب لقومه

في عبادتهم الأصنام ، إذ كان الكوكب والقمر والشمس ، أضوأ وأحسن وأبهج من الأصنام ، ولم تكن مع ذلك معبودة ، وكانت آفلة زائلة غير دائمة ، والأصنام التي دونها في الحسن ، وأصغر منها في الجسم ، أحق أن لا تكون معبودة ولا آلهة . قالوا : وإنما قال ذلك لهم معارضة ، كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه ، معارضا له في قول باطل قال به بباطل من القول ، على وجه مطالبته إياه بالفرقان بين القولين الفاسدين عنده ، اللذين يصحح خصمه أحدهما ، ويدعى فساد الآخر . وقال آخرون منهم : بل ذلك كان منه في حال طفوليته ، وقبل قيام الحججة عليه ، وتلك حال لا يكون فيها كفر ، ولا إيمان . وقال آخرون منهم : وإنما معنى الكلام : أهذا ربي ؟ على وجه الإنكار والتوبيخ : أي ليس هذا ربي ، وقالوا : قد تفعل العرب مثل ذلك ، فتحذف الألف التي تدل على معنى الاستفهام ، وزعموا أن من ذلك قول الشاعر :

رَقَوْنِي وَقَالُوا يَا خَوِيلِدُ لَا تُرْعَ فقلتُ وَأَنْكَرْتُ الْوَجْوهَ : هُمُ هُمُ ؟

يعنى : أهم هم ؟ قالوا : ومن ذلك قول أوس :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِشْقَرٍ ؟

بمعنى : أشعيث بن سهم ، فحذف الألف ونظائر ذلك . وأما تذكير هذا في قوله ( فَلَئِمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ) فإنما هو على معنى : هذا الشيء الطالع ربي .

وفي خبر الله تعالى عن قبيل إبراهيم حين أفل القمر : ( لَيْتُنْ كَمْ يَهْدِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ) ، الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم . وأن الصواب من القول في ذلك : الإقرار بخبر الله تعالى الذي أنجز به عنه ، والإعراض عما عداه .

وأما قوله ( فَلَئِمَّا أَفَلَّ ) فإن معناه : فلما غاب وذهب .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال ابن إسحاق : الأفل : الذهاب ، يقال منه : أفل النجم بأفل ، وبأفيل أفولا وأفلا : إذا غاب ، ومنه قول ذي الرمة :

(١) البيت لأبي خراش الهذلي : خويلد بن مرة ، أحد بني قرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل ، مات في زمن عمر بن الخطاب ، نَهْشَةَ حِيَةٍ . وهو مطلع قصيدة له ، يذكر فرة فرها من فائد وأصحابه الخراعيين ( انظر ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية - القسم الثاني ص ١٤٢ - ١٤٤ ) . ومعنى رفوف : سكنوف . وكان أصلها رفثوف ، فترك الهمز . وقوله هم هم : أي هم الذين كنت أخاف . وجعله المؤلف استفهاما ، لاخبرا ، وأداة الاستفهام محذوفة ، أي أهم هم ؟

(٢) البيت من شواهد التحويين : ( الخزانة ٤ : ٤٥٠ ) وهو شاهد على أن همزة الاستفهام قد تحذف قبل أم المتصلة في الشعر . قال السيرافي يهجو هذه القبيلة ( شعيث ) يقول : إنها لم تستقر على أب ، لأن بعضا يعزوها إلى منقر ، فجعلهم أدياء ، وشك في كونهم منهم أو من بني سهم . وسهم حمى من قيس عيلان ، وهو سهم بن عمرو بن ثعلبة ، ينتهي نسبه إلى غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر . وبنو منقر : حمى من تميم . ونسب سيبويه البيت للأسود بن يعفر . وأنشده المبرد في موضعين من الكامل للعين المنقري . وقال الجاحظ في البيان : ذكروا أن شعيث بن سهم بن محرز بن حزن أغبر على إبله ، فأق أوس بن حجر يستنجده ، فقال أوس :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي أَمِنْ حَزْنٍ مُحْرَزٍ شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ لِحَزْنٍ بِنِ مِشْقَرٍ

وعلى رواية الجاحظ ، يكون شعيث رجلا لاقبيلة .



مصاييحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي يَتَّقُوهُنَّهَا نَجُومٌ وَلَا بِالْأَفَلَاتِ الدَّوَالِكِ ۝

ويقال : أين أفلتت عنا؟ بمعنى : أين غبت عنا؟

القول في تأويل قوله

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ : هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ : لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ

الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : فلما طلع القمر ، فرآه إبراهيم طالعا ، وهو بزوغه ، يقال منه : بزغت الشمس تبرزُ بَزُوغًا : إذا طلعت ، وكذلك القمر . ( قال هَذَا رَبِّي . فَلَمَّا أَفَلَّ ) يقول : فلما غاب ( قال ) إبراهيم : ( لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي ) ويوفقي لإصابة الحق في توحيدده ( لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ) : أي من القوم الذين أخطئوا الحق في ذلك ، فلم يصيبوا الهدى ، وعبدوا غير الله . وقد بينا معنى الضلال في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ : هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ : يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا

تُشْرِكُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره ( فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً ) فلما رأى إبراهيم الشمس طالعة ( قال ) هَذَا الطالع ( رَبِّي ، هَذَا أَكْبَرُ ) يعني : هذا أكبر من الكوكب والقمر ، فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه . ( فَلَمَّا أَفَلَّتْ ) يقول : فلما غابت ( قال ) إبراهيم لقومه ( يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ) : أي من عبادة الآلهة والأصنام ، ودعائه إلها مع الله تعالى .

القول في تأويل قوله

إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام ، أنه لما تبين له الحق وعرفه ، شهد شهادة الحق ، وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله ، ولم يأخذه في الله لومة لائم ، ولم يستوحش من قبل الحق والثبات عليه ، مع خلاف جميع قومه لقوله ، وإنكارهم إياه عليه ، وقال لهم : يا قوم ، إنني بريء

(١) البيت في ديوانه ( طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٤٢٥ ) والمصاييح : من الإبل جمع مصباح ، وهي التي تصبح في مبركها لاترعى ، حتى يرتفع النهار ، وهو ما يستحب من الإبل . وذلك لقوتها ومنها . والآفلات : جمع آفلة ، وهي الغائبة في المرعى . والدوالك جمع دالكة ، وهي التي دنت للغروب . يصف الإبل بأنها لا تخرج للمرعى ، ولا تجهد في السرى بالليل تقودها النجوم . ولا ترى غادية راحة ، وإنما هي مقببة في مبركها ، تعلق لتسمن وتقوى .

مما تشركون مع الله ، الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم وأصنامكم ، إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السموات والأرض ، الدائم الذي يبقى ولا يفنى ، ويحيي ويميت ، لا إله إلا الذي يفنى ولا يبقى ، ويزول ولا يدوم ، ولا يضر ولا ينفع ، ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه وجهه لعبادته ، بإخلاص العبادة له ، والاستقامة في ذلك لربه ، على ما يجب من التوحيد ، لا على الوجه الذي يوجه له وجهه من ليس بحنيف ، ولكنه به مشرك ، إذ كان توجيهه الوجه لا على التحنيف ، غير نافع موجهه ، بل ضارّه ومهلكه . ( وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) يقول : ولست منكم : أي لست ممن يدين دينكم ، ويتبع ملتكم أيها المشركون . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، كان ابن زيد يقول .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول قوم إبراهيم لإبراهيم : تركت عبادة هذه ، فقال ( لَأَتَى وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ) ، فقالوا : ما جئت بشيء ، ونحن نعبده ونتوجهه ، فقال : لا . ( حَنِيفًا ) قال : مخلصا لا أشركه كما تشركون .

القول في تأويل قوله

وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ ، قَالَ أُمْتَحَجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ؟ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ، وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : وجادل إبراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الأصنام ، وكان جدالهم إياه ، قولهم : إن آلهتهم التي يعبدونها خير من إلهه . ( قال ) إبراهيم ( أُمْتَحَجُونِي فِي اللَّهِ ؟ ) يقول : أتجادلونني في توحيد الله ، وإخلاص العمل له دون ما سواه من آلهة ؟ ( وَقَدْ هَدَانِ ) يقول : وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته ، وبصرتني طريق الحق ، حتى ألفت أن لا شيء يستحق أن يُعبد سواه ، ولا أخاف ما تشركون به : يقول : ولا أهاب من آلهتكم التي تدعونها من دونه شيئا ينالني في نفسي من سوء ومكروه ، وذلك أنهم قالوا له : إنا نخاف أن تَمَسَّكَ آلهتنا بسوء ، من برّص أو خبيل ، لذكرك إياها بسوء ، فقال لهم إبراهيم : لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة ، أن تنالني بضر ولا مكروه ، لأنها لا تنفع ولا تضر ( إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ) يقول : ولكن خوفي من الله الذي خلقني ، وخلق السموات والأرض ، فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء ، من فناء أو بقاء ، أو زيادة أو نقصان ، أو غير ذلك ، نالني به ، لأنه القادر على ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، كان ابن جريج يقول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ ) ، قال أُمْتَحَجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ) قال : دعا قومه مع الله آلهة ، وخوفوه بآلهتهم أن يصيبه منها خبيل ، فقال إبراهيم ( أُمْتَحَجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ) قال : قد عرفت ربي ( لِأَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ) . ( وَسِعَ )

(١) البرص : الوضغ ، مرض جلدي معروف . والخبيل يكون الباء : فساد الأعضاء . ( انظر اللسان ) .

رَبِّي كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) يقول : وعلم ربي كل شيء ، فلا يخفى عليه شيء ، لأنه خالق كل شيء ، ليس كالألهة التي لا تنفع ولا تضر ، ولا تفهم شيئا ، وإنما هي خشية منحوتة ، وصورة ممثلة : (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) . يقول : أفلا تعتبرون أيها الجهلة ، فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون ، من عبادتكم صورة مصورة ، وخشبة منحوتة ، لا تغدر على ضرر ، ولا على نفع ، ولا تفقه شيئا ، ولا تعقله ، وترككم عبادة من خلقكم وخلق كل شيء ، ويده الخبير ، وله القدرة على كل شيء ، والعالم بكل شيء .

## القول في تأويل قوله

وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا؟ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)

وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه لذكره إياها بسوء ، في نفسه بمكروه ، فقال لهم : وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربكم ، فعبدتموه من دونه ، وهو لا يضر ، ولا ينفع ، ولو كانت تنفع أو تضر ، لدفعت عن أنفسها كسرى إياها ، وضربى لها بالفأس ، وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم ، وهو القادر على نفعكم وضرركم ، في إشراككم في عبادتكم إياه ( ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ) يعني : ما لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حجة ، ولم يضع لكم عليه برهانا ، ولم يجعل لكم به عذرا ( فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ) يقول : أنا أحق بالأمن ، من عاقبة عبادتي ربي خلاصا له العبادة ، حنيفا له ديني ، برينا من عبادة الأوثان والأصنام ، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناما ، لم يجعل الله لكم عبادتكم إياها برهانا ولا حجة ( إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) يقول : إن كنتم تعلمون صدق ما أقول ، وحقيقة ما أحتج به عليكم ، فقولوا وأخبروني ، أي الفريقين أحق بالأمن ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، كان محمد بن إسحاق يقول ، فيما حدثنا ابن حديد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، في قوله ( وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ، وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ) ؟ يقول : كيف أخاف وتنا تعبدون من دون الله ، لا يضر ولا ينفع ، ولا تخافون أنتم الذي يضر وينفع ، وقد جعلتم معه شركاء لا تضر ولا تنفع . ( فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) : أي بالأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة ، الذي يعبد الذي بيده الضر والنفع ، أم الذي يعبد ما لا يضر ولا ينفع ؟ يضرب لهم الأمثال ، ويصرف لهم العبر ، ليعلموا أن الله هو أحق أن يخاف ويعبد ، مما يعبدون من دونه .

حدثني المشني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : أفلح الله إبراهيم عليه السلام حين خاصمهم ، فقال ( وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ، وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) ثم قال ( وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قول إبراهيم حين سألهم ( أَيْ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ) هي حجة إبراهيم عليه السلام .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى عن إبراهيم حين سألهم ( فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ) قال : وهي حجة إبراهيم عليه السلام . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ( فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) : أمن يعبد ربا واحداً ، أم من يعبد أربابا كثيرة ؟

يقول قومه : الذين آمنوا برب واحد :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) أمن خاف غير الله ولم يخفه ؟ أم من خاف الله ولم يخف غيره ؟ فقال الله تعالى ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله

الَّذِينَ آمَنُوا ، وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)

اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول : أعني ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) . . . الآية ؛ فقال بعضهم : هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام ، وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله ، إذ قال لهم إبراهيم ( وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) فقال الله تعالى فاصلا بينه وبينهم : الذين صدقوا الله ، وأخلصوا له العبادة ، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم : يعنى بشرك ، ولم يشركوا في عبادته شيئا ، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصا ، أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته ، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام ، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم ، أما في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سُخْطِ اللَّهِ بِهِمْ . وأما في الآخرة ، فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله :

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا أحمد بن إسحاق ، قال : يقول الله تعالى ذكره ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) : أى الذين أخلصوا كإخلاص إبراهيم صلى الله عليه وسلم لعبادة الله وتوحيده ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم : أى بشرك ( أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ) : الأمن من العذاب ، والمُتَدَى في الحجة بالمعرفة والاستقامة ، يقول الله تعالى ( وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) قال : فقال الله : وقضى بينهم ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) قال : بيشرك ، قال ( أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ) فأما الذنوب فليس يبرأ منها أحد . وقال آخرون : هذا جواب من قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لإبراهيم حين قال لهم : أى الفريقين أحق بالأمن ؟ فقالوا له الذين آمنوا بالله فوحدوه ، أحق بالأمن ، إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم . ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) أم من يعبد ربا واحدا ، أم من يعبد أربابا كثيرة ؟ يقول قومه ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) بعبادة الأوثان ، وهى حجة إبراهيم ( أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ) . وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن ، وفصل قضاء منه بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه ، وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم ، الذين كانوا يعبدون الأوثان ، ويشركونها فى عبادة الله ، لكانوا قد أقرّوا بالتوحيد ، واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد ، ولكنه كما ذكرت من تأويله بدءا : واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله تعالى بقوله ( وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) فقال بعضهم : بشرك . ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أَلَا تَرَوْنَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) قال أبو كريب ، قال ابن إدريس ، حدثنيه أولا أبى ، عن أبان بن تغلب ، عن الأعمش ، ثم سمعته قبل له : من الأعمش ؟ قال : نعم :

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال : ثنى عمى يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) شق ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ بِذَلِكَ ، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِإِبْنِهِ : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت هذه الآية ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَا قَالَ لِقُفْمَانُ لِأَيْنِهِ : لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت هذه الآية ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) شق ذلك على الناس ، فقالوا : يا رسول الله ، وأينا لا يظلم نفسه ؟ فقال : « إِنَّهُ لَيْسَ كَمَا تَعْنُونَ ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » : إنما هو الشرك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، في قوله ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) قال : بشرك .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) قال : بشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت هذه الآية ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ بِذَلِكَ ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لِقُفْمَانُ : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن إدريس ، عن الشيباني ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن الأسود بن هلال ، عن أبي بكر ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) قال : بشرك .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي بكر ( لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) قال : بشرك .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سعيد بن عبيد الطائي ، عن أبي الأشعر العبدي ، عن أبيه ، أن زيد بن صوحان سأل سلمان ، فقال : يا أبا عبد الله آية من كتاب الله قد بلغت مني كل مبلغ ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) فقال سلمان : هو الشرك بالله تعالى ، فقال زيد : ما يسرني بها أني لم أسمعها منك ، وأن لي مثل كل شيء أمسيت أملكه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سعيد بن عبيد ، عن أبي الأشعر ، عن أبيه ، عن سلمان ، قال : بشرك .

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالوا : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا نُسَيْر بن ذُعْلُوق ، عن دُرُسُبَا ، عن حذيفة ، في قوله ( وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) قال : بشرك .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن رجل ، عن عيسى ، عن حذيفة ، في قوله ( وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) قال : بشرك .

(١) درسب ، بضم المهملتين الأوليين ، ابن زياد العنبري البصري ، قال يحيى بن معين : لا شيء . وقال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به . وقال البخاري : ليس بالقائم : ( الخلاصة ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير وغيره ، أن ابن عباس كان يقول ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) قال : بشرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) يقول : بكفر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) يقول : لم يلبسوا إيمانهم بالشرك ، وقال : إن الشرك لظلم عظيم .

حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن علي بن زيد ، عن المسيب : أن عمر بن الخطاب قرأ ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) فلما قرأها فرغ ، فأتى أبي بن كعب ، فقال : يا أبا المنذر ، قرأت آية من كتاب الله ، من يسلّم ؟ فقال : ما هي ؟ فقرأها عليه ، فأبنا لا يظلم نفسه ؟ فقال : غفر الله لك ، أما سمعت الله تعالى يقول ( إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) ؛ إنما هو ولم يلبسوا إيمانهم بشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جده عان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس أن عمر دخل منزله ، فقرأ في المصحف ، فمر بهذه الآية ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) فأتى أبا فخره ، فقال : يا أمير المؤمنين : إنما هو الشرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران عن مهران : أن عمر بن الخطاب كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه ، فدخل ذات يوم فقرأ ، فأتى علي هذه الآية ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) ، وأولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) فاشتغل ، وأخذ رداءه ، ثم أتى أبي بن كعب ، فقال : يا أبا المنذر ، فتلا هذه الآية ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) وقد ترى أنا نظم ونفعل ونفعل . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا ليس بذلك ، يقول الله تعالى ( إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) إنما ذلك الشرك .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن أبي عثمان عمرو بن سالم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) فقال عمر : قد أفلح من لم يلبس إيمانه بظلم ، فقال أبي : يا أمير المؤمنين : ذلك الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أسباط ، عن محمد بن مطرف ، عن ابن سالم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب ... فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، في قوله ( وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ) قال : بشرك .

- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين عن عليّ ، عن زائدة ، عن الحسن بن عبد الله ، عن إبراهيم (وَلَمْ يَكْتَبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بشرك .
- حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَكْتَبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) : أي بشرك .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .
- حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَكْتَبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بعبادة الأوثان .
- حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
- حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَمْ يَكْتَبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بشرك .
- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَلَمْ يَكْتَبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بشرك .
- حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، أن ابن مسعود ، قال لما نزلت (وَلَمْ يَكْتَبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) كُبر ذلك على المسلمين ، فقالوا : يارسول الله ، ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أما سمعتم قول لقمان : إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» .
- حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَمْ يَكْتَبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : عبادة الأوثان .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : بشرك .
- حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (وَلَمْ يَكْتَبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال بشرك . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم ، وذلك فعل ما سبى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله ، وقالوا : الآية على العموم ، لأن الله لم يخص به معنى من معاني الظلم . قالوا : فإن قال لنا قائل : أفلا آمن في الآخرة إلا لمن لم يعص الله في صغيرة ولا كبيرة ، وإلا لمن لقي الله ولا ذنب له ؟ قلنا : إن الله عني بهذه الآية خاصاً من خلقه ، دون الجميع منهم ، والذي عني بها وأراده بها ، خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فأما غيره فإنه إذا لقي الله لا يشرك به شيئاً ، فهو في مشيئته إذا كان قد أتى بعض معاصيه التي لا تبلغ أن تكون كفراً ، فإن شاء لم يؤمنه من عذابه ، وإن شاء تفضل عليه ، فعفا عنه . قالوا : وذلك قول جماعة من السلف ، وإن كانوا مختلفين في المعنى بالآية ، فقال بعضهم : عني بها إبراهيم . وقال بعضهم : عني بها المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .



ذكر من قال : عَنَى بِهِذِهِ الْآيَةَ : إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان وحמיד بن عبد الرحمن ، عن قيس بن الربيع ، عن زياد بن علاقة ، عن زياد بن حرملة ، عن عليّ ، قال : هذه الآية لإبراهيم صلى الله عليه وسلم خاصة ، ليس لهذه الأمة منها شيء .

ذكر من قال : عَنَى بِهَا الْمُهَاجِرُونَ خَاصَةً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان وحמיד بن عبد الرحمن ، عن قيس بن الربيع ، عن سماك ، عن عكرمة (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : هي لمن هاجر إلى المدينة .  
 وأولى القولين بالصحة في ذلك : ما صحّ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه ، أنه قال : «الظُّلْمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الشُّرْكُ» .  
 وأما قوله (أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فإنه يعنى : هؤلاء الذين آمنوا ، ولم يخلطوا لإيمانهم بشرك ، لهم الأمن يوم القيامة من عذاب الله . وهم مهتدون : يقول : وهم المصيبون سبيل الرشاد ، والساكنون طريق النجاة .

#### القول في تأويل قوله

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ (٨٣)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا) : قول إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين : أى الفريقين أحقّ بالأمن ؟ أمن يعبد ربا واحدا مخلصا له الدين والعبادة ، أم من يعبد أربابا كثيرة ؟ وإجابتهم إياه بقولهم : بل من يعبد ربا واحدا أحقّ بالأمن ، وقضاؤهم له على أنفسهم ، فكان في ذلك قطع عندهم ، وانقطاع حجبتهم ، واستعلاء حجة إبراهيم عليهم ، فهي الحجة التي آتاها الله إبراهيم على قومه .

كالذي حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ) قال : هي (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) .  
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال إبراهيم حين سأل : أى الفريقين أحقّ بالأمن ؟ قال : هي حجة إبراهيم ، وقوله (آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ) يقول : لقناها إبراهيم ، وبصرناه إياه ، ورفعناه على قومه ، (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ) . واختلقت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الحجاز والبصرة (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ) ، بإضافة الدرجات إلى من ، بمعنى : نرفع الدرجات لمن نشأه . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ) بتووين الدرجات ، بمعنى نرفع من نشأه درجات . والدرجات : جمع درجة ، وهي المرتبة ، وأصل ذلك مراقى السلم ودرجته ، ثم تستعمل في ارتفاع المنازل والمراتب .

﴿ والصواب من القول في ذلك عندى : أن يقال : هما قراءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء ، متقارب معناهما . وذلك أن من رُفِعَت درجته فقد رُفِعَ في الدرَج ، ومن رُفِعَ في الدرَج فقد رُفِعَت درجته ، فبأيتهما قرأ القارىء فصيب الصواب في ذلك . فعنى الكلام إذن : وتلك حجبتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، فرفعنا بها درجته عليهم ، وشرّفناه بها عليهم في الدنيا والآخرة ؛ فأما في الدنيا فأآتيناها فيها أجره ؛ وأما في الآخرة فهو من الصالحين ، نرفع درجات من نشاء : أى بما فعل من ذلك وغيره .

وأما قوله ( إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَدِيمٌ ) فإنه يعنى : إن ربك يا محمد حكيم في سياسته خلقه ، وتلقيته أنبياءه الحجج على أممهم ، المكذبة لهم ، الجاحدة توحيد ربهم ، وفي غير ذلك من تدييره ، عليم بما يثول إليه أمر رسله ، والمرسل إليهم من ثبات الأمم على تكذيبهم إياهم ، وهلاكهم على ذلك ، وإنايتهم وتوبيتهم منه بتوحيد الله تعالى ، وتصديق رسله ، والرجوع إلى طاعته ، يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : تأس يا محمد في نفسك وقومك المكذبيك ، والمشركين بأبيك خليلي إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، واصبر على ما ينوبك منهم صبره ، فإني بالذى يثول إليه أمرك وأمرهم ، عالم بالتدبير ، فيك وفيهم حكيم .

#### القول في تأويل قوله

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ، وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ

وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤)

﴿ يقول تعالى ذكره : فجزيينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم على طاعته إيانا وإخلاصه ، توحيد ربه ، ومفارقته دين قومه المشركين بالله ، بأن رفعنا درجته في عَالَمِينَ ، وآتيناها أجره في الدنيا ، ووهبنا له أولادا خصصناهم بالنبوة ، وذرية شرّفناهم منا بالكرامة ، وفضلناهم على العالمين . منهم ابنه إسحاق ، وابن ابنه يعقوب ( كُلًّا هَدَيْنَا ) يقول : هدينا جميعهم لسبيل الرشاد ، فوقفناهم للحق والصواب من الأديان ، ( وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ) يقول : وهدينا لمثل الذى هدينا إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الحق والصواب ، فوقفناها له ، نوحا من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ( وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ ) ، والهاء التى فى قوله ( وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ) من ذكر نوح . وذلك أن الله تعالى ذكر فى سياق الآيات التى تنلوا هذه الآية لوطا ، فقال : ( وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ، وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ) ، ومعلوم أن لوطا لم يكن من ذرية إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معطوفا على أسماء من سمينا من ذريته ، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ، ذرية إبراهيم ، لما دخل يونس ولوط فيهم ، ولا شك أن لوطا ليس من ذرية إبراهيم ، ولكنه من ذرية نوح ، فلذلك وجب أن تكون الهاء فى الذرية من ذكر نوح .

فتأويل الكلام : ونوحا وقفنا للحق والصواب ، من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وهدينا أيضا من ذرية نوح داود وسليمان . وداود : هو داود بن إيشا ، وسليمان هو ابنه ، سليمان بن داود ، وأيوب : هو أيوب

ابن موص بن روح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم . ويوسف : هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .  
وموسى : هو موسى بن عمران بن بصير بن قاهث بن لاوى بن يعقوب . وهارون : أخو موسى .  
(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : جزينا نوحا بصبره على ما امتحن به فينا ، بأن هديناه ،  
فوقفناه لإصابة الحق ، الذى خذلنا عنه من عصانا ، فخالف أمرنا ونهينا من قومه ، وهدينا من ذريته من  
بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه ، لمثل الذى هديناه له ، وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا ، وصبرهم  
على التحن فينا ، كذلك نجزي بالإحسان كل محسن .

القول في تأويل قوله

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ ، كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضا لمثل الذى هدينا له نوحا من الهدى والرشاد من ذريته : زكريا بن  
أزن ابن بركيا ، ويحيى بن زكريا ، وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حزقيا ، وإلياس .  
واختلفوا في إلياس ، فكان ابن إسحاق يقول : هو إلياس بن يسى بن فنحاص بن العيزار بن هارون  
ابن عمران ابن أخى موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم . وكان غيره يقول : هو إدريس . ومن ذكر  
ذلك عنه : عبد الله بن مسعود .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة ،  
عن عبد الله بن مسعود ، قال : إدريس : هو إلياس ، وإسرائيل : هو يعقوب . وأما أهل الأنساب فلأنهم  
يقولون : إدريس جد نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ ؛ وأخنوخ : هو إدريس بن يرد بن مهلائيل .  
وكذلك روى عن وهب بن منبه .

والذى يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب ، وذلك أن الله تعالى نسب إلياس في هذه الآية إلى نوح ،  
وجعله من ذريته ؛ ونوح : ابن إدريس عند أهل العلم ، فحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته .  
وقوله ( كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ) يقول : من ذكرناه من هؤلاء الذين سمينا من الصالحين ، يعنى :  
زكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وإلياس ، صلى الله عليهم .

القول في تأويل قوله

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ، وَآلًا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضا من ذرية نوح إسماعيل ، وهو إسماعيل بن إبراهيم ؛ واليسع : هو  
اليسع بن أخطوب بن العجوز .

واختلف القراء في قراءة اسمه ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ( واليسع ) بلام واحدة مخففة . وقد  
زعم قوم أنه يفتح ، من قول القائل : وَسَعَّ يَسَعُ ، ولانكاد العرب تُدخل الألف واللام على اسم يكون  
(١) في الكتاب المقدس ( ذكرى : الإصحاح الاول ، ٢٠ ، ٢١ ) : زكريا بن بَرَخِيَّا بن عِدُو .

على هذه الصورة، أعنى : على يَتَمَعَّل ، لا يقولون : رأيت اليزيد ، ولا أثنى التجيب ، ولا مررت باليشكر ، إلا في ضرورة شعر ، وذلك أيضا إذا تحرى به المدح ، كما قال بعضهم :

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بِنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ<sup>(١)</sup>

فأدخل في اليزيد الألف واللام ، وذلك لإدخاله إبراهيم في الوليد ، فأتبعه اليزيد بمثل لفظه .

وقرأ ذلك جماعة من قرآء الكوفيين ( واللَّيْسَع ) بلامين وبالتشديد ، وقالوا : إذا قرئ كذلك كان أشبه بأسماء العجم ، وأنكروا التخفيف وقالوا : لانعرف في كلام العرب اسما على يفعل فيه ألف ولام . والصواب من القراءة في ذلك عندى قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة ، لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون التشديد ، مع أنه اسم أعجمي ، فيُنطق به على ما هو به . وإنما لا يستقيم دخول الألف واللام فيما جاء من أسماء العرب على يفعل . وأما الاسم الذى يكون أعجميا ، فلأنما ينطق به على ما سُمِّوا به ، فإن غير منه شيء إذا تكلمت العرب به ، فلأنما يغير بتقويم حرف منه ، من غير حذف ولا زيادة فيه ، ولا نقصان ، واللَّيْسَع إذا شدد لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد ، وأخرى أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم ، علمنا أنه قال : اسمه ليسع ، فيكون مشددا عند دخول الألف واللام اللتين تدخلان التعريف . ويونس : هو يونس بن متى ، ولوطا وكُلاً ففضلنا من ذرية نوح ، ونوح ، لهم بينا الحق ، ووقفناهم له ، وفضلنا جميعهم على العالمين ، يعنى : على عالم أزمانهم .

#### القول في تأويل قوله

وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ ، وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضا من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره ، ومن ذرياتهم وإخوانهم آخرين سواهم لم يسمهم ، للحق والدين الخالص الذى لا شرك فيه ، فوقفناهم له . ( وَاجْتَبَيْنَاهُمْ ) يقول : واختارناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه ، كالذى اخترنا من سميئنا ، يقال منه : اجتبي فلان لنفسه كذا : إذا اختاره واصطفاه ، يجتبيه اجتباء .

وكان مجاهد يقول في ذلك ، ما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره ( وَاجْتَبَيْنَاهُمْ ) قال : أخلصناهم .

حدثنى المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله : ( وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) : يقول : وسددناهم ، فأرشدناهم إلى طريق غير معوج ، وذلك دين الله الذى لا عوج فيه ، وهو الإسلام الذى ارتضاه الله ربنا لأنبيائه ، وأمر به عباده .

(١) البيت للرماع بن أبرد الشاعر ، المعروف بابن ميادة ، وهى أمه ، وكانت أمة سوداء ، من قصيدة يمدح بها الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان . قاله الشيخ الأمير في حاشيته على المتن في باب ( آل ) . والشاهد فيه أن آل في ( اليزيد ) زائدة لضرورة الشعر . والأعباء : جمع عبء ، وهو الحمل . والكاهل : ما بين الكتفين . وفي رواية الأمير : « رأيت » في موضع « وجدنا » .

## القول في تأويل قوله

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

(٨٨) يَعْمَلُونَ

يعنى تعالى ذكره بقوله (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ) : هذا الهدى الذى هديت به من سميت من الأنبياء والرسل ، فوفقتهم به لإصابة الدين الحق ، الذى نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم ، وشرف الدنيا ، وكرامة الآخرة ، هو هدى الله . يقول : هو توفيق الله ولطفه ، الذى يوفق به من يشاء ، ويلطف به لمن أحب من خلقه ، حتى يُنْزِلَ إلى طاعة الله ، وإخلاص العمل له ، وإقراره بالتوحيد ، ورفض الأوثان والأصنام . ( وَكَانُوا أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) : يقول : ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم بربهم تعالى ذكره ، فعبدوا معه غيره ( لَحَبِطَ عَنْهُمْ ) يقول : لبطل ، فذهب عنهم أجر أعمالهم التى كانوا يعملون ، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملاً .

## القول في تأويل قوله

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ، فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ

وَكَانُوا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩)

يعنى تعالى ذكره بقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ) هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله : نوحا وذريته الذين هداهم لدين الإسلام ، واختارهم لرسالته إلى خلقه (هُمُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) يعنى بذلك : صحف إبراهيم وموسى وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، صلوات الله عليهم أجمعين . ( وَالْحُكْمَ ) يعنى : الفهم بالكتاب ، ومعرفة ما فيه من الأحكام .

وروي عن مجاهد فى ذلك ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا أبان ، قال : ثنا مالك بن شداد ، عن مجاهد ( وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ) قال : الحكم : هو اللب ، وَعَنَى بذلك مجاهد إن شاء الله ما قلت ، لأن اللب هو العقل ، فكأنه أراد : أن الله آتاهم العقل بالكتاب ، وهو بمعنى ما قلنا من أنه الفهم به ، وقد بينا معنى النبوة والحكم فيما مضى بشواهدهما ، فأغنى ذلك عن إعادته .

القول فى تأويل قوله ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَانُوا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ) :

يقول تعالى ذكره : فإن يكفر يا محمد بآيات كتابى الذى أنزلته إليك ، فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم ، كالذى حدثنى على بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) يقول : إن يكفروا بالقرآن .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بهؤلاء ، فقال بعضهم : عنى بهم كفار قريش ، وعنى بقوله ( فَتَقَدَّرُ بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَاْفِرِيْنَ ) الأنصار .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، في قول الله تعالى ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) قال : أهل مكة ، فقد وكلنا بها أهل المدينة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك ( فَتَقَدَّرُ بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَاْفِرِيْنَ ) قال : الأنصار .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَعْرُءٍ ، عن جويبر ، عن الضحاك ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) قال : إن يكفر بها أهل مكة ، فقد وكلنا بها أهل المدينة الأنصار ، ليسوا بها بكافرين .  
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) يقول : إن يكفر بها قريش ، فقد وكلنا بها الأنصار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) أهل مكة ( فَتَقَدَّرُ بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَاْفِرِيْنَ ) أهل المدينة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) قال : كان أهل المدينة قد تبوءوا الدار والإيمان ، قبل أن يقدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أنزل الله عليهم الآيات ، جحد بها أهل مكة ، فقال الله تعالى ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَتَقَدَّرُ بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَاْفِرِيْنَ ) قال عطية : ولم أسمع هذا من ابن عباس ، ولكن سمعته من غيره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) يعني أهل مكة ، يقول : إن يكفروا بالقرآن ( فَتَقَدَّرُ بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَاْفِرِيْنَ ) : يعني أهل المدينة والأنصار .

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن يكفر بها أهل مكة ، فقد وكلنا بها الملائكة .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن أبي رجاء ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَتَقَدَّرُ بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَاْفِرِيْنَ ) قال : هم الملائكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدي ، وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن أبي رجاء ، مثله .

وقال آخرون : عنى بقوله ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) عنى قريشا ، وبقوله ( فَتَقَدَّرُ بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَاْفِرِيْنَ )

قَوْمًا) الأنبياء الذين سماهم في الآيات التي مضت قبل هذه الآية .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) يعنى أهل مكة ( فَتَقْدُوكُمْ لَنْ يُنصِرُوا بِهَا كَافِرِينَ ) وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين قال الله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، فَبِهِدْ أَهْمُ اقْتَدِهْ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) قال : يعنى : قوم محمد ، ثم قال ( فَتَقْدُوكُمْ لَنْ يُنصِرُوا بِهَا كَافِرِينَ ) يعنى : النبيين الذين قص قبل هذه الآية قصصهم ، ثم قال ( أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، فَبِهِدْ أَهْمُ اقْتَدِهْ ) . وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : قول من قال : عنى بقوله ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) كفار قريش . ( فَتَقْدُوكُمْ لَنْ يُنصِرُوا بِهَا كَافِرِينَ ) يعنى به : الأنبياء الثمانية عشر ، الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية ، وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى ، وفى التي بعدها عنهم ذكير ، ففينا بينها ، بأن يكون خبرا عنهم أولى وأحق ، من أن يكون خبرا عن غيرهم .

فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك : فإن يكفر قومك من قريش يا محمد بآياتنا ، وكذبوا وجحدوا حقيقتها ، فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك ، الذين لا يجحدون حقيقتها ، ولا يكذبون بها ، ولكنهم يصدقون بها ، ويؤمنون بصحتها ، وقد قال بعضهم : معنى قوله ( فَتَقْدُوكُمْ لَنْ يُنصِرُوا بِهَا هَؤُلَاءِ ) : رزقناها قوما .

القول في تأويل قوله

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدِهْ ، قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

لِّلْعَالَمِينَ (٩٠)

يقول تعالى ذكره ( أُولَئِكَ ) : هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا ، وليسوا بها بكافرين ، هم الذين هداهم الله لدينه الحق ، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه ، والقيام بحدوده ، واتباع حلاله وحرامه ، والعمل بما فيه من أمر الله ، والانتها عما فيه من نهيه ، فوفقهم جل ثناؤه لذلك ( فَبِهِدْ أَهْمُ اقْتَدِهْ ) يقول تعالى ذكره : فبالعمل الذى عملوا ، والمنهاج الذى سلكوا ، وبالهدى الذى هديناهم ، والتوفيق الذى وبقناهم ، اقتده يا محمد : أى فاعمل وخذ به واسلكه ، فإنه عمل الله فيه رضا ، ومنهاج من سلكه اهتدى . وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله ( فَتَقْدُوكُمْ لَنْ يُنصِرُوا بِهَا كَافِرِينَ ) أنهم الأنبياء المسمون في الآيات المتقدمة ، وهو القول الذى اخترناه في تأويل ذلك . وأما على تأويل من تأول ذلك أن القوم الذين وكلوا بها هم أهل المدينة ، أو أنهم هم الملائكة ، فلأنهم جعلوا قوله ( فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ) فَتَقْدُوكُمْ لَنْ يُنصِرُوا بِهَا كَافِرِينَ ) اعتراضا بين الكلامين ، ثم رددوا قوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ

هَدَى اللَّهُ، فَبِهْدَاهُمْ اِقْتَدِهْ) على قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ).  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهْدَاهُمْ اِقْتَدِهْ) يا محمد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) يا محمد (فَبِهْدَاهُمْ اِقْتَدِهْ) ولا تقتد بهؤلاء .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنى أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهْدَاهُمْ اِقْتَدِهْ) .

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال في الأنبياء الذين سماهم في هذه الآية (فَبِهْدَاهُمْ اِقْتَدِهْ) . ومعنى الاقتداء في كلام العرب بالرجل : اتباع أثره ، والأخذ بهديه ، يقال : فلان يقدر فلانا : إذا نحا نحوه ، واتبع أثره ، قِدْرَةٌ وَقِدْوَةٌ وَقِدْوَةٌ .

القول في تأويل قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ) :  
يقول تعالى ذكره ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل هؤلاء الذين أمرتك أن تذكرهم بآياتي أن تبسل نفس بما كسبت من شركي قومك يا محمد : لا أسألكم على تذكري إياكم ، والهدى الذي أدعوكم إليه ، والقرآن الذي جئتكم به ، عيوضا أعتاضه منكم عليه ، وأجرا آخذ منكم ، وما ذلك مني إلا تذكر لكم ، ولكل من كان مثلكم ، ممن هو مقيم على باطل ، بأس الله أن يحل بكم ، ويحطه أن ينزل بكم ، على شرككم به وكفركم ، وإنذار لجميعكم ، بين يدي عذاب شديد ، لتذكروا وتزجروا .

#### القول في تأويل قوله

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ، وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ، قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)  
يقول تعالى ذكره : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) وما أجلوا الله حق إجلاله ، ولا عظّموه حق تعظيمه (إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ) يقول : حين قالوا : لم ينزل الله على آدمي كتابا ولا وحيا .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ) ، وفي تأويل ذلك ، فقال بعضهم : كان قائل ذلك رجلا من اليهود ، ثم اختلفوا في اسم ذلك الرجل ، فقال بعضهم :

(١) تكررت كلمة قدوة ثلاث مرات ، فلعل الأعيمة معرفة عن (قدية) بكسر القاف .



كان اسمه مالك بن الصيْف. وقال بعضهم : كان اسمه فَنُحَاص . واختلفوا أيضا في السبب الذي من أجله قال ذلك :

ذكر من قال : كان قائل ذلك مالك بن الصيْف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل من اليهود ، يقال له مالك بن الصيْف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنْشُدْكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، أَمَا تَجِدُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْحَسْبَرَ السَّمِينِ ؟ » وكان حبرا سمينا ، فغضب فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ولا موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فأنزل الله ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، فَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ) قال : نزلت في مالك بن الصيْف ، كان من قريظة ، من أحبار يهود . ( قُلْ ، يَا مُحَمَّدُ - مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ) . . . الآية .

ذكر من قال : نزلت في فنحاص اليهودي .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ) قال : قال فنحاص اليهودي : ما أنزل الله على محمد من شيء .

وقال آخرون : بل عني بذلك جماعة من اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آيات مثل آيات موسى .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا أبو معشر المدني ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : جاء ناس من يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مُخْتَبٍ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله ، فأنزل الله ( يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَتَقْدِرُ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَتَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ) . . . الآية ، فجنبا رجل من يهود ، فقال : ما أنزل الله عليك ، ولا على موسى ، ولا على عيسى ، ولا على أحد شيئا ، فأنزل الله ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) قال محمد بن كعب : ما علموا كيف الله ( إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا ) ، فحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حَبْوتَه ، وجعل يقول : ولا على أحد ؟

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ،

إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ . . . إلى قوله ( فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ) هم اليهود والنصارى ، قوم آتاهم الله علما ، فلم يهتدوا به ، ولم يأخذوا به ، ولم يعملوا به ، فذمهم الله في عملهم ذلك . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ مِنْ أَكْثَرِ مَا أَنَا مَخَاصِمٌ بِهِ غَدَا ، أَنْ يُقَالَ : يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ قَدْ عَلِمْتَ ، فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيهَا عَلِمْتَ ؟

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) ، إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ) ( يعني : من بني إسرائيل ، قالت اليهود : يا محمد أنزل الله عليك كتابا ؟ قال : نعم ، قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتابا . فأنزل الله : ( قُلْ ) يا محمد ( مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ) . . . إلى قوله ( وَلَا آبَاؤُكُمْ ) قال : الله أنزله .

وقال آخرون : هذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشركي قريش ، أنهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير : إنه سمع مجاهدا يقول ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) ، إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ) قالها مشركو قريش ، قال : وقوله ( قُلْ : مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ) قال : هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا . قال : وقوله ( وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ) قال : هذه للمسلمين .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) قال : هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك ، فلم يقدر الله حق قدره . حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) يقول : مشركو قريش .

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك : قول من قال : عَنِّي بِذَلِكَ : وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ مشركو قريش . وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولا ، فإن يكون ذلك أيضا خبرا عنهم ، أشبه من أن يكون خبرا عن اليهود ، ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا ، مع ما في الخبر عن أن خبر الله عنه في هذه الآية ، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئا من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود ، الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود ، وإذ لم يكن بما روى من الخبر ، بأن قائل ذلك كان رجلا من اليهود ، خبر صحيح متصل السند ، ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماع ، وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع ، خبرا عن المشركين من عبدة الأوثان ، وكان

قوله ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) موصولا بذلك غير مفصول منه ، لم يجوز لنا أن ندعى أن ذلك مصروف عما هو به موصول ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل ، ولكني أظن أن الذين تأولوا ذلك خبرا عن اليهود ، وجدوا قوله ( قُلْ : مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ، يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا ، وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ، وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ) فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة ، فقرءوه على وجه الخطاب لهم : يجعلونه قراطيس يبدونها ، وتخفون كثيرا ، وعلَّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ، فجعلوا ابتداء الآية خبرا عنهم ، إذ كانت خاتمتها خطابا لهم عندهم ؛ وغير ذلك من التأويل والقراءة ، أشبهه بالتنزيل ، لما وصفت قبل ، من أن قوله ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) في سياق الخبر عن مشركي العرب ، وعبدة الأوثان ، وهو به متصل ، فالأولى أن يكون ذلك خبرا عنهم .

والأصوب من القراءة في قوله ( يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا ، وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ) أن يكون بالياء لا بالتاء ، على معنى أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ، ويكون الخطاب بقوله : قُلْ من أنزل الكتاب لمشركي قريش ، وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك ، وكذلك كان يقرأ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف ( يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ) .

القول في تأويل قوله ( قُلْ : مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ، يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ) :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( قُلْ ) يا محمد لمشركي قومك القائلين لك : ما أنزل الله على بشر من شيء ، ( قُلْ : مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا ) يعني : جلاء وضياء من ظلمة الضلالة ( وَهُدًى لِلنَّاسِ ) يقول : بيانا للناس ، يبين لهم به الحق من الباطل ، فيما أشكل عليهم من أمر دينهم ، يجعلونه قراطيس يبدونها ، فن قرأ ذلك ( يَجْعَلُونَهُ ) جعله خطابا لليهود ، على ما بينت من تأويل من تأول ذلك كذلك ، ومن قرأه بالياء ( يَجْعَلُونَهُ ) فتأويله في قراءته : يجعله أهله قراطيس ، وجرى الكلام في يبدونها بذكر القراطيس ، والمراد منه : المكتوب في القراطيس ، يراد يبدون كثيرا مما يكتبون في القراطيس ، فيظهرونه للناس ، ويخفون كثيرا مما يثبتونه في القراطيس فيسرونه ، ويكتمونه الناس ، ومما كانوا يكتمونه إياهم ، ما فيها من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته .

كالذي حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : ( قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا ، وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ) : اليهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ( قُلْ ) يا محمد ( مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ، يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا )

يعنى يهود لما أظهروا من التوراة ( وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ) مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل عليه . قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير ، إنه سمع مجاهدا يقول ( يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا ، وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ) قال : هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا .

القول فى تأويل قوله ( وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ، قُلْ : اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : وعلمكم الله جل ثناؤه ، الكتاب الذى أنزله إليكم ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم ، ومن أنباء من بعدكم ، وما هو كائن فى معادكم يوم القيامة ( وَلَا آبَاؤُكُمْ ) يقول : ولم يعلمه آبائكم أيها المؤمنون بالله من العرب ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم .

كالذى حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهنال ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد : ( وَعَلَّمْتُمْ ) معشر العرب ( مَا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير ، إنه سمع مجاهدا يقول فى قوله ( وَعَلَّمْتُمْ ) ما لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ) قال : هذه للمسلمين . وأما قوله ( قُلْ : اللَّهُ ) فإنه أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله ( قُلْ : مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ، يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا ، وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ) بقيله : الله ، كما أمره إياه فى موضع آخر فى هذه السورة بقوله ( قُلْ : مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ) فأمره باستفهام المشركين عن ذلك ، كما أمره باستفهامهم ( إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ) عن أنزل الكتاب الذى جاء به موسى ، نُورًا وهدى للناس ، ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله ( قُلْ : اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ، ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ) كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله : الله أنزله على موسى .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ( قُلْ : مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ) قال : الله أنزله ، ولو قيل : معناه : قل هو الله ، على وجه الأمر من الله له بالخبر عن ذلك ، لاعلى وجه الجواب ، إذ لم يكن قوله ( قُلْ : مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ ) مسألة من المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون قوله ( قُلْ : اللَّهُ ) جوابا لهم عن مسألتهم ، فإنما هو أمر من الله لمحمد بمسألة القوم : من أنزل الكتاب ، فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذى قاله ابن عباس من تأويله ، كان جائزا من أجل أنه استفهام ، ولا يكون للاستفهام جواب ، وهو الذى اخترنا من القول فى ذلك ، لما بينا .

وأما قوله ( ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ) فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم ذر هؤلاء المشركين ، العادلين بربههم الأوثان والأصنام ، بعد احتجاجك عليهم فى قبيلهم ( مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى

بَشَّرَ مِنْ شَيْءٍ ) بقولك ( مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ) وإجابتك ذلك بأن الذي أنزله الله الذي أنزل عليك كتابه في خوضهم ، يعنى : فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته يلعبون ، يقول : يستهزئون ويسخرون ، وهذا من الله وعيد هؤلاء المشركين ، وتهديد لهم ، يقول الله جل ثناؤه : ثم دعهم لآعين يا محمد ، فإنى من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتى بالميرصاد ، وأذيقهم بأسى ، وأحل بهم - إن تمادوا في غيهم - مخطئى .

## القول فى تأويل قوله

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ،

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره ( وَهَذَا ) القرآن يا محمد ( كِتَابٌ ) وهو اسم من أسماء القرآن ، قد بينته وبينت معناه فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ، ومعناه : مكتوب ، فوضع الكتاب مكان المكتوب . ( أَنْزَلْنَاهُ ) : يقول : أوحيناه إليك ( مُبَارَكٌ ) ، وهو مفاعل من البركة . ( مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ) : يقول : صدق هذا الكتاب ما قبله ، من كتب الله ، التى أنزلها على أنبيائه قبلك ، لم يخالفها ولا بنياً ، وهو معنى نورا وهدى للناس ، يقول : هو الذى أنزل إليك يا محمد هذا الكتاب مباركاً مصدقاً ، كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله ، ولكنه جل ثناؤه ابتداء الخبر عنه ، إذ كان قد تقدم الخبر عن ذلك ، ما يدل على أنه به متصل ، فقال : وهذا كتاب أنزلناه إليك مبارك ، ومعناه : وكذلك أنزلت إليك كتابى هذا مباركاً ، كالذى أنزلت من التوراة إلى موسى هدى ونورا .

وأما قوله ( وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ) فإنه يقول : أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب ، مصدقاً ما قبله من الكتب ، ولتنذر به عذاب الله وبأسه مَنْ فى أم القرى ، وهى مكة ومن حولها شرقاً وغرباً ، من العادلين بربهم غيره من الآلهة والأنداد ، والجاحدين برسله وغيرهم من أصناف الكفار . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ) يعنى بأم القرى : مكة ومن حولها من القرى ، إلى المشرق والمغرب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ) وأم القرى : مكة ، ومن حولها : الأرض كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( وَلَيْتُنَدِرَ أُمَّ الْقُرَى ) قال : هي مكة . وبه عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أن الأرض دُحِيت من مكة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَيْتُنَدِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ) كنا نحدث أن أم القرى : مكة ، وكنا نحدث أن منها دُحِيت الأرض .  
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَيْتُنَدِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ) أمّا أم القرى : فهي مكة ، وإنما سميت أم القرى ، لأنها أول بيت وضع بها . وقد بينا فيما مضى العلة ، التي من أجلها سميت مكة : أم القرى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .  
القول في تأويل قوله ( وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد في الآخرة إلى الله ، ويصدق بالثواب والعقاب ، فإنه يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد ، ويصدق به ، ويقر بأن الله أنزله ، ويحافظ على الصلوات المكتوبات ، التي أمره الله بإقامتها ، لأنه منذر من بلغه وعيد الله على الكفر به ، وعلى معاصيه ، وإنما يحمد به وبما فيه ، ويكذب أهل التكذيب بالمعاد والجنود ، لقيام الساعة ، لأنه لا يرجو من الله إن عمل بما فيه ثوابا ، ولا يخاف إن لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقابا .

#### القول في تأويل قوله

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)

يعنى جل ذكره بقوله ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) : ومن أخطأ قولاً ، وأجهل فعلاً من افتري على الله كذباً ، يعنى : من اختلق على الله كذباً ، فادعى عليه أنه بعثه نبياً ، وأرسله نذيراً ، وهو في دعواه مبطل ، وفي قبيله كاذب ، وهذا تسفيه من الله لمشركى العرب ، وتجهيل منه لهم في معارضة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، والحنى مسيئمة ، لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، بدعوى أحدهما النبوة ، ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونفى منه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق الكذب عليه ، ودعوى الباطل .

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ) قال : نزلت في مسيلمة أخى بنى عدى بن حنيفة ، فيما كان يسجع ويتكهن به ( وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ) نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أخى بنى عامر بن لؤى ، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يُمبلي : عزيز حكيم ، فيكتب : غفور رحيم ، فيغيره ، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل ، فيقول : نعم سواء ، فرجع عن الإسلام ، ولحق بقريش ، وقال لهم : لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم ، فأحوّله ثم أقول لما أكتب ، فيقول نعم سواء ، ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة ، إذ نزل النبي صلى الله عليه وسلم بمكة .  
وقال بعضهم : بل نزل ذلك في عبد الله بن سعد خاصة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ) . . . إلى قوله ( تُجَزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ) قال : نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم ، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه : سميعا عليا ، كتب هو : عليا حكيا ، وإذا قال : عليا حكيا ، كتب : سميعا عليا ، فشكّ وكفّر ، وقال : إن كان محمد يوحى إليه ، فقد أوحى إليّ ، وإن كان الله ينزله ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله ، قال محمد : سميعا عليا ، فقلت أنا : عليا حكيا ، فلحق بالمشركين ، ووشى بعمار وجببر عند ابن الحضرمي ، أو لبني عبد الدار ، فأخذوهم فعذبوا حتى كفروا ، وجُدِعَ أذن عمار يومئذ ، فانطلق عمار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما لقي ، والذي أعطاهم من الكفر ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولاه ، فأنزل الله في شأن ابن أبي سرح وعمار وأصحابه ( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ) فالذي أكره عمار وأصحابه ، والذي شرح بالكفر صدرا ، فهو ابن أبي سرح .

وقال آخرون : بل القائل ( أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ) : مسيلمة الكذاب .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ) ، وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ) : ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في مسيلمة ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيتُ فيما يرى النَّائمُ كأنَّ في يدي سيورَينِ مِنْ ذَهَبٍ ، فكُتِبَ عَلَيَّ وَأَهْمَانِي ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخَهُمَا ، فَتَفْخُضَهُمَا فَطَارَا ، فَأَوْلَتْهُمَا فِي مَنَامِي الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا : كَذَّابُ الْيَمَامَةِ مُسَيْلِمَةُ ، وَكَذَّابُ صَنْعَاءَ الْعَنْسِيِّ .  
وكان يقال له الأسود .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ( أُوْحِيَ إِلَىَّ ،  
وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ) قال : نزلت في مسيلمة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، وزاد فيه :  
وأخبرني الزهري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِینَ  
ذَهَبٍ ، فَكُتِبَ ذَلِكَ عَلَيَّ ، فَأُوْحِيَ إِلَىَّ أَنْ انْفُخْهُمَا ، فَانْفُخْتُهُمَا فَطَارَا ، فَأَوَّلْتُ ذَلِكَ  
كَذَّابَ الْيَمَامَةِ ، وَكَذَّابَ صَنْعَاءَ الْعَنْسِيِّ » .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن الله قال ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى  
اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ) ولا تَمْتَنُحُ بين علماء الأمة ، أن ابن أبي سرح  
كان ممن قال : إني قد قلت مثل ما قال محمد ، وإنه ارتد عن إسلامه ، ولحق بالمشركين ، فكان لاشك  
بذلك من قبله ، مفتريا كذبا . وكذلك لاخلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين ، ادعيا على الله  
كذبا أنه بعثهما نبين ، وقال كل واحد منهما : إن الله أوحى إلي ، وهو كاذب في قبله .

فإذ كان ذلك كذلك ، فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقا على الله كذبا ، وقائلا في ذلك الزمان  
وفي غيره أوحى الله إلى ، وهو في قبله كاذب : لم يُوحَ اللهُ إِلَيْهِ شَيْئًا . فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل  
بسبب بعضهم ، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم ، وجائز أن يكون عتَى به جميع المشركين من العرب  
إذ كان قائلو ذلك منهم ، فلم يغيروه ، فعبرهم الله بذلك ، وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك ، ومع  
تركهم نكيره ، هُمُ بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مكذبون ، ولنبوته جاحدون ، ولآيات كتاب الله وتنزيله  
دافعون ، فقال لهم جل ثناؤه : ومن أظلم ممن ادعى على النبوة كاذبا ، وقال ( أُوْحِيَ إِلَىَّ ، وَلَمْ يُوحَ  
إِلَيْهِ شَيْءٌ ) ومع ذلك يقول ( ما أنزل الله على بشتر من شَيْءٍ ) فينقض قوله بقوله ، ويكذب بالذى  
تحققه ، وينبئ ما يثبت ، وذلك إذا تدبره العاقل الأريب ، علم أن فاعله من عقله عديم .

وقد روى عن ابن عباس ، أنه كان يقول ، في قوله ( وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ) .  
ما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ) قال : زعم أنه لو شاء قال مثله ، يعنى الشعر ، فكان  
ابن عباس في تأويله هذا على ما تأوله ، يوجه معنى قول قائل : سأنزل مثل ما أنزل الله ، إلى : سأنزل مثل  
ما قال الله من الشعر ، وكذلك تأوله السدي ، وقد ذكرنا الرواية عنه قبل فيما مضى .

القول في تأويل قوله ( وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ  
أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ ) :

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء  
الظالمين ، العادلين بربهم الآلهة والأنداد ، والقائلين ما أنزل الله على بشر من شيء ، والمفترين على الله كذبا ،  
الزاعمين أن الله أوحى إلي ، ولم يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، والقائلين : سأنزل مثل ما أنزل الله ، فتعابنهم وقد غشيتهم



سكرات الموت ، ونزل بهم أمر الله ، وحان فناء آجالهم ، والملائكة باسطوا أيديهم ، يضربون وجوههم وأدبارهم ، كما قال جل ثناؤه ( فَتَكَيَّفَ إِذَا تَوَقَّعْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأُذْبَارَهُمْ ؟ ) ذلك بأنيهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكبرهوا رضوانه ( يَقُولُونَ لَسْمٌ ) ( أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ) . والغمرات : جمع غمر ، وغمر كل شيء : كثرته ومعظمه ، وأصله : الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها ، ومنه قول الشاعر :

وَهَلْ يُنْجِي مِّنَ الْغَمَرَاتِ إِلَّا  
بَرَآكَاءُ الْقِتَالِ أَوْ الْفِيسَرَارُ<sup>١</sup>

وروي عن ابن عباس في ذلك ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَكَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ) قال : سكرات الموت حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ) يعني : سكرات الموت . وأما بسط الملائكة أيديهم ، فإنه مدحها ثم اختلف أهل التأويل في سبب بسطها أيديها عند ذلك ، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك . ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ ) قال : هذا عند الموت ، والبسط : الضرب . يضربون وجوههم وأدبارهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ ) يقول : الملائكة باسطوا أيديهم ، يضربون وجوههم وأدبارهم ، والظالمون في غمرات الموت ، وملك الموت يتوفاهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ ) يضربونهم . وقال آخرون : بل بسطها أيديها بالعذاب .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك ( وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ ) قال : بالعذاب .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن

(١) البيت لبشر بن أبي خازم (اللسان : برك) . والغمرات : جمع غمرة ، وهي الشدة في الحرب . والبركاء ، يفتح الباء ونسبها والبروكاء : الثبات في الحرب والجد ، وأصله من البروك . قال بشر بن أبي خازم : ولا ينجي . . . البيت .

أبي خالد ، عن أبي صالح (وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ) بالعذاب . وكان بعض نحوِّي الكوفيين يتأول ذلك بمعنى : باسطو أيديهم بإخراج أنفسهم .

فإن قال قائل : ما وجه قوله ( أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ) ونفوس بني آدم إنما يخرجها من أبدان أهلها رب العالمين ، فكيف خوطب هؤلاء الكفار ، وأمرُوا في حال الموت بإخراج أنفسهم ، فإن كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفسهم أجسامهم؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذي ذهبت ، وإنما ذلك أمر من الله على ألسن رسله ، الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم ، بأداء ما أسكنها ربها من الأرواح إليه ، وتسليمها إلى رسله الذين يتوقفون .

القول في تأويل قوله ( الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ) :

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما تقول رسل الله ، التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها ، يخرج عنها أنها تقول لأجسامها ولأصحابها : أخرجوا أنفسكم إلى سخط الله ولعنته ، فإنكم اليوم تثابون على كفركم بالله ، وقيلكم عليه الباطل ، وزعمكم أن الله أوحى إليكم ولم يوح إليكم شيئاً ، وإنذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً ، واستكباركم عن الخضوع لأمر الله ، وأمر رسوله ، والانقياد لطاغته . عذاب الهون ، وهو عذاب جهنم الذي يهينهم فيلطم ، حتى يعرفوا صغار أنفسهم وذلتها .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما ( عَذَابَ الْهُونِ ) فالذي يهينهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ) قال : عذاب الهون في الآخرة بما كنتم تعملون ، والعرب إذا أرادت بالهون معنى الهوان ، ضمت الهاء ؛ وإذا أرادت به الرفق والدعة وخفة المثونة ، فتحت الهاء ، فقالوا : هو قليل هون المثونة ؛ ومنه قول الله ( الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) يعني : بالرفق والسكينة والوقار ؛ ومنه قول المثنى ابن جندب الطهوي :

وَنَقَضَ أَيَّامَ نَقَضْنَ أَسْرَهُ هَوْنًا وَالنَّقَى كُلُّ شَيْخٍ فَخْرَهُ ١  
ومنه قول الآخر :

هَوْنُكُمْ لَا يَرُدُّ الدَّهْرَ مَا فَاتَنَا لَا تَهْلِكَا أَسْفَافًا فِي إِثْرِ مَنْ مَاتَا ٢

يريد : رَوْدًا . وقد حكى فتح الهاء في ذلك بمعنى الهوان ، واستشهدوا على ذلك بببيت عامر بن جويين :

(١) النقض : إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء . والمراد هنا أن مر الأيام ، يضعف القوى ويهدمه . والأسر : شدة الخلق . ورجل مأسور مأطور : شديد عقد المفاصل والأوصال ، وكذلك الدابة . وفي التنزيل : « نحن خلقناهم وشددنا أسرهم » أي شدنا خلقهم . وقيل أسرهم : مفاصلهم . والهون : الرفق والدعة . أي شيئاً بعد شيء . يقول : إن الأيام أضغثن ما كان موثقاً من خلقه شيئاً فشيئاً . وترك الشيخ فخره بالفتوة والشباب . ولم أجد الرجز في كتب اللغة .

(٢) البيت منسوب للشاعر (اللسان : هون) ، أنشده ابن بري في حواشيه على الصراح شاهداً على أن الهون : الرفق . وفيه « من ماتا » في موضع « من فاتا » .

تَهِينُ النَّفْسُ وَهَوْنُ النَّفْسِ عِنْدَ الْكَرِيهَةِ أَعْلَى لَهَا<sup>١</sup>  
 والمعروف من كلامهم ضمّ الماء منه إذا كان بمعنى الهوان والذلّ ، كما قال ذو الإصبع العدواني :  
 اذْهَبْ إِلَىكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ تَرَعَى الْخَاضَ وَلَا أُغْضِي عَلَى الْهُونِ<sup>٢</sup>  
 يعنى على الهوان ، وإذا كان بمعنى الرفق ففتحتها .

## القول في تأويل قوله

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ رِزَّةٍ وَتَرَكَتُمْ مَا خَوَّانُكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ،  
 وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُوا ، لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ  
 عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لؤلؤ العادلين به الآلهة والأنداد ، يخبر عباده أنه  
 يقول لهم عند ورودهم عليه (لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى) ويعنى بقوله : فُرَادَى : وحدانا لامال معهم ولا  
 أئاث ، ولا رفيق ، ولا شيء مما كان الله خولهم في الدنيا (كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) عُرَاةً غُلْفًا غُرْلًا  
 حُفَاةً كما ولدتهم أمهاتهم ، وكما خلقهم جلّ ثناؤه في بطون أمهاتهم ، لا شيء عليهم ولا معهم ، مما كانوا  
 يتباهون به في الدنيا . وفردى : جمع ، يقال لواحدها : فَرَدَ ، كما قال نابغة بني ذبيان :

مَنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْثِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ<sup>٣</sup>

وفرد وفريد ، كما يقال : وَحْدٌ وَوَحِيدٌ وَوَحِيدٌ في واحد الأوحاد ، وقد يجمع الفَرْدَ الْفَرَادَ ، كما يجمع  
 الْوَحْدَ الْوَحَادَ ؛ ومنه قول الشاعر :

تَرَى النَّعْرَاتِ الزَّرْقَ فَوْقَ لَبَانِهِ فُرَادٍ وَمَشَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ<sup>٤</sup>

وكان يونس الجرمي<sup>٥</sup> فيما ذكر عنه يقول : فُرَادٍ : جمع فَرْدٍ ، كما قيل : تَوَاءَمَ وَتَوَأَمَ لِلْجَمِيعِ ، ومنه الْفُرَادَى

(١) في (اللسان : هون) جاء الشطر الأول من البيت مبذوما بقاء الخطاب . ونسب للخنساء ، وقال : الهون (بالضم) الهوان  
 والشدة ، أصابه هون شديد : أى شدة ومضرة وعوز ، قالت خنساء : تهين . . الخ ، تريد إهانة النفوس . ابن بري : الهون  
 بالضم : الهوان . ولعل رواية المؤلف له بفتح الهاء رواية كوفية .

(٢) البيت لدى الإصبع العدواني (اللسان : هون) . قال ابن بري : الهون بالضم : الهوان . قال ذو الإصبع : اذهب . . البيت  
 والخاض : الإبل الخوامل ، يتفاهل لها بأنها تصير إلى ذلك ، وتستخض بولها إذا نتجت . واحدها : خلفه ، على غير قياس .  
 وأغضى : أغضى عيني ، أو أقارب ما بين جفنيها .

(٣) البيت في ديوان النابغة (بختار الشعر الجاهل طيبة الحلبي ص ١٥٠) من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر . وجرة : مكان بين مكة  
 والبصرة ، فيه وحوش كثيرة . وموشى الأكارع : صفة لثور في البيت قبله ، يصفه بأنه أبيض ، وفي قوائمه نقط سود . وطاوي :  
 ضامر . والمصير : واحد المصران ، كنى به عن ضمور بطنه . كسيف الصيقل : أى يلعب ويلوح بياضه كبياض السيف الجلبو .  
 والصيقل : جلاء السيوف ، والفرد : الذى لا مثيل له في الجودة ، وهو من صفة السيف .

(٤) البيت تخيم بن أبي بن مقبل (اللسان : نعر) قال الأحمر : النعرة : ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها . قال ابن مقبل : ترى . .  
 البيت . وفيه « الخفسر » و « أحاد » في موضع : « الزرق » و « فراد » . ثم قال : أى قتلها صميلة . ولبانه : صدره .

(٥) لا نعلم يونس الجرمي من النحويين ولعله يريد يونس النسيبي ، فتصحف اللفظ على التناسخ .

والرُّدَّآفِي والغَوَافِي<sup>١</sup> ، ويقال : رجل فَرَد ، وامرأة فَرَد ، إذالم يكن لها أخ ، وقد فَرَدَ الرجل فهو يَفْرُدُ فُروداً ، يراد به تفرد ، فهو فارد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : أخبرني عمرو أن ابن أبي هلال حدثه ، أنه سمع القرطبي يقول : قرأت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قول الله (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) فقالت : واسوءتاه ، إن الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوء بعض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ، لَا يَنْظُرُ الرَّجَالُ إِلَى النِّسَاءِ ، وَلَا النِّسَاءُ إِلَى الرَّجَالِ ، شُغِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ » .

وأما قوله ( وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ) فإنه يقول : خَلَقْتُمْ أيها القوم مامكناكم في الدنيا ، مما كنتم تقباهون به فيها ، خلفكم في الدنيا ، فلم تحملوه معكم ، وهذا تعبير من الله جل ثناؤه هؤلاء المشركين بمباهاتهم ، التي كانوا يتباهون بها في الدنيا بأموالهم ، وكل من ملكته غيرك وأعطيته ، فقد خولته ، يقال منه : خال الرجل يخال أشد الخيال بكسر الخاء ، وهو خائل ، ومنه قول أبي النجم :

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ يَبْخُلْ كَوْمَ الذَّرَا مِينَ خَوْلِ الْمُخَوْلِ<sup>٢</sup>

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بيت زهير :

هَنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخْوَلُوا وَإِنْ يُسَأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَتَسَيَّرُوا يَتَغَلُّوا<sup>٣</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ ) من المال والخدم وراء ظهوركم في الدنيا .

القول في تأويل قوله ( وَمَا تَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ) :  
يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بَرَبِهِمُ الْأُنْدَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ، لِغَيْبِهِ : إِنْ اللَّاتُ وَالْعُزَّى يَشْفَعَانِ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَقِيلَ : إِنْ ذَلِكَ كَانَ قَوْلَ كَافَّةِ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ .

ذكر من قال ذلك :

(١) كذا في الأصول . وفيه تحريف .

(٢) ورد البيت الثاني من هذين البيتين في (اللسان : خول) منسوباً لأبي النجم . ولم يبخل : بتشديد الخاء : أي لم ينسب إلى البخل ، لأنه أعطى عطاء جزلاً . وكوم : جمع كوما ، وهي الناقة الضخمة السنام . والذرا : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء ، والمقصود بالذرا هنا : الأستمة . والخول : ما أعطى الله الإنسان من العبيد والخدم ، هذا أصله ، والمراد هنا أنه أعطى ما ملك وخول من الأموال ، وهي الإبل . والخول : بصيغة اسم المفعول : أي المعطى الذي خوله الله وملكه المال والعبيد . وبصيغة اسم الفاعل ، هو المعطى للأموال تفضلاً .

(٣) البيت لزهير كما في (لسان العرب : خيل وخول . وخنار الشعر الجاهل طبعه الحلبي ص ٢٣٩) ويستخولوا : قال في اللسان : والاستخوال : مثل الاستخبال ، من أخبلته المال : إذا أعرته ناقة لينتفع بألبانها وأوبارها ، أو فرساً يغزو عليه . ومنه قول زهير : هنالك . . . البيت . وييسروا : يقامروا . ويفلوا : يختاروا سنان الإبل وأحاسنها ، باذلين فيها غالي الثمن .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما قوله ( وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ) فإن المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الآلهة ، لأنهم شفعا ، يشفعون لهم عند الله ، وأن هذه الآلهة شركاء لله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة ، قال : قال النضر بن الحارث : سوف تشفع لي اللات والعزى ؛ فنزلت هذه الآية : ( وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) . . . إلى قوله ( شُرَكَاءَ ) .

القول في تأويل قوله ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ) ، وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ) : يقول تعالى مخبرا عن قبله يوم القيامة هؤلاء المشركين به الأنداد ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ) يعني : توصلهم الذي كان بينهم في الدنيا ، ذهب ذلك اليوم ، فلا توصل بينهم ولا تواد ولا تناصر ، وقد كانوا في الدنيا يتواصلون ويتناصرون ، فاضمحلت ذلك كله في الآخرة ، فلا أحد منهم ينصر صاحبه ، ولا يواصله .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ) البين : توصلهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ) قال : توصلهم في الدنيا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ) قال : وصلكم .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ) قال : ما كان بينكم من الوصل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ) يعني : الأرحام والمنازل .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ) يقول : تقطع ما بينكم .

حدثنا أبو كريب ، قال : قال أبو بكر بن عياش ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ) : التوصل في الدنيا . واختلفت القراء في قوله ( بَيْنَكُمْ ) فقرأه عامة قراء أهل المدينة نصبا ، بمعنى لقد تقطع ما بينكم ،

وقرأ ذلك عامة قراء مكة والعراقيين ( لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ) رفعا ، بمعنى : لقد تقطع وصلكم . والصواب من القول عندى في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى ، فبأيهما قرأ

القارئ فصيبي الصواب ، وذلك أن العرب قد تنصب بين في موضع الاسم ، ذكر سماعا منها : إياي نحوك ودونك وسواءك نصبا ، في موضع الرفع ، وقد ذكر عنها سماعا الرفع في « بين » إذا كان الفعل لها ، وجعلت اسما ، وينشد بيت مهلهل :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَيْتْرِ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيَتِهَا جَرُورًا

يرفع بين إذا كانت اسما ، غير أن الأغلب عليهم في كلامهم النصب فيها في حال كونها صفة ، وفي حال كونها اسما .

وأما قوله ( وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ) فإنه يقول : وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنه شريك ربكم ، وأنه لكم شفيع عند ربكم ، فلا يشفع لكم اليوم .

القول في تأويل قوله

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، ذَلِكَ اللَّهُ فَالِقُ تُوْفِكُونَ (٩٥)

وهذا تنبيه من الله جل ثناؤه ، هؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان ، على موضع حجته عليهم ، وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون ، من إشراك الأصنام في عبادتهم إياه ، يقول تعالى ذكره : إن الذي له العبادة أيها الناس ، دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان ، هو الله الذي فلق الحب ، يعني : شق الحب من كل ما ينبت من النبات ، فأخرج منه الزرع ، والنوى من كل ما يفرس مما له نواة ، فأخرج منه الشجر . والحب جمع حبة ، والنوى : جمع النواة .

أوبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( إن الله فالق الحب والنوى ) أما فالق الحب والنوى : ففالق الحب عن السنبل ، وفالق النواة عن النخلة . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فالق الحب والنوى ) : قال : يفلق الحب والنوى عن النبات .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فالق الحب والنوى ) : قال : الله فالق ذلك ، فلقه فأنبت منه ما أنبت ، فلق النواة ، فأخرج منها نبات نخلة ، وفلق الحبة ، فأخرج نبات الذي خلق .

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة ( شعراء النصرانية ١ : ١٧٠ ) من قصيدته التي مطلعها : « أليتنا بلى حسم أبيرى » . وأشطان البئر : جمع شعلان بوزن سيب ، وهو الحبل الذي يستق به . والجبال والجول والحيل : ناحية البئر وجانها . يريد : أن جوانبها متباعدة . والجرور من الركايا والآبار : البعيدة القعر . يريد أن رماح هؤلاء القوم تضطرب في أيديهم لغوثها ، كما تضطرب الأرضية في الطوى الواسعة ، البعيدة القعر .

وقال آخرون : معنى فالق : خالق .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله ( إن الله فالق الحب والنوى ) قال : خالق الحب والنوى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إن الله فالق الحب والنوى ) قال : خالق الحب والنوى .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه فلق الشق الذي في الحبة والنواة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( فالق الحب والنوى ) قال : الشقان اللذان فيهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قول الله ( إن الله فالق الحب والنوى ) قال : الشق الذي يكون في النواة وفي الخنطة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم ، ابن أبي بزة ، عن مجاهد ( فالق الحب والنوى ) قال : الشقان اللذان فيهما .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا ، عن عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فالق الحب والنوى ) يقول : خالق الحب والنوى ، يعني : كل حبة .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي : ما قدمنا القول به ، وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراج الحى من الميت ، والميت من الحى ، فكان معلوماً بذلك أنه إنما عني بإخباره عن نفسه ، أنه فالق

الحب عن النبات ، والنوى عن الغروس والأشجار ، كما هو مخرج الحى من الميت ، والميت من الحى . وأما القول الذى حكى عن الضحاك في معنى فالق أنه خالق ، فقول إن لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات

والغروس بقلقه إياه ، لأعرف له وجهها ، لأنه لا يُعرَف في كلام العرب فلق الله الشئ : بمعنى خلق .

القول في تأويل قوله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، ذَلِكَمُ اللَّهُ ، فَأَنَّى تُلْفِكُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : يخرج السنبلة الحى من الحب الميت ، ويخرج الحب الميت من السنبلة الحى ، والشجر الحى من النوى الميت ، والنوى الميت من الشجر الحى ، والشجر ما دام قائماً على أصوله لم يجف ،

والنبات على ساقه لم يبس ، فإن العرب تسميه حياً ، فإذا يبس وجف أو قطع من أصله ، سموه ميتاً .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ) فيخرج السنبل الحية من الحبة الميتة ، ويخرج الحبة الميتة من السنبل الحية ، ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة ، ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان عن السدي ، عن أبي مالك ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ) وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) قال : النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحبة من السنبل ، والسنبل من الحبة .

وقال آخرون بما حدثني به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ) ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) قال : يخرج النطفة الميتة من الحية ، ثم يخرج من النطفة بشرا حيا .

وَ إِنَّمَا اخْتَرْنَا التَّأْوِيلَ الَّذِي اخْتَرْنَا فِي ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ عَقِيبُ قَوْلِهِ ( إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ) . على أن قوله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ) وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) وإن كان خيرا من الله عن إخراجه من الحبة السنبل ، ومن السنبل الحبة ، فإنه داخل في عموم ما روى عن ابن عباس في تأويل ذلك : وكل ميت أخرجه الله من جسم : حية ، وكل حية أخرجه الله من جسم : ميت .

أما قوله ( ذَلِكَمُ اللَّهُ ) فإنه يقول : فاعل ذلك كله ، الله جل جلاله ( فَأَنِّي تَوَفَّكُونَ ) ؟ يقول فأنى وجوه الصدق عن الحق أيها الجاهلون تصدقون عن الصواب وتضرفون ؟ أفلا تدبرون ، فتعلمون أنه لا ينبغي أن يجعل لمن أنعم عليكم بخلق الحب والنوى ، فأخرج لكم من يابس الحب والنوى زروعا وحروثا وثمارا تتغذون ببعضه ، وتفكهنون ببعضه ، شريك في عبادته ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يسمع ولا يبصر .

القول في تأويل قوله

فَالِقِ الْإِصْبَاحِ ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ (٩٦)

يعنى بقوله ( فالقُ الإصباحِ ) : شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده ، والإصباح : مصدر من قول القائل : أصبحنا إصباحا .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال عامة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ( فالقُ الإصباحِ ) قال : إضاءة الصبح

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فالقُ

الإصباحِ ) قال : إضاءة الفجر .



حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله  
( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ) قال : فالق الصبح .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن  
عباس ، في قوله ( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ) يعني بالإصباح : ضوء الشمس بالنهار ، وضوء القمر بالليل .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم  
ابن أبي بزة ، عن مجاهد ( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ) قال : فالق الصبح .

حدثنا به ابن حميد مرة بهذا الإسناد ، عن مجاهد ، فقال في قوله ( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ) قال : إضاءة الصبح .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ) قال :  
فالق الإصباح عن الليل .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت  
الضحاك يقول في قوله ( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ) يقول : خالق النور ، نور النهار .  
وقال آخرون : معنى ذلك : خالق الليل والنهار .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله :  
( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا ) يقول : خالق الليل والنهار . وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ  
في قوله ( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ) بفتح الألف ، كأنه تأول ذلك بمعنى جمع صبح ، كأنه أراد صبح كل يوم ،  
فجعلله أصباحا ، ولم يبلغنا عن أحد سواه أنه قرأ كذلك . والقراءة التي لانستجيز غيرها : بكسر الألف  
( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ) ، لإجماع الحجة من القرآء وأهل التأويل على صحة ذلك ، ورفض خلافه .

وأما قوله ( وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا ) فإن القرآء اختلفت في قراءته ، فقرأ ذلك عامة قرآء الحجاز  
والمدينة وبعض البصريين ( وَجَاعِلُ اللَّيْلِ ) بالألف على لفظ الاسم ، ورفع عطفها على فالق ، وخفض  
الليل بإضافة جاعل إليه ، ونصب الشمس والقمر عطفًا على موضع الليل ، لأن الليل وإن كان مخفوضا  
في اللفظ ، فإنه في موضع النصب ، لأنه مفعول جاعل ، وحسن عطف ذلك على معنى الليل ، لاعلى لفظه ،  
لدخول قوله ( سَكَنًا ) بينه وبين الليل ؛ قال الشاعر :

قُعُودًا لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَّابَ حَاجَةٍ عَوَانٍ مِنْ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةً بِيكْرًا ۱

فنصب الحاجة الثانية عطفًا بها على معنى الحاجة الأولى ، لاعلى لفظها ، لأن معناها النصب ، وإن كانت

(١) قعودا : جمع قاعد . والحاجة العوان : الكبيرة . والبيكر : الصغيرة . وأصل العوان من الحيوان : النصف في سنها من كل  
شيء . والبيكر : الصغيرة التي لم تزوج . ولم أعرف قائل البيت .

في اللفظ خفضاً ، وقد يحىء مثل هذا أيضاً معطوفاً بالثاني على معنى الذي قبله ، لاعلى لفظه ، وإن لم يكن بينهما حائل ، كما قال بعضهم :

فَبَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أَنَا مُعَلَّقٍ شَكْوَةٌ وَزِنَادٌ رَاعٍ ١

وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفيين (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ) على فَعَلٍ ، بمعنى الفعل الماضي ، ونصب الليل .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إنهما قرآءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، متفقنا المعنى ، غير مختلفيه ، فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب في الإعراب والمعنى ، وأخبر جل ثناؤه أنه جعل الليل سكناً ، لأنه يسكن فيه كل متحرك بالنهار ، ويهدأ فيه ، فيستقر في مسكنه ومأواه .  
القول في تأويل قوله ( وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ) :

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وجعل الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ) يعني : عدد الأيام والشهور والسنين .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ) قال : يجريان إلى أجل جُعِلَ لهما .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ) يقول : بحساب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله ( وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ) قال : الشمس والقمر في حساب ، فإذا خلت أيامهما ، فذاك آخر الدهر ، وأول الفزع الأكبر ، ( ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ) .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ) قال : يدوران في حساب .

(١) رواية البيت في (اللسان : بين) :

فبيننا نحن نرقبه أنا معلق وفضة وزناد راع

قال : إنما أراد : بين نحن نرقبه أنا ، فأشيع الفتحة ، فحدثت بعدها ألف . وقد شرحنا هذا الشاهد في الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جني (طبعة الحلبي ١ : ٢٧) . والوفضة : خريطة يحمل فيها الراعي أدواته وزاده ، جمعها وفاض . وفي رواية المؤلف كما في الصحاح لابن فارس ص ١١٨ « شكوة » في موضع وفضة ، وهي : وعاء من آدم يبرد فيه الماء ، ويحس فيه اللبن ؛ والجمع : شكوات وشكاه . والزناد : مفرد كالزند ، ما تفتح به النار ، وقد يكون جمعاً لزند . وأنشد سيبويه البيت في الكتاب ( ١ : ٨٧ ) « بيننا نحن نطلبه . . الخ » وقال الأعمش : الشاهد فيه : نصب زناد ، حملا على موضع الوفضة ، لأن المعنى يعلق وفضة وزناد راعي . والوفضة : الكتانة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ) قال : هو مثل قوله ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) ، ومثل قوله ( الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجعل الشمس والقمر ضياء .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ) :  
أى ضياء .

وأولى القولين في تأويل ذلك عندى بالصواب : تأويل من تأوله : وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب وعداد ، لبلوغ أمرهما ، ونهاية آجالهما ، ويدوران لمصالح الخلق التي جعلها .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى ذكره ذكر قبله أياديه عند خلقه ، وعظم سلطانه ، بقلقه الإصباح لهم ، وإخراج النبات والغراس من الحب والنوى ، وعقب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البر والبحر ، فكان وصفه لإجراء الشمس والقمر لمنافعهم ، أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما ، لأنه قد وصف ذلك قبل بقوله ( فإليقُ الإصباح ) فلا معنى لتكريره مرة أخرى في آية واحدة لغير معنى .  
والحسبان في كلام العرب : جمع حساب ، كما الشهبان جمع شهاب ؛ وقد قيل : إن الحسبان في هذا الموضع مصدر ، من قول القائل : حسبتُ الحساب ، أحسبُه حسابا وحُسبانًا . وحكى عن العرب : على الله حُسبان فلان وحسبته : أى حسابه ، وأحسب أن قتادة في تأويل ذلك بمعنى الضياء ، ذهب إلى شيء يروى عن ابن عباس في قوله ( أو يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ) قال : نارا ، فوجه تأويل قوله ( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ) إلى ذلك التأويل ، وليس هذا من ذلك المعنى في شيء . وأما الحسبان بكسر الحاء : فإنه جمع الحِسبانة : وهي الرسادة الصغيرة ، وليست من الأولين أيضا في شيء ، يقال : حسبته : أجاسته عنها ، ونصب قوله ( حُسْبَانًا ) بقوله ( وجعل ) . وكان بعض البصريين يقول : معناه : ( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ) : أى بحساب ، فحذف الباء كما حذفها من قوله ( اللهُ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ) : أى أعلم بمن يضل عن سبيله .

القول في تأويل قوله ( ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ) :

يقول تعالى ذكره : وهذا الفعل الذي وصفه أنه فعله ، وهو فلقه الإصباح ، وجعله الليل سكنا ، والشمس والقمر حُسبانًا ، تقدير الذي عز سلطانه ، فلا يقدر أحد أرادته بسوء وعقاب أو انتقام ، من الامتناع منه ، العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم ، لا تقدير الأصنام والأوثان ، التي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تفقه شيئا ولا تعقله ، ولا تضر ولا تنفع ؛ وإن أريدت بسوء لم تقدر على الامتناع منه ممن أرادها به . يقول جل ثناؤه : وأخلصوا أيها الجهلة عبادتكم لفاعل هذه الأشياء ، ولا تشركوا في عبادته شيئا غيره .

القول في تأويل قوله

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : والله الذي جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة في البرِّ والبحر إذا ضللتكم الطريق ، أو تحيرتكم ، فلم تهتدوا فيها ليلاً ، تستدلون بها على الحاجة ، فهتدون بها إلى الطريق والحاجة ، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك ، كما قال جل ثناؤه ( وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ) : أي من ضلال الطريق في البرِّ والبحر . وعنى بالظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة الخطأ والضلال ، وظلمة الأرض أو الماء . وقوله ( قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) يقول : قد ميزنا الأدلة ، وفرقنا الحجج فيكم ، وبينناها أيها الناس ، ليتدبرها أولو العلم بالله منكم ، ويفهمها أولو الحجة منكم ، فينبهوا من جهلهم الذي هم عليه مقيمون ، وينزجروا عن خطأ فعلهم الذي هم عليه ثابتون ، ولا يتأدوا في عناد الله ، مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ في غيهم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني إمامنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) قال : يضل الرجل وهو في الظلمة والجور عن الطريق .

القول في تأويل قوله

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَفْقَهُونَ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : وإلحكم أيها العادلون بالله غيره ( الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ) يعني : الذي ابتداء خلقكم من غير شيء ، فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيئاً ( مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) يعني : من آدم عليه السلام . كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ( مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) قال : آدم عليه السلام .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) من آدم عليه السلام .

وأما قوله ( فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ) فإن أهل التأويل في تأويله مختلفون ، فقال بعضهم : معنى ذلك :

وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة ، فنكم مستقرّ في الرحم ، ومنكم مستودع في القبر ، حتى يبعثه الله لنشر القيامة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ( يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ) قال : مستقرّها في الأرحام ، ومستودعها حيث تموت .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله أنه قال : المستودع حيث تموت ، والمستقرّ : ما في الرحم .

حدثت عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السديّ ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : المستقرّ : الرحم ، والمستودع : المكان الذي تموت فيه .

حدثني محمد بن عبيد المحاربيّ ، قال : ثنا محمد بن فضيل وعلى بن هاشم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ( يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ) قال : مستقرّها في الأرحام ، ومستودعها في الأرض حيث تموت فيها .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن ميسم ، قال : مستقرّها في الصلب حيث تأوى إليه ، ومستودعها حيث تموت .

وقال آخرون : المستودع : ما كان في أصلاب الآباء ، والمستقرّ : ما كان في بطون النساء ، ويطون الأرض ، أو على ظهورها .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليّ ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( فَسُتَقَرَّ وَمُسْتَوْدَعٌ ) قال : مستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال ، فإذا قرّوا في أرحام النساء ، أو على ظهر الأرض ، أو في بطنها ، فقد استقرّوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن عليّ ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ( فَسُتَقَرَّ وَمُسْتَوْدَعٌ ) قال : المستودعون : ما كانوا في أصلاب الرجال ، فإذا قرّوا في أرحام النساء ، أو على ظهر الأرض ، فقد استقرّوا .

حدثنا محمد بن المنثريّ ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد ابن جبير ، قال : قال ابن عباس ( يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ) قال : المستودع في الصلب ، والمستقرّ : ما كان على وجه الأرض أو في الأرض .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فسُتَقَرَّ في الأرض على ظهورها ، ومستودع عند الله .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن أبي الخير تميم بن حذلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : المستقرّ : الأرض ، والمستودع عند الرحمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : المستقرّ : الأرض ، والمستودع : عند ربك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله : مستقرّها في الدنيا ، ومستودعها في الآخرة ، يعنى : ( فَسْتَقَرُّوا وَمُسْتَوْدَعٌ ) .

حدثني المنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : المستودع : في الصلب ، والمستقرّ : في الآخرة ، وعلى وجه الأرض . وقال آخرون : معنى ذلك : فستقرّ في الرحم ، ومستودع في الصلب . ذكر من قال ذلك :

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي الحارث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . في قول الله ( فَسْتَقَرُّوا وَمُسْتَوْدَعٌ ) قال : مستقرّ في الرحم ، ومستودع في صلب لم يُخلَق وسيخلق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يحيى الجابري ، عن عكرمة ( فَسْتَقَرُّوا وَمُسْتَوْدَعٌ ) قال : المستقرّ : الذي قد استقرّ في الرحم ، والمستودع : الذي قد استودع في الصلب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي الخير تميم ، عن سعيد بن جبير ، قال ابن عباس : سل ، فقلت ( مُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا ) قال : المستقرّ : في الرحم ، والمستودع : ما استودع في الصلب .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَسْتَقَرُّوا وَمُسْتَوْدَعٌ ) قال : المستقرّ : الرحم ، والمستودع : ما كان عند رب العالمين ، مما هو خالقه ولم يخلق .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ) قال : المستقرّ : ما كان في الرحم مما هو حيّ ، ومما قد مات ، والمستودع : ما في الصلب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لي ابن عباس ، وذلك قبل أن يخرج وجهي : أتزوجت يا بن جبير ؟ قال : قلت : لا ، وما أريد ذلك يومئذ هذا ، قال : فقال : أما إنه مع ذلك سيخرج ما كان في صلبك من المستودعين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ،

قال : قال لى ابن عباس : تزوجت ؟ قلت : لا ، قال : فضرب ظهري وقال : ما كان من مستودع في ظهرك سيخرج .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( *فَسْتَقَرَّ وَمُسْتَوْدَعٌ* ) قال : المستقر في الأرحام ، والمستودع في الصلب ، لم يُخلق وهو خالقه ؛ حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( *فَسْتَقَرَّ وَمُسْتَوْدَعٌ* ) قال : المستقر في الرحم ، والمستودع : ما استودع في أصلاب الرجال والدواب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المستقر : ما استقر في الرحم ، والمستودع : ما استودع في الصلب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي الخير تميم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبيدة بن حميد ، عن عمار الدهني ، عن رجل ، عن كريب ، قال : دعاني ابن عباس ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن عباس ، إلى فلان حَبْرَ تَيْمَاءَ : سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله ، الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، قال : فقلت : تبدوّه تقول : السلام عليك ؟ فقال : إن الله هو السلام ، ثم قال : اكتب : سلام عليك . أما بعد : فحدثني عن مستقر ومستودع ، قال : ثم بعثني بالكتاب إلى اليهودي ، فأعطيته إياه ، فلما نظر إليه قال : مرحبا بكتاب خليلي من المسلمين ، فذهب بي إلى بيته ، ففتح أسفاطا له كبيرة ، فجعل يطرح تلك الأشياء لا يلتفت إليها ، قال : قلت : ما شأنك ؟ قال : هذه أشياء كتبها اليهود ، حتى أخرج سفر موسى عليه السلام ، قال : فنظر إليه مرتين ، فقال : المستقر : الرحم ، قال : ثم قرأ ( *وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ* ) ، وقرأ ( *وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ* ) قال : مستقره فوق الأرض ، ومستقره في الرحم ، ومستقره تحت الأرض ، حتى يصير إلى الجنة ، أو إلى النار .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ( *فَسْتَقَرَّ وَمُسْتَوْدَعٌ* ) قال : المستقر : ما استقر في أرحام النساء ، والمستودع : ما استودع في أصلاب الرجال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : المستقر : الرحم ، والمستودع : في أصلاب الرجال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا روح بن عبادة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، وعن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قال : المستقر : الرحم ، والمستودع : في الأصلاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : ( *فَسْتَقَرَّ* ) : ما استقر في أرحام النساء ( *وَمُسْتَوْدَعٌ* ) : ما كان في أصلاب الرجال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، بنحوه .  
حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المستقر : ما استقر  
في الرحم ، والمستودع : ما استودع في الصلب .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قال :  
المستقر : الرحم ، والمستودع : الصلب .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، عن ابن عون ، قال : أتينا إبراهيم عند المساء ، فأخبرونا  
أنه قد مات ، فقلنا : هل سأله أحد عن شيء ؟ قالوا : عبد الرحمن بن الأسود ، عن المستقر والمستودع ،  
فقال : المستقر في الرحم ، والمستودع : في الصلب .  
حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا ابن عون ، قال : أتينا إبراهيم ، وقد  
مات ، قال : فحدثني بعضهم أن عبد الرحمن بن الأسود سأله قبل أن يموت عن المستقر والمستودع ، فقال :  
المستقر : في الرحم ، والمستودع : في الصلب .  
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن علية ، عن ابن عون ، قال : أتينا منزل إبراهيم ، فسألنا  
عنه ، فقالوا : قد توفى ، وسأله عبد الرحمن بن الأسود ، فذكر نحوه .  
حدثني به يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ابن عون ، أنه بلغه أن عبد الرحمن بن الأسود  
سأل إبراهيم عن ذلك ، فذكر نحوه .  
حدثنا عبيد الله بن محمد القيرباني ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن العلاء بن هارون ، قال : انتهيت  
إلى منزل إبراهيم حين قبض ، فقلت لهم : هل سأله أحد عن شيء ، قالوا : سأله عبد الرحمن بن الأسود ،  
عن مستقر ومستودع ، فقال : أما المستقر : فما استقر في أرحام النساء ، والمستودع : ما في أصلاب  
الرجال .  
حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد في ( **مُسْتَوْدَعٌ**  
**وَمُسْتَوْدَعٌ** ) قال : المستقر : الرحم ، والمستودع : الصلب .  
حدثني يونس ، قال : ثنا سفیان ، عن رجل حدثه عن سعيد بن جبیر ، قال : قال لي ابن عباس :  
ألا تنكح ؟ ثم قال : أما إني أقول لك هذا وإني لأعلم أن الله مخرج من صلبك ما كان فيه مستودعا .  
: حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : المستقر  
في الرحم ، والمستودع : في الصلب .  
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ( **مُسْتَوْدَعٌ**  
**وَمُسْتَوْدَعٌ** ) قال : مستقر في الرحم ، ومستودع : في الصلب .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( **مُسْتَوْدَعٌ**  
**وَمُسْتَوْدَعٌ** ) قال : مستقر : في الرحم ، ومستودع : في الصلب .



حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاک ( فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا ) أما مستقرٌّ : فما استقرَّ في الرحم ، وأما مستودع : فما استودع في الصلب .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا )  
قال : مستقرٌّ في الأرحام ، ومستودع : في الأصلاب .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير وأبي حمزة ، عن إبراهيم ، قال : مستقرٌّ ومستودع ، المستقرٌّ : في الرحم ، والمستودع : في الصلب .  
وقال آخرون : المستقرٌّ : في القبر ، والمستودع : في الدنيا .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : مستقرٌّ : في القبر ، ومستودع : في الدنيا ، وأوشك أن يلحق بصاحبه .  
وأولى التأويلات في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله جل ثناؤه عم بقوله ( فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا ) كل خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة : مستقرًّا ومستودعًا ، ولم يخص من ذلك معنى دون معنى ، ولا شك أن من بني آدم مستقرًّا في الرحم ، ومستودعًا في الصلب ، ومنهم من هو مستقرٌّ على ظهر الأرض أو بطنها ، ومستودع في أصلاب الرجال ، ومنهم مستقرٌّ في القبر ، مستودع على ظهر الأرض ، فكل مستقرٌّ أو مستودع بمعنى من هذه المعاني ، فداخل في عموم قوله ( فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا ) ومراد به : إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له ، بأنه معنى به معنى دون معنى ، وخاص دون عام .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا ) فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة : مستقرٌّ ومستودع ، بمعنى : فمنهم من استقره الله في مقره فهو مستقرٌّ ، ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة ، فاستقرَّ بكسر القاف بمعنى : فمنهم من استقرَّ ، فهو مستودع فيه في مقره ، فهو مستقرٌّ به .

وأولى القراءتين بالصواب عندي ، وإن كان لكليهما عندي وجه صحيح فستقرٌّ ، بمعنى : استقره الله في مستقره ، ليأتلف المعنى فيه وفي المستودع ، في أن كل واحد منهما لم يسم فاعله ، وفي إضافة الخبر بذلك إلى الله في أنه المستقرُّ هذا ، والمستودع هذا ، وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله ( وَمُسْتَوْدَعًا ) بفتح الدال على وجه ما لم يسم فاعله ، فإجراء الأول ، أعنى قوله فستقرَّ عليه ، أشبهه من عدوله عنه .

وأما قوله ( قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ) يقول تعالى : قد بينا الحجج ، وميزنا الأدلة والأعلام ، وأحكمتها لقوم يفقهون مواقع الحجج ، ومواقع العبر ، ويفهمون الآيات والذكر ، فإنهم إذا اعتبروا بما نبههم عليه من إنشائي من نفس واحدة ما عابنوا من البشر ، وخلق ما خلقت منها ، من عجائب الألوان والصور ، علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك ، فيشركوه في عبادتهم إياه .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ) يقول : قد بينا الآيات لقوم يفقهون .

### القول في تأويل قوله

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ، وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ، وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ، وَالزَّيْتُونِ وَالرَّيْحَانَ مُشْتَبِهًا ، وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)

يقول تعالى ذكره : والله الذي له العبادة خالصة ، لا شراكة فيها لشيء سواه ، هو الإله الذي أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به نبات كل شيء ، فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحش ، وأرزاق بني آدم وأقواتهم ، ما يتغذون به ويأكلونه ، فينبتون عليه وينمون .

وإنما معنى قوله ( فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ) : فأخرجنا به ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويصلح . ولو قيل معناه : فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات ، فيكون كل شيء هو أصناف النبات ، كان مذهبا ، وإن كان الوجه الصحيح هو القول الأول .

وقوله ( فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ) يقول : فأخرجنا منه ، يعني من الماء الذي أنزلناه من السماء ، خضرا رطبا من الزرع . والخضر : هو الأخضر ، كقول العرب : أرنيها ثمرة أركها مطرة ، يقال : خضرت الأرض خضرا وخضارة ، والخضر : رطب البقول ، ويقال : نخلة خضيرة : إذا كانت ترمى ببسرها أخضر قبل أن ينضج ، وقد اختضير الرجل واغتضير : إذا مات شابا مصححا . ويقال : هو لك خضيرا مضيرا : أي هنيئا مريئا .

يقوله ( نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ) يقول : نخرج من الخضر حبا ، يعني : ما في السنبيل ، سنبيل الحنطة والشعير والأرز ، وما أشبه ذلك من السنبيل ، التي حبا يركب بعضها بعضا . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ) فهذا السنبيل .

القول في تأويل قوله ( وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ) :

يقول تعالى ذكره : ومن النخل من طلوعها قِنْوَانٌ دانية ، ولذلك رفعت القنوان . والقنوان : جمع قِنْوَانٌ ، كما الصنوان : جمع صنو ، وهو العيدق ، يقال للواحد : هو قِنْوَانٌ وقِنْوَانٌ وقِنْوَانٌ ، ويجمع قِنْوَانٌ

وقنوان ، قالوا : في جمع قلبه ثلاثة أقناء ، والقنوان : من لغة الحجاز ، والقنوان : من لغة قيس ، وقال امرؤ القيس :

فَأَنْتَ أَعَالِيهِ وَأَدَّتْ أُصُولُهُ      وَمَالَ يَقِينُونَ مِنْ الْبُسْرِ أَحْمَرَ ١  
وقنيان جميعا ٢ ؛ وقال آخر :

هَلَا ذَنْبٌ كَالْقِينُو قَدْ مَدَلَّتْ بِهِ      وَأَسْحَمَ لِلتَّخْطَارِ بَعْدَ التَّشْدُرِ ٣  
وتميم تقول : قنيان بالياء ، ويعنى بقوله : دانية : قريبة مبهلة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ) يعنى بالقنوان الدانية : قصار النخل ، لاصقة عذوقها بالأرض .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مِنْ طَلَعِيهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ) قال : عذوق مبهلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ) يقول : مبهلة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، في قوله ( قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ) قال : قريبة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ( قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ) قال : قريبة .

(١) كذا روى البيت في اللسان (أيد) قال : وقال امرؤ القيس يصف نخلا . أدت أصوله : قويت ، ثقيد أيها : وأنت أعاليه : أي كثرت فروعه والثفت . والقنوان : جمع قنو كحمل وهو الكياسة ، وقتنا كإل ، وقتنا : كسبب . والجمع من كل ذلك أقناء ، وقنوان ، وقنيان ، بالكسر في الأخيرين . قلبت الواو ياء لقرب الكسرة . وقال الفراء : أهل الحجاز يقولون : قنوان ( بالكسر ) وقيس قنوان ( بالضم ) وتميم وضبة : قنيان ، ( بالضم ) وأنشد « ومال بقنيان من البسر أحمر » . ويجمعون فيقولون : قنو وقنو ( بضم القاف وكسرهما ) ، ولا يقولون : قنى ( بالكسر والياء ) . قال : وكلب تقول : قنيان ( بالكسر وبالياء في الجمع ) . ورواية البيت في غنزار الشعر الجاهل تبعا لأصوله :

سَوَامِقٌ جَبَّارٌ أَثِيثٌ فُرُوعُهُ      وَعَالَتَيْنِ قِنْوَانَا مِنْ الْبُسْرِ أَحْمَرَ ١

سوامق : مرتفعات . والجبار : القنى من النخل ، أو الذي قد فات اليد لطوله . والأثيث : الغزير . وعالين : رفيع . والقنوان العذوق . والبسر : ما أحمر من التمر . يريد : أن هذا النخل قد أدرك وأبغ ، فهايلت عذوقه ، وعالها فروعه . وإنما قصد إلى تشبيه ما عل الهوادج من الصوف الأحمر والأصفر مع ارتفاعها ، بهذه النخل الطوال ، وما فيها من اختلاف الألوان .

(٢) يعنى أنه روى بالوجهين .

(٣) البيت رواه أبو زيد الأنصاري في نوادره (ص ١٨٢) وقال بعده : التشدر : إذا لقت التناقة عقدت ذنبها ، ونصبتة على عجزها من التحليل ، فذاك التشدر . والمذل : ألا تحرك ذنبها . وفي روايته : أسمح بصيغة الفعل الماضي ، في موضع « أسمح » . أي سهل للتحريك والخطران ، بعد أن كان منتصبا معقودا . والقنو : كناية النخلة يكون فيها التمر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ النَّخْلِ مِنِ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ) قال : الدانية لهدل العُدُوق من الطلع .  
 حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَمِنَ النَّخْلِ مِنِ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ) يعني : النخل القصار الملتزقة بالأرض ، والقينوان : طلعه .

القول في تأويل قوله ( وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ) :  
 يقول تعالى ذكره : وأخرجنا أيضا جنات من أعناب ، يعني : بساتين من أعناب .  
 واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة القراء ( وَجَنَّاتٍ ) نصبا ، غير أن التاء كسرت لأنها تاء جمع المؤنث ، وهي تخفض موضع النصب .

وقد حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، عن الكسائي ، قال : أخبرنا حمزة ، عن الأعمش ، أنه قرأ ( وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ) بالرفع ، فرفع جنات على إنباعها القنوان في الإعراب ، وإن لم تكن من جنسها ، كما قال الشاعر :

ورأيت زَوْجَكَ فِي الوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

والقراءة التي لا أستجيز أن يُقرأ ذلك إلا بها : النصب ( وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ) ، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها والقراءة بها ، ورفضهم ما عداها ، وبعُد معنى ذلك من الصواب إذا قرئ رفعاً . وقوله ( وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ ) عطف بالزيتون على الجنات ، بمعنى : وأخرجنا الزيتون والرمان مشتبه وغير متشابه ، وكان فتادة يقول في معنى ( مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ) ما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ) قال : مشتبه ورقه ، مختلفا ثمرة ، وجائر أن يكون مرادا به : مشتبه في الخلق ، مختلفا في الطعم ؛ ومعنى الكلام : وشجر الزيتون والرمان ، فاكتفى من ذكر الشجر بذكر ثمرة ، كما قيل ( وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ ) فاكتفى بذكر القرية من ذكر أهلها ، لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه .

القول في تأويل قوله ( انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ) :

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة ، وبعض أهل البصرة ( انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ ) بفتح الثاء والميم ، وقرأه بعض قراء أهل مكة وعامة قراء الكوفيين ( إِلَى ثَمَرِهِ ) بضم الثاء والميم ، فكان من فتح الثاء والميم من ذلك وجه معنى الكلام : انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمر ، وإن الثمر : جمع ثمرة ، كما القصب : جمع قصبه ، والخشب : جمع خشبة ؛ وكان من ضمّ الثاء والميم ، وجه ذلك إلى أنه جمع ثمار ، كما الحمر جمع حمار ، والجرب جمع جراب .

(١) هذا البيت ما تكرر استشهاده المؤلف به ، وقد سبق في الجزء الثالث ص ٢٧٥ .

وقد حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن يحيى بن وثاب ، أنه كان يقرأ ( إلى ثَمْرِهِ ) يقول : هو أصناف المال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثنا محمد بن عبيد الله ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قال : الثمر : هو المال ، والتمر : ثمر النخل .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأ ( انظُرُوا إلى ثَمْرِهِ ) بضم التاء والميم ، لأن الله جل ثناؤه وصف أصنافا من المال ، كما قال يحيى بن وثاب ، وكذلك حب الزرع المتراكب ، وقنوان النخل الدانية ، والجنات من الأعناب والزيتون والرمان ، فكان ذلك أنواعا من الثمر ، فجمعت الثمرة ثَمْرًا ، ثم جمع الثَمْرَ ثَمْرًا ، ثم جمع ذلك فقيل : انظروا إلى ثَمْرِهِ ، فكان ذلك جمع الثمار ، والثمار جمع الثمرة ، وإثماره : عقد الثمر .

وأما قوله ( وَيَنْعِيهِ ) فإنه نضجُه ، وبلوغه حين يبلغ . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول في ( يَنْعِيهِ ) إذا فتحت يأؤه : هو جمع يانع ، كما التَّجْرُ : جمع تاجر ، والصَّحْبُ : جمع صاحب . وكان بعض أهل الكوفة ينكر ذلك ، ويرى أنه مصدر من قولهم : يَنْعِ الثمر فهو يَنْعَعُ يَنْعَعُ . ويحكى في مصدره عن العرب لغات ثلاثا : يَنْعَعُ ، وَيَنْعَعُ ، وَيَنْعُوعُ ، وكذلك في النضج : النَّضْجُ والنَّضْجُ . وأما في قراءة من قرأ ذلك ( وَيَانِعِيهِ ) فإنه يعنى به : وناضجه وبالغته ؛ وقد يجوز في مصدره يُنْعَا ، ومسموع عند العرب : أينعت الثمرة تُوْنِعُ إيناعا ؛ ومن لغة الذين قالوا يَنْعَعُ ، قول الشاعر :

فِي قِيَابِ عَيْسِدٍ دَسْكَرَةٍ حَوَّلَهَا الزَّيْتُونُ قَدَّ يَنْعَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَيَنْعِيهِ ) يعنى : إذا نضج .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( انظُرُوا إلى ثَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِيهِ ) قال : يَنْعَعُ : نَضْجُهُ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( انظُرُوا إلى ثَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِيهِ ) أى نضجه .

(١) البيت في (اللسان : ينع) ونسبه للأحوص ، أو ليزيد بن معاوية ، أو لعبد الرحمن بن حسان . ونسبه في التاج للأخطل ، ثم قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أن البيت ليزيد بن معاوية . وزعم ابن السيد أنه لأبي دهب . وقيل للأحوص . والدسكرة : القرية . أو بناء كالفصر ، حوله بيوت للخدم والحشم ، يكون للملوك . أو هي بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي . وينع الثمر ينع ، يفتح التون وكسرها في المضارع ، ينعا يفتح الياء وضمها ، وينوعا ؛ وأينع إيناعا ، كلاهما : أدرك ونضج ، والينع واليانع : مثل النضج والناضج .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَيَسْعِهِ ) قال : نُضِجَهُ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَيَسْعِهِ ) يقول : ونضجه .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَيَسْعِهِ ) قال : يعنى : نُضِجَهُ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَيَسْعِهِ ) قال : نضجه .

القول في تأويل قوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : إن في إنزال الله تعالى من السماء الماء الذي أخرج به نبات كل شيء ، والخضير الذي أخرج منه الحب المتراكب ، وسائر ما عتد في هذه الآية من صنوف خلقه ، آيات . يقول إني ذلكم : أيها الناس إذا أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره ، وعند ينعه وانتهائه ، فرأيتم اختلاف أحواله ، وتصرفه في زيادته ونموه ، علمتم أن له مديرا ليس كمثل شيء ، ولا تصلح العبادة إلا له دون الآلهة والأنداد ، وكان فيه حُجج وبرهان وبيان لقوم يؤمنون . يقول : لقوم يصدقون بوحدانية الله ، وقدرته على ما يشاء ، وخص بذلك تعالى ذكره ، القوم الذين يؤمنون ، لأنهم هم المنتفعون بحُجج الله ، والمعتبرون بها دون من قد طُبع على قلبه ، فلا يعرف حقا من باطل ، ولا يتبين هدى من ضلالة .

القول في تأويل قوله

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ، وَخَلَقَهُمْ وَخَرَأُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا

يَصِفُونَ (١٠٠)

يعنى بذلك جل ثناؤه : وجعل هؤلاء العادلون برهيم الآلهة والأنداد لله شركاء الجن ، كما قال جل ثناؤه ( وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ) وفي الجن وجهان من النصب : أحدهما أن يكون تفسيرا للشركاء . والآخر : أن يكون معنى الكلام : وجعلوا لله الجن شركاء ، وهو خالقهم .

واختلفوا في قراءة قوله ( وَخَلَقَهُمْ ) فقرأه قرأه الأمصار ( وَخَلَقَهُمْ ) على معنى أن الله خلقهم منفردا بخلقه إياهم .

وذكر عن يحيى بن يعمر ، ما حدثني به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن واصل مولى أبي عيينة ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، أنه قال ( شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ) بجزم اللام ، بمعنى أنهم قالوا : إن الجن شركاء لله في خلقه إيانا .

﴿ وَأُولَى الْقَرَاءَتِينَ بِالصَّوَابِ ﴾ : قراءة من قرأ ذلك ( وَخَلَقْتَهُمْ ) لإجماع الحجة من القرآء عليها .  
وأما قوله ( وَخَرَقُوا لَهُ بُنْيَانَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْمٍ ) ، فإنه يعنى بقوله ( خَرَقُوا ) اختلقوا ، يقال :  
اختلق فلان على فلان كذبا واخترقه : إذا افتعله وافتراه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ) والله خلقهم ( وَخَرَقُوا لَهُ بُنْيَانَ وَبَنَاتٍ ) يعنى أنهم تخرصوا .  
حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَخَرَقُوا لَهُ بُنْيَانَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْمٍ ) قال : جعلوا له بنين وبنات بغير علم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد  
( وَخَرَقُوا لَهُ بُنْيَانَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْمٍ ) قال : كذبوا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ )  
كذبوا ( سُبْحَانَ تَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ) عما يكذبون . أما العرب فجعلوا له البنات ، ولهم ما يشبهون من  
الغلمان . وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسيا ، ولقد علمت الجنة إنهم تخضرون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَخَرَقُوا لَهُ بُنْيَانَ  
وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْمٍ ) قال : خَرَصُوا له بنين وبنات .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَخَرَقُوا لَهُ  
بُنْيَانَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْمٍ ) يقول : قطعوا له بنين وبنات ، قالت العرب : الملائكة بنات الله ، وقالت  
اليهود والنصارى : المسيح وعزير ابنا الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَخَرَقُوا لَهُ بُنْيَانَ  
وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْمٍ ) قال : خَرَقُوا : كذبوا ، لم يكن لله بنون ولا بنات ، قالت النصارى : المسيح ابن الله  
وقال المشركون : الملائكة بنات الله ، فكلَّ خَرَقُوا الكذب ، وخرقوا : اخترقوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ  
الْجِنَّ ) قال : قول الزنادقة ( وَخَرَقُوا لَهُ ) قال ابن جريج : قال مجاهد : خرقوا : كذبوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن جويبر ، عن الضحاك ( وَخَرَقُوا لَهُ بُنْيَانَ وَبَنَاتٍ )  
قال : وصفوا له .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن أبى عمر ( وَخَرَقُوا لَهُ بُنْيَانَ وَبَنَاتٍ ) قال :

تفسيرها : وكذبوا .

فتأويل الكلام إذن : وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياه ، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ، ولا معين ، ولا ظهير ، وخرقوا له بنين وبنات ، يقول : وتخرصوا لله كذبا ، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون ، ولكن جهلا بالله وبعظمته ، وأنه لا ينبغي لمن كان إلها أن يكون له بنون وبنات ، ولا صاحبة ، ولا أن يشركه في خلقه شريك .

القول في تأويل قوله ( سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : تنزه الله وعلا ، فارفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه ، في ادعائهم له شركاء من الجن ، واختراقهم له بنين وبنات ، وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته ، لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع ، الذي يحدث عنه الأولاد ، والذين تضطروهم لضعفهم السموات ، إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات ، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز ، فيضطره شيء إلى شيء ، ولا بالضعيف المحتاج ، فتدعوه حاجته إلى النساء ، إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة ، وقوله ( تَعَالَى ) : تفاعل من العلو والارتفاع . ورؤى عن قتادة في تأويل قوله ( عَمَّا يُصِفُونَ ) أنه يكذبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ) عما يكذبون . وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك ، أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه ، من ادعائهم له بنين وبنات ، لأنه وجه تأويل الوصف إلى الكذب .

القول في تأويل قوله

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ؟ وَخَاقَ كُلِّ شَيْءٍ ،  
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)

يقول تعالى ذكره : الله الذي جعل هؤلاء الكفرة به له الجن شركاء ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، ( بديع السموات والأرض ) : يعنى مبتدعها ومحدثها ، وموجدتها بعد أن لم تكن .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( بديع السموات والأرض ) قال : هو الذي ابتدع خلقهما جل جلاله ، فخلقهما ولم تكونا شيئا قبله ( أتى يكون له ) له صاحبة ، ولم تكن له صاحبة ، والولد إنما يكون من الذكر من الأنثى ، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة ، فيكون له ولد ، وذلك أنه هو الذي خلق كل شيء ، يقول : فإذا كان لا شيء إلا الله خلقه ، فأنى يكون لله ولد ، ولم تكن له صاحبة ، فيكون له منها ولد .

القول في تأويل قوله ( وَخَاقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) :

يقول تعالى ذكره : والله خلق كل شيء ، ولا خالق سواه ، وكل ما تدعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه ، خلقه وعبيده ، ملكا كان الذي تدعونه ربا وترعمون أنه له ولد ، أو جنيا ، أو إنسيا ،



(وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : والله الذي خلق كل شيء ، لا يخفى عليه ما خلق ولا شيء منه ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ، ولا في السماء ، عالم بعددكم وأعمالكم ، وأعمال من دعوتكم ربا ، أو الله ولدا ، وهو مخصيها عليكم وعليهم ، حتى يجازي كلا بعمله .

## القول في تأويل قوله

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : الذي خلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم ، هو الله ربكم أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان ، والجاعلون له الجن شركاء ، وآلهتكم التي لاتملك نفعا ولا ضرا ، ولا تفعل خيرا ولا شرا ، لا إله إلا هو ، وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله ، يقول جل ثناؤه لهم : أيها الجاهلون إنه لا شيء له الألوهية والعبادة ، إلا الذي خلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم ، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة ، بغير شريك تشركونه فيها ، فإنه خالق كل شيء وبارئهم وصانعه ، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة ، فاعبدوه ، يقول : فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة ، واخضعوا له بذلك (وهو على كل شيء وكيل) يقول : والله على كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدييره ، وتصريفه بقدرته .

## القول في تأويل قوله

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)

اختاف أهل التأويل في تأويل قوله ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) فقال بعضهم : معناه : لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بها .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) يقول : لا يحيط بصر أحد بالملك . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) : وهو أعظم من أن تدركه الأبصار .

حدثني يونس بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عرفة ، عن عطية العوفي ، في قوله ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ) قال : هم ينظرون إلى الله ، لا تحيط أبصارهم به من عظمتهم ، وبصره يحيط بهم ، فذلك قوله ( لا تدركه الأبصار ) . . . الآية ، واعتل قائله هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : إن الله قال ( فلما أدركه العرق قال آمنست ) قالوا : فوصف الله

تعالى ذكره العَرَقُ بأنه أدرك فرعون، ولا شك أن العرق غير موصوف بأنه رآه، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئا؛ قالوا: فعنى قوله (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) بمعنى: لا تراه بعيدا، لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه، كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم لموسى حين قرب منهم أصحاب فرعون: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُوكَ)؛ لأن الله قد كان وعد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أنهم لا يدركون لقوله (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا، لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخَشْيَ) قالوا: فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه، ويدركه ولا يراه، فكان معلوما بذلك أن قوله (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) من معنى: لا تراه الأبصار بمعزل، وأن معنى ذلك: لا تحيط به الأبصار، لأن الإحاطة به غير جائزة. قالوا: فالؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم، ولا تدركه أبصارهم، بمعنى: أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئا يحيط به. قالوا: ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يُدْرِكُ، جواز وصفه بأنه يعلم ولا يُحَاطُ به، وكما قال جل ثناؤه (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) قالوا: فنحن جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. قالوا: ومعنى العلم في هذا الموضع: المعلوم، قالوا: فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء، نفي عن أن يعلموه. قالوا: فإذا لم يكن في نفي الإحاطة بالشيء علما، نفي للعلم به، كان كذلك لم يكن في نفي إدراك الله عن البصر نفي رؤيته له. قالوا: وكما جاز أن يعلم الخلق أشياء ولا يحيطون بها علما، كذلك جائز أن يروا ربهم بأبصارهم، ولا يدركوه بأبصارهم، إذ كان معنى الرؤية غير معنى الإدراك، ومعنى الإدراك غير معنى الرؤية، وأن معنى الإدراك: إنما هو الإحاطة، كما قال ابن عباس في الخبر الذي ذكرناه قبل.

قالوا: فإن قال لنا قائل: وما أنكرتم أن يكون معنى قوله (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) لا تراه الأبصار؟ قلنا له: أنكرتنا ذلك، لأن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه أن وجوها في القيامة إليه ناظرة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة، كما يرى القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب. قالوا: فإذا كان الله قد أخبر في كتابه بما أخبر، وحققت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا عنه من قبله صلى الله عليه وسلم: أن تأويل قوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ) أنه نظر أبصار العيون لله جل جلاله، وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضا، وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخا للآخر، إذ كان غير جائز في الأخبار لما قد بينا في كتابنا «كتاب لطيف البيان»، عن أصول الأحكام وغيره، عليم أن معنى قوله (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) غير معنى قوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ) فإن أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة إلى الله، ولا يدركونه بها، تصديقا لله في كلا الخبرين، وتسليما لما جاء به تنزيهه، على ما جاء به في السورتين.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تراه الأبصار، وهو يرى الأبصار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين ، ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ) لا يراه شيء ، وهو يرى الخلاق .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ( لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ - وَمَا كَانَ لِيُبَشِّرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ) ولكن قد رأى جبريل في صورته مرتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله ، لقد قف شعري مما قلت ، ثم قرأت ( لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى وابن علي ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال : قالت عائشة : من قال : إن أحدا رأى ربه ، فقد أعظم الفرية على الله ، قال الله ( لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ) فقال قائلو هذه المقالة : معنى الإدراك في هذا الموضع : الرؤية ، وأنكروا أن يكون الله يرى بالأبصار في الدنيا والآخرة . وتأولوا قوله ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ) ، إلى ربها ناظرة ) بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه .

وتأول بعضهم في الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة تأويلات . وأنكر بعضهم مجيها ، ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردوا القول فيه إلى عقولهم ، فزعموا أن عقولهم تحيل جواز الرؤية على الله عز وجل بالأبصار ، وأتوا في ذلك بضرور من التموهيات ، وأكثروا القول فيه من جهة الاستخراجات ، وكان من أجل ما زعموا أنهم علموا به ، صحة قولهم ذلك من الدليل ، أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيئا إلا ما يابنها ، دون ما لاصقها ، فإنها لا ترى ما لاصقها . قالوا : فما كان للأبصار مباينا مما عابنته ، فإن بينه وبينها فضاء وفرجة . قالوا : فإن كانت الأبصار ترى ربه يوم القيامة ، على نحو ما ترى الأشخاص اليوم ، فقد وجب أن يكون الصانع محدودا . قالوا : ومن وصفه بذلك ، فقد وصفه بصفات الأجسام ، التي يجوز عليها الزيادة والنقصان . قالوا : وأخرى أن من شأن الأبصار أن تدرك الألوان ، كما من شأن الأسماع أن تدرك الأصوات ، ومن شأن المتنشئ أن يدرك الأعراف . قالوا : فن الوجه الذي فسد أن يكون جائزا أن يقضى للسمع بغير إدراك الأصوات ، وللمتنشئ إلا بإدراك الأعراف ، فسد أن يكون جائزا القضاء للبصر إلا بأدراك الألوان ، قالوا : ولما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفا بأنه ذو لون ، صح أنه غير جائز أن يكون موصوفا بأنه مرئي .

وقال آخرون : معنى ذلك : لاتدركه أبصار الخلائق في الدنيا ، وأما في الآخرة ، فإنها تدركه .  
وقال أهل هذه المقالة : الإدراك في هذا الموضع : الرؤية :

واعتلّ أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : الإدراك وإن كان قد يكون في بعض الأحوال بغير معنى الرؤية ، فإن الرؤية من أحد معانيه ، وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصره شيئاً يبراه ، وهو لما أبصره وعابته غير مدرك ، وإن لم يُحيط بأجزائه كلها رؤية ، قالوا : فرؤية ما عابته الرائي إدراك له دون ما لم يره . قالوا : وقد أخبر الله أن وجوها يوم القيامة إليه ناظرة ، قالوا : فحال أن تكون إليه ناظرة ، وهي له غير مدركة رؤية . قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز أن يكون في أخبار الله تضادّ وتعارض ، وجب وصحّ أن قوله ( لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ) على الخصوص لا على العموم ، وأن معناه : لاتدركه الأبصار في الدنيا ، وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة ، إذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ) .

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : الآية على الخصوص ، إلا أنه جائز أن يكون معنى الآية : لاتدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة ، وتدركه أبصار المؤمنين ، وأولياء الله ، قالوا : وجائز أن يكون معناها : لاتدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة ، وأما بالرؤية فقبلي . قالوا : وجائز أن يكون معناها : لاتدركه الأبصار في الدنيا ، وتدركه في الآخرة ، وجائز أن يكون معناها : لاتدركه أبصار من يراه بالمعنى الذى يدرك به القديم أبصار خلقه ، فيكون الذى نرى عن خلقه من إدراك أبصارهم إياه ، هو الذى أثبتته لنفسه ، إذ كانت أبصارهم ضعيفة ، لاتنفذ إلا فيما قرأها جلّ ثناؤه على النفوذ فيه ، وكانت كلها متجلية لبصره ، لا يخفى عليه منها شيء . قالوا : ولا شكّ في خصوص قوله ( لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ) وأن أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم ، غير أنّنا لاندري أى معاني الخصوص الأربعة أريد بالآية . واعتلوا بتصحيح القول بأن الله يرى في الآخرة بنحو علّل الذين ذكرنا قبل .

وقال آخرون : الآية على العموم ، ولن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة ، ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس ، فيرونه بها .

واعتلوا لقولهم هذا ، بأن الله تعالى ذكره ، نرى عن الأبصار أن تدركه من غير أن يدرك فيها ، أو بآية غيرها على خصوصها . قالوا : وكذلك أخبر في آية أخرى أن وجوها إليه يوم القيامة ناظرة . قالوا : فأخبار الله لانتباين ولا تتعارض ، وكلا الخبرين صحيح معناه ، على ما جاء به التنزيل .

واعتلوا أيضا من جهة العقل بأن قالوا : إن كان جائزا أن نراه في الآخرة بأبصارنا هذه ، وإن زيد في قواها ، وجب أن نراه في الدنيا وإن ضعفت ، لأن كل حاسة خلقت لإدراك معنى من المعاني ، فهى وإن ضعفت كل الضعف ، فقد تدرك مع ضعفها ما خلقت لإدراكه وإن ضعف إدراكها إياه ، ما لم تعدم . قالوا : فلو كان في البصر أن يدرك صانعه في حال من الأحوال ، أو وقت من الأوقات ويبراه ، وجب أن يكون يدركه في الدنيا ويبراه فيها ، وإن ضعف إدراكه إياه ، قالوا : فلما كان ذلك غير موجود من

أبصارنا في الدنيا ، كان غير جائز أن تكون في الآخرة إلا بهيئتها في الدنيا في أنها لا تدرك إلا ما كان من شأنها إدراكه في الدنيا . قالوا : فلما كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد أخبر أن وجوها في الآخرة تراه ، علم أنها تراه بغير حاسة البصر ، إذ كان غير جائز أن يكون خبره إلا حقا .

والصواب من القول في ذلك عندنا : ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ، فَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَهُ ، وَالْكَافِرُونَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ » ، كما قال جل ثناؤه ( كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ) . فأما ما اعتل به منكر ورؤية الله يوم القيامة بالأبصار ، لما كانت لا ترى إلا ما باينها ، وكان بينها وبينه فضاء وفرجة ، وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون رؤية الله بالأبصار كذلك ، لأن في ذلك إثبات حد له ونهاية ، فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه ، وأنه يقال لهم : هل علمتم موصوفا بالتدبير سوى صانعكم إلا مماساً لكم أو مبايناً ؟ فإن زعموا أنهم يعلمون ذلك كلفوا تبينه ، ولا سبيل إلى ذلك . وإن قالوا : لانعلم ذلك ، قيل لهم : أو ليس قد علمتموه لاماساً لكم ، ولا مبايناً ، وهو موصوف بالتدبير والفعل ، ولم يجب عنكم - إذ كنتم لم تعلموا موصوفا بالتدبير والفعل غيره ، إلا مماساً لكم ، أو مبايناً - أن يكون مستحيلاً العلم به ، وهو موصوف بالتدبير والفعل ، لا مماساً ولا مبايناً ؟ فإن قالوا ذلك كذلك ، قيل لهم : فما تنكرون أن تكون الأبصار كذلك ، لا ترى إلا ما باينها ، وكانت بينه وبينها فرجة ، قد تراه وهو غير مباين لها ، ولا فرجة بينها وبينه ، ولا فضاء ، كما لا تعلم القلوب موصوفا بالتدبير إلا مماساً لها أو مبايناً ، وقد علمته عندهم ، لا كذلك ، وهل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفا بالتدبير والفعل معلوماً لاماساً للعالم به أو مبايناً ، وأجاز أن يكون موصوفا برؤية الأبصار لاماساً لها ، ولا مبايناً ، فرق ، ثم يسألون الفرق بين ذلك ، فلن يقولوا في شيء من ذلك قولاً إلا أزموا في الآخر مثله ، وكذلك يسألون فيما اعتلوا به في ذلك ، أن من شأن الأبصار إدراك الألوان ، كما أن من شأن الأسماع إدراك الأصوات ، ومن شأن المتنسم درك الأعراف ، فمن الوجه الذي فسد أن يقتضى السمع لغير درك الأصوات ، فسد أن تقتضى الأبصار لغير درك الألوان ، فيقال لهم : أستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعابنتم موصوفا بالتدبير والفعل إلا ذا لون ، وقد علمتموه موصوفا بالتدبير لا ذا لون ، فإن قالوا نعم ، لا يجدوا من الإقرار بذلك بدءاً إلا أن يكذبوا ، فيزعموا أنهم قد رأوا وعابنوا موصوفا بالتدبير والفعل غير ذي لون ، فيكلفوا بيان ذلك ، ولا سبيل إليه ، فيقال لهم : فإذا كان ذلك كذلك فما أنكرتم أن تكون الأبصار فيما شاهدتم وعابنتم ، لم تجدوها تدرك إلا الألوان ، كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفا بالتدبير إلا ذا لون وقد وجدتموها علمته موصوفا بالتدبير غير ذي لون ، ثم يسألون الفرق بين ذلك ، فلن يقولوا في أحدهما شيئاً إلا أزموا في الآخر مثله . ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبس ، كرهنا ذكرها ، وإطالة الكتاب بها ، وبالجواب عنها ، إذ لم يكن قصدنا في كتابنا هذا قصد الكشف عن تمويهاتهم ، بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آي الفرقان . ولكننا ذكرنا القدر الذي ذكرنا ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم

إلا إلى ما لبَّسَ عليهم الشيطان، مما يسهل على أهل الحقّ البيانُ عن فساده، وأنهم لا يرجعون في قولهم إلى آية من التنزيل محكمة، ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة، فهم في الظلمات يخبِطون، وفي العمياء يتردّدون، نعوذ بالله من الخيرة والضلالة.

وأما قوله ( وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) فإنه يقول: والله تعالى ذكره الميسر له من إدراك الأبصار، والمتأتى له من الإحاطة بها رؤية ما يعسر على الأبصار، من إدراكها إياه، وإحاطتها به، ويتعذّر عليها. الخبير: يقول: العليم بخلقه وأبصارهم، والسبب الذي له تعذّر عليها إدراكه، فلطف بقدرته، فهياً أبصار خلقه هيئة لا تدرّكه، وخبر بعلمه كيف تدبيرها وشؤونها، وما هو أصلح بخلقها.

كالذي حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله ( اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) قال: اللطيف باستخراجها، الخبير بمكانها.

#### القول في تأويل قوله

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلْيَنْفَسِهِ، وَمَنْ سَمِيَ فَعَلَيْهَا، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِيفٍ (١٠٤)

وهذا أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول هؤلاء الذين نهبهم لهذه الآيات من قوله ( إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ) . . . إلى قوله ( وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) على حججه عليهم، وعلى تبين خلقه معهم، العادلين به الأوثان والأنداد، والمكذّبين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاءهم من عند الله، قل لهم يا محمد، ( قَدْ جَاءَكُمْ ) أيها العادلون بالله، والمكذّبون برسوله ( بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ) أي ما تبصرون به الهدى من الضلال، والإيمان من الكفر، وهي جمع بصيرة، ومنه قول الشاعر:

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتافِهِمْ  
وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتْدٌ وَأَيُّ

يعنى بالبصيرة: الحجة البينة الظاهرة.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ) قال: البصائر: الهدى بصائر في قلوبهم لدينهم، وليست ببصائر الرءوس، وقرأ ( فَلْيَنْفَسِهَا )

(١) البيت في (اللسان: بصر، ولم ينسبه) قال: يعنى بالبصائر: دم أبيهم. يقول: تركوا دم أبيهم خلفهم، ولم يثأروا به، ومطلبته أنا. وفي الصحاح: وأنا مطلبت يثأرى. وكان أبو عبيدة يقول: البصيرة في هذا البيت: الترس أو الدرع، وكان يرويه: حملوا بصائرهم. وقال ابن الأعرابي: راحوا بصائرهم (كرواية اللسان) يعنى: ثقل دماهم على أكتافهم، لم يثأروا بها. والبصيرة: الهدية. والبصائر: الهديات في أول البيت. قال: أخذوا الهديات، فصارت عارا، وبصيرتي أي ثأرى، قد حملته على فرسي، لأطالب به، فيبني وبينهم فرق. ورواه اللسان أيضا في (عند) قال: وفرس عند وعند، يفتح التاء وكسرهما: شديد تام الخلق، سريع الوثبة، معد للجري، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة. وقيل: هو العتيد الحاضر المعد للركوب، الذكر والأنثى فيه سواء، قال الأسمر الجعني: راحوا . . . البيت. وأورده أيضا في وأى. قال: والوأي من الدواب: السريع المشدد الخلق. وأنشد أبو عبيدة للأسمر الجعني: راحوا . . . البيت.

(لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) قال: إنما الذي بصره وسمعه في هذا القلب . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَدْ جَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ) أي بينة .

وقوله ( قَمِنَ أَبْصَرَ فَلْيَنْفَسِيهِ ) يقول : فمن تبين حجج الله وعرفها ، وأقر بها ، وآمن بما دلته عليه من توحيد الله ، وتصديق رسوله ، وما جاء به ، فأنما أصاب حظ نفسه ، ولنفسه عمل ، وإياها بنى الخير ( وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ) يقول : ومن لم يستدل بها ولم يصدق بما دلته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتزييله ، ولكنه عمى عن دلالتها التي تدل عليها ، يقول : فنفسه ضرت ، وإليها أساء ، لا إلى غيرها . وأما قوله ( وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ) يقول : وما أنا عليكم برفيق ، أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والله الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .

## القول في تأويل قوله

وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ، وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ، وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥)

يقول تعالى ذكره : كما صرفت لكم أيها الناس الآيات والحجج في هذه السورة وبينتها ، فعرفتكموها في توحيدى وتصديق رسولى وكتابى ، ووصيتكم عليها ، فكذلك أبين لكم آياتى وحججى في كل ما جهلتموه فلم تعرفوه ، من أمرى ونهى .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ) لهُؤَلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ ، كما صرفتها في هذه السورة ، ولثلاثا يقولوا : درست . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة ( وَكَلِمَاتُهَا دَرَسْتَ ) يعنى قرأت أنت يا محمد ، بغير ألف ، وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين منهم ابن عباس على اختلاف عنه فيه ، وغيره جماعة من التابعين ، وهو قراءة بعض قراء أهل البصرة ( وَكَلِمَاتُهَا دَرَسْتَ ) بألف ، بمعنى : قرأت وتعلمت من أهل الكتاب . ورؤى عن قتادة أنه كان يقرؤه ( دَرَسْتَ ) بمعنى : قرئت وتليت . وعن الحسن أنه كان يقرؤه ( دَرَسْتَ ) بمعنى : انمحت .

بإي وأولى القراءات في ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه ( وَكَلِمَاتُهَا دَرَسْتَ ) بتأويل : قرأت وتعلمت ، لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أخبر الله عن قلوبهم ذلك بقوله ( وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) فهذا خبر من الله ينهى عنهم ، أنهم كانوا يقولون : إنما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره . فإذا كان ذلك كذلك ، فقراءة ( وَكَلِمَاتُهَا دَرَسْتَ ) يا محمد ، بمعنى : تعلمت من أهل الكتاب ، أشبه بالحق ، وأولى بالصواب من قراءة من قرأه ( دَرَسْتَ ) بمعنى : قرأتهم وخاصتهم ، وغير ذلك من القراءات .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، على قدر اختلاف القراءة في قراءته .  
 ذكر من قرأ ذلك (وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ) من المتقدمين ، وتأوله بمعنى : تعلمت وقرأت .  
 حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، قال : ثنى علي بن  
 أبي طلحة ، عن ابن عباس (وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ) قالوا : قرأت وتعلمت ، تقول ذلك قريش .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وَلْيَقُولُوا  
 دَرَسْتَ) قال : قرأت وتعلمت .  
 حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل وافقه ، عن أبي إسحاق  
 عن التميمي ، عن ابن عباس (وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ) قال : قرأت وتعلمت .  
 حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلْيَقُولُوا  
 دَرَسْتَ) يقول : قرأت الكتب .  
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنى عبيد بن سليمان ، قال : سمعت  
 الضحاك يقول في قوله (دَرَسْتَ) يقول : تعلمت وقرأت .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال :  
 قلت لابن عباس : رأيت قوله (دَرَسْتَ) قال : قرأت وتعلمت .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن ابن عباس ، مثله .  
 ذكر من قرأ ذلك (دَرَسْتَ) وتأوله بمعنى : جادلت من المتقدمين .  
 حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن حميد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (دَرَسْتَ)  
 يقول : قارأت .  
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان  
 يقرأها (وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ) أحسبه قال : قارأت أهل الكتاب .  
 حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن  
 ابن عباس (وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ) قال : قارأت وتعلمت .  
 حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت التميمي  
 يقول : سألت ابن عباس ، عن قوله (وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ) قال : قارأت وتعلمت .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عباس  
 يقرأها (دَرَسْتَ) .  
 حدثنا المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو المعلى ، قال : سمعت سعيد بن  
 جبير يقول : كان ابن عباس يقرأ (دَرَسْتَ) بالألف ، بجزم السين ونصب التاء .



حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : أخبرني عمرو بن كيسان ، أن ابن عباس كان يقرأ ( دَارَسْت ) تلوت ، خاصمت ، جادلت .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن كيسان ، قال ابن عباس في ( دَارَسْت ) قال : تلوت ، خاصمت ، جادلت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة في هذه الآية ( وَلِيَقُولُوا دَارَسْت ) قال : قارأت .

حدثني المثني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبيرة ، أنه قرأ ( دَارَسْت ) بالألف أيضا منتصبة التاء ، وقال : قارأت .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة أنه قرأ ( دَارَسْت ) أي ناسخت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( دَارَسْت ) قال : فافهمت : قرأت على يهود ، وقرءوا عليك .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلِيَقُولُوا دَارَسْت ) قال : قارأت ، قرأت على يهود ، وقرءوا عليك .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( دَارَسْت ) يعني : أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( دَارَسْت ) قال : قرأت على يهود ، وقرءوا عليك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلِيَقُولُوا دَارَسْت ) قال : قالوا دارست أهل الكتاب ، وقرأت الكتب وتعلمتها .

ذكر من قرأ ذلك ( دُرِسْت ) بمعنى : نبئت وقرئت ، على وجه ما لم يسم فاعله .

حدثنا عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا الحسين المعلم وسعيد ، عن قتادة ( وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دُرِسْت ) أي قرئت وتعلمت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة ( دُرِسْت ) قرئت ، وفي حرف ابن مسعود : درس .

ذكر من قرأ ذلك ( دَرَسْت ) بمعنى : انمحت وتقادمت : أي هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديما ، وتطلوت مدته .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقرأ : ( وَلِيَقُولُوا دَرَسْت ) : أي انمحت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق الهمداني ، قال في قراءة ابن مسعود ( دَرَسَتْ ) بغير ألف ، بنصب السين ووقف التاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت ابن الزبير يقول : إن صبيانا ههنا يقرءون ( دَارَسَتْ ) وإنما هي ( دَرَسَتْ ) .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال الحسن ( وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ ) يقول : تقادمت وانمحت . وقرأ ذلك آخرون : دَرَسَ ، من درس الشيء : تلاه .

حدثنا أحمد بن يوسف الثعالبي ، قال : ثنا أبو عبيدة ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود ( وَلِيَقُولُوا دَرَسَ ) قال : يعنى النبي صلى الله عليه وسلم قرأ . وإنما جاز أن يقال مرة دَرَسَتْ ، ومرة دَرَسَ ، فيخاطب مرة ، ويخبر مرة من أجل القول .  
وقد بينا أولى هذه القراءات في ذلك بالصواب عندنا ، والدلالة على صحة ما اخترنا منها .

وأما تأويل قوله ( وَلِيُنَبِّئَنَّهُ لِيَقُولُوا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : كما صرفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة ، هؤلاء العادلين برهبهم الآلهة والأنداد كذلك نصرف لهم الآيات في غيرها ، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم ، إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب ، فينزعوا عن تكذيبهم إياه ، وتقولهم عليه الإفك والزور ، ولنبين نصريفنا الآيات الحق ، لقوم يعلمون الحق إذا تبين لهم ، فيتبعوه ويقبلوه ، وليسوا كمن إذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه ، وازدادوا من الفهم به بعدا .

#### القول في تأويل قوله

اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك ، فاعمل به ، وانزع عما زجرك عنه فيه ، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام ، فإنه لا إله إلا هو ، يقول : لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي هو فائق الحب والنوى ، وفائق الإصباح ، وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، ( وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) يقول : ودع عنك جداهم وخصومتهم ، ثم نسخ ذلك جل ثناؤه بقوله في براءة ( اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) . . . الآية .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، أما قوله ( وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين فإنه نسخ ذلك قوله ( اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) .

القول في تأويل قوله « وَكَوَّ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ، وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ » :

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أعرض عن هؤلاء المشركين بالله ، ودع عنك جدهم وخصومتهم ومساببتهم ( وَآتَوْا شَاءَ اللَّهِ مَا أَشْرَكُوا ) يقول : لو أرادوا بك هدايتهم ، واستنقاذهم من ضلالهم للطف لهم بتوفيقه إليهم ، فلم يشركوا به شيئا ولا آمنوا بك فاتبعوك ، وصدقوا ما جئتهم به من الحق من عند ربك ( وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ) يقول جل ثناؤه : وإنما بعثتك إليهم رسولا مبغا ، ولم نبعثك حافظا عليهم ما هم عاملوه ، وتحصى ذلك عليهم ، فان ذلك إلينا دونك ( وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ) يقول : ولست عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ، ولا بحفظهم فيما لم يجعل إليك حفظه من أمرهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَآتَوْا شَاءَ اللَّهِ مَا أَشْرَكُوا ) يقول : سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .

القول في تأويل قوله

وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، كَذَلِكَ رَبَّنَا أَكَلِ  
أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ ، فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به : ولا تسبوا الذين يدعون المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد ، فيسبوا الله جهلا منهم بربهم ، واعتداء بغير علم .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قال : قالوا يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا ، أو لنهجون ربك ، فنهاهم الله أن يسبوا أولئهم ، فيسبوا الله عدوا بغير علم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ) كان المسلمون يسبون أولئهم الكفار ، فيردون ذلك عليهم ، فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم ، فإنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قال : لما حضر أبا طالب الموت ، قالت قريش : انطلقوا بنا ، فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه ، فإننا نستحي أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب : كان يمنعه ، فلما مات قتلوه ، فانطلق أبو سفيان ، وأبو جهل ، والنضر بن الحارث ، وأممية وأبي ابنا خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمرو بن العاص ، والأسود بن البختری ،

وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب ، قالوا : استأذن على أبي طالب ، فأتى أبا طالب فقال : هؤلاء مَشِيخَةٌ قومك ، يريدون الدخول عليك ، فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، فقالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، وإن محمداً قد آذانا وآذى آفتنا ، فنحب أن تدعوه ، ففتناه عن ذكر آفتنا ، ولشُدَّعَهُ وإلهه ، فدعاه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تُرِيدُونَ ؟ » قالوا : نريد أن ندعنا وآهتنا ، وندعك وإهلك ، قال له أبو طالب : قد أنصفك قومك ، فاقبل منهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أُعْطِيْتُمْ هَذَا هَلْ أَنْتُمْ مُعْطِي كَلِمَةٍ إِنْ تَكَلَّمْتُمْ بِهَا مَلَائِكَةُ الْعَرَبِ ، وَدَأَنْتُمْ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ بِالْخِرَاجِ ؟ قال أبو جهل : نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها ، فما هي ؟ قال : قُولُوا : لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ ، فَأَبَوْا واشتمأزوا . قال أبو طالب : يا بن أخي قل غيرها ، فإن قومك قد فزعوا منها ، قال : يا عمّ ما أنا بالذي أقول غيرها حتى يأتوا بالشَّمْسِ فَيَضَعُوهَا فِي يَدِي ، وَلَوْ أَتَوْنِي بِالشَّمْسِ فَوَضَعُوهَا فِي يَدِي مَا قُلْتُ غَيْرَهَا ، إِرَادَةَ أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ ، فغضبوا وقالوا : لتكفنن عن شتمك آهتنا ، أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك ، فذلك قوله ( فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار ، فيسب الكفار الله عدواً بغير علم ، فأنزل الله ( وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قال : إذا سببت إلهه ، سب إهلك ، فلا تسبوا آلهتهم . وأجمعت الأمة من قراءة الأمصار على قراءة ذلك ( فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ) بفتح العين وتسكين الدال ، وتخفيف الواو من قوله ( عَدْوًا ) على أنه مصدر من قول القائل : عدا فلان على فلان : إذا ظلمه واعتدى عليه ، يعدو عدواً وعدواً وعدواناً ، والاعتداء : إنما هو افتعال من ذلك . روى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك عدواً مشددة الواو .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن عثمان بن سعد ( فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا ) مضمومة العين مثقلة .

وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك ( فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا ) بوجه تأويله إلى أنهم جماعة ، كما قال جل ثناؤه ( فَلِإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ) ، وكما قال ( لَانْتَحِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْ لِيَاءَ ) ويجعل نصب العدو حينئذ على الحال من ذكر المشركين في قوله ( فَيَسُبُّوا ) .

فيكون تأويل الكلام : ولا تسبوا أيها المؤمنون الذين يدعو المشركون من دون الله ، فيسب المشركون الله أعداء الله بغير علم . وإذا كان التأويل هكذا كان العدو من صفة المشركين ونعمهم ، كأنه قيل : فيسب المشركون أعداء الله بغير علم ، ولكن العدو لما خرج مخرج النكرة ، وهو نعت للمعرفة ، نصب على الحال .

﴿١٠٩﴾ والصواب من القراءة عندى فى ذلك: قراءة من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو لإجماع الحجة من القراءة على قراءة ذلك كذلك ، وغير جائز خلافها فيما جاءت مجمعة عليه .

القول فى تأويل قوله ( كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ ، فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) :

﴿١٠٩﴾ يقول تعالى ذكره : كما زينا هؤلاء العادلين برهبهم الأوثان والأصنام عبادة الأوثان ، وطاعة الشيطان بخذلاننا إياهم عن طاعة الرحمن ، كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على عمل من الأعمال من طاعة الله ومعصيته ، عملهم الذى هم عليه مجتمعون ، ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون ، يقول : فيوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التى كانوا يعملون بها فى الدنيا ، ثم يجازيهم بها إن كان خيرا فخير ، وإن كان شرا فشر ، أو يعفو بفضله ما لم يكن شركا أو كفرا .

القول فى تأويل قوله

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ، قُلْ : إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)

﴿١٠٩﴾ يقول تعالى ذكره : حلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهد حلفهم ، وذلك أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدّها ( لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ) يقول : قالوا : نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدق ما تقول يا محمد مثل الذى جاء من قبلنا من الأمم ( لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ) يقول : قالوا : لنصدقن بمجيئها بك ، وأنت لله رسول مرسل ، وأن ما جئتنا به حقّ من عند الله ، وقيل : ليؤمننّ بها ، فأخرج الخبر عن الآية والمعنى لحيى الآية ، يقول لنبهه صلى الله عليه وسلم ( قُلْ لَئِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ) وهو القادر على إتيانكم بها دون كلّ أحد من خلقه ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ ) يقول وما يدريكم ( أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ) . وذكر أن الذين سألوه الآية من قومه هم الذين آيس الله نبيه من إيمانهم من مشركى قومه .

وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ) إلى قوله ( يَجْهَلُونَ ) سألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية ، واستحلفهم ليؤمننّ بها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ( لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ) ثم ذكر مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال :

كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش ، فقالوا : يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة ، فأتنا بشيء من الآيات ، حتى نصدّقك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أى شيء يُحِبُّونَ أَنْ آتِيَكُمْ بِهِ ، قالوا : تجعل لنا الصفا ذها ، فقال لهم : فإنْ فَعَلْتُ تُصَدِّقُونِي ، قالوا : نعم والله لئن فعلت لتتبعك أجمعون ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فقال : لك ما شئت ، إن شئت أصبح ذها ، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعدّ بهم ، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم ، فقال : بَلْ يَتُوبَ تَائِبُهُمْ ، فأنزل الله تعالى ( وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ) . . . إلى قوله ( يَجْهَلُونَ ) .

القول في تأويل قوله ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ) :

اختلف أهل التأويل في المخاطبين بقوله ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ) فقال بعضهم : خطب بقوله ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ ) المشركون المقسمون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن ، وانتهى الخبر عند قوله ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ ) ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند مجيئها استئنافا مبتدأ .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ ) قال : ما يدريكم ، قال : ثم أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ ) وما يدريكم ( أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ ) قال : أوجب عليهم أنها إذا جاءت ( لَا يُؤْمِنُونَ ) .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا إصحاق ، قال : سمعت عبد الله بن زيد يقول : إنما الآيات عند الله ، ثم يستأنف فيقول ( إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ ) عند الله ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ ) : وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت ، ثم استقبل يخبر عنهم فقال : ( إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ) .

وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف ( إِنَّهَا ) على أن قوله ( أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ) خبر مبتدأ منقطع عن الأوّل ، ومن قرأ ذلك كذلك بعض قرّاء المكيين والبصريين .

وقال آخرون منهم : بل ذلك خطاب من الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قالوا : وذلك أن الذين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بآية ، المؤمنون به . قالوا : وإنما كان سبب مسألتهم إياه ذلك أن المشركين حلفوا أن الآية إذا جاءت آمنوا ، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : سل يا رسول الله ربك ذلك ، فسأل ، فأنزل الله فيهم وفي مسألتهم إياه ذلك ، قل للمؤمنين بك يا محمد : إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء

المشركين بالله أنهم لا يؤمنون به ، ففتحوا الألف من أن . ومن قرأ ذلك كذلك عامة قرآء أهل المدينة والكوفة ، وقالوا : أدخلت « لا » في قوله ( لا يُؤْمِنُونَ ) صلة ، كما أدخلت في قوله ( ما مَنَّكَ أَلَا تَسْجُدَ ) ، وفي قوله ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَيْهِ أَهْلَكُنَّا أَيْهِمْ لَابِرَجِعُونَ ) وإنما المعنى : وحرام عليهم أن يرجعوا ، وما منعك أن تسجد .

وقد تأول قوم قرءوا ذلك بفتح الألف من ( أنها ) بمعنى : لعلها ، وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب ، وقد ذُكِرَ عن العرب سماعا منها : اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئا ، بمعنى : لعلك تشتري ؛ وقد قيل : إن قول عدي بن زيد العبادي :

أعاذل ما يندريك أن منيبي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد  
بمعنى : لعل منيبي ؛ وقد أنشدوني بيت دريد بن الصمة :

ذريبي أطوف في البلاد لأنني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدًا

بمعنى : لعلني ، والذي أنشدني أصحابنا عن الفراء : لعلني أرى ما ترين ؛ وقد أنشد أيضا بيت توبة بن الحمير  
لعلك يا تيسا نزا في مريرة معدب ليلي أن تراني أزورها  
لعلك ياتيسا ، بمعنى : لأنك التي في معنى لعلك ؛ وأنشد بيت أبي النجم العجلي :

قلت لشيبان أدن من لقايه إننا نغدى القوم من شوائه

يعنى : لعلنا نغدى القوم .

(١) البيت في قصيدة له مطلعها : « أنعرف رسم الدار من أم معبد » أوردها صاحب شعراء النصرانية ( ص ٤٦٥ ) وفي البيت « ضحى غد » في موضع « ضحى الغد » . والمنية : الموت .

(٢) هذا البيت من الطويل ، وهو مركب من شطرين من بيتين مغلطين . فأما الشطر الأول فن بيت لعروة بن الورد ، أنشده ابن الأنباري في كتاب الإنصاف طبعه القاهرة ص ١٣٩ ، وهو شاهد على أن لعل تجيء معها نون الوقاية قليلا ، وهو :

دعيني أطوف في البلاد لعلني أفيد غيتي فيه لذي الحق مخملي

وأما البيت الثاني فهو قول حاتم الطائي يخاطب زوجته ، وكانت تنهيه عن الإسراف في ماله ، وهو :

أريبي جوادا مات هزلا لعلني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدًا

أنشده صاحب اللسان في ( علل ) مرتين ، والثانية عن يعقوب بن السكيت وفيها « لأنني » في موضع « لعلني » . وأوضح ابن بري ما قيل في نسبة البيت ، فقال : ذكر أبو عبيدة أن هذا البيت لخطاطب بن يعفر . وذكر الخوق أنه لدريد . وهذا البيت في قصيدة حاتم معروفة مشهورة . اه . وانظره في شعر حاتم ( شعراء النصرانية ص ١٢٠ ) وقال يعقوب بن السكيت ، وهو من الكوفيين : وسمعت أبا الصقر ينشد : « أريبي جوادا مات هزلا لأنني » يريد أنها لغة في لعلني . والخلاصة : أن رواية المؤلف للبيت تجمع شطرا من بيت عروة ، وشطرا من بيت حاتم . فلتحور .

(٣) المريرة : الحبل المفتول على أكثر من طاق واحد . ويقال : استمرت مريرتي على كذا : إذا استحك أمره عليه ، وقويت شكيمته فيه .

(٤) البيتان لأبي النجم العجل الراجز المشهور في العصر الأموي ، وهما من مشطور الرجز ، أوردهما ابن قتيبة في كتابه ( المعاني الكبير طبع الهند ص ٣٦٣ ) ، وأورد قبلهما كثيرا من أبيات الأرجوزة ، في مصانف متفرقة . ورواية البيت الثاني فيه : « كما نغدى » في موضع : « إنا نغدى » . الخ . ثم قال بعده : شيبان : ابنة . قلت له : أركب في طلبه : ( الظلم ) ، كما : بمعنى كما يقول : كما نصيده ، فنغدى القوم به مشويها ، وأورده هذه الرواية نفسها البغدادي في الخزانة ( ٣ : ٥٩١ - ٥٩٢ ) شاعدا على أن « كما » بمعنى « كما » ، تحت الكلام على الشاهد ال ( ٦٥٧ ) وهو : « لا تظلموا الناس كما لا تظلموا » .

﴿ وَأُولَى التَّوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ ، قَوْلٍ مِنْ قَالَ : ذَلِكَ خُطَابٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ ، أَعْنَى قَوْلِهِ ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ) ، وَأَنْ قَوْلُهُ أَنَّهَا ، بِمَعْنَى : لَعَلَّهَا . وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أُولَى تَأْوِيلَاتِهِ بِالصَّوَابِ ، لِاسْتِفْضَاءِ الْقِرَاءَةِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ بِالْبَاءِ مِنْ قَوْلِهِ ( لَا يُؤْمِنُونَ ) وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ ( وَمَا يُشْعِرُكُمْ ) خُطَابًا لِلْمُشْرِكِينَ ، لَكَانَتِ الْقِرَاءَةُ فِي قَوْلِهِ ( لَا يُؤْمِنُونَ ) بِالتَّاءِ ، وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قَدْ قَرَأَهُ بَعْضُ قُرَّاءِ الْمَكِّيِّينَ كَذَلِكَ ، فَقِرَاءَةٌ خَارِجَةٌ عَمَّا عَلَيْهِ قِرَاءَةُ الْأَمْصَارِ ، وَكُنِيَ بِخِلَافِ جَمِيعِهِمْ لَهَا دَلِيلًا عَلَى ذَهَابِهَا وَشُدُودِهَا .

وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ : وَمَا يَدْرِيكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّ الْآيَاتِ إِذَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فَيَعَايِلُوا بِالنِّقْمَةِ وَالْعَذَابِ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَلَا يُؤْخِرُوا بِهِ .

#### القول في تأويل قوله

وَتَقَلَّبُ أَفْسِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ . ( ١١٠ )

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : لو أنا جئناهم بآية كما سألوها ما آمنوا كما لم يؤمنوا بما قبلها أول مرة ، لأن الله حال بينهم وبين ذلك . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَقَلَّبُ أَفْسِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) . . . الآية ، قال : لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ، وردت عن كل أمر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَقَلَّبُ أَفْسِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ ) قال : تمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أول مرة . وقرأ ( كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَتَقَلَّبُ أَفْسِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ ) قال : نحول بينهم وبين الإيمان ، ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون ، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة .

وقال آخرون : معنى ذلك : ونقلب أفسدتهم وأبصارهم لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا ، فلا يؤمنون كما فعلنا بهم ذلك ، فلم يؤمنوا في الدنيا ؛ قالوا : وذلك نظير قوله ( وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ) . ذكر من قال ذلك :

حدثني المنثري ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : أخبر الله سبحانه : ما العباد قائلون قبل أن يقولوه ، وعملهم قبل أن يعملوه ، قال :



( وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِيرِينَ ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ) يقول : من المهتدين ، فأخبر الله سبحانه ، أنهم لوردوا لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون ، وقال ( وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ ) قال : لوردوا إلى الدنيا لجيل بينهم وبين الهدى ، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا .

﴿ وَأُولَى التَّوْبِلَاتِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ : أَنْ يَقَالَ : إِنْ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، لَنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا ، أَنَّهُ يَلْقَى أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ، وَيَصْرِفُهَا كَيْفَ شَاءَ ، وَأَنْ ذَلِكَ بِيَدِهِ ، يَقِيمُهُ إِذَا شَاءَ ، وَيَزِيغُهُ إِذَا أَرَادَ ، وَأَنْ قَوْلَهُ ( كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ ) دَلِيلٌ عَلَى مَحْذُوفٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَأَنْ قَوْلَهُ « كَمَا » تَشْبِيهُ مَا بَعْدَهُ بِشَيْءٍ قَبْلَهُ .

وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون معنى الكلام : ونقلب أفئدتهم فنزيغها عن الإيمان ، وأبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجّة ، وإن جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنوا بالله ورسوله ، وما جاء به من عند الله كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها مرة قبل ذلك ، وإذا كان ذلك تأويله كانت الهاء من قوله ( كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ) كناية ذكر التقلب .

القول في تأويل قوله ( وَتَنذَرُهُمْ فِي ظُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ) :

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : وَنَذَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، لَنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا عِنْدَ مَجِيئِهَا فِي تَمَرْدِهِمْ عَلَى اللَّهِ ، وَاعْتِدَائِهِمْ فِي حُدُودِهِ ، يَتَرَدَّدُونَ لَا يَهْتَدُونَ لِحَقِّ ، وَلَا يَبْصُرُونَ صَوَابًا ، قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْخُذْلَانُ ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ .

تمّ الجزء السابع من تفسير ابن جرير الطبري

ويليه الجزء الثامن

وأوله : القول في تأويل قوله ( وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ )

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ أَبِي الْقُرْآنِ

• كتاب أزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد •  
قرآن كريم  
• ما أعلم هل أديم الأرض أعلم  
من ابن جرير •  
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المتوفى ٣١٠ سنة

الجزء الثامن

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.

فهارس الجزء الثامن من جامع البيان، عن تأويل آي القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١١	ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة . . .	١	١٣٥	قل يا قوم اعملوا على مكانتكم . . .	٣٩
١١٢	وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً . . .	٣	١٣٦	وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث . . .	٤٠
١١٣	ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون . . .	٦	١٣٧	وكذلك زين لكثير من المشركين . . .	٤٢
١١٤	أفغير الله أبتغي حكماً . . .	٨	١٣٨	وقالوا هذه أنعام وحرث . . .	٤٤
١١٥	وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا . . .	٩	١٣٩	وقالوا ما في بطون هذه الأنعام . . .	٤٧
١١٦	وإن تطع أكثر من في الأرض . . .	٩	١٤٠	قد خسروا الذين قتلوا أولادهم سفها . . .	٥٠
١١٧	إن ربك هو أعلم من يضل . . .	١٠	١٤١	وهو الذي أنشأ جنات . . .	٥٢
١١٨	فكلوا مما ذُكر اسم الله عليه . . .	١١	١٤٢	ومن الأنعام حمولة وفرشا . . .	٦٢
١١٩	وما لكم أن لاتأكلوا مما ذُكر . . .	١١	١٤٣	ثمانية أزواج ، من الضأن . . .	٦٤
١٢٠	وذروا ظاهر الإثم وباطنه . . .	١٣	١٤٤	ومن الإبل اثنين . . .	٦٧
١٢١	ولاتأكلوا مما لم يُذكر اسم الله عليه . . .	١٥	١٤٥	قل لا أجد فيها أوحى إلى . . .	٦٨
١٢٢	أو من كان ميتا فأحييناه . . .	٢١	١٤٦	وعلى الذين هادوا حرمنا . . .	٧٢
١٢٣	وكذلك جعلنا في كل قرية . . .	٢٤	١٤٧	فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة . . .	٧٧
١٢٤	وإذا جاءتهم آية قالوا . . .	٢٥	١٤٨	سيقول الذين أشركوا . . .	٧٧
١٢٥	فمن يرد الله أن يهديه . . .	٢٦	١٤٩	قل فله الحجة البالغة . . .	٧٩
١٢٦	وهذا صراط ربك مستقيماً . . .	٣٢	١٥٠	قل هلمّ شهداءكم . . .	٨٠
١٢٧	لهم دار السلام عند ربهم . . .	٣٢	١٥١	قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم . . .	٨١
١٢٨	ويوم يحشرهم جميعاً . . .	٣٣	١٥٢	ولا تقربوا مال اليتيم . . .	٨٤
١٢٩	وكذلك نولي بعض الظالمين . . .	٣٤	١٥٣	وأن هذا صراطي مستقيماً . . .	٨٧
١٣٠	يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم . . .	٣٥	١٥٤	ثم آتينا موسى الكتاب تماماً . . .	٨٩
١٣١	ذلك أن لم يكن ربك مهلك . . .	٣٧	١٥٥	وهذا كتاب أنزلناه مبارك . . .	٩٢
١٣٢	ولكل درجات مما عملوا . . .	٣٨	١٥٦	أن تقولوا إنما أنزل الكتاب . . .	٩٢
١٣٣	وربك الغني ذو الرحمة . . .	٣٨	١٥٧	أو تقولوا لو أنا أنزل علينا . . .	٩٤
١٣٤	إنما توعدون لآت . . .	٣٩	١٥٨	هل ينظرون إلا أن تأتيهم . . .	٩٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥٩	إن الذين فرّقوا دينهم . . .	١٠٤	٢١	وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . . .	١٤١
١٦٠	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها . . .	١٠٧	٢٢	فدلاهما بغرور فلما ذاقا . . .	١٤١
١٦١	قل إنني هداني ربي . . .	١١١	٢٣	قالا ربنا ظلمنا أنفسنا . . .	١٤٤
١٦٢	قل إنّ صلاتي ونسكي . . .	١١١	٢٤	قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو . . .	١٤٤
١٦٣	لا شريك له وبذلك أمرت . . .	١١١	٢٥	قال فيها تحيون وفيها تموتون . . .	١٤٥
١٦٤	قل أغير الله أبغي ربا . . .	١١٣	٢٦	يا بني آدم قد أنزلنا عليكم . . .	١٤٥
١٦٥	وهو الذي جعلكم خلائف الأرض	١١٤	٢٧	يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان . . .	١٥١
<b>الأعراف</b>					
١	المصّ . . .	١١٥	٢٨	وإذا فعلوا فاحشة قالوا . . .	١٥٣
٢	كتاب أنزل إليك . . .	١١٦	٢٩	قل أمر ربي بالقسط . . .	١٥٥
٣	اتبعوا ما أنزل إليكم . . .	١١٧	٣٠	فريقا هدى ، وفريقا حقّ عليهم . . .	١٥٥
٤	وكم من قرية أهلكناها . . .	١١٧	٣١	يا بني آدم خذوا زينتكم . . .	١٥٩
٥	فما كان دعواهم إذ جاءهم . . .	١١٧	٣٢	قل من حرّم زينة الله . . .	١٦٢
٦	فلنسلنّ الذين أرسل إليهم . . .	١١٩	٣٣	قل إنّما حرّم ربي الفواحش . . .	١٦٦
٧	فلنقصنّ عليهم بعلم . . .	١٢٠	٣٤	ولكلّ أمة أجل . . .	١٦٧
٨	والوزن يومئذ الحقّ . . .	١٢١	٣٥	يا بني آدم إما يأتينكم رسل . . .	١٦٧
٩	ومن خفّت موازينه . . .	١٢٢	٣٦	والذين كذبوا بآياتنا . . .	١٦٨
١٠	ولقد مكّناكم في الأرض . . .	١٢٤	٣٧	فن أظلم ممن افترى على الله . . .	١٦٨
١١	ولقد خلقناكم ثم صورناكم . . .	١٢٥	٣٨	قال ادخلوا في أمّ قد خلت . . .	١٧٢
١٢	قال ما منعك ألا تسجد . . .	١٢٦	٣٩	وقالت أولاهم لأخراهم . . .	١٧٤
١٣	قال فاهبط منها . . .	١٢٨	٤٠	إن الذين كذبوا بآياتنا . . .	١٧٥
١٤	قال أنظرفني إلى يوم يبعثون . . .	١٣١	٤١	هم من جهنم مهاده . . .	١٨٢
١٥	قال إنك من المنظرين . . .	١٣٢	٤٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٨٢
١٦	قال فيها أغويتني لأقعدن لهم . . .	١٣٢	٤٣	ونزعنا ما في صدورهم من غلّ . . .	١٨٣
١٧	ثم لا تينهم من بين أيديهم . . .	١٣٣	٤٤	ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار . . .	١٨٦
١٨	قال اخرج منها مذموما . . .	١٣٥	٤٥	الذين يصدّون عن سبيل الله . . .	١٨٧
١٩	ويا آدم اسكن أنت وزوجك . . .	١٣٨	٤٦	ويبينهما حجاب وعلى الأعراف . . .	١٨٨
٢٠	فوسوس لهما الشيطان ليبدى . . .	١٣٩	٤٧	وإذا صرفت أبصارهم تلقاء . . .	١٩٧
		١٣٩	٤٨	ونادى أصحاب الأعراف رجلا . . .	١٩٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٩	أهؤلاء الذين أقسمتم . . .	١٩٨	٦٩	أو عجبتم أن جاءكم ذكر . . .	٢١٦
٥٠	ونادى أصحاب النار . . .	٢٠٠	٧٠	قالوا أجبنا لنعبد الله . . .	٢٢٢
٥١	الذين اتخذوا دينهم هوا ولعبا . . .	٢٠١	٧١	قال قد وقع عليكم من ربكم رجس . . .	٢٢٢
٥٢	ولقد جئناهم بكتاب فصلناه . . .	٢٠٣	٧٢	فأنجيناهم والذين معه . . .	٢٢٣
٥٣	هل ينظرون إلا تأويله . . .	٢٠٣	٧٣	وإلى ثمود أخاهم صالحا . . .	٢٢٤
٥٤	إن ربكم الله الذى خاق . . .	٢٠٥	٧٤	واذكروا إذ جعلكم خلفاء . . .	٢٣١
٥٥	ادعوا ربكم تضرعا وخفية . . .	٢٠٦	٧٥	قال الملأ الذين استكبروا . . .	٢٣١
٥٦	ولا تفسدوا فى الأرض . . .	٢٠٧	٧٦	قال الذين استكبروا . . .	٢٣١
٥٧	وهو الذى يرسل الرياح . . .	٢٠٩	٧٧	ففقروا الناقة وعتوا . . .	٢٣٢
٥٨	والبلد الطيب يخرج نباته . . .	٢١١	٧٨	فأخذتهم الرجفة فأصبحوا . . .	٢٣٢
٥٩	لقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	٢١٣	٧٩	فتولى عنهم وقال يا قوم . . .	٢٣٤
٦٠	قال الملأ من قومه . . .	٢١٣	٨٠	ولوطا إذ قال لقومه . . .	٢٣٤
٦١	قال يا قوم ليس بى ضلالة . . .	٢١٣	٨١	إنكم لتأتون الرجال . . .	٢٣٤
٦٢	أبلغكم رسالات ربي . . .	٢١٤	٨٢	وما كان جواب قومه . . .	٢٣٥
٦٣	أو عجبتم أن جاءكم ذكر . . .	٢١٤	٨٣	فأنجيناهم وأهله إلا امرأته . . .	٢٣٦
٦٤	فكذبوه فأنجيناهم والذين معه . . .	٢١٤	٨٤	وأمطرنا عليهم مطرا . . .	٢٣٦
٦٥	وإلى عاد أخاهم هودا . . .	٢١٥	٨٥	وإلى مدين أخاهم شعيبا . . .	٢٣٧
٦٦	قال الملأ الذين كفروا . . .	٢١٥	٨٦	ولا تفعدوا بكل صراط توعدون . . .	٢٣٨
٦٧	قال يا قوم ليس بى سفاهة . . .	٢١٥	٨٧	وإن كان طائفة منكم آمنوا . . .	٢٤٠
٦٨	أبلغكم رسالات ربي . . .	٢١٥			

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٩٣	١
الحجة لاتقوم إلا بإنزال الكتب .	أى معجزة لاتفيد الهداية مالم يخلقها الله في القلوب .
٩٦	٣
طلوع الشمس من مغربها .	للجن شياطين يضلونهم ، كما أن للإنس شياطين
١٠٥	١١
أهل البدع ممن فرقوا دينهم .	ما تُشرع التسمية عليه .
١٠٧	١٥
معنى الحسنه التى يجازى عليها عشر أمثالها ، وأنها حسنة مخصوصة ، وكذلك السيئة .	الشبهه التى ألقاها المشركون فى أمر تحريم الميتة .
١١٥	٢١
تفسير السورة التى فيها الأعراف .	مثل المتخلص من الشبهه ، والواقع فيها .
١٢٣	٢٦
الميزان الذى توزن به الأعمال هو الميزان المعروف .	العلامات التى يُستدل بها على هداية الله للشخص .
١٣٤	٢٦
فساد مايقوله القدرية من أن الإيمان والكفر من أفعال العبد ، وأن الله فوض إليه الأسباب .	العلامة التى تدل على الشقاء ، والسبب الذى به توصل إلى الإيمان ، غير السبب الذى توصل به إلى الكفر ، وأن الكل من الله .
١٤٢	٣٥
ما تمّ لآدم حين أكل من الشجرة .	هل أرسل إلى الجنّ رسل منهم أو لا ؟
١٥١	٤٠
أولى الأقوال فى تفسير لباس التقوى .	ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من فرض نصيب لآلهم فى الحرث والنعم .
١٥٣	٤٢
ما كانت أهل الجاهلية تفعله فى الطواف .	وأد البنات فى الجاهلية ، وبيان أن ذلك كان فى ربيعة ومضر أيضا .
١٦٣	٥٨
الطيبات فى الدنيا لأهل الطاعة ، وإن شاركهم فيها غيرهم .	آية « وآتوا حقه يوم حصاده » منسوخة بالزكاة ، وأنه ليس فى المال صدقة واجبة سوى الزكاة .
١٧٥	٦٠
السماء تفتح لأرواح المؤمنين ، وتغلق لأرواح غيرهم .	الإسراف المحرم ما هو ؟
١٨٠	٦٩
الجمل يطلق على جبل السفينة	الأصناف المحرم أكلها .
١٨٨	٧٢
الأعراف ، وصفة أهلها .	ما حرّم على اليهود من أصناف الحيوان .
١٩٤	٧٨
السيا التى يُعرف بها أهل الجنة وأهل النار .	المشركون اشتبه عليهم الرضا بالمشيئة ، فقالوا : « لو شاء الله ما أشركنا » وردّ الله ذلك عليهم .
١٩٩	٨٤
الشفاعة التى تكون يوم القيامة .	مى يجوز الأكل من مال اليتيم .
٢١٤	٨٧
عدد أهل السفينة الذين كانوا مع نبيّ الله نوح عليه السلام .	سبل البدع والشهوات كثيرة ، والميل إلى واحد منها يُبعد عن الإسلام .
٢١٥	
قصة عاد .	
٢٢٤	
قصة ثمود .	
٢٣٤	
قصة لوط .	
٢٣٧	
نسب شعيب .	



## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ص	٢١٩	تريدُ	١	
١٨٦	حَرِيصُ	٢١٩	الصمودِ	١٣٣	عَوَى
	ع	٢١٩	هُودِ	٧	إصغاء
١١٤	رُبُوعِ	٨٢	الأعبدا	١٨٨	انثناءُ
٢٥	مُولَعَا	٨٢	أحدًا		ب
٢٥	مُبَقَّعَا	٨٢	مِيرَدَا	١٣٥	يَصُوبُ
	ف	٢١١	تَكِيدَا	١٣٥	الثعلبُ
٦٢	سَرَفُ	٤٤	مَزَادَهْ	٢٢٦	شهبابا
١٨٨	الأعرافِ			٢٢٦	أجابنا
٧	العقيفِ	١٩٦	البصْرُ	٢٢٦	ذُؤَابَا
	ق	٢٠٩	القطْرُ	٢٢٦	ذِئَابَا
١٤١	تتفرقُ	٤٥	مُحْجُورُ		ت
٨٥	تَمُوقُ	٢٣٦	الغابِرِ	٢٣٥	وَأَسْبَطَرَتْ
٢٩	مَنْضِيقُ	٢٣٦	الغابِرِ	٢٣٥	وَجُرَّتِ
	ل	١١	تَسْرِي	٢٢٢	السعلاتِ
١٨٥	يَنْتَعِلِ	١١٨	عِشَارِي	٢٢٢	الناتِ
١٢٩	فِيُولُ	١٤١	نَشُورِهَا	٢٢٢	أَكِيَاتِ
١٠	خُدُلَا				د
١٦١، ١٦٠، ١٥٤	أَحْلُهُ	١٨٨	رَآكِرُ	٢٣٣	مَهْدُودُ
١٢٩	قَاتِلُهُ	٢٢٣	الرَّجَزِ	٢٠٨	بَعِيدُ
١٤٦	الرَّجُلُهُ			٢١١	الناكدِ
٢٠٨	إِبْقَاهَا	٤٥	الدَّهَارِيسُ	٢١٩	تَمُودِ

الجزء الثامن

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ن	٢١٨	الكلامًا		م
١٨٧	قَمَّسُنُ	٢١٨	نَغْلَامًا	٩٠	العَلَمُ
١٤٥	لَا حِينُ	٢١٨	عَيَامِي	٨٠	صُرْمُ
١٢٠	فَيَهُونُ	٢١٨	سِيَامَا	٧٠	دَمُ
٧٠	الرَّزِينِ	٢١٨	التَّمَامَا	٨٥	العَظِيمِ
	ي	٦٥	السَّلَامَا	٢٣٣	الجُثُومِ
٤٥	حُجْرِي	١٣٨	قِرَامُهَا	١٤٧	مَوْثَمَا
١٧٨	وَرَاثِيَا	١٢٨	أَذِيمُهَا	٢١٨	عَمَامَا
			لَمَّةُ		

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله

• وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا  
لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، اينس من فلاح هؤلاء العادلين برهم  
الأوثان والأصنام ، القائلين لك : لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك ، فإننا لو ( نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ) حتى  
يروها عيانا ( وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ) بإحيائنا إياهم حجة لك ، ودلالة على نبوتك ، وأخبروهم أنك مُحَقِّقٌ  
فيما تقول ، وأن ما جئتهم به حق من عند الله . ( وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ ) فجعلناهم لك ( قُبُلًا )  
ما آمنوا ولا صدقوك . ولا اتبعوك . ( إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) ذلك لمن شاء منهم . ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ  
يَجْهَلُونَ ) يقول : ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك ، يحسبون أن الإيمان إليهم ،  
والكفر بأيديهم ، متى شاءوا آمنوا ، ومتى شاءوا كفروا ، وليس ذلك كذلك ، ذلك بيدي ، لا يؤمن منهم  
إلا من هديته له فوفقته ، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشيد فأضلته .

وقيل : إن ذلك نزل في المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند الله من مشركي

قريش .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت في المستهزئين  
الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الآية ، فقال : قل يا محمد إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا  
جاءت لا يؤمنون ، ونزل فيهم ( وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ، وَحَشَرْنَا  
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ) .

وقال آخرون : إنما قيل ( ما كانوا ليؤمنوا ) : يراد به أهل الشقاء ، وقيل : إلا أن يشاء الله ، فاستثنى

ذلك من قوله ( ليؤمنوا ) : يراد به أهل الإيمان والسعادة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَانُوا أَنْتَنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ، وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ، مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ) وهم أهل الشقاء ، ثم قال ( إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) وهم أهل السعادة ، الذين سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان .

❦ وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول ابن عباس ، لأن الله جل ثناؤه عم بقوله ( مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ) القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله ( وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا ) ، وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين ، الذين قال ابن جريج : إنهم عُنُوا بهذه الآية ، ولكن لا دلالة في ظاهر التنزيل على ذلك ، ولا خبر تقوم به حجة ، بأن ذلك كذلك ، والخبر من الله خارج مخرج العموم ، فالقول بأن ذلك عني به أهل الشقاء منهم أولى لما وصفنا .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ) فقرأته قراء أهل المدينة ( قِبَلًا ) بكسر القاف وفتح الباء ، بمعنى معاينة ، من قول القائل : لقيته قِبَلًا : أى معاينة ومجاهرة . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين ( وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ) بضم القاف والباء . ❦ وإذا قرئ كذلك كان له من التأويل : ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون القُبُلُ : جمع قَبِيلٍ كالرُّغْفُ التي هي جمع رغيف ، والقُضْبُ التي هي جمع قضيب ، ويكون القُبُلُ : الضُّمَمَاءُ والكُفَلَاءُ ؛ وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويل الكلام : وحشرنا عليهم كلَّ شَيْءٍ كُفَلَاءً يكفلون لهم بأن الذي نعدُّهم على إيمانهم بالله إن آمنوا ، أو نوعدهم على كفرهم بالله إن هلكوا على كفرهم ، ما آمنوا إلا أن يشاء الله . والوجه الآخر : أن يكون القبل بمعنى المقابلة والمواجهة ، من قول القائل : أتيتك قُبُلًا لادُّبُرًا : إذا أتاه من قبل وجهه .

والوجه الثالث : أن يكون معناه : وحشرنا عليهم كلَّ شَيْءٍ قَبِيلَةً ، صنفا صنفا ، وجماعة جماعة ، فيكون القُبُلُ حينئذ جمع قَبِيلٍ ، الذي هو جمع قبيلة ، فيكون القُبُلُ جمع الجمع ، وبكل ذلك ، قد قالت جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال : معنى ذلك : معاينة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ) يقول : معاينة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ) حتى يعاينوا ذلك معاينة ( مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) .

ذكر من قال : معنى ذلك : قبيلة قبيلة ، صنفا صنفا :

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد ، من قرأ ( قُبُلًا ) معناه : قبيلة قبيلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( قُبُلًا ) أفواجا ، قبيلًا قبيلًا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، عن أبي خيثمة ، قال : ثنا أبان بن تغلب ، قال : ثنى طلحة أن مجاهدا قرأ في الأنعام ( كُلُّ شَيْءٍ قُبُلًا ) قال : قبائل : قبيلًا وقبيلًا وقبيلًا . ذكر من قال : معناه : مقابلة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ( وَلَوْ أَنَّنَا نُنزِّلُنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ، وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ) يقول : لو استقبلهم ذلك كله ( لَمْ يُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ) قال : حَشِرُوا إِلَيْهِمْ جميعا ، فقابلوهم وواجهوهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد ، قرأ عيسى ( قُبُلًا ) ومعناه : عيانا . وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا ، قراءة من قرأ ( وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ) بضم القاف والباء ، لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجه التي بيتنا من المعاني ، وأن معنى القُبُل داخل فيه ، وغير داخل في القُبُل معاني القَبِيل . وأما قوله ( وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ ) فإن معناه : وجعنا عليهم ، وسقنا إليهم :

القول في تأويل قوله

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا وَاشْيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ، فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ( ١١٢ )

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم مسلّية بذلك عما لقي من كفره قومه في ذات الله ، وحاتا له على الصبر على ما نال فيه ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ) يقول : وكما ابتليناك يا محمد ، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين ( يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ ) ليصدّوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك ، والإيمان بك ، وبما جشّتهم به من عند ربك ، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل ، بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات يقول : فهذا الذي امتحنتك به ، لم تُختصّص به من بينهم وحدك ، بل قد عمّمتهم بذلك معك لأبتليهم واختبرهم ، مع قدرتي على منع من آذاهم من إيدائهم ، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أولى العزم منهم من غيرهم . يقول : فاصبر أنت كما صبر أولو العزم من الرسل . وأما شياطين الإنس والجنّ فإنهم : مرّدتهم . وقد بيتنا الفعل الذي منه بُني هذا الاسم ، بما أغنى عن إعادته ، ونصب العدو والشياطين بقوله ( جَعَلْنَا ) .

وأما قوله ( يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ) فإنه يعني : أنه يلقى الملقى منهم القول الذي زينه وحسنه بالباطل ، إلى صاحبه ، ليغترّ به من سمعه ، فيضلّ عن سبيل الله .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله (شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) فقال بعضهم : معناه : شياطين الإنس التي مع الإنس ، وشياطين الجن التي مع الجن ، وليس للإنس شياطين .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَكذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ، وَكَوَّ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) أما شياطين الإنس : فالشياطين التي تضل الإنس ، وشياطين الجن الذين يضلون الجن ، يلتقيان فيقول كل واحد منهما : إني أضللت صاحبي بكذا وكذا ، وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا ، فيعلم بعضهم بعضا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة (شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) قال : ليس في الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، في قوله (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) قال : للإنسان شيطان ، وللجن شيطان ، فيلقى شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا .

قال أبو جعفر : جعل عكرمة والسدي في تأويلهما هذا الذي ذكرت عنهما عدو الأنبياء الذين ذكرهم الله في قوله (وَكذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا) أولاد إبليس دون أولاد آدم ، ودون الجن ، وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحى إلى بعض زخرف القول غرورا ، ولد إبليس ، وأن من مع ابن آدم من ولد إبليس يوحى إلى من مع الجن من ولده زخرف القول غرورا ، وليس لهذا التأويل وجه مفهوم ، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم ، فكل ولده لكل ولده عدو ، وقد خص الله في هذه الآية الخبر عن الأنبياء ، أنه جعل لهم من الشياطين أعداء ، فلو كان معنياً بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدي ، الذين هم ولد إبليس ، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداء ، وجه ، وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه مثل الذي جعل لهم ، ولكن ذلك كالذي قلنا ، من أنه معني به أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدواً ، يوحى بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني المنثي ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن حميد بن هلال ، قال : ثنا رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أبا ذر ، هل تتعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، هل للإنس من شياطين ؟ قال : نعم .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن

أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذرٍّ ، أنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أطال فيه الجلوس ، قال : فقال : « يا أبا ذرٍّ ، هل صليت ؟ » قال : قلت : لا يا رسول الله ، قال : قم فاركع ركعتين ، قال : ثم جئت فجلست إليه ، فقال : يا أبا ذرٍّ هل تعودت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، وهل للإنس من شياطين ؟ قال : نعم ، شر من شياطين الجن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أن أبا ذرٍّ قام يوماً يصلي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « تعودت يا أبا ذرٍّ من شياطين الإنس والجن ، فقال : يا رسول الله : أو إن من الإنس شياطين ؟ قال : نعم . »

وقال آخرون في ذلك بنحو الذي قلنا من ذلك : إنه إخبار من الله أن شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( شياطين الإنس والجن ) قال : من الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين يوحى بعضهم إلى بعض . قال قتادة : بلغني أن أبا ذرٍّ كان يوماً يصلي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « تعودت يا أبا ذرٍّ من شياطين الإنس والجن ، فقال : يا نبي الله ، أو إن من الإنس شياطين ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وكذالك جعلنا لِكُلِّ نبيٍّ عدواً شياطين الإنس والجن ) . . . الآية ، ذكر لنا أن أبا ذرٍّ قام ذات يوم يصلي ، فقال له نبي الله : « تعودت بالله من شياطين الجن والإنس ، فقال : يا نبي الله أو للإنس شياطين كشياطين الجن ؟ قال : نعم ، أو كذبت عليه . »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( وكذالك جعلنا لِكُلِّ نبيٍّ عدواً شياطين الإنس والجن ) فقال : كفار الجن شياطين يوحون إلى شياطين الإنس : كفار الإنس ، زخرف القول غرورا

وأما قوله ( زخرف القول غروراً ) فإنه المزيّن بالباطل كما وصفت قبل ، يقال منه : زخرف كلامه وشهادته : إذا حسن ذلك بالباطل ووشّاه .

كما حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة ، قوله ( زخرف القول غروراً ) قال : تزيين الباطل بالألسنة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما الزخرف فزخرفوه : زينوه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ) قال : تزيين الباطل بالأسنة .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ) يقول : حسن بعضهم لبعض القول ، ليتبعوهم في فتنهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ) قال : : الزخرف : المزين ، حيث زين لهم هذا الغرور ، كما زين إبليس لآدم ما جاءه به ، وقاسمه إنه لمن الناصحين ، وقرأ ( وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ) قال : ذلك الزخرف . وأما الغرور : فإنه ما غرّ الإنسان فخدعه فصدّه عن الصواب إلى الخطأ ، ومن الحق إلى الباطل ، وهو مصدر من قول القائل : غرّرت فلانا بكذا وكذا ، فأنا أغرّره غرورا وغرّرا .

كالذي حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( غُرُورًا ) قال : يتغرّون به الناس والجن .

القول في تأويل قوله ( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلْنَاهُ ، فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : ولو شئت يا محمد أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائي أعداء من شياطين الإنس والجن ، فلا ينالهم مكرم ، ويأمنوا غوائلهم وأذاهم ، فعلت ذلك ، ولكني لم أشأ ذلك ، لأبتلى بعضهم ببعض ، فيستحق كل فريق منهم ما سبق له في الكتاب السابق ، ( فَذَرَهُمْ ) يقول : فدعهم ، يعنى الشياطين ، الذين يجادلونك بالباطل من مشركي قومك ، ويخاصمونك بما يوحي إليهم أولياؤهم ، من شياطين الإنس والجن ( وَمَا يَفْتَرُونَ ) يعنى : وما يخلقون من إفك وزور ، يقول له صلى الله عليه وسلم : اصبرْ عَلَيْهِمْ فَمَاتِي مِنْ وِرَاءِ عِقَابِهِمْ عَلَى افْتَرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ ، وَاخْتِلَا قِيهِمْ عَلَيْهِ الكَذِبَ وَالزُّورَ .

القول في تأويل قوله

وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَهْلُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ

مُقْتَرِفُونَ . ( ١١٣ )

يقول تعالى ذكره ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا - وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ ) يقول جل ثناؤه : يوحى بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض ، المزيين من القول بالباطل ، ليغرّوا به المؤمنين من أتباع الأنبياء ، فيفتنهم عن دينهم ، ( وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَهْلُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) يقول : وتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وهو من صغوت تصغى وتصغو ، والتنزيل جاء بتصغى صغوا وصغوا ، وبعض العرب



يقول : صغيت بالياء . حكى عن بعض بني أسد : صغيت إلى حديثه ، فأنا أصغى صغياً بالياء ، وذلك إذا ملت ، يقال : صغرتي معك : إذا كان هواك معه وميلك ، مثل قولهم : ضلعتي معك ، ويقال : أصغيت الإناء : إذا أملت ، ليجمع ما فيه ؛ ومنه قول الشاعر :

تَرَى السَّفِيهَ بِهِ عَن كُلِّ مُحْكَمَةٍ زَبِغٌ وَفِيهِ إِلَى التَّشْبِيهِ إِصْغَاءٌ<sup>١</sup>

ويقال للقمير إذا مال للغيوب : صغاً وأصغى .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَكَلِمَتِي إِلَيْهِ أَفْئِدَةٌ ) يقول : تزيغ إليه أفئدة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( وَكَلِمَتِي إِلَيْهِ أَفْئِدَةٌ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) قال : تميل .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَكَلِمَتِي إِلَيْهِ أَفْئِدَةٌ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) يقول : تميل إليه قلوب الكفار ويحبونه ، ويرضون به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَلِمَتِي إِلَيْهِ أَفْئِدَةٌ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) قال : ولتصغي : وليهواوا ذلك وليرضوه ، قال : يقول الرجل للمرأة : أصغيت إليها : هويتها .

القول في تأويل قوله ( وَكَلِمَتِي إِلَيْهِ أَفْئِدَةٌ ) :

يقول تعالى ذكره : وليكتسبوا من الأعمال ما هم مقترفون . حكى عن العرب سماعاً منها ، خرج يقترف لأهله ، بمعنى يكسب لهم ، ومنه قيل : قارف فلان هذا الأمر : إذا واقعه وعمله . وكان بعضهم يقول : هو الشبهة والادعاء ، يقال للرجل : أنت قرفتني : أي أهتمتني ، ويقال : بئسما اقترفت لنفسك . وقال رؤبة :

أَعْيَا اقْتِرَافُ الْكُذِبِ الْمَقْرُوفِ تَقْوَى التَّقِي وَعِفَّةَ الْعَقِيفِ<sup>٢</sup>

(١) البيت أنشده صاحب اللسان : صفا ، ولم ينسبه ، وقال : أنشد ابن بري شاهداً على الإصغاء بالسمع لشاعر : نرى . البيت . وقال مصححه في هامشه : ولعلها وفيه إلى التسفيه اه .

وقد أورده القرطبي في تفسيره ( ٧ : ٦٩ ) كرواية المؤلف ، وفيه « مكرمة » في مكان « محكمة » . ولعل كلمة « التشبيه » في البيت بمعنى التغليب . قال في تاج العروس : « وشبه عليه الأمر تشبيهاً : لبس عليه وغلط » . يريد أن السفيه لا يعنيه السماع للكلام الواضح الذي لا لبس فيه ، وإنما همه الإصغاء إلى الكلام المختلط ، الذي يلبس الأمور على من يسمعه ، ويوقعه في الشبهة والحيرة .

(٢) لم أجد هذين البيتين في ديوان رؤبة ، مع أن له أرجوزة على هذه القافية . ولم أجد في ديوان أبيه العجاج ، ولا في ملحقاتهما . وقرف الذئب وغيره يقرفه قرفاً واقترفه : اكتسبه . والاقتراف : الاكتساب . وقرفه بكذا : أي أضافه إليه ، واتهمه به . واقترف المال : اقتناه ( اللسان : قرف ) .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وَلْيَقْسِرُوا) قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (وَلْيَقْسِرُوا ما هم مُقْسِرُونَ) وليكتسبوا ما هم مكتسبون .  
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلْيَقْسِرُوا ما هم مُقْسِرُونَ) قال : ليعملوا ما هم عاملون .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلْيَقْسِرُوا ما هم مُقْسِرُونَ) قال : ليعملوا ما هم عاملون .

القول في تأويل قوله

أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ، وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ  
الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهُؤلاءِ العادلين بالله الأوثان والأصنام ، القائلين لك : كُفٌّ عن آلهتنا ، ونكُفٌّ عن إلهك ، إن الله قد حكم علىٰ بذكر آلهتكم بما يكون صدًا عن عبادتها : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَىٰ حَكْمًا) أى قل : فليس لى أن أتعدى حكمه وأتجاوزه ، لأنه لاحكم أعدل منه ، ولا قائل أصدق منه ، وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ، يعنى : القرآن مفصلا ، يعنى مبينا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمرى وأمركم . وقد بينا معنى التفصيل فيما مضى قبل .  
القول في تأويل قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) :

يقول تعالى ذكره : إن أنكر هؤلاء العادلون بالله الأوثان من قومك ، توحيد الله ، وأشركوا معه الأنداد ، وجحدوا ما أنزلته إليك ، وأنكروا أن يكون حقا ، وكذبوا به ، فالذين آتيناهم الكتاب ، وهو التوراة والإنجيل من بنى إسرائيل ، يعلمون أنه منزل من ربك ، يعنى : القرآن وما فيه بالحق ، يقول : فصلا بين أهل الحق والباطل ، يدل على صدق الصادق فى علم الله ، وكذب الكاذب المفتري عليه . (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) يقول : فلا تكونن يا محمد من الشاكين فى حَقِّيَّةِ الأنبياء التى جاءتك من الله فى هذا الكتاب وغير ذلك مما تضمنه ، لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق . وقد بينا فيما مضى ماوجه قوله (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) بِمَا أَعْسَىٰ عن إعادته ، مع الرواية المروية فيه .  
وقد حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) يقول : لا تكونن فى شك مما قصصنا عليك .

## القول في تأويل قوله

وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)

يقول تعالى ذكره : وكملت كلمة ربك ، يعني القرآن ، سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر : هذه كلمة فلان ( صِدْقًا وَعَدْلًا ) يقول : كملت كلمة ربك من الصدق والعدل ، والصدق والعدل نصبها على التفسير للكلمة ، كما يقال : عندي عشرون درهما ( لا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ) يقول : لا مغير لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه ، وذلك نظير قوله جل ثناؤه ( يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ) فكانت إرادتهم تبديل كلام الله ، مسألتهم نبي الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه ، وقولهم له ولن معه من المؤمنين : ( ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ) بعد الخبر الذي كان الله أخبرهم تعالى ذكره في كتابه بقوله : ( فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوا لَلْخُرُوجِ ، فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُفَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ) . . . الآية ، فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا مع نبي الله في غزاة ، ولن يقاتلوا معه عدوًّا ، بقولهم لهم : ( ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ) فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يريدون أن يبدلوا بمسألتهم إياهم ذلك كلام الله وخبره ( قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا ، كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ) فكذلك معنى قوله ( لا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ) إنما هو : لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن ، فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه ، على ما أخبر جل ثناؤه ، لأنه لا يزيد المقترون في كتب الله ، ولا ينقصون منها ، وذلك أن اليهود والنصارى لاشك أنهم أهل كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ، وقد أخبر جل ثناؤه أنهم يحرفون غير الذي أخبر أنه لا مبدل له .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ) يقول : صدقا وعدلا فيما حكم .  
وأما قوله ( وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) فإن معناه : والله السميع لما يقول هؤلاء العادلون بالله ، المقسمون بالله جهد إيمانهم : لئن جاءهم آية ليؤمنن بها ، وغير ذلك من كلام خلقه ، العليم : بما تنول إليه إيمانهم من برٍّ وصدق ، وكذب وحيث ، وغير ذلك من أمور عباده .

## القول في تأويل قوله

وَإِنْ تَطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ،

وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد يا محمد، فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لأهلهم، وأهلوا به لغير ربهم، وأشكأهم من أهل الزيف والضلال، فإنك إن تطع أكثر من في الأرض، بضلوك عن دين الله، ومحنة الحق والصواب، فيصدوك عن ذلك. وإنما قال الله لنبية (وَأَنْ تَطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ) من بني آدم، لأنهم كانوا حينئذ كفارا ضلالا، فقال له جل ثناؤه: لا تطعهم فيما دعوك إليه، فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم، وكنت مثلهم، لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطئوه، ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نهى نبية عن طاعتهم فيما دعوه إليه في أنفسهم، فقال (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) فأخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم، وحسبان على صحة عزم عليه، وإن كان خطأ في الحقيقة (وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يقول: ما هم إلا متخرصون، يظنون ويوقعون حزرا لا يقين علم، يقال منه: خرص يخرص خرصا وخيرصا: أي كذب، وتخرص بظن، وتخرص بكذب، وخرصت النخل أخرصه؛ وخرصت إبلك: أصابها البرد والجوع.

## القول في تأويل قوله

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضَلُّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان، لثلا يضلوك عن سبيله، هو أعلم منك ومن جميع خلقه، أي خلقه يضل عن سبيله بزخرف القول الذي يوحى الشياطين بعضهم إلى بعض، فيصدوا عن طاعته، واتباع ما أمر به (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) يقول: وهو أعلم أيضا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد، لا يخفى عليه منهم أحد. يقول: واتباع يا محمد ما أمرتك به، وانه عما نهيتك عنه، من طاعة من نهيتك عن طاعته، فإني أعلم بالهادي والمضل من خلقي منك.

واختلف أهل العربية في موضع «مَنْ» في قوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضَلُّ) فقال بعض نحوي البصرة: موضعه خفض بنية الباء، قال: ومعنى الكلام: إن ربك هو أعلم بمن يضل. وقال بعض نحوي الكوفة: موضعه رفع، لأنه بمعنى أي، والرفع له يضل.

والصواب من القول في ذلك: أنه رفع بيضل، وهو في معنى أي، وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض، فيكون هذا له نظيرا. وقد زعم بعضهم أن قوله (أَعْلَمُ) في هذا الموضع بمعنى يعلم، واستشهد لقيه بيت حاتم الطائي:

فحالفَت طَيِّبِي مِينَ دُونِنَا حَلِيفًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا كُنَّا لَكُمْ خُذُلًا

وبقول خنساء:

(١) لم أجد البيت في ديوان حاتم المطبوع. وحالفت: عاهدت. والحلف بكسر الحاء وسكون اللام: العهد والميثاق، حرك لامة بالكسر للشعر. وخذلا: جمع خذل للرجل والمرأة، لأنه بمعنى خاذل، وهو تارك النصر والعون.

القومُ أَعْلَمُ أَنْ جَفَنَتَهُ تَعْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أَوْ تَسْرِي<sup>١</sup>  
 وهذا الذي قاله قائل هذا التأويل ، وإن كان جائزا في كلام العرب ، فليس قول الله تعالى ( إِنْ رَبَّكَ هُوَ  
 أَعْلَمُ مَنْ يَصِلُ عَنْ سَبِيلِهِ ) منه ؛ وذلك أنه عطف عليه بقوله ( وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) ، فأبان  
 بدخول الباء في المهتدين ، أن أعلم ليس بمعنى يعلم ، لأن ذلك إذ كان بمعنى يَفْعَلُ ، لم يوصل بالباء ، كما  
 لا يقال هو يعلم بزيدا ، بمعنى يعلم زيدا .

القول في تأويل قوله

فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به وآياته ، فكلوا أيها المؤمنون مما  
 ذُكِرَ مِنْ ذَبَائِحِكُمْ ، وذبحتموه الذبيح الذي بينت لكم أنه محلّ به الذبيحة لكم ، وذلك ما ذبحه المؤمنون في  
 من أهل دينكم ، دين الحق ، أو ذبحه من دان بتوحيدى من أهل الكتاب ، دون ما ذبحه أهل الأوثان ،  
 ومن لا كتاب له من الجوس ( إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ) يقول : إن كنتم بحجج الله التي أتتكم ،  
 وأعلامه بإحلال ما أحلت لكم ، وتحريم ما حرمت عليكم من المطاعم والمآكل مصدقين ، ودعوا عنكم  
 زخرف ما توحيه الشياطين بعضها إلى بعض من زخرف القول لكم ، وتلبيس دينكم عليكم غرورا .

وكان عطاء يقول في ذلك ما حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المنثري ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال :  
 أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : قوله ( فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) قال : يأمر بذكر  
 اسمه على الشراب والطعام والذبيح ، وكل شيء يدل على ذكره يأمر به .

القول في تأويل قوله

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا  
 مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ، وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٩)

اختلف أهل العلم بكلام العرب في تأويل قوله ( وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا ) فقال بعض نحويي  
 البصريين : معنى ذلك : وأى شيء لكم في ألا تأكلوا ، قال : وذلك نظير قوله ( وَمَا لَنَا أَنْ لَانُقَاتِلَ ) ؟  
 يقول : أى شيء لنا في ترك القتال ، قال : ولو كانت لازائدة لابقع الفعل ، ولو كانت في معنى : وما لنا  
 وكذا ، لكانت : وما لنا وأن لانتقاتل . وقال غيره : إنما دخلت لا للمنع ، لأن تأويل مالك ، وما منعك :  
 واحد ، ما منعك لانفعل : ذلك ، وما لك لانفعل واحد ، فلذلك دخلت لا ، قال : وهذا الموضع تكون

(١) البيت في (أنيس الجلساء ، في شرح ديوان الخنساء ، للأب لويس شيخو طبع بيروت سنة ١٨٩٦ ص ١٠٤) وقال في شرحه  
 (م) : لأنه أظنهم ونحوهم ، فهو أعلم . تعدو : أى تغدو عليهم نهارا . أو تسرى : أى ليلا . وفى (ح ، ب) : الخى يعلم .  
 و (م) : القوم يعلم .

فيه لا ، وتكون فيه أن مثل قوله ( يَبْسَيْنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَصْلُوا ) وأن لاتصلوا : يمنعكم من الضلال بالبيان .  
 وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي : قول من قال : معنى قوله ( وَمَا لَكُمْ ) في هذا الموضع :  
 وأى شيء يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، وذلك أن الله تعالى ذكره تقدم إلى المؤمنين بتحليل  
 ما ذكر اسم الله عليه ، وإباحة أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة ، وتحريم  
 ما أهل به لغيره من الحيوان ، وزجرهم عن الإصغاء لما يوحى الشياطين بعضهم إلى بعض ، من زخرف القول  
 في الميتة ، والمنخفة ، والمتردية ، وسائر ما حرّم الله من المطاعم ، ثم قال : وما يمنعكم من أكل ما ذُبح  
 بدينى الذى ارتضيته ، وقد فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون ، وبينته لكم بقوله ( حُرِّمَتْ  
 عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِيُغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ ) . . . إلى قوله ( قَسْنِ اضْطُرَّ  
 فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ) فلا لبس عليكم في حرام ذلك من حلاله ، فتمتنعوا من أكل حلاله ،  
 حلوا من مواقع حرامه . فإذا كان ذلك معناه ، فلا وجه لقول متأولى ذلك : وأى شيء لكم في أن لاتأكلوا ؟ لأن  
 ذلك إنما يقال كذلك لمن كان كفّ عن أكله ، رجاء ثواب بالكفّ عن أكله ، وذلك يكون ممن آمن بالكفّ ،  
 فكفّ اتباعا لأمر الله ، وتسليما لحكمه ، ولا نعلم أحدا من سلف هذه الأمة ، كفّ عن أكل ما أحل الله من  
 الذبائح ، رجاء ثواب الله على تركه ذلك ، واعتقادا منه أن الله حرّمه عليه ، فبين بذلك إذ كان الأمر كما  
 وصفنا : أن أولى التأويلين في ذلك بالصواب ما قلنا .

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى قوله : فَصَّلْ ، وَفَصَّلْنَا ، وَفُصِّلَ : بَيْنَ ، أَوْ بَيْنَ ، بما يغنى عن  
 إعادته في هذا الموضع .

كما حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقَدْ فَصَّلَ  
 لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ) يقول : قد بين لكم ما حرّم عليكم .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد ، مثله .

واختلفت القراء في قول الله جل ثناؤه ( وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ) فقرأ بعضهم بفتح  
 أول الحرفين من فصل وحرّم : أى فصل ما حرّمه من مطاعمكم ، فبينه لكم . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين :  
 ( وَقَدْ فَصَّلَ ) بفتح فاء فصل ، وتشديد صاده . ما حرّم ، بضم حائه وتشديد رائه ، بمعنى : وقد فصل الله  
 لكم المحرّم عليكم من مطاعمكم . وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين ( وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ) بضم  
 فائه ، وتشديد صاده ( ما حرّم عليكم ) بضم حائه وتشديد رائه ، على وجه ما لم يسم فاعله في الحرفين  
 كليهما . ورؤى عن عطية العوفى أنه كان يقرأ ذلك ( وَقَدْ فَصَّلَ ) بتخفيف الصاد وفتح الفاء ، بمعنى :  
 وقد أتاكم حكم الله فيما حرّم عليكم .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إن كل هذه القراءات الثلاث التى ذكرناها ، سوى القراءة  
 التى ذكرنا عن عطية : قراءات معروفة ، مستفيضة القراءة بها في قرآء الأمصار ، وهن متفقات المعانى ، غير  
 مختلفات ، فبأى ذلك قرأ القارى فصيّب فيه الصواب .

وأما قوله (إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ) فإنه يعني تعالى ذكره: أن ما اضطررنا إليه من المطاعم المحرمة، التي بين: تحريمها لنا في غير حال الضرورة، لنا حلال ما كنا إليه مضطرين، حتى تزول الضرورة. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ) من الميتة. القول في تأويل قوله (وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ):

يقول تعالى ذكره (وَإِنَّ كَثِيرًا) من الناس يجادلونكم في أكل ما حرّم الله عليكم أيها المؤمنون بالله من الميتة (لَيُضِلُّونَ) أتباعهم (بأهوائهم) بغير علم، منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون، إلا ركوبا منهم لأهوائهم، واتباعا منهم لدواعي نفوسهم، اعتداء وخلافا لأمر الله ونهيه، وطاعة للشياطين (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) يقول: إن ربك يا محمد الذي أحل لك ما أحل، وحرّم عليك ما حرّم، هو أعلم بمن اعتدى حدوده، فتجاوزها إلى خلافها، وهو لهم بالميرصاد. واختلفت القراء في قراءة قوله (لَيُضِلُّونَ): فقرأته عامة أهل الكوفة (لَيُضِلُّونَ) بمعنى: أنهم يضلون غيرهم. وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين (لَيُضِلُّونَ) بمعنى: أنهم هم الذين يضلون عن الحق، فيجورون عنه.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك، قراءة من قرأ (وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ) بمعنى: أنهم يضلون غيرهم، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن إضلالهم من تبعهم، ونهاه عن طاعتهم، واتباعهم إلى ما يدعونه إليه، فقال (وَإِنَّ تَطِيعَ أَكْثَرِ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذي أخبره عنهم، ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذي نهاه عنه، فقال لهم: (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ لَيُضِلُّونَكُمْ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) نظير الذي قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّ تَطِيعَ أَكْثَرِ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).

القول في تأويل قوله

وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ، سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا

يَقْتَرِفُونَ (١٢٠)

يقول تعالى ذكره: ودعوا أيها الناس عكالية الإثم، وذلك ظاهره. وسره، وذلك باطنه. كذلك حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) أي قلبه وكثيره، وسره وعلايته. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) قال: سره وعلايته.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، في قوله ( وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ) يقول : سره وعلايته . وقوله ( مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) قال : سره وعلايته .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله ( وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ) قال : نهى الله عن ظاهر الإثم وباطنه أن يُعْمَلَ به سرا أو علانية ، وذلك ظاهره وباطنه .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ) معصية الله في السر والعلانية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ) قال : هو ما يتنوى مما هو عامل .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بالظاهر من الإثم والباطن منه في هذا الموضع ، فقال بعضهم : الظاهر منه : ما حرم جل ثناؤه بقوله ( وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ) ، وقوله ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ) . . . الآية ، والباطن منه : الزنا .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنثي ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ) قال : الظاهر منه ( لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ) والأمهات ، والبنات ، والأخوات . والباطن : الزنا .

وقال آخرون : الظاهر : أولات الرايات من الزواني . والباطن : ذوات الأخدان .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ) أما ظاهره : فالزواني في الحوانيت . وأما باطنه : فالصديقة يتخذها الرجل ، فيأتيها سرا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثني عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) : كان أهل الحاهلية يستمرون بالزنا ، ويرون ذلك حلالا ما كان سرا ، فحرم الله السر منه . والعلانية ، ما ظهر منها ، يعني العلانية ، وما بطن : يعني السر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مكين وأبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد ( لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) قال : ما ظهر منها : الجمع بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده . وما بطن : الزنا .

وقال آخرون : الظاهر : التعري والتجرد من الثياب وما يستر العورة في الطواف . والباطن : الزنا .

ذكر من قال ذلك :

(١) يريد تزويج الرجل نفسه امرأة أبيه ، أي أن يتزوجها هو .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) قال : ظاهره العريضة التي كانوا يعملون بها حين يظوفون بالبيت . وباطنه : الزنا .  
 والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إن الله تعالى ذكره تقدم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه ، وذلك سره وعلايته ، والإثم : كل ما عصي الله به من محارمه ، وقد يدخل في ذلك سر الزنا وعلايته ، ومعايرة أهل الرابات وأولات الأخدان منهن ، ونكاح حلائل الآباء والأمهات والبنات ، والطواف بالبيت عريانا ، وكل معصية لله ظهرت أو بطن . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان جميع ذلك إثما ، وكان الله عمّ بقوله ( وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ) جميع ما ظهر من الإثم ، وجميع ما بطن ، لم يكن لأحد أن يخص من ذلك شيئا دون شيء ، إلا بحجة للعدو قاطعة ، غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك إلى الخصوص بغير برهان ، كان توجيهه إلى أنه عني بظاهر الإثم وباطنه في هذا الموضع : ما حرم الله من المطاعم والمآكل ، من الميتة والدم ، وما بين الله تحريمه ، في قوله ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ) . . . إلى آخر الآية ، أولى ، إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جري ، وهذه في سياقها ، ولكنه غير مستنكر أن يكون عني بها ذلك ، وأدخل فيها الأمر باجتناب كل ما جانسه من معاصي الله ، فخرج الأمر عاما بالنهي عن كل ما ظهر أو بطن من الإثم .

القول في تأويل قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) :  
 يقول تعالى ذكره : إن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ، ويركبون معاصي الله ، ويأتون ما حرم الله ، سيجزون ، يقول : سيثيبهم الله يوم القيامة ، بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصيه .

#### القول في تأويل قوله

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَيْكُمْ  
 أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجْبِدُواكُمْ ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢٢)

يعني بقوله جل ثناؤه ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) : لاناكلوا أيها المؤمنون مما مات ، فلم تذبحوه أنتم ، أو يذبحه موحد يدينه الله بشرائع شرعها له في كتاب منزل ، فإنه حرام عليكم ، ولا مأهلا به لغير الله ، مما ذبحه المشركون لأوثانهم ، فإن أكل ذلك فسق ، يعني : معصية كفر ، فكفى بقوله : وإنه : عن الأكل ، وإنما ذكر الفعل ، كما قال ( الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ) يراد به : فزاد قولهم ذلك إيمانا ، فكفى عن القول ، وإنما جرى ذكره بفعل . ( وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَيْكُمْ أَوْلِيَاءَهُمْ ) : اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَيْكُمْ أَوْلِيَاءَهُمْ ) فقال بعضهم : عني بذلك : شياطين فارس ، ومن على دينهم من الجوس ، إلى

أولياهم من مَرَدَّةٍ مشركي قريش، يُوحون إليهم زخرف القول، ليصل إلى نبي الله وأصحابه في أكل الميتة .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري ، قال : ثنا موسى بن عبد العزيز القنباري ، قال :  
ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة : لما نزلت هذه الآية تحريم الميتة ، قال : أوحى فارس إلى أولياها من  
قريش : أن خاصموا محمدا ، وكانت أولياهم في الجاهلية ، وقلوا له : إن ما ذُبحَتْ فهو حلال ، وما  
ذُبحَ الله ، قال ابن عباس : بشمشار من ذهب ، فهو حرام ، فأنزل الله هذه الآية ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ  
إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ) قال : الشياطين : فارس ، وأولياؤهم : قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عمرو بن دينار ، عن  
عكرمة : أن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم ، وكاتبهم فارس ، وكتبت فارس إلى مشركي قريش :  
إن محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، فما ذبح الله بسكين من ذهب ، فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة ؛  
وأما ما ذبحوا هم يأكلون : وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، فوقع في أنفس  
ناس من المسلمين من ذلك شيء ، فنزلت ( وَإِنَّهُ لَفِيسِقٌ ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ ) . . . الآية ،  
ونزلت ( يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ) .

وقال آخرون : إنما عني بالشياطين الذين يتغرؤون بنبي آدم ، أنهم أوحوا إلى أولياهم من قريش .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة ، قال : كان مما أوحى  
الشياطين إلى أولياهم من الإنس ، كيف تعبدون شيئا لا تأكلون مما قتل ، وتأكلون أنتم ما قتلتم؟ فروى  
الحديث حتى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا كَمْ يَبْدُكُمْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله  
( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ) قال : إبليس الذي يوحى إلى مشركي قريش . قال ابن جريج  
عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، يوحون إلى  
أولياهم ليجادلوكم . قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قال : سمعت أن الشياطين يوحون إلى أهل  
الشرك ، يأمرونهم أن يقولوا : ما الذي يموت ، وما الذي تذبحون إلا سواء ، يأمرونهم أن يخاصموا بذلك  
محمدا صلى الله عليه وسلم . ( وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ) قال : قول المشركين : أما ما ذُبحَ  
الله ( للميتة ) فلا تأكلون ، وأما ما ذُبحتم بأيديكم فحلال .

حدثنا محمد بن عمار الرازي ، قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا شريك ، عن سماك بن حرب ،  
عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن المشركين قالوا للمسلمين : ما قتل ربكم فلا تأكلون ، وما قتلتم أنتم  
تأكلونه ، فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا كَمْ يَبْدُكُمْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) .

(١) الشمشار : لعله يريد به السكين . وقد جاء تفسيره في رواية الحديث الذي بعده .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما حرم الله الميتة ، أمر الشيطان أوليائه ، فقال لهم : ما قتل الله لكم ، خير مما تدبجون أنتم بسكاكينكم ، فقال الله : ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) .

حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان ، عن هارون بن عنبرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : جادل المشركون المسلمين ، فقالوا : ما بال ما قتل الله لا تأكلونه ، وما قتلتم أنتم أكلتموه ، وأنتم تدبجون أمر الله ؟ فأنزل الله ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفَيْسُقٌ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونََ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ) يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه ، وما ذبحتم أنتم فكلوه ، فأنزل الله ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، أن ناسا من المشركين دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها ؟ فقال : الله قتلها ، قالوا : فنزعم أن ما قتل أنت وأصحابك حلال ، وما قتله الله حرام ؟ فأنزل الله ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحضرمي ، أن ناسا من المشركين ، قالوا : أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه ، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه !

حدثنا المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ) قال : قالوا : يا محمد ، أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه ، وأما ما قتل ربكم فتحرمونه ؟ فأنزل الله ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفَيْسُقٌ ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونََ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ . وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ) : وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه ، إنكم إذن لمشركون . حدثنا المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحالك ، قال : قال المشركون : ما قتلتم فتأكلونه ، وما قتل ربكم لا تأكلونه ، فنزلت ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ) قول المشركين : أما ما ذبح الله ( للميتة ) فلا تأكلون منه ، وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ

لَيُؤْحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ) قال : جادلهم المشركون في الذبيحة ، فقالوا : أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه . وأما ما قتل الله فلا تأكلونه ، يعنون الميتة ، فكانت هذه مجادلهم إياهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ ) . . . الآية ، يعنى : عدو الله إبليس ، أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة ، فقال لهم : خاصموا أصحاب محمد في الميتة ، فقولوا : أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون ، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله ، فأنزل الله على نبيه ( وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ) وإنا والله ما نعلمه كان شركاً قط إلا بإحدى ثلاث : أن يدعو مع الله إلهاً آخر ، أو يسجد لغير الله ، أو يسمى الذبائح لغير الله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ ) . . . الآية ، إن المشركين قالوا للمسلمين : كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله ، وما ذبح الله فلا تأكلونه ، وما ذبحتم أنتم أكلتموه؟ فقال الله : ( لَيْتِنِ أَطَعْتُمُوهُمْ ) فأكلتم الميتة ( إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُؤْحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ) قال : كانوا يقولون ما ذكر الله عليه ، وما ذبحتم فكلوا ، فنزلت ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ ) ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُؤْحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ ) . . . الآية ، قال : يقول : يوحى الشياطين إلى أوليائهم : تأكلون ما قتلتم ، ولا تأكلون مما قتل الله؟ فقال : إن الذى قتلتم يذكر اسم الله عليه ، وإن الذى مات لم يذكر اسم الله عليه .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک ، في قوله ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُؤْحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ) هذا في شأن الذبيحة ، قال : قال المشركون للمسلمين : تزعمون أن الله حرم عليكم الميتة ، وأحل لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم ، وحرم عليكم ما ذبح هو لكم ، وكيف هذا وأنتم تعبدونه؟ فأنزل الله هذه الآية ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ ) . . . الآية .

وقال آخرون : كان الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قوماً من اليهود .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع ، قالوا : ثنا عمران بن عبيدة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال ابن عبد الأعلى : خاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم . وقال

ابن وكيع : جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : نأكل ما قتلنا ، ولا نأكل ما قتل الله فأنزل الله ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِيسِقٌ ) .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أن الشياطين يُوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة بما ذكرنا من جداهم إياهم ، وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم ، وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس ، وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك ، كما أخبر الله عنهما في الآية الأخرى التي يقول فيها : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ) ، بل ذلك الأغلب من تأويله عندي ، لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجن والإنس ، كما جعل لأنبيائه من قبله ، يوحى بعضهم إلى بعض المزيين من الأقوال الباطلة ، ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ، ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم .

واختلف أهل التأويل في الذي عنى الله جل ثناؤه بنبيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه ، فقال بعضهم : هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثني ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما قوله ( فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) قال : يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح ، قلت لعطاء : فما قوله ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) قال : ينهى عن ذبائح كانت في الجاهلية على الأوثان ، كانت تذبحها العرب وقريش .  
وقال آخرون : هي الميتة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) قال : الميتة .  
وقال آخرون : بل عنى بذلك : كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن حميد بن يزيد ، قال : سئل الحسن ، سأله رجل قال له أتيت بطير كذا ، فنه ما ذبح ، فذكر اسم الله عليه ، ومنه ما نسيت أن يذكر اسم الله عليه ، واختلط الطير فقال الحسن : كُله كله ، قال : وسألت محمد بن سيرين ، فقال : قال الله ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب وهشام ، عن محمد بن سيرين ، عن

عبد الله بن يزيد الخطمي ، قال : كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ، ولا تتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبد الله بن يزيد ، قال : كنت أجلس إليه في حلقة ، فكان يجلس فيها ناس من الأنصار هو رأسهم ، فإذا جاء سائل فلنما يسأله ويسكتون ، قال : فجاءه رجل فسأله ، فقال : رجل ذبح فئسي أن يسمى ، فتلا هذه الآية ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) حتى فرغ منها .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله عني بذلك : ما ذبح للأصنام والآلهة ، وما مات أو ذبحه من لا تحل ذبيحته . وأما من قال : عني بذلك ما ذبحه المسلم فئسي ذكر اسم الله ، فقول بعيد من الصواب لشذوذه ، وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله ، وكفى بذلك شاهدا على فساده . وقد بينا فساده من جهة القياس في كتابنا المسمى « لطيف القول ، في أحكام شرائع الدين » فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وأما قوله ( لَتَفْسُقُ ) فإنه يعني : وإن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة ، وما أهل به لغير الله لفسق .

واختلف أهل التأويل في معنى الفسق في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : المعصية ، فتأويل الكلام على هذا : وإن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية لله وإثم .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنَّهُ لَتَفْسُقُ ) قال : الفسق : المعصية .

وقال آخرون : معنى ذلك : الكفر .

وأما قوله ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونََ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ) فقد ذكرنا اختلاف المختلفين في المعنى بقوله ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونََ ) .

والصواب من القول فيه : وأما إيحاؤهم إلى أوليائهم ، فهو إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه ، إما بقول ، وإما برسالة ، وإما بكتاب . وقد بينا معنى الوحي فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقد حدثني المنثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا عكرمة ، عن أبي زميل ، قال : كنت قاعدا عند ابن عباس ، فجاءه رجل من أصحابه ، فقال : يا أبا عباس ، زعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة ، يعني المختار بن أبي عبيد ، فقال ابن عباس : صدق ، فنفرت فقلت : يقول ابن عباس صدق ؟ فقال ابن عباس : هما وحيان : وحي الله ، ووحى الشيطان ، فوحى الله إلى محمد ، ووحى الشياطين إلى أوليائهم ، ثم قرأ ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونََ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ) . وأما الأولياء : فهم النصارى والظهوراء في هذا الموضع .

ويعني بقوله ( لِيُجَادِلُوكُمْ ) ليخاصموكم ، بالمعنى الذي قد ذكرت قبل .

وأما قوله ( وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ) فإنه يعنى : وإن أطعتموهم فى أكل الميتة ، وما حرّم عليكم ربكم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ( وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ) يقول : وإن أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ) فأكلتم الميتة .

وأما قوله ( إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ) يعنى : إنكم إذن مثلهم ، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالاً ، فإذا أنتم أكلتموها كذلك فقد صرتم مثلهم مشركين .

واختلف أهل العلم فى هذه الآية : هل نسخ من حكمها شيء أم لا ؟ فقال بعضهم : لم ينسخ منها شيء ، وهى محكمة فيما عنت به ، وعلى هذا قول عامة أهل العلم .

وروى عن الحسن البصرى وعكرمة ، ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ابن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال ( فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِيسِقٌ ) فنسخ ، واستثنى من ذلك ، فقال ( وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ) .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت ، لم ينسخ منها شيء ، وأن طعام أهل الكتاب حلال ، وذبائحهم ذكية ، وذلك مما حرّم الله على المؤمنين أكله بقوله ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) بمعزل ، لأن الله إنما حرّم علينا بهذه الآية الميتة ، وما أهلّ به للطواغيت ، وذبائح أهل الكتاب ذكية سموا عليها ، أولم يُسمّوا ، لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب الله يدينون بأحكامها ، يذبحون الذبائح بأديانهم ، كما ذبح المسلم بدينه ، سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه ، إلا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل ، أو بعبادة شيء سوى الله ، فيحرم حينئذ أكل ذبيحته : سمى الله عليها أو لم يسم .

#### القول فى تأويل قوله

أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)

وهذا الكلام من الله جلّ ثناؤه يدلّ على نبيه المؤمنين برسوله يومئذ ، عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم فى أكل الميتة ، بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به ، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافراً ، فهدها جلّ ثناؤه لرشده ، ووفقه للإيمان ، فقال لهم : إطاعة من كان ميتاً ، يقول : من كان كافراً فجعله

جلّ ثناؤه لانصرافه عن طاعته وجهله بتوحيده ، وشرائع دينه ، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته ، بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بِنافعة ، ولا يدفع عنها من مكروه نازلة ، فأحييناه ، يقول : فهديناه للإسلام ، فأنعشناه ، فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها ، ويعمل في خلاصها من سخط الله وعقابه في معاده ، فجعل إِبصاره الحقّ تعالى ذكره بعد عماء عنه ومعرفته بوحدايته وشرائع دينه بعد جهله بذلك حياة وضياء يستضيء به ، فيمشي على قصد السبيل ومنهج الطريق في الناس ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ) لا يدري كيف يتوجه ، وأى طريق يأخذ لشدة ظلمة الليل وإضلاله الطريق ، فكذلك هذا الكافر الضالّ في ظلمات الكفر ، لا يبصر رشداً ، ولا يعرف حقاً ، يعنى في ظلمات الكفر . يقول : أفضاعة هذا الذي هديناه للحقّ ، وبصرناه الرشاد كطاعة من مثله مثل من هو في الظلمات متردّد ، لا يعرف المخرج منها في دعاء هذا إلى تحريم ما حرّم الله ، وتحليل ما أحلّ ، وتحليل هذا ما حرّم الله ، وتحريمه ما أحلّ . وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين بأعيانهما معروفين ، أحدهما مؤمن ، والآخر كافر . ثم اختلف أهل التأويل فيهما ، فقال بعضهم : أما الذي كان ميتاً فأحياه الله فعمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها : فأبو جهل بن هشام . ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا سليمان بن أبي هودّة ، عن شعيب السراج ، عن أبي سنان عن الضحّاك ، في قوله ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ) قال : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : أبو جهل بن هشام . وقال آخرون : بل الميت الذي أحياه الله عمار بن ياسر رضى الله عنه ؛ وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها : فأبو جهل بن هشام . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن بشر بن تيم ، عن رجل ، عن عكرمة ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ) قال : نزلت في عمار بن ياسر . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن بشر ، عن تيم ، عن عكرمة ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ) : عمار بن ياسر ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ) : أبو جهل بن هشام . وبنحو الذي قلنا في الآية ، قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ) قال : ضالاً فهديناه ( وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ) قال : هدى ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ) قال : في الضلالة أبداً .



حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ) هديناه ( وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ فِي الضَّلَالَةِ أَبَدًا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن رجل ، عن مجاهد ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ) قال : ضالاً فهديناه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ) يعني : من كان كافراً فهديناه ( وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ) يعني بالنور : القرآن من صدق به وعمل به ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ) يعني بالظلمات : الكفر والضلالة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ) ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ) يقول : الهدى يمشي به في الناس ، يقول : فهو الكافر يهديه الله للإسلام ، يقول : كان مشركاً فهديناه ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ) هذا المؤمن معه من الله نور وبينه يعمل بها ويأخذ ، وإليها ينتهي كتاب الله ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ) وهذا مثل الكافر في الضلالة متحير فيها متسكع ، لا يجد مخرجاً ولا منفذاً .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ) ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ) يقول : من كان كافراً فجعلناه مسلماً ، وجعلناه له نوراً يمشي به في الناس ، وهو الإسلام ، يقول : هذا كمن هو في الظلمات ، يعني الشرك .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ) قال : الإسلام الذي هداه الله إليه ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ) ليس من أهل الإسلام ، وقرأ ( اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ، يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ) قال : والنور يستضيء به ما في بيته ويبصره ، وكذلك الذي آتاه الله هذا النور يستضيء به في دينه ، ويعمل به في فوره كما يستضيء صاحب هذا السراج ، قال ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ) لا يدري ما يأتي ، ولا ما يقع عليه . القول في تأويل قوله ( كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله في أكل ما حرمت عليكم من المطاعم عن الحق ، فزينت له سوء عمله ، فرآه حسناً ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب ، كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ، ما كانوا يعملون من معاصي الله ، ليستوجبوا بذلك من فعلهم ما لهم عند ربهم من النكال .

وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوّض الأمور إلى خلقه في أعمالهم ، فلا صنع له في أفعالهم ، وأنه قد سوى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية ، لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان قد زين لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر ، نظير ما زين من ذلك لأعدائه ، وأهل الكفر به ، وزين لأهل الكفر به من الإيمان به نظير الذي زين منه لأنبيائه وأوليائه ، وفي إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله ، ما ينبي عن تزوين الكفر والفسوق والعصيان ، وخص أعداءه وأهل الكفر بتزوين الكفر لهم ، والفسوق والعصيان ، وكره إليهم الإيمان به والطاعة .

#### القول في تأويل قوله

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ، وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)

يقول جل ثناؤه : وكما زيننا للكافرين ما كانوا يعملون ، كذلك جعلنا بكل قرية عظماءها مجرميها ، يعنى : أهل الشرك بالله ، والمعصية له ( لِيَمْكُرُوا فِيهَا ) بغرور من القول ، أو بباطل من الفعل بدين الله وأنبيائه ( وَمَا يَمْكُرُونَ ) : أى ما يحيق مكرهم ذلك ( إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ) ، لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدمهم عن سبيله ، وهم لا يشعرون ، يقول : لا يدرون ما قد أعد الله لهم من أليم عذابه ، فهم في غيبهم وعتوهم على الله يتأدون .  
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أكابير مجرميها ) قال : عظماءها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أكابير مجرميها ) قال : عظماءها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، نزلت في المستهزئين . قال ابن جريج : عن عمرو ، عن عطاء ، عن عكرمة ( أكابير مجرميها ) . . . إلى قوله ( بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ) بدين الله وبنييه عليه السلام وعباده المؤمنين ، والأكابر : جمع أكبر ، كما الأفاضل . : جمع أفضل . ولو قيل : هو جمع كبير ، فجمع أكابر ، لأنه قد يقال أكبر ، كما قيل : ( قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) واحدهم الخاسر ، لكان صوابا . وحكى عن العرب سباعا : الأكابرة والأصاغرة ، والأكابر والأصاغر ، بغير الهاء ، على نية النعت ، كما يقال : هو أفضل منك ، وكذلك تفعل

العرب بما جاء من النعوت على أفعال ، إذا أخرجوها إلى الأسماء مثل جمعهم الأحمر والأسود : الأحامر والأحامرة ، والأساود والأساودة ؛ ومنه قول الشاعر :

إِنَّ الْأَحَامِيرَةَ الثَّلَاثَةَ أَهْلَكَتْ مَالِي وَكُنْتُ يَبِينًا قَدِيمًا مُوَلَعًا  
الْحَمْرُ وَاللَّحْمُ السَّمِينُ أُدِيمُهُ وَالزَّرْعُفَرَانُ فَلَنْ أَزَالَ مُبْتَقَعًا

وأما المكر : فإنه الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ليورطه الماكر به مكروها من الأمر .

القول في تأويل قوله

وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ، قَالُوا : لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ، اللَّهُ أَعْلَمُ  
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ، سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا  
يَمْكُرُونَ (١٢٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم ليصدوا عن سبيل الله آية ، يعني : حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وحقيقته ، قالوا لنبي الله وأصحابه ( لَنْ نُؤْمِنَ ) يقول : يقولون : لن نصدق بما دعانا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من الإيمان به ، وبما جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرّمه علينا ( حَتَّى نُؤْتَىٰ ) يعنون : حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذي أعطى موسى من فلق البحر ، وعيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، يقول تعالى ذكره ( اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ) يعني بذلك جل ثناؤه : أن آيات الأنبياء والرسل لم يعطها من البشر إلا رسول مرسل ، وليس العادلون برهيم الأوثان والأصنام منهم فيعطونها ، يقول جل ثناؤه : فأنا أعلم بمواضع رسالاتي ، ومن هو لها أهل ، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك على أنتم ، لأن تخير الرسول إلى المرسل دون المرسل إليه ، والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته .

القول في تأويل قوله ( سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ) :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، معلمه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه : سيصيب يا محمد الذين اكتسبوا الإثم بشركهم بالله ، وعبادتهم غيره ، صغار ، يعني : ذلة وهوان .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( سَيُصِيبُ )

(١) في اللسان : ( خر ) أن البيتين للأعشى ؟ ولم أجدهما في ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين . وفي رواية اللسان « وكنت بها قديما مولعا » . و « أطل » في موضع : « أدبمه » . وأشار إلى رواية المؤلف . والشاهد أن الأحمر جمع على الأحامرة ، لأنه خرج من باب الصفات إلى باب الأسماء .

النَّذِيرِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ) قال : الصغار : الذلة ، وهو مصدر من قول القائل : صغر بصغير صغارا وصغرا ، وهو أشدّ الذلّ .

وأما قوله ( صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ) فإن معناه : سيصيهم صغار من عند الله ، كقول القائل : سيأتيني رزقي عند الله ، بمعنى : من عند الله ، يراد بذلك : سيأتيني الذي لي عند الله ، وغير جائز لمن قال : سيصيهم صغار عند الله أن يقول : جئت عند عبد الله ، بمعنى : جئت من عند عبد الله ، لأن معنى سيصيهم صغار عند الله ، سيصيهم الذي عند الله من الذلّ ، بتكذيبهم رسوله ، فليس ذلك بنظير جئت من عند عبد الله . وقوله ( وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ) يقول : يُصِيبُ هَؤُلَاءِ الْمَكْدَبِينَ ، بالله ورسوله ، المستحلين ما حرّم الله عليهم من الميتة ، مع الصغار عذاب شديد ، بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله ، بالجدال بالباطل والزخرف من القول غرورا ، لأهل دين الله وطاعته .

#### القول في تأويل قوله

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)

يقول تعالى ذكره ( فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ ) للإيمان به ورسوله ، وما جاء به من عند ربه فيوفقه له ( يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) يقول : فسح صدره لذلك وهوته عليه وسهله له بلطفه ومعرفته ، حتى يستنير الإسلام في قلبه ، فيضيء له ، ويتسع له صدره بالقبول .

كالذي جاء الأثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي حدثنا سوار بن عبد الله العنبري ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يحدث ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبي جعفر ، قال : لما نزلت هذه الآية ( فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) قالوا : كيف يشرح الصدر؟ قال : إذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر ، وانفسح ، قالوا : فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال : نعم الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل القوت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر ، قال : « سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أيّ المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرتهم للموت ذكرا ، وأحسنهم لما بعده استعدادا . قال : وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ( فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) قالوا : كيف يشرح صدره يارسل الله؟ قال : نور يُقَدِّفُ فِيهِ ، فَيَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنْفَسِحُ ، قالوا : فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت . »

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن

المدائن ، قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم ، عن قوله ( قَمِنَ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) قال : « نُورٌ يُقَدِّفُ فِي الْقَلْبِ ، فَيَنْشُرِحُ وَيَنْفَسِحُ ، قالوا : يا رسول الله ، هل له من أمانة يُعرف بها ؟ » . ثم ذكر باقي الحديث مثله .

حدثني محمد بن العلاء ، : ثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد الحرّاني ، قال : قال ثنا محمد بن سلمة ، عن أبي عبد الرحيم ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية ( قَمِنَ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) قال : « إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشَرِحَ ، قالوا : فهل لذلك من أمانة يُعرف بها ؟ قال : الإجابةُ إلى دارِ الخُلُودِ ، والتَّسْحِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ الْمَوْتِ » .

حدثني سعيد بن الربيع الرازي ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن خالد بن أبي كريمة ، عن عبد الله بن المسور ، قال : « قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( قَمِنَ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشَرِحَ ، قالوا : يا رسول الله ، وهل لذلك من علامة تُعرف ؟ قال : نعم ، الإجابةُ إلى دارِ الخُلُودِ ، والتَّجَانِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزُولِ الْمَوْتِ » .

حدثني ابن سنان الغزّاز ، قال : ثنا محبوب بن الحسن الهاشمي ، عن يونس ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ( قَمِنَ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) قالوا : يا رسول الله ، وكيف يشرح صدره ؟ قال : يُدْخِلُ فِيهِ النُّورَ فَيَنْفَسِحُ ، قالوا : وهل لذلك من علامة يا رسول الله ؟ قال : التَّجَانِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالِانْبَاءُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْمَوْتُ » .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَمِنَ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) أما يشرح صدره للإسلام : فيوسع صدره للإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( قَمِنَ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) بِإِلَهِ إِلَّا اللهُ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ( قَمِنَ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) بِإِلَهِ إِلَّا اللهُ ، يَجْعَلُ لَهَا فِي صَدْرِهِ مَنَسَعًا .

القول في تأويل قوله ( وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ) :

يقول تعالى ذكره : ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى لشغله بكفره ، وصدّه عن سبيله ، يجعل

صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجا ، والحرج : أشدّ الضيق ، وهو الذي لا ينفذ من شدة ضيقه ، وهو هنا الصدر الذي لا تنصل إليه الموعظة ، ولا يدخله نور الإيمان ليرين الشرك عليه ، وأصله من الحرج ، والحرج جمع حرجة : وهى الشجرة الملتفّ بها الأشجار ، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا عبد الله بن عمار رجل من أهل اليمن ، عن أبي الصلت الثقفى ، أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية ( وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ) بنصب الراء ، قال : قرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيقا حرجا ، قال صفوان : فقال عمر : ابغوى رجلا من كنانة ، واجعلوه راعيا ، وليكن مُدْبِجِيًا ، قال : فأتوه به ، فقال له عمر : يافى ما الحرجة ؟ قال : الحرجة فينا : الشجرة تكون بين الأشجار التى لا تنصل إليها راعية ، ولا وحشية ، ولا شيء ، قال : فقال عمر : كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ) يقول : من أراد الله أن يضلّه يضيق عليه صدره حتى يجعل الإسلام عليه ضيقا ، والإسلام واسع ، وذلك حين يقول ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) يقول : ما جعل عليكم فى الإسلام من ضيق .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : شاكا .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا حميد ، عن مجاهد ( ضَيِّقًا حَرَجًا ) قال : شاكا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( ضَيِّقًا حَرَجًا )  
أما حرجا : فشاكا .

وقال آخرون : معناه : ملتبسا .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ) قال : ضيقا : ملتبسا .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن الحسن ، عن قتادة أنه كان يقرأ ( ضَيِّقًا حَرَجًا ) يقول : ملتبسا .

وقال آخرون : معناه : وأنه من شدة الضيق لا يصل إليه الإيمان .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير (يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا) قال : لا يجد مسلكا إلا صدعا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراساني (ضَيْقًا حَرَجًا) قال : ليس للخير فيه منفذ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك عن معمر ، عن عطاء الخراساني مثله حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، قوله (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا) بلا إله إلا الله لا يجد لها في صدره مساغا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ، في قوله (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا) بلا إله إلا الله ، حتى لا يستطيع أن تدخله .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (ضَيْقًا حَرَجًا) بفتح الحاء والراء من (حَرَجًا) ، وهي قراءة عامة المكيين والعراقيين ، بمعنى : جمع حرجة على ما وصفت . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة (ضَيْقًا حَرَجًا) بفتح الحاء وكسر الراء .

ثم اختلف الذين قرءوا ذلك في معناه ، فقال بعضهم : هو بمعنى الحَرَج ، وقالوا : الحَرَج بفتح الحاء والراء ، والحَرَج بفتح الحاء وكسر الراء بمعنى واحد ، وهما لغتان مشهورتان ، مثل الدَتْف والدَتِيف ، والوَحْد والوَحِيد ، والفَرْد والفَرِيد .

وقال آخرون منهم : بل هو بمعنى الإثم ، من قولهم : فلان آثم حَرَج . وذكر عن العرب سماعا منها : حَرَج عليك ظلمي ، بمعنى : ضيق وإثم .

والقول عندي في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد ، وبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب ، لاتفاق معنيهما ، وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب في الوَحْد والفَرْد ، بفتح الحاء من الواحد والراء من الفرد وكسرها ، بمعنى واحد . وأما الضيق ، فإن عامة القراء على فتح ضاده وتشديد يائه ، خلا بعض المكيين ، فإنه قرأه (ضَيْقًا) بفتح الضاد وتسكين الياء وتخفيفه ، وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان : أحدهما أن يكون سكنه وهو ينوي معنى التحريك والتشديد ، كما قيل : هَسِين لَبِين ، بمعنى : هَسِين لَسِين . والآخر أن يكون سكنه بنية المصدر ، من قولهم : ضاق هذا الأمر بضيق ضَيْقًا ، كما قال رؤبة :

وَقَدْ عَلِمْنَا عِنْدَ كُلِّ مَا زَقِي ضَيْقِي بَوَجْهِ الْأَمْرِ أَي مَضْبِقِي

ومنه قول الله (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) . وقال رؤبة أيضا :

(١) لم أجد البيت في ديوان رؤبة طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ، ولم أجد في ديوان أبيه العجاج ، ولكني وجدت أرجوزة للعجاج من هذه الفاقية ، وبينها وبين البيت مناسبة ؛ وأولها : « يا رب رب البيت والمشرق » ، فلعن البيت منها .

وفي (اللسان : أزق) : المأزق : المكان الضيق يقتتلون فيه . و (في اللسان : ضيق) : أبو عمرو : الضيق : الشيء الضيق . والضيق أيضا : تخفيف الضيق . ومضيق على مفعول مصدر ميمي بمعنى الضيق ، وكان حقه أن يكون أي مضاق ، ولكنه جاء على الأصل شفوذا .

وَشَقَّهَا النَّوْحُ بِمَا زُولَ ضَيْقٍ<sup>١</sup>

بمعنى : ضَيْقٌ . وحكى عن الكسائي أنه كان يقول : الضيق بالكسر : في المعاش والموضع ، وفي الأمر الضيق .  
وفي هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها ، عن أن السبب الذي به توصل إلى الإيمان والطاعة ،  
غير السبب الذي به توصل إلى الكفر والمعصية ، وأن كلا السببين من عند الله ، وذلك أن الله جل ثناؤه  
أخبر عن نفسه أنه بشرح صدر من أراد هدايته للإسلام ، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيقاً عن الإسلام  
حرجاً ، كأنما يصعد في السماء ، ومعلوم أن شرح الصدر للإيمان ، بخلاف تضيقه له ، وأنه لو كان توصل  
بتضيق الصدر عن الإيمان إليه ، لم يكن بين تضيقه عنه وبين شرحه له فرق ، ولكان من ضيق صدره عن  
الإيمان قد شرح صدره له ، ومن شرح صدره له فقد ضيق عنه ، إذ كان موصولاً بكل واحد منهما ،  
أعنى من التضيق والشرح إلى ما يوصل به إلى الآخر<sup>٢</sup> . ولو كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون الله قد كان  
شرح صدر أبي جهل للإيمان به ، وضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وهذا القول من أعظم  
الكفر بالله ، وفي فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذي به آمن المؤمنون بالله ورسوله  
وأطاعه المطيعون ، غير السبب الذي كفر به الكافرون بالله ، وعصاه العاصون ، وأن كلا السببين من عند  
الله وبيده ، لأنه أخبر جل ثناؤه ، أنه هو الذي بشرح صدر هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته ،  
ويضيق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد إضلاله .

القول في تأويل قوله ( كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ) :

وهذا متكى من الله تعالى ذكره ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضيقه إياه عن وصوله إليه ، مثل  
امتناعه من الصعود إلى السماء ، وعجزه عنه ، لأن ذلك ليس في وسعه .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكرهم قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن نور ، عن معمر ، عن عطاء الخراساني ( كَأَنَّمَا  
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ) يقول : مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن عطاء الخراساني ، مثله .  
وبه قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ( يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا ) بلا إله إلا الله  
حتى لا يستطيع أن تدخله ، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .

(١) هذا بيت من مشطور الرجز لرؤية (ديوانه طبعه لبيس سنة ١٩٠٣ ص ١٠٥ وهو البيت ٤٢ من أرجوزة في وصف المغازة )  
وشقها : أحرق أكبادها ، والضمير عائذ على الإبل في أبيات قبل البيت . والقوح : شدة العطش . والمأزول : المضيق . والضيق ،  
يفتح الصاد والياء ، قال في اللسان عن الأزهرى : الضيق : الشك ، ولا يناسب الغرض هنا ، واستشهد به المؤلف على أنه بمعنى الضيق .  
قال العيني في تفسير البيت ( المقاصد النحوية . على هامش الخزانة ١ : ٥٤ ) : شقها : أى جهدها . والقوح : العطش . بالمأزول : أى  
بموضع أزل بمعنى غشن ضيق .

(٢) لعله : إلى ما يوصل له بالآخر .



حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ) من ضيق صدره .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق ( كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ ) بمعنى : يتصعد فأدغموا التاء في الصاد ، فلذلك شدّ دوا الصاد . وقرأ ذلك بعض الكوفيين ( يَصَّاعِدُ ) بمعنى : يتصاعد ، فأدغم التاء في الصاد ، وجعلها صاداً مشدّدة . وقرأ ذلك بعض قراء المكيين ( كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ ) من صَعِدَ يَصَّعُدُ . وكل هذه القراءات متقاربات المداني ، وبأبها قرأ القارئ فهو مصيب ، غير أني أختار القراءة في ذلك بقراءة من قرأه ( كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ ) بتشديد الصاد بغير ألف ، بمعنى : يتصعد ، لكثرة القراءة بها ، ولقيل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح .

القول في تأويل قوله ( كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ) : يقول تعالى ذكره : كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد في السماء من ضيقه عن الإيمان ، فيجزيه بذلك ، كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ، ممن أبي الإيمان بالله ورسوله ، فيؤيه ويصدّه عن سبيل الحق .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الرجس ، فقال بعضهم : هو كل ما لاخير فيه . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الرجس : ما لاخير فيه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ) قال : ما لاخير فيه . وقال آخرون : الرجس : العذاب . ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ) قال : الرجس : عذاب الله . وقال آخرون : الرجس : الشيطان . ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( الرَّجْسَ ) قال : الشيطان .

وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول : الرجس والنجس لغتان . ويحكى عن العرب أنها تقول : ما كان رجساً ، ولقد رجس رجاسة ، ونجس نجاسة . وكان بعض نحوي البصريين يقول : الرجس والرجز سواء ، وهما العذاب .

﴿ والصواب في ذلك من القول عندى ما قاله ابن عباس ، ومن قال : إن الرجس والنجس واحد ، للخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا دخل الخلاء : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرَّجْسِ النَّجِسِ الْحَبِيثِ الْمُخْبِثِ ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » .  
حدثنى بذلك عبد الرحمن بن البخترى الطائى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المخارى ، عن إسماعيل ابن مسلم ، عن الحسن وقتادة ، عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد بين هذا الخبر أن الرجس هو النجس القذر ، الذى لاخير فيه ، وأنه من صفة الشيطان .

القول فى تأويل قوله

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ، قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)

﴿ يقول تعالى ذكره : وهذا الذى بيننا لك يا محمد فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن ، هو صراط ربك ، يقول : طريق ربك ودينه الذى ارتضاه لنفسه ديناً ، وجعله مستقيماً لا اعوجاج فيه ، فاثبت عليه ، وحرّم ما حرّمته عليك ، وأحلل ما أحلته لك ، فقد بيننا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لقوم يذكرون ، يقول : لمن يتذكر ما احتجّ الله به عليه من الآيات والعبر ، فيعتبر بها ، وخصّ بها الذين يتذكرون ، لأنهم هم أهل التمييز والفهم ، وأولو الحجج والفضل ، فقيل : يذكرون .  
وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ) يعنى به الإسلام .

القول فى تأويل قوله

لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)

﴿ يعنى تعالى ذكره بقوله : لهم للقوم الذين يذكرون آيات الله ، فيعتبرون بها ، ويوقنون بدلالاتها على ما دلت عليه من توحيد الله ، ومن نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، فيصدّقون بما وصلوا بها إلى علمه من ذلك . وأما دار السلام ، فهى دار الله التى أعدّها لأولياته فى الآخرة جزاء لهم على ما أبلوا فى الدنيا فى ذات الله ، وهى جنته . والسلام : اسم من أسماء الله تعالى ، كما قال السدى .  
حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ) الله هو السلام ، والدار : الجنة .  
وأما قوله ( وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ) فإنه يقول : والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله ( بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يعنى جزاء بما كانوا يعملون من طاعته الله ، ويتبعون رضوانه .

القول في تأويل قوله

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا، يَمَعَشَرَ الْجِنُّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ، وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا، قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا) : ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام، وغيرهم من المشركين، مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يوحون إليهم زخرف القول غرورا، ليجادلوا به المؤمنين، فيجمعهم جميعا في موقف القيامة، يقول للجن (يا مَعَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) وحذف «يقول للجن» من الكلام، اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه.

وعنى بقوله (قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) استكثرتهم من إضلالهم وإغوائهم. كما حدثني المنثي، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) يعنى: أضلتم منهم كثيرا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن قتادة (يا مَعَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) قال: قد أضلتم كثيرا من الإنس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله (قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) قال: كثر من أغويتم.

حدثني المنثي، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر عن الحسن، (قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) يقول: أضلتم كثيرا من الإنس.

القول في تأويل قوله (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) :

يقول تعالى ذكره: فيجيب أولياء الجن من الإنس، فيقولون: ربنا استمتع بعضنا ببعض في الدنيا. فأما استمتاع الإنس بالجن، فكان كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله (رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) قال: كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول: أعوذ بكبير هذا الوادي، فذلك استمتاعهم، فاعتذروا يوم القيامة. وأما استمتاع الجن بالإنس، فإنه كان فيما ذكر، ما ينال الجن من الإنس، من تعظيمهم إياهم في استعدادهم بهم، فيقولون: قد سدنا الجن والإنس.

القول في تأويل قوله (وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا) :

يقول تعالى ذكره : قالوا : وبلغنا الوقت الذي وقَّمت لموتنا ، وإنما يعني جل ثناؤه بذلك ، أنهم قالوا : استمتع بعضنا ببعض أيام حياتنا إلى حال موتنا .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما قوله ( وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ) فالموت .

القول في تأويل قوله ( قال : النَّارُ مَشُورًا كُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ) :

وهذا خبر من الله تعالى ذكره ، عما هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة ، من العادلين به في الدنيا الأوثان ، ولقمرناهم من الجن ، فأخرج الخبر عما هو كائن ، مخرج الخبر عما كان ، لتقدم الكلام قبله بمعناه ، والمراد منه ، فقال : قال الله لأولياء الجن من الإنس ، الذين قد تقدم خبره عنهم ( النَّارُ مَشُورًا كُمْ ) : يعني نار جهنم مشوراكم الذي تشؤون فيه : أي تقيمون فيه ، والمثوى : هو المنفعل ، من قولهم : ثوى فلان بمكان كذا ، إذا أقام فيه ( خالدين فيها ) يقول : لا يثنى فيها ( إلا ما شاء الله ) يعني : إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم ، فتلك المدة التي استثناها الله من خلودهم في النار ( إن ربك حكيم ) في تدبيره في خلقه ، وفي تصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال ، وغير ذلك من أفعاله . ( عليم ) بعواقب تدبيره إياهم ، وما إليه صائر أمرهم من خير وشر . وروى عن ابن عباس أنه كان يتأول في هذا الاستثناء ، أن الله جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( قال : النَّارُ مَشُورًا كُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ) قال : إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ألا ينزلهم جنة ولا ناراً .

القول في تأويل قوله

وَكَذَلِكَ نُورَى بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)

اختلف أهل التأويل في تأويل ( نُورَى ) فقال بعضهم : معناه : نجعل بعضهم لبعض ولياً على الكفر بالله . ذكر من قال ذلك :

حدثنا يونس ، قال : ثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ( وَكَذَلِكَ نُورَى بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) وإنما يورى الله بين الناس بأعمالهم ، فالمؤمن ولي المؤمن ، أين كان ، وحيث كان ؛ والكافر ولي الكافر ، أينما كان ، وحيثما كان ، ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى .

وقال آخرون : معناه : ننتبع بعضهم بعضاً في النار من الموالاتة ، وهو المتابعة بين الشيء والشيء من قول القائل : واليت بين كذا وكذا : إذا تابعت بينهما .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وكذلك نُؤْتَى بِعَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ) فِي النَّارِ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

وقال آخرون : معنى ذلك : نسلط بعض الظلمة على بعض .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكذلك نُؤْتَى بِعَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ) قال : ظالمى الجنّ وظالمى الإنس ، وقرأ ( وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ) قال : نسلط ظلمة الجنّ على ظلمة الإنس .

وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء ، لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين ، فقال جل ثناؤه ( وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ) ، وأخبر جل ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض ، ثم عقب خبره ذلك ، بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضا بتوليته إياهم ، فقال : وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجنّ والإنس : أولياء بعض ، يستمتع بعضهم ببعض ، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الأمور بما كانوا يكسبون من معاصي الله ويعملونه .

القول في تأويل قوله

يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ، أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ، وَيُنذِرُنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا : شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ، وَغَرَّبَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠)

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة هؤلاء العادلين به من مشركي الإنس والجنّ ، يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ ( يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ) يقول : يخبرونكم بما أوحى إليهم من نبيهي إياكم على مواضع حججى ، وتعريفى لكم أداتى على توحيدى ، وتصديق أنبيائى ، والعمل بأمرى ، والانتباه إلى حدودى ( وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ) يقول : يحذرونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا ، وعقابى على معصيتكم إياى ، فنتهوا عن معاصى ، وهذا من الله جل ثناؤه تقرير وتوبيخ هؤلاء الكفرة على ما سلف منهم فى الدنيا من الفسوق والمعاصى ، ومعناه : قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطأ ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة ، وينذرونكم وعيد الله على مقامكم ، على ما كنتم عليه مقيمين ، فلم تقبلوا ذلك ، ولم تتذكروا ولم تعتبروا .

واختلف أهل التأويل في الجنّ ، هل أرسل منهم إليهم أم لا ؟ فقال بعضهم : قد أرسل إليهم رسل ، كما أرسل إلى الإنس منهم رسل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سئل الضحاك عن الجنّ هل كان فيهم نبيّ قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم تسمع إلى قول الله ( يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ؟ ) يعني بذلك : رسلا من الإنس ورسلا من الجنّ ، فقالوا : بلى .

وقال آخرون : لم يرسل منهم إليهم رسول ، ولم يكن له من الجنّ قطّ رسول مرسل ، وإنما الرسل من الإنس خاصة . فأما من الجنّ فالنذُر ، قالوا : وإنما قال الله ( ألم يأتكم رسل منكم ) والرسل من أحد الفريقين ، كما قال ( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ) ثم قال ( يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ) وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من المالح دون العذب منهما ؛ وإنما معنى ذلك : يخرج من بعضهما أو من أحدهما ، قال : وذلك كقول القائل لجماعة أدوّر : إن في هذه الدور لشرّاً ، وإن كان الشرّ في واحدة منهنّ ، فيخرج الخبر عن جميعهنّ ، والمراد به الخبر عن بعضهنّ ، وكما يقال : أكلت خبزاً ولبناً : إذا اختلطا ؛ ولو قيل : أكلت لبناً ، كان الكلام خطأ ، لأن اللبن يشرب ولا يؤكل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم ) قال : جمعهم كما جمع قوله ( ومين كلّ تاركولون لحماً طرياً ، وتستنخرجون حليّة تلبسونها ) ولا يخرج من الأنهار حليّة . قال ابن جريج ، قال ابن عباس : هم الجنّ الذين لقنوا قومهم ، وهم رسل إلى قومهم ، فعلى قول ابن عباس هذا ، أن من الجنّ رسلا للإنس إلى قومهم .

فتأويل الآية على هذا التأويل الذي تأوله ابن عباس : ألم يأتكم أيها الجنّ والإنس رسل منكم ؟ فأما رسل الإنس ، فرسل من الله إليهم ؛ وأما رسل الجنّ ، فرسل رسل الله من بني آدم ، وهم الذين إذ سمعوا القرآن ولّوا إلى قومهم مندرين .

وأما الذين قالوا بقول الضحاك ، فإنهم قالوا : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أن من الجنّ رسلا أرسلوا إليهم ، كما أخبر أن من الإنس رسلا أرسلوا إليهم ، قالوا : ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجنّ ، بمعنى أنهم رسل الإنس ، جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس ، بمعنى أنهم رسل الجنّ ؛ قالوا : وفي فساد هذا المعنى ، ما يدلّ على أن الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم أنهم رسل الله ، لأن ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره .

القول في تأويل قوله ( قَالُوا : شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْتَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ) :

﴿﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركي الجن والإنس عند تقرّبه إياهم بقوله لهم ( أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ، وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ) أَلَيْسَ بِكُمْ ( يَقُولُونَ شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ) بأن رسلك قد أتتنا بآياتك ، وأنذرتنا لقاء يومنا هذا ، فكذبناها وجحدنا رسالتها ، ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها ، قال الله خبرا مبتدأ : وَغَرَّبَتْ هُوَلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللَّهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ وَأَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الْجَنِّ ( الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ) يعنى : زينة الحياة الدنيا ، وطلب الرياسة فيها ، والمنافسة عليها أن يسلموا لأمر الله ، فيطيعوا فيها رسله ، فاستكبروا وكانوا قوما عالين ، فاكتفى بذكر الحياة الدنيا من ذكر المعاني التي غرّبهم وخذعهم فيها ، إذ كان في ذكرها مكتفى عن ذكر غيرها ، لدلالة الكلام على ما ترك ذكره ، يقول الله تعالى ( وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ) يعنى هؤلاء العادلين به يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كافرين به وبرسله ، لتّم حجة الله عليهم ، بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته ، وألم عذابه .

القول في تأويل قوله

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ، وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ (١٣١)

﴿﴾ يقول تعالى ذكره ( ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ) : أى إنما أرسلنا الرسل يا محمد إلى من وصفت أمره ، وأعلمت خبره من مشركي الإنس والجنّ يقصون عليهم آياتي ، وينذرونهم لقاء معادهم إلى ، من أن جل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم .

وقد يتجه من التأويل في قوله « بظلم » وجهان : أحدهما ( ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ) : أى بشرك من أشرك ، وكفّر من كفر من أهلها ، كما قال لقمان ( إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) ، ( وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ) يقول : لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم ، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه ، ولم يكن بالذى يأخذهم غفلة ، فيقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير .

والآخر ( ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ) يقول : لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول والآيات والعبر ، فيظلمهم بذلك ، والله غير ظلام للعبيد .

﴿﴾ وأولى القولين بالصواب عندى : القول الأول ، أن يكون معناه : أن لم يكن ليهلكهم بشركهم ، دون إرسال الرسل إليهم ، والإعذار بينه وبينهم ، وذلك أن قوله ( ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ) عقيب قوله ( أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ) ، فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نص قوله ( ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ) إنما هو : إنما فعلنا ذلك من أجل أننا لانهلك القرى بغير تذكير وتنبيه . وأما قوله ( ذَلِكَ ) فإنه يجوز أن يكون نصبا ، بمعنى :

فعلنا ذلك ، ويجوز أن يكون رفعا بمعنى الابتداء ، كأنه قال : ذلك كذلك ؛ وأما «أن» فلإنها في موضع نصب بمعنى : فعلنا ذلك من أجل أن لم يكن ربك مهتلك القرى ، فإذا حذف ما كان يحفظها ، تعلق بها الفعل فنصب .

القول في تأويل قوله

وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا سَمِعُوا ، وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)

يقول تعالى ذكره : ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته ، منازل ومراتب من عمله ، يبلغه الله إياها ، ويثيبه بها ، إن خير فخير ، وإن شرا فشرا ( وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ) يقول جل ثناؤه : وكل ذلك من عملهم يا محمد بعلم من ربك ، يحصيها ويثبثها لهم عنده ، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ، ومعادهم إليه .

القول في تأويل قوله

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يَذْهَبِكُمْ ، وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣)

يقول جل ثناؤه : وربك يا محمد الذي أمر عباده بما أمرهم به ، ونهاهم عما نهاهم عنه ، وأثابهم على الطاعة ، وعاقبهم على المعصية ، الغني عن عباده ، الذين أمرهم بما أمر ، ونهاهم عما نهى ، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه ، وهم المحتاجون إليه ، لأنه بيده حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأقواتهم ، ونفعهم وضررهم ، يقول عز ذكره : فلم أخلقهم يا محمد ، ولم آمرهم بما أمرتهم به ، وأنهيهم عما نهيتهم عنه ، لحاجة لي إليهم ، ولا إلى أعمالهم ، ولكن لأنفضل عليهم برحمتي ، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا ، فإني ذو الرأفة والرحمة .

وأما قوله ( إِنْ يَشَأْ يَذْهَبِكُمْ ) وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ ) فإنه يقول : إن يشأ ربك يا محمد الذي خلق خلقه لغير حاجة منه إليهم ، وإلى طاعتهم إياه يذهبكم ، يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم ، ويستخلف من بعدكم ما يشاء ، يقول : ويأت بخلق غيركم ، وأمم سواكم يخلفونكم في الأرض من بعدكم ، يعني : من بعد فنائكم وهلاككم ، كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ، كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم . ومعنى « مِنْ » في هذا الموضع : التعقيب ، كما يقال في الكلام أعطيتك من دينارك ثوبا ، بمعنى : مكان الدينار ثوبا ، لأن الثوب من الدينار بعض ، كذلك الذين خوطبوا بقوله ( كَمَا أَنْشَأَكُمْ ) لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين ، ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أنشئوا مكان خلق خلت قبلكم قوم آخرين قد هلكوا قبلهم ؛ والذرية الفعيلة من قول القائل : ذرا الله الخلق ، بمعنى خلقهم فهو يذروهم ، ثم ترك الهمزة فقليل : ذرا الله ، ثم أخرج الفعيلة بغير همز على مثال العلية ، وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ( مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ) على مثال فعيلة ،



وعن آخر أنه كان يقرأ ( وَمِنْ ذُرِّيَّةٍ ) على مثال عليه . والقراءة التي عليها القراء في الأمصار ( ذُرِّيَّةٌ ) بضم الذال وتشديد الياء على مثال عَلِيَّةٍ . وقد بيننا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ههنا . وأصل الإنشاء : الإحداث ، يقال : قد أنشأ فلان يُحدث القوم ، [بمعنى : ابتداء وأخذ فيه .

القول في تأويل قوله

إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ لَأَتِي ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤)

يقول تعالى ذكره للمشركين به : أيها العادلون بالله الأوثان والأصنام ، إن الذي يوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم واقع بكم ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ) ، يقول : لن تعجزوا ربكم هرباً منه في الأرض فتفتوتوه ، لأنكم حيث كنتم في قبضته ، وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إياه قادر ، يقول : فاحذروه ، وأنيبوا إلى طاعته قبل نزول البلاء بكم .

القول في تأويل قوله

قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ،

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقومك من قريش ، الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر ( اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ ) يقول : اعملوا على حياكم وناحيتكم . كما حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ ) يعني على ناحيتكم ، يقال منه : هو يعمل على مكانته ومكينته . وقرأ ذلك بعض الكوفيين ( على مَكَاتَاتِكُمْ ) على جمع المكاة . والذي عليه قراء الأمصار ( على مَكَاتَتِكُمْ ) على التوحيد ( إِنِّي عَامِلٌ ) يقول جل ثناؤه لنبيه : قل لهم : اعملوا ما أنتم عاملون ، فإني عامل ما أنا عامله ، مما أمرني به ربي ( فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ) يقول : فسوف تعلمون عند نزول نعمة الله بكم ، أينا كان الحق في عمله والمصيب سبيل الرشاد ، أنا أم أنتم ؟ . وقوله تعالى ذكره لنبيه : قل لقومك ( يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ ) أمر منه له بوعيدهم وتهديدهم ، لإطلاق لهم في عمل ما أرادوا من معاصي الله .

القول في تأويل قوله ( مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ) :

يقول جل ثناؤه ( مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ) فسوف تعلمون أيها الكفرة بالله عند معاينتكم العذاب ، من الذي تكون له عاقبة الدار منا ومنكم ، يقول : من الذي يعقب دنياه ، ما هو خير له منها ، أو شر منها ، بما قدم فيها من صالح أعماله أوسيتها ؛ ثم ابتداء الخبر جل ثناؤه فقال ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ )

يقول : إنه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله من عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل في الدنيا ، وذلك معنى ظلم الظالم في هذا الموضع ، وفي « مَنْ » التي في قوله ( مَنْ تَكُونُ ) له وجهان من الإعراب : الرفع على الابتداء ، والنصب بقوله ( تَعَلَّمُونَ ) لإعمال العلم فيه ، والرفع فيه أجود ؛ لأن معناه : فسوف تعلمون أيننا له عاقبة الدار ؟ فالابتداء في « مَنْ » أصح وأفصح من إعمال العلم فيه .

القول في تأويل قوله

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ، فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ،  
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ، سَاءَ  
مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام لربهم مما ذرأ خالقهم ، معنى : مما خلق من الحرث والأنعام ، يقال منه : ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءاً وذرؤاً : إذا خلقهم . نصيباً : يعنى قسماً وجزءاً .

ثم اختلف أهل التأويل في صفة النصيب الذي جعلوا لله ، والذي جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان ؛ فقال بعضهم : كان ذلك جزءاً من حرثهم وأنعامهم ، يقررونه لهذا ، وجزءاً آخر لهذا . ذكر من قال ذلك :

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ) . . . الآية ، قال : كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حُرماً جعلوا منها لله سهماً ، وسهما لآلئهم ، وكان إذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لآلئهم إلى الذي جعلوه لله ، رُدَّوه إلى الذي جعلوه لآلئهم ؛ وإذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لله ، إلى الذي جعلوه لآلئهم ، أقرَّوه ولم يردَّوه ، فذلك قوله ( سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) .

حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ، فَقَالُوا : هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ) قال : جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً ، وللشيطان والأوثان نصيباً ، فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه ، وإن سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه ، وردَّوه إلى نصيب الشيطان ، وإن انفجر من سقى ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه ؛ وإن انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه ، فهذا ما جعلوا من الحرث وسقى الماء . وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام ، فهو قول الله ( مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) كذا في الأصول . وليس في المعجم مصدر لذرأ إلا (الذرم) . ولعل الثاني مصدر (ذرا) مخفف الهمز .

قوله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ، فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ) . . . الآية ، وذلك أن أعداء الله كانوا إذا احترثوا حرثا ، أو كانت لهم ثمرة ، جعلوا لله منها جزءا ، وللوثن جزءا ، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان ، حفظوه وأحصوه ، فإن سقط منه شيء ، فبما سمى الله ، ردّوه إلى ما جعلوا للوثن ، وإن سبقهم الماء إلى الذي جعلوه للوثن ، فسقى شيئا جعلوه لله ، جعلوا ذلك للوثن ، وإن سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوا لله ، فاختلط بالذي جعلوا للوثن ، قالوا : هذا فقير ، ولم يردّوه إلى ما جعلوا لله ، وإن سبقهم الماء الذي جعلوا لله ، فسقى ما سمى للوثن تركوه للوثن ، وكانوا يُحَرِّمُونَ من أنعامهم : البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام ، فيجعلونه للأوثان ، ويزعمون أنهم يحرمونه لله ، فقال الله في ذلك ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ) قال : يسمون الله جزءا من الحرث ، ولشركائهم وأوثانهم جزءا ، فما ذهبت به الرياح مما سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه ، وما ذهب من جزء أوثانهم إلى جزء الله ردّوه ، وقالوا : الله عن هذا غنى . والأنعام : السائبة والبحيرة التي سموا .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ) . . . الآية ، عمد ناس من أهل الضلالة ، فجزعوا من حرثهم ومواشيهم جزءا لله ، وجزعوا لشركائهم ، وكانوا إذا خالط شيء مما جزعوا لله فيجزعوا لشركائهم خلكوه ، فإذا خالط شيء مما جزعوا لشركائهم فيجزعوا لله ردّوه على شركائهم ، وكانوا إذا أصابهم السنة استعانوا بما جزعوا لله ، وأقرّوا ما جزعوا لشركائهم ، قال الله ( سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ) قال : كانوا يُجزئون من أموالهم شيئا ، فيقولون : هذا لله ، وهذا للأصنام التي يعبدون ، فإذا ذهب مما جعلوا لشركائهم ، فخالط ما جعلوا لله ردّوه ، وإن ذهب مما جعلوه لله ، فخالط شيئا مما جعلوه لشركائهم تركوه ، وإن أصابهم سنة ، أكلوا ما جعلوا لله ، وتركوا ما جعلوا لشركائهم ، فقال الله ( سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ) . . . إلى ( يَحْكُمُونَ ) قال : كانوا يقسمون من أموالهم قسما فيجعلونه لله ، ويزرعون زراعا فيجعلونه لله ، ويجعلون لأهلهم مثل ذلك ، فما خرج للآلهة أنفقوه عليها ، وما خرج لله تصدقوا به ؛ فإذا هلك الذي يصنعون لشركائهم ، وكسّر الذي لله ، قالوا : ليس بدّ لأهلنا من نفقة ، وأجلبوا الذي لله أنفقوه على آلهتهم ؛ وإذا أجذب الذي لله وكسّر الذي لأهلهم ، قالوا : لو شاء

أزكى الذى له ، فلا يردون عليه شيئا مما للآلة ، قال الله : لو كانوا صادقين فيما قسموا ، لبأس إذن ما حكموا أن يأخذوا منى ولا يعطوني ، فذلك حين يقول ( ساء ما يحكمون ) .

وقال آخرون : النصيب الذى كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم ، أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلة ، وكانوا ما ذبحوه للآلة يأكلونه ، ولا يسمون الله عليه .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ) . . . حتى بلغ ( وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَتَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ) قال : كل شيء جعلوه لله من ذبيح يذبحونه ، لا يأكلونه أبدا ، حتى يذكروا معه أسماء الآلة ، وما كان للآلة لم يذكروا اسم الله معه ، وقرأ الآية حتى بلغ ( ساء ما يحكمون ) .

وأولى التأويلين بالآية : ما قال ابن عباس ، ومن قال بمثل قوله فى ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسما مقدرا ، فقالوا : هذا لله ، وجعلوا مثله لشركائهم ، وهم أوثانهم ، بإجماع من أهل التأويل عليه ، فقالوا : هذا لشركائنا ، وإن نصيب شركائهم لا يصل منه إلى الله ، بمعنى : لا يصل إلى نصيب الله ، وما كان لله وصل إلى نصيب شركائهم ، فلو كان وصول ذلك بالتسمية ، وترك التسمية ، كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم يصل ، جائزا أن تكون قد وصلت ، وما أخبر عنه أنه قد وصل لم يصل ، وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر الكلام ، لأن الذبيحتين تذبح إحداها لله ، والأخرى للآلة ، جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت وخطوطهما ، إذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحا للآلة ، دون اختلاط الأعيان ، واتصال بعضها ببعض .

وأما قوله ( ساء ما يحكمون ) فإنه خبر من الله جل ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم . يقول جل ثناؤه : وقد أساءوا فى حكمهم ، إذ أخذوا من نصيبى لشركائهم ، ولم يعطوني من نصيب شركائهم . وإنما عني بذلك تعالى ذكره ، الخبر عن جهلهم وضلالهم ، وذهابهم عن سبيل الحق ، بأنهم لم يرضوا أن يعدلوا بمن خلقهم وغذاهم ، وأنعم عليهم بالنعم التى لا تحصى ، ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، حتى فضلوه فى إقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه .

القول فى تأويل قوله

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ ، وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ، فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ (١٣٧)

يقول تعالى ذكره : وكما زين شركاء هؤلاء العادلين برهبهم الأوثان والأصنام لهم ما زينوا لهم ، من تصييرهم لرهبهم من أموالهم قسما بزعمهم ، وتركهم ما وصل من القسم الذى جعلوه لله إلى قسم شركائهم فى قسمهم ، وردهم ما وصل من القسم الذى جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله ، إلى قسم شركائهم

( كَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ) من الشياطين ، فحسبوا لهم وأد البنات ( لِيُرِدُوهُمْ ) يقول : ليهلكوهم ( وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمُ دِينَهُمْ ) فعلوا ذلك بهم ، ليخلطوا عليهم دينهم فيلبس ، فيضلوا ويهلكوا بفعلهم ما حرم عليهم الله ، ولو شاء الله ألا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه ، بأن كان يهديهم للحق ، ويوفقهم للسداد ، فكانوا لا يقتلونهم ، ولكن الله خذلهم عن الرشاد ، فقتلوا أولادهم ، وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم ، يقول الله لنبيه متوعدا لهم على عظيم فريتهم على ربهم ، فيما كانوا يقولون في الأنصبا التي يقسمونها : هذا لله ، وهذا لشركائنا ، وفي قتلهم أولادهم : ذرهم يا محمد وما يفترون : وما يتقولون على من الكذب والزور ، فإنهم بالميرصاد ، ومن وراء العذاب والعقاب : وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم ) : زينوا لهم من قتل أولادهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( قتل أولادهم شركاؤهم ) شياطينهم يأمرونهم أن يثدوا أولادهم خيفة العيلة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم ) . . . الآية ، قال : شركاؤهم زينوا لهم ذلك ( ولتو شاء ربك ما فعلوه ) ، قدرهم وما يتفترون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ) قال : شياطينهم التي عبدوها ، زينوا لهم قتل أولادهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم ) أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات .

وأما ( ليردوهم ) : فيهلكوهم . وأما ( ليلبسوا عليهم دينهم ) : فيخلطوا عليهم دينهم . واختلفت القرآء في قراءة ذلك ؛ فقرأته قرآء الحجاز والعراق ( وكذلك زين ) بفتح الزاي ، من ( زين ) لكثير من المشركين قتل أولادهم ) بنصب القتل ( شركاؤهم ) بالرفع ، بمعنى أن شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم ، فيرفعون الشركاء بفعلهم ، وينصبون القتل لأنه مفعول به . وقرأ ذلك بعض قرآء أهل الشام ( وكذلك زين ) بضم الزاي ( لكثير من المشركين قتل ) بالرفع ( أولادهم ) بالنصب ( شركاؤهم ) بالخفض . بمعنى : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم

أولادهم ، ففرقوا بين الخافض والمخفوض ، بما عمل فيه من الاسم ، وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح . وقد روي عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرت من قراءة أهل الشام ، رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه ، وذلك قول قائلهم :

فَرَجَجْتُهُ مُتَمَكِّنًا زَجَّ الْقَلُوصِ أَبِي مَزَادَةَ<sup>١</sup>

والقراءة التي لأستجيز غيرها : (وكذلك زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ) بفتح الزاي من زَيْنَ ، ونصب القتل بوقوع زَيْنَ عليه ، وخفض أولادهم بإضافة القتل إليهم ، ورفع شركاء بفعلهم ، لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم ، على ما ذكرت من التأويل .

وإنما قلت : لأستجيز القراءة بغيرها ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد ، ففي ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة ، ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ، ثم قرأ قارئ (وكذلك زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ) بضم الزاي من زَيْنَ ورفع القتل وخفض الأولاد والشركاء ، على أن الشركاء مخفوضون بالرد على الأولاد ، بأن الأولاد شركاء آبائهم في النسب والميراث ، كان جائزا ، ولو قرأه كذلك قارئ ، غير أنه رفع الشركاء وخفض الأولاد كما يقال : ضرب عبد الله أخوك ، فيظهر الفاعل ، بعد أن جرى الخبر بما لم يسم فاعله ، كان ذلك صحيحا في العربية جائزا .

#### القول في تأويل قول

وَقَالُوا هَذِهِ أُنْعَامٌ ، وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِزَعْمِهِمْ ، وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ، وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ، سَمِجَزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين ، أنهم كانوا يحرّمون ويحلّون من قبيل أنفسهم ، من غير أن يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك ، يقول تعالى ذكره ، وقال هؤلاء العادلون بربهم من المشركين جهلا منهم ، لأنعام لهم وحرث : هذه أنعام ، وهذا حرث حِجْرٌ ، يعني بالأنعام : والحرث ما كانوا جعلوه لله ولآلهم التي قد مضى ذكرها في الآية قبل هذه . وقيل : إن الأنعام : السائبة ، والوصيلة ، والبحيرة ، التي سموا .

حدثني بذلك محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد

(١) البيت من شواهد التنوير ، أورده ابن الأثير في الإنصاف في مسائل الخلاف ( الجزء الأول المسألة ال ٦٠ طبعة محمود توفيق بمطبعة الاستقامة ) . ورواية الشعر الأول فيه : « فزججتها بمزجة » . ورواه العيني في شواهد الصغرى ( فرائد القلائد ) في باب الإضافة ص ٢٤٥ ، وروايته : « فزججته » بتذكير الضمير . والبيت شاهد على الخلاف بين البصريين والكوفيين في جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور ، فيأباه البصريون ، ويميزه الكوفيون مطلقا ، ومنه هذا البيت ، فقد فصل فيه بين المضاف : « زج » ، والمضاف إليه « أبي مزادة » بالقلوص ، وهو مفعول ، وليس ظرفا ولا جار أو مجرورا ، والتقدير : زج أبي مزادة بالقلوص . والمزجة ، بكسر الميم : رمح قصير كالمنزراق . وفي اللسان : المزج ، بلاتاء لهذا الرمح . والقلوص : الناقة الشابة الغنمية . وأبو مزادة : كنية رجل .

الأنعام : السائبة والبحيرة التي سموا . والحجر في كلام العرب : الحرام ، يقال : حجرت على فلان كذا : أي حرمت عليه ، ومنه قول الله ( وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ) ومنه قول المتلمس :  
حَنَّتْ إِلَى النَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ هَذَا حَجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تَمَّ الدَّهَارِيسُ<sup>١</sup>  
وقول رؤبة :

وجارة البيت لها حجري<sup>٢</sup>

يعنى : المحرم ، ومنه قول الآخر :

فَبَيْتٌ مُرْتَفِقًا وَالْعَيْنُ سَاهِرَةٌ كَأَنَّ نَوْمِي عَلَى اللَّيْلِ مَحْجُورٌ<sup>٣</sup>

أي حرام ، يقال : حجرت وحجرت ، بكسر الحاء وضمها ، وبضمها كان يتمرأ فيما ذكر الحسين وقتادة . حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن الحسين ، عن قتادة ، أنه كان يقرؤها ( وحرت حجرت ) يقول : حرام ، مضمومة الحاء . وأما القراءة من الحجاز والعراق والشام فعلى كسرها ، وهي القراءة التي لأستجيز خلافتها ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وأنها اللغة الجودي من لغات العرب .

وروى عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها ( وحرت حرج ) : بالراء قبل الجيم .

حدثني بذلك الحارث ، قال : ثني عبد العزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها كذلك ، وهي لغة ثالثة معناها ومعنى الحجر واحد ، وهذا كما قالوا : جَذَبَ وَجَبَدَ ، وَنَاءَ وَنَأَى ، ففى الحجر إذن لغات ثلاث : حجرت بكسر الحاء والجيم قبل الراء ، وحجرت بضم الحاء والجيم قبل الراء ، وحرج بكسر الحاء ، والراء قبل الجيم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل الحجر ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

(١) البيت المتلمس من أبيات نه ، وبهده :

إلى شامية إذ لا عراقي لنا قوم نودهم إذ قومنا شوس

قال البكري ( فى معجم ما استعجم : فى رسم نخلة ) عن ابن ولاد : هما نخلتان : نخلة الشامية ، ونخلة إيمانية . فالشامية : واد ينصب من العمير ، وإيمانية : واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة ، وهو المراد فى قول الشاعر : النخلة القصوى ، التى حنت إليها ناقته ، وأراد : هو السير إلى نخلة الشامية ، كما فى البيت الذى بهده . وحجر مثلث الحاء ، ويروى بسل ، وكلاهما بمعنى حرام . والدعاريس : الدواهي . واحدها دهرس ، مثلث الدال ، ساكن الهاء .

(٢) البيت فى ( لسان العرب : حجر ) قال : وقول الشاعر : « وجارة البيت لها حجري » فعناه : لها خاصة . ووجدت البيت

فى ديوان المعاج طبع لبيسج سنة ١٩٠٣ ص ٦٨ ، وهو البيت ٤٩ وبهده « ومخرمات هتكها يجري »

وقال السيد محمد توفيق البكري فى شرحه للبيتين ، فى ( كتابه أراجيز العرب ص ١٧٧ ) : والحجري : الحرمه . والبحري : الأمر الفطيع . يريد رؤبة أن جارة بيته لها حرمه ، من انتهكها ، فقد فعل أمرا فطيما . مستكرا .

(٣) البيت لأعشى باهلة ، كما قال ابن برى ( اللسان : رفق ) . ومرتفقا ( : متكئا على مرفق يدي . ومحجور : ممنوع ) .

حدثني عمران بن موسى القرآزي ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن حميد ، عن مجاهد وأبي عمرو (وَحَرَّتْ حِجْرٌ) يقول : حرام .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله (وَحَرَّتْ حِجْرٌ) فالحجر : ما حرّموا من الوصيلة ، وتحريم ما حرّموا .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَحَرَّتْ حِجْرٌ) قال : حرام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ) . . . الآية ، تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتغليظ وتشديد ، وكان ذلك من الشياطين ، ولم يكن من الله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما قوله (وقالوا : هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ) فيقولون : حرام أن نطعم إلا من شئنا .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ) نحتجها على من نريد وعن لا نريد ، لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم . قال : إنما احتجوا ذلك لأنهم ، وقالوا (لا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزْعَمِهِمْ) قالوا : نحتجها عن النساء ، ونجعلها للرجال .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحالك يقول في قوله (أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ) أما حجر ، يقول : محرّم ، وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها ، كانوا يحرمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها ، ويعزلون من حرّمهم شيئاً معلوماً لأنهم ، ويقولون : لا يحلّ لنا ما سمّينا لأننا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ) ما جعلوه لله ولشركائهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
القول في تأويل قوله (وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ، وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ، سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) :

يقول تعالى ذكره : وحرم هؤلاء الجهلة من المشركين ، ظهور بعض أنعامهم ، فلا يركبون ظهورها ، وهم ينتفعون برسائلها ويتاجها ، وسائر الأشياء منها ، غير ظهورها للركوب ، وحرّموا من أنعامهم أنعاماً آخر ، فلا يحجون عليها ، ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحال ، ولا إن حلبوها ، ولا إن حملوا عليها .  
وبما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

(١) الرسل بوزن سهم : البين .



حدثنا سفيان ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : قال لي أبو وائل : أتدرى ما أنعام لا يذكرون اسم الله عليها ؟ قال : قلت : لا ، قال : أنعام لا يحججون عليها .

حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : قال لي أبو وائل : أتدرى ما قوله ( حُرِّمَتْ ظُهُورُهُمْ ، وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ) ؟ قال : قلت : لا ، قال : هي البَحِيرَةُ ، كانوا لا يحججون عليها .

حدثنا أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا محمد بن سعيد الشهيد ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي وائل ( وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ) قال : لا يحججون عليها .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، أما ( أَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهُمْ ) فهي البحيرة والسائبة والحام ، وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها ، قال : إذا ولدوها ، ولا إن نحروها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ) قال : كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ، ولا في شيء من شأنها إلا إن ركبوها ، ولا إن حلبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن منحوا ، ولا إن عملوا شيئاً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهُمْ ) قال : لا يركبها أحد ( وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ) .

وأما قوله ( افْتَرَاءً عَلَى اللَّهِ ) فإنه يقول : فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا ، من تحريمهم ما حرّموا ، وقالوا ما قالوا من ذلك ، كذبا على الله ، وتخرّصا الباطل عليه ، لأنهم أضافوا ما كانوا يحرمون من ذلك على ما وصفه عنهم جل ثناؤه في كتابه ، إلى أن الله هو الذي حرّمه ، فنفى الله ذلك عن نفسه ، وأكذبهم ، وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذّاب فيما يزعمون ، ثم قال عزّ ذكره ( سَيَجْزِيهِمْ ) يقول : سيثيبهم ربهم ( بِمَا كَانُوا يَفْسُرُونَ ) على الله الكذب ثوابهم ، ويجزيهم بذلك جزاءهم .

القول في تأويل قوله

وَقَالُوا: مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا، وَإِنْ يَكُنْ

مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ، سَيَجْزِيهِمْ وَصْفِهِمْ، إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ ) فقال بعضهم : عنى بذلك اللبن . ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن أبي الهذيل

عن ابن عباس ( وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ) قال : اللبن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ، وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ) ألبان البحائر ، كانت للذكور دون النساء ، وإن كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم وإناهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ) قال : ما في بطون البحائر : يعنى ألبانها ، كانوا يجعلونه للرجال دون النساء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن زكريا ، عن عامر ، قال :  
البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال ، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ) . . . الآية ، فهو اللبن كانوا يحرمونه على إناهم ، ويشربه ذكراهم ، وكانت الشاة إذا ولدت ذكرا ذبحوه ، وكان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى تركب فلم تذبح ، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء ، فهى الله عن ذلك .  
وقال آخرون : بل عنى بذلك ما في بطون البحائر والسواحب من الأجنة :

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ) فهذه الأنعام ، ما ولد منها من حى ، فهو خالص للرجال دون النساء ، وأما ما ولد من ميت فياكله الرجال والنساء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ) السائبة والبحيرة .

حدثني المنفى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا في أنعام بأعيانها : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون إناثنا ، واللبن مما في بطونها ، وكذلك أجنثها ، ولم يخص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام علينا دون بعض . وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يقال : إنهم قالوا ما في بطون تلك الأنعام من لبن وجنين ، حيل لذكورهم خالصة دون إناهم ، وإنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم ، إلا أن يكون الذى في بطونها من الأجنة ميتا ، فيشترك حينئذ في أكله الرجال والنساء .

واختلف أهل العربية في المعنى الذى من أجله أنثت الخالصة ، فقال بعض نحوي البصرة وبعض

الكوفيين : أنثت لتحقيق الخلوص ، كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة ، فجرى مجرى راوية ونسابة . وقال بعض نحوئي الكوفة : أنثت لتأنيث الأنعام ، لأن ما في بطونها مثلها ، فأنتت لتأنيثها ، ومن ذكره فلتد كبير « ما » ؛ قال : وهي في قراءة عبد الله : خالص . قال : وقد تكون الخالصة في تأنيثها مصدرا ، كما تقول العافية والعاقبة ، وهو مثل قوله : ( إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ) .

والمصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : أريد بذلك المبالغة في خلوص ما في بطون الأنعام ، التي كانوا حرّموا ما في بطونها على أزواجهم ، لذكورهم دون إناثهم ، كما فعل ذلك بالراوية ، والنسابة ، والعلامة ، إذا أريد بها المبالغة في وصف من كان ذلك من صفته ، كما يقال : فلان خالصة فلان وخلّصانه . وأما قوله ( وَحُرِّمَ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالأزواج ، فقال بعضهم : عني بها النساء .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَحُرِّمَ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ) قال : النساء .

وقال آخرون : بل عني بالأزواج : البنات .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَحُرِّمَ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ) قال : الأزواج : البنات ، وقالوا : ليس للبنات منه شيء .

والمصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما في بطون هذه الأنعام ، يعني أنعامهم : هذا محرّم على أزواجنا ، والأزواج إنما هي نساؤهم في كلامهم ، وهن لاشكّ بنات من هن أولاده ، وحلائل من هن أزواجه . وفي قول الله عز وجل ( وَحُرِّمَ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ) الدليل الواضح على أن تأنيث الخالصة ، كان لما وصفت من المبالغة في وصف ما في بطون الأنعام بالخلوصة للذكور ، لأنه لو كان لتأنيث الأنعام لقبل : ومحرّم على أزواجنا ، ولكن لما كان التأنيث في الخالصة لما ذكرت ثم ، لم يقصد في المحرّم ما قصد في الخالصة من المبالغة ، رجع فيها إلى تذكير « ما » ، واستعمال ما هو أولى به من صفته .

وأما قوله ( وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ) فاختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه يزيد بن القَعْقَاع وطلحة بن مُصَرِّف في آخرين ( وَإِنْ تَكُنْ مَيْتَةً ) بالناء في تكن ورفع مية ، غير أن يزيد كان يشدد الياء من مية ، ويخففها طلحة .

حدثني بذلك المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثنا عيسى ، عن طلحة بن مُصَرِّف وحدثنا أحمد بن يوسف ، عن القاسم ، وإسماعيل بن جعفر ، عن يزيد . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة والبصرة ( وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً ) بالياء ، ومية بالنصب وتخفيف الياء ، وكان من قرأ ( وَإِنْ يَكُنْ )

بالباء (مَيْتَةٌ) بالنصب، أرادوا: إن يكن ما في بطون تلك الأنعام، فذكرت يكن لتذكير «ما»، ونصب الميتة، لأنه خبر يكن. وأما من قرأ (وَأِنْ تَكُنْ مَيْتَةً) فإنه إن شاء الله أراد: وإن يكن ما في بطونها ميتة، فأنت تكن لتأنيث ميتة.

وقوله (فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) فإنه يعني أن الرجال وأزواجهم شركاء في أكله، لا يحرّمونه على أحد منهم، كما ذكرنا عن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد (وَأِنْ تَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) قال: تأكل النساء مع الرجال، إن كان الذي يخرج من بطونها ميتة، فهم فيه شركاء، وقالوا: إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبا، وإن شئنا لم نجعل، وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوله ابن زيد، لأن ظاهرها يدل على أنهم قالوا: إن لم يكن ما في بطونها ميتة، فنحن فيه شركاء، بغير شرط مشيئة. وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك إلى مشيئتهم.

القول في تأويل قوله (سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ):

يقول جل ثناؤه: سيجزي: أي سيثيب ويكافي هؤلاء المفترين عليه الكذب في تحريمهم ما لم يحرمه الله، وتحليلهم ما لم يحلله الله، وإضافتهم كذبهم في ذلك إلى الله. وقوله (وَصَفَهُمْ) يعني بوصفهم الكذب على الله، وذلك كما قال جل ثناؤه في موضع آخر من كتابه (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ). والوصف والصفة في كلام العرب واحد، وهما مصدران، مثل الوزن والزنة.

وبنحو الذي قلنا في معنى الوصف، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ) قال: قولهم الكذب في ذلك.

حدثني المنثري، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية (سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ): أي كذبهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ) أي كذبهم. وأما قوله (إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) فإنه يقول جل ثناؤه: إن الله في مجازاتهم على وصفهم الكذب، وقيلهم الباطل عليه، حكيم في سائر تدبيره في خلقه، عليم بما يصلحهم، وبغير ذلك من أمورهم.

القول في تأويل قوله

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، قَدْ

صَلُّوا، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)

يقول تعالى ذكره: قد هلك هؤلاء المقترنون على ربهم الكذب، العادلون به الأوثان والأصنام، الذين زين لهم شركائهم قتل أولادهم، وتحريم ما حرمت عليهم من أموالهم، فقتلوا طاعة لها أولادهم، وحرّموا ما أحلّ الله لهم، وجعله لهم رزقا من أنعامهم، سفها منهم، يقول: فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم، ونقص عقول، وضعف أحلام منهم، وقلة فهم بعاجل ضرره، وآجل مكروهه، من عظيم عقاب الله عليه لهم، افتراء على الله، يقول: تكذبا على الله، وتخرّصا عليه الباطل (قد ضلّوا) يقول: قد تركوا صحجة الحق في فعلهم ذلك، وزالوا عن سواء السبيل (وما كانوا مهتدين) يقول: ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها، ولا موفّقين له. ونزلت هذه الآية في الذين ذكر الله خبرهم في هذه الآيات، من قوله (وجعلناهم ممادّرا من الحرث والأنعام نصيبا) الذين كانوا يبسحرون البحائر، ويسببون السواب، ويثدون البنات. كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عكرمة: قوله (الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) قال: نزلت فيمن يثد البنات من ربيعة ومضر، كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتثد أخرى، فإذا كانت الجارية التي تؤاد، غدا الرجل أو راح من عند امرأته، وقال لها: أنت على كظهر أمي إن رجعت إليك ولم تثديها، فتخذ لها في الأرض خدّا، وترسل إلى نساءها، فيجتمعن عندها، ثم يتداولنها، حتى إذا أبصرته راجعا دستها في حفرتها، ثم سوت عليها التراب.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، ثم ذكر ما صنعوا في أولادهم وأموالهم، فقال (قد خسير الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم، وحرّموا ما رزقهم الله).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قد خسير الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) فقال: هذا صنيع أهل الجاهلية، كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة، ويغذو كلبه، وقوله (وحرّموا ما رزقهم الله) الآية، وهم أهل الجاهلية، جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلا وحاميا، تحكما من الشياطين في أموالهم.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرا ما بعد الميث من سورة الأنعام، قوله (قد خسير الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) الآية، وكان أبو رزين يتأول قوله (قد ضلّوا) أنه معنى به قد ضلوا قبل هؤلاء الأفعال من قتل الأولاد، وتحريم الرزق الذي رزقهم الله بأمور غير ذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي رزين، في قوله (قد خسير الذين قتلوا أولادهم) . . . إلى قوله (قد ضلّوا) قال: قد ضلوا قبل ذلك.

القول في تأويل قوله

« وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ، وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ،  
وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ،  
وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١) »

وهذا إعلام من الله تعالى ذكره ، ما أنعم به عليهم من فضله ، وتنبيه منه لهم على موضع إحسانه ،  
وتعريف منه لهم ما أحلّ وحرّم ، وقسم في أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقاً . يقول تعالى ذكره :  
وربكم أيها الناس ( أنشأ ) : أي أحدث وابتدع خلقاً ، لا الآلهة والأصنام ( جَنَّاتٍ ) يعني : بساتين  
( مَعْرُوشَاتٍ ) ، وهي ما عرّش الناس من الكروم ( وغير مَعْرُوشَاتٍ ) : غير مرفوعات مبنيات ، لا يذنبه  
الناس ولا يرفعونه ، ولكن الله يرفعه ويذنبه وينميه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن  
عباس ، قوله ( مَعْرُوشَاتٍ ) يقول : مسموكات .

وبه عن ابن عباس ( وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ) فالمعروشات :  
ما عرّش الناس ، وغير معروشات : ما خرج في البرّ والجبال من الثمرات .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، أما جنات :  
فالبساتين ، وأما المعروشات : فما عرّش كهيئة الكرم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانيّ ، عن  
ابن عباس ، قوله ( وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ) قال : ما يعرّش من الكروم ( وغير  
مَعْرُوشَاتٍ ) قال : ما لا يعرّش من الكرم .

القول في تأويل قوله ( وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ، وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانُ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ  
مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ) :

يقول جلّ ثناؤه : وأنشأ النخل والزروع مختلفاً أكله ، يعني بالأكّل : الثمر ، يقول : وخلق النخل  
والزروع مختلفاً ما يخرج منه ، مما يؤكل من الثمر والحبّ ، والزيتون والرمان ، متشابهاً وغير متشابه في الطعم ،  
منه الحلو والحامض والمنزّ .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ  
مُتَشَابِهٍ ) قال : متشابهاً في المنظر ، وغير متشابه في الطعم :

وأما قوله ( كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ) فإنه يقول : كلوا من رطبّه ما كان رطباً ثمّره :

كما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبوهمام الأهوازي ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، في قوله ( كَلُّوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ) قال : من رطبه وعنبه .  
حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن الزبيرقان ، قال : ثنا موسى بن عبيدة في قوله ( كَلُّوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ) قال : من رطبه وعنبه .  
القول في تأويل قوله ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) :  
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحب .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، في قوله ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : الزكاة .  
حدثنا عمرو ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا يزيد بن درهم ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : الزكاة المفروضة .  
حدثنا عمرو ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : العشر ، ونصف العشر .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن محمد بن عبيد الله ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : العشر ونصف العشر .  
حدثنا عمرو بن علي وابن وكيع وابن بشار ، قالوا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إبراهيم بن نافع المكي ، عن ابن عباس ، عن أبيه ، في قوله ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : الزكاة .  
حدثنا عمرو ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو هلال ، عن حيان الأعرج ، عن جابر بن زيد . ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : الزكاة .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : هي الصدقة ، قال : ثم سئل عنها مرة أخرى ، فقال : هي الصدقة من الحب والثمار .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو بكر بن عبد الله ، عن عمرو بن سليمان وغيره ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : الصدقة المفروضة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : هي الصدقة من الحب والثمار .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن

عباس ، قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) يعني بحقه : زكاته المفروضة ، يوم يكال ، أو يعلم كياله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده ، وهو أن يعلم  
ما كياله وحقه ، فيخرج من كل عشرة واحدا ، وما يلتقط الناس من سنبله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) :  
وحقه يوم حصاده : الصدقة المفروضة . ذُكِرَ لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سنّ فيها سَقَّتِ السماء ،  
أو العين السائحة ، أو سقاء الطلّ ، والطلّ : الندى ، أو كان بعد العشر كاملا ؛ وإن سقى برشاء : نصف  
العشر . قال قتادة : وهذا فيما يكال من الثمرة ، وكان هذا إذا بلغت الثمرة خمسة أو سق ، وذلك ثلاث مئة  
صاع ، فقد حقّ فيها الزكاة ، وكانوا يستحبون أن يعطوا مما لا يكال من الثمرة على قدر ذلك .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وطاوس (وَأَتُوا حَقَّهُ  
يَوْمَ حَصَادِهِ) قالوا : هو الزكاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحجاج ، عن سالم المكيّ ، عن  
محمد بن الحنفية ، قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : يوم كياله ، يعطى العشر ، أو نصف العشر  
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحمانيّ ، قال : ثنا شريك ، عن سالم المكيّ ، عن محمد بن الحنفية ، قوله  
(وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : العشر ، ونصف العشر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ،  
وعن قتادة (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قالوا : الزكاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقيس ،  
عن ابن عباس (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : العشر ، ونصف العشر .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن الحكم بن عتيبة ،  
عن ابن عباس ، مثله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت  
الضحّاك ، يقول في قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) يعني : يوم كياله ما كان من بُرّ أو تمر أو زبيب ،  
وحقه : زكاته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا  
أَثْمَرَ ، وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : كل منه ، وإذا حصده فآت حقه ، وحقه : عشوره .  
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن أنه  
قال في هذه الآية (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الزكاة إذا كيلته .



حدثنا عمرو ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الزكاة .

حدثني ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت ابن زيد بن أسلم ، عن قول الله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) فقلت له : هو العشور ؟ قال : نعم ، فقلت له : عن أبيك ؟ قال : عن أبي وغيره .

وقال آخرون : بل ذلك حقّ أوجبه الله في أموال أهل الأموال ، غير الصدقة المفروضة .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن أبيه (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : شيئا سوى الحقّ الواجب ، قال : وكان في كتابه : عن عليّ بن الحسين .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : القبض من الطعام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن عطاء (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : من النخل والعنب والحبّ كله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : أرأيت ما حصدت من الفواكه ؟ قال : ومنها أيضا تؤتى ، وقال : من كلّ شيء حصدت تؤتى منه حقه يوم حصاده ، من نخل أو عنب أو حبّ ، أو فواكه ، أو خضّر ، أو قصب ، من كلّ شيء من ذلك ، قلت لعطاء : أوجب على الناس ذلك كله ؟ قال : نعم ، ثم تلا (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : قلت لعطاء (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) هل في ذلك شيء مؤقت معلوم ؟ قال : لا .

حدثني المنني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : يعطى من حصاده يومئذ ما تيسر ، وليس بالزكاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : ليس بالزكاة ، ولكن يطعم من حضره ساعتئذ حصده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن العلاء بن المسيّب ، عن حماد (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : كانوا يعطون رطبا .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه ، وإذا أنقيته وأخذت في كيله حثوت لهم منه ، وإذا علمت كيله عزلت زكاته ، وإذا أخذت في جذاذ النخل طرحت لهم من الثفاريق ، وإذا أخذت في كيله حثوت لهم منه ، وإذا علمت كيله عزلت زكاته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : سوى الفريضة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : يأتي إلى السؤال عند الحصاد من السنبل ، فإذا طبن ، أو طين ، الشك من أبي جعفر ، ألقى إليهم ، فإذا حمله فأراد أن يجعله كندسا ألقى إليهم ، وإذا داس أطمع منه ، وإذا فرغ وعلم كم كيله ، عزل زكاته . وقال : في النخل عند الجذاذ يطعم من الثمرة والشماريخ ، فإذا كان عند كيله أطمع من الثمر ، فإذا فرغ عزل زكاته .

حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : إذا حصد الزرع ألقى من السنبل ، وإذا جذد النخل ألقى من الشماريخ ، فإذا كاله زكاه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : عند الحصاد ، وعند الدياس ، وعند الصبرام يقبض لهم منه ، فإذا كاله عزل زكاته .  
وبه عن سفيان ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : سوى الزكاة .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : شيء سوى الزكاة في الحصاد والجذاذ إذا حصدوا وإذا جذوا .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، في قول الله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : واجب حين يصرم .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد أنه قال قال في هذه الآية ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : إذا حصد أطمع ، وإذا أدخله البيدر ، وإذا داسه أطمع منه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن ابن عمر ، قال : يطعم المعترّ سوى ما يعطى من العشر ونصف العشر .

وبه عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : قبضة عند الحصاد ، وقبضة عند الجذاذ .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، قال : كانوا يعطون من اعترّبهم الشيء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : الضغث .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : يعطى مثل الضغث .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حماد ، عن إبراهيم (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : مثل هذا من الضغث ، ووضع يحيى إصبغه الإبهام على المفصل الثاني من السبابة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : نحو الضغث .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : يعطى ضِغْثًا .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم ، قال : كان النخل إذا صرم يجيء الرجل بالعذق من نخله ، فيعلقه في جانب المسجد ، فيجىء المسكين فيضربه بعصاه ، فإذا تناثر أكل منه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن أو حسين ، فتناول تمرة ، فانتزعاها من فيه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصدقة ، ولا أهل بيته ، فذلك قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، ويزيد بن الأصم ، قالوا : كان أهل المدينة إذا صرموا يجيئون بالعذق ، فيضعونه في المسجد ، ثم يجيئ السائل فيضربه بعصاه ، فيسقط منه ، وهو قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) .

حدثنا عليّ بن سهم ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن جعفر ، عن زيد وميمون ، في قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قالوا : كان الرجل إذا جذّ النخل يجيء بالعذق ، فيعلقه في جانب المسجد ، فيأتيه المسكين ، فيضربه بعصاه ، فيأكل ما يتناثر منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : لقط السنبل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن مجاهد ، قال : كانوا يعلقون العذق في المسجد عند الصرام ، فيأكل منه الضعيف .  
وبه عن معمر ، قال : قال مجاهد (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) يطعم الشيء عند صرامه .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : الضغث وما يقع من السنبل .

وبه عن سالم ، عن سعيد (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : العلف .  
حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، في قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا محمد بن رفاعة ، عن محمد بن كعب ، في قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : ما قلّ منه أو أكثر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : عند الزرع يعطى القبض ، وعند الصرام يعطى القبض ، ويتركهم فيتبعون آثار الصرام .

وقال آخرون : كان هذا شيئا أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقنة ، ثم نسخته الصدقة المعلومة ، فلا فرض في مال كائنا ما كان زرعاً كان أو غرساً ، إلا الصدقة التي فرضها الله فيه .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن ميسم ، عن ابن عباس ، قال : نسخها العشر ، ونصف العشر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن ابن عباس ، قال : نسخها العشر ، ونصف العشر .

وبه عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية ، قال : نسخها العشر ، ونصف العشر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : هذا قبل الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نسخها ، فكانوا يعطون الضمّ .

حدثنا ابن حميد وأبو وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شبك ، عن إبراهيم (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : كانوا يفعلون ذلك حتى سنّ العشر ، ونصف العشر ، فلما سنّ العشر ، ونصف العشر ، ترك .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن شبك ، عن إبراهيم (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : هي منسوخة نسخها العشر ، ونصف العشر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : نسخها العشر ، ونصف العشر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن شبك ، عن إبراهيم ، قال : نسخها العشر ، ونصف العشر .

وبه عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : نسخها الزكاة .

وبه عن سفيان ، عن السديّ ، قال : نسخها الزكاة (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن شبك ، عن إبراهيم ، في قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : هذه السورة مكية نسخها العشر ، ونصف العشر ، قلت : عن ؟ قال : عن العلماء .

وبه عن سفيان ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم ، قال : نسخها العشر ، ونصف العشر .  
 حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما (وَأَتُوا  
 حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) فكانوا إذا مرّ بهم أحد يوم الحصاد أو الجتاداذ أطمعوه منه ، فنسخها الله عنهم  
 بالزكاة ، وكان فيها أنبتت الأرض العشر ، ونصف العشر .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : كانوا يرضخون لقرابتهم  
 من المشركين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)  
 قال : نسخه العشر ، ونصف العشر ، كانوا يعطون إذا حصدوا وإذا ذرّوا ، فنسخها العشر ، ونصف العشر .  
 وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين  
 في طعامهم وثمارهم ، التي تخرجها زروعهم وغرورهم ، ثم نسخها الله بالصدقة المفروضة ، والوظيفة المعلومة ،  
 من العشر ، ونصف العشر ؛ وذلك أن الجميع مجمعون لاختلاف بينهم ، أن صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد  
 الدّياس والتنقية والتندرية ، وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الخفاف . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان قوله  
 جلّ ثناؤه (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) ينبي عن أمر من الله جلّ ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده ،  
 وكان يوم حصاده ، هو يوم جتده وقطعه ؛ والحب لاشك أنه في ذلك اليوم في سنبله ، والتمر وإن كان  
 ثمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه وييسه ، وكانت الصدقة من الحب إنما تؤخذ بعد دياسه وتندريته وتنقيته  
 كيلا ؛ والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام ييسه وجفوفه كيلا ، عليم أن ما يؤخذ صدقة بعد حين حصاده  
 غير الذي يجب إيتاؤه المساكين يوم حصاده .

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون ذلك إيجابا من الله في المال حقا سوى الصدقة المفروضة ؟ قيل :  
 لأنه لا يخلو أن يكون ذلك فرضا واجبا ، أو نفلا ، فإن يكن فرضا واجبا ، فقد وجب أن يكون سبيله سبيل  
 الصدقات المفروضات ، التي من فرط في أدائها إلى أهلها ، كان بره آثما ، ولأمره مخالفا ، وفي قيام الحجّة بأن  
 لا فرض لله في المال بعد الزكاة ، يجب وجوب الزكاة ، سوى ما يجب من النفقة لمن يلزم المرء نفقته ما ينبي  
 عن أن ذلك ليس كذلك ، أو يكون ذلك نفلا ، فإن يكن ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الخيار في إعطاء  
 ذلك إلى ربّ الحرث والتمر ، وفي إيجاب القائلين بوجوب ذلك ، ما ينبي عن أن ذلك ليس كذلك ؛ وإذا  
 خرجت الآية من أن يكون مرادا بها الندب ، وكان غير جائز أن يكون لها مخرج في وجوب الفرض بها  
 في هذا الوقت ، عليم أنها منسوخة . ومما يؤيد ما قلنا في ذلك من القول دليلا على صحته ، أنه جلّ ثناؤه ،  
 أتبع قوله (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) ، وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . ومعلوم أن من الحكم  
 الله في عباده مذ فرض في أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدر ، أن القائم بأخذ ذلك ساستهم ورعاتهم .  
 وإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه نهى ربّ المال عن الإسراف في إيتاء ذلك ، والآخذ مجبر ، وإنما يأخذ  
 الحق الذي فرض الله فيه .

فإن ظنَّ ظانًّا أن ذلك إنما هو نهي من الله القيم بأخذ ذلك من الرُّعاة، عن التعدّي في مال ربِّ المال، والتجاوز إلى أخذ ما لم يبح له أخذه، فإن آخر الآية، وهو قوله ( وَلَا تُسْرِفُوا ) معطوف على أوّله، وهو قوله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ )، فإن كان المنهي عن الإسراف القيم بقبض ذلك، فقد يجب أن يكون المأمور بإتيانه، المنهي عن الإسراف فيه، وهو السلطان، وذلك قول إن قاله قائل، كان خارجا من قول جميع أهل التأويل، ومخالفا للمعهود من الخطاب، وكفى بذلك شاهدا على خطئه.

فإن قال: وما تنكر أن يكون معنى قوله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) : وآتوا حقه يوم كيّله، لا يوم فصله وقطعه، ولا يوم جدّاه وقطافه، فقد علمت من قال ذلك من أهل التأويل. وذلك ما حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جوير، عن الضحاك، في قوله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال: يوم كيّله.

وحدثنا المنثي، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن الحجاج، عن سالم المكي، عن محمد بن الحنفية، قوله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال: يوم كيّله يعطى العشر، ونصف العشر مع آخرين قد ذُكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك؛ قيل: لأن يوم كيّله، غير يوم حصاده، ولن يخلو معنى قائل هذا القول من أحد أمرين: إما أن يكونوا وجهوا معنى الحصاد إلى معنى الكيل، فذلك ما لا يعقل في كلام العرب، لأن الحصاد والحصد في كلامهم الجذّ والقطع، لا الكيل. أو يكونوا وجهوا تأويل قوله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ )، إلى وآتوا حقه بعد يوم حصاده إذا كلتموه، فذلك خلاف ظاهر التنزيل، وذلك أن الأمر في ظاهر التنزيل بإتيانه الحقّ منه يوحصاده، لا بعد يوم حصاده. ولا فرق بين قائل: إنما عني الله بقوله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) بعد يوم حصاده. وآخر قال: عني بذلك قبل يوم حصاده، لأنهما جميعا قائلان قولا، دليل ظاهر التنزيل بخلافه.

القول في تأويل قوله ( وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) :

اختلف أهل التأويل في الإسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية، ومنّ المنهي عنه، فقال بعضهم: المنهي عنه: ربّ النخل والزرع والتمر، والسرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية: مجاوزة القدر في العطية، إلى ما يجحف بربّ المال.

ذكر من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: ثنا عاصم، عن أبي العالية، في قوله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ) . . . الآية، قال: كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة، ثم تسارفوا، فأنزل الله ( وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا سوى الزكاة، ثم تباروا فيه وأسرفوا، فقال الله ( وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا متمر بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي العالية ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) قال : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً ، ثم تسارفوا ، فقال الله ( وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت في ثابت بن قيس ابن شماس ، جذت نخلا فقال : لا يأتين اليوم أحد إلا أطعمته ، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة ، فقال الله : ( وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء ( وَلَا تُسْرِفُوا ) يقول : لا تسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد ، أم في كل شيء ؟ قال : بلى في كل شيء ينهى عن السرف . قال : ثم عاودته بعد حين ، فقلت : ما قوله : ( وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) قال : ينهى عن السرف في كل شيء ، ثم تلا ( وَكَمْ يُسْرِفُونَ وَلَمْ يَتَّقُوا ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن أبي بشر ، قال : أطاف الناس بلباس بن معاوية بالكوفة ، فسألوه : ما السرف ؟ فقال : ما تجاوز أمر الله فهو سرف . حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَا تُسْرِفُوا ) لا تعطوا أموالكم ، فتخندوا فقراء .

وقال آخرون : الإسراف الذي نهى الله عنه في هذا الموضع : منع الصدقة ، والحق الذي أمر الله رب المال بإيتائه أهله بقوله ( وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو بكر بن عبد الله ، عن عمرو بن سليم وغيره ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله ( وَلَا تُسْرِفُوا ) قال : لا تمنعوا الصدقة فتعصوا حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن الزبرقان ، قال : ثنا محمد بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ( وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) والسرف : أن لا يعطى في حق .

وقال آخرون : إنما خوطب بهذا السلطان ، نهى أن يأخذ من رب المال فوق الذي أزم الله ماله .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تُسْرِفُوا ) قال : قال للسلطان : لا تسرفوا ، لا تأخذوا بغير حق ، فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس ، يعني قوله ( كَلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ) . . . الآية .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى بقوله ( وَلَا تُسْرِفُوا ) عن جميع معاني الإسراف ، ولم يخصص منها معنى دون معنى . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الإسراف في كلام العرب : الإخطاء بإصابة الحق في العطفية ، إما بتجاوز حده في الزيادة ، وإما بتقصير عن حده الواجب ،

كان معلوماً أن المفرق ماله مبارأة، والباذله للناس، حتى أجهفت به عطيته، مسرفاً، بتجاوزه حدّ الله إلى ما كلفته له، وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سُهْمَانِ الصدقة، إذا وجبت فيه، أو منعه من ألزمه الله نفقته، من أهله وعباله ما ألزمه منها، وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه، كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون، داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله (وَلَا تُسْرِفُوا) في عطيتكم من أموالكم ما يحجف بكم، إذ كان ما قبله من الكلام أمراً من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده، فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاص من الأمور، والحكم بها على العام، بل عامة آي القرآن كذلك، فكذلك قوله (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ). ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى الإسراف، أنه على ما قلنا، قول الشاعر:

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَّةٌ      ما في عَطَائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرْفٌ

يعنى بالسرف: الخطأ في العطية.

القول في تأويل قوله

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ ، كَلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢)

يقول تعالى ذكره: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشا، مع ما أنشأ من الجنات المعروفات وغير المعروفات. والحمولة: ما حمل عليه من الإبل وغيرها، والفرش: صغار الإبل التي لم تدرك أن يحمل عليها. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: الحمولة: ما حمل عليه من كبار الإبل ومسائها؛ والفرش: صغارها، التي لا يحمل عليها لصغرها. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، في قوله (حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ) قال: الحمولة: الكبار من الإبل؛ وفرشا: الصغار من الإبل. وقال: ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس: الحمولة هي الكبار، والفرش: الصغار من الإبل.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبید الله، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، قال: الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: ما لم يحمل. وبه عن إسرائيل، عن خصيف، عن مجاهد: الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: ما لم يحمل.

(١) البيت بجزء. وقد تقدم الكلام عليه في الجزء الرابع من هذا التفسير ص ٢٥٤.



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَفَرَشْنَا ) قال : صغار الإبل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، في قوله ( حَمُولَةٌ وَفَرَشْنَا ) قال : الحمولة : الكبار ، والفرش : الصغار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود في قوله ( حَمُولَةٌ وَفَرَشْنَا ) الحمولة : ما حمل من الإبل ، والفرش : هن الصغار .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية ( حَمُولَةٌ وَفَرَشْنَا ) قال : الحمولة : ما حمل عليه من الإبل ، والفرش : الصغار .

قال ابن المثني ، قال محمد ، قال شعبة : إنما كان حدثني سفيان عن أبي إسحاق . حدثنا ابن عبد الأعلى قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال الحسن : الحمولة من الإبل والبقر . وقال بعضهم : الحمولة من الإبل ، وما لم يكن من الحمولة فهو الفرش .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ( حَمُولَةٌ وَفَرَشْنَا ) قال : الحمولة : ما حمل عليه ، والفرش : حواشيها ، يعنى صغارها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشْنَا ) فالحمولة ما حمل من الإبل ، والفرش : صغار الإبل ، الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل ، ويقال : الحمولة : من البقر والإبل ، والفرش : الغنم .

وقال آخرون : الحمولة : ما حمل عليه من الإبل والحيل والبغال وغير ذلك ، والفرش : الغنم . ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشْنَا ) فأما الحمولة : فالإبل والحيل والبغال والحمير ، وكل شيء يحمل عليه ، وأما الفرش : فالغنم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس : الحمولة من الإبل : والبقر ، وفرشا : المعز والضأن .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشْنَا ) قال : أما الحمولة : فالإبل والبقر ، قال : وأما الفرش : فالغنم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، كان غير الحسن يقول : الحمولة : الإبل والبقر ، والفرش : الغنم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَمِنَ الْأَنْعَامِ

حَمُولَةٌ وَقَرَشًا ) أما الحمولة : فالإبل . وأما الفرش : فالفصلان والعجاجيل والغنم ، وما حمل عليه ، فهو حمولة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( حَمُولَةٌ وَقَرَشًا ) الحمولة : الإبل ، والفرش : الغنم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي بكر الخليل ، عن الحسن ( وَقَرَشًا ) قال : الفرش : الغنم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( حَمُولَةٌ وَقَرَشًا ) قال : الحمولة : ما تركبون ، والفرش : ما تأكلون وتحلبون ، شاة لا تحمل ، تأكلون لحمها ، وتتخذون من أصوافها لحافا وفرشا .

والصواب من القول في ذلك عندى : أن يقال : إن الحمولة : هي ما حمل من الأنعام ، لأن ذلك من صفتها إذا حملت ، لأنه اسم لها كالإبل والخيول والبغال ، فإذا كانت إنما سميت حمولة لأنها تحمل ، فالواجب أن يكون كل ما حمل على ظهره من الأنعام فحمولة ، وهي جمع لا واحد لها من لفظها ، كالركوبة والجزورة ، وكذلك الفرش إنما هو صفة لما لطف ، فقرب من الأرض جسمه ، ويقال له الفرش ، وأحسبها سميت بذلك تمثيلا لها في استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الأرض ، وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها الناس . فأما الحمولة بضم الحاء : فإنها الأحمال ، وهي الحمول أيضا بضم الحاء .

القول في تأويل قوله ( كَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ) :

يقول جل ثناؤه : كلوا مما رزقكم الله أيها المؤمنون ، فأحل لكم ثمرات حروثكم وغرسكم ولحوم أنعامكم ، إذ حرم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله ، فجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، وللشيطان مثله ، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ( وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ) كما اتبعها باحرو البحيرة ، ومسيبو السواحب ، فتحرموا على أنفسهم من طيب رزق الله الذي رزقكم ما حرموه ، فتطعروا بذلك الشيطان ، وتعصروا به الرحمن .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ) : لا تتبعوا طاعته ، هي ذنوب لكم ، وهي طاعة للخبيث ، إن الشيطان لكم عدو يبغى هلاككم ، وصدكم عن سبيل ربكم . مبين : قد أبان لكم عدوانه بمناصبته أباكم بالعداوة ، حتى أخرجهم من الجنة بكيد وخدعه ، وحسدا منه له ، وبغيا عليه .

القول في تأويل قوله

تَمَنِّيَ أَزْوَاجٍ ، مِّنَ الصَّاغِنِ اتُّبِنِ ، وَمِنَ الْمَعْرِ اتُّبِنِ ، قُلْ : ءَأَلَدُّ كَرِيْنٍ حَرَمٍ أَمْ الْأُنثِيَيْنِ ،  
أَمَا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ ، نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)

و هذا تقرير من الله جل ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام الذين بحروا البحائر ، وسيبوا السواب ، ووصلوا الوسائل ، وتعلم منه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، الحججة عليهم في تحريمهم ما حرموا من ذلك ، فقال للمؤمنين به وبرسوله : ( وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ) ومن الأنعام أنشأ حمولة وفرشا ، ثم بين جل ثناؤه الحمولة والفرش ، فقال : ( ثمانية أزواج ) ، وإنما نصب الثمانية ، لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش ، وبدل منها ، كأن معنى الكلام : ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج فلما قدم قبل الثمانية الحمولة والفرش ، بين ذلك بعد ، فقال : ( ثمانية أزواج ) على ذلك المعنى ( مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ) فذلك أربعة ، لأن كل واحد من الاثنين من الضأن زوج ، فالأنثى منه زوج الذكر ، والذكر منه زوج الأنثى ، وكذلك ذلك من المعز ، ومن سائر الحيوان ، فلذلك قال جل ثناؤه ( ثمانية أزواج ) ، كما قال : ( وَمِنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ) ، لأن الذكر زوج الأنثى ، الأنثى زوج الذكر ، فهما وإن كانا اثنين فهما زوجان ، كما قال جل ثناؤه ( وَجَعَلَ مِثْلَهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ) وكما قال : ( أُنْسِكُ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ) .

وكما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك ( مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ) ذكر وأنثى ، ومن البقر اثنين : ذكر وأنثى ، ومن الإبل اثنين : ذكر وأنثى ، ويقال للاثنين : هما زوج كما قال ليبيد :

مِنْ كُلِّ مَحْضُوفٍ يُظِلُّ عَيْصِيَّةُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلْتَا وَقَرَامُهَا

ثم قال لهم : كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم ، واركعوا هذه الحمولة أيها المؤمنون ، فلا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمرى إياهم بذلك . قل يا محمد هؤلاء الذين حرّموا ما حرّموا من الحرث والأنعام ، اتباعا للشيطان من عبدة الأوثان والأصنام ، الذين زعموا أن الله حرّم عليهم

(١) البيت من معلقة ليبيد ( انظره في شرحي الزوزني والتبريزي على المعلقة ) . ( من ) بيانية تبين قوله في البيت قبله « فنكنسوا قطننا » : أي اغسلوا القطنان هودج من قطن ، تشبه كئس الظباء . و « كل محفوف » يريد به الهودج قد حف بالثياب ، أي جعلت على أحفته ، وهي جوانبه ، الواحد حفاف . وعصيه : خشبه . والزوج : قال الزوزني : انمط من الثياب . وقال التبريزي : الزوج انمط الواحد . وقال الفيومي في المصباح المنير : الزوج : الشكل يكون له نظير ، كالأصناف والألوان ، أو يكون له نقيض ، كالرطب واليابس ، والذكر والأنثى ، والليل والنهار ، والخلو والمر . قال ابن دريد : والزوج : كل اثنين ، ضد الفرد . وتبته الجوهري فقال : ويقال للاثنين المتزوجين : زوجان ، وزوج أيضا ، تقول : عندي زوج نعال : تريد اثنين . وزوجان : تريد أربعة . وقال ابن قتيبة : الزوج يكون واحدا ، ويكون اثنين . وقوله تعالى : « من كل زوجين اثنين » : هو هنا واحد . وقال أبو عبيدة ، وابن فارس : كذلك . وقال الأزهرى : وأنكر النحويون أن يكون الزوج اثنين ، والزوج عندهم : الفرد . وهذا هو الصواب . وقال ابن الأنباري : والعامّة تحظى ، فظن أن الزوج اثنان ، وليس ذلك من مذهب العرب ، إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا ، في مثل قولهم : زوج حمام ، وإنما يقولون : زوجان من حمام ، وزوجان من خفاف . ولا يقولون لواحد من الطير : زوج ، بل للذكر : فرد ، وللأنثى فردة .

والكئة : السّر الرقيق ، لا يجلب ما وراءه ، والقرام : السّر الذي يلقى فوق الهودج ، أو على بعض جوانبه ، لتلا تؤذى الشمس صاحبته . يصف الهودج بأن عليه كلة وقراما ، فكأن بعضه مغطى بالقرام لحجب الشمس ، وبعضه مغطى بالكلة فقط للانتفاع بالضوء .

ما هم محرّمون من ذلك (آلذَكَرَيْنِ حَرَّمَ) ربكم أيها الكاذبة على الله من الضأن والمعز ، فإنهم إن ادّعوا ذلك وأقرّوا به ، كذبوا أنفسهم ، وأبانوا جهلهم ، لأنهم إذا قالوا : يحرم الذكّرين من ذلك ، أوجبوا تحريم كلّ ذكّرين من ولد الضأن والمعز ، وهم يستمتعون بلحوم الذكّران منها وظهورها ، وفي ذلك فساد دعواهم ، وتكذيب قولهم (أمِ الْأُنثِيَّيْنِ) فإنهم إن قالوا : حرّم ربنا الأنثيين ، أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها ، وفي ذلك أيضا تكذيب لهم ، ودحض دعواهم أن ربهم حرّم ذلك عليهم ، إذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره (أمِ ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِنَّ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّيْنِ) يقول : أم حرّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، يعني أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز ، فلذلك قال : أرحام الأنثيين ، وفي ذلك أيضا لو أقرّوا به ، فقالوا : حرّم علينا ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين بطول قولهم ، وبيان كذبهم ، لأنهم كانوا يقرّون بإقرارهم بذلك ، أن الله حرّم عليهم ذكّور الضأن والمعز وإنثائها ، أن يأكلوا لحومها ، أو يركبوا ظهورها ، وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإنثائها ، و « ما » التي في قوله (أمِ ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِنَّ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّيْنِ) نصب عطفا بها على الأنثيين (تَبَشُّونِي بِعَلَيْهِمْ) يقول : قل لهم : : خبروني بعلم ذلك على صحته ، أي ذلك حرّم ربكم عليكم ، وكيف حرّم؟ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيما تنحلّونه ربكم من دعواكم ، وتضيفونه إليه من تحريمكم . وإنما هذا إعلام من الله جل ثناؤه نبيه ، أن كل ما قاله هؤلاء المشركون في ذلك ، وأضافوه إلى الله ، فهو كذب على الله ، وأنه لم يحرم شيئا من ذلك ، وأنهم إنما اتبعوا في ذلك خطرات الشيطان ، وخالفوا أمره .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ) . . . الآية ، إن كلّ هذا لم أحرم منه قليلا ولا كثيرا ، ذكرا ولا أنثى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ؟) قال : سلهم (آلذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أمِ الْأُنثِيَّيْنِ أمِ ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِنَّ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّيْنِ) : أي لم أحرم من هذا شيئا بعلم ، إن كنتم صادقين ، فذكر من الإبل والبقر نحو ذلك .  
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) في شأن ما نهى الله عنه من البحيرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) قال : هذا في شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسّيّب . قال ابن جريج : يقول : من أين حرمت هذا من قبل الذكّرين ، أم من قبل الأنثيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، وإنها لانشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فمن أين جاء التحريم ؟ فأجابواهم : وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( ثمانية أزواج من الضأن اثنتين ، ومن المعز اثنتين ، ومن البقر اثنتين ، ومن الإبل اثنتين ) : يقول : أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذي عدت ذكر وأنثى ، فالذكورين حرمت عليكم أم الإثنيين ، أما اشتملت عليه أرحام الإثنيين ؟ يقول : أي ما اشتملت عليه أرحام الإثنيين ، ما اشتملت إلا على ذكر أو أنثى ، فما حرمت عليكم ذكرا ولا أنثى من الثمانية ، إنما ذكر هذا من أجل ما حرّموا من الأنعام .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجا ، عن الحسن ( أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ) قال : ما حملت الرحم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قل الذكورين حرّم أم الإثنيين ) قال : هذا لقولهم ( ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ، ومحرّم على أزواجنا ) قال : وقال ابن زيد في قوله ( ثمانية أزواج من الضأن اثنتين ، ومن المعز اثنتين ) قال : الأنعام : هي الإبل والبقر والضأن والمعز ، هذه الأنعام التي قال الله ثمانية أزواج ، قال : وقال في قوله ( هذه أنعام وحرت حيجر ) نحتجرها على من نريد ، وعن نريد ، وقوله ( وأنعام حرمت ظهورها ) قال : لا يركبها أحد ( وأنعام لا يبدكرون اسم الله عليها ) فقال ( الذكورين حرّم أم الإثنيين ) أي هذين حرّم على هؤلاء ، أي أن تكون هؤلاء حلالاً ، وعلى هؤلاء حراماً .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( ثمانية أزواج من الضأن اثنتين ، ومن المعز اثنتين ، قل الذكورين حرّم أم الإثنيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ) يعني : هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى ، فهم يحرّمون بعضا ، ويحلّون بعضا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ثمانية أزواج ، من الضأن اثنتين ، ومن المعز اثنتين ) فهذه أربعة أزواج ، ( ومن الإبل اثنتين ، ومن البقر اثنتين ، قل الذكورين حرّم أم الإثنيين ) يقول : لم أحرّم شيئا من ذلك ( ندبوني بعلم إن كنتم صادقين ) يقول : كله حلال . والضأن : جمع لا واحد له من لفظه ، وقد يجمع الضأن : الضئيين والضئيين ، مثل الشعير والشعير ، كما يجمع العبد على عبيد وعبيد . وأما الواحد من ذكوره فضائن ، والأنثى ضائنة ، وجمع الضائنة : ضوائن ، وكذلك المعز جمع على غير واحد ، وكذلك الميعزى<sup>٢</sup> ، وأما الماعز ، فجمعه ماعز .

#### القول في تأويل قوله

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ، قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِثْنَيْنِ ، أَمَا اشْتَمَلَتْ

(١) في الأصل : أي أن تكون هؤلاء حل ، وعلى هؤلاء حرام ، بالرفع فيما . (٢) في الأصل الماعزى تعريف .

عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثِيِّينَ ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ، إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا ؟ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى  
اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)

وتأويل قوله ( وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ  
الْأُنثِيَيْنِ ، أَمْآ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ ) نحو تأويل قوله ( مِنِ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنِ  
الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ) وهذه أربعة أزواج ، على نحو ما بينا من الأزواج الأربعة قبل من الضأن والمعز ، فذلك  
ثمانية أزواج ، كما وصف جل ثناؤه .

وأما قوله ( أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا ؟ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا  
لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) فإنه أمر من الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هؤلاء الجهلة من  
المشركين الذين قصَّ قِصَصَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ ، يقول له عزَّ ذَكَرَهُ : قل لهم يا محمد : أتَى  
هذه سألتكم عن تحريمه حرِّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ ، فَإِنْ أَجَابُوكَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا سَأَلْتَهُمْ عَنْهُ مِنْ  
ذَلِكَ ، فَقُلْ لَهُمْ : أَخْبَرَا قَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا عَلَيْكُمْ ، أَخْبَرَكُمْ بِهِ رَسُولٌ عَنْ رَبِّكُمْ ، أَمْ شَهِدْتُمْ رَبِّكُمْ فَرَأَيْتُمُوهُ ،  
فَوْصَاكُم بِهَذَا الَّذِي تَقُولُونَ ، وَتَرُدُّونَ عَلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ مِنْ إِخْبَارِكُمْ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ حَرَامٌ بِمَا  
تَزْعُمُونَ عَلَى مَا تَزْعُمُونَ ، لَا يَعْلَمُ إِلَّا بُوْحَى مِنْ عِنْدِهِ ، مَعَ رَسُولٍ يُرْسِلُهُ إِلَى خَلْقِهِ ، أَوْ بِسْمَاعٍ مِنْهُ ، فَبِأَيِّ  
هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ؟ بِرَسُولٍ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ ، فَأَنْبِئُونِي بِعِلْمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، أَمْ  
شَهِدْتُمْ رَبِّكُمْ ، فَأَوْصَاكُم بِذَلِكَ ؟ وَقَالَ لَكُمْ : حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ ، فَسَمِعْتُمْ تَحْرِيمَهُ مِنْهُ وَعَهَدَهُ إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ ،  
فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا )  
يقول : فمن أشدَّ ظلماً لنفسه ، وأبعد عن الحقِّ ممن تخرَّص على الله قيل الكذب ، وأضاف إليه تحريم ما لم  
يحرم ، وتحليل ما لم يحلل ( لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) يقول : ليصدِّمهم عن سبيله ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) يقول : لا يوفق الله للرشد من افتري على الله ، وقال عليه الزور والكذب ، وأضاف  
إليه تحريم ما لم يحرم ، كفرًا بالله ، وجحودًا لنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

كالذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَمْ كُنْتُمْ  
شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا ) الذي تقولون .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كانوا  
يقولون ، يعنى الذين كانوا يتخذون البحائر والسوائب ، إن الله أمر بهذا ، فقال الله ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ  
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) .

القول في تأويل قوله

قُلْ : لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْمَةً أَوْ دَمًا

مَسْفُوحًا ، أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ، فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ  
فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)

يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء الذين جعلوا لله مما ذرأ من الحرث  
والأنعام نصيبا ، ولشركائهم من الآلهة والأنداد مثله ، والقائلين (هذه أنعامٌ وحرثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا  
إِلَّا مَنْ نَشَأُ بِيْزْعَمِيهِمْ) ، والمحرّمين من أنعامٍ أُخْرِجَتْ ظُهُورُهَا ، والتاركين ذكر اسم الله على أُخْرٍ منها ،  
والمحرّمين بعض ما في بطون بعض أنعامهم على إناهم وأزواجهم ، ومُحَلِّيهِ لذكورهم ، المحرّمين ما رزقهم الله  
افتراء على الله ، وإضافة منهم ما يحرّمون من ذلك ، إلى أن الله هو الذي حرّمه عليهم : أجازكم من الله رسول  
بتحريمه ذلك عليكم ، فأثبتونا به ، أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدة منكم له ، فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم ،  
فحرمتموه ؟ فإنكم كذبة إن ادّعيتم ذلك ، ولا يمكنكم دعواه ، لأنكم إذا ادّعيتموه علم الناس كذبكم ،  
فإني لأجد فيما أوحى إلى من كتابه ، وآى تنزيله ، شيئا محرّما على آكل يأكله ، مما تذكرون أنه حرّمه من  
هذه الأنعام ، التي تصفون تحريم ما حرّم عليكم منها بزعمكم ، إلا أن يكون ميتة قد ماتت بغير تذكية ، أو آدمًا  
مسفوحا ، وهو المنصب ، أو إلا أن يكون لحم خنزير ، فإنه رجس أو فسقا ، يقول : أو إلا أن يكون فسقا  
يعنى بذلك : أو إلا أن يكون مذبوحا ذبحة ذابح من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلته ، فذكر عليه  
اسم وثنته ، فإن ذلك الذبيح فسق نهي الله عنه وحرّمه ، ونهي من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك ، لأنه  
ميتة . وهذا إعلام من الله جل ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبي الله وأصحابه في تحريم الميتة بما جادلوهم به ،  
أن الذي جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذي حرّمه الله ، وأن الذي زعموا أن الله حرّمه حلال قد أحله الله ،  
وأنهم كذّاب في إضافتهم تحريمه إلى الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، في  
قوله ( قُلْ لَا أُجِدُّ فِيهَا أَوْحِيَّ إِلَى مُحَرَّمًا ) قال : كان أهل الجاهلية يحرّمون أشياء ، ويُحِلُّون أشياء ،  
فقال : قل لأجد مما كنتم تحرّمون وتستحلون إلا هذا ، (إلا أن يكون ميتة ، أو دما مسفوحا ،  
أو لحْمُ خِنزِيرٍ ، فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ،  
في قوله ( قُلْ لَا أُجِدُّ فِيهَا أَوْحِيَّ إِلَى مُحَرَّمًا ) . . . الآية ، قال : كان أهل الجاهلية يستحلون أشياء ،  
ويحرّمون أشياء ، فقال الله لنبية ( قُلْ لَا أُجِدُّ فِيهَا أَوْحِيَّ إِلَى مُحَرَّمًا ) مما كنتم تستحلون إلا هذا ، وكانت  
أشياء يحرّمونها ، فهي حرام الآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه

قُلْ لَأَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَىٰ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ( قال : ما يؤكل ، قلت : في الجاهلية ؟ قال : نعم ، وكذلك كان يقول ( إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ) .

قال ابن جريج : وأخبرني إبراهيم بن أبي بكر ، عن مجاهد ( قُلْ لَأَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَىٰ مُحَرَّمًا ) قال : مما كان في الجاهلية يأكلون ، لأجد محرماً من ذلك على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ميتة ، أو دماً مسفوحاً . وأما قوله (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) ، فإن معناه : أو دماً مُسْتَأْلاً مُهْرَاقاً ، يقال منه : سَفَّحْتُ دَمَهُ : إذا أرقته ، أسفحه سَفَّحاً ، فهو دم مسفوح ، كما قال طرفة بن العبد :

إِنِّي وَجَدْتُكَ مَا هَجَوْتُكَ وَالْأَنْصَابِ يُسْفَحُ فَوْقَهُنَّ دَمٌ ۱

وكما قال عبيد بن الأبرص :

إِذَا مَا عَادَهُ مِثْلًا نِسَاءً سَفَّحْنَ الدَّمَ مِثْلَ بَعْدِ الرَّيْنِ ۲

يعنى : صَبَبْنَ ، وأسلن الدمع . وفي اشتراطه جل ثناؤه في الدم عند إعلامه عباده تحريمه إياه ، المسفوح منه دون غيره ، الدليل الواضح أن ما لم يكن منه مسفوحاً فحلّال غير نجس .

وذلك كالذي حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ( أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ) قال : لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبع اليهود .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة بنحوه ، إلا أنه قال : لا تتبع المسلمون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة بنحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : أخبرنا وكيع ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، في القدر يعلوها الحمرة من الدم ، قال : إنما حرّم الله الدم المسفوح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ،

(١) البيت في شعر طرفة ( غتار الشعر الجاهل طبعة الحلبي ص ٣٤٧ ) وفيه : « بينين » في موضع « فوقهن » . وقوله « الأنصاب » أقسم بالأوثان التي تقرب لها القرابين . ويسفح : يصب ويراق .

(٢) البيت في ديوانه ( طبعة لندن سنة ١٩١٣ بإشراف لجنة جب التذكارية ص ٤٥ ) ، وهو البيت ال ١٧ من القصيدة ، وفيه : ( منها ) في موضع ( من ) و ( سفحن ) في موضع ( سفحن ) . ولم يشرحه . وسفحن : أرقن . والرئين هنا : البكاء بصوت . وقوله منها : الضمير راجع إلى الطلعة في البيت قبله :

وَأَسْمَرُ قَدْ نَصَبْتُ لَدَىٰ سِنَاءٍ يَرَىٰ مِنِّي مَحَافِظَةَ الْيَقِينِ

يَحَاوِلُ أَنْ يَقُومَ وَقَدْ مَضَتْهُ مَغَابِنَةُ بَدَىٰ خَرَصٍ قَتِينِ

أى يحاول أن يقوم الرجل من طلعة أماتته وقد مضت : أى نفذت منه الطلعة . والمغابنة : الطلعة التي تغيب من لحمه ، كما يفين الثوب : أى يثني . ويروى مغابنة : أى وهو يرى ذلك ويعابته . ويروى معاندة . والخرص : السنان . وقتين محدد الرأس . والقتين أيضا : القليل العظم .



قال : سألته عن الدم ، وما يتلطح بالمذبح من الرأس ، وعن القيدر يرى فيها الحمرة ، قال : إنما نهي الله عن الدم المسفوح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا )  
قال : حرّم الدم ما كان مسفوحاً ؛ وأما لحم خالطه دم فلا بأس به .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( قُلْ لَا أُجِدُّ فِيهَا أَوْحِيَّ إِلَىٰ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ) يعني مهراقاً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أخبرني ابن دينار ، عن عكرمة ( أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ) قال : لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأساً ، والحمرة والدم يكونان على القدر بأساً ، وقرأت هذه الآية ( قُلْ لَا أُجِدُّ فِيهَا أَوْحِيَّ إِلَىٰ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ) . . . الآية .

حدثني المنثي ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن يحيى بن سعيد ، قال : ثني القاسم ابن محمد ، عن عائشة قالت ، وذكرت هذه الآية ( أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ) قلت : وإن البُرمة ليرى في مأها الصفرة . وقد بينا معنى الرجس فيما مضى من كتابنا هذا ، وأنه النجس والنتن ، وما يعصى الله به ، بشواهد ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وكذلك القول في معنى الفسق ، وفي قوله ( أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ) قد مضى ذلك كله بشواهد الكافية من وُفق لفهمه عن تكراره وإعادته .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً ) فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة ( إِلَّا أَنْ يَكُونَ ) بالياء ( مَيْتَةً ) مخففة الياء منصوبة على أن في يكون مجهولاً ، والميئة فعل له ، فنصبت على أنها فعل يكون ، وذكروا يكون لتذكير المضمرة في يكون ، وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والكوفة ( إِلَّا أَنْ تَكُونَ ) بالتاء ( مَيْتَةً ) بتخفيف الياء من الميئة ونصبها ، وكان معنى نصبهم الميئة معنى الأولين ، وأنثوا تكون لتأنيث الميئة ، كما يقال : إنها قائمة جاريتك ، وإنه قائم جاريتك ، فيذكر المجهول مرة ، ويؤنث أخرى ، لتأنيث الاسم الذي بعده . وقرأ ذلك بعض المدنيين ( إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَيْتَةً ) بالتاء في تكون ، وتشديد الياء من ميئة ورفعها ، فجعل الميئة اسم تكون ، وأنث تكون لتأنيث الميئة ، وجعل تكون مكتفية بالاسم دون الفعل ، لأن قوله ( إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَيْتَةً ) استثناء ، والعرب تكني في الاستثناء بالأسماء عن الأفعال ، فيقولون : قام الناس إلا أن يكون أخاك ، وإلا أن يكون أخوك ، فلا تأتي ليكون بفعل ، وتجعلها مستغنية بالاسم ، كما يقال : قام القوم إلا أخاك وإلا أخوك ، فلا يعتد الاسم الذي بعد حرف الاستثناء نفلاً .

(١) فيه اختصار يعلم مما قبله .

والصواب من القراءة في ذلك عندي (إِلَّا أَنْ يَكُونَ) بالياء (مَيْبُتَةً) بتخفيف الياء ونصب الميتة ، لأن الذي في يكون من المكثي من ذكر المذكر ، وإنما هو : قُلْ لَا أجد فيها أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ذلك ميتة أو دماً مسفوحاً . فأما قراءة ميتة بالرفع ، فإنه وإن كان في العربية غير خطأ ، فإنه في القراءة في هذا الموضوع غير صواب ، لأن الله يقول (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) ، فلا خلاف بين الجميع في قراءة الدم بالنصب ، وكذلك هو في مصاحف المسلمين ، وهو عَطُفٌ على الميتة . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم . وقوله أَوْسَقًا مرفوعين ، ولكنها منصوبة ، فيعطف بهما عليها بالنصب .  
القول في تأويل قوله (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) :  
وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) .

والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع ، وأن معناه : فمن اضطرَّ إلى أكل ما حرم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير ، أو ما أهلَّ لغير الله به ، غير باغٍ في أكله إياه تلهذاً ، لالضرورة حالة من الجوع ، ولا عادٍ في أكله ، بتجاوزه ما حده الله وأباحه له من أكله ، وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك ، لم يتجاوز ذلك إلى أكثر منه ، فلا حرج عليه في أكله ما أكل من ذلك (فإنَّ اللهَ غَفُورٌ) فيما فعل من ذلك ، فسائر عليه بتركه عقوبته عليه ، ولو شاء عاقبه عليه (رَحِيمٌ) بإباحته إياه أكل ذلك عند حاجته إليه ، ولو شاء حرّمه عليه ومنعه منه .

#### القول في تأويل قوله

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ، وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمْ  
إِلَّا مَا سَمَّيْتُمْ مِنْهُمَا أَوْ حُلْوَايَا ، أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ، ذَلِكَ جَزَاءُ يَنْبَغِيهِمْ ، وَإِنَّا  
لَصَادِقُونَ (١٤٦)

يقول تعالى ذكره : وحرّمنا على اليهود كلّ ذي ظفر ، وهو من البهائم والطيور ، ما لم يكن مشقوق الأصابع ، كالإبل والأنعام والأوز والبط .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ) وهو البعير والنعامة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ ) قال : البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ ) قال : هو ليس الذي بمنفرج الأصابع .

حدثني علي بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ ) قال : كل شيء متفرق الأصابع ، ومنه الديك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ( كُلُّ ذِي ظُنْفُرٍ ) : النعامة والبعير .

حدثني المنثري ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ ) فكان يقال : البعير والنعامة وأشباهه من الطير والحيتان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( كُلُّ ذِي ظُنْفُرٍ ) قال : الإبل والنعام ، ظفر يد البعير ورجله ، والنعام أيضا كذلك ، وحرّم عليهم أيضا من الطير البط وشبهه ، وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما كل ذي ظفر : فالإبل والنعام .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شيخ ، عن مجاهد ، في قوله ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ ) قال : النعامة والبعير شقنا شقنا ، قال : قلت : ماشقا شقا ؟ قال : كل ما لم تفرّج قوائمه لم يأكله اليهود ، البعير والنعامة ، والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لأنها قد فرجت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( كُلُّ ذِي ظُنْفُرٍ ) قال : النعامة والبعير شقنا شقا ، قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثني : ماشقا شقا ؟ قال : كل شيء لم يفرج من قوائمه البهائم ، قال : وما انفرج أكلته اليهود ، قال : انفرجت قوائم الدجاج والعصافير ، فيهود تأكلها .

قال : ولم تنفرج قائمة البعير خفه ولا خفّ النعامة ، ولا قائمة الوزين ، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوزين ، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ، وكذلك لا تأكل حمار وحش .

وكان ابن زيد يقول في ذلك بما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ ) : الإبل فقط .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : القول الذي ذكرنا عن ابن عباس ، ومن قال بمثل مقالته ، لأن الله

(١) لعله غير متفرق ليوافق ما قبله وما يأتي بعده .

جلّ ثناؤه أخبر أنه حرّم على اليهود كلّ ذى ظفّر ، فغير جائز إخراج شيء من عموم هذا الخبر ، إلا ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان النعام وكلّ ما لم يكن من البهائم والطيور مما له ظفر ، غير منفرج الأصابع داخلا في ظاهر التنزيل ، وجب أن يحكم له بأنه داخل في الخبر ، إذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخل في الآية ، خبر عن الله ، ولا عن رسوله ، وكانت الأمة أكثرها يجمع على أنه فيه داخل .

القول في تأويل قوله ( وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَنا عَلَيْهِمُ شُحُومَهُمَا إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما ) .  
 اختلاف أهل التأويل في الشحوم التي أخبر الله تعالى أنه حرّمها على اليهود من البقر والغنم ، فقال بعضهم : هي شحوم الثروب خاصة .  
 ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَنا عَلَيْهِمُ شُحُومَهُمَا ) الثروب ، ذكر لنا « أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : قاتل الله اليهود ، حرّم الله عليهم الثروب ، ثمّ أكلوا أثمانها » .  
 وقال آخرون : بل ذلك كان كلّ شحم لم يكن مختلطا بعظم ، ولا على عظم .  
 ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله ( حَرَّمَنا عَلَيْهِمُ شُحُومَهُمَا ) قال : إنما حرّم عليهم الثرب ، وكلّ شحم كدّنٍ كذلك ليس في عظم .  
 وقال آخرون : بل ذلك شحم الثرب والكسلي .  
 ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( حَرَّمَنا عَلَيْهِمُ شُحُومَهُمَا ) قال : الثرب وشحم الكليليين ، وكانت اليهود تقول : إنما حرّمه إسرائيل ، فنحن نحرمه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( حَرَّمَنا عَلَيْهِمُ شُحُومَهُمَا ) قال : إنما حرّم عليهم الثروب والكليتين ، هكذا هو في كتابي عن يونس ، وأنا أحسب أنه الكسلي .

والصواب في ذلك من القول : أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرّم على اليهود من البقر والغنم شحومهما إلا ما استثناه منها ، مما حملت ظهورهما أو الحوايا ، أو ما اختلط بعظم ، فكلّ شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم ، فإنه كان محرّما عليهم .

وبنحو ذلك من القول ، تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك قوله : « قاتل الله اليهود ، حرّم الله عليهم الشحوم ، فجعلناها لهم باعوها ، وأكلوا أثمانها » .

وأما قوله (إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) فإنه يعنى : إلا شحوم الخنث ، وما علق بالظهر ، فإنها لم تحرم عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) يعنى : ما علق بالظهر من الشحوم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، أما ما حملت ظهورهما : فالأكليات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : الأكلية مما حملت ظهورهما . القول فى تأويل قوله (أَوِ الْحَوَايَا) :

قال أبو جعفر : والحوايا جمع ، واحدها : حاوية ، وحويية ، وحويية : وهى ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار ، وهى بنات اللبن ، وهى المباعر ، وتسمى المرابض ، وفيها الأمعاء . ومعنى الكلام : ومن البقر والغنم حرمتنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت الحوايا ، فالحوايا رفع عطفًا على الظهور ، وما التى بعد إلا ، نصب على الاستثناء من الشحوم .

وبمثل ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (أَوِ الْحَوَايَا) وهى المبعر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المبعر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الحوايا : المبعر والمربض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المبعر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المباعر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المباعر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المبعر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أو الحَوَايَا ) قال : المبعر .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة والمخاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : المبعر .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت  
الضحاك يقول في قوله ( أو الحَوَايَا ) يعنى : البطون غير الثُرُوب .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( أو الحَوَايَا ) هو المبعر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( أو الحَوَايَا )  
قال : المباعر .

وقال ابن زيد في ذلك ، ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله  
( أو الحَوَايَا ) قال : الحوايا : المراض التي تكون فيها الأمعاء تكون وسطها ، وهي بنات اللبن ، وهي  
في كلام العرب تُدعى المراض .

القول في تأويل قوله ( أو ما اختلَطَ بِعِظْمٍ ) :

يُقَرَّبُ يقول تعالى ذكره : ومن البقر والغنم حرمنا على الذين هادوا شحومهما ، سوى ما حملت ظهورهما ، أو  
ما حملت حواياهما ، فإننا أحللنا ذلك لهم ، وإلا ما اختلط بعظم ، فهو لهم أيضا حلال ، فردّ قوله ( أو  
ما اختلَطَ بِعِظْمٍ ) على قوله ( إلا ما حملت ظهورهما ) فما التي في قوله ( أو ما اختلَطَ بِعِظْمٍ ) :  
في موضع نصب عطفًا على « ما » التي في قوله ( إلا ما حملت ظهورهما ) . وعنى بقوله ( أو ما اختلَطَ  
بِعِظْمٍ ) شحم الألية والجنب ، وما أشبه ذلك .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أو ما اختلَطَ بِعِظْمٍ )  
قال : شحم الألية بالعصص ، فهو حلال ، وكلّ شيء في القوائم والجنب والرأس والعين ، قد اختلط  
بعظم ، فهو حلال .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( أو ما اختلَطَ  
بِعِظْمٍ ) مما كان من شحم على عظم .

القول في تأويل قوله ( ذلك جزئناهم ببغيتهم وإننا لنصادقون ) :

يُقَرَّبُ يقول تعالى ذكره : فهذا الذي حرمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير ، ذوات الأظافر غير  
المنفرجة ، ومن البقر والغنم ، ما حرمنا عليهم من شحومهما الذي ذكرنا في هذه الآية ، حرمناه عليهم عقوبة  
منها لهم ، وثوابا على أعمالهم السيئة ، وبغيتهم على ربهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ذلك جزئناهم ببغيتهم وإننا  
لنصادقون ) إنما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ) فعلنا ذلك بهم ببغيتهم .

وقوله ( وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) يقول : وإنا لصادقون في خبرنا هذا ، عن هؤلاء اليهود عما حرّمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطيور التي ذكرنا أنها حرّمنا عليهم ، وفي غير ذلك من أخبارنا ، وهم الكاذبون في زعمهم أن ذلك إنما حرّمه إسرائيل على نفسه ، وأنهم إنما حرّموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه .

القول في تأويل قوله

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)

يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فإن كذّبوك يا محمد هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنها حرّمنا عليهم ، وحللنا لهم ، كما بينا في هذه الآية ، فقل : ربكم ذو رحمة بنا ، وبمن كان به مؤمنا من عباده وبغيرهم من خلقه ، واسعة ، تسع جميع خلقه ، المحسن والمسيء ، لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ، ولا من عصاه بالنقمة ، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ، ولا يحرمه ثواب عمله ، رحمة منه بكلا الفريقين ، ولكن بأسه ، وذلك سطوته وعذابه ، لا يردّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء ، والمجرمون هم الذين أجرموا ، فاكفبوا الذنوب ، واجترحوا السيئات .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فإن كذّبوك ) اليهود .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فإن كذّبوك ) اليهود ( فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كانت اليهود يقولون : إنما حرّمه إسرائيل ، يعني : الثّرْب وشحم الكليتين ، فنحن نحرمه ، فذلك قوله ( فإن كذّبوك فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ) .

القول في تأويل قوله

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُؤُنَا ، وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ،  
كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ، قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ؟  
إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)

يقول جل ثناؤه (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام، من مشركي قريش: (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) يقول: قالوا احتجارا من الإذعان للحق بالباطل من الحجة، لما تبين لهم الحق، وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين، من شركهم، وتحريمهم ما كانوا يحرمون من الحروث والأنعام، على ما قد بسّين تعالى ذكره في الآيات الماضية قبل ذلك (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) وما بعد ذلك: لو أراد الله منا الإيمان به، وإفراده بالعبادة، دون الأوثان والآلهة، وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا، ما جعلنا لله شريكا، ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا، ولا حرّمنا ما حرّمه من هذه الأشياء التي نحن على تحريمها مقيمون، لأنه قادر أن يحول بيننا وبين ذلك، حتى لا يكون لنا إلى فعل شيء من ذلك سبيل، إما بأن يضطرنا إلى الإيمان وترك الشرك به، وإلى القول بتحليل ما حرّمنا: وإما بأن يطف بنا بتوفيقه، فنصير إلى الإقرار بوحدانيته، وترك عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام، وإلى تحليل ما حرّمنا، ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام، واتخاذ الشريك له في العبادة والأنداد، وأراد ما حرّم من الحروث والأنعام، فلم يحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك، قال الله مكذّبا لهم في قيلهم: إن الله رضي منا ما نحن عليه من الشرك، وتحريم ما حرّم، ورادا عليهم باطل ما احتجوا به من حجّتهم في ذلك (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) يقول: كما كذّب هؤلاء المشركون بإعتماد ما جثّتهم به من الحق والبيان، كذّب من قبلهم من فسقة الأمم، الذين طغوا على ربهم، ما جاءتهم به أنبياءهم من آيات الله، وواضح حججه، وردّوا عليهم نصائحهم (حتى ذاقوا بأسنا) يقول: حتى أخطونا، فغضبنا عليهم، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه، فعطبوا بذوقهم إياه، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة، يقول: وهؤلاء الآخرون، مسلوك بهم سبيلهم، إن هم لم ينيبوا، فيؤمنوا ويصدقوا بما جثّتهم به من عند ربهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا) وقال (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) ثم قال (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا) فلأنهم قالوا: عبادتنا الآلهة، تقرّبنا إلى الله زلّسنا، فأخبرهم الله أنها لا تقرّبهم، وقوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا) يقول الله سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ) قال: قول قريش، يعني: إن الله حرم هذه البحيرة والسائبة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ) قول قريش بغير يقين: إن الله حرّم هذه البحيرة والسائبة.

فإن قال قائل: وما برهانك على أن الله تعالى إنما كذّب من قبل هؤلاء المشركين قولهم: رضي الله منا



عبادة الأوثان ، وأراد منا تحريم ما حرّمنا من الحروث والأنعام ، دون أن يكون تكذيبه إياهم ، كان على قولهم ( لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ، وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ) وعلى وصفهم إياه بأنه قد شاء شيركهم وشرك آبائهم ، وتحريمهم ما كانوا يحرمون ، قيل : له الدلالة على ذلك ، قوله ( كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ) ، فأخبر جل ثناؤه عنهم ، أنهم سلكوا في تكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فيما آتاهم به من عند الله من النهي عن عبادة شيء غير الله تعالى ، وتحريم غير ما حرّم الله في كتابه وعلى لسان رسوله مسلك أسلافهم من الأمم الخالية المكذبة الله ورسوله ، والتكذيب منهم إنما كان لمكذب ، ولو كان ذلك خيرا من الله عن كذبهم في قيلهم ( لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ) لقال ( كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ) بتخفيف الذال ، وكان ينسبهم في قيلهم ذلك إلى الكذب على الله ، لا إلى التكذيب ، مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه .

القول في تأويل قوله ( قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ؟ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ) :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، المحرّمين ما هم له محرّمون من الحروث والأنعام ، القائلين ( لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ، وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ) ولكنه رضى منا ما نحن عليه من الشرك ، وتحريم ما محرّم : هل عندكم بدعواكم ما تدعون على الله ، من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون ، وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون ، علمتم يقين ، من خبر من يقطع خبره العذر ، أو حجة توجب لنا اليقين من العلم ، فتخرجه لنا ، يقول : فتظهروا ذلك لنا وتبينوه ، كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم ، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع . ( إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ) يقول له ؛ قل لهم إن تقولون ما تقولون أيها المشركون ، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون ، وتحرمون من الحروث والأنعام ما تحرمون ، إلا ظنا وحسابا أنه حق ، وأنكم على حق وهو باطل ، وأنتم على باطل ( وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ) يقول : وإن أنتم ، وما أنتم في ذلك كله إلا تخرّصون ، يقول : إلا تتفوّكون الباطل على الله ، ظنا بغير يقين علم ، ولا برهان واضح .

القول في تأويل قوله

قُلْ : فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، القائلين على ربهم الكذب ، في تحريمهم ما حرّموا من الحروث والأنعام ، إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قبيلك لهم : هل عندكم من علم بما تدعون على ربكم ، فتخرجه لنا ، وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره ، وهم لاشكّ عن ذلك عجزة ، وعن إظهاره مقصرون ، لأنه باطل لاحتماله ، فالله الذي حرّم عليكم أن تشركوا به شيئا ، وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والأنعام ، الحجة البالغة

دونكم أيها المشركون ، ويعنى بالبالغة : أنها تبلغ مرادها في ثبوتها على من احتج بها عليه من خلقه ، وقطع  
عذره إذا انتهت إليه فيما جعلت حجة فيه ( فَلَئَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ) يقول : فلو شاء ربكم لوفقكم  
أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة والبراءة من الأنداد والآلهة والدينونة ، بتحريم ما حرم الله ، وتحليل  
ما حلله الله ، وترك اتباع خطوات الشيطان ، وغير ذلك من طاعاته ، ولكنه لم يشأ ذلك ، فخالف بين  
خلقه فيما شاء منهم ، فمنهم كافر ، ومنهم مؤمن .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ،  
قال : لاحجة لأحد عصي الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده ، وقال ( فَلَئَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ) :  
قال : ( لَا يُسْتَنْزَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَنْزَلُونَ ) .

القول في تأويل قوله

قُلْ : هَلْ شُهِدَ آءَ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ، فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ ، وَلَا  
تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَهُمْ يَرْبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)  
يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المقتربون على ربهم ، من عبادة  
الأوثان ، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرّمه من حرّوهم وأنعامهم (هَلْ شُهِدَ آءَ كُمْ ) : يقول :  
هاتوا شهداء كم الذين يشهدون على الله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم . وأهل العالوية من تهامة  
توحد هلم في الواحد والاثنين والجمع ، وتذكر في المؤنث والمذكر ، فتقول للواحد : هلم يا فلان ،  
وللثنين والجمع كذلك ، وللثني مثله ؛ ومنه قول الأعشى :

وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلْمًا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمَ ١

يُنْشَدُ : هلم وهلموا . وأما أهل السافلة من نجد ، فإنهم يوحّدون للواحد ، ويشنون للثنين ، ويجمعون للجمع ،  
فيقال للواحد من الرجال : هلم ، وللواحدة من النساء : هلمسى ، وللثنين : هلمسا ، وللجماعة من الرجال  
هلموا ، وللنساء : هلمسن .

قال الله لنبية ( فَإِنْ شَهِدُوا ) يقول : يا محمد ، فإن جاءوك بشهداء يشهدون أن الله حرم ما يزعمون  
أن الله حرمه عليهم ( فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ ) ، فإنهم كذّابة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على

(١) البيت في ديوان الأعشى ( طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٤٣ ) وفي روايته : « رهطه » في موضع « قومه » .  
وهو البيت ٦٤ من قصيدة له يمدح بها قيس بن معديكرب . والبيت مرتبط بأبيات قبله في قصة ذكرها الشاعر ، معتبرا بما آل إليه  
« الحضر » ، وهو قصر كان حيال تكريت بين دجلة والفرات بناء الفيزن ، وهو رجل قيل من قضاة ، تملك على الجزيرة ، وغزا  
بلاد الفرس ، وأخذ أخت ملكها سابور ، فغزا سابور بجنوده ، وأخذوا يضرّون القصر بفتوسهم حولين ، وحاول صاحبه استنفاذه ،  
فهبهم عليه ليلا ، وأخذ يدعو قومه ويحسبهم ، ويذكرهم بسالف أيامهم ، إذ كانوا ناعمين في ظل القصر وصاحبه .

الله . وخطب بذلك جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به ( وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ) يقول : ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله ، في تحريم ما حرم ، وتحليل ما أحل لهم ، ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه . ( وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) يقول : ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة ، فتكذب بما هم به مكذبون ، من إحياء الله خلقه بعد مماتهم ، ونشره إياهم بعد فناءهم ( وَهُمْ يَرْبَهُمْ بِعَدْلُونِ ) يقول : وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات ، وجحودهم قيام الساعة بالله ، يعدلون الأوثان والأصنام ، فيجعلونها له عيداً ، ويتخذونها له ندأ ، يعبدونها من دونه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( هَلُمُّكُمْ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ) يقول : قل أروني الذين يشهدون أن الله حرم هذا ، مما حرمت العرب وقالوا : أمرنا الله به ، قال الله لرسوله ( فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( هَلُمُّكُمْ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ) قال : البحائر والسائب .

#### القول في تأويل قوله

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنِ اتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمْلَقَ ، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾  
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربيهم الأوثان والأصنام ، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرّموه من حروثهم وأنعامهم ، على ما ذكرت لك في تنزيل عليك : تعالوا أيها القوم اقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقينا ، لا الباطل ، تحرّصا كحصرصكم على الله الكذب والفرية ظناً ، ولكن وحيًا من الله أوحاه إليّ ، وتنزيلاً أنزله عليّ : ألا تشركوا بالله شيئاً من خلقه ، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ، ولا تعبدوا شيئاً سواه ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) يقول : وأوصي بالوالدين إحساناً ، وحذف أوصي وأمر ، لدلالة الكلام عليه ، ومعرفة السامع بمعناه ، وقد بينا ذلك بشواهد في ماضي من الكتاب .

وأما « أن » في قوله ( أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ) فرفع ، لأن معنى الكلام : قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ، هو أن لا تشركوا به شيئاً . وإذا كان ذلك معناه ، كان في قوله ( تُشْرِكُوا ) وجهان : الجزم

بالنهي ، وتوجيه « لا » إلى معنى النهي ، والنصب على توجيه الكلام إلى الخبر ، ونصب تشركوا بألا كما يقال : أمرتك ألا تقوم ، وإن شئت جعلت « أن » في موضع نصب رداً على « ما » وبيانا عنها ، ويكون في قوله ( تُشْرِكُوا ) أيضاً من وجهي الإعراب نحو ما كان فيه منه ، وأن في موضع رفع ، ويكون تأويل الكلام حينئذ : قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ، أتل أن لا تشركوا به شيئاً .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يكون قوله ( تُشْرِكُوا ) نصبا بألا ، أم كيف يجوز توجيه قوله : ألا تشركوا به ، على معنى الخبر ، وقد عطف عليه بقوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ) وما بعد ذلك من جزم النهي ؟ قيل : جاز ذلك ، كما قال تعالى ذكره ( قُلْ إِنِّي أُمِيرٌ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ) فجعل أن أكون خبراً ، وأن اسماً ، ثم عطف عليه ، وكما قال الشاعر :

حَجَّ وَأَوْصَى بِسُلَيْمَى الْأَعْبُدَا أَنْ لَا تَنْرَى وَلَا تُكَلِّمَ أَحَدًا

وَلَا يَنْزَلْ شَرَابَهَا مُسْبَرَدًا

فجعل قوله « أن لا تبرى » خبراً ، ثم عطف بالنهي ، فقال : ولا تكلم ، ولا ينزل .

القول في تأويل قوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرَزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ) :

يعنى تعالى ذكره بقوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ) ، ولا تندوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم ، فإن الله هو رازقكم وإياهم ، ليس عليكم رزقهم ، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم . والإملاق : مصدر ، من قول القائل : أملت من الزاد ، فأنا أملتق إملاقاً ، وذلك إذا فنى زاده ، وذهب ماله وأفلس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ) الإملاق : الفقر ، قتلوا أولادهم خشية الفقر .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ) أى خشية الفاقة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ) قال : الإملاق : الفقر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله ( مِنْ إِمْلَاقٍ ) قال : شياطينهم يأمرونهم أن يثدوا أولادهم خيفة العيلة .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، ولم أقف على قائلها ، والشاهد فيها أن « لا » فى قوله ( لا تبرى ) نافية ، وقد عطف عليها الفعل بعد ما مجزوماً بلا النافية ، كما قال أبو جعفر .

حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، في قوله ( مِمَّنْ أَمْلَاقٍ ) يعني : من خشية فقر .

القول في تأويل قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) :

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : وَلَا تَقْرَبُوا الظَّاهِرَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَاتِ عَلَيْكُمْ ، الَّتِي هِيَ عَلَانِيَةٌ بَيْنَكُمْ ، لَا تَتَنَاسَكُرُونَ رُكُوبَهَا ، وَالْبَاطِنَ مِنْهَا الَّذِي تَأْتُونَهُ سِرًّا فِي خِفَاءٍ لَا تَجَاهِرُونَ بِهِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ حَرَامٌ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّمَا قِيلَ لَا تَقْرَبُوا مَا ظَهَرَ مِنَ الْقَوَاحِشِ وَمَا بَطَّنَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْبِحُونَ مِنْ مَعَانِي الزَّانَا بَعْضًا . وَلَيْسَ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ بِمُدْفُوعٍ ، غَيْرَ أَنَّ دَلِيلَ الظَّاهِرِ مِنَ التَّنْزِيلِ ، عَلَى النَّهْيِ عَنْ ظَاهِرِ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَبَاطِنِهَا ، وَلَا خَبَرَ يَقْطَعُ الْعَدْرَ بِأَنَّهُ عَيْبٌ بِهِ بَعْضٌ دُونَ جَمِيعٍ ، وَغَيْرَ جَائِزٍ إِحَالَةَ ظَاهِرِ كِتَابِ اللَّهِ إِلَى بَاطِنٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا . ذَكَرَ مِنْ قَالَ : مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلٍ مِنْ قَالَ : الْآيَةُ خَاصَّةٌ الْمَعْنَى .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) أما ما ظهر منها : فزواني الحيوانات ، وأما ما بطن : فما خفي .

حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَسِرُّونَ بِالزَّانَا ، وَيُرُونَ ذَلِكَ حَلَالًا مَا كَانَ سِرًّا ، فَحَرَّمَ اللَّهُ السِّرَّ مِنْهُ وَالْعَلَانِيَةَ ( مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) يَعْنِي : الْعَلَانِيَةَ ( وَمَا بَطَّنَ ) يَعْنِي : السِّرَّ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) قَالَ : كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُرُونَ بِالزَّانَا بَأْسًا فِي السِّرِّ ، وَيَسْتَقْبِحُونَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ ، فَحَرَّمَ اللَّهُ الزَّانَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ؛ وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ بِمَثَلِ الَّذِي قُلْنَا فِيهِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) : سِرَّهَا وَعَلَانِيَتِهَا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، نحوه .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَا ظَهَرَ نِكَاحُ الْأَمْهَاتِ ، وَحَلَالُ الْأَبَاءِ ، وَمَا بَطَّنَ : الزَّانَا .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد ( وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ) قَالَ : مَا ظَهَرَ : جَمْعُ بَيْنِ الْأَخْتَيْنِ ، وَتَزْوِيجُ الرَّجُلِ أَمْرًا أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَمَا بَطَّنَ : الزَّانَا .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ زِيَادٍ الْعَطَّارُ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : ثنا محمد بن إسحاق البلخي ، قال

(١) يريد : أن يتزوج الرجل . . . الخ .

ثنا تميم بن شاكر الباهلي ، عن عيسى بن أبي حفصة ، قال : سمعت الضحاك يقول : في قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا  
 الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ) قال : ما ظهر الخمر ، وما بطن : الزنا .  
 القول في تأويل قوله ( وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) ، ذَلِكَكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ  
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : ( قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ، أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ،  
 وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) ، يعني بالنفس التي حرم الله قتلها : نفس مؤمن أو معاهد .  
 وقوله ( إِلَّا بِالْحَقِّ ) ، يعني : بما أباح قتلها به ، من أن تقتل نفسا ، فتقتل قودا بها ، أو تترقى وهي محصنة ،  
 فرجم ، أو ترتد عن دينها الحق فتقتل ، فذلك الحق الذي أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التي حرم على  
 المؤمنين قتلها به ، ( ذَلِكَكُمْ ) ، يعني : هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتية ، وأن لا ندعه ، هي  
 الأمور التي أوصانا والكافرين بها أن نعمل جميعا به ( لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) يقول : وصاكم بذلك لعلكم  
 تعقلون ما وصاكم به ربكم .

القول في تأويل قوله

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ  
 بِالْقِسْطِ لَأَنْكَلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ، وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ،  
 ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)

يقول يعني جل ثناؤه بقوله ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) ولا تقربوا ماله إلا بما فيه  
 صلاحه وتثميده .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ  
 الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : التجارة فيه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَا تَقْرَبُوا  
 مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) ، فليشمر ماله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق العنزي ، عن سليط بن بلال ،  
 عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : يتغنى له  
 فيه ، ولا يأخذ من ربحه شيئا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ  
 إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : التي هي أحسن : أن يأكل بالمعروف إن افتقر ، وإن استغنى فلا يأكل ،

قال الله ( وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ) قال : وسئل عن الكسوة فقال : لم يذكر الله الكسوة ، إنما ذكر الأكل .

وأما قوله ( حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ) فإن الأشد جمع شد ، كما الأضر جمع ضر ، وكما الأشر جمع شر ، والشد : القوة ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، كما شدّ النهار ارتفاعه وامتداده ، يقال : أتيت شدّ النهار ومدّ النهار ، وذلك حين امتداده وارتفاعه ؛ وكان المفضل فيما بلغني ينشد بيت عنتره :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّما خَضِبَ اللَّبَانُ ورَأْسُهُ بِالْعِظْلِيمِ ١

ومنه قول الآخر :

يُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ طَعِينَةً طَوِيلَةً أَنْقَاءَ الْيَدَيْنِ سَحُوقٌ ٢

وكان بعض البصريين يزعم أن الأشد ، اسم مثل الأثك . فأما أهل التأويل فإنها مختلفون في الحين الذي إذا بلغه الإنسان ، قيل بلغ أشده ، فقال بعضهم : يقال ذلك له إذا بلغ الحلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمي ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب ، عن عمرو بن الحارث ، عن ربيعة ، في قوله ( حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ) قال : الحلم .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، مثله . قال ابن وهب : وقال لي مالك مثله .

حدثت عن الحماني ، قال : ثنا هشيم ، عن مجاهد ، عن عامر ( حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ) قال : الأشد : الحلم ، حيث تكتب له الحسنات ، وتكتب عليه السيئات .

وقال آخرون : إنما يقال ذلك له إذا بلغ ثلاثين سنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ) قال : أما أشده : فثلاثون سنة ، ثم جاء بعدها ( حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ) ، وفي الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف . وذلك أن معنى الكلام : ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، حتى يبلغ أشده ، فإذا بلغ أشده فآنتسم منه رشدا ، فادفعوا إليه ماله ، لأنه جل ثناؤه لم يته

(١) البيت لعنتره في معلقته ( مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبي ص ٣٧٧ ) يصف بطلا من أبطال الحرب أصابه عنتره بطعنة من رعه ، فخر صريعا ، وشدّ النهار : ارتفاعه . ويروي معه النهار ، وهو امتداده . واللبان : صدر الفرس ، ويظهر أنه محرف عن اللبان ، كما في شرح الزوزني وشرح التبريزي على المعلقات ، وكما في مختار الشعر الجاهل . واللبان : الأصابع . والعظم : نبت يختضب به ، وهو الوسمة . يقول : رأيت عند ارتفاع النهار بعد قتل إياه ، وقد جف الدم عليه ، كأن أصابه ورأسه قد غضبت بالعظم . وفي اللسان : شدّ النهار : أي أشد النهار . يعني أعلاه وأتمه .

(٢) البيت في ( اللسان : سحق ) عن ابن الأعرابي . وشدّ النهار : أعلاه وأرفعه . والظئنة : المرأة ما دامت في الهودج ، وقيل مطلقا . والأنقاء : جمع نفق ، وهو كل عظم فيه مغ ، يريد قصب اليدين والرجلين . والسحوق الطويلة ، وأصله من صفات النخلة ، واستعار بعضهم السحوق للمرأة الطويلة ، وأنشد ابن الأعرابي : يطيف . . الخ .

أن يُقرب مال اليتيم في حال يتمه إلا بالتي هي أحسن ، حتى يبلغ أشده ، ويحلّ لوليه بعد بلوغه أشده أن يقربه بالتي هي أسوأ ، ولكنه نهاهم أن يقربوا حياطة منه له ، وحفظا عليه ، ليسلموه إليه إذا بلغ أشده . القول في تأويل قوله ( وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لَانْكَالِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) :

يقول تعالى ذكره : قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا ، وأن أوفوا الكيل والميزان يقول : لا تبخسوا الناس الكيل إذا كلتموهم ، والوزن إذا وزنتموهم ، ولكن أوفوهم حقوقهم ، وإيفاؤهم ذلك : إعطاؤهم حقوقهم تامّة بالقسط ، يعنى : بالعدل .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بالقسط : بالعدل . وقد بيّنا معنى القسط بشواهد في ماضى ، وكرهنا إعادته .

وأما قوله ( لَانْكَالِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) فإنه يقول : لانكلف نفسا من إيفاء الكيل والوزن إلا ما يسعها ، فيحلّ لها ، ولا تخرج فيه ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له ، فأمر المعطى بإيفاء ربّ الحقّ حقه الذي هو له ، ولم يكلفه الزيادة ، لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها ، وأمر الذي له الحقّ بأخذ حقه ، ولم يكلفه الرضا بأقلّ منه ، لما في التقصان عنه من ضيق نفسه ، فلم يكلف نفسا منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق ، فلذلك قال ( لَانْكَالِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) ، وقد استقصينا بيان ذلك بشواهد في موضع غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته . القول في تأويل قوله ( وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ) :

يقول تعالى ذكره بقوله ( وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ) : وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم ، فقولوا الحقّ بينهم ، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ، ولو كان الذي يتوجه الحقّ عليه والحكم ذا قرابة لكم ، ولا يحملنكم قرابة قريب ، أو صداقة صديق ، حكمتم بينه وبين غيره ، أن تقولوا غير الحقّ فيما احتكم إليكم فيه ، ( وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ) يقول : وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا ، وإيفاء ذلك : أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم ، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك هو الوفاء بعهد الله .

وأما قوله ( ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك : هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين ، هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا ، ووصاكم بها ربكم ، وأمركم بالعمل بها ، لا بالبحائر والسوائب والوسائل والحام ، وقتل الأولاد ، وواد البنات ، واتباع خطوات الشيطان . ( لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ) يقول : أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين ، ووصاكم بها ، وعهد إليكم فيها ، لتتذكروا عواقب أمركم ، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون ، فتتذكروا عنها ، وترتدعوا وتنبهوا إلى طاعة ربكم . وكان ابن عباس يقول : هذه الآيات هنّ الآيات المحكمات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عليّ بن أبي صالح ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن قيس ،



عن ابن عباس ، قال : هن الآيات المحكمات ، قوله ( قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ) .

حدثنا محمد بن المنثري ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا أبي ، قال : سمعت يحيى بن أيوب ، يحدث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدي بن الحيار ، قال : سمع كعب الأحماس رجلاً يقرأ ( قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ) فقال : والذي نفس كعب بيده ، إن هذا لأول شيء في التوراة ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن رجل ، عن الربيع بن خيثم أنه قال لرجل : هل لك في صحيفة عليها خاتم محمد ؟ ثم قرأ هؤلاء الآيات ( قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ) ، أن لا تشركوا به شيئاً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازي ، عن أبي سنان ، عن عمرو بن مرة ، قال : قال الربيع : ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل خاتمها ، فقرأ هذه الآيات ( قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : جاء إليه نفر فقالوا : قد جالست أصحاب محمد فحدثنا عن الوحي ، فقرأ عليهم هذه الآيات من الأنعام : قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ : أن لا تشركوا به شيئاً قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فما عندنا وحى غيره .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : هؤلاء الآيات التي أوصى بها من محكم القرآن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا ) قال : قولوا الحق .

#### القول في تأويل قوله

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَمُ  
وَصَّوَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)

يقول تعالى ذكره : وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس في هاتين الآيتين من قوله ( قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ) وأمركم بالوفاء به ، هو صراطه ، يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده ( مُسْتَقِيمًا ) يعني : قويمًا لا اعوجاج به عن الحق ( فَاتَّبِعُوهُ ) يقول : فاعملوا به ، واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه ، فاتبعوه ( وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ) يقول : ولا تسلكوا طريقًا سواه ، ولا تركبوا

منها غيرة ، ولا تبغوا ديننا خلافة من اليهودية والنصرانية والمجوسية ، وعبادة الأوثان ، وغير ذلك من الممال ، فإنها بدع وضلالات ( فَتَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) يقول : فيشتت بكم إن اتبعت السبل المخذلة ، التي ليست لله بسبل ولا طرق ، ولا أديان ، اتباعكم إياها عن سبيله ، يعنى : عن طريقه ودينه الذى شرعه لكم وارتضاه ، وهو الإسلام الذى وصى به الأنبياء ، وأمر به الأمم قبلكم . ( ذَلِكَ كُمْ وَصَاكُمْ بِهِ ) : يقول تعالى ذكره : هذا الذى وصاكم به ربكم من قوله لكم ( أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ) وصاكم به لعلكم تتقون ، يقول : لتتقوا الله فى أنفسكم فلا تهلكوها ، وتحذروا ربكم فيها ، فلا تسخطوه عايبا ، فيحل بكم نقمته وعذابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) قال : البدع والشبهات .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ) : البدع والشبهات .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) .  
وقوله ( وَأَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ) ونحو هذا فى القرآن ، قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات فى دين الله .  
حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) يقول : لا تتبعوا الضلالات .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ، فقال : « هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ، ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ خَطوطا ، فقال : هَذِهِ سُبُلٌ ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ( وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) قال : سبيله : الإسلام ، وصراطه : الإسلام ، نهاهم أن يتبعوا السبل سواه ، فتفرق بكم عن سبيله : عن الإسلام .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبان أن رجلا قال لابن مسعود :

ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد، وثم رجال يدعون من ربهم، فنأخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة؛ ثم قرأ ابن مسعود (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) . . . الآية .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (وَأَنْ) بفتح الألف من أن، وتشديد النون، ردًا على قوله (أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) بمعنى قل: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئًا، وأن هذا صراطي مستقيمًا. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (وَأَنْ) بكسر الألف من أن، وتشديد النون منها، على الابتداء، وانقطاعها عن الأول، إذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التي أوصى الله بها عباده دونهم .

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار وعوام المسلمين، صحيح معنيهما، فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته، وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر بتابع سبيله، كما أمر عباده بالأشياء، وإن أدخل ذلك مُدْخِلٌ فيما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين (تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا عَلَيْكُمْ) وما أمركم به، ففتح على ذلك «أَنْ» فصيب، وإن كسرهما، إذ كانت التلاوة قولًا، وإن كان بغير لفظ القول، لبعدها من قوله: أتل، وهو يريد إعمال ذلك فيه، فصيب، وإن كسرهما بمعنى ابتداء وانقطاع عن الأول والتلاوة، وأن ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوته على من أمر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك، فصيب. وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبي إسحاق البصري، وأن بفتح الألف من أن، وتخفيف النون منها، بمعنى: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئًا، وأن هذا صراطي، فحذفها، إذ كانت أن في قوله (أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) مخففة، وكانت «أَنْ» من قوله (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي) معطوفة عليها، فجعلها نظيرة ما عطفت عليه، وذلك وإن كان مذهبها، فلا أحب القراءة به، لشذوذها عن قراءة الأمصار، وخلاف ما هم عليه في أمصارهم .

## القول في تأويل قوله

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمِّمًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّمَهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ (١٥٤)

يعنى جل ثناؤه بقوله (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) ثم قل بعد ذلك يا محمد: أتى ربك موسى الكتاب، فترك ذكر قل، إذ كان قد تقدم في أول القصة ما يدل على أنه مراد فيها ذلك قوله (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا عَلَيْكُمْ) فقص ما حرم عليهم وأحل. ثم قال: ثم قل: آتينا موسى، فحذف قل لدلالة قوله قل عليه، وأنه مراد في الكلام .

(١) هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي، من أوائل نحاة البصرة، ومن شيوخ القراء بها، توفي سنة ١١٧ .

وإنما قلنا ذلك مراد في الكلام ، لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لاشك أنه بعث بعد موسى بدهر طويل ، وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه ، ومعلوم أن موسى أوتي الكتاب من قبل أمر الله محمدا بتلاوة هذه الآيات ، على من أمر بتلاوتها عليه ، وثم في كلام العرب حرف يدل على أن ما بعده من الكلام والخبر بعد الذي قبلها .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله ( تماما على الذي أحسن ) فقال بعضهم : معناه : تماما على المحسنين .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تماما على الذي أحسن ) قال : على المؤمنين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تماما على الذي أحسن ) المؤمنين والمحسنين . وكان مجاهدا وجه تأويل الكلام ومعناه إلى أن الله جل ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده .

فإن قال قائل : فكيف جاز أن يقال ( على الذي أحسن ) فيوحد الذي ، والتأويل على الذين أحسنوا ؟ قيل : إن العرب تفعل ذلك خاصة في الذي وفي الألف واللام ، إذا أرادت به الكل والجميع ، كما قال جل ثناؤه ( والعصير إن الإنسان لسن خسير ) وكما قالوا : أكثر الذي هم فيه في أيدي الناس ، وقد ذكّر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ( ذلك تماما على الذين أحسنوا ) ، وذلك من قراءته كذلك يؤيد قول مجاهد . وإذا كان المعنى كذلك ، كان قوله ( أحسن ) فعلا ماضيا ، فيكون نصبه لذلك وقد يجوز أن يكون أحسن في موضع خفض ، غير أنه نصب ، إذ كان أفعل ، وأفعل لا يجرى في كلامها ، فإن قيل : فبأي شيء خفض ؟ قيل : ردّا على الذي إذ لم يظهر له ما يرفعه .

فيكون تأويل الكلام حينئذ : ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي هو أحسن ، ثم حذف هو ، وجاور أحسن الذي ، فعرف بتعريفه ، إذ كان كالمعرفة ، من أجل أن الألف واللام لا يدخلانه ، والذي مثله كما تقول العرب : مررت بالذي خير منك وشر منك ، وكما قال الراجز :

إنّ الرُّبَيْرِيّ الَّذِي مِثْلُ الْحَلَمِّ مَسَى بِأَسْلَابِكُمْ أَهْلُ الْعَلَمِ ١

فأتبع مثل الذي في الإعراب ، ومن قال ذلك لم يقل : مررت بالذي عالم ، لأن عالما نكرة والذي معرفة ، ولا تتبع نكرة معرفة .

وقال آخرون : معنى ذلك : تماما على الذي أحسن موسى فيما امتحنه الله به في الدنيا ، من أمره ونهيه .

ذكر من قال ذلك :

(١) لم نقف على الراجز ، ولا قائله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ( *ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ* ) فيما أعطاه الله .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( *ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ* ) قال : من أحسن في الدنيا تمم الله له ذلك في الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( *ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ* ) يقول : من أحسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة . وعلى هذا التأويل الذي تأوله الربيع يكون أحسن نصبا ، لأنه فعل ماض ، والذي : بمعنى ما ، وكان الكلام حينئذ : *ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى مَا أَحْسَنَ مُوسَى* : أي آتيناه الكتاب لأنتم له كرامتي في الآخرة ، تماما على إحسانه في الدنيا في عبادة الله ، والقيام بما كلفه به من طاعته .

وقال آخرون في ذلك : معناه : *ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ* .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( *ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ* ) قال : تماما من الله وإحسانه الذي أحسن إليهم وهداهم للإسلام ، وآتاهم ذلك الكتاب تماما لنعيمته عليهم وإحسانه ، وأحسن على هذا التأويل أيضا في موضع نصب على أنه فعل ماض ، والذي على هذا القول ، والقول الذي قاله الربيع بمعنى ما ، وذكر عن يحيى بن يعمر ، أنه كان يقرأ ذلك ( *تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ* ) رفعا بتأويل على الذي هو أحسن .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا الحجاج ، عن هارون ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن يحيى بن يعمر .

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، وإن كان لها في العربية وجه صحيح ، لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قرآنة الأمصار .

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب : قول من قال : معناه : *ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا لِنَعْمَتِنَا عِنْدَهُ* ، على الذي أحسن موسى ، في قيامه بأمرنا ونهينا ، لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام ، وأن إيتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ، ومنة عظيمة ، فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه ، لما سلف له من صالح عمل ، وحسن طاعة ، ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد كان الكلام : *ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ* ، أو *ثُمَّ آتَى اللَّهُ مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ* ، وفي وصفه جل ثناؤه نفسه بإيتائه الكتاب ، ثم صرفه الخبر بقوله : أحسن ، إلى غير الخبر عن نفسه ، بقرب ما بين الخبرين ، الدليل الواضح على أن القول غير القول الذي قاله ابن زيد . وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه الذي إلى معنى الجميع ، فلا دليل في الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك ، بل ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه ؛ وإذا تنوزع في تأويل الكلام ، كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر ، إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح ، على أنه معنى به غير ذلك .

وأما قوله ( وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ) فإنه يعنى : وتبيننا لكل شىء من أمر الدين الذى أمروا به .  
 ﷺ فتأويل الكلام إذن : ثم آتينا موسى التوراة تماماً لنعمنا عنده ، وأيادينا قبيله ، وتم به كرامتنا عليه على  
 إحسانه ، وطاعته ربه ، وقيامه بما كلفه من شرائع دينه ، وتبيننا لكل ما لقومه وأتباعه إليه الحاجة من  
 أمر دينهم .

كما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ) فيه  
 حلاله وحرامه .

القول فى تأويل قوله ( وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ) :

ﷺ يقول تعالى ذكره : آتينا موسى الكتاب تماماً وتفصيلاً لكل شىء ( وَهَدَىٰ ) يعنى بقوله وهدى :  
 تقويماً لهم على الطريق المستقيم ، وبيانا لهم سبل الرشاد ، لئلا يضلوا ( وَرَحْمَةً ) يقول : ورحمة منا بهم ،  
 ورافة ، لننجيهم من الضلالة وعمى الخيرة .

وأما قوله ( لِّعَلَّاهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ) فإنه يعنى : إيتانى موسى الكتاب تماماً لكرامة الله  
 موسى على إحسان موسى ، وتفصيلاً لشرائع دينه ، وهدى لمن اتبعه ، ورحمة لمن كان منهم ضالاً ، لينجيهم  
 الله به من الضلالة ، وليؤمن بقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التى وعظ بها خلقه فيه ، فيرتدع عما هو عليه  
 مقيم من الكفر به ، وبلقائه بعد مماته ، فيطيع ربه ، ويصدق بما جاءه به نبيه موسى ، صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ، وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)

ﷺ يعنى جل ثناؤه بقوله ( وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ) : وهذا القرآن الذى أنزلناه إلى نبينا محمد  
 صلى الله عليه وسلم ، كتاب أنزلناه مبارك . ( فَاتَّبِعُوهُ ) يقول : فاجعلوه إماماً تتبعونه ، وتعملون بما فيه  
 أيها الناس . ( وَاتَّقُوا ) يقول : واحذروا الله فى أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه ، وتعدوا حدوده ،  
 وتستحلوا محارمه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ  
 مُبَارَكٌ ) وهو القرآن الذى أنزله الله على محمد عليه السلام ( فَاتَّبِعُوهُ ) يقول : فاتبعوا حلاله ، وحرّموا  
 حرامه . وقوله ( لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) يقول : لترحموا ، فتنجوا من عذاب الله ، وألم عقابه .

القول فى تأويل قوله

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِنَا ، وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ

لَمَفْلِينَ (١٥٦)

اختلف أهل العربية في العامل في « أن » التي في قوله ( أنْ تَقُولُوا ) ، وفي معنى هذا الكلام ، فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك : ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن : كراهية أن تقولوا : إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا .

وقال بعض نحويي الكوفة : بل ذلك في موضع نصب بفعل مضمر ، قال : ومعنى الكلام : فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ، اتقوا أن تقولوا ، قال : ومثله بقول الله ( أنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ) .

وقال آخرون منهم : هو في موضع نصب ، قال : ونصبه من مكانين ، أحدهما أنزلناه لثلاثا يقولوا : إنما أنزل الكتاب على . والآخر من قوله ( اتَّقُوا ) قال : ولا يصلح في موضع « أن » كقوله ( يَبْسِئُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ) .

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب : قول من قال : نصب « أن » لتعلقها بالإنزال ، لأن معنى الكلام : وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، لثلاثا تقولوا : إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا . فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله ، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد ، لثلاثا يقول المشركون : لم ينزل علينا كتاب فنبتعه ، ولم نؤمر ، ولم ننه ، فليس علينا حجة فيما نأتى ونذر ، إذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول ، وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا ، فإنهما اليهود والنصارى .

وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( أنْ تَقُولُوا : إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ) وهم اليهود والنصارى . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ) اليهود والنصارى ، يخاف أن تقوله قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد ( أنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ) قال : اليهود والنصارى : قال : أن تقول قريش . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ) وهم اليهود والنصارى .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ) أما الطائفتان : فاليهود والنصارى . وأما ( وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ) فإنه يعني : أن تقولوا : وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذي أنزلت عليهم غافلين ، لاندرى ما هي ، ولا نعلم ما يقرءون وما يقولون ، وما أنزل إليهم في كتابهم ، لأنهم كانوا أهل دوتنا ،

(١) الذي في الفخر ، « أنزلناه » أي القرآن : كراهة أن تقولوا . اه . وهو الظاهر من المقام .

ولم نعن به ، ولم نؤمر بما فيه ، ولا هو بلساننا ، فيتخذوا ذلك حجة ، فقطع الله بإنزاله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجته تلك .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَإِنْ كُنْتُمْ عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ) يقول : وإن كنا عن تلاوتهم لغافلين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنْ كُنْتُمْ عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ) أي عن قراءتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِنْ كُنْتُمْ عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ) قال : الدراسة : القراءة والعلم ؛ وقرأ ( وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ) قال : علموا ما فيه لم يأتوه بجهالة . حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَإِنْ كُنْتُمْ عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ) يقول : وإن كنا عن قراءتهم لغافلين ، لانعلم ما هي ؟

القول في تأويل قوله

أَوْ تَقُولُوا : لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَاءَ كُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ، سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)

يقول تعالى ذكره : وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، لتلا يقول المشركون من عبدة الأوثان من قريش : إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ، أو لتلا يقولوا : ( لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ ) كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا ، فأمرنا فيه ونهينا ، وبسبب لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه ( لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ) : أي لكننا أشد استقامة على طريق الحق ، واتباعا للكتاب ، وأحسن عملا بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا ، يقول الله ( فَقَدْ جَاءَ كُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ) يقول : فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربي مبين ، حجة عليكم واضحة بينة من ربكم ( وَهُدًى ) يقول : وبيان للحق ، وفرقان بين الصواب والخطأ ( وَرَحْمَةٌ ) لمن عمل به واتبعه :

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ) ، فقد جاءكم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ) يقول : قد جاءكم بينة لسان عربي مبين ، حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين ، وحين قلتم : لو جاءنا كتاب لكننا أهدى منهم .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ) فهذا قول كفار العرب ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً .

القول في تأويل قوله ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ، سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ) :

يقول جل ثناؤه : فمن أخطأ فعلا ، وأشدّ عدوانا منكم أيها المشركون ، المكذّبون بحجج الله وأدلته : وهى آياته ( وَصَدَفَ عَنْهَا ) يقول : وأعرض عنها بعد ما أتته ، فلم يؤمن بها ، ولم يصدق بحقيقتها ، وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ ) مخرج الخبر عن الغائب ، والمعنى به المخاطبون به من مشركى قريش .

وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله ( وَصَدَفَ عَنْهَا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَصَدَفَ عَنْهَا ) يقول : أعرض عنها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَصْدِفُونَ ) عَنْ آيَاتِنَا : يعرضون عنها ، والصدف : الإعراض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَصَدَفَ عَنْهَا ) أعرض عنها ، ( سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ) أى يعرضون :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَصَدَفَ عَنْهَا ) فصد عنها .

وقوله ( سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ ) :

يقول : سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ، ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلّهم عليه من توحيد الله ، وحقية نبوة نبيه ، وصدق ما جاءهم به من عند ربهم ، سوء العذاب : يقول : شديد العقاب ، وذلك عذاب النار التى أعدّها الله لكفرة خلقه به . ( بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ) يقول : يفعل الله ذلك بهم ، جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته فى الدنيا ، فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ، أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ

يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي

إِيْمَانِهَا خَيْرًا ، قُلِ انتظروا إِنَّا مُنتظرون (١٥٨)

يقول جل ثناؤه : هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام ، (إلا أن تأتيهم الملائكة بالمولت ، فتقبض أرواحهم ، أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك) : يقول : أو أن يأتيهم بعض آيات ربك ، وذلك فيما قال أهل التأويل : طلوع الشمس من مغربها . ذكر من قال من أهل التأويل ذلك .

حدثني الثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا أن تأتيهم الملائكة) يقول : عند الموت حين توفاهم ، أو يأتي ربك ذلك يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك) : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلا أن تأتيهم الملائكة) بالمولت (أو يأتي ربك) يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك) قال : آية موجبة طلوع الشمس من مغربها ، أو ما شاء الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) يقول : بالمولت (أو يأتي ربك) وذلك يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) عند الموت (أو يأتي ربك) ، أو يأتي بعض آيات ربك (يقول : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله في قوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) ، أو يأتي ربك ، أو يأتي بعض آيات ربك) قال : يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبيل المغرب كالبعيرين القرينين ؛ زاد ابن حميد في حديثه ، فذلك حين (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً) وقال : كالبعيرين المقترنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) تقبض الأنفس بالمولت (أو يأتي ربك) يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك) .

القول في تأويل قوله (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) :

يقول تعالى ذكره : يوم يأتي بعض آيات ربك ، لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية . وقيل : إن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه أن الكافر لا ينفعه إيمانه عند مجيئها : طلوع الشمس من مغربها .

ذكر من قال ذلك ، وما ذكر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثني عيسى بن عثمان الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ) قال : طلوع الشمس من مغربها » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، وجريير عن عمارة ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، قَالَ : فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيَّهَا ، فَيَتِلَّكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا » .

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري وإسحاق بن شاهين ، قالا : أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان ، عن يونس ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما : « أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : إِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثُ شِئْتِ ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ، ثُمَّ تَجْرِي إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّ لَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثُ شِئْتِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ، ثُمَّ تَجْرِي لَا يُسْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا ، حَتَّى تَنْتَهِيَ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فِي مُسْتَقَرِّ لَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتُصْبِحُ النَّاسُ لَا يُسْكِرُونَ مِنْهَا شَيْئًا ، فَيُقَالُ لَهَا : اطْلُعِي مِنْ مَغْرِبِكَ ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذَلِكَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا » .

حدثنا مؤمل بن هشام ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا ابن علقمة ، عن يونس ، عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن عاصم ، عن زرارة ، عن صفوان بن عسال ، قال : ثنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ ، لَمْ يَنْفَعِ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا » .

حدثنا المفضل بن إسحاق ، قال : ثنا أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد الياشي ، عن أبيه ، عن زبيد ، عن زرارة بن حبيش ، عن صفوان بن عسال المرادي ، قال : ذكرت التوبة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« للتَّوْبَةِ بَابٌ بِالْمَغْرِبِ مَسِيرَةً سَبْعِينَ عَاماً أَوْ أَرْبَعِينَ عَاماً ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ » .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زُرِّ بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ، أنه قال : « إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين عاماً ، فإذا طلعت الشمس من مغربها ، لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً » .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عمار بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمِنًا مَنَ عَلَيْهَا ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَيَتَوَمَّئِدُ يَوْمَئِذٍ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ » ، أو كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي عون ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : « التوبة مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها » .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن ، قال : ثنا ابن عياش ، قال : ثنا ضَمُّمُ بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن مالك بن يخامر ، عن معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة وجعفر بن عون ، بنحوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي حَيَّان التيمي ، عن أبي زرعة ، قال : جلس ثلاثة من المسلمين إلى مروان بن الحكم بالمدينة ، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات ، أن أولها خروج الدجال ، فانصرف القوم إلى عبد الله بن عمرو ، فحدثوه بذلك ، فقال : لم يقل مروان شيئاً قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيئاً لم أنسه ، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، أَوْ خُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضَحَاً ، أَيْتُهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا ، فَالْأُخْرَى عَلَى أُثْرِهَا قَرِيْبًا » . ثم قال عبد الله بن عمرو ، وكان يقرأ الكتب : أظن أولها خروجاً : طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غربت أنت تحت العرش ، فسجدت واستأذنت في الرجوع ، فيؤذن لها في الرجوع ، حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل

أتت تحت العرش ، فسجدت واستأذنت في الرجوع ، فلم يردّ عليها شيئا ، ففعل ذلك ثلاث مرات لا يردّ عليها بشيء ، حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب ، وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق ، قالت : ما أبعد المشرق ربّ من لى بالناس ، حتى إذا صار الأفق كأنه طوق ، استأذنت في الرجوع ، فقيل : إذا اطلعتي من مكانك ، فتطلع من مغربها ، ثم قرأ (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْتَفِعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا) . . . إلى آخر الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو ربيعة فهد ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد أبي حيان ، عن الشعبي ، أن ثلاثة نفر دخلوا على مروان بن الحكم ، فذكر نحوه ، عن عبد الله بن عمرو .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : سمعت عاصم بن أبي النجود يحدث عن زرّ بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ بِالْمَغْرِبِ بَابًا مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَامًا ، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن حجاج ، عن عاصم ، عن زرّ بن حبيش ، عن صفوان ابن عسال ، قال : إذا طلعت الشمس من مغربها ، فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو ربيعة فهد ، قال : ثنا عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش ، قال : غدونا إلى صفوان بن عسال ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ ، عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عَامًا ، فَلَا يَزَالُ مَفْتُوحًا حَتَّى تَطْلُعَ مِنْ قِبَلِهِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ قَرَأَ ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ، أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ) . . . إلى ( خَيْرًا ) » .

حدثني الربيع بن سليمان ، قال : ثنا شعيب بن الليث ، قال : ثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز ، أنه قال : قال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ الْمَغْرِبِ ، قَالَ : فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ الْمَغْرِبِ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْتَفِعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا قَبِلَ مِنْهُ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا فهد ، قال : ثنا حماد ، عن يونس بن عبيد ، عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبي ذرّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الشَّمْسَ إِذَا غَرَبَتْ أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْجَدُ ، فَيُقَالُ لَهَا : اطْلُعِي مِنْ حَيْثُ غَرَبْتِ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) . . . إلى آخر الآية » .

حدثني المنفي ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : « كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار ، فنظر إلى الشمس حين غربت ، فقال : إنها تغرب في عشرين حمئة ، تنطلق حتى تخير لربها ساجدة تحت العرش ، حتى يأذن لها ، فإذا أراد أن يطليها من مغربها حبسها ، فتقول : يا رب إن مسيري بعيد ، فيقول لها : اطلعي من حيث غربت ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن موسى بن المسيب ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : نظر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً إلى الشمس فقال : « يوشك أن تجيء حتى تقف بين يدي الله ، فيقول : ارجعي من حيث جئت ، فعند ذلك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع أهل الإيمان لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً ) فهو أنه لا ينفع مشركاً إيمانه عند الآيات ، وينفع أهل الإيمان عند الآيات ، إن كانوا اكتسبوا خيراً قبل ذلك ، قال ابن عباس : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات ، فقال لهم : يا عباد الله ، توبوا إلى الله ، فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب ، فإذا فعلت ذلك حبست التوبة ، وطوى العمل ، وختم الإيمان ، فقال الناس : هل لذلك من آية يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آية تليكم الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليل ، فيستيقظ الذين يخشون ربهم ، فيصلون له ، ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقص ، ثم يأتون مصابيحهم فينامون ، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه ، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم ، فإذا أصبحوا وطال عليهم طلوع الشمس ، فبيناهم ينتظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب ، فإذا فعلت ذلك ، لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوءمة ، عن أبي هريرة ، أنه سمعه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها ) . . . الآية .

وبه قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني بن أبي عتيق ، أنه سمع عبيد بن عمير يتلو ( يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ) قال : يقول : نتحدث والله أعلم ، أنها الشمس تطلع من مغربها .

قال ابن جريج : وأخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك .  
 قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن أبي مليكة ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : إن الآية التي  
 ( لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ) إذا طلعت الشمس من مغربها . قال ابن جريج : وقال مجاهد ذلك أيضا .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن مسعود  
 ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ) قال : طلوع الشمس من مغربها .  
 حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالوا ثنا محمد بن جعفر ، قال ثنا شعبة ، قال سمعت  
 قتادة يحدث عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ )  
 قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي وعبد الوهاب بن عوف ، عن ابن سيرين ، قال : نفي  
 أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، قال : كان عبد الله بن مسعود يقول : ما ذكر من الآيات فقد مضى  
 غير أربع : طلوع الشمس من مغربها ، ودابة الأرض ، والدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والآية  
 التي تختم بها الأعمال : طلوع الشمس من مغربها ، ألم تر أن الله قال ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ  
 لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أو كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ) قال : فهي طلوع  
 الشمس من مغربها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ،  
 قال : قال عبد الله ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ) قال : طلوع الشمس من  
 مغربها مع القمر ، كأنهما بعيران مقرونان .  
 قال شعبة : وحدثنا قتادة ، عن زرارة ، عن عبد الله بن مسعود ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ )  
 قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن  
 مسعود ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ) قال : طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين المقترنين .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور والأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق  
 عن عبد الله ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ) قال : طلوع الشمس من مغربها  
 مع القمر كالبعيرين المقترنين .

وقال : ثنا أبي ، عن إسرائيل وأبيه ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، عن عبد الله ، قال :  
 التوبة مبسوطة ما لم تطالع الشمس من مغربها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن ابن أم عبد كان يقول :  
 لا يزال باب التوبة مفتوحا حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رأى الناس ذلك آمنوا ، وذلك حين لا ينفع  
 نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ آمَنَ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

وقال : حدثنا أبي ، عن الحسن بن عقبة أبي كيران عن الضحاك ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرني أشعث ابن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، في قوله ( لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ) قال : لاتزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر عن القُرظي أنه كان يقول في هذه الآية ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ) : يقول : إذا جاءت الآيات لم ينفع نفسا إيمانها ، يقول : طلوع الشمس من مغربها .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زُرَّ بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله بن عمرو ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

وقال آخرون : بل ذلك بعض الآيات الثلاثة : الدابة ، وبأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن المسعودي ، عن القاسم ، قال : قال عبد الله : التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث ما لم تطلع الشمس من مغربها ، أو الدابة ، أو فتح يأجوج ومأجوج .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا المسعودي ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : قال عبد الله : التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ، ما لم تخرج إحدى ثلاث : الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج يأجوج ومأجوج .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : إذا خرج أول الآيات طرحت الأقلام ، وحبت الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث إذا خَرَجَتْ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالذَّجَالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ » .  
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا معاوية بن عبد الكريم ، قال : ثنا الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا : طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالذَّجَالَ ، وَالذُّخَانَ ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ ، وَخُوبِصَةَ أَحَدِ كُفْمٍ ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ، فذكر نحوه .

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك : ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها .

وأما قوله ( أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ) فإنه يعني : أو عملت في تصديقها بالله خيرا من عمل صالح تصدق قبله وتحققه ، من قبل طلوع الشمس من مغربها ، لا ينفذ كافرا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها ، كذلك إيمانه بالله إن آمن ، وصدق بالله ورسله ، لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله ، لعظيم الحول الوارد عليهم من أمر الله ، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة ، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحداية الله ، لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ، ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار ، ولا ينفذ من كان بالله وبرسوله مصدقا ، ولفرائض الله مضيعة ، غير مكتسب بجوارحه لله طاعة ، إذا هي طلعت من مغربها ، أعماله إن عمل ، وكسبه إن اكتسب ، لتفريظه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ) .  
يقول : كسبت في تصديقها خيرا : عملا صالحا ، فهؤلاء أهل القبلة ، وإن كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيرا ، فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها ، وإن عملت قبل الآية خيرا ، ثم عملت بعد الآية خيرا ، قبيل منها .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا ) قال : من أدركه بعض الآيات ، وهو على عمل صالح مع إيمانه ، قبيل الله منه العمل بعد نزول الآية ، كما قبيل منه قبل ذلك القول في تأويل قوله ( قُلْ ائْتِظِرُّوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ) :

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين برهبهم الأوثان والأصنام :

انتظروا أن تأتيكم الملائكة بالمولت ، فتقبض أرواحكم ، أو أن يأتي ربكم لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة ، أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها ، فتطوى صحائف الأعمال ، ولا ينفعكم فيما نكم حينئذ إن آمنتم ، حتى تعلموا حينئذ الحق منا من المبتطل ، والمسيء من المحسن ، والصادق من الكاذب ، وتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله ، ومن الناجي منا ومنكم ، ومن الهالك ؟ إنا منتظرو ذلك ، ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه ، وإخلاصنا العبادة له ، وإفراذناه بالربوبية دون ما سواه ، ويفصل بيننا وبينكم بالحق ، وهو خير الفاصلين .

#### القول في تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ، وَكَانُوا شِعْمًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ، إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)

اختلف القراء في قراءة قوله ( فَرَّقُوا ) فروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، أن عليا رضي الله عنه ، قرأ ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، قال : قال حمزة الزيات ، قرأها على رضي الله عنه ( فَرَّقُوا دِينَهُمْ ) .

وقال : ثنا الحسن بن علي ، عن سفيان ، عن قتادة ( فَرَّقُوا دِينَهُمْ ) وكان عليا ذهب بقوله ( فَرَّقُوا دِينَهُمْ ) : خرجوا فارتدوا عنه من المفارقة .

وقرأ ذلك عبد الله بن مسعود كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن رافع ، عن زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق أن عبد الله كان يقرأها ( فَرَّقُوا دِينَهُمْ ) ، وعلى هذه القراءة ، أعنى قراءة عبد الله قراء المدينة والبصرة ، وعامة قراء الكوفيين ، وكان عبد الله تأول بقراءته ذلك كذلك ، أن دين الله واحد ، وهو دين إبراهيم الخنيفية المسلمة ، ففرق ذلك اليهود والنصارى ، فتهود قوم ، وتنصر آخرون ، فجعلوه شيعة متفرقة .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القراء ، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه ، وذلك أن كل ضال فلديه مفارق ، وقد فرق الأحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده ، فتهود بعض ، وتنصر آخرون ، وتمجس بعض ، وذلك هو التفريق بعينه ، ومصير أهله شيعة متفرقين غير مجتمعين ، فهم لدين الله الحق مفارقون ، وله مفارقون ، فبأى ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب ، غير أني أختار القراءة بالذي عليه عظم القراء ، وذلك تشديد الرأ من فرقوا .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ) فقال بعضهم : عنى بذلك اليهود والنصارى .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وكانوا شيعاً ) قال : يهود .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فرّقوا دينهم )  
قال : هم اليهود والنصارى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إن الذين فرّقوا دينهم )  
وكانوا شيعاً ) من اليهود والنصارى .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( إن الذين فرّقوا دينهم )  
وكانوا شيعاً ، لست منهم في شيء ) هؤلاء اليهود والنصارى .  
وأما قوله ( فرّقوا دينهم ) فيقول : تركوا دينهم وكانوا شيعاً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
قوله ( إن الذين فرّقوا دينهم ) وكانوا شيعاً ) وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد  
فتفرقوا ، فلما بعث محمد أنزل الله ( إن الذين فرّقوا دينهم ) وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ) :  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت  
الضحاك يقول في قوله ( إن الذين فرّقوا دينهم ) وكانوا شيعاً ) يعني : اليهود والنصارى .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين بن علي ، عن شيبان ، عن قتادة ( فرّقوا دينهم ) قال : هم  
اليهود والنصارى .

وقال آخرون : عنى بذلك : أهل البدع من هذه الأمة ، الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة  
قال ( إن الذين فرّقوا دينهم ) قال : نزلت هذه الآية في هذه الأمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة ( إن الذين فرّقوا دينهم )  
وكانوا شيعاً ) قال : هم أهل الضلالة .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقر بن الوليد ، قال : كتب إلى عباد بن كثير ، قال :  
ثني ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ( إن  
الذين فرّقوا دينهم ) وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ، وليسوا منك هم أهل البدع  
وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه برىء ممن فارق

دينه الحق ، وفرقه ، وكانوا فرقا فيه وأحزابا شيعا ، وأنه ليس منهم ، ولا هم منه ، لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام ، دين إبراهيم الخنيفية ، كما قال له ربه وأمره أن يقول : ( قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، دِينًا قَبِيْمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) فكان من فارق دينه الذي بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ، ووثني ، ويهودي ، ونصراني ، ومتحنف مبتدع ، قد ابتدع في الدين ما ضل به عن الصراط المستقيم ، والدين القويم ، ملة إبراهيم المسلم ، فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحمد منه بريء ، وهو داخل في عموم قوله ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ) .

وأما قوله ( لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِتْمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : نزلت هذه الآية على نبي الله بالأمر بترك قتال المشركين قبل وجوب فرض قتالهم ، ثم نسخها الأمر بقتالهم في سورة براءة ، وذلك قوله ( فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِتْمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ) لم يؤمر بقتالهم ، ثم نسخت ، فأمر بقتالهم في سورة براءة .  
وقال آخرون : بل نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لإعلاما من الله له ، أن من أمته من يتحدث بعده في دينه ، وليست بمسوخة ، لأنها خبر ، لأمر ، والنسخ إنما يكون في الأمر والنهي .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مالك بن ميعول ، عن علي بن الأقرع ، عن أبي الأحوص ، أنه تلا هذه الآية ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ) ثم يقول : بريء نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي وابن إدريس وأبو أسامة ويحيى بن آدم ، عن مالك بن ميعول ، بنحوه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا شجاع أبو بدر ، عن عمرو بن قيس الملاء ، قال : قالت أم سلمة : ليتق امرؤ ألا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ، ثم قرأت ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا ، لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ) قال عمرو بن قيس : قالها مرة الطيب ، وتلا هذه الآية .  
والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن قوله ( لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ) إعلام من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء ، ومن الأحزاب من مشركي قومه ومن اليهود والنصارى ، وليس في إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم ، لأنه غير محال أن يقال في الكلام : لست من دين اليهود والنصارى في شيء فقاتلهم ، فإن أمرهم إلى الله في أن يتفضل على من شاء منهم ، فيتوب عليه ، ويهلك من أراد إهلاكه منهم كافرا ، فيقبض روحه ، أو يقتله بيدك على كفره ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدمهم عليه . وإذا كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم ، وقوله ( لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ )

فِي شَيْءٍ لِّمَّا أَمَرُهُمْ إِلَى اللَّهِ) ولم يكن في الآية دليل واضح على أنها منسوخة ، ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خير ، كان غير جائز أن يقضى عليها بأنها منسوخة ، حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك ، لما قد بيننا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه في حال واحدة في كتابنا « كتاب اللطيف ، عن أصول الأحكام » .

﴿ وَأَمَّا قَوْلُهُ (لِّمَّا أَمَرُهُمْ إِلَى اللَّهِ) فَلِإِنَّهُ يَقُولُ : أَنَا الَّذِي إِلَى أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شُعْبًا ، وَالْمُبْتَدِعَةَ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ اضْطَلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ دُونَكَ ، وَدُونَ كُلِّ أَحَدٍ ، إِمَّا بِالْعُقُوبَةِ إِنْ أَقَامُوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ ، وَفَرَقَهُمْ دِينَهُمْ ، فَأَهْلَكَهُمْ بِهَا ، وَإِمَّا بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ وَالتَّفَضُّلِ مِنِّي عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ، يَقُولُ : ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ وِرْوَدِهِمْ عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فَأَجَازَى كُلًّا مِنْهُمْ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَفْعَلُونَ ، أَحْسَنَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ ، وَالْمَسِيءَ بِالْإِسَاءَةِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ جُلَّ ثَنَائِهِ مَا مَبْلَغُ جَزَائِهِ مِنْ جَازِي مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ أَوْ بِالْإِسَاءَةِ ، فَقَالَ (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) .

القول في تأويل قوله

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : مَنْ وَافَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَوْقِفٍ ، الْحَسَابُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شُعْبًا بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ ، وَالْإِقْلَاعِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مَقِيمٌ مِنْ ضَلَالَتِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْحَسَنَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ ، فَقَالَ : مَنْ جَاءَ بِهَا فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ (فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا) فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالِ حَسَنَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا . (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يَقُولُ : وَمَنْ وَافَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُمْ بِفِرَاقِ الدِّينِ الْحَقِّ وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ ، فَلَا يُجْزَى إِلَّا مَا سَاءَ مِنْ الْجَزَاءِ ، كَمَا وَافَى اللَّهُ بِهِ مِنْ عَمَلِهِ السَّيِّئِ . (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) يَقُولُ : وَلَا يُظْلَمُ اللَّهُ الْفَرِيقَيْنِ : لِفَرِيقِ الْإِحْسَانِ ، وَلَا لِفَرِيقِ الْإِسَاءَةِ ، بَأَنَّهُ يُجَازَى الْحَسَنَ بِالْإِسَاءَةِ ، وَالْمَسِيءَ بِالْإِحْسَانِ ، وَلَكِنَّهُ يُجَازَى كُلًّا الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْجَزَاءِ مَا هُوَ لَهُ ، لِأَنَّهُ جُلَّ ثَنَائِهِ حَكِيمٌ ، لَا يَضَعُ شَيْئًا إِلَّا فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَضَعَهُ فِيهِ ، وَلَا يُجَازَى أَحَدًا إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْجَزَاءِ .

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الظلم : وضع الشيء في غير موضعه بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما ذكرت ، من أن معنى الحسنه في هذا الموضع الإيمان بالله ، والإقرار بوحدانيته ، والتصديق برسوله ، والسيئة فيه الشرك به ، والتكذيب لرسوله ، فلإيمان أمثال ، فيجازى بها المؤمن ، وإن كان له مثل فكيف يجازى به ، والإيمان إنما هو عندك قول وعمل ، والجزاء من الله لعباده

عليه الكرامة في الآخرة ، والإنعام عليه بما أعدّ لأهل كرامته من النعيم في دار الخلود ، وذلك أعيان ترى وتعاين وتحسّ ، ويلتذّب بها ، لا قول يُسمع ، ولا كسب جوارح ؟ قيل : إن معنى ذلك غير الذي ذهب إليه ، وإنما معناه : من جاء بالحسنة فوافى الله بها له مطيعا ، فإن له من الثواب ثواب عشر حسنات أمثالها ، فإن قلت : فهل لقول : لا إله إلا الله من الحسنات مثل ؟ قيل : له مثل هو غيره ، وليس له مثل هو قول لا إله إلا الله ، وذلك هو الذي وعد الله جلّ ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب ، بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله ، وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التي هي الشرك ، إلا أنه لا يجازي صاحبها عليها إلا ما يستحقه عليها ، من غير إضعافه عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما نزلت ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ) قال رجل من القوم : فإن لا إله إلا الله حسنة ؟ قال : نعم ، أفضل الحسنات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن الأعمش والحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شدّاد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) : لا إله إلا الله .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا الأعمش والحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شدّاد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله ، قال ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : من جاء بلا إله إلا الله ، قال ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شدّاد ، عن الأسود ابن هلال ، عن عبد الله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية بن عمرو المعنى عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : لا إله إلا الله كلمة الإخلاص ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، وعن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد والقاسم بن أبي بزة ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قالوا : لا إله إلا الله كلمة الإخلاص ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قالوا : بالشرك والكفر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : لا إله إلا الله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الشرك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي المحجل ، عن إبراهيم ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : لا إله إلا الله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الشرك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي المحجل ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر ، قال : كان إبراهيم يحلف بالله ما يستنفي ، أن ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) لا إله إلا الله ، ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) : من جاء بالشرك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : كلمة الإخلاص : لا إله إلا الله ، ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : بالشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، وحدثنا المثني بن إبراهيم ، قال : ثنا أبو نعيم جميعا ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : لا إله إلا الله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عثمان بن الأسود ، عن القاسم بن أبي بزة ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : كلمة الإخلاص ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الكفر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة ، عن الضحاك ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن أشعث ، عن الحسن ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) يقول : من جاء بلا إله إلا الله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الشرك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) فَكَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ، وَهُمْ لَا يُبْطَلُونَ ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « الأعمال سيرة : موجبة وموجبة ، ومضعفة ومضعفة ، ومثل ومثل ، فأما الموجبتان : فمن لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقي الله مشركا به دخل النار . وأما المضعف والمضعف : فنسفة المؤمن في سبيل الله سبع مئة ضعف ، ونسفته على أهل بيته : عشر أمثاله . وأما مثل ومثل : فإذا هم

العَبْدُ بِحَسَنَةٍ فَكَلِمٌ يَعْمَلُهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ نُمِّمَ عَمَلُهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شيخ من التميم ، عن أبي ذرٍّ ، قال : قلت : يا رسول الله علمني عملاً يقربني إلى الجنة ، ويباعدني من النار ، قال : « إِذَا عَمَلْتَ سَيِّئَةً فاعْمَلْ حَسَنَةً » ، فَإِنَّهَا عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، قال : قلت : يا رسول الله ، لا إله إلا الله من الحسنات ؟ قال : هي أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ .

وقال قوم : عنى بهذه الآية : الأعراب ؛ فأما المهاجرون ، فإن حسناتهم سبع مئة ضعف أو أكثر .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة ، عن أبي الصديق الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ، في قوله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ) قال : هذه للأعراب ، وللمهاجرين سبع مئة .

حدثنا محمد بن نشيط بن هارون الحرابي ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق . عن عطية العوفي ، عن عبد الله بن عمر ، قال : نزلت هذه الآية في الأعراب ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ) قال : قال رجل : فما للمهاجرين ؟ قال : ما هو أعظم من ذلك ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا ، وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ) وإذا قال الله لشيء عظيم ، فهو عظيم .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، قال : نزلت هذه الآية ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ) وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ، ويؤدّون عَشْرَ أَمْوَالِهِمْ ، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك : صوم رمضان ، والزكاة .

فإن قال قائل : وكيف قيل عشر أمثالها ، فأضيف العشر إلى الأمثال ، وهي الأمثال ، وهل يضاف الشيء إلى نفسه ؟ قيل : أضيفت إليها ، لأنه مراد بها : فله عشر حسنات أمثالها ، فالأمثال حلّت محلّ المفسر ، وأضيف العشر إليها ، كما يقال : عندي عشر نسوة ، فلأنه أريد بالأمثال مقامها ، فقيل : عشر أمثالها ، فأخرج العشر مخرج عدد الآيات ، والمِثْلُ مذكور لا مؤنث ، ولكنها لما وضعت موضع الآيات ، وكان المِثْلُ يقع للمذكر والمؤنث ، فجعلت خلفاً منها ، فعمل بها ما ذكرت ؛ ومن قال : عندي عشر أمثالها ، لم يقل : عندي عشر صالحات ، لأن الصالحات فعل لا يبعد ، وإنما تعدّ الأسماء ، والمِثْلُ اسم ، ولذلك جاز العدد به . وقد ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك ( فَلَهُ عَشْرُ ) بالتنوين ( أَمْثَالِهَا ) بالرفع ، وذلك على وجه صحيح في العربية ، غير أن القرّاء في الأمصار على خلافها ، فلا نستجيز خلافاً ، فيها هي عليه مجتمعة .

(١) لا يخفى ما فيه ، ولعل الأصل ولأنه أريد بالأمثال الآيات ، وأقيمت الأمثال مقامها قيل الخ .



## القول في تأويل قوله

قُلْ: إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، دِينًا قِيَمًا مِثْلَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد هؤلاء العادلين بربههم الأوثان والأصنام: (إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول: قل لهم: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم، هو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة، فوفقني له (دِينًا قِيَمًا) يقول: مستقيماً. (مِثْلَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ) يقول: دين إبراهيم (حَنِيفًا) يقول: مستقيماً (وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ) يقول: وما كان من المشركين بالله، يعني: إبراهيم صلوات الله عليه، لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام.

واختلفت القراء في قراءة قوله (دِينًا قِيَمًا) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة، وبعض البصريين (دِينًا قِيَمًا) بفتح القاف وتشديد الياء، إلحاقاً منهم ذلك بقول الله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) وبقوله (ذَلِكَ دِينُ الْقَسِيمَةِ). وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (دِينًا قِيَمًا) بكسر القاف، وفتح الياء وتخفيفها، وقالوا: الْقَسِيمُ وَالْقَسِيمُ بمعنى واحد، وهما لغتان معناهما: الدين المستقيم.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ، فهو للصواب مصيب، غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب إلى، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما. ونصب قوله (دِينًا) على المصدر من معنى قوله (إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). وذلك أن المعنى: هداني ربي إلى دين قويم، فاهتديت له (دِينًا قِيَمًا) فالدين منصوب من المحذوف الذي هو اهتديت، الذي ناب عنه قوله (إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). وقال بعض نحويي البصرة: إنما نصب ذلك، لأنه لما قال (هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قد أخبر أنه عرف شيئاً، فقال (دِينًا قِيَمًا) كأنه قال: عرفت ديناً قِيَمًا مِثْلَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ. وأما معنى الحنيف، فقد بينته في مكانه في سورة البقرة بشواهد، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

## القول في تأويل قوله

قُلْ: إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هؤلاء العادلين بربههم الأوثان، والأصنام، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل، من عبادة الآلهة والأوثان (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي)

يقول : وذبحي . ( وَنَحْيَا ) يقول : وحياتي ( وَنَمَاتِي ) يقول : ووفاتي ( اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ) يعني أن ذلك كله له خالصا ، دون ما أشركتم به أيها المشركون من الأوثان ( لِأَشْرِيكَ لَهُ ) في شيء من ذلك من خلقه ، ولا لشيء منهم فيه نصيب ، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصا . ( وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ) يقول : وبذلك أمرني ربي ( وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ) يقول : وأنا أول من أقر وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه ، بأن ذلك كذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال : النَّسْكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : الذَّبِيحُ :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ) قال : النَّسْكَ : الذَّبَائِحُ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَنُسُكِي ) : ذَبِيحَتِي فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَنُسُكِي ) : ذَبِيحَتِي فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، وليس بابن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( صَلَاتِي وَنُسُكِي ) قال : ذَبِيحِي .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن إسماعيل ، عن سعيد ابن جبير ، في قوله ( صَلَاتِي وَنُسُكِي ) قال : ذَبِيحَتِي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن جبير ( قَالَ ابْنُ ابْنِ مَهْدِيٍّ : لِأَدْرَى مِنْ إِسْمَاعِيلِ هَذَا ) ( صَلَاتِي وَنُسُكِي ) قال : صَلَاتِي وَذَبِيحَتِي :

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( صَلَاتِي وَنُسُكِي ) قال : وَذَبِيحَتِي :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَنُسُكِي ) قال ذَبِيحِي :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله : ( وَنُسُكِي ) قال : ذَبِيحَتِي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المصباح ، عن جوير ، عن الضحاك ( صَلَاتِي وَنُسُكِي ) قال : الصَّلَاةُ : الصَّلَاةُ ، وَالنَّسْكَ : الذَّبِيحُ :

وأما قوله ( وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ) فإن محمد بن عبد الأعلى حدثنا ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة ( وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ) قال : أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ :

## القول في تأويل قوله

قُلْ: أَعْبُدِ اللَّهَ ابْنِي رَبًّا، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ، فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأوثان، الدايعك إلى عبادة الأصنام، واتباع خطوات الشيطان: (أَعْبُدِ اللَّهَ ابْنِي رَبًّا)؟ يقول: أسوي الله أطلب سييذا يسودني (وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) يقول: وهو سيد كل شيء، ودونه، ومدبره ومصالحه (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) يقول: ولا تجترح نفس إنما إلا عليها: أي لا يؤخذ بما أنت من معصية الله تبارك وتعالى، وركبت من الخطيئة سواها، بل كل ذى إثم فهو المعاقب بإثمه، والمأخوذ بذنبه. (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) يقول: ولا تأثم نفس آثمة بإثم نفس أخرى غيرها، ولكنها تأثم بإثمها، وعليه تعاقب، دون إثم أخرى غيرها. وإنما يعنى بذلك المشركين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا القول لهم، يقول: قل لهم: إنا لسنا مأخوذون بآثامكم، وعليكم عقوبة إجرامكم، ولنا جزاء أعمالنا، وهذا كما أمره الله جل ثناؤه في موضع آخر أن يقول لهم (لَكُمْ دِينُكُمْ وَإِلَىٰ دِينِ).

وذلك كما حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: كان في ذلك الزمان لا يخرج للعلماء العابدين إلا إحدى خلتين: إحداهما أفضل من صاحبها: إما أمر ودعاء إلى الحق، أو الاعتزال، فلا تشارك أهل الباطل في عملهم، وتؤدى الفرائض فيما بينك وبين ربك، وتحب الله، وتبغض الله، ولا تشارك أحدا في إثم، قال: وقد أنزل في ذلك آية محكمة (قُلْ أَعْبُدِ اللَّهَ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) . . . إلى قوله (فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)، وفي ذلك قال (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ). يقال من الوزر: وزر يوزر، فهو وزير، ووزر يوزر فهو موزور<sup>١</sup>.

القول في تأويل قوله (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ): يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل هؤلاء العادلين بربهم الأوثان: كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله، وعليه وزره، فاعملوا ما أنتم عاملوه (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم) أيها الناس (مَّرْجِعُكُمْ) يقول: ثم إليه مصيركم ومقلبكم (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ) في الدنيا (تَخْتَلِفُونَ) من الأديان والممل، إذ كان بعضكم يدين باليهودية، وبعض بالنصرانية، وبعض بالجنسية، وبعض بعبادة الأصنام، وادعاء الشركاء مع الله والأنداد، ثم يجازى جميعكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شر، فتعلموا حينئذ من المحسن منا والمسيء.

(١) في اللسان: وزر يوزر (كفرح يفرح) ووزر يزر (كوعد يعد) ووزر يوزر (مبنى للمجهول) فهو موزور. وفيه أيضا: وقيل لوزير السلطان وزير لأنه يزر عن السلطان أفعال ما أسند إليه من تدبير المملكة، أي يحمل ذلك.

القول في تأويل قوله

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ ، وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم وأمه : والله (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ) أيها الناس (خَلْقَ الْأَرْضِ) بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية ، واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الأرض ، تخلفونهم فيها ، وتعمرونها بعدهم . والخلائف : جمع خليفة ، كما الوصائف : جمع وصيفة ، وهي من قول القائل : خَلَفَ فلان فلانا في داره يخلفه خلافة فهو خليفة فيها ، كما قال الشماخ .

تُصَيِّبُهُمْ وَنُحْطِيبِي الْمَنَابِي وَأَخْلُفُ فِي رُبُوعٍ عَن رُبُوعٍ  
وذلك كما حدثني الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ؟ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ ( قال : أما خلائف الأرض : فأهلك القرون ، واستخلفنا فيها بعدهم .

وأما قوله ( وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ) فإنه يقول : وخالف بين أحوالكم ، فجعل بعضكم فوق بعض ، بأن رفع هذا على هذا ، بما بسط لهذا من الرزق ، ففضله بما أعطاه من المال والغنى على هذا الفقير ، فيما حوَّله من أسباب الدنيا ، وهذا على هذا بما أعطاه من الأيد والقوة ، على هذا الضعيف الواهن القوي ، فخالف بينهم ، بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا ، وخفض من درجة هذا عن درجة هذا . وذلك كالذي حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ) يقول : في الرزق .

وأما قوله ( لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ) فإنه يعني : ليختبركم فيما حوَّلكم من فضله ، ومنحككم من رزقه ، فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه والعاصي ، ومن المؤدّي بما آتاه الحق الذي أمره بأدائه منه ، والمفرط في أدائه .

القول في تأويل قوله ( إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) :

يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أخطئه بارتكابه معاصيه ، وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه ، ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطوّله ، توليا وإدبارا عنه ، مع إنعامه عليه ، وتمكينه إياه في الأرض ، كما فعل بالقرون السالفة ( وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ ) يقول : وإنه لسائر ذنوب من ابتلى منه إقبالا إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمة ، واختباره إياه بأمره ونهيه ، فغفط عليه فيها ، وتارك فضيحته بها في موقف الحساب ( رَحِيمٌ ) بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه إذ تاب وأرب إليه قبل لقائه ومصيره إليه .

(١) البيت في ديوانه طبع السعادة بالقاهرة سنة ٣٢٧ هـ بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي ، كما رواه المؤلف . وهو من قصيدة يخاطب فيها امرأته التي تلومه على تشديده على نفسه في المعيشة ، ولزومه الإبل ، والتعزب فيها . تصيبيهم من الإصابة ، وهي ضد الخطأ . والمنابيا : جمع منية ، وهي الموت . وأخلف : أبق . وربوع جمع ربع ، وهو المنزل . أي تصيبيهم المنابيا ، وأبق أنا في ديارهم . وانظر البيت في (اللسان : خلف) .

## تفسير السورة التي يذكر فيها الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ، وتحدت أسماءه

\* المصّ (١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قول الله تعالى ( المصّ ) فقال بعضهم : معناه : أنا الله أفصل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا سفيان ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ( المصّ ) : أنا الله أفصل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عمار بن محمد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( المصّ ) : أنا الله أفصل .

وقال آخرون : هو هجاء حروف اسم الله تعالى الذي هو المصوّر .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( المصّ ) قال : هي هجاء المصوّر .

وقال آخرون : هي اسم من أسماء الله ، أقسم ربنا به .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( المصّ ) قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( المصّ ) قال : اسم من أسماء القرآن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : هي حروف هجاء مقطعة .

وقال آخرون : هي من حساب الجمل .

وقال آخرون : هي حروف تحوى معانى كثيرة ، دلّ بها الله خلقه على مراده من ذلك .

وقال آخرون : هي حروف اسم الله الأعظم .

وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه ، وتعليل كل فريق قال فيه قولاً ، وما الصواب من القول عندنا في ذلك ، بشواهد وأدلته فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قول الله تعالى ذكره

كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ، فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ ، وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره هذا القرآن يا محمد كتاب أنزله الله إليك . ورفع الكتاب بتأويل : هذا كتاب .

القول في تأويل قوله ( فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ) :

يقول جل ثناؤه لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : فلا يضق صدرك يا محمد من الإنذار به من أرسلناك لإنذاره به ، وإبلاغه من أمرتك بإبلاغه إياه ، ولا تشكّ في أنه من عندى ، واصبر بالمضى لأمر الله ، واتباع طاعته فيما كلفك وحملك من عبث أفعال النبوة ، كما صبر أولو العزم من الرسل ، فإن الله معك . والخرج : هو الضيق في كلام العرب ، وقد بينا معنى ذلك بشواهد وأدلته في قوله : ( ضَيْقًا حَرَجًا ) بما أغنى عن إعادته .

وقال أهل التأويل في ذلك ، ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ) قال : لا تكن في شك منه . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ) قال : شكّ :

حدثني المنبى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ) : شكّ منه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ) قال : أما الخرج : فشكّ .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدني ، قال : سمعت مجاهداً ، في قوله ( فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ) قال : شكّ من القرآن .

قال أبو جعفر : وهذا الذى ذكرته من التأويل عن أهل التأويل : هو معنى ما قلنا في الخرج ، لأن الشك فيه لا يكون إلا من ضيق الصدر به ، وقلة الاتساع لتوجيه وجهته ، التى هى وجهته الصحيحة . وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق ، لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب ، كما قد بيناه قبل .

القول في تأويل قوله ( لِيَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ) :

يعنى بذلك تعالى ذكره : هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد لتنذر به من أمرتك بإنذاره ، وذكري للمؤمنين ، وهو من المؤخر الذي معناه التقديم ، ومعناه : كتاب أنزل إليك لتنذر به ، وذكري للمؤمنين ، فلا يكن في صدرك حرج منه . وإذا كان ذلك معناه كان موضع قوله ( وَذِكْرَىٰ ) نصبا بمعنى : أنزلنا إليك هذا الكتاب لتنذر به ، وتذكر به المؤمنين ؛ ولو قيل : معنى ذلك : هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه أن تنذر به ، وتذكر به المؤمنين ، كان قولاً غير مدفوعاً بصحته . وإذا وجه معنى الكلام إلى هذا الوجه كان في قوله ( وَذِكْرَىٰ ) من الإعراب وجهان : أحدهما النصب بالرد على موضع لتنذر به ، والآخر الرفع عطفاً على الكتاب ، كأنه قيل : المصّحّ كتاب أنزل إليك وذكري للمؤمنين .

القول في تأويل قوله

اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣)

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام : اتبعوا أيها الناس ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى ، واعملوا بما أمركم به ربكم ، ( وَلَا تَتَّبِعُوا ) شيئاً ( مِن دُونِهِ ) يعنى : شيئاً غير ما أنزل إليكم ربكم ، يقول : لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، فإنهم يضلونكم ولا يهدونكم .

فإن قال قائل : وكيف قامت : معنى الكلام : قل اتبعوا ، وليس في الكلام موجوداً ذكر القول ؟ قيل : إنه وإن لم يكن مذكوراً صريحاً ، فإن في الكلام دلالة عليه ، وذلك قوله ( فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيَتُنذِرَ بِهِ ) ، ففي قوله ( لِيَتُنذِرَ بِهِ ) الأمر بالإنذار ، وفي الأمر بالإنذار ، الأمر بالقول لأن الإنذار قول . فكان معنى الكلام : أنذر القوم وقل لهم : اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولو قيل : معناه : لتنذر به وتذكر به المؤمنين ، فتقول لهم : اتبعوا ما أنزل إليكم ، كان غير مدفوع . وقد كان بعض أهل العربية يقول قوله ( اتَّبِعُوا ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومعناه : كتاب أنزل إليك ، فلا يكن في صدرك حرج منه ، اتبع ما أنزل إليك من ربك ، ويرى أن ذلك نظير قول الله ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتْ بَيْتَهُنَّ ) إذ ابتدأ خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جعل الفعل للجمع ، إذ كان أمر الله نبيه بأمر أمراً منه لجميع أمته ، كما يقال للرجل يفرّد بالخطاب ، والمراد به هو وجماعه أتباعه أو عشيرته وقيبته : أما تتقون الله ، أما تستحيون من الله ، ونحو ذلك من الكلام ، وذلك وإن كان وجهها غير مدفوع ، فالقول الذي اخترناه أولى بمعنى الكلام ، للدلالة الظاهر الذي وصفنا عليه . وقوله ( قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ) يقول : قليلاً ما تتعظون وتعتبرون ، فتراجعون الحق .

القول في تأويل قوله

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَّتًا أُوهَمَ قَاتِلُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : حدّر هؤلاء العابدين غيري ، والعادلين بي الآلهة

الأوثان سخطى ، لأحلّ بهم عقوبتي فأهلكهم ، كما أهلكت من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم ، فكثيرا ما أهلكت قبلهم من أهل قُريّ عصوفى ، وكذبوا رسلى ، وعبدوا غيرى ( فجاءها بأُسنا بيّاتاً ) يقول : فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا ، أو جاءتهم قائلين ، يعنى نهارا فى وقت القائلة . وقيل : وكم ، لأن المراد بالكلام ما وصفت من الخبر ، عن كثرة ما قد أصاب الأمم السالفة من المشلات بتكذيبهم رسله ، وخلافهم عليه ، وكذلك تفعل العرب إذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد ، كما قال الفرزدق :

كَمْ سَمِيَّةٌ كَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَتِي فَدَعَاءٌ قَدْ حَلَبَّتْ عَلَى عِشَارِي

فإن قال قائل : فإن الله تعالى ذكره إنما أخبر أنه أهلك قري ، فما فى خبره عن إهلاكه القري من الدليل على إهلاكه أهلها ؟ قيل : إن القُري لا تسمى قُري ، ولا القُرية قرية ، إلا وفيها مساكن لأهلها وسكان منهم . ففى إهلاكها إهلاك من فيها من أهلها ، وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرّج مخرج الخبر عن القرية ، والمراد به أهلها . والذي قلنا فى ذلك أولى بالحق ، لموافقته ظاهر التنزيل المتلو .

فإن قال قائل : وكيف قيل ( وكم من قُريةٍ أهلكناها فجاءها بأُسنا بيّاتاً أو هم قائلون ) ، وهل هلكت قرية إلا بمجىء بأس الله . وحلول نعمته وسخطه بها . فكيف قيل أهلكناها ، فجاءها ، وإن كان مجىء بأس الله إياها بعد هلاكها ، فما وجه مجىء ذلك قوما قد هلكوا وبادوا ، ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بمساكنهم ؟ قيل : إن لذلك من التأويل وجهين ، كلاهما صحيح واضح منهجه ، أحدهما أن يكون معناه : وكم من قرية أهلكناها بخذلاننا إياها عن اتباع ما أنزلنا إليها من البيّنات والهدى ، واختيارها اتباع أمر أوليائها ، المغويها عن طاعة ربها ، فجاءها بأُسنا إذ فعلت ذلك ، بيّاتاً أو هم قائلون ، فيكون إهلاك الله إياها : خذلانها عن طاعته ، ويكون مجىء بأس الله إياهم جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانهم إياهم . والآخر منهما : أن يكون الإهلاك هو البأس بعينه ، فيكون فى ذكر الإهلاك الدلالة على ذكر مجىء البأس ، وفى ذكر مجىء البأس ، الدلالة على ذكر الإهلاك . وإذا كان ذلك كذلك . كان سواء عند العرب بدئ بالإهلاك ، ثم عطف عليه بالبأس ، أو بدئ بالبأس ثم عطف عليه بالإهلاك ، وذلك كقولهم : زرتنى فأكرمتنى إذا كانت الزيارة : هى الكرامة ، فسواء عندهم قدّم الزيارة وأخّر الكرامة ، أو قدّم الكرامة وأخّر الزيارة ، فقال : أكرمتنى فزرتنى . وكان بعض أهل العربية يزعم أن فى الكلام محذوفا ، لولا ذلك لم يكن الكلام صحيحا ، وأن معنى ذلك : وكم من قرية أهلكناها ، فكان مجىء بأُسنا إياها قبل إهلاكنا . وهذا قول لادلالة على صحته من ظاهر التنزيل ، ولا من خبر يجب التسليم له ، وإذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التى يجب التسليم لها ، كان بيّنا فساده .

(١) البيت للفرزدق ( ديوانه طبعه الصاوى بالقاهرة ص ٤٥١ ) من قصيدة يهجو بها جريرا . القدعاء : صفة من القدع ، وهو عوجاج الرسع من اليد والرجل ، حتى ينقلب الكف والقدم إلى إنسهما . حلبت على : أى على كره منى . عشاري : جمع عشراء ، التى مضى عليها فى حلها عشرة أشهر . والشاهد فى كم عمة ، فإن كم خبرية : بمعنى عدد كثير . وقيل استفهامية تهكية ، ولذلك نصب عمة تمييزا لها فى بعض الروايات . ورواية الشطر الأول فى الديوان : « كم عمة لك يا جرير وعمة » .



وقال آخر منهم أيضا : معنى الفاء في هذا الموضع معنى الواو ، وقال تأويل الكلام : وكم من قرية أهلكتها ، وجاءها بأسنا بيانا . وهذا قول لامعنى له ، إذ كان للفاء عند العرب من الحكم ، ما ليس للواو في الكلام ، فصرفها إلى الأغلب من معناها عندهم ، ما وجد إلى ذلك سبيل ، أولى من صرفها إلى غيره .

﴿٥﴾ فإن قال : وكيف قيل : فجاءها بأسنا بيانا أو هم قائلون ؛ وقد علمت ، أن الأغلب من شأن « أو » في الكلام اجتلاب الشك ، وغير جائز أن يكون في خبر الله شك ؟ قيل : إن تأويل ذلك خلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معنى الكلام : وكم من قرية أهلكتها فجاء بعضها بأسنا بيانا ، وبعضها وهم قائلون ، ولو جعل مكان « أو » في هذا الموضع الواو ، لكان الكلام كالمحال ، ولصار الأغلب من معنى الكلام : أن القرية التي أهلكتها الله جاءها بأسه بيانا ، وفي وقت القائلة ، وذلك خبر عن البأس أنه أهلكت من قد هلك ، وأفنى من قد فنى ، وذلك من الكلام خُلّف ، ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل ، إذ لم يفصل القرى التي جاءها البأس بيانا من القرى التي جاءها ذلك قائلة : ولو فصلت لم يخبر عنها إلا بالواو ؛ وقيل : فجاءها بأسنا ، خبرا عن القرية أن البأس أنها ، وأجرى الكلام على ما ابتدئ به في أول الآية : ولو قيل : فجاءهم بأسنا بيانا لكان صحيحا فصيحاً ، رداً للكلام إلى معناه ، إذ كان البأس إنما قصد به سكان القرية دون بنيانها ، وإن كان قد نال بنيانها ومسكنها من البأس بالخراب ، نحو من الذي نال سكانها ، وقد رجع في قوله ( أو هم قائلون ) إلى خصوص الخبر عن سكانها دون مسكنها لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان ، وإن كان في هلاكهم هلاك مسكنهم وخرابها . ولو قيل : أو هي قائلة كان صحيحا ، إذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام .

فإن قال قائل : أو ليس قوله ( أو هم قائلون ) خبرا عن الوقت الذي أتاهم فيه بأس الله من النهار ؟ قيل : بلى ، فإن قال : أو ليس المواقيت في مثل هذا تكون في كلام العرب بالواو الدال على الوقت ؟ قيل : إن ذلك وإن كان كذلك ، فإنهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع استئثالا للجمع بين حرفي عطف ، إذ كان « أو » عندهم من حروف العطف ، وكذلك الواو ، فيقولون : لقيتني مملقا ، أو أنا مسافر ، بمعنى : أو وأنا مسافر ، فيحذفون الواو ، وهم يريدونها في الكلام لما وصفت .

## القول في تأويل قوله

فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانًا إِلَّا أَنْ قَالُوا: إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥)

﴿٥﴾ يقول تعالى ذكره : فلم يكن دعوى أهل القرية التي أهلكتها إذ جاءهم بأسنا وسطوتنا بيانا أو هم قائلون ، إلا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم مسيئين ، وبربهم آثمين ، ولأمره ونهيه مخالفين ، وعنى بقوله جل ثناؤه ( دَعْوَاهُمْ ) في هذا الموضع دعاءهم . وللدعوى في كلام العرب وجهان : أحدهما الدعاء ، والآخر الادعاء للحق ، ومن الدعوى التي معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى ( فَمَا زَالَت تَّلِكَ دَعْوَاهُمْ ) ومنه قول الشاعر :

وَأَنَّ مَنَدَلْتِ رَجَبِي دَعْوَتُكَ أَشْتَبِي بِدَعْوَاكَ مِينَ مَنَدَلٍ بِهَا فَيَهُونُ<sup>١</sup>  
 وقد بيّنا فيما مضى قبل ، أن البأس والبأساء : الشدة ، بشواهد ذلك الدالة على صحته ، بما أغنى عن  
 إعادته في هذا الموضع . وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم من قوله « ما هلكَ قومٌ حتى يُعذِّروا مِينَ أَنفُسِهِمْ » . وقد تأول ذلك كذلك بعضهم .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن عبد الملك بن ميسرة الزرّاد ، قال : قال  
 عبد الله بن مسعود ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما هلكَ قومٌ حتى يُعذِّروا مِينَ  
 أَنفُسِهِمْ » قال : قالت لعبد الملك : كيف يكون ذلك ؟ قال : فقرأ هذه الآية ( فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ  
 جَاءَهُمْ بِأَسُنَا ) . . . الآية .

فإن قال قائل : وكيف قيل ( فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسُنَا ) ؟ قالوا : إِنَّا كُنَّا  
 ظَالِمِينَ ) وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك ، وقد جاءهم بأس الله بالهلاك ، أقالوا ذلك قبل الهلاك ؟ فإن كانوا  
 قالوه قبل الهلاك ، فإنهم قالوا قبل مجيء البأس ، والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم . لا قبل ذلك ،  
 أو قالوه بعد ما جاءهم ، فتلك حالة قد هلكوا فيها ، فكيف يجوز وصفهم بقيل ذلك إذا عاينوا بأس الله ،  
 وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة الله ؟ قيل : ليس كل الأمم كان هلاكها في لحظة ، ليس بين  
 أوله وآخره مهل ، بل كان منهم من غرق بالطوفان ، فكان بين أول ظهور السبب الذي علموا أنهم به  
 هالكون ، وبين آخره الذي عمّ جميعهم هلاكه ، المدة التي لاخفاء بها على ذى عقل ؛ ومنهم من متع  
 بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لأعينهم أياما ثلاثة ، كقوم صالح وأشباهم ، فحينئذ لما عاينوا أوائل بأس  
 الله ، الذي كانت رسل الله تنوعدهم به ، وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم ، دَعَوَا : يا ( وَيَلْتَنَا إِنَّا كُنَّا  
 ظَالِمِينَ ، فَتَسْمُ يَاكَ يَسْتَفْعُهُمْ ) مع مجيء وعيد الله ، وحلول نعمته بساحتهم ، فحذر  
 ربنا جل ثناؤه الذين أرسل إليهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من سطوته وعقابه على كفرهم به ، وتكذيبهم  
 رسوله ، ما حلّ بمن كان قبلهم من الأمم ، إذ عصوا رسله ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد .

#### القول في تأويل قوله

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ، وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦)

يقول تعالى ذكره : لنسألنّ الأمم الذين أرسلت إليهم رسلنا ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندي ،  
 من أمرى ونهى ، هل عملوا بما أمرتهم به ، وانتهوا عما نهيتهم عنه ، وأطاعوا أمرى أم عصوني ، فخالقوا  
 ذلك ؟ ( وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ) يقول : ولنسألنّ الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم ، هل بلغتهم رسالاتي ،  
 وأدّت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليهم ، أم قصروا في ذلك ، ففروا ولم يبلغوهم .

(١) البيت في اللسان : مدل ( ولم ينسبه . وفيه « بذكراك » في موضع « بدعواك » ) قال : ومدلت رجله مثلا ( بفتح الدال )  
 ومذلا ( بسكون الدال ) ومدلت : خدرت ( بكسر الدال ) ، ومدالت ( بتشديد اللام ) . ودعواك في معنى دعائك وذكرك .

وكذلك كان أهل التأويل يتأولونه .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( فَلَمَّا نَسُوا لَنَّا الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ ، وَلَنَسَّالْنَا الْمُرْسَلِينَ ) قال : يسأل الله التامس عما أجابوا المرسلين ، ويسأل المرسلين عما بلغوا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَلَمَّا نَسَّالْنَا الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ ) . . . إلى قوله ( غَائِبِينَ ) قال : يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَلَمَّا نَسَّالْنَا الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ ، وَلَنَسَّالْنَا الْمُرْسَلِينَ ) يقول : فلنسألن الأمم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ، ولنسألن الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدني ، قال : قال مجاهد ( فَلَمَّا نَسَّالْنَا الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ ) الأمم ، ولنسألن الذين أرسلنا إليهم عما ائتمنهم عليه ، هل بلغوا .

#### القول في تأويل قوله

فَلَمَّا نَسَّالْنَا عَلَيْهِمْ بَعْلَمَ ، وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره : فلنخبرن الرسل ومن أرسلتهم إليه بيقين علم بما عملوا في الدنيا فيما كنت أمرتهم به ، وما كنت نهيهم عنه ، وما كنا غائبين عنهم ، وعن أفعالهم التي كانوا يفعلونها .

فإن قال قائل : وكيف يسأل الرسل والمرسل إليهم ، وهو يخبر أنه يقص عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم في ذلك ؟ قيل : إن ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسئلة استرشاد ، ولا مسئلة تعرف منهم ما هو به غير عالم ، وإنما هو مسئلة توبيخ وتقرير ، معناها الخبر ، كما يقول الرجل للرجل : ألم أحسن إليك فأسأت ، ولم أصلك فقطعت ، فكذلك مسئلة الله المرسل إليهم بأن يقول لهم : ألم يأتيكم رسل بالبينات ، ألم أبعث إليكم النذر ، فتنادركم عذابي وعقابي في هذا اليوم من كفر بي وعبد غيري ، كما أخبر جل ثناؤه أنه قائل لهم يومئذ : ( أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ إِلَّا تَعْبُدُونِ الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) ونحو ذلك من القول الذي ظاهره ظاهر مسئلة ، ومعناه الخبر والقصص ، وهو بعد توبيخ وتقرير . وأما مسئلة الرسل الذي هو قصص وخبر ، فإن الأمم المشتركة لما سئلت في القيامة ، قيل لها ( أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ) أنكر ذلك كثير منهم وقالوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقيل للرسل : هل بلغتم ما أرسلتم به ؟ أو قيل لهم : ألم تبلغوا إلى هؤلاء ما أرسلتم به ؟ كما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما قال جل ثناؤه لأمة نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فكل ذلك من الله مسألة للرسول على وجه الاستشهاد لهم على من أرسلوا إليه من الأمم ، وللمرسل إليهم على وجه التقرير والتوبيخ ، وكل ذلك بمعنى القصص والخبر . فأما الذي هو عن الله منى من مسألته خلقه ، فالمسألة التي هي مسألة استرشاد واستنابات ، فيما لا يعلمه السائل عنها ، ويعلمه المستول ، ليعلم السائل علم ذلك من قبله ، فذلك غير جائز أن يوصف الله به ، لأنه العالم بالأشياء قبل كونها ، وفي حال كونها ، وبعد كونها ، وهي المسألة التي نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) ، وبقوله (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) (يعنى : لا يسأل عن ذلك أحدا منهم علم مستثبت ، ليعلم علم ذلك من قبيل من سأل منه ، لأنه العالم بذلك كله ، وبكل شيء غيره . وقد ذكرنا ما روى في معنى ذلك من الخبر في غير هذا الموضع ، فكرهنا إعادته . وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول في معنى قوله (فَلَنَنْقُصَنَّ عَلَيْهِمُ يَعْلَمُ) أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم ، وهذا قول غير بعيد من الحق ، غير أن الصحيح من الخبر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مَمْنِكُمْ مِّنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيِّئِكُمْ مِّنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ» ، فَيَقُولُ لَهُ أَتَذَكَّرُ يَوْمَ فَعَلْتِ كَذَا وَفَعَلْتِ كَذَا ؟ حَتَّى يُذَكِّرَهُ مَا فَعَلَتْ فِي الدُّنْيَا . والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من التسليم لغيره .

#### القول في تأويل قوله

وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨)

الوزن : مصدر من قول القائل : وزنت كذا وكذا ، آزرته وزنا وزنة ، مثل : وعدته أعيده وعدا وعدة ، وهو مرفوع بالحق ، والحق به . ومعنى الكلام : والوزن يوم نسال الذين أرسل إليهم والمرسلين الحق . ويعنى بالحق : العدل . وكان مجاهد يقول : الوزن في هذا الموضع : القضاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : والوزن يومئذ : القضاء . وكان يقول أيضا : معنى الحق ههنا : العدل .

ذكر الرواية بذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) قال العدل . وقال آخرون : معنى قوله (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) وزن الأعمال .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) توزن الأعمال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،

في قول الله ( وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ) قال : قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكل والشروب ، فلا يزن جناح بعوضة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ) قال : قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل الطويل العظيم ، فلا يزن جناح بعوضة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يوسف بن صهيب ، عن موسى ، عن بلال بن يحيى ، عن حذيفة ، قال : « صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام » قال : يا جبريل زن بينهم ، فردّ على المظلوم ، وإن لم يكن له حسنات حميل عليه من سيئات صاحبه ، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال ، فذلك قوله ( وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ) .

واختلاف أهل التأويل في تأويل قوله ( فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ) فقال بعضهم : معناه : فمن كثرت حسناته .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد ( فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ) قال : حسناته . وقال آخرون : معنى ذلك : فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته ، قالوا : وذلك هو الميزان الذي يعرفه الناس ، له لسان وكفتان .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال لي عمرو بن دينار ، قوله ( وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ) قال : إنا نرى ميزانا وكفتين ، سمعت عبيد بن عمير يقول : يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان ، ثم لا يقوم بجناح ذباب .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار ، من أن ذلك : هو الميزان المعروف الذي يوزن به ، وأن الله جلّ ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات ، كما قال جلّ ثناؤه ( فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ) موازين عمله الصالح ( فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) يقول : فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح ، وأدركوا الفوز بالطلبات ، والخلود والبقاء في الجنات ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « ما وُضِعَ في الميزانُ شيءٌ أثقلُ من حُسْنِ الخُلُقِ » ، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزان يوزن به الأعمال ، على ما وصفت ، فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان ، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه وجهته وقال : أو بالله حاجة إلى وزن الأشياء ، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده ، وفي كل حال ، أو قال وكيف توزن الأعمال ، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة ، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها ، وكثرتها من قلتها ، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلّة ؟ قيل له في قوله : وما وجه وزن الله الأعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها ؟ وزن ذلك نظير إثباته إياه

في أم الكتاب ، واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة به إليه ، ومن غير خوف من نسيانه ، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه ، وبعد وجوده ، بل ليكون ذلك حجة على خلقه ، كما قال جل ثناؤه في تنزيله ( كَلِّمْنَا أُمَّةً تَدْعُنِي إِلَى كِتَابِهَا ، الْيَوْمَ نُنزِّلُ الْكِتَابَ مِمَّا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ . هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَلِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ) . . . الآية ، فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم : إما بالتقصير في طاعته والتضييع ، وإما بالتكميل والتتميم .

وأما وجه جواز ذلك ، فإنه كما حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا عبد الرحمن بن زياد الإفريقي ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمر ، قال : « يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان ، فيوضع في الكفة ، فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً فيها خطاياها وذنوبه ، قال : ثم يخرج له كتاب مثل الأتملة ، فيها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، قال : فتوضع في الكفة ، فترجح بخطاياها وذنوبه ؛ فكذلك وزن الله أعمال خلقه ، بأن يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان ، وكتب سيئاته في الكفة الأخرى ، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلاً وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى ، احتجاجاً من الله بذلك على خلقه ، كفعله بكثير منهم ، من استنطاق أيديهم وأرجلهم ، استشهاده بذلك عليهم ، وما أشبه ذلك من حججه . ويسئل من أنكر ذلك ، فيقال له : إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم في القيامة ، ويخفف موازين آخرين ، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك ، فما الذي أوجب لك إنكار الميزان ، أن يكون هو الميزان الذي وصفنا صفته ، الذي يتعارفه الناس ، أحجة عقل ؛ فقد يقال : وجه صحته من جهة العقل ، وليس في وزن الله جل ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم ، لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان ، خروج من حكمة ، ولا دخول في جور في قضية ، فما الذي أحال ذلك عندك من حجة ، أو عقل ، أو خبر ؟ إذ كان لاسبيل إلى حقيقة القوم ، بإفساد ما لا يدفعه العقل ، إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرت ، ولا سبيل إلى ذلك . وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوح فساد قوله ، وصحة ما قاله أهل الحق في ذلك ، وليس هذا الموضوع من مواضع الإكثار في هذا المعنى على من أنكر الميزان الذي وصفنا صفته ، إذ كان قصدنا في هذا الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره ، ولولا ذلك لقرنا إلى ما ذكرنا نظائره ، وفي الذي ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه إن شاء الله .

#### القول في تأويل قوله

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظَاهِمُونَ (٩)

يقول جل ثناؤه : ومن خفت موازين أعماله الصالحة ، فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله ، والإيمان به ورسوله ، واتباع أمره ونهيه ، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته ( بِمَا كَانُوا

بآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) يقول : بما كانوا يجمعج الله وأدلته يمجحدون ، فلا يقرّون بصحتها ، ولا يوقنون بحقيقتها .

كالذي حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد ( وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ) قال : حسناته ، وقيل : فأولئك ومن في لفظ الواحد ، لأن معناه الجمع ، ولو جاء موحدا كان صوابا فصيحاً .

### القول في تأويل قول

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد وطنا لكم أيها الناس في الأرض ، وجعلناها لكم قرارا تستقرون فيها ، ومهادا تمتدونها ، وفرشا تفرشونها ( وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ) يعيشون بها أيام حياتكم ، من مطاعم ومشارب ، نعمة مني عليكم ، وإحسانا مني إليكم ( قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ) يقول : وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التي أنعمتها عليكم لعبادتكم غيري ، واتخاذكم لها سوى ، والمعاش : جمع معيشة . واختلقت القراء في قراءتها ؛ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( مَعَايِشَ ) بغير همز ، وقرأه عبد الرحمن الأعرج ( مَعَايِشَ ) بالهمز .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ( مَعَايِشَ ) بغير همز ، لأنها مفاعل من قول القائل : عشت تعيش ، فالهمز فيها زائدة ، والياء في الحكم متحركة ، لأن واحدها «مَعْيِلَةٌ» معيشة متحركة الياء ، نُقلت حركة الياء منها إلى العين في واحدها ؛ فلما جمعت ردت حركتها إليها لسكون ما قبلها وتحركها ، وكذلك تفعل العرب بالياء والواو إذا سكن ما قبلهما وتحركتا في نظائر ما وصفنا من الجمع الذي يأتي على مثال «مفاعل» ، وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال «فعال» التي تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل ، فان ماجاء من الجمع على هذا المثال ، فالعرب همزه كقوله : هذه مدائن وصحائف ونظائر ، لأن مدائن جمع مدينة ، والمدينة : فعيلة من قولهم : مدنت المدينة ، وكذلك صحائف جمع صحيفة ، والصحيفة فعيلة من قولك : صحفت الصحيفة ، فالياء في واحدها زائدة ساكنة ، فإذا جمعت همزت لخلافها في الجمع ، الياء التي كانت في واحدها ، وذلك أنها كانت في واحدها ساكنة ، وهي في الجمع متحركة ، ولو جعلت مدينة «مَعْيِلَةٌ» من دان يدين ، وجمعت على مفاعل ، كان الفصيح ترك الهمز فيها ، وتحريك الياء ، وربما همزت العرب جمع «مَعْيِلَةٌ» في ذوات الياء والواو ، وإن كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها ، إذا جاءت على «مفاعل» تشبها منهم جمعها بجمع فعيلة ، كما تشبه مَعْيِلَةٌ بفعيل ، فتقول : مسيل الماء ، من سأل يسيل ، ثم تجمعها جمع «فعال» ، فتقول : هي أمسلة في الجمع ، تشبها منهم لها بجمع بعير وهو فعيل ، إذ تجمعه أبعرة ، وكذلك يجمع المصير ، وهو مَعْيِلٌ مُصْرَانٌ ، تشبها له بجمع بعير وهو فعيل ، إذ تجمعه بُعْرَانٌ ، وعلى هذا همز الأعرج ( مَعَايِشَ ) . وذلك ليس بالفصيح في كلامها . وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن ، أفصحها وأعرفها ، دون أنكرها وأشدّها .

القول في تأويل قوله

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ، ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ، ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا  
إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويل ذلك : ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ) في ظهر آدم أيها الناس ( ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) في أرحام النساء خلقا مخلوقا ، ومثالا ممثلا في صورة آدم . ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) ، قوله ( خَلَقْنَاكُمْ ) يعني آدم ، وأما صَوَّرْنَاكُمْ فذريته .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) . . . الآية ، قال : أما خلقناكم فآدم ، وأما صَوَّرْنَاكُمْ : فذرية آدم من بعده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ) يعني : آدم ، ثم صَوَّرْنَاكُمْ ، يعني : في الأرحام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، في قوله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) يقول : خلقناكم خلق آدم ، ثم صَوَّرْنَاكُمْ في بطون أمهاتكم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ) ثم صَوَّرْنَاكُمْ يقول : خلقنا آدم ، ثم صَوَّرْنَاكُمْ في الأرحام .

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) قال : خلق الله آدم من طين ، ثم صَوَّرْنَاكُمْ في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق ، علقة ثم مضغة ، ثم عظاما ، ثم كسا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : خلق الله آدم ، ثم صور ذريته من بعده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن هارون ، عن نصر بن مشاوش ، عن الضحاك ( خَلَقْنَاكُمْ ) ثم صَوَّرْنَاكُمْ قال : ذريته .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ) يعني آدم ، ثم صَوَّرْنَاكُمْ ، يعني : ذريته .



وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد خلقناكم في أصلاب آبائكم ، ثم صورناكم في بطون أمهاتكم .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) قال : خلقناكم في أصلاب الرجال ، وصورناكم في أرحام النساء .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت الأعمش يقرأ ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) قال : خلقناكم في أصلاب الرجال ، ثم صورناكم في أرحام النساء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك ( خَلَقْنَاكُمْ ) يعني آدم ( ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) يعني في ظهره .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ) قال : آدم ( ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) قال : في ظهر آدم .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) في ظهر آدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) قال : صورناكم في ظهر آدم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدني ، قال : سمعت مجاهدا في قوله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) قال : في ظهر آدم ، لما تصيرون إليه من الثواب في الآخرة .

وقال آخرون : معنى ذلك : ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ فِي بَطُونَ أُمَّهَاتِكُمْ ، ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ فِيهَا ) .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ذكره ، قال ( خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) قال : خلق الله الإنسان في الرحم ، ثم صوره ، فشق سمعه وبصره وأصابه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب : قول من قال : تأويله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ) . ولقد خلقنا آدم ( ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) بتصويرنا آدم ، كما قد بيننا فيما مضى ، من خطاب العرب الرجل بالأفعال تضيفها

إليه ، والمعنى في ذلك سلفه ، وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ) وما أشبه ذلك من الخطاب الموجه إلى الحي الموجود ، والمراد به السلف المعدوم ، فكذلك ذلك في قوله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) معناه : ولقد خلقنا آبائكم آدم ، ثم صورناه .

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن الذي يتلو ذلك قوله ( ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ) ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم ، قبل أن يصور ذريته

في بطون أمهاتهم ، بل قبل أن يخلق أمهاتهم ، وثم في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها ، وذلك كقول القائل : قمت ثم قعدت ، لا يكون القعود إذ عطف به ثم على قوله قمت ، إلا بعد القيام ، وكذلك ذلك في جميع الكلام ، ولو كان العطف في ذلك بالواو جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها ، وذلك كقول القائل : قمت وقعدت ، فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل القيام ، لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفاً ، لتوجب للذي بعدها من المعنى ماوجب للذي قبلها ، من غير دلالة منها بنفسها ، على أن ذلك كان في وقت واحد ، أو وقتين مختلفين ، أو إن كانا في وقتين أيهما المتقدم وأيهما المتأخر ؟ فاما وصفنا قلنا : إن قوله ( وَآلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) لا يصح تأويله إلا على ما ذكرنا ، فإن ظنَّ ظان أن العرب إذ كانت ربما نطقت بـ « ثم » في موضع الواو في ضرورة شعر ، كما قال بعضهم :  
سَأَلْتُ رَبِّيَعَةَ مَنْ خَيْرُهَا أَبَا ثُمَّ أُمَّمَا فَتَقَالَتْ لِمَهْ ؟ ١

بمعنى : أبا وأما ، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره ، فإن ذلك بخلاف ما ظنَّ ، وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب ، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها ، وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوماً ، ووجه معروف ، وقد وجه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك ، إلى أنه من المؤخر الذي معناه التقديم ، وزعم أن معنى ذلك : ولقد خلقناكم ، ثم قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، ثم صورناكم ، وذلك غير جائز في كلام العرب ، لأنها لا تدخل « ثم » في الكلام ، وهي مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر ، وإن كانوا قد يقدمونها في الكلام ، إذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير ، وذلك كقولهم : قام ثم عبد الله عمرو ، فأما إذا قيل : قام عبد الله ثم قعد عمرو ، فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان إلا بعد قيام عبد الله ، إذا كان الخبر صدقاً ، فقول الله تبارك وتعالى ( وَآلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ) ، « ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا » نظير قول القائل : قام عبد الله ، ثم قعد عمرو ، في أنه غير جائز أن يكون أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ، كان إلا بعد الخلق والتصوير ، لما وصفنا قبل . وأما قوله ( لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ) فإنه يقول جل ثناؤه : فلما صورنا آدم وجعلناه خلقاً سوياً ، ونفخنا فيه من روحنا ، قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، ابتلاء منا واختباراً لهم بالأمر ، ليُعلم الطائع منهم من العاصي ( فَسَجَدُوا ) يقول : فسجد الملائكة ( إلا إبليس ) فإنه ( لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ) لآدم حين أمره الله مع من أمر من سائر الملائكة غيره بالسجود . وقد بينا فيما مضى المعنى الذي من أجله امتحن جل جلاله ملائكته بالسجود لآدم ، وأمر إبليس وقصصه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

#### القول في تأويل قوله

قَالَ : مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ، قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ ، وَخَلَقْتَهُ مِنْ

طِينٍ (١٢)

(١) لم نقت على قائل البيت .

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لإبليس إذ عصاه ، فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له ، يقول ( قال ) الله لإبليس : ( مامنتك ) أي شيء منعك ( ألا تسجد ) : أن تدع السجود لآدم ( إذ أمرتك ) أن تسجد ، ( قال أنا خيرٌ منه ) : يقول : قال إبليس : أنا خير من آدم ( خلقتني من نار ، وخلقته من طين ) .

فإن قال قائل : أخبرنا عن إبليس أَلْحِقْتَهُ الْمَلَامَةَ عَلَى السُّجُودِ ، أم على ترك السجود ؟ فإن تكن لحقته الملامة على ترك السجود ، فكيف قيل له ( ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ) ؟ وإن كان النكير على السجود ، فذلك خلاف ما جاء به التنزيل في سائر القرآن ، وخلاف ما يعرفه المسلمون . قيل : إن الملامة لم تلحق إبليس إلا على معصيته ربه ، بتركه السجود لآدم ، إذ أمره بالسجود له ، غير أن في تأويل قوله : ( مامنتك ألا تسجد إذ أمرتك ) بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافاً ، أبدأ بذكر ما قالوا ، ثم أذكر الذي هو أولى ذلك بالصواب ، فقال بعض نحوي البصرة : معنى ذلك : ما منعك أن تسجد ، ولا ههنا زائدة ، كما قال الشاعر :

أبي جوده ( لا ) البخل واستعجلت به ( نعم ) من قتي لا يمنع الجود قاتله<sup>١</sup>  
وقال : فسره العرب : أبي جوده البخل ، وجعلوا « لا » زائدة حشوا ههنا ، وصلوا بها الكلام . قال : وزعم يونس أن أبا عمرو كان يجرّ البخل ، ويجعل « لا » مضافة إليه ، أراد : أبي جوده « لا » التي هي للبخل ، ويجعل « لا » مضافة ، لأن لا قد تكون للجود والبخل ، لأنه لو قال له : امنع الحق ولا تعط المسكين ، فقال « لا » كان هذا جوداً منه .

وقال بعض نحوي الكوفة نحو القول الذي ذكرناه عن البصريين في معناه وتأويله ، غير أنه زعم أن العلة في دخول « لا » في قوله ( أن لا تسجد ) أن في أول الكلام جحداً ، يعني بذلك قوله ( كم يكن من الساجدين ) فإن العرب ربما أعادوا في الكلام الذي فيه جحد الجحد ، كالأستيثاق والتوكيد له ؛ قال : وذلك كقولهم :

ما إن رأينا مثلهنّ لمعشرٍ سودُ الرءُوسِ فوالجِ وفَيُولُ<sup>٢</sup>

فأعاد على الجحد الذي هو « ما » جحداً ، وهو قوله « إن » فجمعهما للتوكيد :

وقال آخر منهم : ليست « لا » بحشو في هذا الموضع ، ولا صلة ، ولكن المنع ههنا بمعنى القول .

(١) البيت في (مغنى اللبيب : باب لا) وفي (شرح شواهد السيوبي : ٢١٧) وهو غير معز و. و(البخل) : مجرد بإضافة (لا) إليه ، في حكاية يونس عن أبي عمرو بن العلاء . أو منصوب بأبي على المفعولية مع زيادة (لا) عن أبي علي الفارسي . ولفظ للقافية (قائله) منصوب بيمين ، أي لو أراد سائله قتله ما منعه جوده ، على ما أوضحه الأمير . أو القافية (قائله) بالرفع أو النصب وفي توجيه كل منهما غرض . ولذلك قال الزمخشري : البيت غامض المعنى وما رأيت أحداً فسرّه . وفي تفسير القرطبي : « ناله » بالرفع ، وبها يتضح معنى البيت . يريد أن عطاه وإن كثّر جداً لا يمنه أن يجود لسائله ، لأنه لا يخشى الفقر وفي رواية الأصل . الجوع بدل الجود ، تحريف .

(٢) لم أقف على قائله . والمعشر : الجماعة ، والفوالج : جمع الفالج ، ولعل المراد به هنا : الجمل الضخم ذو السنامين ، وهو الذي بين البختي والعربي ، يحمل من السند للفحلة ، سمى بذلك لأن سنامه نصفان . والفَيُول : جمع فيل ، ويجمع أيضاً على أفيال وقيلة . ويقال : ليلة مثل لون الفيل ، أي سوداء لا يهتدى لها ، ولون القيلة كذلك . ولعل الفوالج كذلك لو أنها أسود . ( انظر اللسان ) . بصت إبلا سوداً سخاماً ، فيشبهها بالفوالج السندية والأفيال ، لضخامتهن وسوادهن .

وإنما تأويل الكلام : من قال لك : لاتسجد إذ أمرتك بالسجود ؟ ولكن دخل في الكلام « أن » إذ كان المنع بمعنى القول لا في لفظه ، كما يفعل ذلك في سائر الكلام الذي يضارع القول ، وهو له في اللفظ مخالف ، كقولهم : ناديت : أن لاتقم ، وحلفت : أن لاتجلس ، وما أشبه ذلك من الكلام .  
وقال بعض من روى : « أني جوده لا البخل » بمعنى : كلمة البخل ، لأن « لا » هي كلمة البخل ، فكانه قال : كلمة البخل .

وقال بعضهم : معنى المنع : الحول بين المرء وما يريد ، قال : والمجنون مضطرب به إلى خلاف مامنع منه ، كالمجنون من القيام وهو يريد ، فهو مضطرب من الفعل إلى ما كان خلافا للقيام ، إذ كان المختار للفعل هو الذي له السبيل إليه وإلى خلافه ، فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله ؛ قال : فلما كانت صفة المنع ذلك ، فخطب إبليس بالمنع ، فقيل له : ( ما مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ ) كان معناه : كأنه قيل له : أي شيء اضطربك إلى أن لاتسجد ؟ .

يقال أبو جعفر : والصواب عندي من القول في ذلك : أن يقال : إن في الكلام محذوفا قد كُني دليل الظاهر منه ، وهو أن معناه : ما منعك من السجود ، فأحوجك أن لاتسجد ؟ فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين . قوله ( إِلَّا إبليسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ) : أن ذلك معنى الكلام من ذكره ، ثم عمل قوله ( ما مَنَعَكَ ) في « أن » ما كان عاملا فيه قبل أحوجك لو ظهر ، إذ كان قد ناب عنه .

وإنما قلنا : إن هذا القول أولى بالصواب : لما قد مضى من دلالتنا قبل ، على أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لامعنى له ، وأن لكل كلمة معنى صحيحا ، فتبين بذلك فساد قول من قال : « لا » في الكلام حشو ، لامعنى لها . وأما قول من قال : معنى المنع ههنا : القول ، فلذلك دخلت لا مع أن ، فإن المنع وإن كان قد يكون قولا وفعلا ، فليس المعروف في الناس استعمال المنع في الأمر بترك الشيء ، لأن المأمور بترك الفعل إذا كان قادرا على فعله وتركه ، ففعله ، لا يقال فعله ، وهو ممنوع من فعله ، إلا على استكراه للكلام ، وذلك أن المنع من الفعل حوّل بينه وبينه ، فغير جائز أن يكون وهو محوّل بينه وبينه ، فاعلا له ، لأنه إن جاز ذلك ، وجب أن يكون محوّل بينه وبينه ، لا محوّل ، وممنوعا لامنوعا ؛ وبعد : فإن إبليس لم يأتمر لأمر الله تعالى بالسجود لآدم كبيرا ، فكيف كان يأتمر لغيره في ترك أمر الله وطاعته ، بترك السجود لآدم ؟ فيجوز أن يقال له : أي شيء قال لك : لاتسجد لآدم إذ أمرتك بالسجود له ؟ ولكن معناه إن شاء الله ما قلت : ما منعك من السجود له ، فأحوجك ، أو فأخرجك ، أو فاضطربك إلى أن لاتسجد له ، على ما بيّنت .

وَأما قوله ( أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ) فإنه خبر من الله جل ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله : ما الذي منعه من السجود لآدم ، فأحوجه إلى أن لايسجد له ، واضطربه إلى خلافه أمره به ، وتركه طاعته ، أن المانع كان له من السجود ، والداعي له إلى خلافه أمر ربه في ذلك ، أنه أشد منه يدا ، وأقوى منه قوة ، وأفضل منه فضلا ، لفضل الجنس الذي منه خُلِقَ ، وهو النار ، من الذي خلق منه آدم ، وهو الطين ، فجهل عدو الله وجه الحق ، وأخطأ سبيل الصواب ؛ إذ كان معلوما أن من جوهر النار : الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوا ، والذي في جوهرها من ذلك ، هو الذي

حمل الخبيث بعد الشقاء الذي سبق له من الله، في الكتاب السابق، على الاستكبار عن السجود لآدم، والاستخفاف بأمر ربه، فأورثه العطب والهلاك، وكان معلوماً أن من جوهر الطين: الرزاق والأناة والحلم والحياء والثبوت، وذلك الذي في جوهره من ذلك، كان الداعي لآدم، بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه، في الكتاب السابق، إلى التوبة من خطيئته، ومستلته ربه العفو عنه والمغفرة. ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان: أول من قاس إبليس، يعنيان بذلك: القياس الخطأ، وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله، وبُعده من إصابة الحق، في الفضل الذي خص الله به آدم على سائر خلقه، من خلقه إياه بيده، ونفخه فيه من رُوحه، وإسجاده له الملائكة، وتعليمه أسماء كل شيء، مع سائر ما خصه به من كرامته، فضرب عن ذلك كله الجاهلُ صفحا، وقصد إلى الاحتجاج بأنه خلقه من نار، وخلق آدم من طين، وهو في ذلك أيضا له غير كفاء، لو لم يكن لآدم من الله جل ذكره تكريمة شيء غيره، فكيف والذي خص به من كرامته يكثر تعداده، ويُعَمَلُ إحصاؤه.

حدثني عمرو بن مالك، قال: ثنا يحيى بن سليم الطائفي، عن هشام، عن ابن سيرين، قال: أول من قاس إبليس، وما عبّدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن كثير، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق، عن الحسن، قوله (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) قال: قاس إبليس، وهو أول من قاس. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس، قال: لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات: اسجدوا لآدم، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر، لما كان حدث نفسه من كبره واغتراره، فقال: لا أسجد له، وأنا خير منه، وأكبر سنا، وأقوى خلقا، (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) يقول: إن النار أقوى من الطين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ) قال: ثم جعل ذريته من ماء.

قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله عدو الله، ليس لما سأله عنه بجواب، وذلك أن الله تعالى ذكره قال له ما منعك من السجود؟ فلم يجب بأن الذي منعه من السجود: أنه خلقه من نار، وخلق آدم من طين، ولكنه ابتداء خبرا عن نفسه، فيه دليل على موضع الجواب، فقال: (أنا خير منه خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ).

القول في تأويل قوله

قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا، فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا، فَأُخْرِجُ لَكَ مِنَ الصُّغْرَيْنِ (١٣)

يعنى بذلك جل ثناؤه : قال الله لإبليس عند ذلك : ( فَهَبْطُ مِينَهَا ) . وقد بيننا معنى الهبوط فيما مضى قبل ، بما أئني عن إعادته . ( فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ) : يقول تعالى ذكره : فقال الله له : اهبط منها ، يعنى : من الجنة ، فما يكون لك ، يقول : فليس لك أن تستكبر في الجنة عن طاعتي وأمرى . فإن قال قائل : هل لأحد أن يتكبر في الجنة ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معنى ذلك : فاهبط من الجنة ، فإنه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله ، فأما غيرها ، فإنه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله ، والمستكين لطاعته .

وقوله ( فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ) يقول : فاخرج من الجنة ، إنك من الذين قد نالهم من الله الصغار والذل والمهانة ؛ يقال منه : صَغِرَ يَصْغُرُ صَغَرًا وَصَغَرًا وَصَغَرَانًا ؛ وَقَدْ قِيلَ : صَغِرَ يَصْغُرُ صَغَارًا وَصَغَارَةً ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ السُّدِّيُّ .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ) والصغار : هو الذل .

#### القول في تأويل قوله

قَالَ : أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ : إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥)

وهذه أيضا جهلة أخرى من جهلاته الخبيثة ، سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه ، وذلك أنه سأل النظرية إلى قيام الساعة ، وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق ، ولو أعطى ما سأل من النظرية ، كان قد أعطى الخلود ، وبقاء لافناء معه ، وذلك أنه لاموت بعد البعث ، فقال جل ثناؤه له ( إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ) وذلك إلى اليوم الذي قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء ، لأنه لا شيء يبقى فلا يفنى ، غير ربنا الحى الذى لا يموت . يقول الله تعالى ذكره ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ) . والإنظار في كلام العرب : التأخير ، يقال منه : أنظرته بحق عليه ، أنظرته به إنظارا .

فإن قال قائل : فإن الله قد قال له إذ سأله الإنظار إلى يوم يُبعثون ( إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ) في هذا الموضوع ، فقد أجابه إلى ما سأل ؟ قيل له : ليس الأمر كذلك ، وإنما كان مجيبا له إلى ما سأل لو كان قال له : إنك من المنظرين إلى الوقت الذى سألت ، أو إلى يوم البعث ، أو إلى يوم يبعثون ، أو ما أشبه ذلك ، مما يدل على إجابته إلى ما سأل من النظرية . وأما قوله ( إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ) فلا دليل فيه ، لولا الآية الأخرى التى قد بين فيها مدة إنظاره إياه إليها ، وذلك قوله ( فإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ) ، على المدة التى أنظره إليها ، لأنه إذا أنظره يوما واحدا ، أو أقل منه أو أكثر ، فقد دخل في عداد المنظرين ، وتم فيه وعد الله الصادق ، ولكنه قد بين قدر مدة ذلك ، بالذى ذكرناه ، فعلم بذلك الوقت الذى أنظر إليه . وبنحو ذلك كان السدي يقول .

حدثني يونس بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي

إلى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ( فلم يُنْظِرْهُ إِلَى يَوْمِ الْبِعْثِ ، وَلَكِنْ أَنْظَرَهُ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ، وَهُوَ يَوْمٌ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الْأُولَى ، فَصَعِقَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ ، فَمَاتَ .

فتأويل الكلام : قال إبليس لربه : أنظرنى : أى أحررنى وأجلتنى ، وأنسى فى أجلى ، ولا تُمتحنى إلى يوم يُبعثون ، يقول : إلى يوم يُبعث الخلق ، فقال تعالى ذكره ( إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ) إلى يوم ينفخ فى الصور ، فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض ، إلا من شاء الله .

فإن قال قائل : فهل أحد مُنْظَرٌ إلى ذلك اليوم سوى إبليس ، فيقال له : إنك منهم ؟ قيل : نعم ، من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ، ممن تقوم عليه الساعة ، فهم من المنظرين بأجلهم إليه ، ولذلك قيل لإبليس : ( إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ) بمعنى : إنك ممن لا يمته الله إلا ذلك اليوم .

القول فى تأويل قوله

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)

يقول جل ثناؤه : قال إبليس لربه : ( فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ) يقول : فبما أضللتنى . كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ) يقول : أضللتنى . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ) قال : فبما أضللتنى .

وكان بعضهم يتأول قوله ( فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ) : بما أهلكتنى ، من قولهم : غوى الفصيل يُغوى غوىً ، وذلك إذا فتقد الأب فمات ، من قول الشاعر :

مُعْطَفَةٌ الْأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُهَا بِرَارِزِهَا دَرًّا وَلَا مَيْتَ غَوَىٰ

وأصل الإغواء فى كلام العرب : تزوين الرجل للرجل الشئ ، حتى يحسنه عنده غاراً له . وقد حكى عن بعض قبائل طي أنها تقول : أصبح فلان غاوريا : أى أصبح مريضاً . وكان بعضهم يتأول ذلك أنه بمعنى القسم ، كأن معناه عنده : فبإغوائك إياى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، كما يقال : بالله لأفعلن كذا . وكان

(١) البيت فى ( اللسان : غوى ) قال : وغوى الفصيل والسخلة يغوى غوىً ، فهو غو : بشم من اللبن ، وفسد جوفه . وقيل : هو أن يمتنع من الرضاع ، فلا يروى ، حتى يهزل ، ويضر به الجوع ، وتوسه حاله ، ويموت هزالاً ، أو يكاد يهلك . قال : يصف قوساً : معطفة . . الخ ، يعنى القوس وسهامى به عنها ، وهذا من الغز . وقال الليث : غوى الفصيل يغوى غوىً : إذا لم يصب رياً من اللبن ، حتى كاد يهلك . وقال ابن شميل : غوى الصبى والفصيل إذا لم يجد من اللبن إلا عطقه ، فلا يروى ، وتراه عثلاً ( سببه الغذاء ) . قال شمر : وهذا هو الصحيح عند أصحابنا . وقال ابن السكيت : هو ألا يروى من لباً أمه ، ولا يروى من اللبن حتى يموت هزالاً . قال ابن برى : الظاهر فى هذا البيت قول ابن السكيت ، والجمهور على أن الغوى : البشم من اللبن . وقال ابن قتيبة فى كتابه « المعانى الكبير ص ١٠٤٧ » : أنشد ابن الأعرابي لعامر الجنبون : معطفة الأذنان . . الخ ، يريد : القوس ، وفصيلها السهم . والغوى : البشم . وانظره فى المخصص ( ٧ : ١٨٠ ) .

بعضهم يتأول ذلك بمعنى المجازاة ، كأن معناه عنده : فلأنك أغويتني ، أو فبأنك أغويتني ، لأفعدنّ لهم صراطك المستقيم ، وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية ، من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك إليه ، وأن السبب الذي به يصل المؤمن إلى الإيمان ، هو السبب الذي به يصل الكافر إلى الكفر ، وذلك أن ذلك لو كان كما قالوا : لكان الخبيث قد قال بقوله ( فَيَسِيءَ أَعْوَابِيَّتِي ) : فما أصلحتني ، إذ كان سبب الإغواء ، هو سبب الإصلاح ، وكان في إخباره عن الإغواء ، إخبار عن الإصلاح ، ولكن لما كان سببهما مختلفين ، وكان السبب الذي به غوى وهلك من عند الله ، أضاف ذلك إليه فقال ( فَيَسِيءَ أَعْوَابِيَّتِي ) .

وكذلك قال محمد بن كعب القرظي ، فيما حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا أبو مودود ، سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : قاتل الله القدرية ، إبليس أعلم بالله منهم .

وأما قوله ( لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ) فإنه يقول : لأجلسنّ لبني آدم صراطك المستقيم ، يعني : طريقك القويم ، وذلك دين الله الحق ، وهو الإسلام وشرائعه . وإنما معنى الكلام : لأصدنّ بني آدم عن عبادتك وطاعتك ، ولأغوينهم كما أغويتني ، ولأضللنهم كما أضللتني . وذلك كما روي عن سيرة بن الفاكه : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الشيطان قعد لا يبنّ آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ، وإماماً مثل المهاجر كالفرس في الطول ، فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، وهو جهنم النفس والمال ، فقال : أتقاتل فتقتل ، فتنتكح المرأة ، ويقتسم المال ؟ قال : فعصاه فجاهد » .

وروي عن عون بن عبد الله في ذلك ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حنيفة أبو يزيد ، عن عبد الله ابن بكير ، عن محمد بن سوقة ، عن عون بن عبد الله ( لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ) قال : طريق مكة ، والذي قاله عون : وإن كان من صراط الله المستقيم ، فليس هو الصراط كله ، وإنما أخبر عدو الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ، ولم يخصص منه شيئاً دون شيء ، فالذي روي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أشبه بظاهر التنزيل ، وأولى بالتأويل ، لأن الخبيث لا يألو عباد الله الصداً عن كل ما كان لهم قرينة إلى الله .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل في معنى المستقيم في هذا الموضع .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ) قال : الحق .



حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدني ، قال : سمعت مجاهدا يقول :  
( لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ) قال : سبيل الحق ، فلاضلهم إلا قليلا .  
واختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحوِّي البصرة : معناه : لأقعدن لهم على صراطك المستقيم ،  
كما يقال : توجه مكة : أي إلى مكة ، وكما قال الشاعر :

كَأَنِّي إِذْ أَسْعَى لِأَظْفَرَ طَائِرًا مَعَ النَّجْمِ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ<sup>١</sup>

بمعنى : لأظفر بطائر ، فألقى الباء ، وكما قال : ( أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ) ، بمعنى : أَعْجَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ . وقال بعض نحوِّي الكوفة : المعنى والله أعلم : لأقعدن لهم على طريقهم ، وفي طريقهم ؛ قال :  
وإلقاء الصفة من هذا جائز ، كما تقول : قعدت لك وجه الطريق ، وعلى وجه الطريق ؛ لأن الطريق صفة  
في المعنى يحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام ، إذ قيل : آتيتك غدا ، وآتيتك في غدا .

وهذا القول هو أولى القولين في ذلك عندي بالصواب ، لأن القعود مقتض مكانا يقعد فيه ، فكما  
يقال : قعدت في مكانك ، يقال : قعدت على صراطك ، وفي صراطك ، كما قال الشاعر :

لَدُنَّ يَهْرُ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ<sup>٢</sup>

فلا تكاد العرب تقول ذلك في أسماء البلدان ، ولا يكادون يقولون : جلست مكة وقمت ببغداد .

#### القول في تأويل قوله

ثُمَّ لَا تَيْبَسُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ  
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى قوله ( لَا تَيْبَسُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ) :  
من قبيل الآخرة ( وَمِنْ خَلْفِهِمْ ) : من قبيل الدنيا ( وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ) : من قبيل الحق ( وَعَنْ  
شَمَائِلِهِمْ ) : من قبيل الباطل .  
ذكر من قال ذلك :

(١) يصوب : أي ينزل . ولم أفد على قائله .

(٢) البيت من شواهد التحوين (الخرزاة للبغدادى ١ : ٤٧٤) على أن حذف حرف الجر من الطريق شاذ ، والأصل : كما عسل في الطريق  
الثعلب ، والذن : الناعم اللين ، ويعسل : يشتد اهتزازة ، عسل الثعلب والذئب في عدوه : إذا اشتد اضطرابه ، والمصدر :  
عسلا وعسلانا بتحريكهما . والبيت لساعدة بن جؤية الهدلى ، مخضرم أسلم ، وليست له صحبة . ورواه السكري في أشعار هذيل :  
« لذهر الكف يعسل نصله » وقال : يضطرب نصله كما يضطرب الثعلب في الطريق إذا عدا . والنصل : السنان . اه . ورواية المؤلف  
كرواية سيبويه ، وهي الخيدة . وفي اللسان ( : عسل ) : وقول ساعدة بن جؤية : لدن . البيت كرواية المؤلف . أراد : عسل  
في الطريق ، فحذف وأوصل ، كقولهم : دخلت البيت .

وقال الأعمى : استشهد به سيبويه على وصول الفعل إلى الطريق ، وهو اسم خاص للموضع المستطرق ، بنير واسطة حرف جر ، قال تشيبا  
بالمكان ، لأن الطريق مكان ، وهو نحو قول العرب : ذهب الشام ، إلا أن الطريق أقرب إلى الإبهام من الشام ، لأن الطريق تكون  
في كل موضع يسار فيه ، وليس الشام كذلك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( **مِمَّنْ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ** ) : يقول : أشككهم في آخرتهم . ( **وَمِنَ خَلْفِهِمْ** ) : أرغبتهم في دنياهم . ( **وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ** ) : أشبه عليهم أمر دينهم . ( **وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ** ) : أشهى لهم المعاصي . وقد روى عن ابن عباس بهذا الإسناد في تأويل ذلك خلاف هذا التأويل .

وذلك ما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( **مِمَّنْ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ** ) : يعنى من الدنيا . ( **وَمِنَ خَلْفِهِمْ** ) : من الآخرة . ( **وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ** ) : من قبيل حسناتهم . ( **وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ** ) : من قبيل سيئاتهم .

وتحقق هذه الرواية ، الأخرى التي حدثني بها محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( **مِمَّنْ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ** ) : فممن قبلكم ؛ وأما من خلفهم : فأمر آخرتهم ؛ وأما عن أيمانهم : فمن قبيل حسناتهم ؛ وأما عن شمائلهم : فمن قبيل سيئاتهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( **مِمَّنْ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ** ) . . . الآية ، أتاها من بين أيديهم ، فأخبرهم أنه لا بعث ولاجنة ولا نار ، ومن خلفهم من أمر الدنيا ، فزيناها لهم ، ودعاهم إليها ؛ وعن أيمانهم : من قبيل حسناتهم : بطأهم عنها ؛ وعن شمائلهم : زين لهم السيئات والمعاصي ، ودعاهم إليها ، وأمرهم بها ، أذاك يا بن آدم من كل وجه ، غير أنه لم يأتك من فوقك ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله .

وقال آخرون : بل معنى قوله ( **مِنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ** ) : من قبيل دنياهم . ( **وَمِنَ خَلْفِهِمْ** ) : من قبيل آخرتهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله ( **مِمَّنْ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ** ) : قال : من بين أيديهم : من قبيل دنياهم ؛ ومن خلفهم : من قبيل آخرتهم . ( **وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ** ) : من قبيل حسناتهم . ( **وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ** ) : من قبل سيئاتهم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن الحكم ( **مِمَّنْ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ** ) : قال : من بين أيديهم ؛ ومن خلفهم : من آخرتهم ؛ وعن أيمانهم : من حسناتهم ؛ وعن شمائلهم : من قبيل سيئاتهم .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ( **مِمَّنْ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ** ) : قال : من قبل الدنيا يزيناها لهم ؛ ومن خلفهم : من قبيل الآخرة : يبطئهم عنها ؛ وعن أيمانهم : من قبيل الحق : يصدتهم عنه ؛ وعن شمائلهم : من قبيل الباطل : يرغبهم فيه ، ويزينه لهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( **مِمَّنْ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ** )

مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ) أما من بين أيديهم : فالدنيا : أدعواهم إليها ، وأرغبهم فيها . ومن خلفهم : فن الآخرة : أشككهم فيها ، وأبعدها عليهم . وعن أيماهم : يعنى الحق : فأشككهم فيه . وعن شمائلهم : يعنى الباطل : أخفاه عليهم ، وأرغبهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله ( مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ) من دنياهم أرغبهم فيها ( وَمِنْ خَلْفِهِمْ ) آخرتهم : أكفرهم بها ، وأزهدهم فيها . ( وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ) حسنتهم أزهدهم فيها . ( وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ) : مساوى أعمالهم : أحسنها إليهم . وقال آخرون : معنى ذلك : من حيث يبصرون ، ومن حيث لا يبصرون .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قول الله ( مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ) قال : حيث يبصرون ( وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ) : حيث لا يبصرون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالوا : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : تذاكرنا عند مجاهد ، قوله ( ثُمَّ لَا تَيْسَّرُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ) فقال مجاهد : هو كما قال : يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمائلهم ، زاد ابن حميد ، قال : يأتيهم من ثم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدني ، قال : قال مجاهد : فذكر نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم .

يقول أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال : معناه : ثم لا تيسرهم من جميع وجوه الحق والباطل ، فأصدتهم عن الحق ، وأحسن لهم الباطل ؛ وذلك أن ذلك عقيب قوله ( لَا تَقْعُدَنَّكُمْ صَرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ ) ، فأخبر أنه يقعد لبنى آدم على الطريق الذى أمرهم الله أن يسلكوه ، وهو ما وصفنا من دين الله الحق ، فبأيتهم فى ذلك من كل وجوه ، من الوجه الذى أمرهم الله به ، فيصدتهم عنه ، وذلك من بين أيديهم ، وعن أيماهم ، ومن الوجه الذى نهاهم الله عنه ، فيزيئهم لهم ، ويدعوهم إليه ، وذلك من خلفهم ، وعن شمائلهم . وقيل : ولم يقل : من فوقهم ، لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله ( ثُمَّ لَا تَيْسَّرُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ) ولم يقل : من فوقهم ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم . وأما قوله ( وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ) فإنه يقول : ولا تجد رباً أكثر بنى آدم شاكرين لك

نعمتك التي أنعمت عليهم ، كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به ، من إسجاده له ملائكتك ، وتفضيلك إياه على ، وشكرهم إياه طاعتهم له ، بالإقرار بتوحيده ، واتباع أمره ونهيه .

وكان ابن عباس يقول في ذلك بما حدثني به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ) يقول : موحدين .

### القول في تأويل قوله

قَالَ : أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره ، عن إحلاله بالخبيث عدو الله ما أحل به من نعمته ولعنته ، وطرده إياه عن جنته ، إذ عصاه وخالف أمره ، وراجعته من الجواب بما لم يكن له مراجعته به ، يقول : قال الله له عند ذلك ( أَخْرَجَ مِنْهَا ) : أي من الجنة . ( مَذْمُومًا وَمَا مَذْحُورًا ) يقول : معيبا . والذام : العيب ، يقال منه : ذَامَهُ يَذَامُهُ ذَامًا فَهُوَ مَذْمُومٌ ، ويتركون الهمز فيقولون : ذِمْتُهُ أَذِيْمُهُ ذِيْمًا وَذَامًا ، والذام والذيم : أبلغ في العيب من الذم ، وقد أنشد بعضهم هذا البيت :

صَحْبُكَ إِذْ عَيْبِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتَ نَفْسِي أَذِيْمَهَا  
وأكثر الرواة على إنشاده ألومها . وأما المدحور : فهو المقتضى ، يقال : دَحَرَهُ يَدْحُرُهُ دَحْرًا وَدُحُورًا : إذا أقصاه وأخرجه ، ومنه قولهم : ادْحَرْتُ عَنْكَ الشَّيْطَانَ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَا مَذْحُورًا ) يقول : أخرج منها لتعينا منفيًا .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : مذموم : ممقوت . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَا ) يقول : صغيرا منفيًا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَا مَذْحُورًا ) : أما مذموم : فمتنفيًا ، وأما مدحورا : فمطرودا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( مَذْمُومًا وَمَا ) قال : منفيًا ( مَذْحُورًا ) قال : مطرودا .

(١) في (اللسان : ذام) : ذام الرجل يذامه ذامًا : حقره وذمه وعابه ، وقيل : حقره وطرده ، فهو مذموم . أو ذامه ذامًا : طرده . وفي التزويل العزيز : « أخرج منها مذمومًا مدحورًا » : يكون معناه : مذمومًا ، ويكون : مطرودا . وقال مجاهد : مذمومًا : منفيًا ، ومدحورًا : مطرودا . وذامه ذامًا : أغزاه ؛ والذام : العيب ، يهز ولا يهمز . وقال في ( ذيم ) الذيم والذام : العيب ، وقد ذامه يذيمه ذيمًا وذامًا : عابه ، وذمته أذيمه ، وذامته وذمته ، كله بمعنى ، عن الأخفش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ( اخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُومًا ) قال : منغيا ، والمدحور ، قال : المصغّر .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة . عن يونس وإسرائيل عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس ( اخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُومًا ) قال : منغيا .  
حدثني أبو عمرو القرقيساني عثمان بن يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، سأل ابن عباس : ما ( اخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُومًا وما مَذْحُورًا ؟ ) قال : مَقْبِيْنَا .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( اخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُومًا وما مَذْحُورًا ) فقال : ما تعرف المذموم والمذموم إلا واحدا ، ولكن يكون <sup>١</sup> منتقصة ، وقال العرب لعامر : يا عامر ، ولحارث : يا حار ، وإنما أنزل القرآن على كلام العرب .

القول في تأويل قوله ( لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ) :

وهذا قسم من الله جل ثناؤه ، أقسم أن من اتبع من بني آدم عدو الله إبليس وأطاعه ، وصدق ظنه عليه ، أن يملأ من جميعهم ، يعنى من كفره بنى آدم تُبَاع إبليس ، ومن إبليس وذريته ، جهنم ، فرحم الله امرأ كذّاب ظنّ عدو الله في نفسه ، وخيب فيها أمله وأمنيته ، ولم يكن ممن أطمع فيها عدوه ، واستغشّه ولم يستنصحه ، وإن الله تعالى ذكره إنما نبه بهذه الآيات عباده ، على قِدم عداوة عدوه وعدوهم إبليس لهم ، وسالف ما سلف من حسده لأبيهم ، وبغيه عليه وعليهم ، وعرفهم مواقع نعمه عليهم قديما ، في أنفسهم ووالدهم ، ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب ، فينجزوا عن طاعة عدوه وعدوهم إلى طاعته ، ويذنبوا إليها .

القول في تأويل قوله

وَيَسَادِمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩)

يقول الله تعالى ذكره : وقال الله لآدم ( يا آدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَوَجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ) فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة ، بعد أن أهبط منها إبليس ، وأخرجه منها ، وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها ، من أى مكان شاءا منها ، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها . وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك ، وما نرى من القول فيه صوابا ، في غير هذا الموضع ، فكرهنا إعادته . ( فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ) : يقول : فتكونا ممن خالف أمر ربه ، وفعل ما ليس له فعله .

القول في تأويل قوله

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا ، وَقَالَ : مَا نَهَاكُمَا

رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ ، أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠)

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة . ولعل الساقط كلمة : « المذموم » . أى يكون لفظه المذموم منتقصة من المذموم .

بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ ( فَوَسْوَسَ لَهُمَا ) فوسوس إليهما ، وتلك الوسوسة كانت قوله لهما ( ما  
 تَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ) وإقسامه  
 لهما على ذلك . وقيل : وسوس لهما ، والمعنى ما ذكرت ، كما قيل : عَرَّضَتْ لَهُ ، بمعنى : استبنت إليه ،  
 وإنما يعنى : عرضت من هؤلاء إليه ، فكذلك معنى ذلك : فوسوس من نفسه إليهما الشيطان بالكذب من  
 من القيل ( لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا ) كما قال رؤبة :

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الْفَلَقِ ١

ومعنى الكلام : فجذب إبليس إلى آدم حواء ، وألقى إليهما : ما نهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة ،  
 إلا أن تكونا ملكين ، أو تكونا من الخالدين ، ليبدى لهما ما وازاه الله عنهما من عوراتهما ، فغطاه بسيره  
 الذى ستره عليهما .

وكان وهب بن منبه يقول فى الستر الذى كان الله سترهما به ، ما حدثنى به ، حوثرة<sup>٢</sup> بن محمد المنقرى ،  
 قال ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن منبه ، فى قوله ( فَبَدَّتْ لهُمَا سَوَاءُ تَهُمَا ) قال : كان عليها  
 نور لا ترى سواتهما .

بِقَوْلِهِ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ( وَقَالَ مَا تَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ  
 تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ) :

يقول جلَّ ثَنَاؤُهُ : وقال الشيطان لآدم وزوجته حواء : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا  
 ثمرها ، إلا لتلا تكونا ملكين ، وأسقطت «لا» من الكلام ، لدلالة ما ظهر عليها ، كما أسقطت من قوله ( يَبْسُيْنُ  
 اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ) والمعنى : يبين الله لكم أن لا تضلوا . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم  
 أن معنى الكلام : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين ، كما يقال : إياك أن تفعل  
 كراهية أن تفعل ، أو تكونا من الخالدين فى الجنة ، المالكين فيها أبدا ، فلا تموتا . والقراءة على فتح اللام ،  
 بمعنى ملكين من الملائكة .

وروى عن ابن عباس ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثنا عيسى  
 الأعمى ، عن السدى ، قال : كان ابن عباس يقرأ ( إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ ) بكسر اللام .

وعن يحيى بن أبي كثير ما حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ،  
 عن هارون ، قال : ثنا يعلى بن حكيم ، عن يحيى بن أبي كثير ، أنه قرأها ملكين بكسر اللام ، وكان ابن  
 عباس ويحيى وجهها تأويل الكلام ، إلى أن الشيطان قال لهما ( ما تَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا  
 أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ ) من الملوك ، وأنهما تأولا فى ذلك قول الله فى موضع آخر ( قَالَ يَا آدَمُ هُنَا  
 أَدْنَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لِيَبْلَى ) .

بِقَوْلِهِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : والقراءة التى لأستجيز القراءة فى ذلك بغيرها ، القراءة التى عليها قرآء الأمصار ،

(١) البيت الثالث والخمسون بعد المئة فى ديوان طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ من أرجوزته المطولة فى وصف المغازة ص ١٠٨ .

(٢) هو حوثرة بن محمد المنقرى أبو الأزهر البصرى الوراق مات سنة ٢٥٦ وثقة ابن حبان .

وهي فتح اللام من ملكين ، بمعنى : ملكين من الملائكة ، لما قد تقدم من بياننا في أن كل ما كان مستفيضا في قرآءة الإسلام من القراءة ، فهو الصواب الذي لا يجوز خلافه .

القول في تأويل قوله

وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)

يعنى جل ثناؤه بقوله ( وَقَاسَمَهُمَا ) : وحلف لهما ، كما قال في موضع آخر : ( تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ ) بمعنى : تحالفوا بالله ، وكما قال خالد بن زهير عم أبي ذؤيب :

وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ جَهْدًا لَأَنْتُمْ أَلَدٌ مِّنَ السَّلَوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا  
بمعنى : وحالفها بالله ، وكما قال أعشى بنى ثعلبة :

رَضِيْعَى لِبَانِ ثَدْيِ أُمِّ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمِ دَاجٍ : عَوْضٌ لَأَنْتَفَرَّقُ ٢

بمعنى تحالفا . وقوله ( إِنِّي لَكُمَا مِّنَ النَّاصِحِينَ ) : أى لمن ينصح لكما في مشورته لكما ، وأمره إياكما بأكل ثمر الشجرة التي نهيتم عن أكل ثمرها ، وفي خبر ، إياكما بما أخبركما به ، من أنكما إن أكلتماه كنتما ملكين ، أو كنتما من الخالدين .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ) فحلف لهما بالله حتى خدعهما ، وقد يخدع المؤمن بالله ، فقال : إِنِّي خَلَقْتِ قَبْلَكُمَا ، وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمَا ، فاتبعاني أرشدكما . وكان بعض أهل العلم يقول : من خادعنا بالله خدعنا .

القول في تأويل قوله

فَدَأَاهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا ، وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا : أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢)

(١) البيت في (اللسان : سلا) منسوباً إلى خالد بن زهير ، قال : أى تأخذها من خلتها ، يعنى العسل . قال الزجاج : أخطأ خالد ، إنما السلوى طائر . قال الفارسي : السلوى : كل ما سلاك ، وقيل للعسل : سلوى ، لأنه يسليك بجلاوته وتأتيه عن غيره ، ما تلحقك فيه مؤنة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة . يرد بذلك على أبي إسحاق (الزجاج) . قال : وقال أبو بكر : قال المفسرون : المن : الترنجيب ، والسلوى : السباني . قال : والسلوى عند العرب : العسل . وفي (اللسان : قسم) : وقاسمه : حلف له . وتقاسموا بالله : تحالفوا .

(٢) البيت للأعشى ميمون : (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٥) وفيه وفي اللسان : (تحالفا) في موضع (تقاسما) والرضيعان : هما الثدي : أى الكرم والخلق ، وهو الممدوح بالقصيدة ، وقد ذكرها في البيت قبله ، وذكر نار القرى ، قال :

تَشَبَّهْتُ لِمَقْسُرَرَيْنِ يَصْطَلِكِيَانِيهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ ٣

يريد أن الكرم وهذا الرجل قد رضعاً ثدي أم واحدة ، وقد تحالفا أنهما لا يفترقان أبداً . والأسحم الداسي : قيل هو الليل ، وهو ما يقسمون به . وقيل : سواد حلمة الثدي الذي رضعاه معا . وعوض : ظرف مبي على الفم ، ومعناه : ما يستقبل من الزمان : أى أهد الدهر . وانظروا في (اللسان : عوض) .

بِقَوْلِهِ ( فَدَلَا هُمَا بِبَغْرُورٍ ) فخدعهما بغرور ، يقال منه : ما زال فلان يُدلى فلانا بغرور ، بمعنى : ما زال يخدعه بغروره ، ويكلمه بزخرف من القول باطل ( فَلَئِمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ) : يقول : فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة ، يقول : طعامه . ( بَدَتَا لَهُمَا سَوَاتِيمَهُمَا ) يقول : انكشفت لهما سواتيمهما ، لأن الله أعرهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة ، فسلبيهما ذلك بالخطيئة التي أخطأا ، أو المعصية التي ركبا ( وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) يقول : أقبلا وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ، ليواريا سواتيمهما .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهُمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) قال : جعلوا يأخذان من ورق الجنة ، فيجعلان على سواتيمهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كَانَ آدَمُ كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ صَحُوقٌ ، كَثِيرٌ شَعْرُ الرَّأْسِ ، فَلَمَّا وَقَعَ بِالْخَطِيئَةِ بَدَتَ لَهُ عَوْرَتُهُ ، وَكَانَ لَا يَرَاهَا ، فَانْطَلَقَ فَارًا ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ شَجَرَةٌ ، فَحَبَسَتْهُ بِشَعْرِهِ ، فَقَالَ لَهَا أُرْسِلِيْنِي ، فَقَالَتْ : لَسْتُ بِمُرْسِلَتِكَ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ : يَا آدَمُ ، أَمِنِي تَفْرَأُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُكَ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان بن عيينة وابن مبارك ، عن الحسن ، عن عمارة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته : السُّبُّلَةُ ، فلما أكلا منها بدت لهما سواتيمهما ، وكان الذي وارى عنهما من سواتيمهما أظفارهما . ( وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهُمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) : ورق التين ، يلصقان بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم موليا في الجنة ، فأخذت برأسه شجرة من الجنة ، فناداه : أي آدم ، أمني تفرأ ؟ قال : لا ، ولكنني استحييتك يارب ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة ، وأبحتك منها ، مندوحة عما حرمت عليك ؟ قال : بلى يارب ، ولكن وعزتك ، ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا ، قال : وهو قول الله ( وَقَامَتْهُمَا إِتَى لَكُمَا لَمِينَ النَّاصِحِينَ ) . قال : فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ، ثم لاتنال العيش إلا كدآ ، قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رَعْدًا ، فأهبطا في غير رَعْدٍ من طعام وشراب ، فعلم صنعة الحديد ، وأمر بالحرث ، فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصده ثم داسه ، ثم ذراه ، ثم طعنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( يَخْصِفَانِ ) قال : يَرَفَعَانِ كهيئة الثوب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : يَخْصِفَانِ عليهما من الورق كهيئة الثوب .



حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَا لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ) وكانا قبل ذلك لا يريانها ( وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ) . . . الآية .

وقال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا الحسن ، عن أبي بن كعب ، أن آدم عليه السلام كان رجلا طويلا ، كأنه نخلة صموق ، كثير شعر الرأس ؛ فلما وقع بما وقع به من الخطيئة ، بدت له عورته عند ذلك ، وكان لا يراها ، فانطلق هاربا في الجنة ، فعلمت برأسه شجرة من شجر الجنة ، فقال لها : أرسليني ، قالت : إني غير مرسلتك ، فناداه ربه : يا آدم ، أمتي تفر؟ قال : رب إني استحييتك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) : قال : ورق التين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ( وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) : قال : ورق التين .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن حسام بن معبد ، عن قتادة وأبي بكر ، عن غير قتادة ، قال : كان لباس آدم في الجنة ظفرا كله ، فلما وقع بالذنب كُشِطَ عنه ، وبدت سوءته . قال أبو بكر : قال غير قتادة ( فَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) قال : ورق التين .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( بَدَتَا لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ) قال : كانا لا يريان سواتهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا عمرو ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) قال : كان لباس آدم وحواء عليهما السلام نورا على فروجهما ، لا يرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا ، فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سواتهما .  
انقول في تاويل قوله ( وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ) :

يقول تعالى ذكره : ونادى آدم وحواء ربهما : ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمرها ، وأعلمكما أن إبليس لكما عدو مبين ، يقول : قد أبان عداوته لكما ، بترك السجود لآدم ، حسدا وبغيا .  
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قوله ( وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ، أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ) : لم أكلتها وقد نهيتك عنها؟ قال : يارب أطعمتني حواء ، قال : لحواء : لم أطعمته؟ قالت : أمرتني الحية ، قال للحية : لم أمرتها؟ قالت : أمرني إبليس ، قال : ملعون مدحور ، أما أنت يا حواء ، فكما دميت الشجرة تدمين كل شهر ، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك ، فتمشين على وجهك ، وسيشددخ رأسك من لقيك ( اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ) .

(١) في النهاية لابن الأثير : كان لباس آدم عليه السلام الظفر ، أي شيء يشبه الظفر في بياضه وصفائه وكثافته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما أكل آدم من الشجرة قيل له : لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها ؟ قال : حواء أمرتني ، قال : فلما قد أعقبها أن لا تحمل إلا كرها ، ولا تضع إلا كرها ، قال : فترنت حواء عند ذلك ، فقيل لها : الرنة عليك وعلى ولدك .

#### القول في تأويل قول

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ، وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)

و هذا خبر من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به ، واعتراهما على أنفسهما بالذنب ، ومسألهما إياه المغفرة منه والرحمة ، خلاف جواب اللعين إبليس إياه . ومعنى قوله ( قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ) قال : آدم وحواء لربهما : ياربنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك ، وبطاعتنا عدونا وعدوك ، فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها ( وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا ) يقول : وإن أنت لم تسر علينا ذنبنا فتغطيه علينا ، وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه ، وترحمنا بتعطفك علينا ، وتركك أخذنا به ( لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) يعني : لنكوننَّ من الهالكين ، وقد بيَّنا معنى الخاسر فيما مضى ، بشواهد الرواية فيه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال آدم عليه السلام : يارب ، أ رأيت إن تُبْتُ واستغفرتك ؟ قال : إذن أدخلتك الجنة . وأما إبليس فلم يسأله التوبة ، وسأل النظرة ، فأعطى كل واحد منهما ما سأل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا ) . . . الآية ، قال : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه .

#### القول في تأويل قول

قَالَ : اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤)

و هذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بإبليس وذريته ، وآدم وولده والحية ، يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وإبليس والحية : اهبطوا من السماء إلى الأرض ، بعضكم لبعض عدو .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن طلحة ، عن أسباط ، عن السدي ( اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ) قال : فلعن الحية ، وقطع قوائمها ، وتركها تمشى على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، واهبطوا إلى الأرض ، آدم وحواء وإبليس والحية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ( اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ) قال : آدم وحواء والحية .

(١) رنت : صوتت . والرنة المرة من الرنين ، أي صيحتك .

وقوله ( وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا ) يقول : ولكم يا آدم وحواء وإبليس والحية ، في الأرض قرار تستقرونه ، وفراش تمهدونه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله ( وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا ) قال : هو قوله ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ) : ورؤى عن ابن عباس في ذلك ما حدثت عن عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن حدثه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا ) قال : القبور .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر آدم وحواء وإبليس والحية إذ أهبطوا إلى الأرض ، أنهم عدواً بعضهم لبعض ، وأن لهم فيها مستقراً يستقرون فيه ، ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقراً في حال حياتهم دون حال موتهم ، بل عم الخبر عنها ، بأن لهم فيها مستقراً ، فذلك على عمومه ، كما عمّ خبر الله ، ولهم فيها مستقراً في حياتهم على ظهرها ، وبعد وفاتهم في بطنها ، كما قال جل ثناؤه ( أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْواتًا ) .

وأما قوله ( وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ) : فإنه يقول جل ثناؤه : ولكم فيها متاع تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا ، وذلك هو الحين الذي ذكره .

كما حدثت عن عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن السدي ، عن حدثه ، عن ابن عباس ( وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ) قال : إلى يوم القيامة ، وإلى انقطاع الدنيا ، والحين نفسه الوقت ، غير أنه مجهول القدر ، يدل على ذلك قول الشاعر :

وَمَا مِرْاحُكَ بَعْدَ الحَيْمِ وَالْدَيْنِ وَقَدْ عَلَاكَ مَشِيدٌ حِينٌ لَا حِينٌ ١

أى وقت لا وقت .

#### القول في تأويل قوله

قَالَ : فِيهَا تَحْيَوْنَ ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ ، وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : قال الله للذين أهبطهم من سمواته إلى أرضه ( فِيهَا تَحْيَوْنَ ) يقول : في الأرض تحييون . يقول : تكونون فيها أيام حياتكم . ( وَفِيهَا تَمُوتُونَ ) يقول في الأرض تكون وفاتكم . ( وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ) يقول : ومن الأرض يخرجكم ربكم ، ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء .

(١) في (اللسان : مرح) : المرح : شدة الفرح والنشاط ، حتى يجاوز قدره ، وقد أمرحه غيره . والاسم : المرح بكسر الميم . وفي (اللسان : حين) : الحين : الدهر . وقيل وقت من الدهر مبهم ، يصلح لجميع الأزمان كلها ، طالت أو قصرت ، يكون سنة وأكثر من ذلك . والحين : الوقت ، والحين : المدة . وقوله : « حين لآحين » : أى تمرح في وقت غير وقت مرح لثلك ، وقد علت سنك ، وشاب رأسك .

القول في تأويل قوله

يَبْنِيَّ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ وَرِيثًا ، وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ، ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)

يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرون للطواف ، اتباعا منهم أمر الشيطان ، وتركوا منهم طاعة الله ، فعرفهم اتخذاعهم بغيره لهم ، حتى تمكن منهم ، فسلبهم من ستر الله الذى أنعم به عليهم ، حتى أبدى سواتهم ، وأظهرها من بعضهم لبعض ، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به ، وأنهم قد سار بهم سيرته فى أبوتهم آدم وحواء ، اللذين دلاهما بغيرور ، حتى سلبهما ستر الله الذى كان أنعم به عليهما ، حتى أبدى لهما سواتهما ، فعراهما منه : ( يا بَنِيَّ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ) : يعنى بإنزاله عليهم ذلك : خلقه لهم ، ورزقه إياهم . واللباس : ما يلبسون من الثياب . ( يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ ) يقول : يستر عوراتكم عن أعينكم ، وكفى بالسوات عن العورات ، واحدها سَوْءَةٌ ، وهى فَعْلَةٌ ، من السوء ، وإنما سميت سَوْءَةٌ لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده . كما قال الشاعر :

خَرَقُوا جَيْبًا فَتَأْتِيهِمْ لَمْ يُبَالُوا سَوْءَةَ الرَّجُلَةِ<sup>١</sup>

وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ ) قال : كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عُرَاة ، ولا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدنى ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى قوله : ( يا بَنِيَّ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ وَرِيثًا ) قال : أربع آيات نزلت فى قريش ، كانوا فى الجاهلية لا يطوفون بالبيت إلا عُرَاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، قال : سمعت معبدا الجهنى يقول فى قوله ( يا بَنِيَّ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ وَرِيثًا ) قال : اللباس الذى يلبسون . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( يا بَنِيَّ آدَمَ قَدْ

(١) البيت فى (اللسان : رجل) وقبلة بيت آخر ، وهو :

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مُعْتَبِطًا غَيْرَ جِيرَانِ بَنِي جَبَلَةَ

وهو شامد على أن أنى الرجل : رجلة . ثم قال : عن يبيها : هنا . وفى رواية اللسان : لم يبالوا حرمة الرجل .

أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ<sup>١</sup> ) قال : كانت قريش تطوف عُرَّة ، لا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه ، وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عُرَّة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهني ( يا بني آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ<sup>٢</sup> ) قال : اللباس الذي يوارى سواتكم : هو لبؤوسكم هذا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لباساً يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ<sup>٣</sup> ) قال : هي الثياب .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : ثني من سمع عُرَّة بن الزبير ، يقول : اللباس : الثياب .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ<sup>٤</sup> ) قال : يعني ثياب الرجل التي يلبسها .

القول في تأويل قوله ( وَرِيشًا ) :

اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء الأمصار ( وَرِيشًا ) بغير ألف .

وذُكِرَ عن زِرِّ بن حُبَيْش والحسن البصري : أنهما كانا يقرأانه ( وَرِيشًا ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبان العطار ، قال : حدثنا عاصم ، أن زِرَّ بن حُبَيْش قرأها ( وَرِيشًا ) .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك : قراءة من قرأ ( وَرِيشًا ) بغير ألف ، لإجماع الحجّة من القراء عليها . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم خير في إسناده نظر ، أنه قرأه ( وَرِيشًا ) ، فمن قرأ ذلك ( وَرِيشًا ) فإنه محتمل أن يكون أراد به جمع الريش ، كما تجمع الذئب ذئابا ، والبئر بئارا ، ويحتمل أن يكون أراد به مصدرًا من قول القائل : راشه الله يرشيه ريشا وربشا ، كما يقال : لبسه يلبسه لباسا وليسا ، وقد أشد بعضهم :

فَلَمَّا كَشَفْنَا لِبَسَ عَنَّهُ مَسْحَنَهُ<sup>٥</sup> بِأَطْرَافٍ طَقَلِ زَانَ غَيْسًا<sup>٦</sup> مُوشًا<sup>٧</sup>

بكسر اللام من اللبس . والرياش في كلام العرب : الأثاث وما ظهر من الثياب من المتاع ، مما يلبس أو يحشى من فراش أو دثار ، والريش : إنما هو المتاع والأموال عندهم ، وربما استعملوه في الثياب والكسوة ، دون

(١) البيت في (اللسان : طقل) . قال : وبنان طقل . وإنما جاز أن يوصف البنان وهو جمع ، بالطلق وهو واحد ، لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا إلهاء ، فإنه يوحد ويذكر ، ولهذا قال حميد : . . . البيت . أراد بأطراف بنان طقل ، فجعله بدلا عنه . والبيت في ديوان حميد بن ثور الهلالي ( طبعة دار الكتب المصرية ص ١٤ وهو ) الثالث والثلاثون في القصيدة . واللبس بالكسر : ما عليه من الثياب . وبالضم المصدر . والليل : الساعد الريان . وموشم : به وشم . والبيت في صفة يعير .

سائر المال ، يقولون : أعطاه سرجا بريشه ، ورحلا بريشه : أى بكسوته وجهازه ، ويقولون : إنه لحسن ريش الثياب ، وقد يستعمل الرياش فى الخصب ورفاهة العيش .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال : الرياش : المال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَرِيْشًا ) يقول : مالا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( وَرِيْشًا ) قال : المال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَرِيْشًا ) قال : أما ريشا : فرياش المال .

حدثني الحارث قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدنى ، قال : ثنى من سمع عروة بن الزبير تقول : الرياش : المال .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله ( وَرِيْشًا ) يعنى : المال .

ذكر من قال : هو اللباس ، ورفاهة العيش .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَرِيْشًا ) قال : الرياش : اللباس ، والعيش النعيم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهنى ( وَرِيْشًا ) قال : الرياش : المعاش .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا عوف ، قال : قال معبد الجهنى : ( وَرِيْشًا ) قال : هو المعاش .

وقال آخرون : الريش : الجمال .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَرِيْشًا ) قال : الريش : الجمال .

القول فى تأويل قوله ( وَلِبَاسٌ تَتَّقَوْنَ ذَلِكَ خَيْرٌ ) :

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : لباس التقوى : هو الإيمان .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَلْبِاسُ التَّقْوَى ) هو الإيمان .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَكَلْبِاسُ  
التَّقْوَى ) : الإيمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرني حجاج ، عن ابن جريج ( وَكَلْبِاسُ التَّقْوَى ) الإيمان  
وقال آخرون : هو الحياء .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهني ،  
في قوله ( وَكَلْبِاسُ التَّقْوَى ) الذي ذكر الله في القرآن : هو الحياء .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا عوف ، قال : قال معبد الجهني ،  
فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن معبد بنحوه .  
وقال آخرون : هو العمل الصالح .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
( وَكَلْبِاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ) قال : لباس التقوى : العمل الصالح .  
وقال آخرون : بل ذلك هو السمّ الحسن .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، عن محمد بن موسى ، عن الزبير  
ابن عمرو ، عن ابن عباس ( وَكَلْبِاسُ التَّقْوَى ) قال : السمّ الحسن في الوجه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن سليمان بن أرقم ،  
عن الحسن ، قال : رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص قَوَاهِيَّ مَحْلُولِ  
الزَّرِّ ، وسمعتة يأمر بقتل الكلاب ، وينهى عن اللعب بالحمام ، ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله في هذه  
السراير ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَمِلَ  
أَحَدٌ قَطُّ سِرًّا إِلَّا أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهُ عِلَانِيَةً » ، إن خَيْرًا فَخَيْرًا ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا ، ثم تلا هذه  
الآية ( وَرِيَاشًا ) ، ولم يقرأها ( وَرِيَشًا ) ، وَكَلْبِاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ) قال :  
السمّ الحسن .

وقال آخرون : هو خشية الله .

ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدني ، قال : ثني من سمع عروة بن الربير  
يقول ( لِبَاسُ التَّقْوَى ) : خشية الله .

وقال آخرون (لباسُ التَّقْوَى) في هذه المواضع : ستر العورة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ولباسُ التَّقْوَى ) : يتقى الله فيواري عورته ، ذلك لباس التقوى .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المكيين والكوفيين والبصريين ( ولباسُ التَّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ ) برفع ولباسٌ . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ( ولباسُ التَّقْوَى ) بنصب اللباس ، وهي قراءة بعض قراء الكوفيين ، فن نصب ( ولباسٌ ) فإنه نصبه عطفاً على الريش ، بمعنى : قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ، وأنزلنا لباس التقوى . وأما الرفع ، فإن أهل العربية يختلفون في المعنى الذي ارتفع به اللباس ، فكان بعض نحوياً البصرة يقول : هو مرفوع على الابتداء ، وخبره في قوله ( ذلكَ خَيْرٌ ) وقد استخطأه بعض أهل العربية في ذلك ، وقال : هذا غلط ، لأنه لم يعد على اللباس في الجملة عائد ، فيكون اللباس إذا رفع على الابتداء ، وجعل ذلك خير خبراً .

وقال بعض نحوياً الكوفة : ( ولباسٌ ) يُرفع بقوله : ولباس التقوى خير ، ويجعل ذلك من نعته . وهذا القول عندي أولى بالصواب في رفع اللباس ، لأنه لا وجه للرفع إلا أن يكون مرفوعاً بخير ، وإذا رفع بخير ، لم يكن في ذلك وجه إلا أن يجعل اللباس نعتاً ، لأنه عائد على اللباس من ذكره ، في قوله ( ذلكَ خَيْرٌ ) فيكون خير مرفوعاً بذلك ، وذلك به . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام إذن : رفع لباس التقوى ، ولباس التقوى ذلك الذي قد علمتموه خير لكم يابني آدم ، من لباس الثياب التي تواري سوآتكم ، ومن الرياش التي أنزلناها إليكم ، فالبسوه . وأما تأويل من قرأه نصبا : فإنه يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم ، وريشاً ، ولباس التقوى هذا الذي أنزلنا عليكم ، من اللباس الذي يواري سوآتكم ، والريش ، ولباس التقوى خير لكم من التعرّي والتجرد من الثياب في طوافكم بالبيت ، فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش ، ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعرّي من الثياب ، فإن ذلك سخرية منه بكم وخدعة ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء ، فخذعهما حتى جردهما من لباس الله الذي كان ألبسهما ، بطاعتهما له في أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التي عصياه بأكلها .

وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب ، أعني نصب قوله ( ولباسُ التَّقْوَى ) لصحة معناه في التأويل على ما بينت ، وإن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذي يواري سوآتنا والرياش ، توبيخاً للمشركين الذين كانوا يتجردون في حال طوافهم بالبيت ، ويأمرهم بأخذ ثيابهم ، والاستئثار بها في كل حال ، مع الإيمان به واتباع طاعته ، ويعلمهم أن كل ذلك خير من كل ما هم عليه مقيمون ، من كفرهم بالله وتعزيمهم ، لأنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خير من بعض . ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك ، الآيات التي بعد هذه الآية ، وذلك قوله ( يا بني آدم لا يفتننكُمُ الشيطانُ كما أخرجَ أبويكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَتَزَعُ مِنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِمَهُمَا ) ، وما بعد ذلك من الآيات ، إلى قوله ( وأن



تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) فإنه جل ثناؤه يأمر في كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب ، واستعمال اللباس ، وترك التجرد والتعري ، وبالإيمان به ، واتباع أمره والعمل بطاعته ، وينهى عن الشرك به ، واتباع أمر الشيطان ، مؤكدا في كل ذلك ما قد أجمله في قوله ( يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَاكَ خَيْرٌ ) .

﴿٢٦﴾ وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ) : استشعار النفوس تقوى الله ، في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه ، والعمل بما أمر به من طاعته ، وذلك يجمع الإيمان والعمل الصالح والحياء ، وخشية الله ، والسمت الحسن ، لأن من اتقى الله كان به مؤمنا ، وبما أمره به عاملا ، ومنه خائفا ، وله مراقبا ، ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحييا ، ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه ، فحسن سمته وهدية ، ورؤيت عليه بهجة الإيمان ونوره .

وإنما قلنا : عني بلباس التقوى : استشعار النفس والقلب ذلك ، لأن اللباس إنما هو أذراع ما يلبس ، واحتباء ما يكتسى ، أو تغطية بدنه أو بعضه به ، فكل من أذرع شيئا أو احتبى به ، حتى يرى هو أو أثره عليه ، فهو له لابس ، ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباسا ، وهن لهم لباسا ، وجعل الليل لعباده لباسا .

ذكر من تأول ذلك بالمعنى الذي ذكرنا من تأويله إذا قرئ قوله (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ) رفعا :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ) : الإيمان (ذلك خَيْرٌ) يقول : ذلك خير من الرياش واللباس ، يوارى سؤآتكم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ) قال : لباس التقوى خير ، وهو الإيمان .

القول في تأويل قوله ( ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ) :

﴿٢٧﴾ يقول تعالى ذكره : ذلك الذي ذكرت لكم أني أنزلته إليكم أيها الناس ، من اللباس والرياش ، من حجج الله وأدلته ، التي يعلم بها من كفر صحة توحيد الله ، وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة . (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) : يقول جل ثناؤه : جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت ليدكروا ، فيعتبروا وينيبوا إلى الحق ، وترك الباطل رحمة مني بعبادي .

القول في تأويل قوله

يٰۤاِبْنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطٰنُ كَمَاۤ اَخْرَجَ اٰبَوٰنِكَ مِنَ الْجَنَّةِ ، يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْۤاَتَهُمَا ، اِنَّهٗ يَرٰكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ، اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَاۤءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ (٢٧)

﴿٢٧﴾ يقول تعالى ذكره : يا بني آدم ، لا يخذعنكم الشيطان ، فيبدى سؤآتكم للناس ، بطاعتكم إياه عند اختباره

لكم ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره إياهما ، فأطاعاه وعصيا ربهما ، فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخذلعه من الجنة ، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ، ليريهما سوء آتئهما ، بكشف عورتئهما ، وإظهارها لأعينئهما ، بعد أن كانت مستترة . وقد بيئنا فيما مضى أن معنى الفتنة : الاختبار والابتلاء ، بما أغنى عن إعادته . وقد اختلف أهل التأويل في صفة اللباس الذي أخبر الله جل ثناؤه أنه نزع عن أبوينا ، وما كان ، فقال بعضهم : كان ذلك أظفارا .

ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا في ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عكرمة ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) قال : لباس كل دابة منها ، ولباس الإنسان : الظَّفُفُ ، فأدركت آدم التوبة عند ظفره ، أو قال : أظفاره حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن نصر بن عمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : تركت أظفاره عليه زينة ومنافع في قوله ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) .

حدثني أحمد بن الوليد القرشي ، قال : ثنا إبراهيم بن أبي الوزير ، قال : أخبرنا مخلد بن الحسين ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) قال : كان لباسئهما الظفر ؛ فلما أصابا الخطيئة نزع عنئهما ، وتركت الأظفار تذكرة وزينة .

حدثني المنني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) قال : كان لباسه الظَّفُفُ ، فانتبهت توبته إلى أظفاره .

وقال آخرون : كان لباسئهما نورا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن وهب ، بن منبه ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) : النور .

حدثني المنني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا عمرو ، قال سمعت وهب بن منبه يقول في قوله ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتئَهُمَا ) قال : كان لباس آدم وحواء نورا على فروجهما ، لا يرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا .

وقال آخرون : إنما عنى الله بقوله ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) يسلبئهما تقوى الله .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا مطلب بن زياد ، عن ليث ، عن مجاهد ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) قال : التقوى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) قال : التقوى .

حدثني المنني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندى : أن يقال : إن الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان ، كما فتن أبويهم آدم وحواء ، وأن يجردهم من لباس الله الذى أنزله إليهم ، كما نزع عن أبويهم لباسهما . واللباس المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء في متعارف الناس : هو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء ، أو غطى بدنه أو بعضه . وإذا كان ذلك كذلك ، فالحق أن يقال : إن الذى أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذى نزع عنهما الشيطان : هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتها ، وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظفراً ، ويجوز أن يكون ذلك كان نورا ، ويجوز أن يكون غير ذلك ، ولا خبر عندنا بأى ذلك تثبتت به الحجة ، فلا قول في ذلك أصوب من أن يقال ، كما قال جل ثناؤه ( يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ) . وأضاف جل ثناؤه إلى إبليس إخراج آدم وحواء من الجنة ، ونزع ما كان عليهما من اللباس عنهما ، وإن كان الله جل ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما ، عقوبة على معصيتهما إياه ، إذ كان الذى كان منهما في ذلك ، عن تشبيه ذلك لما بمكره وخداعه ، فأضيف إليه أحيانا بذلك المعنى ، وإلى الله أحيانا بفعله ذلك بهما .

القول في تأويل قوله ( إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ) ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ) :

يعنى جل ثناؤه بذلك : إن الشيطان يراكم هو ، والهاء في « إنه » عائدة على الشيطان . وقبيله : يعنى وصفه وجنسه ، الذى هو منه واحد : جمعه قبيل : وهم الجن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ) قال : الجن والشياطين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ) : قال : قبيله : نسأله . وقوله ( مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ) يقول : من حيث لا ترون أنهم أبها الناس الشيطان وقبيله . ( إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ) : يقول : جعلنا الشياطين نصراء الكفار الذين لا يوحّدون الله ، ولا يصدقون رسله .

#### القول في تأويل قوله

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ، قَالُوا : وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ؛ قُلْ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ

بِالْفَحْشَاءِ ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)

ذكر أن معنى الفاحشة في هذا الموضع : ما حدثني على بن سعيد بن مسروق الكندى ، قال : ثنا أبو عبيدة عن منصور ، عن مجاهد ( وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا )

قال : كانوا يطوفون بالبيت عُرَاة ، يقولون : نطوف كما ولدتنا أمهاتنا ، فتضع المرأة على قُبْلِهَا الذَّسْعَةَ أو الشَّيْءَ ، فتقول :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قالوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا فَاحْشَئْهُمْ : أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُرَاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مفضل ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير والشعبي :

( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كانوا يطوفون بالبيت عُرَاة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ) قال : كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عُرَاة ، فإذا قيل : لم تفعلون ذلك ؟ قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قال : طوافهم بالبيت عُرَاة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : في طواف الحُمْسِ في الثياب وغيرهم عُرَاة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

فتأويل الكلام إذن : وإذا فعل الذين لا يؤمنون بالله ، الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء قبيحا من الفعل ، وهو الفاحشة ، وذلك تعريهم لظواف بالبيت ، وتجردهم له ، فعُدُّوا على ما أتوا من قبيح فعلهم ، وعوتبوا عليه ، قالوا : وجدنا على مثل مانفعل آباءنا ، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ، ونقتدى بهديهم ، ونستن بسنتهم ، والله أمرنا به ، فنحن نتبع أمره فيه . يقول الله جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنْ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . يقول : لا يأمر خلقه بقبيح الأفعال ومساويها ، أتقولون أيها الناس على الله ما لاتعلمون ، يقول : أتروون على الله أنه أمركم بالتعري والتجرد من الثياب واللباس للظواف ، وأنتم لاتعلمون أنه أمركم بذلك .

(١) البيتان يفسران لفساحة بنت عامر بن صعصعة ، من بني سلمة بن قصير ، كما في الروض الأنف لسبيل ، في شرح سيرة ابن هشام ( ١ : ١٣٤ ) قال صاحب السيرة : يصف هيئة طواف العرب بالكعبة في الجاهلية : « وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها ، لإدراعا مفرجا عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهي كذلك تطوف بالبيت . . . وذكر البيتين اللذين استشهد بهما المؤلف ، وهما من مشطور الرجز . والهاء في كله وأحله : كناية عن المن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَاحْشَئْ ) قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عُرَاة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم ( قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ) . . . الآية .

## القول في تأويل قوله

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ، وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ  
الَّذِينَ ، كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ، إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا  
الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّشْتَدُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه (قُلْ) يا محمد لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذباً على الله :  
ما أمر ربى بما تقولون ، بل (أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) يعنى : بالعدل .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قُلْ أَمَرَ  
رَبِّي بِالْقِسْطِ) : بالعدل .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (قُلْ أَمَرَ  
رَبِّي بِالْقِسْطِ) والقسط : العدل .

وأما قوله (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال  
بعضهم : معناه : وجهوا وجوهكم حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،  
في قول الله (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) إلى الكعبة حيناً صليماً في الكنيسة وغيرها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله  
(وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) : قال : إذا صليتم فاستقبلوا الكعبة في كنائسكم وغيرها .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَأَقِيمُوا  
وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) هو المسجد : الكعبة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا خالد بن عبد الرحمن ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد في قوله  
(وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : الكعبة حيناً كنت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ  
عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : أقيموها للقبلة ، هذه القبلة التي أمركم الله بها .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : واجعلوا سبوحكم لله خالصاً ، دون ما سواه من الآلهة والأنداد .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله  
(وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : في الإخلاص ألا تدعوا غيره ، وأن تخلصوا

له الدين .

قال أبو جعفر: وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية: ما قاله الربيع، وهو أن القوم أميروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم، لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصا، لا مكاء ولا تصدبة.

وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله إنما خاطب بهذه الآية قوما من مشركي العرب، لم يكونوا أهل كنائس وبيع، وإنما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين، فغير معقول أن يقال لمن لا يبصلي في كنيسة ولا بيعة: وجه وجهك إلى الكعبة في كنيسة أو بيعة.

وأما قوله (وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) فإنه بقول: واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة، لا تخليطوا ذلك بشرك، ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكا.

كما حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) قال: أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل، ثم توجهون إلى البيت الحرام. القول في تأويل قوله (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) فَرِيقًا هَدَى، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) فقال بعضهم: تأويله: كما بدأكم أشقياء وسعداء، كذلك تُبعثون يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثني، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، علي، عن ابن عباس، قوله (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) فَرِيقًا هَدَى، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) قال: إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا، كما قال جل ثناؤه (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) ثم يعيدهم يوم القيامة، كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، قال: ثنا أصحابنا، عن ابن عباس (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال: يبعث المؤمن مؤمنا، والكافر كافرا.

حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يحيى بن الضريس، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن رجل، عن جابر، قال: يبعثون على ما كانوا عليه، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله فيهم (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ): ألم تسمع قوله (فَرِيقًا هَدَى، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال: رُدُّوا إلى علمه فيهم.

حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبوهمام الأهوازي، قال: ثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، في قوله (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال: من ابتداء الله خلقه على الشقوة صار إلى ما ابتداء

الله خلقه عليه ، وإن عمل بأعمال أهل السعادة ، كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة ، ثم صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه ، ومن ابتدئ خلقه على السعادة ، صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه ، وإن عمل بأعمال أهل الشقاء ، كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ، ثم صاروا إلى ما ابتدئ عليه خلقهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن وقاء بن إياس أبي يزيد ، عن مجاهد ( كما بدأكم تَعُودُونَ ) قال : بيعت المسلم مسلما ، والكافر كافرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو ذكين ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي يزيد ، عن مجاهد ( كما بدأكم تَعُودُونَ ) قال : بيعت المسلم مسلما ، والكافر كافرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ( كما بدأكم تَعُودُونَ ) قال : كما كتب عليكم تكونون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( كما بدأكم تَعُودُونَ ) . فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ) يقول : كما بدأكم تعودون : كما خلقناكم ، فريق مهتدون ، وفريق ضال ، كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تَبِعْتُ كُلَّ نَفْسٍ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهَا » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفري ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ( كما بدأكم تَعُودُونَ ) قال : كما كتبت عليكم تكونون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : بيعت المؤمن مؤمنا ، والكافر كافرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كما بدأكم تَعُودُونَ ) : شقيا وسعيدا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون : معنى ذلك : كما خلقكم ولم تكونوا شيئا ، تعودون بعد الفناء .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن ( كما بدأكم تَعُودُونَ ) قال : كما بدأكم ولم تكونوا شيئا فأحياكم ، كذلك يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن الحسن ( كما بدأكم تَعُودُونَ ) قال : كما بدأكم في الدنيا ، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ) قال : بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئا ، ثم ذهبوا ، ثم يعيدهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَى ) يقول : كما خلقناكم أول مرة ، كذلك تعودون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ) يحييكم بعد موتكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ) قال : كما خلقهم أولا ، كذلك يعيدهم آخرا .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : القول الذي قاله من قال : معناه كما بدأكم الله خلقا بعد أن لم تكونوا شيئا ، تعودون بعد فنائكم خلقا مثله ، يحشركم إلى يوم القيامة ، لأن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعَلِّمَ بما في هذه الآية قوما مشركين ، أهل جاهلية ، لا يؤمنون بالمعاد ، ولا يصدقون بالقيامة ، فأمره أن يدعوهم إلى الإقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة ، ومُسْتَب من أطاعه ، ومعاقب من عصاه ، فقال له : قل لهم : أمر ربّي بالقسط ، وأن أقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد ، وأن ادعوه مخلصين له الدين ، وأن أقرّوا بأنّ كما بدأكم تعودون ، فترك ذكر ، وأن أقرّوا بأنّ ، كما ترك ذكر «أن مع أقيموا ، إذ كان فيها ذكر دلالة على ما حذف منه . وإذ كان ذلك كذلك ، فلاوجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحدا النشور بعد الممات ، إلى الإقرار بالصفة التي عليها يُنْشَر من نُشْر ، وإنما يؤمر بالدعاء إلى ذلك من كان بالبعث مصدقا . فأما من كان له جاحدا ، فلنما يُدْعَى إلى الإقرار به ، ثم يُعَرَّف كيف شرائط البعث ، على أن في الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدّثناه محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ عُرْأَةً غُرْلًا ، وَأَوَّلُ مَنْ يَكْتَسِي لِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَرَأَ ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حِفْأَةً غُرْلًا ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ) » ما بين صحة القول الذي قلنا في ذلك ، من أن معناه : أن الخلق يعودون إلى الله يوم القيامة خلقا أحياء ، كما بدأهم في الدنيا خلقا أحياء ، يقال منه : بدأ الله الخلق بيدوهم ، وأبدأهم ببدوهم إبداء ، بمعنى خلقهم ، لغتان فصيحتان . ثم ابتدأ الخبر جلّ ثناؤه عما سبق من علمه في خلقه ، وجرى به فيهم



قضاؤه ، فقال : هدى الله منهم فريقا فوقهم لصالح الأعمال فهم مهتدون ، وحقّ على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد ، باتخاذهم الشيطان من دون الله ولياً .

وإذا كان التأويل هذا ، كان الفريق الأوّل منصوباً بإعمال هدى فيه ، والفريق الثاني بوقوع قوله حقّ على عائد ذكره في عليهم . كما قال جلّ ثناؤه ( يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي ، وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ) . ومن وجه تأويل ذلك إلى أنه كما بدأكم في الدنيا صنفين : كافرا ، ومؤمنا ، كذلك تعودون في الآخرة فريقين : ( فَرِيقًا هَدَى ، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ) نصب فريقا الأوّل بقوله تعودون ، وجعل الثاني عطفاً عليه . وقد بيّنا الصواب عندنا من القول فيه .

القول في تأويل قوله ( إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ ) :

يقول تعالى ذكره : إن الفريق الذي حقّ عليهم الضلالة ، إنما ضلوا عن سبيل الله ، وجاروا عن قصد الحقّة ، باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظهراء ، جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك ، بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحقّ ، وأن الصواب ما أتوه وركبوا . وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذب أحداً على معصية ركبها ، أو ضلالة اعتقدها ، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها ، فيركبها عنادا منه لربه فيها ، لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضلّ ، وهو يحسب أنه هادي ، وفريق الهدى ، فرق ، وقد فرق الله بين أسأتهما وأحكامهما في هذه الآية .

#### القول في تأويل قوله

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١)

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرّون عند طوافهم ببيته الحرام ، ويبدون عوراتهم هنالك من مشركي العرب ، والحرّمين منهم أكل ما لم يحرمه الله عليهم من حلال رزقه ، تبرّراً عند نفسه لربه : ( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ ) من الكساء واللباس ( عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا ) من طيبات ما رزقتكم ، وحلّلتُهُ لَكُمْ ، ( وَاشْرَبُوا ) من حلال الأشربة ، ولا تحرموا إلا ما حرّمت عليكم في كتابي ، أو على لسان رسولي محمد صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا شعبة ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : إن النساء كنّ يطفن بالبيت عراة . وقال في موضع آخر : بغير ثياب ، إلا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة ، فيها وصف إن شاء الله ، وتقول :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ قَمًا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

قال : فنزلت هذه الآية ( خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانوا يطوفون عُرَّة ، الرجال بالهَار ، والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ قَمًا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فقال الله ( خُذُوا زِينَتَكُمْ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس ( خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) قال : الثياب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ووهب بن جرير ، عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، قال : سمعت مسلمانا البطين يحدث عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت المرأة تطوف بالبيت عُرِّيَّانَةَ ، قال غُنْدَرًا : وهي عُرِّيَّانَةَ . قال وهب : كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرها وما هنالك . قال غُنْدَرًا : وتقول : من يعبرني تطوفا ؟ تجعله على فرجها ، وتقول :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فأنزل الله ( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) قال : كانوا يطوفون بالبيت عُرَّة ، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) . . . الآية ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت عُرَّة ، فأمرهم الله بالزينة ، واللباس ، وهو ما يوارى السوءة ، وما سوى ذلك من جيد البرِّ والمتاع ، فأمرُوا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء ( خُذُوا زِينَتَكُمْ ) قال : كانوا يطوفون بالبيت عُرَّة ، فأمرُوا أن يلبسوا ثيابهم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، بنحوه .

حدثني عمرو ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله ( خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) : البسوا ثيابكم .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) قال : كان ناس يطوفون بالبيت عُرَّة ، فنهوا عن ذلك .

(١) غندر : لقب محمد بن جعفر الملقب مولاهم البصري ، أبو عبد الله الكرابيسي الحافظ ، ربيب شعبة . كان من أصحاب الناس كتابا . قال أبو داود : مات سنة ١٩٣ ، وقال ابن سعد سنة ١٩٤ هـ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فأمرُوا أن يلبسوا الثياب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) قال : ما وارى العورة ولو عباءة .

حدثنا عمرو قال : ثنا يحيى بن سعيد ، وأبو عاصم ، وعبد الله بن داود ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، في قوله ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) قال : ما يوارى عورتك ولو عباءة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) في قريش ، لتركهم الثياب في الطواف .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفیان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبیر ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) قال : الثياب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن إبراهيم ، عن نافع ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) قال : الشملة : من الزينة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن طاوس ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) قال : الثياب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد وأبو أسامة ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبیر ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فطافت امرأة بالبيت ، وهي عريانة ، فقالت :

اليوم يبئدو بعضهم أو كلهم فإنا بدآ منه فلا أحله

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) قال : كان حي من أهل اليمن ، كان أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول : لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دنست فيه ، فيقول : من يعيرني ميئزراً ، فإن قدر على ذلك ، وإلا طاف عريانا ، فأنزل الله فيه ما تسمعون ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال الله ( يا بني آدم خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) يقول : ما يوارى العورة عند كل مسجد .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة ، إلا الخمس : قريش وأحلافهم ، فن جاء من غيرهم وضع ثيابه ، وطاف في ثياب أحس ، فإنه لا يحل له أن يلبس ثيابه ، فإن لم يجد من يعيره من الخمس ، فإنه يلبس ثيابه ويطوف عريانا ، وإن طاف في ثياب نفسه ، ألقاها إذا قضى طوافه ، يجرمها فيجعلها حراما عليه ، فلذلك قال ( خذوا زينبتكم عند كل مسجدي ) .

وبه عن معمر قال : قال ابن طاوس ، عن أبيه : الشملة من الزينة .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله ( خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) . . . الآية ، كان ناس من أهل اليمن والأعراب إذا حجوا البيت يطوفون به عُرّة ليلًا ، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ، ولا يتعرّوا في المسجد . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( خُذُوا زِينَتَكُمْ ) قال : زينتهم ثيابهم التي كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرّون .

وحدثني به مرة أخرى بإسناده ، عن ابن زيد في قوله ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ) قال : كانوا إذا جاءوا البيت فطافوا به ، حرّمت عليهم ثيابهم التي طافوا فيها ، فإن وجدوا من يعبرهم ثيابا ، وإلا طافوا بالبيت عُرّة ، فقال ( مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ) ؟ قال : ثياب الله التي أخرج لعباده . . . الآية .

وكالذي قلنا أيضا ، قالوا في تأويل قوله ( وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ) .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أحلّ الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) في الطعام والشراب .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان الذين يطوفون بالبيت عرّة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا بالموسم ، فقال الله لهم ( كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) يقول : لا تسرفوا في التحريم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله ( وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ) قال : أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تُسْرِفُوا ) لا تأكلوا حراما ذلك الإسراف ، وقوله ( إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) يقول : إن الله لا يحب المتعدّين حدّه في حلال أو حرام ، الغالين فيما أحلّ الله أو حرّم بإحلال الحرام ، وبتحريم الحلال ، ولكنه يجب أن يحلل ما أحلّ ، ويحرّم ما حرّم ، وذلك العدل الذي أمر به .

القول في تأويل قوله

قُلْ : مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد هؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرون عند طوافهم بالبيت ، ويحرمون على أنفسهم ما أحلت لهم من طيبات الرزق : (مَنْ حَرَّمَ) أيها القوم عليكم (زِينَةَ اللَّهِ) التي خلقها لعباده ، أن تزينوا بها ، وتتجملوا بلباسها ، والحلال من رزق الله الذي رزق ، خلقه لمطاعهم ومشاربهم .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالطيبات من الرزق بعد إجماعهم على أن الزينة ما قلنا ، فقال بعضهم : الطيبات من الرزق في هذا الموضع : اللحم ، وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه في حال إحرامهم . ذكر من قال ذلك منهم :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وهو الودك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) الذي حرّموا على أنفسهم ، قال : كانوا إذا حجوا أو اعتمرُوا حرّموا الشاة عليهم ، وما يخرج منها .

وحدثني به يونس مرة أخرى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان قوم يحرمون ما يخرج من الشاة : لبنها وسمها ولحمها ، فقال الله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) قال : والزينة من الثياب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حبان بن موسى ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : لما بعث الله محمدا فقال : هذا نبي ، هذا خيارى ، استنوا به ، خذوا في سنته وسبيله ، لم تغلق دونه الأبواب ، ولم تقم دونه الحجب ، ولم يغد عليه بالجبار ، ولم يرجع عليه بها ، وكان يجلس بالأرض ، ويأكل طعامه بالأرض ، ويلقى يده ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويردّ عبده ، وكان يقول : « مَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي » . قال الحسن : فما أكثر الراغبين عن سنته ، التاركين لها ، ثم علوجا رفساقا ، أكلة الربا والغلول ، قد سفههم ربى ومقمهم ، زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت ، يتأولون هذه الآية (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان ، قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه من كلام لم يحفظه سفيان .

وقال آخرون : بل عني بذلك ما كانت الجاهلية تحرم من البحائر والسواحب .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي

(١) كذا في أصله ، وفي نسخة : بالجباب ، بجم وموحدين بينهما ألف .

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ) وهو ما حرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم : البعيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام .

حدثني المنثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ) قال : إن الجاهلية كانوا يجرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها ، وهو قول الله : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ) وهو هذا ، فأنزل الله ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ) .

القول في تأويل قوله ( قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) :

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم ( مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ) إذ عَيَّبُوا بالجواب ، فلم يدروا ما يجيبونك : زينة الله التي أخرج لعباده ، وطيبات رزقه للذين صدقوا الله ورسوله ، واتبعوا ما أنزل إليك من ربك في الدنيا ، وقد شركهم في ذلك فيها من كفر بالله ورسوله ، وخالف أمر ربه ، وهي للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة ، لا يشركهم في ذلك يومئذ أحد كفر بالله ورسوله ، وخالف أمر ربه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المنثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) يقول : شارك المسلمون الكفار في الطيبات ، فأكلوا من طيبات طعامها ، ولبسوا من خيار ثيابها ، ونكحوا من صالح نساءها ، وخلصوا بها يوم القيامة .

وحدثني به المنثني مرة أخرى بهذا الإسناد بعينه ، عن ابن عباس ، فقال : قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، يعنى : يشارك المسلمون المشركين في الطيبات في الحياة الدنيا ، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا ، وليس للمشركين فيها شيء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) يقول : قل هي في الآخرة خالصة لمن آمن بي في الدنيا ، لا يشركهم فيها أحد ، وذلك أن الزينة في الدنيا لكل بني آدم ، فجعلها الله خالصة لأولياته في الآخرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ( قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) قال : اليهود والنصارى يشركونكم فيها في الدنيا ، وهي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) خالصة للمؤمنين في الآخرة ، لا يشاركون فيها الكفار ، فأما في الدنيا فقد شاركوهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) من عمل بالإيمان في الدنيا خلت له كرامة الله يوم القيامة ، ومن ترك الإيمان في الدنيا ، قديم على ربه لا عذر له .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يشترك فيها معهم المشركون ( خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) للذين آمنوا . حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) يقول : المشركون يشاركون المؤمنين في الدنيا ، في الألباس والطعام والشراب ، ويوم القيامة يخلص الألباس والطعام والشراب للمؤمنين ، وليس للمشركين في شيء من ذلك نصيب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر ، ويخلص خير الآخرة للمؤمنين ، وليس للكافر فيها نصيب . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) قال : هذه يوم القيامة للذين آمنوا ، لا يشاركون فيها أهل الكفر ويشركونهم فيها في الدنيا ، وإذا كان يوم القيامة فليس لهم فيها قابل ولا كثير .

وقال سعيد بن جبيرة في ذلك ، بما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان وحيوية الرازي أبو يزيد ، عن يعقوب القمي ، عن سعيد بن جبيرة ( قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) قال : ينفعون بها في الدنيا ، ولا يدعهم إثمها .

واختلفت القرآء في قراءة قوله خالصة ، فقرأ ذلك بعض قرآء المدينة ( خَالِصَةً ) برفعها ، بمعنى : قل هي خالصة للذين آمنوا . وقرأه سائر قرآء الأمصار ( خَالِصَةً ) بنصبها على الحال من لهم ، وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاء منها بدلالة الظاهر عليها ، على ما قد وصفت في تأويل الكلام أن معنى الكلام : قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة ، وهي لهم في الآخرة خالصة ، ومن قال ذلك بالنصب جعل خبر هي في قوله ( لِلَّذِينَ آمَنُوا ) .





في إشراركم إياه في عبادته حجة ولا برهانا ، وهو السلطان ( وأنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) يقول : وأن تقولوا : إن الله أمركم بالتعري والنجرد للطواف بالبيت ، وحرم عليكم أكل هذه الأنعام التي حرمتها وسيبتموها ، وجعلتموها وسائل وحوامى ، وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرّمه ، أو أمر به أو أباحه ، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحظره والأمر به ، فإن ذلك هو الذي حرّمه الله عليكم ، دون ما تزعمون أن الله حرّمه ، أو تقولون إن الله أمركم به ، جهلا منكم بحقيقة ما تقولون ، وتضيفونه إلى الله .

القول في تأويل قول

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره مهديا للمشركين الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم كانوا إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، ووعيدا منه لهم على كذبهم عليه ، وعلى إصرارهم على الشرك به ، والمقام على كفرهم ، ومدكرا لهم ما أحلّ بأمثالهم من الأمم الذين كانوا قبلهم ( ولكل أمة أجل ) يقول : ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله وردّ نصائحهم ، والشرك بالله مع متابعة ربهم حججه عليهم ، أجل ، يعني : وقت لحلول العقوبات بساحتهم ، ونزول المثالب بهم على شركهم ( فإذا جاء أجلهم ) يقول : فإذا جاء الوقت الذي وقته الله هلاكهم ، وحلول العقاب بهم ( لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) يقول : لا يتأخرون بالبقاء في الدنيا ، ولا يتمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم ، وحين حلول أجل فناءهم ، ساعة من ساعات الزمان ( ولا يستقدمون ) يقول : ولا يتقدمون بذلك أيضا عن الوقت الذي جعله الله لهم وقتا للهلاك .

القول في تأويل قول

يَبْنِي آدَمَ إِمَّا يَا تَيْبَتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ، فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره ، معرّفا خلقه ما أعدّ لحزبه ، وأهل طاعته ، والإيمان به وبرسوله ، وما أعدّ لحزب الشيطان وأوليائه ، والكافرين به وبرسوله ( يا بني آدم إمّا يا تيبنتكم رسل منكم ) يقول : إن يبعثكم رسل الذين أرسلهم إليكم بدعائكم إلى طاعتي ، والانتباه إلى أمري ونهي منكم ، يعني : من أنفسكم ، ومن عشائركم وقبائلكم ( يقصون عليكم آياتي ) يقول : يتلون عليكم آيات كتابي ، ويعرفونكم أدلتي وأعلامي على صدق ما جاءوكم به من عندي ، وحقيقة ما دعوكم إليه من توحيدى ( فمّن اتقى وأصلح ) يقول : فمن آمن منكم بما أتاه به رسل مما قصّ عليه من آياتي وصدق واتقى الله ، فخافه بالعمل بما أمره به ، والانتباه عما نهاه عنه ، على لسان رسوله ، وأصلح ، يقول : وأصلح أعماله التي كان لها مفسدا قبل ذلك من معاصي الله بالتحوّب منها ( فلا خوف عليهم ) يقول : فلا خوف عليهم يوم

القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه (وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ) على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها، وشهواتهم التي تجنبوها، اتباعاً منهم لنهي الله عنها، إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام أبو عبد الله، قال: ثنا هياج، قال: ثنا عبد الرحمن ابن زياد، عن أبي سيار السلمي، قال: إن الله جعل آدم وذريته في كفه، فقال (يا بني آدم إِمَّا يَا تَيْبَتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي، فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ثم نظر إلى الرسل فقال (يا أيها الرسلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) ثم بهم. فإن قال قائل: ما جواب قوله (إِمَّا يَا تَيْبَتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ؟) قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعضهم في ذلك: الجواب مضمرة، يدل عليه ما ظهر من الكلام، وذلك قوله (فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ) وذلك لأنه حين قال: فمن اتقى وأصلح، كأنه قال: فأطيعوهم.

وقال آخرون منهم: الجواب: فمن اتقى، لأن معناه، فمن اتقى منكم وأصلح، قال: ويدل على أن ذلك كذلك، تبعيضه الكلام، فكان في التبعيض اكتفاء من ذكر منكم.

#### القول في تأويل قوله

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦)

يقول جل ثناؤه: وأما من كذب بأنباء رسلي التي أرسلتها إليه، وجحد توحيدى، وكفر بما جاء به رسلي، واستكبر عن تصديق حججى وأدلتى (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) بقول: هم في نار جهنم ما كانوا، لا يخرجون منها أبداً.

#### القول في تأويل قوله

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ، أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ؟ قَالُوا: ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره: فمن أخطأ فعلاً، وأجهل قولاً، وأبعد ذهاباً عن الحق والصواب (مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا؟) يقول: ممن اختلق على الله زوراً من القول، فقال: إذا فعل فاحشة: إن الله أمرنا بها (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ) يقول: أو كذب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه، فجحد حقيقتها ودافع صحتها. (أُولَٰئِكَ) يقول: من فعل ذلك، فافتري على الله الكذب وكذب بآياته (أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) يقول: يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم في اللوح المحفوظ.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة ذلك النصيب الذي لهم في الكتاب وما هو ؟ فقال بعضهم : هو عذاب الله الذي أعدّه لأهل الكفر به .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، قوله ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) : أي من العذاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، مثله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) يقول : ما كتب لهم من العذاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن كثير بن زياد ، عن الحسن في قوله ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) قال : من العذاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جوير ، عن أبي سهل ، عن الحسن ، قال : من العذاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاري ، عن جوير ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : من العذاب .

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سعيد ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) قال : من الشقاوة والسعادة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) كشي وسعيد .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن الحسن ، بن عمرو القميمي ، عن الحكم قال : سمعت مجاهدا يقول ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) قال : هو ما سبق .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) : ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) : ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة ، كشي وسعيد .

قال : حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) من الشقاوة والسعادة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير وابن إدريس ، عن الحسن بن عمرو ، عن الحكم ، عن مجاهد ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ) قال : ما قد سبق من الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ( أَوْلَيْتِكَ يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) قال : ما سبق لهم في الكتاب .

قال : ثنا سويد بن عمرو ، ويحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد ( أَوْلَيْتِكَ يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ ) قال : من الشقاوة والسعادة .

قال : حدثنا أبو معاوية ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ما قضى أو قدر عليهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) يناهم الذي كتب عليهم من الأعمال .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن بكر الطويل ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَوْلَيْتِكَ يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) قال : قوم يعملون أعمالا لا بد لهم أن يعملوها .

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك يناهم نصيبهم من كتابهم الذي كتب لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشر .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني المنبهي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( أَوْلَيْتِكَ يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) يقول : نصيبهم من الأعمال ، من عمل خيرا جزى به ، ومن عمل شرا جزى به .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَوْلَيْتِكَ يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) قال : من أحكام الكتاب على قدر أعمالهم .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَوْلَيْتِكَ يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) قال : يناهم نصيبهم في الآخرة من أعمالهم التي عملوا وأسلفوا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَوْلَيْتِكَ يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) أي أعمالهم ، أعمال السوء ، التي عملوها وأسلفوها .  
حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر ، قال : قال أبي ( أَوْلَيْتِكَ يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) زعم قتادة : من أعمالهم التي عملوا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله ( أَوْلَيْتِكَ يَتَأَلِّهُمُ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) يقول : يناهم نصيبهم من العمل ، يقول : إن عمل من ذلك نصيب خيرا جزى خيرا ، وإن عمل شرا جزى مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : يناهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في هذه الآية ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) قال : من الخير والشر .

قال : حدثنا زيد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : ما وعدوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) قال : ما وعدوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) قال : ما وعدوا فيه من خير أو شر .

قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ليث ، عن ابن عباس ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) قال : ما وعدوا مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : ما وعدوا فيه من خير أو شر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) قال : ما وعدوا فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) قال : ما وعدوا من خير أو شر .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن الحسن بن عمرو ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قول الله ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) قال : ينالهم ما سبق لهم من الكتاب .

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذي كتبه الله على ما افترى عليه .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) يقول : ينالهم ما كتب عليهم ، يقول : قد كتب

أن يفترى على الله أن وجهه مسود .

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد . قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) مما كتب لهم من الرزق .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، عن ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، عن القرظي ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ** ) قال : عمله ورزقه وعمره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ** )

نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ ) قال : من الأعمال والأرزاق والأعمار ، فإذا فني هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ، وقد فرغوا من هذه الأشياء كلها .

ﷺ قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : أولئك بناهم نصيبهم من الكتاب : مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا ، ورزق وعمل وأجل . وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله ( حتى إذا جاءتهم رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ) ، قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ) ، فأبان بإتباعه ذلك قوله ( أولئك بناهم نصيبهم من الكتاب ) أن الذى بناهم من ذلك إنما هو ما كان مقصياً عليهم في الدنيا أن بناهم ، لأنه قد أخبر أن ذلك بناهم إلى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم ، ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب ، أو مما قد أعد لهم في الآخرة ، لم يكن محدوداً بأنه بناهم إلى مجيء رسل الله لو فاتهم ، لأن رسل الله لا يجيئهم للوفاة في الآخرة ، وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء ، فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه ، فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه .

القول في تأويل قوله ( حتى إذا جاءتهم رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ) قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ قالوا ضلُّوا عنَّا وشهدوا على أنفسهم كانوا كافرين ) :

ﷺ يعنى جل ثناؤه بقوله ( حتى إذا جاءتهم رُسُلُنَا ) إلى أن جاءتهم رسلنا ، يقول جل ثناؤه : وهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب ، أو كذبوا بآيات ربه ، بناهم حظوظهم التي كتب الله لهم ، وسبق في علمه لهم من رزق وعمل وأجل ، وخير وشر في الدنيا ، إلى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم ، ( فإذا جاءتهم رُسُلُنَا ) يعنى : ملك الموت وجنده ( يَتَوَفَّوْنَهُمْ ) يقول : يستوفون عددهم من الدنيا إلى الآخرة ( قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ) ؟ يقول : قالت الرسل : أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم ؟ لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذى هو خالقكم وخالقهم ، وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء ، وهلا يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه ، فينقذونكم منه ، فأجابهم الأشقياء ، فقالوا : ضلُّنا أوليائنا الذين كنا ندعو من دون الله ، يعنى بقوله ( ضلُّوا ) : جاروا وأخذوا غير طريقنا ، وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا ، يقول الله جل ثناؤه : وشهد القوم حينئذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله ، جاحدين وحدانيته .

#### القول في تأويل قوله

قال : **أَدْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ، كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أَخْتَهَا ، حَتَّى إِذَا آذَرُ كُورًا فِيهَا جَمِيعًا ، قَالَتْ أَخْرَهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَأْتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَ لَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ( ٣٨ )**

ﷺ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قبيلة هؤلاء المفترين عليه ، المكذبين آياته يوم القيامة . يقول تعالى

ذكره : قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة : ادخلوا أيها المفترون على ربكم ، المكذّبون رسله في جماعات من ضربائكم ( قَدْ خَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ ) يقول : قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس في النار . ومعنى ذلك : ادخلوا في أمم هي في النار ، قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس . وإنما يعنى بالأمم : الأحزاب وأهل الملل الكافرة ( كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ) يقول جل ثناؤه : كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها ، يقول : شتمت الجماعة الأخرى من أهل ملتها ، تبرئاً منها . وإنما عني بالأخت : الأخوة في الدين والملة ؛ وقيل أختها ، ولم يقل أخاها ، لأنه عني بها أمة وجماعة أخرى ، كأنه قيل : كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ) يقول : كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين ، يلعن المشركون المشركين ، واليهود اليهود ، والنصارى النصارى ، والصابئون الصابئين ، والمجوس المجوس ، تلعن الآخرة الأولى .

القول في تأويل قوله ( حتى إذا ادّارَكُوا فيها جميعاً ) :

يقول تعالى ذكره : حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعاً ، يعنى : اجتمعت فيها ، يقال : قد ادّارَكُوا وتداركوا : إذا اجتمعوا ، يقول : اجتمع فيها الأولون من أهل الملل الكافرة ، والآخرون منهم .

القول في تأويل قوله ( قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ ، قَالَ : لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنَّ لَاتَعْلَمُونَ ) :

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة في النار يوم القيامة ، يقول الله تعالى ذكره : فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة في النار فادّارَكُوا ، قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار ، الذين كانوا في الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها ، وكانت لها سلفاً وإماماً في الضلالة والكفر : لأولاهم الذين كانوا قبلهم في الدنيا : ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ، ودعونا إلى عبادة غيرك ، وزينوا لنا طاعة الشيطان فآتاهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين : ( رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ ) .

وأما قوله ( قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنَّ لَاتَعْلَمُونَ ) فإنه خبر من الله عن جوابه لهم ، يقول : قال الله للذين يدعونهم فيقولون : ربنا هؤلاء أضلونا فآتاهم عذاباً ضعفاً من النار لكلكم ، أولكم وآخركم وتابعوكم ومتبعوكم ضعيف ، يقول مكرراً عليه العذاب ، وضعف الشيء : مثله مرة .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( عَذَاباً ضِعُفًا مِثْلَ النَّارِ ، قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ ) .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال الله : ( لِكُلِّ ضِعْفٍ ) للأولى وللآخرة ضعف .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا غير واحد ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ( ضِعُفًا مِثْلَ النَّارِ ) قال : أفاعى .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ( فَأَيُّ تَيْمٍ عَذَاباً ضِعُفًا مِثْلَ النَّارِ ) قال : حيات وأفاعى . وقيل : إن الضعف في كلام العرب ما كان ضعفين ، والمضاعف : ما كان أكثر من ذلك .  
وقوله ( وَلَكِنَّ لَاتَعْلَمُونَ ) يقول : ولكنكم يا معشر أهل النار ، لاتعلمون ما قدر ما أعد الله لكم من العذاب ، فلذلك تسأل الضعف منه الأمة الكافرة الأخرى لأخها الأولى .

#### القول في تأويل قوله

وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ، فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩)

يقول جل ثناؤه : وقالت أولى كل أمة وملة سبقت في الدنيا ، لأخراها الذين جاءوا من بعدهم ، وحدثوا بعد زمانهم فيها ، فسلكوا سبيلهم ، واستنوا سننهم : ( فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ) ، وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بمعصيتنا إياه ، وكفرنا به ، وجاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والتنذير ، هل أنهيتم إلى طاعة الله ، وارتدعتم عن غوايتكم وضلالكم ، فانقضت حجة القوم وخصموا ، ولم يطبقوا جواباً ، بأن يقولوا : فضلنا عليكم أنا اعتبرنا بكم ، فآمنا بالله وصدقنا رسوله ، قال الله لجميعهم : فذوقوا جميعكم أيها الكفرة عذاب جهنم ، بما كنتم في الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصي ، وتجرحون من الذنوب والإجرام .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتز ، قال : سمعت عمران ، عن أبي مجلز ( وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ، فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ) قال : يقول : فما فضلكم علينا ، وقد بين لكم ما صنع بنا وحدثتم ؟



حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَقَالَتْ  
 أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ قَمًا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ) فقد ضللت كما ضللنا .  
 وكان مجاهد يقول في هذا بما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن  
 ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قَمًا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ) قال : من التخفيف من العذاب .  
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قَمًا كَانَ  
 لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ) قال : من تخفيف .  
 وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد قول لامعني له ، لأن قول القائلين : فما كان لكم علينا من فضل ،  
 لمن قالوا ذلك : إنما هو توبيخ منهم على ماسلف منهم قبل تلك الحال ، يدل على ذلك دخول كان في الكلام ،  
 ولو كان ذلك منهم توبيخا لهم على قبيلهم الذي قالوا لربهم : آتتهم عذابا ضعفا من النار ، لكان التوبيخ  
 أن يقال : فما لكم علينا من فضل في تخفيف العذاب عنكم ، وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا ، ولم يقل :  
 فما كان لكم علينا من فضل .

## القول في تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْخُلُونَ  
 الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : إن الذين كذبوا بحجبتنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها ، ولم يتبعوا رسلنا ( واستكبروا  
 عنها ) يقول : وتكبروا عن التصديق بها ، وأتفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرا ، لا تفتح لهم لأرواحهم  
 إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء ، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل ، لأن أعمالهم  
 خبيثة ، وإنما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح ، كما قال جل ثناؤه ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ  
 وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ) .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) فقال بعضهم : معناه :  
 لا تفتح لأرواح هؤلاء الكفار أبواب السماء .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ( لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ  
 أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) قال : عني بها الكفار أن السماء لا تفتح لأرواحهم ، وتفتح لأرواح المؤمنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، قال : قال ابن عباس :  
 تفتح السماء لروح المؤمن ، ولا تفتح لروح الكافر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ  
 أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) قال : إن الكافر إذا أخذ روحه ضربته ملائكة الأرض ، حتى يرتفع إلى السماء ، فإذا بلغ  
 السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط ، فصرته ملائكة الأرض فارتفع ، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته

ملائكة السماء الدنيا ، فهبط إلى أسفل الأرضين ، وإذا كان مؤمناً أخذ روحه ، وفُتِح له أبواب السماء ، فلا يمر بملك إلاحيّاه وسلم عليه ، حتى ينتهي إلى الله ، فيعطيه حاجته ، ثم يقول الله : ردّوا روح عبدى فيه إلى الأرض ، فإني قضيت من التراب خلقه ، وإلى التراب يعود ، ومنه يخرج .  
وقال آخرون : معنى ذلك : أنه لا يصعد لهم عمل صالح ، ولا دعاء إلى الله .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن ليث ، عن عطاء ، عن ابن عباس ( لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) : لا يصعد لهم قول ولا عمل .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) يعنى : لا يصعد إلى الله من عملهم شيء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) يقول : لا تفتح لخير يعملون .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) قال : لا يصعد لهم كلام ولا عمل .

حدثنا مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله ( لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) قال : لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد ( لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) قال : لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سعيد ( لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) قال : لا يرتفع لهم عمل صالح ولا دعاء .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) قال : لأرواحهم ولا لأعمالهم .  
قال أبو جعفر : وإنما اخترنا في تأويل ذلك ما اخترنا من القول لعموم خبر الله جلّ ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم ، ولم يخص الخبر بأنه يفتح لهم في شيء ، فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لا تفتح لهم في شيء مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلنا في ذلك .  
وذلك ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلى السماء ، قال

فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلَا يَمْرُونَ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَبِيثُ ؟  
فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُدْعَى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى بَدَتْهَا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ،  
فَيَسْتَفْتَحُونَ لَهُ فُلَانٌ يَفْتَحُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ  
السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَبْلِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء  
عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ  
الْمَلَائِكَةُ ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا : اخْرُجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ  
الطَّيِّبِ ، اخْرُجِي حَمِيدَةً ، وَأَبْشِيرِي بِرُوحٍ وَرَّيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ  
ذَلِكَ حَتَّى يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا ، فَيُقَالُ مَنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ ، فَيُقَالُ  
مَرَّحِبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ، ادْخُلِي حَمِيدَةً ، وَأَبْشِيرِي بِرُوحٍ  
وَرَّيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ ، فَيُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ . وَإِذَا كَانَ  
الرَّجُلُ السَّوْءُ قَالَ : اخْرُجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْحَبِيثِ ، اخْرُجِي  
ذَمِيمَةً ، وَأَبْشِيرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَاقٍ ، وَآخِرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ، فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ  
ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا ، فَيُقَالُ مَنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ ، فَيَقُولُونَ  
لَا مَرَّحِبًا بِالنَّفْسِ الْحَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْحَبِيثِ ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً ، فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لَكَ  
أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَتُرْسَلُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَتَنْصِيرُ إِلَى الْقَسْرِ » .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثنى ابن أبي ذئب ، عن  
محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة ( لَا يُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ) بالياء من  
من يفتح ، وتخفيف التاء منها ، بمعنى : لا يفتح لهم جميعها بمرة واحدة ، وفتحة واحدة . وقرأ ذلك بعض  
المدنيين وبعض الكوفيين ( لَا تُفْتَحُ ) بالتاء وتشديد التاء الثانية ، بمعنى : لا يفتح لهم باب بعد باب ، وشيء  
بعد شيء .

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك عندي من القول : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، صحيحتا  
المعنى ، وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبواب السماء بمرة واحدة ، ولا مرة بعد  
مرة ، وباب بعد باب ، فكلا المعنيين في ذلك صحيح ، وكذلك الياء والتاء في يفتح وتفتح ، لأن الياء بناء  
على فعل الواحد للتوحيد والتاء ، لأن الأبواب جماعة ، فيخبر عنها خبر الجماعة .

القول في تأويل قوله ( وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَبْلِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) ، وكذلك  
نَجْرِي الْمُجْرِمِينَ ) :

يقول جل ثناؤه : ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة ، التي أعدّها الله

لأولياؤه المؤمنين أبدا ، كما لا يبلغ الحمل في سَمِّ الخياط أبدا ، وذلك ثَقْبُ الإبرة ، وكلَّ ثَقْبٍ في عين أو أنف ، أو غير ذلك ، فإن العرب تسميه سَمًّا ، وتجمعه سُموما وسِياما ، والسَّمُّ في جمع السَّمِّ القاتل أشهر وأفصح من السُّموم ، وهو في جمع السَّمِّ الذي هو بمعنى الثقب أفصح ، وكلاهما في العرب مستفيض ، وقد يقال لواحد السُّموم التي هي الثقوب : سَمٌّ وسُمٌّ بفتح السين وضمها ، ومن السَّمِّ الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق :

فَنَفَسْتُ عَنْ سَمِّيهِ حَتَّى تَنَفَّسَا وَقُلْتُ لَهُ لَاتَحْشَ شَيْئًا وَرَأْيَا

يعنى بِسَمِّيهِ : ثَقْبِي أَنفِهِ . وَأَمَّا الْخِيَاطُ : فَإِنَّهُ الْمَخْبِطُ وَهُوَ الْإِبْرَةُ ، قِيلَ لَهَا : خِيَاطٌ وَمَخْبِطٌ ، كَمَا قِيلَ : قِنَاعٌ وَمِقْنَعٌ ، وَإِزَارٌ وَمِيزَرٌ ، وَقِرَامٌ وَمِقْرَمٌ ، وَلِحَافٌ وَمِلْحَافٌ . وَأَمَّا الْقِرَاءُ مِنْ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ ، فَلِئِنَّهَا قَرَأَتْ قَوْلَهُ ( فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) بِفَتْحِ السَّيْنِ ، وَأَجْمَعَتْ عَلَى قِرَاءَةِ الْجَمَلِ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالْمِيمِ وَتَخْفِيفِ ذَلِكَ . وَأَمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَكْرَمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، فَلِأَنَّهُ حَكَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَءُونَ ذَلِكَ ( الْجَمَلُ ) ، بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ ، عَلَى اخْتِلَافٍ فِي ذَلِكَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبَّاسٍ .

فَأَمَّا الَّذِينَ قَرَعُوهُ بِالْفَتْحِ مِنَ الْحَرْفَيْنِ وَالتَّخْفِيفِ ، فَإِنَّهُمْ وَجَّهُوا تَأْوِيلَهُ إِلَى الْجَمَلِ الْمَعْرُوفِ ، وَكَذَلِكَ فَسَّرُوهُ . ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ طَلْحَةَ الْيَرْبُوعِيُّ ، قَالَ : ثَنَا فَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ ( حَتَّى يَلْسِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) قَالَ : الْجَمَلُ : ابْنُ النَّاقَةِ ، أَوْ زَوْجُ النَّاقَةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثَنَا سَفْيَانُ ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ( حَتَّى يَلْسِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) قَالَ : الْجَمَلُ : زَوْجُ النَّاقَةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ هَشِيمٍ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ :

الْجَمَلُ : زَوْجُ النَّاقَةِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هَشِيمٌ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثَنَا قُرَّةٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : الْجَمَلُ الَّذِي

يَقُومُ فِي الْمَرْبَدِ .

(١) البيت في ديوان الفرزدق ( مطبعة الصاوي سنة ١٩٣٦ ص ٨٩٥ ) من قصيدته التي مطلعها :

ألم ترائي يوم جو سويقة بكيت فنادتني هنيئة ماليا

والضمير في سميته عائلته على مذكور في البيت قبله ، وهو :

دعاني ابن حمراء العجان ولم يجد له إذ دعا مستأخرا عن دعائيا

يريد البيهقي الشاعر . والبيان : هما ثقبها الأنف . يريد أنه كان خائفا ، فاستغاث به ، يملؤه الجهر وتردد النفس ، فطمأنه حتى هدأت نفسه ، وذهب ما به من خوف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ في سَمِّ الحِياطِ ) قال : حتى يدخل البعير في خَرَقِ الإبرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : هو الحمل ، فلما أكثروا عليه ، قال : هو الأَشتر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، مثله . حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى ، قال : كان الحسن يقرؤها ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ في سَمِّ الحِياطِ ) قال : فذهب بعضهم يستفهمه ، قال : أَشتر ، أَشتر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أبي العالية ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ ) قال : الحمل : الذي له أربع قوائم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، أو حصين ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود في قوله ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ في سَمِّ الحِياطِ ) قال : زوج الناقة ، يعني الحمل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، أنه كان يقرأ ( الحَمَلُ ) وهو الذي له أربع قوائم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو ميمونة ، عن عبيد ، عن الضحاك ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ ) الذي له أربع قوائم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن قررة ، عن الحسن ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ ) قال : الذي بالميربد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن مسعود : أنه كان يقرأ ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ الأصْمَرُ ) .

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، قال : ثنا عبد الكريم بن أبي الخارق ، عن الحسن ، في قوله ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ في سَمِّ الحِياطِ ) قال : الحمل : ابن الناقة : أو بمل الناقة .

وأما الذين خالفوا هذه القراءة ، فإنهم اختلفوا ، فروى عن ابن عباس في ذلك روايتان : إحداهما الموافقة لهذه القراءة وهذا التأويل .

ذكر الرواية بذلك عنه :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ في سَمِّ الحِياطِ ) والحمل : ذو القوائم ، وذكر أن ابن مسعود قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( حتى يَلِجَ الحَمَلُ في سَمِّ الحِياطِ ) : هو الحمل العظيم لا يدخل في خرق الإبرة ، من أجل أنه أعظم منها .

والرواية الأخرى : ما حدثني يحيى بن طلحة البربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) قال : هو قَتْلُ السَّفِينَةِ . حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ، عن خالد بن عبد الله الواسطي ، عن حنظلة السدوسي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ ( حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) يعني : الحبل الغليظ ، فذكرت ذلك للحسن ، فقال : ( حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ ) قال عبد الأعلى ، قال أبو غسان ، قال خالد : يعني البعير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن فضيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أنه قرأ ( الْجَمَلُ ) مثقلة ، وقال : هو حبل السفينة . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الْجَمَلُ : حبال السفن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن مبارك ، عن حنظلة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) قال : الحبل الغليظ . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) قال : هو الحبل الذي يكون على السفينة .

واختلف عن سعيد بن جبير أيضا في ذلك ، فروى عنه روايتان إحداهما مثل الذي ذكرنا عن ابن عباس بضم الجيم ، وتنقيح الميم . ذكر الرواية بذلك عنه .

حدثنا عمران بن موسى الفزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا حسين المعلم ، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير ، أنه قرأها ( حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ ) يعني : قَتْلُ السَّفِينِ ، يعني الحبال الغلاظ ، والأخرى منهما : بضم الجيم وتخفيف الميم . ذكر الرواية بذلك عنه :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عمرو ، عن سالم بن عجلان الأفطس ، قال : قرأت على أبي ( حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ ) فقال ( حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ ) خفيفة : هو حبل السفينة ، هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير . وأما عكرمة ، فإنه كان يقرأ ذلك ( الْجَمَلُ ) بضم الجيم ، وتشديد الميم . ويتأوله كما حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن عيسى بن عبيدة ، قال : سمعت عكرمة يقرأ ( الْجَمَلُ ) مثقلة ، ويقول : هو الحبل الذي يصعد به إلى النخل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فرُّوخ ، قال : ثنا قتادة ، عن عكرمة ، في قوله ( حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) قال : الحبل الغليظ في خرق الإبرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( حتى يَلِجَ الحِمْلُ فِي سَمِّ الحِيَاطِ ) قال : حبل السفينة في سَمِّ الحِيَاطِ .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير ، سمعت مجاهدا يقول : الحبل من حبال السفن .  
وكان من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضم الجيم ، على ما ذكرنا عن سعيد بن جبير ، على مثال الصرَدِ والجُعَلِ وجهه إلى جماع جملة من الحبال جمعت جملا ، كما تجمع الظلمة ظلما ، والخربة خربا .  
وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد في الميم ، ويقول : إنما أراد الراوي الحِمْلَ بالتخفيف ، فلم يفهم ذلك منه ، فشدَّه .

وحدثت عن الفرَّاء ، عن الكسائي ، أنه قال : الذي رواه عن ابن عباس ، كان أعجميا . وأما من شدَّد الميم وضم الجيم ، فإنه وجهه إلى أنه اسم واحد : وهو الحبل أو الحيط الغليظ .  
قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرآء الأمصار ، وهو ( حتى يَلِجَ الحِمْلُ فِي سَمِّ الحِيَاطِ ) بفتح الجيم والميم من الحمل ، وتخفيفها ، وفتح السين من السَّمِّ ، لأنها القراءة المستفضة في قرآء الأمصار ، وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة ، متفقة عليه من القرآء ، وكذلك ذلك في فتح السين من قوله ( سَمِّ الحِيَاطِ ) .

وإذ كان الصواب من القراءة ذلك ، فتأويل الكلام : ولا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ ، والوَلُوجُ : الدخول ، من قولهم : وَلَجَ فلان الدار يَلِجُ وُلُوجًا ، بمعنى : دخل الحمل في سَمِّ الإبرة ، وهو ثقبها ( وكذلك نَجَزَى المُجْرِمِينَ ) يقول وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا ، ما استحقوا به من الله العذاب الأليم في الآخرة .

وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله ( سَمِّ الحِيَاطِ ) قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة وابن مهدي وسويد الكلابي ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن عتيق ، قال : سألت الحسن ، عن قوله ( حتى يَلِجَ الحِمْلُ فِي سَمِّ الحِيَاطِ ) قال : ثقب الإبرة .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن قُرُوح ، قال : ثنا قتادة ، عن عكرمة ( فِي سَمِّ الحِيَاطِ ) قال : ثقب الإبرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فِي سَمِّ الحِيَاطِ ) قال : جحر الإبرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( فِي سَمِّ الحِيَاطِ ) يقول : جحر الإبرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،  
( فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ) قال : في ثقبه .

#### القول في تأويل قول

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١)

يقول جل ثناؤه هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها (مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ) وهو ما امتهدوه ،  
مما يقعد عليه ويضطجع ، كالفراش الذي يُفرش ، والبساط الذي يبسط (وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) ، وهو  
جمع غاشية ، وذلك ما غشاهم فغطاهم من فوقهم :

وإنما معنى الكلام ، لهم من جهنم مهاد : من تحتهم فرش ، ومن فوقهم منها لحف ، وأنهم بين ذلك .  
وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ( لَهُمْ  
مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ) قال : الفراش ( وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ) قال : اللحف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ( لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ  
وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ) قال : المهاد : الفرش ، والغواشي : اللحف .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لَهُمْ مِنْ  
جَهَنَّمَ مِهَادٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ) أما المهاد لهم : كهيئة الفراش ، والغواشي : تتغشاهم من  
فوقهم . وأما قوله ( وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ) فإنه يقول : وكذلك نذيب ونكفي من ظم نفسه ، فأكسبها  
من غضب الله ما لا قبيل لها به ، بكفره بربه ، وتكذيبه أنبياءه .

#### القول في تأويل قول

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ،

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)

يقول جل ثناؤه : والذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به من وحى الله وتنزيله وشرائع  
دينه ، وعملوا ما أمرهم الله به ، فأطاعوه ، وتجنبوا ما نهاهم عنه . ( لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) يقول :  
لأنكلف نفساً من الأعمال إلا ما يسعها ، فلا تخرج فيه ، أولئك يقول هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
أصحاب الجنة : يقول : هم أهل الجنة ، الذين هم أهلها دون غيرهم ممن كفر بالله ، وعمل بسينئاتهم . فيها  
خالدون ، يقول : هم في الجنة ما كثون ، دائم فيها مكثهم ، لا يخرجون منها ، ولا يُسَلَّبون نعيمهم .



القول في تأويل قوله

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ، وَقَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ، وَتُودُوا أَنْ تَبْلُغُوا أَجْنَثَ الْأَرْضِ أَوْ تَبْلُغُوا بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصف صفتهم ، وأخبر أنهم أصحاب الجنة ، ما فيها من حقد وغل وعداوة ، كان من بعضهم في الدنيا على بعض ، فجعلهم في الجنة إذا أدخلتهموها على سرر متقابلين ، لا يسد بعضهم بعضا على شيء يخص الله به بعضهم ، وفضله من كرامته عليه ، تجري من تحتهم أنهار الجنة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ ) قال : هي الإحتن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن إسرائيل أبي موسى ، عن الحسن ، عن علي ، قال : فينا والله أهل بدر نزلت ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ ) إخواننا على سرر متقابلين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسرائيل ، قال : سمعته يقول : قال علي عليه السلام : فينا والله أهل بدر نزلت ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ ) إخواناً على سرر متقابلين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال علي رضي الله عنه : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم : ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ ) رضوان الله عليهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ ) تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ) قال : إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة ، فبلغوا ، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان ، فشربوا من إحداهما ، فينزع ما في صدورهم من

غلّ ، فهو الشراب الطهور ، واغتسلوا من الأخرى ، فجرت عليهم نَصْرَةُ النعيم ، فلم يَشْعُرُوا ولم يتسخوا بعدها أبدا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الحريري ، عن أبي نصره ، قال : يحبس أهل الجنة دون الجنة ، حتى يقضى لبعضهم من بعض ، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ، ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه ، ويحبس أهل النار دون النار ، حتى يقضى لبعضهم من بعض ، فيدخلون النار حين يدخلونها ، ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه .

القول في تأويل قوله ( وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَشْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ) :

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه ، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، حين أدخلوا الجنة ، ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته ، وما صُرف عنهم من العذاب المهين ، الذي ابتلى به أهل النار بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رسله ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ) يقول : الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله ، وصرف عذابه عنا ( وَمَا كُنَّا لِنَشْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ) يقول : وما كنا لنُرشد لذلك لولا أن أرشدنا الله له ، ووفقنا بمنه وطوله .

كما حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَنَزِلَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَوْ هَدَانَا اللَّهُ ، فَتَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً » ؛ وكَلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَنَزِلَهُ مِنَ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، فَهَذَا شُكْرُهُمْ » .

حدثنا محمد بن المنبهي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدث عن عاصم بن ضمرة ، عن علي ، قال : ذكر عمر لشيء لا أحفظه ، ثم ذكر الجنة ، فقال : يدخلون فإذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان ، قال : فيغتسلون من إحداهما ، فتجري عليهم نصره النعيم ، فلا تشعث أشعارهم ، ولا تغير أبقارهم ، ويشربون من الأخرى ، فيخرج كل قذى وقذر ، أو شيء في بطونهم ، قال : ثم يفتح لهم باب الجنة ، فيقال لهم (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَيِّبٌ) فادخلوها خالدين ، قال : فتستقبلهم الولدان ، فيحضون بهم كما تحف الولدان بالحميم إذا جاء من غيبته ، ثم يأتون فيشرون أزواجهم ، فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، فيقان : أنت رأيت ؟ قال : فيستخفن الفرح ، قال : فيجن حتى يقفن على أسكفة الباب ، قال : فيجيثون فيدخلون ، فإذا أس بيوتهم بجدل الأؤلؤ ، وإذا صروح صفر ، وخضر ، وحر ، ومن كل لون ، وسرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، فلولا أن الله قدرها لالتعت أبصارهم مما يرون فيها ، فيعانقون الأزواج ، ويقعدون على السرر ، ويقولون : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَشْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، لَبَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله ( لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ ، وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) :

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أنهم يقولون عند دخولهم الجنة ، ورؤيتهم كرامة الله التي أكرمهم بها ، وهو أن أعداء الله في النار : والله لقد جاءتنا في الدنيا وهؤلاء الذين في النار ، رسل ربنا بالحق من الأخبار ، عن وعد الله أهل طاعته ، والإيمان به وبرسله ، ووعيده أهل معاصيه ، والكفر به .

وأما قوله ( وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) فإن معناه : ونادى مناد هؤلاء الذين وصف الله صفتهم ، وأخبر عما أعد لهم من كرامته : أن يا هؤلاء ، هذه تلکم الجنة التي كانت رسل في الدنيا تخبركم عنها ، أورثكموها الله عن الذين كذبوا رسله ، لتصدقكم إياهم ، وطاعتكم ربكم ، وذلك هو معنى قوله ( بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) .

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) قال : ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله في الجنة والنار منزل ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ودخلوا منازلهم ، رفعت الجنة لأهل النار ، فنظروا إلى منازلهم فيها ، فقيل لهم : هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، رؤوهم بما كنتم تعملون ، فيقسم بين أهل الجنة منازلهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري ، عن سعيد بن بكر ، عن سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الأغر ( وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) قال : نودوا : أن صحوا فلا تسقموا ، واخلدوا فلا تموتوا ، وانعموا فلا تبأسوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الأغر ، عن أبي سعيد : ( وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ ) . . . الآية ، قال : ينادى مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا . واختلف أهل العربية في أن التي مع تلکم ، فقال بعض نحوئي البصرة : هي « أن » الثقيلة خففت ، وأضمر فيها ، ولا يستقيم أن نجعلها الخفيفة ، لأن بعدها اسما ، والخفيفة لاتلها الأسماء ، وقد قال الشاعر :

فِي فِتْنِيَةِ كَسْبِ يَوْفِ الْهَيْئِدِ قَدْ عَلِمُوا أَن هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَجْفَى وَيَنْتَعِلُ<sup>١</sup>

(١) البيت لأبي بصير الأعشى ميمون بن قيس (البيت ال ٣٨ من القصيدة السادسة من ديوانه طبعه القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) يصف ندماء على الشراب . والشطر الثاني في الديوان « أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الخيل » . والرواية المشهورة ، هي التي رواها المؤلف ، وهي التي يرددها النحويون شاهدا على أن « أن » في أول الشطر الثاني مخففة من « أن » المثقلة ، لأنه قد سبقها فعل من أفعال اليقين ، وهو علم ، وليست هي أن المصدرية ، لأنها لايسبقها يقين ولا شبهة . وقوله « من يحن » : يريد عامة العرب وقرانهم . و « ينتعل » : يلبس النعل « وهم السادات والخواص » . يقول : إن الموت لايفرق بين الرعاع والأشراف . وانظر الكلام على البيت =

وقال آخر :

أَكْأَشِيرُهُ وَأَعْلَمْتُ أَنْ كِلَانَا عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبِيهِ حَرِيصٌ<sup>١</sup>

قال : فعناه : أنه كلانا قال ، ويكون كقوله ( أَنْ قَدَّ وَجَدْنَا ) في موضع أى ، وقوله ( أَنْ أَقِيمُوا ) ولا تَكُونُ « أَنْ » التي تعمل في الأفعال ، لأنك تقول : غاظني أن قام ، وأن ذهب ، فتقع على الأفعال ، وإن كانت لاتعمل فيها ، وفي كتاب الله ( وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا ) أى امشوا . وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة ، فقال : غير جائز أن يكون مع « أَنْ » في هذا الموضع هاء مضمرة ، لأن « أَنْ » دخلت في الكلام لتتق ما بعدها . قال : و « أَنْ » هذه التي مع تلکم ، هي الدائرة التي يقع فيها ما ضارع الحكاية ، وليس بلفظ الحكاية ، نحو : ناديت : أنك قائم ، وأن زيد قائم ، وأن قمت ، فتلى كل الكلام ، وجعلت أن وقاية ، لأن النداء يقع على ما بعده ، وسلم ما بعد أن ، كما سلم ما بعد القول ، ألا ترى أنك تقول : قلت : زيد قائم ، وقلت : قام ، فتليها ما شئت من الكلام ، فلما كان النداء بمعنى الظن وما أشبهه من القول ، سلم ما بعد أن ، ودخلت « أَنْ » وقاية ، قال : وأما أى فإنها لا تكون على « أَنْ » ، لا يكون أى جواب الكلام ، وأن تكفى من الاسم .

القول في تأويل قوله

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ، أَنْ قَدَّ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ، قَالُوا : نَعَمْ ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهموها : يا أهل النار ، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا في الدنيا على ألسن رساله ، من الثواب على الإيمان به وبهم ، وعلى طاعته ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنتهم على الكفر به ، وعلى معاصيه من العقاب ؟ فأجابهم أهل النار : بأن نعم ، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا .

كالذي حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا : نعم ) قال : وجد أهل الجنة ما وعدوا من ثواب ، وأهل النار ما وعدوا من عقاب .

١ في المقاصد النحوية للمبني بهامش خزائن البغدادي ( ٢ : ٢٨٧ - ٢٩٤ ) . واستشهد به سيبويه في الكتاب ( ١ : ٢٨٢ ، ٤٤٠ : ٤٨٠ ) كما رواه المؤلف ، لا كرواية الديوان ، على إضمار الهاء مع أن الخفيفة . قال في الموضع الأخير : كأنه قال : أنه هالك ، قال : ومثل ذلك : أول ما أقول أن باسم الله ، كأنه قال : أول ما أقوله أنه باسم الله .

(١) البيت من شواهد سيبويه ( الكتاب ١ : ٤٤٠ ) على أن « أَنْ » المثقلة قد تخفف ، ويكون اسمها ضميرا . قال : وتقول : قد علمت أن من يأتي آتاه ، من قبل أن « أَنْ » هاهنا فيها إضمار الهاء ، ولا نجس مخففة هاهنا إلا على ذلك ، كما قال : أكاشره . . . البيت . قال الأعمش في التعليق على بيت الشاهد : الشاهد في حذف الضمير من « أَنْ » وإبداء ما بعدها ، على نية إثبات الضمير . ومعنى أكاشره : أفساحه . ويقال : كشر عن نابه : إذا كشف عنه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدُوا وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ) ؟ وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة ، وكل خير علمه الناس أو لم يعلموه ، ووعد أهل النار كل خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه ، فذلك قوله ( وَآخِرُ مَنِ اشْكَلَهُ أَزْوَاجٌ ) قال : فنأدى أصحاب الجنة أصحاب النار ( أَنْ قَدُوا وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ ) يقول : من الخزي والهوان والعذاب ، قال أهل الجنة : فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من النعيم والكرامة ( فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ) واختلقت القراء في قراءة قوله ( قَالُوا : نَعَمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة : ( قَالُوا نَعَمْ ) بفتح العين من نعم . ورؤى عن بعض الكوفيين أنه قرأ ( قَالُوا نَعِيمٌ ) بكسر العين ، وقد أشد بيتا لبني كلب :

« نَعِيمٌ » إِذَا قَالَهَا مِنْهُ مُعْتَمِقَةٌ      وَلَا تَجِيءُ « عَسَى » مِنْهُ وَلَا « قَمَنْ »

بكسر نعيم .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا : ( نَعَمْ ) بفتح العين ، لأنها القراءة المستفيضة في قراء الأمصار ، واللغة المشهورة في العرب .

وأما قوله ( فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ) يقول : فنأدى مناد ، وأعلم معلم بينهم ، ( أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ) يقول : غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به . وقد بيننا القول في « أن » إذا صحبت من الكلام ما ضارع الحكاية ، وليس بصريح الحكاية بأنها تشددها العرب أحيانا ، وتوقع الفعل عليها فتفتحها وتخففها أحيانا ، وتعمل الفعل فيها فتنصبها به ، وتبطل عملها عن الاسم الذي يليها فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء شددت « أن » أو خففت في القراءة ، إذ كان معنى الكلام بأى ذلك قرأ القارئ واحدا ، وكانتا قراءتين مشهورتين في قراءة الأمصار .

#### القول في تأويل قول

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥)

يقول جل ثناؤه : إن المؤذنين بين أهل الجنة والنار يقول : أن لعنة الله على الظالمين الذين كفروا بالله ، وصدوا عن سبيله ( وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ) يقول : حاولوا سبيل الله ، وهو دينه ، أن يغيروه ويبدلوه عما جعله الله له من استقامته ( وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ) ، يقول : وهم لقيام الساعة والبعث في الآخرة والثواب

(١) قائل البيت يمدح إنسانا بأنه إذا أجاب طالبا بقوله : نعم ، فإنه يحقق له ما وعده بقوله ذلك ، وأن الممدوح لا يجيب طالب الحاجة بقوله « عسى » : أى عسى أن أفعل ، ولا بقوله « قمن » أى أنا أو أنت حقيق بأن أفعل كما وعدتك ، لأن هذين اللفظين ليس فيهما عدة مؤكدة مثل نعم . ويقال : فلان قمن أن يفعل ، بفتح الميم ، وهو مصدر يلزم حالة واحدة في التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع . ويقال : قمن أن يفعل ، بكسر الميم ، وهو حيثئذ صفة ، فيطابق موصوفه حينئذ ، ويكون مثله . على أن اللغويين يقررون أن « قمن » سواء أكان مصدرا أو وصفا ، لا فعل له . وفي اللسان : نعم ، بفتح النون وكسر العين : لغة في نعم بالفتح التي للجواب ، وقد قرئ بهما .

والعقاب فيها جاحدون، والعرب تقول للميل في الدين والطريق: عِوَجٌ، بكسر العين، وفي ميل الرجل على الشيء والعطف عليه: عَاجٌ إليه يعوج عِياجا وعِوَجًا وعِوَجًا، بالكسر من العين والفتح، كما قال الشاعر<sup>١</sup>  
 قِفْنَا نَبْكِى مَنَازِلَ آلِ لَيْلَى عَلَى عِوَجِ إِيَّهَا وَأَنْشَاءِ  
 ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده إياه بكسر العين من عِوَجٍ، فأما ما كان خلقه في الإنسان، فإنه يقال فيه: عِوَجٌ ساقه، بفتح العين.

## القول في تأويل قول

وَيَبْتَسِمُ حِجَابٌ، وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَتَرَفُونَ كَلَّابِيسِيَهُمْ، وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ  
 سَلِّمُوا عَلَيْنَا، لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦)

يعنى جل ثناؤه بقوله (وَيَبْتَسِمُ حِجَابٌ) وبين الجنة والنار حجاب، يقول: حاجز، وهو السور الذى ذكره الله تعالى فقال (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) وهو الأعراف التى يقول الله فيها (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ).

كذلك حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله بن رجاء، وعن ابن جريج، قال: بلغنى عن مجاهد، قال: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار.

حدثنى محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدى (وَيَبْتَسِمُ حِجَابٌ) وهو السور، وهو الأعراف.

وأما قوله (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ) فإن الأعراف جمع، واحدها عُرْفٌ، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو عُرْفٌ، وإنما قيل لعُرْفِ الديك عُرْفٌ، لارتفاعه على ما سواه من جسده؛ ومنه قول الشماخ بن ضرار:

وَوَظَلَّتْ بِأَعْرَافِ تَعَالَى كَأَنَّهَا رِيحٌ تَنَاحَا وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِبٌ<sup>٢</sup>

يعنى بقوله: بأعراف: بنشوز من الأرض؛ ومنه قول الآخر:

كُلُّ كِنَايَةٍ لِحُمِّهِ نِيَافٌ كَالْعَلَمِ الْمُؤَيِّ عَلَى الْأَعْرَافِ<sup>٣</sup>

(١) البيت في اللسان غير منسوب: قفا نسال منازل آل ليل متى عوج إليها وانشاء

(٢) البيت في ديوانه بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطى، طبع القاهرة (السعادة سنة ١٣٢٧ هـ ص ٥٣). ورواية الشعر الأول فيه: «وَوَظَلَّتْ تَعَالَى بِالْفِجَاعِ كَأَنَّهَا». فقال: يحتك بعضها على بعض، وأصله تتفالى. والفيجاع: التل المشرف. ويروى: بالستار وهو موضع. ونحاهما: وجهها. ووجهة الريح: جهتها. وراكب اسم فاعل من ركز ركه بالأرض إذا غرزه. وروى: «مسببة قب البطون كأنها... الخ». ومعنى مسببة: ملعنة، لأن من يراها: أى الحمر، قال: قائلها الله ما أجودها. وقب: جمع أقب وقباه: أى ضامرة البطن. المعنى: أنها ظلت يحتك بعضها على بعض، فهى معوجة، كأنها رماح مركوزة في جهة الريح.

(٣) البيت في (اللسان: نيف) شاعرا على أن النيف الطويل في ارتفاع، يقال: قصر نيف، وناق نيف، وجعل نيف. قال ابن برى: وحق النيف أن يذكر في فصل «نوف»، يقال: ناف يتوف: أى طال. وإنما قلبت الواو ياء على جهة التخفيف.

وكان السدي يقول : إنما سمي الأعراف أعرافا ، لأن أصحابه يعرفون الناس .

حدثني بذلك محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن يزيد ، سمع ابن عباس يقول :

الأعراف : هو الشيء المشرف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن يزيد ،

قال : سمعت ابن عباس يقول ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال :

الأعراف : سور كعرف الديك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،

قال : الأعراف : حجاب بين الجنة والنار سور له باب ، قال أبو موسى : وحدثني عبيد الله بن يزيد ،

أنه سمع ابن عباس يقول : إن الأعراف تل بين الجنة والنار حُبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال :

الأعراف : حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الله بن الحارث

عن ابن عباس ، قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن

عباس ، قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

قوله ( وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ) يعني بالأعراف : السور الذي ذكر الله في القرآن وهو بين الجنة والنار .

ومنه قولهم : صوان وصيان ، وطوال وطيال . وقال نقلنا عن ابن جني : ياء كل ذلك متقلبة عن واو ، لأنه من التوف ، الذي هو العلو والارتفاع ، قلت فيه الواو تخفيفا ، لا وجوبا ؛ ألا ترى إلى صمة صوان وخوان وصوار ، على أنه قد سكت صيان وصيار ، وذلك عن تخفيف ، لاعتنا صنة ووجوب . وقد يجوز أن يكون نيات مصدرا جاريا على فعل معتل مقدر ، فيجرى حينئذ مجرى قيام وصيام ووصف به كما وصف بالمصادر . والكتاز : المجتمع اللحم القوي ، وكل مكتنز مجتمع ، والكتاز : الناقة الصلبة اللحم ، والجمع كتز مثل كتاب وكتب . وكتاز أيضا كالواحد . والعلم : الجبل . والموق : المشرف . والأعراف : جمع عرف بالضم ، وهو كل عال مرتفع . وعرف الرمل والجبل وكل عال : ظهره . والأعراف أيضا : أعالي سور بين أهل الجنة وأهل النار . واختلف في أصحاب الأعراف ، فقيل : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يستحقوا الجنة بالمحسنات ، ولا النار بالسئآت ، فكانوا على الحجاب الذي بالجنة والنار . وقيل غير ذلك .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الأعراف : سور له عرف كعرف الديك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : الأعراف : السور الذي بين الجنة والنار .

واختلف أهل التأويل في صفة الرجال الذين أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم على الأعراف ، وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك ؟ فقال بعضهم : هم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فجعلوا هنالك إلى أن يقضى الله فيهم ما يشاء ، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، قال : قال الشعبي : أرسل إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قریش ، وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكرا ليس كما ذكرا ، فقلت لهما : إن شئنا أنبأكما بما ذكر حذيفة ، فقالا : هات ، فقلت : إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف ، فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، فإذا صرفت أبصارهم تلتما أصحاب النار ، قالوا : ربنا لا نجعلنا مع القوم الظالمين ، فيبناهم كذلك ، اطلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال : اذهبوا وادخلوا الجنة ، فإنني قد غفرت لكم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، عن حذيفة ، أنه سئل عن أصحاب الأعراف ، قال : فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخلفت بهم حسناتهم عن النار ، قال : فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله فيهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وعمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عامر ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف : قوم كانت لهم ذنوب وحسنات ، فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، فهم كذلك حتى يقضى الله بين خلقه ، فينفذ فيهم أمره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيقول : ( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ) بفضلي ومغفرتي ، ( لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ) اليوم ( وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن عامر ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة .

حدثنا المنفي ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : قال سعید بن جبیر ، وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود ، قال : يحاسب الناس يوم القيامة ، فمن كانت



حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ، ثم قرأ قول الله ( قَمِنَ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ) ، ثم قال : إن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح ؛ قال : فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ، فوقفوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا : سلام عليكم ، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار ، قالوا : ربنا لا نجعلنا مع القوم الظالمين ، فيتعدون بالله من منازلهم . قال : فأما أصحاب الحسنات ، فإنهم يعطون نورا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ، ويعطى كل عبد يومئذ نورا ، وكل أمة نورا ، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة ؛ فلما رأى أهل الجنة ما لى المنافقون ، قالوا : ربنا أتمم لنا نورنا . وأما أصحاب الأعراف ، فإن النور كان في أيديهم ، فلم ينزع من أيديهم ، فهناك يقول الله ( لَمْ يَنْدُخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ) فكان الطمع دخولا ، قال : فقال ابن مسعود : على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر ، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ، ثم يقول : هلك من غلب وحدانه أعشاره .

حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع ، قال : أخبرني بن وهب قال : أخبرني عيسى الخياط عن الشعبي ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف : قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار ، وهم آخر من يدخل الجنة ، قد عرفوا أهل الجنة وأهل النار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ، ولا سيئاتهم على حسناتهم . حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالوا : ثنا جرير عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار ، وأصحاب الأعراف بذلك المكان ، حتى إذا بدا لله أن يعافهم ، انطلق بهم إلى نهر يقال له الحياة ، حافتاه قضب الذهب ، مكلل بالؤلؤ ، ترابه المسك ، فالتقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ، ويبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها ، حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن ، فقال : تمنوا ما شئتم ، قال : فيتمنون ، حتى إذا انقطعت أمنيتهم ، قال لهم : لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين مرة ، فيدخلون الجنة ، وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها ، يُسَمون مساكين الجنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : أصحاب الأعراف يؤمر بهم إلى نهر يقال له الحياة ، ترابه الورد والزعفران ، وحافتاه قضب الؤلؤ ، قال : وأحسبه قال : مكلل بالؤلؤ ؛ وقال : فيغتسلون فيه ، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء ، فيقال لهم تمنوا ، فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا ، وإنهم مساكين أهل الجنة .

قال حبيب : وحدثني رجل : أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : أصحاب الأعراف ينهى بهم إلى نهر يقال له الحياة ، حافتاه قضب من ذهب ، قال

سفيان : أراه قال : مكمل بالؤلؤ ، قال : فيغتسلون منه اغتسالة ، فتبدو في نحرهم شامة بيضاء ، ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون ، فكلما اغتسلوا ازدادت بياضا ، فيقال لهم : تمنوا ما شئتم ، فيتمنون ما شاءوا ، فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا ، قال : فهم مساكين أهل الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناهم وسيئاتهم ، فهم على سور بين الجنة والنار ( كَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان ابن عباس يقول : الأعراف بين الجنة والنار ، حبس عليه أقوام بأعمالهم ، وكان يقول : قوم استوت حسناهم وسيئاتهم ، فلم ترد حسناهم على سيئاتهم ، ولا سيئاتهم على حسناهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : أهل الأعراف : قوم استوت حسناهم وسيئاتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناهم وسيئاتهم .

وقال : ثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، قال : أصحاب الأعراف استوت أعمالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناهم وسيئاتهم ، فوقفوا هنالك على السور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سفيان أو سميع . قال أبو جعفر : كذا وجدت في كتاب سفيان ، عن أبي علقمة ، قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناهم وسيئاتهم .

وقال آخرون : كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لأبائهم في الدنيا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبي مسعر ، عن شرحبيل بن سعد ، قال : هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني الليث ، قال : ثني خالد ، عن سعيد ، عن يحيى بن شبل ، أن رجلا من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال ، أن أباه أخبره : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، فقال : « هُمْ قَوْمٌ غَزَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَصَاةً لِأَبَائِهِمْ ، فَقَتَلُوا ، فَأَعْتَبَهُمُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ بِقَتْلِهِمْ فِي سَبِيلِهِ ، وَحَبَسُوا عَنِ الْجَنَّةِ بِمَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ ، فَهُمْ آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن أبي معشر ، عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، فقال : « قَوْمٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ ، فَسَنَعَهُمْ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنِ النَّارِ ، وَمَنَعَتْهُمْ مَعْصِيَةُ آبَائِهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ » .  
وقال آخرون : بل هم قوم صالحون فقهاء علماء .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : أصحاب الأعراف : قوم صالحون ، فقهاء ، علماء .  
وقال آخرون : بل هم ملائكة ، وليسوا ببني آدم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن أبي مجلز ، قوله ( وبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيَاهِهِمْ ) قال : هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار ، قال ( وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) . . . إلى قوله ( رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) قال : فنأدى أصحاب الأعراف رجالاتهم في النار ، يعرفونهم بسيماهم ( مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ) قال : فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة ( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، قال : قلت لأبي مجلز يقول الله ( وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ) وترجم أنت أنهم الملائكة ؟ قال : فقال : إنهم ذكور وليسوا بإناث .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ( وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ) قال : رجال من الملائكة ، يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم ، أهل النار وأهل الجنة ، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن التيمي ، عن أبي مجلز ، بنحوه .

وقال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن التيمي ، عن أبي مجلز ، قال : أصحاب الأعراف الملائكة .

حدثني المثني ، قال : ثنا يعلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، قال : أخبرنا التيمي ، عن أبي مجلز ( وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ) قال : هم الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ( وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ) قال : هم الملائكة . قلت : يا أبا مجلز ، يقول الله تبارك وتعالى : رجال ، وأنت تقول ملائكة ؟ قال : إنهم ذكور ، ليسوا بإناث .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، في قوله

(وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَيْسِيَاهُمْ) قال : الملائكة ، قال : قلت : يقول الله : رجال ، قال : الملائكة ذكور .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في أصحاب الأعراف : أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم : هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده ، ولا أنه متفق على تأويلها ، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ذلك لا يدرك قياسا ، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب ، أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم ، دون إناثهم ، ودون سائر الخلق غيرهم ، كان يبيِّننا ، أن ما قاله أبو مجلز : من أنهم ملائكة ، قول لامعنى له ، وأن الصحيح من القول في ذلك ، ما قاله سائر أهل التأويل غيره ، هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار ، وإن كان في أسانيدنا ما فيها .

وقد حدثني القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى جرير عن مَعْمَرَةَ بنِ الْقَعْقَاعِ ، عن أبي زرعة ، عن عمرو بن جرير ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، فقال : هُمُ آخِرُ مَنْ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعِبَادِ ، وَإِذَا فَرَّخَ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ فَصْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، قَالَ : أَنْتُمْ قَوْمٌ أَخْرَجْتِكُمْ حَسَنَاتِكُمْ مِنَ النَّارِ ، وَلَمْ تُدْخِلِكُمْ الْجَنَّةَ ، وَأَنْتُمْ عَشْتَانِي ، فَارْعَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتُمْ .

القول في تأويل قوله (يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَيْسِيَاهُمْ) ، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ، لم يدخلوها وهم يطمعون .

يقول تعالى ذكره : وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم ، وذلك بياض وجوههم ، ونضرة النعيم عليها ، ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم ، وذلك سواد وجوههم ، وزرقة أعينهم ، فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم : سلام عليكم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَيْسِيَاهُمْ) قال : يعرفون أهل النار بسواد الوجوه ، وأهل الجنة ببياض الوجوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَيْسِيَاهُمْ) قال : أنزلهم الله بتلك المنزلة ، ليعرفوا من في الجنة والنار ، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ، ويتعبدوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين ، وهم في ذلك يخشون أهل الجنة بالسلام ، لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها ، وهم داخلوها إن شاء الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِسِيَاهُمْ) قال : بسواد الوجوه ، وزُرْقَةُ العيون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيَاهُمْ) الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون ، وسيا أهل الجنة مبيضة وجوههم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أصحاب الأعراف إذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه ، وإذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جوير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : إن أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام ، وكان حسم أمرهم لله ، فأقيموا ذلك المقام ، إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه ، ف (تَمَأَلُوا : رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه ، فذلك قوله (وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) ، لَمْ يَدْعُوا بِهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، في قوله (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيَاهُمْ) زعموا أن أصحاب الأعراف رجال من أهل الذنوب أصابوا ذنوبا ، وكان حسم أمرهم لله ، فجعلهم الله على الأعراف ، فإذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه ، فتعوذوا بالله من النار ، وإذا نظروا إلى أهل الجنة ، نادوهم أن سلام عليكم ، قال الله (لَمْ يَدْعُوا بِهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) قال : وهذا قول ابن عباس .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (بِعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيَاهُمْ) : يعرفون الناس بسياهم ، يعرفون أهل النار بسواد وجوههم ، وأهل الجنة ببياض وجوههم . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيَاهُمْ) يعرفون أهل النار بسواد وجوههم ، وأهل الجنة ببياض وجوههم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيَاهُمْ) قال : أهل الجنة بسياهم ببيض الوجوه ، وأهل النار بسياهم بسود الوجوه ، قال : وقوله (بِعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيَاهُمْ) قال : أصحاب الجنة وأصحاب النار ، ونادوا أصحاب الجنة ، قال : حين رأوا وجوههم قد ابيضت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (بِعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيَاهُمْ) قال : بسواد الوجوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ( بسِيَاهُمْ ) قال : بسواد الوجوه ، وزُرْقَةُ العيون .

والسِيَاءُ : العلامة الدالة على الشيء في كلام العرب ، وأصله من السَّيْمَةِ ، نُقِلَتْ وَاوَهَا التي هي فاء الفعل إلى موضع العين ، كما يقال : اضمحلّ وامضحلّ ، وذُكِرَ سَمَاعًا عن بعض بني عَقِيلِ : هي أرض خامة ، يعنى : وَخِمة ؛ ومنه قولهم : له جاه عند الناس ، بمعنى : وجه ، نُقِلَتْ وَاوَه إلى موضع عين الفعل ، وفيها لغات ثلاث : سِيَاءٌ مقصورة ، وسِيَاءٌ ممدودة ، وسِيَمَاءٌ بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ، ومدّها على مثال الكبرياء ، كما قال الشاعر :

غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْحُسْنِ إِذْ رَمَى لَهُ سِيَمَاءٌ لَاتَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ ۱

وأما قوله ( وَتَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ) أى حلت عليكم أمانة الله من عقابه وأليم عذابه .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ) فقال بعضهم : هذا خبر من الله عن أهل الأعراف ، أنهم قالوا لأهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الأعراف ، غير أنهم قالوه وهم يطمعون في دخولها .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أهل الأعراف يعرفون الناس ، فإذا مروا عليهم بزُمرَةٍ يَدْخُلُوهَا ، قالوا : سلام عليكم ، يقول الله لأهل الأعراف ( لَمْ يَدْخُلُوهَا ، وَهُمْ يَطْمَعُونَ ) أن يدخلوها .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : تلا الحسن ( لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ) قال : والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريد بها بهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ) قال : أنبأكم الله بمكانهم من الطمع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : قال سعيد بن جبير ، وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود ، قال : أما أصحاب الأعراف ، فإن النور كان في أيديهم ، ما انتزع من أيديهم ، يقول الله ( لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ) قال : في دخولها ، قال ابن عباس : فأدخل الله أصحاب الأعراف الجنة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعطاء ( لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ) قالوا : في دخولها .

(١) البيت تقدم استشهاد المؤلف به (ج ٣ : ٩٨) وفيه : « يافعا » في موضع « إذ رمى » . فارجع إل ما كتبنا عنه هناك .

وقال آخرون : إنما عني بذلك أهل الجنة ، وأن أصحاب الأعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة : سلام عليكم ، وأهل الجنة يطعمون أن يدخلوها ، ولم يدخلوها بعد .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ( ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ، لم يدخلوها وهم يطعمون ) قال : الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم ، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة ، أصحاب الأعراف ينادون أصحاب الجنة : أن سلام عليكم ، لم يدخلوها وهم يطعمون في دخولها .

القول في تأويل قوله

\* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا : رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا صُرِفَتْ أَبْصَارُ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ، يعني : حياهمم ووجاههم فنظروا إلى تشويه الله لهم (قَالُوا: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوا من سخطك ، ما أورشهم من عذابك ما هم فيه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : وإذا مروا بهم ، يعني بأصحاب الأعراف ، بزُمرَة يُذهب بها إلى النار (قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم (قَالُوا: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مكين ، عن أخيه ، عن عكرمة (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ) قال : تحرد وجوههم للنار ، فإذا رأوا أهل الجنة ، ذهب ذلك عنهم .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ابن زيد في قوله (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ) فرأوا وجوههم مُسْوَدَّةً ، وأعينهم مُزْرَقَةٌ (قَالُوا: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

القول في تأويل قوله

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، قَالُوا : مَا أَعْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا

كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨)

يقول جل ثناؤه ( وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا ) من أهل الأرض ( يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَاهِهِمْ ) :  
سِيَاهُ أَهْلِ النَّارِ ( قَالُوا : مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ ) : ما كنتم تجمعون من الأموال والعدد في الدنيا  
( وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ) يقول : وتكبركم الذي كنتم تتكبرون فيها .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال :  
فرَّبهم ، يعني بأصحاب الأعراف ناس من الجبارين ، عرفوهم بسياهم ، قال : يقول : قال أصحاب الأعراف :  
( مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
( وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا ) قال : في النار ( يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَاهِهِمْ ) ، قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ  
جَمْعُكُمْ ) وتكبركم ( وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ( وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ  
رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَاهِهِمْ ) ، قَالُوا : مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ) قال :  
هذا حين دخل أهل الجنة الجنة ( أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ) . . . الآية . قلت  
لأبي مجاز عن ابن عباس ؟ قال : لا ، بل عن غيره .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عثية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ( وَنَادَى أَصْحَابُ  
الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَاهِهِمْ ) قال : نادى الملائكة رجالا في النار ، يعرفونهم بسياهم :  
( مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ) ، أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ  
بِرَحْمَةٍ ) قال هذا حين دخل أهل الجنة الجنة ( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ  
رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَاهِهِمْ ) فالرجال عظماء من أهل الدنيا ؛ قال : فهذه الصفة عرَّفَ أهل الأعراف  
أهل الجنة من أهل النار ، وإنما ذكر هذا حين يذهب رئيس أهل الخير ، ورئيس أهل الشر يوم القيامة ؛  
قال : وقال ابن زيد في قوله ( مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ) قال : على أهل  
طاعة الله .

#### الفول في تأويل فول

أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ  
تَحْزَنُونَ (٤٩)

يختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الكلام ، فقال بعضهم : هذا قبيل الله لأهل النار ، توبيخا لهم على  
ما كان من قبيلهم في الدنيا لأهل الأعراف ، عند إدخاله أصحاب الأعراف الجنة .  
ذكر من قال ذلك :



حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : أصحاب الأعراف : رجال كانت لهم ذنوب عظام ، وكان حسَمُ أمرهم الله ، يقومون على الأعراف ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة طمعوها أن يدخلوها ، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوذوا بالله منها ، فأدخلوا الجنة ، فذلك قوله تعالى ( أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ) يعني أصحاب الأعراف ( ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : قال ابن عباس : إن الله أدخل أصحاب الأعراف الجنة لقوله : ( ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال الله لأهل التكبر والأموال ( أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ) يعني أصحاب الأعراف . ( ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( أهؤلاء ) الضعفاء ( الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ) ، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ) قال : فقال حذيفة : « أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعماهم ، فقصرت بهم حسنتاتهم عن الجنة ، وقصرت بهم سيئاتهم عن النار ، فجعلوا على الأعراف ، يعرفون الناس بسيماهم ؛ فلمّا قضى بين العباد ، أذن لهم في طلب الشفاعة ، فأتوا آدم عليه السلام ، فقالوا : يا آدم أنت أبونا ، فاشفع لنا عند ربك ، فقال : هل تعلمون أحدا خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وسبقت رحمة الله إليه غضبه ، وسجدت له الملائكة غيري ؟ فيقولون : لا ، قال : فيقول : ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا ابني إبراهيم . قال : فيأتون إبراهيم عليه السلام ، فيسألونه أن يشفع لهم عند ربه ، فيقول هل تعلمون من أحد اتخذ الله خليلا ؟ هل تعلمون أحدا أحرقت قومه في النار في الله غيري ؟ فيقولون : لا . فيقول : ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا ابني موسى ، فيأتون موسى عليه السلام ، فيقول : هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليما ، وقربه نجيبا غيري ؟ فيقولون : لا ، فيقول : ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا عيسى ، فيأتونه فيقولون : اشفع لنا عند ربك ، فيقول : هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب غيري ؟ فيقولون : لا . فيقول : هل تعلمون من أحد كان يبري الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله غيري ؟ قال : فيقولون : لا ، قال : فيقول : أنا حجيج

نَفْسِي ، مَا عَلِمْتُ كُنْهَ مَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَشْفَعَ لَكُمْ ، وَاتَّكِنِ اثْنُوا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَيَأْتُونِي ، فَأَضْرِبُ بِيَدِي عَلَى صَدْرِي ثُمَّ أَقُولُ : أَنَا طَلَا ، ثُمَّ أُمْسِي حَتَّى أَقِيفَ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرِشِ ، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي ، فَيَفْتَحُ لِي مِنَ الثَّنَاءِ مَا لَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ بِمِثْلِهِ قَطُّ ، ثُمَّ أَسْجُدُ فَيُقَالُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ نِعْمَتَهُ ، وَاشْتَعِ تَشْتَعِ ، فَارْفَعْ رَأْسِي نَأْفُوقُ : رَبِّ أُمَّتِي ، فَيُقَالُ : هُمْ لَكَ ، فَلَا يَبْقَى نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ إِلَّا غَبَطَنِي يَوْمَئِذٍ بِذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ . قَالَ : فَآتَى بِهِمْ بَابَ الْجَنَّةِ فَاسْتَفْتَحَ ، فَيُفْتَحُ لِي وَهُمْ ، فَيَبْذُوبُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ ، حَافَتَاهُ قُضْبٌ مِنْ ذَهَبٍ مُكَائِلٌ بِالْمُؤَلُّوْ ، تُرَابُهُ الْمِسْكُ ، وَحَصْبَاؤُهُ الْيَاقُوتُ ، فَيَتَمَسَّكُونَ مِنْهُ ، فَتَعُودُ إِلَيْهِمْ أَلْوَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَرِيحُهُمْ ، وَيَبْصِرُونَ كَأَنَّهُمْ الْكُتُوبَ الدُّرِّيَّةَ ، وَيَبْقَى فِي صُدُورِهِمْ شَامَاتٌ بَيْضٌ يُعْرَفُونَ بِهَا ، يُقَالُ لَهُمْ مَسَاكِينُ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، قال : إن الله أدخلهم بعد أصحاب الجنة ، وهو قوله ( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ) يعني أصحاب الأعراف ، وهذا قول ابن عباس .  
فتأويل الكلام على هذا التأويل الذي ذكرنا عن ابن عباس ، ومن ذكرنا قوله فيه ، قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحداية الله والإذعان لطاعته ، وطاعة رسوله الجامعين في الدنيا الأموال ، مكاثرة ورياء : أيها الجبابرة الذين كانوا في الدنيا ، أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم في الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، قال : قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلي ورحمتي ، ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة ، لاخوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم في الدنيا من الآثام والإجرام ، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في دنياكم .  
وقال أبو مجاز : بل هذا القول خبر من الله عن قِبل الملائكة لأهل النار بعد ما دخلوا النار ، تعبيراً منهم لهم على ما كانوا يقولون في الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته . وأما قوله ( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ) فخبير من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجاز ، قال : نادى الملائكة رجالاً في النار يعرفونهم بسيماهم ، ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ، أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ؟ قال : فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنة : ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون .

القول في تأويل قوله

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ،  
قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)

ﷺ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة، عند نزول عظيم البلاء بهم، من شدة العطش والجوع، عقوبة من الله لهم على ما سلف منهم في الدنيا، من ترك طاعة الله، وأداء ما كان فرض عليهم فيها في أموالهم من حقوق المساكين، من الزكاة والصدقة، يقول تعالى ذكره: ونادى أصحاب النار بعد ما دخلوها أصحاب الجنة بعد ما سكنوها (أن) يا أهل الجنة (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) أي أطمعونا مما رزقكم الله من الطعام.

كما حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السدي (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) قال: من الطعام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) قال: يستطعمونهم ويستسقونهم، فأجابهم أهل الجنة إن الله حرم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيدهم، وكذبوا في الدنيا رسله، والهاء والميم في قوله (إن الله حرمهما) عائدتان على الماء، وعلى «ما» التي في قوله (أو مما رزقكم الله).  
وينحو ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عثمان الثقفي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) قال: ينادى الرجل أخاه أو أباه، فيقول: قد احترقت، أفض على من الماء، فيقال لهم: أجيئوهم، فيقولون (إن الله حرمهما على الكافرين).

وحدثني المنني، قال: ثنا ابن دكين، قال: ثنا سفيان، عن عثمان، عن سعيد بن جبير (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) قال: ينادى الرجل أخاه: يا أخي قد احترقت فأغني، فيقول: (إن الله حرمهما على الكافرين).  
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (قالوا: إن الله حرمهما على الكافرين) قال: طعام أهل الجنة وشرابها.

#### القول في تأويل قوله

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، فَالْيَوْمَ نَنسُوهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا، وَمَا كَانُوا بِثَأْنِنَا يَمْحَدُونَ (٥١)

ﷺ وهذا خبر من الله عن قبيل أهل الجنة للكافرين، يقول تعالى ذكره: فأجاب أهل الجنة أهل النار: (إن الله حرمهما على الكافرين) الذين كفروا بالله ورسله (الذين اتخذوا دينهم الذي أمرهم الله به لهواً ولعباً) يقول: بخيرية ولعباً.

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ حُرُوفًا وَلَعِبًا ) . . . الآية . قال : وذلك أنهم كانوا إذا دُعُوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه ، وهزءوا به ، اغترارا بالله (وَعَرَّتَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) يقول : وخدعهم عاجل ما هم فيه من العيش والحفص والدعة ، عن الأخذ بنصيبتهم من الآخرة ، حتى أتتهم المنية . يقول الله جل ثناؤه ( فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ) أى فى هذا اليوم ، وذلك يوم القيامة نساهم ، يقول : تركهم فى العذاب المبين جياعا عطاشا بغير طعام ولا شراب ، كما تركوا العمل لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ، ورفضوا الاستعداد له ، بإتباع أبدانهم فى طاعة الله . وقد بيننا معنى قوله نساهم بشواهد فى ماضى ، بما أغنى عن إعادته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى . عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ( فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ ) قال : نَسُوا فى العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ( فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ ) قال : تركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( نَنْسَاهُمْ ) قال : تركهم فى النار .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ ) كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ) قال : تركهم من الرحمة ، كما تركوا أن يعملوا لقاء يومهم هذا . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ ) كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ) . . . الآية ، يقول : نسيتهم الله من الخير ، ولم ينسهم من الشر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا فى قوله ( فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ ) كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ) قال : تؤخرهم فى النار .

وأما قوله ( وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ) فإن معناه : اليوم نساهم كما نَسُوا لقاء يومهم هذا ، وكما كانوا بآياتنا يجحدون . فما الذى فى قوله ( وَمَا كَانُوا ) معطوفة على « ما » التى فى قوله ( كَمَا نَسُوا ) . وتأويل الكلام : فالיום تركهم فى العذاب ، كما تركوا العمل فى الدنيا لقاء الله يوم القيامة ، وكما كانوا بآيات الله يجحدون ، وهى حججه التى احتج بها عليهم ، من الأنبياء والرسل والكتب وغير ذلك . يجحدون : يكذبون ، ولا يصدقون بشيء من ذلك .

القول في تأويل قوله

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ، هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : أقسم يا محمد لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب ، يعني القرآن الذي أنزله إليهم يقول : لقد أنزلنا إليهم هذا القرآن مفصلاً مبيناً فيه الحق من الباطل (على علم) ، يقول : على علم منا بحق ما فصل فيه من الباطل الذي ميز فيه بينه وبين الحق (هدى ورحمة) يقول : بيناه ليهتدى ويرحم به قوم يصدقون به وبما فيه ، من أمر الله ونهيه ، وأخباره ، ووعدده ووعيده ، فينقذهم به من الضلالة إلى الهدى . وهذه الآية مردودة على قوله (كتاب أنزلناه إليك) ، فلا يمكن في صدرك حرج منه ، ليتنذر به وذكري للمؤمنين . ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم) والهدى في موضع نصب على القطع من الماء التي في قوله (فصلناه) ولو نصب على فعل فصلناه ، فيكون المعنى : فصلنا الكتاب كذلك كان صحيحاً ؛ ولو كان قرئ (هدى ورحمة) كان في الإعراب فصيحاً ، وكان خفض ذلك بالرد على الكتاب .

القول في تأويل قوله

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ؟ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ؟ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ؟ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره (هل ينظرون إلا تأويله) : هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ، ويجدون لقاءه ، إلا تأويله ؟ يقول : إلا ما يتول إليه أمرهم ، من ورودهم على عذاب الله ، وصليم جحيمه ، وأشباه هذا مما أوعدهم الله به . وقد بينا معنى التأويل فيما مضى بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هل ينظرون إلا تأويله) : أي ثوابه (يوم يأتي تأويله) : أي ثوابه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) قال : تأويله : عاقبته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (هل ينظرون إلا تأويله) قال : جزاءه (يوم يأتي تأويله) قال : جزاؤه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) أما تأويله : فعواقبه مثل وقعة بدر ، والقيامة ، وما وعد فيه من موعد .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ) فلا يزال يقع من تأويله أمر بعد أمر ، حتى يتم تأويله يوم القيامة ، ففي ذلك أنزل ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ) حيث أثنى الله تبارك وتعالى أوليائه وأعداءه ثواب أعمالهم ، ( يَقُولُ يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ) . . . الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ) قال : يوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ) قال : يأتي تحقيقه ، وقرأ قول الله تعالى ( هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ) قال : هذا تحقيقها ، وقرأ قول الله ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ) قال : ما يعلم حقيقته ، ومتى يأتي إلا الله تعالى . وأما قوله ( يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ ) فإن معناه : يوم يجيء ما يشول إليه أمرهم من عقاب الله ( يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ ) : أي يقول الذين ضيعوا ، وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل إليه أمرهم يومئذ من العذاب من قبل ذلك في الدنيا ( لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ) أقسم المساكين حين عاينوا البلاء ، وحل بهم العقاب ، إن رسل الله التي أتتهم بالندارة ، وبلغتهم عن الله الرسالة ، قد كانت نصحت لهم ، وصدقتهم عن الله ، وذلك حين لا ينفعهم التصديق ، ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه ، كثرة القول والقليل .  
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، (يقول الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) أما الذين نسوه فتركوه ، فلما رأوا ما وعدهم أنبياءهم استيقنوا فقالوا : قد جاءت رسل ربنا بالحق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ ) قال : أعرضوا عنه .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
القول في تأويل قوله ( فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ، أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ) ما كانوا يقتترونها :  
وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم يقولون عند حلول سخط

الله بهم ، وورودهم ، ألم عذابه ، ومعابنتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم : هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم ، فيشفعوا لنا عند ربنا ، فنتجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا في الدنيا ، أو نردّ إلى الدنيا مرة أخرى ، فنعمل فيها بما يرضيه ويُعْتَبِبه من أنفسنا ، قال : هذا القول المساكين هنالك ، لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم ، فيذكروا ذلك في وقت لاخْلُتَ فيه لهم ولا شفاعة ، يقول الله جلّ ثناؤه (قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول : غَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ حَظوظها ، ببيعهم ما لاخطر له من نعيم الآخرة الدائم ، بالحسيس من عرض الدنيا الزائل (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وأسلمهم لعذاب الله ، وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ، ويزعمون كذبا واقترأ أنهم أربابهم من دون الله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول : شَرَوْهَا بِخَيْرِهَا . وإنما رفع قوله (أَوْ نَرُدُّ) ولم ينصب عطفا على قوله (فَيَشْفَعُوا لَنَا) لأن المعنى : هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ، أو هل نردّ فنعمل غير الذى كنا نعمل ، ولم يرد به العطف على قوله (فَيَشْفَعُوا لَنَا) .

#### القول فى تأويل قوله

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ  
يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَجَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ  
وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : إن سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس ، هو المعبود الذى له العبادة من كل شيء ، الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وذلك يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : بدء الخلق : العرش والماء والهواء ، وخلقت الأرض من الماء ، وكان بدء الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وجمع الخلق في يوم الجمعة ، وتهودت اليهود يوم السبت ، ويوم من الستة الأيام كآلف سنة مما تعدون (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) وقد ذكرنا معنى الاستواء واختلاف الناس فيه فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .

وأما قوله (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) فإنه يقول : يورد الليل على النهار فيلبسه إياه ، حتى يذهب نضرتة ونوره (يَطْلُبُهُ) يقول : يطلب الليل النهار (حَثِيثًا) يعنى سريعا .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ) يقول : سريعاً .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ) قال : يغشى الليل النهار فيذهب بضوئه ، ويطلبه سريعاً حتى يدركه .

القول في تأويل قوله ( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ) :

يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم ، كل ذلك بأمره ، أمرهن الله فأطعن أمره ، ألا لله الخلق كله ، والأمر الذي لا يخالف ، ولا يرد أمره دون ماسواه من الأشياء كلها ، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تنضر ولا تنفع ، ولا تخلق ولا تأمر ، تبارك الله معبودنا الذي له عبادة كل شيء رب العالمين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام أبو عبد الرحمن ، قال : ثنا بقیة بن الوليد ، قال : ثنى عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري ، عن عبد العزيز الشامي ، عن أبيه ، وكانت له صحبة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى مَا عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ ، قَلَّ شُكْرُهُ ، وَحَبِطَ عَمَلُهُ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْعِبَادِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا فَتَقَدَّرَ كَفَرًا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ » ، لقوله ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ) .

القول في تأويل قوله

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ادعوا أيها الناس ربكم وحده ، فأخلصوا له الدعاء ، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام ( تَضَرُّعًا ) يقول : تذللًا واستكانة لطاعته ( وَخُفْيَةً ) يقول : بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه ، لاجهاراً مراعاة ، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته ، فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره ، وإن كان الرجل لقد فقهه الفقه الكثير وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته ، وعند الزوار وما يشعرون به ، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدر على أن يعملوه في السر ، فيكون علانية أبداً ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله يقول



(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا ، فرضى فعلاه ، فقال (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النهدي ، عن أبي موسى ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فأشرفوا على واد يكبرون ويهتلون ويرفعون أصواتهم ، فقال : «أيتها الناس أربَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا ، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا مَعَكُمْ» .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) قال : السر . وأقرله (إنه لا يُجيبُ المعتدِّينَ) فإن معناه : إن ربكم لا يجيب من اعتدى ، فتجاوز حدّه الذي حدّه لعباده ، في دعائه ومسألته ربه ، ورفع صوته فوق الحدّ الذي حدّ لهم في دعائهم إياه ومسألتهم ، وفي غير ذلك من الأمور .

كما حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : أنبأنا إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن عباد بن عباد ، عن علقمة ، عن أبي مجلز (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) ، إنه لا يُجيبُ المعتدِّينَ) قال : لا يسأل منازل الأنبياء عليهم السلام .

حدثني القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (إنه لا يُجيبُ المعتدِّينَ) في الدعاء ولا في غيره . قال ابن جريج : إن من الدعاء اعتداء يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء ، ويؤمر بالتضرع والاستكانة .

#### القول في تأويل قوله

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ، إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) : لا تشركوا بالله في الأرض ، ولا تعصوه فيها ، وذلك هو الفساد فيها ، وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى ، وبيننا معناه بشواهد (بعد إصلاحها) يقول : بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته ، باتباعه فيهم الرسل دعاء إلى الحق ، وإيضاحه حججه لهم (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا) بقول ، وأخلصوا له الدعاء والعمل ، ولا تشركوا في عملكم له شيئا غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك ، وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفا من عقابه ، وطمعا في ثوابه وإن من كان دعاؤه إياه على غير ذلك ، فهو بالآخرة من المكذبين ، لأن من لم يخف عقاب الله ، ولم يرج ثوابه ، لم يبال ماركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا قريب منهم ، وذلك هو رحمته ، لأنه ليس

بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعد لهم من كرامته ، إلا أن تفرق أرواحهم أجسادهم ، ولذلك من المعنى ذكر قوله (قَرِيبٌ) وهو من خبر الرحمة والرحمة مؤنثة ، لأنه أريد به القرب في الوقت لافي النسب والأوقات بذلك المعنى ، إذا رفعت أخبارا للأسماء أجرتها العرب مجرى الحال ، فوحدتها مع الواحد والاثنتين والجمع ، وذكرتها مع المؤنث ، فقالوا : كرامة الله بعيد من فلان ، وهي قريب من فلان ، كما يقولون : هند قريب منا ، والهندان منا قريب ، والهندات منا قريب ، لأن معنى ذلك : هي في مكان قريب منا ، فإذا حذفوا المكان ، وجعلوا القريب خلفا منه ، ذكرّوه ووحدوه في الجمع ، كما كان المكان مذكرا وموحدا في الجمع . وأما إذا أنثوه أخرجوه مثنى مع الاثنتين ، ومجموعا مع الجميع ، فقالوا : هي قريبة منا ، وهما منا قريبتان ، كما قال عروة بن الورد :

عَشِيَّةَ لَا عَفْرَاءُ مِثْلِكَ قَرِيْبَةً فَتَدْنُو وَلَا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدَةً

فأنت قريبة ، وذكر بعيدا على ما وصفت ، ولو كان القريب من القرابة في النسب لم يكن مع المؤنث إلا مؤنثا ، ومع الجمع إلا مجموعا . وكان بعض نحويي البصرة يقول : ذكّر قريب ، وهو صفة للرحمة ، وذلك كقول العرب : ريح خريق ، وميلحفة جديد ، وشاة سديس . قال : وإن شئت قلت : تفسير الرحمة ههنا المطر ونحوه ، فلذلك ذكر ، كما قال (وإن كان طائفة منكم آمنوا) فذكر لأنه أراد الناس ، وإن شئت جعلته كبعض ما يدكرون من المؤنث ، كقول الشاعر :

وَلَا أَرْضَ أَبْقَلْ أَبْقَالَهَا

وقد أنكر ذلك من قبيله بعض أهل العربية ، ورأى أنه يلزمه إن جاز أن يذكر قريبا توجيها منه للرحمة إلى معنى المطر أن يقول : هند قام ، توجيها منه لهند وهي امرأة ، إلى معنى إنسان ، ورأى أن ما شبه به قوله (إن رحمة الله قريب من المحسنين) بقوله (وإن كان طائفة منكم آمنوا) غير مشبهه ، وذلك أن الطائفة فيما زعم مصدر بمعنى الطيف ، كما الصيحة والصياح بمعنى ، ولذلك قيل (وأخذ الذين ظنكموا الصيحة) .

(١) البيت أنشده صاحب اللسان في (قرب) لكن مع اختلاف في روايته عن رواية المؤلف ، وهاكها :

لِيَأْتِيَ لَا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدَةً فَتَسَلِّي وَلَا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبٌ

وقد ذكر صاحب اللسان اختلاف اللغويين في دخول التاء في مؤنث قريب وبعيد ، وكل ما كان على وزن فعل ، أو عدم دخوله مستقصى . ومنه ما نقله عن ابن السكيت ، قال : تقول العرب : هو قريب مني ، وهما قريب مني ، وهم قريب مني ، وكذلك المؤنث : هي قريب مني ، وهي بعيد مني ، وهما بعيد ، وهن بعيد مني وقريب ، فتوحد قريبا وتذكره ، لأنه إن كان مرفوعا فإنه في تأويل : هو في مكان قريب مني . وقال الله تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » . وقد يجوز قريبة وبعيدة بالهاء ، تنبيها على قربت وبعدت ، فن أنثها في المؤنث ، ثم وجمع ، وأنشد . . . (بيت الشاهد الذي أورده المؤلف مع اختلاف الرواية) .

(٢) هذا عجز بيت لعامر بن جوين الطائي : (اللسان في بقل والكتاب لسبويه ١ : ٢٤٠ وصدده فيها : (فلا مزنة ودقت ودقها) . قال الأعلم الشنتمري في شرح هذا البيت : الشاهد فيه : حذف التاء من أبقلت ، لأن الأرض بمعنى المكان ، فكانه قال : ولا مكان أبقل إبقالها . وصف أرضا مخصبة لكثرة ما نزل بها من الغيث . والودق : المطر . والمزنة : السحابة . ويروي : « أبقلت إبقالها » بتخفيف الهزرة ، ولا ضرورة فيه على هذا . هـ . وقال في اللسان : ولم يقل أبقلت ، لأن تأنيث الأرض ليس بتأنيث حقيق هـ .

## القول في تأويل قوله

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ تَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ، فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : إن ربكم الذى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، (هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ تَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ) . والنشْرُ بفتح النون وسكون الشين في كلام العرب : من الرياح الطيبة اللينة الهبوب ، التى تنشئ السحاب ، وكذلك كل ریح طيبة عندهم فهى نشْرٌ ؛ ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامِ وَرِيحَ الْخُرَّامِ وَنَشَرَ الْقَطْرُ ١

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قرآء الكوفيين ، خلا عاصم بن أبى النجود ، فإنه كان يقرؤه (بُشْرًا) على اختلاف عنه فيه ، فروى ذلك بعضهم عنه (بُشْرًا) بالباء وضمها وسكون الشين ، وبعضهم بالباء وضمها وتضم الشين ، وكان يتأول في قراءته ذلك كذلك قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ) : تبشر بالمطر ، وأنه جمع بشير بُشْرًا ، كما يجمع النذير نُذْرًا . وأما قرآء المدينة وعامة المكيين والبصريين ، فإنهم قرءوا ذلك (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ نَشْرًا) بضم النون والشين ، بمعنى جمع نُشُور جمع نَشْر ، كما يجمع الصبور صُبْرًا ، والشكور شُكْرًا . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : معناها إذا قُدرت كذلك : إنها الرياح التى تهب من كل ناحية ، وتجىء من كل وجه . وكان بعضهم يقول : إذا قُدرت بضم النون ، فينبغى أن تسكن شينها ، لأن ذلك لغة بمعنى النشر بالفتح . وقال العرب : تضم النون من النشر أحيانًا ، وتفتح أحيانًا ، بمعنى واحد ، قال : باختلاف القراء فى ذلك على قدر اختلافها فى لغتها فيه ، وكان يقول : هو نظير الخسف والخسف ، بفتح الخاء وضمها .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن قراءة من قرأ ذلك نَشْرًا ونُشْرًا بفتح النون وسكون الشين : وبضم النون والشين ، قراءتان مشهورتان فى قراءة الأمصار ، فلا أحب القراءة بها ٢ ، وإن كان لها معنى صحيح ، ووجه مفهوم فى المعنى والإعراب ، لما ذكرنا من العلة .

(١) البيت فى ديوان امرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى طبعه الحلبي ص ١١٧) . والمدام : الخمر . والغمام : السحاب . وصوبه : وقعه . والخزاي : غيرى البر ، وهى عشب طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، خمر الزهرة ، طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج . والقطر بضم القاف والطاء : العود الذى يتبخر به . والنشر : الرائحة . وغير كأن فى البيت الذى بعده ، وهو :

يُعَلُّ بِهِ بِرْدُ أَنْبِيَاءِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِيرُ

ويعل به : يسق به مرة بعد مرة . وطرب : تغنى ورجع فى صوته ، وحسنه ومدد . والمستحر : المغرد بالسحر . أى هى طيبة ریح النعم فى الوقت الذى تتغير فيه الأنواء ، وإنما تتغير بعد النوم .

(٢) قوله « فلا أحب الخ » يظهر أن قبله سقطا ، ولعله : وأما قراءة الباء فلا أحب . . . الخ .

وأما قوله ( بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ) فإنه يقول : قدام رحمة وأمامها ؛ والعرب كذلك تقول لكل شيء حدث قدام شيء وأمامه : جاء بين يديه ، لأن ذلك من كلامهم جرى في أخبارهم عن بنى آدم ، وكثر استعماله فيهم ، حتى قالوا ذلك في غير ابن آدم وما لا يد له . والرحمة التي ذكرها جل ثناؤه في هذا الموضع : المطر . فعنى الكلام إذن : والله الذي يرسل الرياح لينا هبوبها ، طيبا نسيما ، أمام غيثة الذي يسوقه بها إلى خلقه ، فينشئ بها سخابا ثقلا ، حتى إذا أقلتها ، والإقلال بها : حملها ، كما يقال : استقل البعير بحمله ، وأقله : إذا حمله فقام به ، ساقه الله لإحياء بلد ميت قد تعفنت مزارعه ، ودرست مشاربه ، وأجذب أهله ، فأنزل به المطر ، وأخرج به من كل الثمرات .  
وبنحو انذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي ( وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ) . . . إلى قوله ( لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) قال : إن الله يرسل الرياح ، فتأتي بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والأرض من حيث يلتقيان ، فيخرجه من ثم ، ثم ينشره فيسطه في السماء كيف يشاء ، ثم يفتح أبواب السماء ، فيسيل الماء على السحاب ، ثم يمطر السحاب بعد ذلك . وأما رحمة : فهو المطر .

وأما قوله ( كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) فإنه يقول تعالى ذكر : كما ننحي هذا البلد الميت بما نزل به من الماء الذي ننزله من السحاب ، فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهله ، كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فناءهم ، ودروس آثارهم ( لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) : يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الأصنام ، المكذبين بالبعث بعد الممات ، المنكرين للثواب والعقاب : ضَرَبْتُ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ هَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ ، مِنْ إِحْيَاءِ الْبَلَدِ الْمَيِّتِ بِقَطْرِ الْمَطَرِ الَّذِي يَأْتِي بِهِ السَّحَابُ ، الَّذِي تَنْشُرُهُ الرِّيحُ الَّتِي وَصَفْتُ صَفَتَهَا ، لَتَعْتَبَرُوا ، فَتَذَكَّرُوا وَتَعْلَمُوا أَنَّ مِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ قُدْرَتِهِ ، فَيَسِيرُ فِي إِحْيَاءِ الْمَوْتَى بَعْدَ فَنَائِهَا ، وَإِعَادَتِهَا خَلْقًا سَوِيًّا بَعْدَ دَرُوسِهَا .  
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) وكذلك نُخْرِجُونَ ، وكذلك النشور ، كما نخرج الزرع بالماء .  
وقال أبو هريرة : إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى ، أمطر عليهم من ماء تحت العرش يُدعى ماء الحيوان أربعين سنة ، فينبتون كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا استكملت أجسادهم ، نفخ فيهم الروح ، ثم يأتي عليهم نومة ، فينامون في قبورهم ، فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ الثَّانِيَةِ ، عاشوا وهم يجدون طعم النوم

في رءوسهم وأعينهم ، كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه ، فعند ذلك يقولون ( يا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ) فناداهم المنادي ( هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ، وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كذلك نُخْرِجُ الْمَوْتَى ) قال : إذا أراد الله أن يخرج الموتى أمطر السماء ، حتى تشقق عنهم الأرض ، ثم يرسل الأرواح ، فتعود كل روح إلى جسدها ، فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كلحياته الأرض .

القول في تأويل قوله

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا زَكَاةً ، كَذَلِكَ نُصَرِّفُ  
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : والبلد الطيبة تربته ، العذبة مشاربه ، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث ، وأرسل عليه الحيا بإذنه ، طيبا ثمرة في حينه ووقته ( وَالَّذِي خَبثَ ) فَرَدُّوت تربته ، وملحت مشاربه ( لَا يَخْرِجُ ) نباته ( إِلَّا زَكَاةً ) يقول : إلا عسيرا في شدة ، كما قال الشاعر :

لَا تُسْجِزُ الْوَعْدَ إِنْ وَعَدْتَ وَإِنْ أُعْطِيتَ أُعْطِيتَ نَافِهُاً نَكِيداً<sup>١</sup>

يعنى بالنافه : القليل ، وبالنكد : العسر ، يقال منه : نكد ينكد نكدا ونكدا ، فهو نكدونكيد ، والنكد المصدر ، ومن أمثاله نكدا وجحدا ونكدا وجحدا ، والجد : الشدة والضيق ، ويقال إذا شفه وسئل قد نكدوه ينكدونه نكدا ، كما قال الشاعر :

وَأَعْطِ مَا أُعْطِيتَهُ طَيِّبًا لَا خَيْرَ فِي الْمُنْكَودِ وَالنَّكِيدِ<sup>٢</sup>

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض أهل المدينة ( إِلَّا نَكِيداً ) بفتح الكاف ؛ وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف ( نَكِيداً ) ، وخالفهما بعد سائر القراء في الأمصار ، فقرأه إلا نكيدا بكسر الكاف ، كأن من قرأه ( نَكِيداً ) بنصب الكاف أراد المصدر ، وكأن من قرأه بسكون الكاف أراد كسرهما ، فسكنها على لغة من قال : هذه فخذ وكشد ، وكان الذي يجب عليه إذا أراد ذلك أن يكسر النون من نكا حتى يكون قد أصاب القياس .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأه ( نَكِيداً ) بفتح النون وكسر الكاف ،

(١) النكد : العطاء القليل . ونكد عيشهم بكسر الكاف ينكد نكدا : اشتد . ونكد الرجل : قتل العطاء ، أو لم يعط البيت . (اللسان : نكد) .

(٢) البيت في (اللسان : نكد) : والنكد والنكد ، بضم النون وفتحها مع سكون الكاف فيهما : قلة العطاء ، وأن لا ينأه من يعطاه ، وأنشد : وأعط . . . البيت . ونكده ما سأله . بفتح الكاف : ينكده ، بضمها ، نكدا : لم يعطه منه إلا أقله . أنشد ابن الأعرابي :

مِنْ الْبَيْضِ تُرغِينَا سُقَاطَ حَدِيثِهَا وَتَنَكُّدُنَا لَهْوَ الْحَدِيثِ الْمُمْتَعِ

ترغينا : تعطينا منه ما ليس بصريح . ونكده حاجته : منه إياها .

لإجماع الحجة من قرآء الأمصار عليه . وقوله ( كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ) : يقول : كذلك نبين آية بعد آية ، ونُدلي بحجة بعد حجة ، ونضرب مثلاً بعد مثل ، لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية ، وتبصيره إياهم سبيل أهل الضلالة ، باتباعهم ما أمرهم باتباعه ، وتجنبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة ، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه : مثل للمؤمن ، والذي خبث فلا يخرج نباته إلا نكيداً : مثل للكافر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ( وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا ) فهذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول : هو طيب ، وعمله طيب ، كما البلد الطيب ثمره طيب ، ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبيخة الماخلة ، التي لا يخرج منها البركة ، فالكافر هو الخبيث ، وعمله خبيث .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ ، وَالَّذِي خَبِثَ ) قال : كل ذلك من أرض السباخ وغيرها مثل آدم وذريته ، فيهم طيب وخبيث .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا ) قال : هذا مثل ضربه الله في الكافر والمؤمن .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، يعني ابن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبِثَ ) هي السبيخة ( لَا يَخْرُجُ ) نباتها ( إِلَّا نَكِيدًا ) ، والنكيد : الشيء القليل الذي لا ينفع كذلك القلوب لما نزل القرآن ، فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به ، وثبت الإيمان فيه ؛ والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشيء ينفعه ، ولم يثبت فيه من الإيمان شيء إلا ما لا ينفع ، كما لم يخرج هذا البلد إلا ما لا ينفع من النبات .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد ( وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا ) قال : الطيب ينفعه المطر فينبث ، والذي خبث : السباخ لا ينفعه المطر ، لا يخرج نباته إلا نكدا ، قال : هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته ، كلهم إنما خلقوا من نفس واحدة ، فبهم من آمن بالله وكتابه ، فطاب ؛ وبهم من كفر بالله وكتابه ، فخبث .

القول في تأويل قوله

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ، فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)

ﷺ أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية ، أنه أرسل نوحا إلى قومه ، منذرهم بأسه ، ومخوفهم بسخطه على عبادتهم غيره ، فقال لمن كفر منهم : (يا قوم اعبدوا الله) الذي له العباداة ، وذليوا له بالطاعة ، واخضعوا له بالاستكانة ، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العباداة غيره ، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك (عذاب يوم عظيم) يعني : عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم ، بمجيئه إياكم بسخط ربكم .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (غَيْرُهُ) فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة (مالكم من إله غيره) بخفض غير على النعت للإله ؛ وقرأه جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة (مالكم من إله غيره) برفع غير ، ردأها على موضع «من» ، لأن موضعها رفع ، لو نزع من الكلام لكان الكلام رفعا ، وقيل : ما لكم إله غير الله ، فالعرب لما وصفت من أن المعلوم بالكلام ، أدخلت «من» فيه أو أخرجت ، وإنها تدخلها أحيانا في مثل هذا من الكلام ، وتخرجها منه أحيانا ، ترد مانعت به الاسم الذي عملت فيه على لفظه ، فإذا خفضت فعلى كلام واحد ، لأنها نعت للإله ؛ وأما إذا رفعت ، فعلى كلامين<sup>٢</sup> : مالكم غيره ، من إله ، وهذا قول يستضعفه أهل العربية .

القول في تأويل قوله

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ، إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠)

ﷺ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن جواب مشركي قوم نوح لنوح ، وهم الملاء ، والملاء : الجماعة من الرجال لامرأة فيهم ، أنهم قالوا له حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له : (إننا لَنَرُّكَ) يأنوح (في ضلال مبين) يتعنون : في أمر زائل عن الحق ، مبين زواله عن قصد الهدى لمن تأمله .

القول في تأويل قوله

قَالَ : يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ، وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١)

ﷺ يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه مجيبا لهم : يا قوم ، لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله ، وإفراذه بالطاعة ، دون الأنداد والآلهة ، زوالا مني عن تحجته الحق ، وضلالا لسبيل الصواب ، وماني ماتظنون

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ . وفي العبارة قلق واضطراب . ويلوح لي أن «أن» التي بعد من مقحمة ، وبخلفها يستقيم الكلام . والتي في معاني القرآن للفراء في هذا الموضع : «تجعل غير نعتا للإله ، وقد يرفع بجملة تابعا لتأويل في إله ، ألا ترى أن الإله لو نزع منه «من» كان رفعا وقد قرئ بالوجهين جميعا» .

(٢) في إملأ ما من به الرحمن للمكبري : «غيره» بالرفع يجوز فيه وجهان : أحدهما هو صفة لإله على الموضع ، والثاني : هو يدل من الموضع ، مثل لإله إلا الله . ويقرأ بالنصب على الاستثناء ، وبإلصافه على اللفظ . اهـ . قلت : وعلى تقدير البدلية يكون البديل من جملة أخرى ، فيتضح كلام المؤلف :

من الضلال، ولكنى رسول إليكم من رب العالمين، بما أمرتكم به من إفراده بالطاعة، والإقرار له بالوحدانية، والبراءة من الأنداد والآلهة .

القول فى تأويل قوله

أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي، وَأَنْصَحُ لَكُمْ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه : ولكنى رسول من رب العالمين، أرسلنى إليكم، فأنا أبلغكم رسالات ربى، وأنصح لكم فى تحذيرى إياكم عقاب الله، على كفركم به، وتكذيبكم إياى، وردكم نصيحتى (وأعلم من الله ما لا تعلمون) : من أن عقابه لا يرد عن القوم الخبرين .

القول فى تأويل قوله

أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ، وَلِتُنذِرُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣)

وهذا أيضا خبر من الله عز ذكره عن قبيلى نوح لقومه، أنه قال لهم إذ ردوا عليه النصيحة فى الله، وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيا، وقالوا له (ما نراك إلا بشرا مثلنا، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذل لنا بادية الرأى، وما نرى لك من علينا من فضل، بل نظننك كاذب بين : أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) يقول : أو عجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة، يذكركم بما أنزل ربكم على رجل منكم، قيل : معنى قوله (على رجل منكم) : مع رجل منكم (ليُنذِرَكم) : يقول لينذركم بأس الله، ويخوفكم عقابه على كفركم به (وليتنذروا) يقول : وكى تنذروا عقاب الله وبأسه، بتوحيده وإخلاص الإيمان به، والعمل بطاعته . (ولعلكم تُرْحَمُونَ) يقول : وليرحمكم ربكم إن اتقيتم الله وخفتموه، وحذرتم بأسه . وفتحت الواو من قوله (أو عجبتم) لأنها واو عطف، دخلت عليها ألف استفهام .

القول فى تأويل قوله

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ، وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ، وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : فكذب نوحا قومه، إذ أخبرهم أنه الله رسول إليهم بأمرهم بخلع الأنداد والإقرار بوحدانية الله، والعمل بطاعته، وخالفوا أمر ربهم، وبلجوا فى طغيانهم يعمهون، فأنجاه الله فى الفلك والذين معه من المؤمنين به، وكانوا بنوح عليه السلام ثلاث عشرة، فيما حدثنى به ابن حميد،



قال ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : نوح وبنوه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، وأزواجهم ، وستة أناسي ممن كان آمن به ، وكان جل معه في الفلک من كل زوجين اثنين ، كما قال تبارك وتعالى ( وَمَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ) والفلک : هو السفينة ( وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ) يقول : وأغرق الله الذين كذبوا بحججه ، ولم يتبعوا رسله ، ولم يقبلوا نصيحته إياهم في الله بالطوفان ( لِإِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ) يقول : عمين عن الحق .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي جريح ، عن مجاهد ، في قول الله ( عَمِينَ ) قال : عن الحق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( قَوْمًا عَمِينَ ) قال : العيمي : العامي عن الحق .

## القول في تأويل قوله

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ، قَالَ : يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ، أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا ، ولذلك نصب هودا ، لأنه معطوف به على نوح عليهما السلام ، قال هود : يا قوم اعبدوا الله ، فأفردوا له العبادة ولا تجعلوا معه إلها غيره ، فإنه ليس لكم إله غيره ، أفلا تتقون ربكم فتحذرونه ، وتحافون عقابه بعبادتكم غيره ، وهو خالفكم ورازقكم دون كل ما سواه .

## القول في تأويل قوله

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ، إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ ، وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ .

(٦٦) قَالَ : يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ، وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عما أجاب هودا به قومه الذين كفروا بالله : قال الملأ الذين كفروا : يعني الذين جحدوا توحيد الله ، وأنكروا رسالة هود إليهم ( إِنَّا لَنَرُّكَ ) ياهود ( فِي سَفَاهَةٍ ) يعنون في ضلالة عن الحق والصواب ، بتركك ديننا ، وعبادة آلهتنا ( وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) في قبيلك إني رسول من رب العالمين . ( قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ) : يقول : أي ضلالة عن الحق والصواب ( وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ) أرسلني ، فأنا أبلغكم رسالات ربي ، وأؤدبها إليكم كما أمرني أن أؤدبها .

## القول في تأويل قوله

﴿ أَبْلَغُكُمْ رَسُولٌ مِّن رَّبِّي ، وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ . ﴾ (٦٨) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن

رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ، وَأذْكَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ،  
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ، فَاذْكَرُوا ، آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ (٦٩)

يعني بقوله (أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي) : أودى ذلك إليكم أيها القوم . (وأنا لَكُمْ ناصح) : يقول : وأنا لكم في أمرى إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، ودعائكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله ، ناصح ، فاقبلوا نصيحتي ، فإني أمين على وحي الله ، وعلى ما ائتمني الله عليه من الرسالة ، لا أكذب فيه ، ولا أزيد ، ولا أبدل ، بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت . (أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ) يقول : أَوْعَجِبْتُمْ أَن أَنْزَلَ اللَّهُ وَحْيَهُ بِتَذْكِيرِكُمْ وَعِظَّتِكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مَقِيمُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ ، عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ، لِيُنذِرَكُمْ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ ، وَيُخَوِّفَكُمْ عِقَابَهُ . (وَأذْكَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول : فاتقوا الله في أنفسكم ، واذكروا ما حلَّ بقوم نوح من العذاب إذ عَصَوْا رَسُولَهُمْ ، وَكَفَرُوا بِهِمْ ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا جَعَلَكُمْ رَبِّكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ ، لَمَّا أَهْلَكْتُمْ أَبْدَلَكُمْ مِنْهُمْ فِيهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ يَحْلِبَ بِكُمْ نَظِيرَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، فَيَهْلِكَكُمْ ، وَيبدِّلَ مِنْكُمْ غَيْرَكُمْ ، سَنَتَهُ فِي قَوْمِ نُوحٍ قَبْلَكُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ ، وَكُفْرِكُمْ بِهِ . (وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً) : زاد في أجسامكم طولاً وعِظْماً على أجسام قوم نوح ، وفي قِوَامِكُمْ على قِوَامِهِمْ ، نِعْمَةٌ مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ ، فَادْكَرُوا نِعْمَهُ وَفَضْلَهُ ، الَّذِي فَضَّلَكُمْ بِهِ عَلَيْهِمْ ، فِي أَجْسَامِكُمْ وَقِوَامِكُمْ ، وَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ ، وَتَرْكِ الْإِشْرَاقِ بِهِ ، وَهَجْرِ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ (لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) يقول : كي تفلحوا ، فتدركوا الخلود والبقاء في النعيم في الآخرة ، وتنجحوا في طلباتكم عنده .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وَأذْكَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَأذْكَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ) : يقول : ذهب بقوم نوح ، واستخلفكم من بعدهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَأذْكَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ) : أي ساكني الأرض بعد قوم نوح .

وبنحو الذي قلنا أيضا ، قالوا في تأويل قوله (بَسْطَةً) .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ) : قال : ما لقوام قوم عاد . وأما الآلاء فإنها جمع ، واحدها : لِيْلِيْ بِكسْرِ الْأَلْفِ

في تقدير ميعى ، ويقال : آلى في تقدير قفأ بفتح الألف . وقد حكى سماعا من العرب إلى مثل حيسى . والآلاء : النعم ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فاذكروا آلاء الله ) أى نعم الله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما ( آلاء الله ) فنعم الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فاذكروا آلاء الله ) قال : آلاؤه : نعمه .

قال أبو جعفر : وعاد هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم ، وبعث إليهم هودا يدعوهم إلى توحيد الله ، واتباع ما أتاهم به من عنده .

هم فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ، وكانت مساكنهم الشحر من أرض اليمن ، وما والى بلاد حضرموت إلى عُمان .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : إن عادا قوم كانوا باليمن بالأحقاف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي ، عن أبي الطفيل عامر بن وائلة ، قال : سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسيدر كثير ، بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت ، هل رأيت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، والله إنك لتنتعته نعت رجل قد رآه ، قال : لا ، ولكني قد حدثت عنه ، فقال الحضرمي : وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فيه قبر هود صلوات الله عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا الأحقاف ، قال : والأحقاف : الرمل فيما بين عُمان إلى حضرموت باليمن ، وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض كلها ، وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله ، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله : صنم يقال له صداء ، وصنم يقال له صمود ، وصنم يقال له الهباء ، فبعث الله إليهم هودا ، وهو من أوسطهم نسبا ، وأفضلهم موضعا ، فأمرهم أن يوحدوا الله ، ولا يجعلوا معه إلها غيره ، وأن يكفوا عن ظلم الناس ، ولم يأمرهم فيما يذكر - والله أعلم - بغير ذلك ، فأبوا عليه وكذبوه ، وقالوا : من أشد منا قوة ، واتبعه منهم ناس وهم يسير ، يكتمون إيمانهم ، وكان ممن آمن به وصدقته رجل من عاد يقال له مرثد بن سعد بن عفير ، وكان يكتم إيمانه : فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم ، وأكثروا في الأرض الفساد ، وتجبروا ، وبنوا بكل ربيع آية عبثا بغير نفع ، كلمهم هود ، فقال ( أتبتئون بكل ربيع آية ، تعبتون

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ، وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ، وَمَا نَحْنُ بِكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ) : أى ماهذا الذى جئتنا به إلا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التى تعيب ، قال : إني أشهد الله وأشهدوا أني برىء مما تُشركون من دونه ، فكيدوني جميعاً ثم لانتظرون ) . . . إلى قوله ( صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) ؛ فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السماء ثلاث سنين فيما يزعمون ، حتى جهدهم ذلك ، وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد ، فطلبوا إلى الله الفرج منه ، كانت طلبتهم إلى الله عند بيته الحرام بمكة ، مسلمهم ومشركهم ، فيجتمع بمكة ناس كثير شتى ، مختلفة أديانهم ، وكلهم معظم لمكة ، يعرف حرمتها ، ومكانها من الله . قال ابن إسحاق : وكان البيت في ذلك الزمان معروفاً مكانه ، والحرم قائم فيما يذكرون ، وأهل مكة يومئذ العماليق ؛ وإنما سموا العماليق ، لأن أباهم عماليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة فيما يزعمون رجلاً يقال له : معاوية بن بكر ، وكان أبوه حياً في ذلك الزمان ، ولكنه كان قد كبر ، وكان ابنه يرأس قومه ، وكان السؤدد والشرف من العماليق فيما يزعمون في أهل ذلك البيت ، وكانت أم معاوية بن بكر كئلهة ابنة الخبيرى رجل من عاد ؛ فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا ، قالوا : جهزوا منكم وفداً إلى مكة ، فليستسقوا لكم ، فإنكم قد هلكتم ، فبعثوا قبيل بن عير ، ولقيهم بن هزال بن هزبل ، وعقيل بن ضد بن عاد الأكبر ، ومبرئ بن سعد بن عقيير ، وكان مسلماً يكتم إسلامه ، وجلهمة بن الخبيرى خال معاوية بن بكر أخو أمه ، ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن ضد بن عاد الأكبر ، فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه ، حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلاً ؛ فلما قدموا مكة ، نزلوا على معاوية بن بكر ، وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم ، فأترجم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصحابه ؛ فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر ، أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر ، وتغنيهم الجرادتان ، فبئتان لمعاوية بن بكر . وكان مسيرهم شهراً ، ومقامهم شهراً ؛ فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم ، وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذى أصابهم ، شق ذلك عليه ، فقال : هلك أخوالى وأصحابى ، وهؤلاء مقيمون عندي ، وهم ضيق نازلون على ، والله ما أدرى كيف أصنع بهم ؟ إن أمرهم بالخروج إلى ما بعثوا له فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم عندي ، وقد هلك من وراءهم من قومهم ، جهداً وعطشا ، أو كما قال : فشكا ذلك من أمرهم إلى قبتيه الجرادتين ، فقالنا : قل شعراً نغنيهم به ، لا يدرون من قاله ، لعل ذلك أن يجرّكهم ، فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك :

- ١ - أَلَا يَا قَبِيلُ وَيَحْكُ قُمْ فَهَيْبَتِي لَعَلَّ اللَّهَ يُسْقِينَا عَمَامًا
- ٢ - فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنْ عَادَا قَدْ امْسُوا لَا يُبِينُونَ الْكَلَامَا
- ٣ - مِنْ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ فَلَيْسَ تَرْجُو بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْغُلَامَا
- ٤ - وَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمْ يَحْتَبِرُ فَقَدْ امْسَتْ نِسَاؤُهُمْ عِيَامِي

- ٥ - وَإِنَّ الْوَحْشَ يَا تَيْبِيمَ جِهَارًا  
 ٦ - وَأَنْتُمْ هَاهُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ تَهَارِكُمْ وَلَيْلَكُمْ التَّمَامًا  
 ٧ - فَتُبْحَحَ وَقَدْ كُنتُمْ مِنْ وَقَدْ قَوْمٍ وَلَا لَقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامًا

فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنّهم به الجرادتان ، فلما سمع القوم ما غننا به ، قال بعضهم لبعض : يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوتون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم ، وقد أبطأتم عليهم ، فادخلوا هذا الحرم ، واستسقوا القومكم ، فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير : إنكم والله لا تسقون بدعائكم ، ولكن إن أطعمت نبيكم وأنبتم إليه سقيم ، فأظهر إسلامه عند ذلك ، فقال لهم جلسهمة بن الخبيري خال معاوية بن بكر حين سمع قوله ، وعرف أنه قد اتبع دين هود وآمن به :

أَبَا سَعْدٍ فَإِنَّكَ مِنْ قَبِيلِ  
 فَإِنَّا لَا نَطْبِعُكَ مَا بَقِينَا  
 ذَوِي كَرَمٍ وَأُمِّكَ مِنْ تَمُودِ  
 وَلَسْنَا فَاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ  
 أَنَا مُرْنَا لِنَتْرُكَ دِينَ رِفْدٍ  
 وَتَتْرُكَ دِينَ آبَاءِ كِرَامِ  
 وَرَمَلٍ وَالصُّدَاءَ مَعَ الصَّمُودِ  
 ذَوِي رَأْيٍ وَتَتَّبِعُ دِينَ هُودِ

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكر : احبسا عنا مرثد بن سعد ، فلا يقدم من معنا مكة ، فإنه قد اتبع دين هود ، وترك ديننا ، ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد ، فلما ولّوا إلى مكة ، خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر ، حتى أدركهم بها ، فقال : لأدعو الله أبشئ مما خرجوا له ، فلما انتهى إليهم ، قام يدعو الله بمكة ، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون ، يقول : اللهم أعطني سؤلي وحدي ، ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد ، وكان قبيل بن عير رأس وفد عاد ، وقال وفد عاد : اللهم أعط قبلا ما سألك ، واجعل سؤلنا مع سؤله ، وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعا ، لقمان بن عاد ، وكان سيد عاد ، حتى إذا فرغوا من دعوتهم ، قام فقال : اللهم إني جئتك وحدي في حاجتي ، فأعطني سؤلي ، وقال قبيل بن عير حين دعا : يا إلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا ، فإننا قد هلكنا ، فأنشأ الله لهم صحائب ثلاثا : بيضاء

(١) هذه الأبيات السبعة وأمثالها مما ينسب الرواة إلى العرب القدماء ، كالعالمقة وعاد وتمود . ومن ذكر بعضها ابن أبي الخطاب القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب (ص ٤١ طبعة الأميرية) قال : قال المفضل (؟) : وقد قالت الأشعار العالمقة وعاد وتمود ؛ قال معاوية بن بكر بن الحبر بن عتيك بن قرمة بن جلهمة بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان يومئذ سيد العالمقة ، وقد قدم إليه « قبيل بن عير » ، وكانت عاد بعثوه ولقمان بن عاد وفدا معها ، ليستسقوا لهم ، حين منعوا الفيت ؛ فقال معاوية ابن بكر : ألا يا قبيل . . . وساق الأبيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) مع اختلاف في بعض الألفاظ .

وذكر الأبيات بثماتها مع اختلاف في بعض الألفاظ ، وساق معها قصة الوفد المستسق ، المفسر أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، المعروف بالعلبي ، المتوفى سنة ٤٢٧ هـ في كتابه « عرائس المجالس ، المشهور « بقصص الأنبياء » ، طبعة الحلبي سنة ١٩٥١ ص ٦٢ ، ٦٣ وما بعدها .

ونحن نستبعد أن تكون هذه العربية السهلة الواضحة المستقيمة الوزن والقافية ، هي عربية تلك القرون الأولى ، المعنة في القدم ، أيام العالمقة ولقمان بن عاد ، ونرجح أن هذه الأخبار والأشعار من وضع القصاص ، والله تعالى أعلم وأحكم .  
 (٢) روى هذه الأبيات أيضا العلبي في عرائس المجالس ص ٦٣ طبعة الحلبي . ونرى فيها ما رأيناه في الأبيات السابقة ، أنها من وضع القصاص والأخباريين ، وليس لها نسب صحيح ، وفيها إقواء في البيت الثاني . وفي تاريخ الطبري (١ - ١ : ٢٣٧) بروى البيت الثالث هكذا :

أَنَا مُرْنَا لِنَتْرُكَ دِينَ رِفْدٍ وَرَمَلٍ وَآلِ عَدٍ وَالْعَبُودِ

قال : ورقد ورمل وضد : قبائل من عاد . والعبود منهم .

وحراء وسوداء ؛ ثم ناداه مناد من السحاب : يا قبيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب ، فقال : اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء ، فناداه مناد : اخترت رمادا رمداً ، لا تبق من آل عاد أحداً ، لا والدا ترك ولا ولداً ، إلا جعلته همداء ، إلا ابني اللوذية المهدي . وبنو اللوذية : بنو لقيم بن هزال بن هزيمة بن بكر ، وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم ، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عاد الآخرة ، ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد . وساق الله السحابة السوداء فيما يذكر ، التي اختارها قبيل بن عير بما فيها من النعمة إلى عاد ، حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث ؛ فلما رأوها استبشروا بها ( وقالوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ) يقول الله ( بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ) : أي كل شيء أمرت به . وكان أول من أبصر ما فيها ، وعرف أنها ريح فيما يذكر ، امرأة من عاد يقال لها مهدي ؛ فلما تبقت ما فيها ، صاحت ثم صعقت ؛ فلما أن أفادت قالوا : ماذا رأيت يا مهدي ، قالت : رأيت ريحا فيها كسهب النار ، أمامها رجال يقودونها ، فسخرها الله عليهم سبع الليال وثمانية أيام حسوما ، كما قال الله ، والحسوم : الدائمة ، فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك ، فاعتزل هود فيما ذكر لي ومن معه من المؤمنين في حظيرة ، ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود ، وتلتذ به الأنفس ، وإنها نمرت على عاد بالظعن بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة ، وخرج وفد عاد من مكة ، حتى مروا بمعاوية بن بكر وابنه ، فنزلوا عليه ، فبينما هم عنده ، إذ أقبل رجل على ناقه له ، في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا له : أين فارقت هودا وأصحابه ؟ قال : فارقتهم بساحل البحر ، فكأنهم شكوا فيما حدثهم به ، فقالت هزيمة بنت بكر : صدق ورب الكعبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا عاصم ، عن الحارث بن حسان البكري ، قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فررت على امرأة بالربذة ، فقالت : هل أنت حاملي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم ، فحملتها حتى قدمت المدينة ، فدخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وإذا بلال متقلد السيف ، وإذا رايات سود ، قال : قلت : ما هذا ؟ قالوا : عمرو بن العاص قدم من غزوته ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره أتته ، فاستأذنت فأذن لي ، فقالت : يا رسول الله ، إن بالباب امرأة من بني تميم ، وقد سألتني أن أحملها إليك ، قال : يا بلال ائذني لها ، قال : فدخلت ، فلما جلست قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل بينكما وبين تميم شيء ؟ قلت : نعم ، وكانت لنا الدائرة عليهم ، فإن رأيت أن تجعل الدهناء بيننا وبينهم حاجزا فعلت ، قال : تقول المرأة : فإلى أين يضطر مضطرك يا رسول الله ؟ قال : قلت : إن مثلي مثل ما قال الأول : معزى حملت حتفها ، قال : قلت : وحملتك تكونين على خصما ، أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما وأفد عاد ؟ قال : قلت : على الخبير سقطت ، إن عادا قحطت ، فبعثت من يستسقى لها ، فبعثوا رجلا ، فرأوا على بكر بن معاوية ، فسقاهم الخمر ، وتغنمهم الجرادتان شهرا ، ثم فصلوا من عنده ، حتى أتوا جبال مهرة ، فدعوا ، فجاءت صحابات ، قال : وكلما جاءت صحابة ، قال :

(١) في التاج : رماد رمده ، كزبرج ودرهم : كثير دقيق جدا . وهذه العبارات كتبت في بعض المراجع على أنها سميات وفي أخرى كتبت على هيئة أشطار خمسة ، كما في تاريخ الطبري ( ١ - ١ : ٢٣٨ طبع أوربة ) وقال بعدها وبنو اللوذية : بنو لقيم بن هزال بن هزيمة بن بكر ، وكانوا سكانا بمكة .

اذهبي إلى كذا ، حتى جاءت صحابة ، فنودي : خذها رمادا رمُدا ، لاتدع من عاد أحدا ، قال : فسمعه وكلمهم ، حتى جاءهم العذاب . قال أبو كريب ، قال أبو بكر بعد ذلك في حديث عاد ، قال : فأقبل الذين أتاهم ، فأتى جبال مهرة ، فصعد فقال : اللهم إني لم أجثك لأسير فأفاديه ، ولا لمريض فأشفيه ، فاسق عادا ما كنت مسقيه ، قال : فرفعت له صحابات ؛ قال : فنودي منها : اختر ، قال : فجعل يقول : اذهبي إلى بني فلان ، اذهبي إلى بني فلان ، قال : فررت آخرها صحابة سوداء ، فقال : اذهبي إلى عاد ، فنودي منها خذها رمادا رمُدا ، لاتدع من عاد أحدا ، قال : وكلمهم ، والقوم عند بكر بن معاوية يشربون ، قال : وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل أنهم عنده ، وأنهم في طعامه ، قال : فأخذ في الغناء وذكرهم . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا سلام أبو المنذر النحوي ، قال : ثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن يزيد البكري ، قال : خرجت لأشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فررت بالربذة ، فإذا عجوز منقطع بها من بني تميم ، فقالت : يا عبد الله ، إن لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ، فهل أنت مبلغني إليه ؟ قال : فحملتها فقدمت المدينة ، قال : فإذا رايات ، قلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها ، قال : فجلست حتى فرغ قال : فدخل منزله ، أو قال : رحله ، فاستأذنت عليه ، فأذن لي فدخلت ، فقعدت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينك وبين تميم شيء ؟ قلت : نعم ، وكانت لنا الدائرة عليهم ، وقد مررت بالربذة فإذا عجوز منهم منقطع بها ، فسألتني أن أحملها إليك ، وهاهي بالباب ، فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت فقلت : يا رسول الله اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حازرا ، فحميت العجوز واستوفزت وقالت : إلى أين يضطر مضطرك يا رسول الله ، قال : قلت : أنا كما قال الأول : معزى حملت حنظلها ، حملت هذه ، ولا أشعر أنها كانت لي خصما ، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ، قال : ( وما وأفيد عاد ؟ قال : على الخبير سقطت ، قال : وهو يستطعمني الحديث ، قلت : إن عادا قحطوا فبعثوا قبلا وافدا ، فنزل على بكر ، فسقاه الحمر شهرا ، وغنته جاريتان يقال لهما الجرادتان ، فخرج إلى جبال مهرة ، فنادى : إني لم أجي لمريض فأدويه ، ولا لأسير فأفاديه ، اللهم أسق عادا ما كنت مسقيه ، فررت به صحابات سود ، فنودي منها : خذها رمادا رمُدا ، لاتبق من عاد أحدا . قال : فكانت المرأة تقول : لاتكن كوافد عاد ، ففيما بلغني أنه ما أرسل عليهم من الريح يا رسول الله إلا قدر ما يجري في خاتمي . قال أبو وائل : فكان ذلك بلغني .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة ) : إن عادا أتاهم هود ، فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن ، فكذبوه وكفروا ، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب ، فقال لهم : إنما العلم عند الله ، وأبلغكم ما أرسلت به ، وإن عادا أصابهم حين كفروا قحطوا المطر ، حتى جهدوا لذلك جهدا شديدا ، وذلك أن هودا دعا عليهم ، فبعث الله عليهم الريح العقيم ، وهي الريح التي لاتلقح الشجر ؛ فلما نظروا إليها ( قالوا

هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا) فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض ؛ فلما رأوها تنادوا: البيوت ، فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم ، فأهلكهم فيها ، ثم أخرجتهم من البيوت ، فأصابهم في يوم نحس ، والنحس : هو الشؤم ، ومستمر ، استمر عليهم العذاب سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما ، حسمت كل شيء مرت به ؛ فلما أخرجتهم من البيوت ، قال الله : تنزع الناس من البيوت ، كأنهم أعجاز نخل منقعر ، انقعر من أصوله . خاوية : خوت فسقطت . فلما أهلكهم الله ، أرسل إليهم طيرا سودا ، فنقلتهم إلى البحر ، فألقنهم فيه ، فذلك قوله ( فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ ) ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ ، فأنها عتت على الخزنة فغلبهم ، فلم يعلموا كم كان مكيالها ، وذلك قوله ( فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صِرَاصٍ عَاتِيَةٍ ) ، والصرصر : ذات الصوت الشديد .

## القول في تأويل قوله

قَالُوا : أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ؟ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : قالت عاد هود : أجئتنا تنوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كى نعبد الله وحده ، وندين له بالطاعة خالصا ، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام ، التي كان آباؤنا يعبدونها ، ونتبرأ منها ؟ فلئسنا فاعلي ذلك ولا متبعيك على ما تدعوننا إليه ، فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله ، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان ، إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد .

## القول في تأويل قوله

قَالَ : قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ ، أَتُجَدُّونَنِي فِيْ أَسْمَاءِ سَمِيَّتُمْوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ ، فَأَنْتَظِرُونَ إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَظَرِّينَ (٧١)

يقول تعالى ذكره : قال هود لقومه : قد حلّ بكم عذاب وغضب من الله . وكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لنا عنه ، يزعم أن الرجس والرجس بمعنى واحد ، وأنها مقلوبة ، فقلبت السين زايًا ، كما قلبت شيز وهو من شئس بسين ، وكما قالوا قَرَبُوس وقربوز ، وكما قال الراجز :

أَلَا لَحَىٰ اللَّهُ بَنِي السَّعْلَاتِ عَمْرُو بَنِي يَرْبُوعٍ لِيَنَامِ النَّاتِ  
لِيَسُوءَا بِأَعْفَاءٍ وَلَا أَكْنِيَاتِ

(١) هذه الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز ، أوردها أبو زيد الأنصاري في نوادره (ص ١٤٧) طبعة بيروت ( ) ، مع اختلاف في بعض ألفاظها ، وهي هذه :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ بَنِي السَّعْلَاتِ عَمْرُو بَنِي يَرْبُوعٍ شِرَارِ النَّاتِ  
غَيْرَ أَعْفَاءٍ وَلَا أَكْنِيَاتِ

واستشهد بها النحاة على أن الناء في « الناء » ، وأكيات بدل من السين ، وأصلهما : الناس ، وأكياس .



يريد الناس ، وأكياس ، فقلبت السين تاء ، كما قال رؤبة :

كَمْ قَدْرُ رَأَيْنَا مِنْ عَدِيدٍ مُبْزَى حَتَّى وَقَمْنَا كَيْدَهُ بِالرَّجْزِ

رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الرَّجْزُ : السَّخَطُ .

حدثني بذلك المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن

ابن عباس ، قوله ( قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ ) يقول : سَخَطٌ .

وأما قوله ( أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ ) فإنه يقول : أخصمونني في أسماء سميتوها أصناما لا تضر ولا تنفع أنتم وأبائكم ( ما نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ) يقول : ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة محتجون بها ، ولا معذرة تعتذرون بها ، لأن العبادة إنما هي لمن ضر ونفع ، وأثاب على الطاعة ، وعاقب على المصيبة ، ورزق ومنع ، فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس ، فإنه لا تنفع فيه ولا ضرر ، إلا أن تتخذ منه آلة ، ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادة إياه ، لأن الله لم يأذن بذلك ، فيعذر من عبده بأنه يعبد اتباعا منه أمر الله في عبادة إياه ، ولا هو إذ كان الله لم يأذن في عبادة ، مما يرجي نفعه ، أو يخاف ضرره في عاجل أو آجل ، فيعبد رجاء نفعه ، أو دفع ضرره ( فانتظروا لَأْتِيَنَّكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ) يقول : فانتظروا حكم الله فينا وفيكم ، إني معكم من المنتظرين حكمه ، وفصل قضائه فينا وفيكم .

القول في تأويل قوله

فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ، وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ، وَمَا كَانُوا

مُؤْمِنِينَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : فَأَنْجَيْنَا نُوحًا وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ أَتْبَاعِهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِمَا عَادَ إِلَيْهِ مِنْ نُوحِيدِ اللَّهِ وَهَجْرِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ ( برحمة منا ، وقطعنا دابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ) يقول : وأهلكنا الذين كذبوا من قوم هود بحججنا جميعا عن آخرهم ، فلم نبق منهم أحدا .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ) قال : استأصلناهم ، وقد بيننا فيما مضى معنى قوله ( فَتَقَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) بشواهد ما أغنى عن إعادته ( وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ) يقول : لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود .

(١) البيتان من مشطور الرجز ، وهما في ديوان رؤبة طبع ليسك سنة ١٩٠٣ ، وروايتهما فيه هكذا :

مَارَأَيْنَا مِنْ ذِي عَدِيدٍ مُبْزَى حَتَّى وَقَمْنَا كَيْدَهُ بِالرَّجْزِ

والمبزي : اسم قاعل من أبزى فلان بفلان ، إذا غلبه وقهره ، وهو مبز بهذا الأمر : أي قوى عليه ، ضابط له . ووقم الرجل وقما : أذله وقهره ، وقيل رده أفتح الرد . وكيد : تدييره وما عزم عليه . والرجز بكسر الراء وضمها . العذاب الملقط لشدة ، وله تلقلة شديدة متتابعة . يقول : لو رامنا عدو ذو عدد وعز وقهر ، لأنزلنا به وتدييره ما يفسد عليه كيد ، وأصليناه عذابا من سيوفنا .

## القول في تأويل قوله

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ، قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَ تَكْمٌ  
بِيَدِنَا مِّنْ رَبِّكُمْ ، هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ، وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ  
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْإِيمِ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا . وثمرود : هو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وهو أخو جد يس بن عابر ، وكانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله . ومعنى الكلام : وإلى بني ثمود أخاهم صالحا ، وإنما منع ثمود ، لأن ثمود قبيلة ، كما بكر قبيلة ، وكذلك تميم ( قال يا قوم اعبدوا الله ما لاكم من إله غيره ) : يقول : قال صالح لثمود : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ، فالكم إله يجوز أن تعبدوه غيره ، وقد جاءكم حجة وبرهان على صدق ما أقول ، وحقيقة ما إليه أدعو ، من إخلاص التوحيد لله ، وإفراجه بالعبادة دون ما سواه ، وتصديقي على أني له رسول ، وبينتي على ما أقول ، وحقيقة ما جئتمكم به من عند ربي ، وحقني عليه ، هذه الناقة التي أخرجها الله من هذه الهضبة دليلا على نبوتي ، وصدق مقالتي ، فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التي لا يقدر على مثلها أحد إلا الله ، وإنما استشهد صالح فيما بلغني على صحة نبوته عند قومه ثمود بالناقة ، لأنهم سألوه إياها آية ، ودلالة على حقيقة قوله .

ذكر من قال ذلك ، وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي الطفيل ، قال : قالت ثمود لصالح ( ائْتِنَا بآيَةٍ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ) قال : فقال لهم صالح : اخرجوا إلى هضبة من الأرض ، فخرجوا ، فإذا هي تتمخص كما تتمخص الحامل ، ثم إنها انفرجت ، فخرجت من وسطها الناقة ، فقال صالح : ( هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْإِيمِ - لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ) فلما ملكوها عقروها ( فَقَالَ لَهُمْ : تَمْتَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ) قال عبد العزيز ، وحدثني رجل آخر أن صالحا قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غدا عُمرًا ، واليوم الثاني صفرا ، واليوم الثالث سودا ، قال : فصبحهم العذاب ، فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدوا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وإلى ثمود أخاهم صالحا ) قال : إن الله بعث صالحا إلى ثمود ، فدعاهم فكذبوه ، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن ، فسألوه أن يأتيهم بآية ، فجاءهم بالناقة ، لها شرب ، ولهم شرب يوم معلوم ، وقال ( ذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ ) ، فأقروا بها جميعا ، فذلك قوله ( فَهَذَا يَنْتَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى

على الهدى) وكانوا قد أقرّوا به على وجه النفاق والتقيّة، وكانت الناقة لها شرب، فيوم تشرب فيه الماء تمرّ بين جبلين، فيرجونها، ففيها أثرها حتى الساعة، ثم تأتي فتقف لهم حتى يحلبوا اللبن فيؤويهم، فكانت تصبّ اللبن صبا، ويوم يشربون الماء لاتأثمهم، وكان معها فصيل لها، فقال لهم صالح: إنه يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك شيء، فكان ابن العاشر أزرق أحمر، فنبت نباتا سريعا، فإذا مرّ بالتسعة فأروه، قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء كانوا مثل هذا، فغضب التسعة على صالح، لأنه أمرهم بذبح أبناءهم، فتقاسموا بالله (لنبيئكنه وأهلته، ثم لنقولن ليولييه ما شهدنا مهلك أهليه وإنا لصادقون). قالوا: نخرج، فيرى الناس أننا قد خرجنا إلى سفر، فنأتى الغار، فنكون فيه، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى المسجد أتينا فقتلناه، ثم رجعنا إلى الغار فكننا فيه، ثم رجعنا فقلنا: ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون، يصدّقوننا، يعلمون أننا قد خرجنا إلى سفر، فانطلقوا، فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا من الليل، فسقط عليهم الغار فقتلهم، فذلك قوله (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) . . . حتى بلغ ههنا (فانظروا كيف كان عاقبة مكبرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين)، وكبر الغلام ابن العاشر، ونبت نباتا عجبا من السرعة، فجلس مع قوم يصيبون من الشراب، فأرادوا ماء يمزجون به شرايبهم، وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة، فوجدوا الماء قد شربته الناقة، فاشتد ذلك عليهم، وقالوا في شأن الناقة: ما نضع نحن باللبن، لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة، فنسقيه أنعامنا وحروثنا، كان خيرا لنا، فقال الغلام ابن العاشر: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم، فأظهروا دينهم، فأتاها الغلام، فلما بصرت به، شدّت عليه، فهرب منها؛ فلما رأى ذلك، دخل خلف صخرة على طريقها، فاستتر بها، فقال أجيشوها على، فأجاشوها عليه، فلما جازت به نادوه: عليك، فتناولها فعقرها، فسقطت، فذلك قوله (فتنادوا صاحبهم، فتعاطى فتعقر) وأظهروا حينئذ أمرهم، وعقروا الناقة، وعتّوا عن أمر ربهم، وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا، وفزع ناس منهم إلى صالح، وأخبروه أن الناقة قد عقرت، فقال: على بالفصيل، فطلبوا الفصيل، فوجدوه على رابية من الأرض، فطلبوه، فارتفعت به حتى حلقت به في السماء، فلم يقدرُوا عليه، ثم دعا الفصيل إلى الله، فأوحى الله إلى صالح أن مرهم فليتمتعوا في دارهم ثلاثة أيام، فقال لهم صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) وآية ذلك أن تصبح وجوهكم أول يوم مصفرة، والثاني محمرة، واليوم الثالث مسودة، واليوم الرابع فيه العذاب، فلما رأوا العلامات تكفّنوا وتحنطوا، ولطّخوا أنفسهم بالمرّ، ولبسوا الأنطاع، وحفروا الأسراب، فدخلوا فيها ينتظرون الصيحة، حتى جاءهم العذاب فهلكوا، فذلك قوله (فدمرناهم وقومهم أجمعين).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما أهلك الله عادا وتقضى أمرها، عمرت ثمود بعدها، واستخلفوا في الأرض، فنزلوا فيها وانتشروا، ثم عتوا على الله؛ فلما ظهر فسادهم وعبدوا

غير الله ، بعث إليهم صالحا ، وكانوا قوما عربيا ، وهو من أوسطهم نسبا ، وأفضلهم موضعا رسولا ، وكانت منازلهم الحجر إلى قرح ، وهو وادي القرى ، وبين ذلك ثمانية عشر ميلا ، فيما بين الحجاز والشام ، فبعث الله إليهم غلاما شابا ، فدعاهم إلى الله ، حتى شمط وكبر ، لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون ؛ فلما ألح عليهم صالح بالدعاء ، وأكثر لهم التحذير ، وخوفهم من الله العذاب والنقمة ، سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقال ، فيما يدعوهم إليه ، فقال لهم : أئى آية تريدون ؟ قالوا : تخرج معنا إلى عيدنا هذا ، وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله ، في يوم معلوم من السنة ، فتدعو إلهك وتدعو آلهتنا ، فإن استجيب لك اتبعناك ، وإن استجيب لنا اتبعنا ، فقال لهم صالح : نعم . فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك ، وخرج صالح معهم إلى الله ، فدعوا أوثانهم وسألوها ألا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ، ثم قال له جندع بن عمرو بن حراش بن عمرو بن الدُمَيْل ، وكان يومئذ سيد ثمود وعظيمهم : يا صالح ، أخرج لنا من هذه الصخرة ، لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكائبة ، ناقة مخترجة جوفاء وبراء ، والمخترجة : ماشا كالت البخت من الإبل ، وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو ، فإن فعلت آمنا بك وصدقتك ، وشهدنا أن ما جئت به هو حق ، وأخذ عليهم صالح مواعيقهم ، ثم فعلت وفعل الله لتصدقني ولتؤمنن بي ؟ قالوا : نعم ، فأعطوه على ذلك عهدهم ، فدعا صالح ربه بأن يخرجها لهم من تلك الهضبة كما وصفت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس ، أنه حدث أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به ، تتمخض بالناقة تمخض الشتوج بولدها ، فتحركت الهضبة ، ثم أسقطت الناقة ، فانصدعت عن ناقة ، كما وصفوا جوفاء وبراء ، تتوج ما بين جنبها لا يعلمه إلا الله عظما ، فأمن به جندع بن عمرو ، ومن كان معه على أمره من رهطه ، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوا ، فهاهم ذؤاب بن عمرو بن لييد ، والحباب صاحب أوثانهم ، ورِياب بن صمعر ابن جلهس ، وكانوا من أشراف ثمود ، وردوا أشرافها عن الإسلام ، والدخول فيما دعاهم إليه صالح من الرحمة والنجاة ، وكان جندع ابن عم يقال له شهاب بن خليفة بن محلاة بن لييد بن جواس ، فأراد أن يسلم ، فهاه أولئك الرهط عن ذلك ، فأطاعهم ، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها ، فقال رجل من ثمود يقال له مهوس بن عنمة بن الدُمَيْل ، وكان مسلما :

وكانت عصبية من آل عمرو  
عزير تمود كلهم جميعا  
لأصبح صالح فينا عزيراً  
ولكن الغواة من آل حجير  
إلى دين النبي دعوا شهابا  
فهم بأن يجيب وتو أجابا  
وما عدلوا بصاحبيهم ذؤابا  
تولوا بعد رشديهم ذئابا

فكثت الناقة التي أخرجها الله لهم ، معها سقيا في أرض ثمود ترعى الشجر ، وتشرب الماء ، فقال لهم صالح

(١) وهذه الأبيات أيضا من التي يتناقلها الرواة ، وينسبونها للقمام ، وكلها منقولة موضوعة .

عليه السلام ( هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ، فَتَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ) وقال الله لصالح : إن الماء قسمة بينهم ، كل شرب محتضّر : أى أن الماء نصفان : لهم يوم ولها يوم ، وهى محتضرة ، فيومها لاتدع شربها ، وقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . فكانت فيما بلغنى والله أعلم إذا وردت وكانت ترد غيباً ، وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة ، فيزعمون أنها منها كانت تشرب ، إذا وردت تضع رأسها فيها ، فما ترفعه حتى تشرب كل قطرة ماء في الوادى ، ثم ترفع رأسها فتفسح ، يعنى تَنْفَحُجُّ لهم ، فيحتلبون ماشاءوا من لبن ، فيشربون ويدخرون ، حتى يملئوا كل آنيهم ، ثم تصدر من غير الفج الذى منه وردت ، لاتقدر على أن تصدُر من حيث ترد ، لضيقه عنها ، فلا ترجع منه ، حتى إذا كان الغد كان يومهم ، فيشربون ما شاءوا من الماء ، ويدخرون ماشاءوا ليوم الناقة ، فهم من ذلك فى سعة ، وكانت الناقة فيما يذكرون تصيف إذا كان الحرّ بظهر الوادى ، فتهرب منها المواشى : أغنامهم وأبقارهم وإبلهم ، فهبط إلى بطن الوادى فى حرّه وجدبه ، وذلك أن المواشى تنفر منها إذا رأتها ، وتشتو فى بطن الوادى إذا كان الشتاء ، فتهرب مواشيم إلى ظهر الوادى فى البرد والجذب ، فأصرّ ذلك بمواشيم ، للبلاء والاختبار ، وكانت مراتعها فيما يزعمون الجنباب وحيسمى ، كل ذلك ترعى مع وادى الحجر ، فكبر ذلك عليهم ، فعتوا عن أمر ربهم ، وأجمعوا فى عقر الناقة رأيهم ، وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت عُثْم بن مجاز ، تكنى بأُم غنم ، وهى من بنى عبيد بن المهيل أخى دُمَيْل بن المهيل ، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو ، وكانت عجوزا مسنة ، وكانت ذات بنات حسان ، وكانت ذات مال من إبل وبقر وغنم ، وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت الحيا بن زهير بن الحيا سيد بنى عبيد ، وصاحب أولادهم فى الزمن الأوّل ، وكان الوادى يقال له وادى الحيا ، وهو الحيا الأكبر جد الحيا الأصغر أبى صدوف وكانت صدوف من أحسن الناس ، وكانت غنية ذات مال من إبل وغنم وبقر ، وكاننا من أشدّ امرأتين فى ثمود عداوة لصالح ، وأعظمهم به كفرا ، وكاننا تحبان أن تعقر الناقة مع كفرهما به ، لما أضرت به من مواشيمها ، وكانت صدوف عند ابن خال لها يقال له صنم بن هراوة بن سعد بن الغطريف من بنى هليل ، فأسلم فحسن إسلامه ، وكانت صدوف قد فوّضت إليه مالها ، فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح ، حتى رقى المال ، فاطلعت على ذلك من إسلامه صدوف ، فعاتبته على ذلك ، فأظهر لها دينه ، ودعاها إلى الله وإلى الإسلام ، فأبت عليه ، وسبت ولده ، فأخذت بنيه وبناته منه ، فغيبتهم فى بنى عبيد بطنها الذى هى منه ، وكان صنم زوجها من بنى هليل ، وكان ابن خالها ، فقال لها : ردّى على ولدى ، فقالت : حتى أنافرك إلى بنى صنعان بن عبيد أو إلى بنى جندع بن عبيد ، فقال لها صنم : بل أنا أقول إلى بنى مرداس ابن عبيد ، وذلك أن بنى مرداس بن عبيد ، كانوا قد سارعوا فى الإسلام ، وأبطأ عنه الآخرون ، فقالت : لأنافرك إلا إلى من دعوتك إليه ، فقال بنو مرداس : والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة ؛ فلما رأت ذلك أعطته إياهم ، ثم إن صدوف وعنيزة تحيلا فى عقر الناقة للشقاء الذى نزل ، فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحجاب لعقره الناقة ، وعرضت عليه نفسها بذلك إن هو فعل ، فأبى عليها ، فدعت ابن عمّ لها يقال

له مصدع بن مهرج بن الحيا ، وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة ، وكانت من أحسن الناس ، وكانت غنية كثيرة المال ، فأجابها إلى ذلك ، ودعت عنيزة بنت غنم قُدار بن سالف بن جندع رجلا من أهل قرح ، وكان قدار رجلا أحمر أزرق قصيرا ، يزعمون أنه كان لزننية من رجل يقال له صبياد ، ولم يكن لأبيه سالف الذي يُدعى إليه ، ولكنه قد ولد على فراش سالف ، وكان يُدعى له ، ويُنسب إليه ، فقالت : أعطبك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة ، وكانت عنيزة شريفة من نساء ثمود ، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو من أشرف رجال ثمود ، وكان قُدار عزيزا منيعا في قومه ، فانطلق قُدار بن سالف ، ومصدع بن مهرج ، فاستنقرا غواة من ثمود ، فاتبعهما سبعة نفر ، فكانوا تسعة نفر ، أحد النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له هويل بن ميلغ خال قدار بن سالف أخو أمه لأبيها وأمها ، وكان عزيزا من أهل حِجْر ، ودعير بن غنم بن داعر ، وهو من بني حلاوة بن المهمل ، ودأب بن مهرج أخو مصدع بن مهرج ، وخمسة لم تحفظ لنا أسماؤهم ، فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء ، وقد كمن لها قُدار في أصل صحرة على طريقها ، وكمن لها مصدع في أصل أخرى ، فمرت على مصدع فرماها بسهم ، فانظم به عضلة ساقها ، وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها ، فأسفرت عنه لقدار وأرته إياه ، ثم ذمرته ، فشددت على الناقة بالسيف ، فكشف عرقوبها ، فخرت ورغت رعاة واحدة تحذر سقبا ، ثم طعن في لسبها فنحرها ، وانطلق سقبا حتى أتى جبلا منيعا ، ثم أتى صحرة في رأس الجبل فرغا ولاذ بها ، واسم الجبل فيما يزعمون «صور» فاتاهم صالح ، فلما رأى الناقة قد عقرت ، قال : انتهكتم حرمة الله ، فأبشروا بعذاب الله تبارك وتعالى ونقمته ، فاتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة ، وفيهم مصدع بن مهرج ، فرماه مصدع بسهم ، فانظم قلبه ، ثم جرت برجله ، فأنزله ، ثم ألقوا لحمه مع لحم أمه ؛ فلما قال لهم صالح : أبشروا بعذاب الله ونقمته قالوا له وهم يهزءون به : ومتى ذلك يا صالح ، وما آية ذلك ؟ وكانوا يسمون الأيام فيهم : الأحد : أول ، والاثنين : أهون ، والثلاثاء : دُبار ، والأربعاء : جُبَار ، والخميس : مؤنس ، والجمعة : العروبة ، والسبت : شيار ، وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء ، فقال لهم صالح حين قالوا ذلك : تصبحون غداة يوم مؤنس ، يعني يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ، ثم تصبحون يوم العروبة ، يعني يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ، ثم تصبحون يوم شيار ، يعني يوم السبت ووجوهكم مسودة ، ثم يصبحكم العذاب يوم الأول ، يعني يوم الأحد ؛ فلما قال لهم صالح ذلك ، قال التسعة الذين عقروا الناقة : هلموا فلنقتل صالحا ، إن كان صادقا عجلناه قبلنا ، وإن كان كاذبا يكون قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح ، فوجدوهم مشدخين قد رضخوا بالحجارة ، فقالوا لصالح : أنت قتلهم ، ثم هموا به ، فقامت عشيرته دونه ، ولبسوا السلاح ، وقالوا لهم : والله لا تقتلونه أبدا ، فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث ، فإن كان صادقا لم تريدوا ربكم عليكم إلا غضبا ، وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون ، فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك ، والنفر الذين رضختم الملائكة بالحجارة

التسعة الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن بقوله تعالى ( وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ) . . . إلى قوله ( آيَةٌ لِيَقُومَ يَعْلَمُونَ ) فأصبحوا من تلك الليلة التي انصرفوا فيها عن صالح وجوهم مصفرة ، فأيقنوا بالعذاب ، وعرفوا أن صالحا قد صدقهم ، فطلبوه ليقتلوه ، وخرج صالح هاربا منها ، حتى لجأ إلى بطن من ثمود ، يقال لهم بنو غنم ، فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ، يكنى بأبي هذب ، وهو مشرك ، فغيبه فلم يقدروا عليه ، فعدوا على أصحاب صالح ، فعذبوهم ليدلوهم عليه ، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له : ميدع بن هرم : يا نبي الله إنهم ليعذبوننا لندلهم عليك ، أفندلهم عليك ؟ قال : نعم ، فدلم عليهم عليه ميدع بن هرم ، فلما علموا بإمكان صالح أتوا أبا هذب فكلموه ، فقال لهم : عندي صالح ، وليس لكم إليه سبيل ، فأعرضوا عنه وتركوه ، وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه ، فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس ، وذلك أن وجوههم أصبحت مصفرة ، ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم حمرة ، ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة ، حتى إذا كان ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشام ، فنزل رملة فلسطين ، وتخلّف رجل من أصحابه يقال له ميدع بن هرم ، فنزل قرح ، وهي وادي القرى ، وبين القرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلا ، فنزل على سيدهم رجل يقال له عمرو بن غنم ، وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يشترك في قتلها ، فقال له ميدع بن هرم : يا عمرو بن غنم ، اخرج من هذا البلد ، فإن صالحا قال : من أقام فيه هلك ، ومن خرج منه نجا ، فقال عمرو : ما شركت في عقرها ، وما رضيت ما صنع بها ؛ فلما كانت صبيحة الأحد أخذتهم الصيحة ، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك ، إلا جارية مقعدة يقال لها الدريعة ، وهي كلبية ابنة السلق ، كانت كافرة شديدة العداوة لصالح ، فأطلق الله لها رجلها بعد ما عاينت العذاب أجمع ، فخرجت كأسرع ما يرى شيء قط ، حتى أتت حيا من الأحياء ، فأخبرتهم بما عاينت من العذاب ، وما أصاب ثمود منه ، ثم استسقت من الماء فسقيت ، فلما شربت ماتت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : قال معمر : أخبرني من سمع الحسن يقول : لما عقرت ثمود الناقة ، ذهب فصيلها حتى صعدت تلاء ، فقال : يارب أين أمي ؟ ثم رغا رغوفا ، فنزلت الصيحة ، فأخذتهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن بنحوه ، إلا أنه قال : أصعد تلاء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن صالحا قال لهم حين عقروا الناقة ( تَمَتَّعُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ) وقال لهم : آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرة ، ثم تصبح اليوم الثاني حمرة ، ثم تصبح اليوم الثالث مسودة ، فأصبحت كذلك ؛ فلما كان اليوم الثالث ، وأيقنوا بالهلاك تكفنوا وتحنطوا ، ثم أخذتهم الصيحة فأخذتهم . قال قتادة : قال عاقر الناقة لهم : لا أقتلها حتى ترضوا /

أجمعين ، فجعلوا يدخلون على المرأة في خدرها ، فيقولون : أترضين ؟ فتقول : نعم ، والصبى ، حتى رضوا أجمعين ، فعقرها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر ، قال : لا تسألوا الآيات ، فقد سأها قوم صالح ، فكانت ترد من هذا الفج ، وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم ، فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ، ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها فأخذتهم الصيحة ، أهدم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله ، قيل من هو ؟ قال : أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه .

قال عبد الرزاق ، قال معمر : وأخبرني إسماعيل بن أمية ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبر أبي رغال ، فقال : « أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا قبر أبي رغال ، قالوا : فن أبو رغال ؟ قال : رجل من قوم ثمود كان في حرم الله ، فقتلته حرم الله عذاب الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن ههنا ، ودفن معه غضن من ذهب ، فنزل القوم ، فابتدروه بأسنيافهم ، فبحشوا عليه ، فاستخرجوا الغضن . »

قال عبد الرزاق : قال معمر : قال الزهري : أبو رغال : أبو ثقيف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن جابر ، قال : مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر ، ثم ذكر نحوه إلا أنه قال في حديثه : « قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : أبو رغال . »

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة ، قال : كان يقال إن أحر ثمود الذي عقر الناقة ، كان ولد زنية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبي إسحاق ، قال : قال أبو موسى : أتيت أرض ثمود ، فذرعت مصدر الناقة ، فوجدته ستين ذراعاً .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وأخبرني إسماعيل بن أمية بنحو هذا ، يعنى بنحو حديث عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن جابر ، قال : ومرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبر أبي رغال ، قالوا : ومن أبو رغال ؟ قال : أبو ثقيف ، كان في الحرم لما أهلك الله قومه ، منعه حرم الله من عذاب الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن ههنا ودفن معه غضن من ذهب ، قال : فابتدروه القوم يبحثون عنه حتى استخرجوا ذلك الغضن .

وقال الحسن : كان للناقة يوم ، ولهم يوم ، فأضربهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : لما مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، إلا أن تكونوا



بأعين أن يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ ، ثم قال : هَذَا وَادِي النَّقْرِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ ، حتى أجازَ الوادِي .  
وأما قوله ( وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ) فإنه يقول : وَلَا تَمَسُّوا ناقةَ الله بعقر ولا نحر ( فَيَأْتِيَا خُدَّكُمْ عَدَابُ الْعَلِيمِ ) يعني : موجه .

## القول في تأويل قوله

وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ، وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُوبِهَا قُصُورًا ، وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ، فَإِذْ كُرُوا الْآءَ اللَّهِ ، وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)  
يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل صالح ، لقومه واعظاً لهم ( وَإِذْ كُرُوا ) أيها القوم نعمة الله عليكم ( إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ ) يقول تخلفون عادة في الأرض بعد هلاكها ، وخلفاء : جمع خليفة ، وإنما جمع خليفة خلفاء ، وفعلاء إنما هي جمع فعيل ، كما الشركاء جمع شريك ، والعلماء جمع عليم ، والحلماء جمع حليم ، لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل ، فكان واحدهم خليف ، ثم جمع خلفاء . فأما لوجعت الخليفة على أنها نظيرة كريمة وحليلة ورغبية قبل خلائف ، كما يقال : كرائم وحلائل ورغائب ، إذ كانت من صفات الإناث ، وإنما جمعت الخليفة على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن ، لأنها جمعت مرة على لفظها ، ومرة على معناها .  
وأما قوله ( وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ) فإنه يقول : وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، وجعل لكم فيها مساكن ، وأزواجاً ( تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُوبِهَا قُصُورًا ، وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ) ذكر أنهم كانوا ينقبون الصخر مساكن .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ) كانوا ينقبون في الجبال البيوت .

وقوله ( فَإِذْ كُرُوا الْآءَ اللَّهِ ) يقول : فَإِذْ كُرُوا نعمة الله التي أنعمها عليكم ( وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ) وكان قتادة يقول في ذلك ، ما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ) يقول : لاتسروا في الأرض مفسدين . وقد بينت معنى ذلك بشواهد واختلاف المختلفين فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

## القول في تأويل قوله

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ : أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ؟ قَالُوا : إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) نَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦)

﴿يَعْنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ﴾ ( قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ) قَالَ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِ صَالِحٍ عَنْ اتِّبَاعِ صَالِحٍ ، وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَبِهِ ( لِلَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا ) يَعْنَى : لِأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ مِنْ تَبَاعِ صَالِحٍ ، وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْهُمْ ، دُونَ ذَوِي شَرَفِهِمْ ، وَأَهْلِ السُّودِّ مِنْهُمْ : أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مَرَّسَلًا مِنْ رَبِّهِ ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ ؟ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِصَالِحٍ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْهُمْ : إِنَّا بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ صَالِحًا مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى مُؤْمِنُونَ ، يَقُولُ : مُصَدِّقُونَ ، مَقْرُونُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِهِ ، وَعَنْ أَمْرِ اللَّهِ دَعَانَا صَالِحٌ إِلَيْهِ ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ صَالِحٍ : ( إِنَّا ) أَيُّهَا الْقَوْمُ ( بِبِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ ) ، يَقُولُ : صَدَقْتُمْ بِهِ مِنْ نُبُوءَةِ صَالِحٍ ، وَإِنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ( كَافِرُونَ ) يَقُولُ : جَا حِدُونَ مِنْكُمْ ، لِأَنَّهُ صَدَقَ بِهِ ، وَلَا نَقَرُّ .

القول في تأويل قوله

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧)

﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ﴾ : فَعَقَرَتْ ثَمُودُ النَّاقَةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُمْ آيَةً ، ( وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ) يَقُولُ : تَكَبَّرُوا وَتَجَبَّرُوا عَنْ اتِّبَاعِ اللَّهِ ، وَاسْتَعْلَوْا عَنِ الْحَقِّ .

كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّبِيُّ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حَازِمَةَ ، قَالَ : ثَنَا شَيْبَانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ( وَعَتَوْا ) عَلَوْا عَنِ الْحَقِّ لِأَيُّ بَصَرُونَهُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، قَالَ : قَالَ مُجَاهِدٌ ( وَعَتَوْا ) عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ) : عَلَوْا فِي الْبَاطِلِ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو سَعْدٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ( فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ) قَالَ : عَتَوْا فِي الْبَاطِلِ وَتَرَكَوا الْحَقَّ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ( وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ) قَالَ : عَلَوْا فِي الْبَاطِلِ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : جَبَّارَاتُ : إِذَا كَانَ عَالِيًا فِي تَجَبُّرِهِ ( وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَا بِمَا تَعِدُنَا ) يَقُولُ : قَالُوا : جِئْنَا بِصَالِحٍ بِمَا تَعِدُنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَنَقْمَتِهِ ، اسْتَعْجَلْنَا مِنْهُمْ لِلْعَذَابِ ( إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) يَقُولُ : إِنْ كُنْتَ اللَّهُ رَسُولًا إِلَيْنَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ رَسُلَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ ، فَجَعَلَ ذَلِكَ لَهُمْ كَمَا اسْتَعْجَلُوهُ ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ( فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ) فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ .

القول في تأويل قوله

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨)

﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ﴾ : فَأَخَذَتْ الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ مِنْ ثَمُودِ الرَّجْفَةُ ، وَهِيَ الصَّيْحَةُ ، وَالرَّجْفَةُ : الْفَلْعَةُ ،

من قول القائل : رَجَفَ بفلان كذا يَرْجُفُ رَجْفًا ، وذلك إذا حَرَكَه وزعزعه ، كما قال الأخطل :  
إِمَّا تَرَيْتَنِي حَتَانِي الشَّيْبُ مِنْ كِبِيرٍ كَالنَّسْرِ أَرْجَفَ وَالْإِنْسَانُ مَهْدُودٌ<sup>١</sup>  
وإنما عَنَى بالرجفة ههنا : الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك ، لأن ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر  
أهل العلم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،  
في قول الله : الرجفة ، قال : الصيحة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَأَخَذَتْهُمُ  
الرَّجْفَةُ ) وهي الصيحة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد ( فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ )  
قال : الصيحة .

وقوله ( فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ) يقول : فأصبح الذين أهلك الله من ثمود ، في دارهم ،  
يعنى في أرضهم التي هلكوا فيها وبلدتهم ، ولذلك وحد الدار ولم يجمعها ، فيقول في دورهم ، وقد يجوز أن  
يكون أريد بها الدور ، ولكن وجه بالواحدة إلى الجمع ، كما قيل ( وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ ) .  
وقوله ( جَائِعِينَ ) يعنى : سَقُوطًا صَرَغَى لا يتحركون ، لأنهم ، لأرواح فيهم قد هلكوا ، والعرب  
تقول للبارك على الركبة : جائم ، ومنه قول جرير :

عَرَفْتُ الْمُنْتَأَى وَعَرَفْتُ مِنْهَا مَطَايَا الْقِدْرِ كَالْحَدَايِ الْجُثُومِ<sup>٢</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
جَائِعِينَ ) قال : ميتين .

(١) البيت في ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٩١ من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية ص ١٤٦ . وأرجف : اضطرب اضطرابا شديدا .  
ومهدود : من الهد : وهو نقص البناء بعد قوته ، والمراد أن الإنسان يعود إلى الضعف بعد الشباب والقوة .

(٢) البيت لجرير ( ديوانه ص ٥٠٧ طبعة الصاوي ) . ومطايا القدر : هي الأثاق الثلاث ، توضع عليها القدر ، فكأنها لها مطية .  
والحدأ : بكسر الحاء وفتح الدال : جمع حدأة ، وهي طائر معروف . والجثوم : الجوامم حل الأرض .

القول في تأويل قوله

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ، وَقَالَ : يَاقَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، وَلَكِنَّ لَّا تَحْبِبُونَ

النَّاصِحِينَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب ، وعقروا ناقة الله خارجا عن أرضهم ، من بين أظهرهم ، لأن الله تعالى ذكره ، أوحى إليه : إني مهلكهم بعد ثلاثة ، وقيل : إنه لم يهلك أمة ونبيها بين أظهرها ، فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربه ، حين أراد الله إحلال عقوبته بهم ، فقال : فتولى عنهم صالح ، وقال لقومه ثمود : لقد أبلغتكم رسالة ربي ، وأدبيت إليكم ما أمرني بأدائه إليكم ربي ، من أمره ونهيه ، ونصحت لكم في أدائي رسالة الله إليكم ، في تحذيركم بأسه ، بإقامتكم على كفركم به ، وعبادتكم الأوثان ( ولَكِنَّ لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ) لكم في الله : الناهين لكم عن اتباع أهوائكم ، الصادقين لكم عن شهوات أنفسكم .

القول في تأويل قوله

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : آتَاتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا لوطا ، ولو قيل : معناه : واذكر لوطا يا محمد إذ قال لقومه ، إذ لم يكن في الكلام صلة الرسالة ، كما كان في ذكر عاد وثمود ، كان مذهبا .

وقوله ( إذ قال لِقَوْمِهِ ) يقول : حين قال لقومه من سدوم ، وإليهم كان أرسل لوط ( آتَاتُونَ الْفَاحِشَةَ ) ، وكانت فاحشتهم التي كانوا يأتونها التي عاقبهم الله عليها : إتيان الذكور ( مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ) يقول : ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين .

وذلك كالذي حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسماعيل بن علقمة ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار ، قوله ( مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ) قال : ما روى ذكر على ذكر ، حتى كان قوم لوط .

القول في تأويل قوله

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١)

يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه ، توبيخا منه لهم على فعلهم : ( إِنَّكُمْ ) أيها القوم ( لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ) في أدبارهم ( شَهْوَةً ) منكم لذلك ( مِنْ دُونِ ) الذي أباحه الله لكم وأحله من ( النِّسَاءِ ) ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ) يقول : إنكم لقوم تأتون ما حرم الله عليكم ، وتعصونه بفعالكم هذا ، وذلك هو الإسراف في هذا الموضع ، والشهوة : الفعلة ، وهي مصدر من قول القائل : شهِيت هذا الشيء أشباه شهوة ، ومن ذلك قول الشاعر :

وأشعث يشبهى النوم قلت له أر تحيل إذا ما النجوم أعرضت واسبطرت  
فقام يحمر البرد لو أن نفسه يقال له أخذها بكفتيك جرت

القول في تأويل قوله

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا: أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرَيْتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : وما كان جواب قوم لوط لوط ، إذ وبخهم على فعلهم القبيح ، وركوبهم ما حرم الله عليهم من العمل الخبيث ، إلا أن قال بعضهم لبعض : أخرجوا لوطا وأهله ، ولذلك قيل : أخرجوهم ، فجمع ، وقد جرى قبل ذكر لوط وحده دون غيره ، وقد يحتمل أن يكون إنما جمع بمعنى أخرجوا لوطا ومن كان على دينه من قريبتكم ، فاكتفى بذكر لوط في أول الكلام عن ذكر أتباعه ، ثم جمع في آخر الكلام ، كما قيل ( يا أيها النبي إذا طلقنَّتم النساء ) وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ( إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ) يقول : إن لوطا ومن تبعه أناس يتنزهون عما نفعله نحن من إتيان الرجال في الأدبار .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاني بن سعيد النخعي ، عن الحجاج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ) قال : من أدبار الرجال وأدبار النساء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن مجاهد ( إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ) من أدبار الرجال وأدبار النساء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن الحجاج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله ( إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ) قال : يتطهرون من أدبار الرجال والنساء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الحسن بن عمار ، عن الحكم عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ) قال : من أدبار الرجال ، ومن أدبار النساء .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ) قال : يتحرجون .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ) يقول : عابوهم بغير عيب ، وذمَّوهم بغير ذم .

(١) أورد البيت الأول من البيتين ، صاحب اللسان في (شها) عن ابن بري . قال : شبهت الشيء بالكسر . قال ابن بري : ومثله قول الشاعر : وأشعث . . . وفي آخر البيت كلمة « اسبكرت » في موضع « اسبطرت » . ولم يورد البيت الثاني ، ولم ينسب البيتين . ومعنى اسبطر : امتد . واسبكر : امتد أو انتصب أو اعتدل .

القول في تأويل قوله

فَأُنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : فلما أبى قوم لوط مع توبيخ لوط إياهم على ما يأتون من الفاحشة ، وإبلاغه إياهم رسالة ربه ، بتحريم ذلك عليهم ، إلا التماساً في غيهم ، أننجينا لوطاً وأهله المؤمنين به ، إلا امرأته ، فإنها كانت للوط خائنة ، وبالله كافرة .

وقوله ( مِّنَ الْغَابِرِينَ ) يقول : من الباقين ، وقيل من الغابرين ، ولم يقل الغابرات ، لأنه يريد أنها ممن بقي مع الرجال ، فلما ضمَّ ذِكْرَهَا إِلَى ذِكْرِ الرَّجَالِ ، قيل من الغابرين ، والفعل منه : غَابِرٌ يَغْبِرُ غُبُورًا وَغَبْرًا ، وذلك إذا بقي كما قال الأعشى :

عَضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِّنْ أُمَّهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ  
وكما قال الآخر :

وَأَبِي الَّذِي فَتَحَ الْبِلَادَ بَسِيفِهِ فَأَذَلَّهَا لِيَسْبِي أَبَانَ الْغَابِرِ<sup>٢</sup>

يعنى : الباقي .

فإن قال قائل : فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذي هلك به قوم لوط ، قيل : لا ، بل كانت فيمن هلك ، فإن قال : فكيف قيل ( إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ) وقد قلت : إن معنى الغابر : الباقي ، فقد وجب أن تكون قد بقيت ؟ قيل : إن معنى ذلك غير الذي ذهبت إليه ، وإنما عنى بذلك : إلا امرأته كانت من الباقين قبل الهلاك ، والمعمرين الذين قد أتى عليهم دهر كبير ، ومرَّ بهم زمن كثير ، حتى هرمت فيمن هرم من الناس ، فكانت ممن غير الدهر الطويل قبل هلاك القوم ، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب . وقيل : معنى ذلك : من الباقين في عذاب الله . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ) : في عذاب الله .

القول في تأويل قوله

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ، فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٤٥ ) من رأيته التي يهجو بها علقمة بن علاثة ، والمواسي : جمع موسى الحديد . والغابر : الماضي ، يريد أنه سهجوه هجاء حين يبلغه بعض يبظر أمه الذي أبقتة المواسي بعد ما أخذت منه ، وهذا كناية عن أنه لا يستطيع أن يفعل بمن هجاء شيئاً ، بل يتدم على إساءته إليه ، فيعص بظر أمه .  
(٢) لم أقف على قائل البيت ، وهو شاهد على أن الغابر بمعنى : الباقي الآتي ، وهو الأكثر في الاستعمال ، وقد يكون الغابر في غير هذا الموضع بمعنى الماضي قليلاً ، قاله في اللسان .

يقول تعالى ذكره: وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطا ولم يؤمنوا به ، مطرا من حجارة من سجيل أهلكتناهم به ( فانظروا كيف كان عاقبة المُجْرِمِينَ ) يقول جل ثناؤه : فانظر يا محمد إلى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط ، فاجتموا معاصي الله ، وركبوا الفواحش ، واستحلوا ما حرم الله من آداب الرجال ، كيف كانت ، وإلى أي شيء صارت ؟ هل كانت إلا البوار والهلاك ، فإن ذلك أو نظيره من العقوبة عاقبة من كذبك ، واستكبر عن الإيمان بالله وتصديقتك إن لم يتوبوا من قومك .

## القول في تأويل قوله

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ، قَالَ : يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَ تَكْوِينُ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى ولد مدين ، ومدين : هم ولد مدين بن إبراهيم خليل الرحمن . فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فإن كان الأمر كما قال : فدين قبيلة كتميم . وزعم أيضا ابن إسحاق أن شعيبا الذي ذكر الله أنه أرسله إليهم من ولد مدين هذا ، وأنه شعيب بن ميكيل ابن يشجر ، قال : واسمه بالسريانية بثرون .

فتأويل الكلام على ما قاله ابن إسحاق : ولقد أرسلنا إلى ولد مدين أخاهم شعيب بن ميكيل ، يدعوهم إلى طاعة الله ، والانتباه إلى أمره ، وترك السعي في الأرض بالفساد ، والصد عن سبيله ، فقال لهم شعيب : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ، ما لكم من إله يستوجب عليكم العبادة ، غير الإله الذي خلقكم ، وبيده نفعكم وضرركم ( قد جاء تكمين ببيئته من ربكم ) يقول : قد جاء تكمين علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول ، وصدق ما أدعوكم إليه . ( فأوفوا الكيل والميزان ) : يقول : أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذي تكيلون به ، وبالوزن الذي تزنون به . ( ولا تبخسوا الناس أشياءهم ) : يقول : ولا تظلموا الناس حقوقهم ، ولا تنقصوهم إياها ، ومن ذلك قولهم : تحسبها حقاء وهي باخسة ، بمعنى ظالمة ، ومنه قول الله ( وشروءه بيئتمن بجنس ) : يعني به : رديء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ( ولا تبخسوا الناس أشياءهم ) يقول : لا تظلموا الناس أشياءهم . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ولا تبخسوا الناس أشياءهم ) : قال : لا تظلموا الناس أشياءهم .

وقوله (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) يقول : ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه ، وما كنتم تعملونه قبل أن يُبعث الله إليكم نبيه من عبادة غير الله والإشراك به ، وبخس الناس في الكيل والوزن (بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) يقول : بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبي عليه السلام فيكم ، ينهاكم عما لا يحل لكم ، وما يكرهه الله لكم (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) يقول : هذا الذي ذكرت لكم ، وأمرتكم به من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن ، وترك الفساد في الأرض ، خير لكم في عاجل دنياكم ، وأجل آخرتكم عند الله يوم القيامة (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم مصدقاً فيما أقول لكم ، وأودى إليكم عن الله من أمره ونهيه .

### القول في تأويل قوله

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ،  
وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْتُكُمْ ، وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦)

يعنى بقوله (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) : ولا تجلسوا بكل طريق : وهو الصراط ، توعدون المؤمنين بالقتل ، وكانوا فيما ذكر يقعدون على طريق من قصد شعيبا ، وأراده ليؤمن به ، فيتوعدونه ويخوفونه ويقولون : إنه كذاب .  
ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) قال : كانوا يوعدون من أتى شعيبا وغشيه ، فأراد الإسلام .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) والصراط : الطريق ، يخوفون الناس أن يأتوا شعيبا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) ، وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) قال : كانوا يجلسون في الطريق ، فيخبرون من أتى عليهم ، أن شعيبا عليه السلام كذاب ، فلا يفتنكم عن دينكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) : كل سبيل حق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .  
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) كانوا يقعدون على كل طريق يوعدون المؤمنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ، عن السدي (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) قال : العشارون .



حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة أو غيره ، شك أبو جعفر الرازي ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شيء إلا خرقته ، قال : ما هَذَا يَا جِبْرِيْلُ ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا : ( وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ ) . وهذا الخبر الذي ذكرناه عن أبي هريرة ، يدل على أن معناه كان عند أبي هريرة أن نبي الله شعيباً إنما نهى قومه بقوله ( وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ) عن قطع الطريق ، وأنهم كانوا قطع الطريق ، وقيل ( وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ) ولو قيل في غير القرآن : لا تقعدوا في كل صراط كان جائزاً فصيحاً في الكلام ، وإنما جاز ذلك لأن الطريق ليس بالمكان المعلوم ، فجاز ذلك كما جاز أن يقال : قعد له بمكان كذا ، وعلى مكان كذا ، وفي مكان كذا ، وقال ( تُوعِدُونَ ) ولم يقل : تَعِدُونَ ، لأن العرب كذلك تفعل فيها أبهت ، ولم تفسح به من الوعيد ، تقول : أوعدته بالألف وتقدم منى إليه وعيد ، فإذا بينت عما أوعدت وأفصحت به ، قالت : وعدته خيراً ، ووعدته شراً ، وغير ألف ، كما قال جل ثناؤه ( النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) .

وأما قوله ( وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ ) فإنه يقول : وتردون عن طريق الله ، وهو الرد عن الإيمان بالله ، والعمل بطاعته من آمن به ، يقول : تردون عن طريق الله من صدق بالله ووحده ، ( وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ) يقول : وتلتمسون لمن سلك سبيل الله ، وآمن به ، وعمل بطاعته عوجاً عن القصد والحق ، إلى الزيف والضلال .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ) قال : أهلها ( وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ) تلتمسون لها الزيف .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ) قال : تبغون السبيل عن الحق عوجاً .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ) عن الإسلام تبغون السبيل عوجاً : هلاكاً .

وقوله ( وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ) يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بأن كثرت جماعتهم بعد أن كانوا قليلاً عددهم ، وأن رفعهم من الذلة والخساسة ، يقول لهم : فاشكروا الله الذي أنعم عليكم بذلك ، وأخلصوا له العبادة ، واتقوا عقوبته بالطاعة ، واحذروا نعمته بترك المعصية ( وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ) يقول : وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم ، وعصوا رسله ، من المثلات والنقمت ، وكيف وجدوا عقيب عصيانهم إياه ، ألم يهلك بعضهم غرقاً بالطوفان ؟ وبعضهم رجماً بالحجارة ؟ وبعضهم بالصيحة ؟ والإفساد في هذا الموضع معناه : معصية الله .

القول في تأويل قوله

وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا  
حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧)

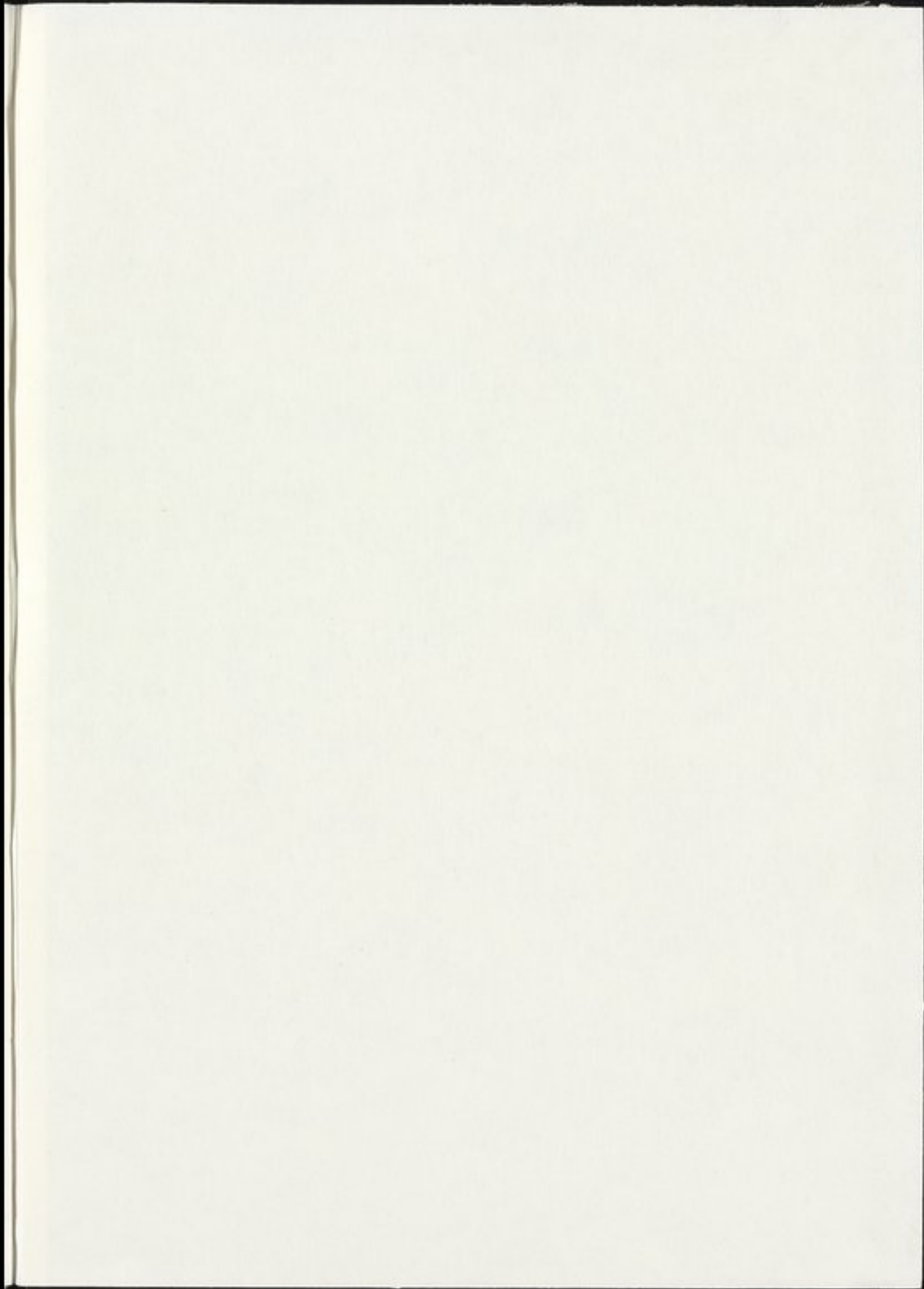
يعنى بقوله تعالى ذكره (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ) وإن كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا ، يقول :  
صدقوا (بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) من إخلاص العبادة لله ، وترك معاصيه ، وظلم الناس ، وبخسهم في المكاييل  
والموازين ، فاتبعوني على ذلك (وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا) يقول : وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك ، ولم  
يتبعوني عليه (فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا) يقول : فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم ،  
(وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) يقول : والله خير من يفصل ، وأعدل من يقضى ، لأنه لا يقع في حكمه ميل  
إلى أحد ، ولا محاباة لأحد ، والله أعلم .

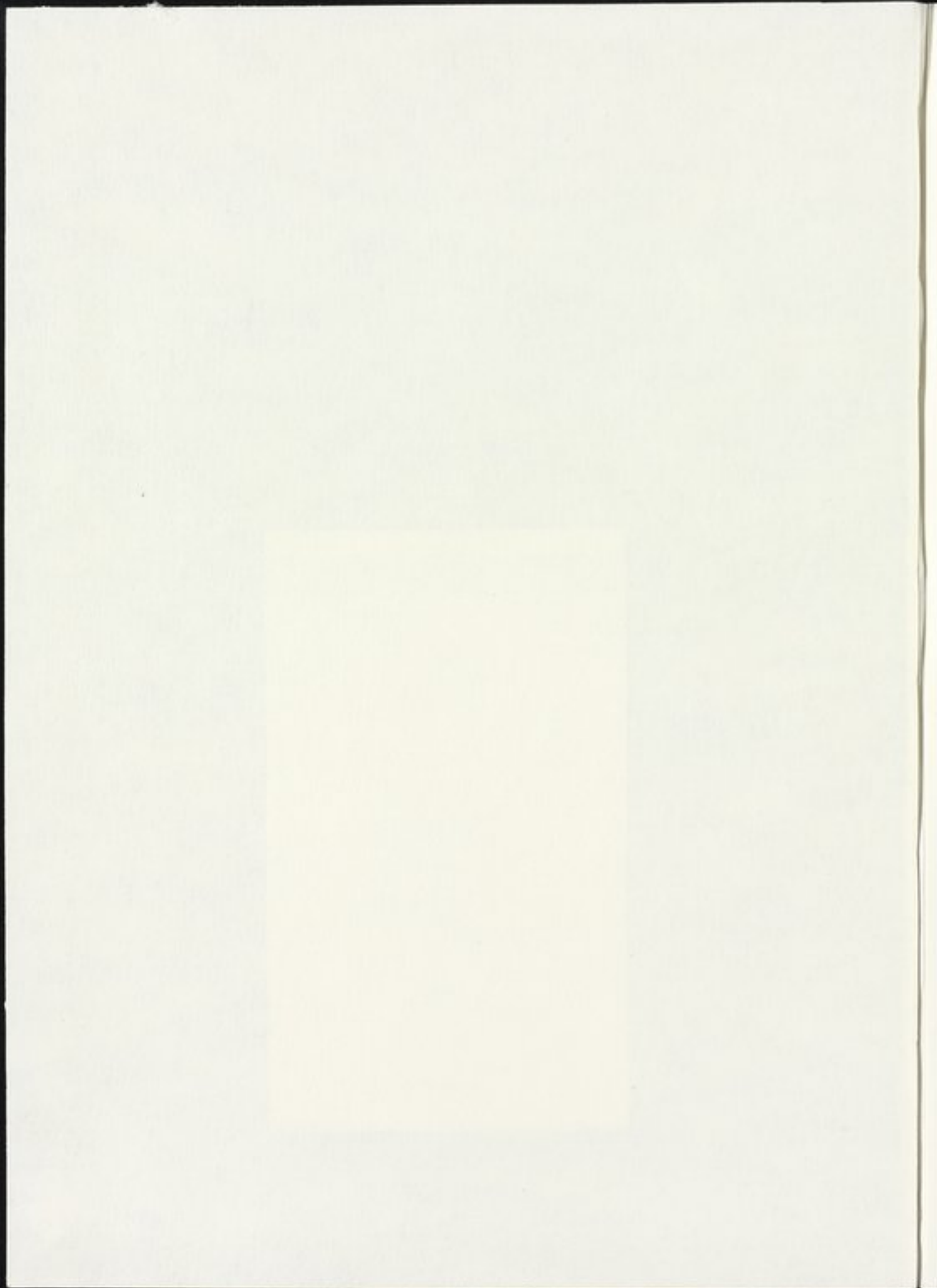
تم الجزء الثامن من تفسير ابن جرير الطبري

ويليه الجزء التاسع

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى : ( قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْسَبُوا مِن قَوْمِهِ )









COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0030164885



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

